# نفحة الريحانة

## ورشحة طلاء الحانة

لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي

١٠٦١ - ١١١١ هـ

تحقيق

عبد الفتاح محمد الحلو

الجزء الرابع

عيسى البابي الحلبي وشركاه

# نفحة الريحانة

## ورشحة طلاء الحانة

لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي

١٠٦١ - ١١١١ هـ



تحقيق

عبد الفتاح محمد الحلو



الجزء الرابع



عيسى البابي الحلبي وشركاه

الطبعة الأولى
١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م

# الباب السادس

# في عجائب نبأ الحجاز


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

هذا الباب ورب الكعبة ، أعظم ماحوته الجعبة .

وهو باب واسع الأطناب ، والإيجاز [(1)] فيه أولى [(1)] من الإطناب .

فإذا قلّ مدحي في أوصاف أهله نثرا ونظما ، فإن فكرى يمرّ بنعتهم فيقف له إجلالا وتعظيما .

فإن بسطت القول ، مع هذه القوة والحول فعلى الصراط أحكم الأوصاف ، وفي الميزان أتوفى الإنصاف .

وغاية ما أقول إذا وجهت إلى الكعبة مجدهم صلوات التقديس والتعظيم ، وزينت معاطفها بدر ثناء أبهى من در العقد النظيم :

كفى شرفا قطرا به أهل مكة على جسد المجد المؤثل راس
وما الناس إلا هم وليس سواهم إذا قال رب الناس يا أيها الناس [(2)]

فأول من أبدأ به [(3)] منهم آل [(3)] البيت والمقام ، ورؤساء النبعة التي تقرأ في صحائفهم فواتح الأرقام .

وهم الأشراف بنو حسن بن أبي نمي [(4)] أصحاب النسب الواضح ، ونخبة قريش الأباطح .

ورونق ضئضىء [(5)] المجد وبحبوح [(6)] الكرم ، وسراة أسرة البلدة التي أكنافها حرم ، وذؤابة الشرف التي مجاذبتها لم ترم .

موطن الفضل المبر ، الذين سقوا شجر الكرم بغيث البر .

---

(1) في ج : « أولى فيه » ، والمثبت في : ا ، ب . (2) في ب : « إلا هم وليسوا سواهم » ، والمثبت في : ا ، ج . (3) في ا : « من أهل » . (4) لبس الحسن بن أبي نمي بن بركات الخلعة الأولى سنة إحدى وستين وتسعمائة ، واستقل بالملك وأعبائه بعد وفاة والده سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة ، وتوفي سنة ثمان بعد الألف .

انظر سمط النجوم العوالي ٤/٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٦١ .

(5) الضئضىء : الأصل والمعدن . (6) كذا بالأصول ، وبحبوحة المكان : وسطه .

أقول فيهم مَقالةَ يحيى بن معاذ (١) : طِينَةٌ عُجِنتْ بماءِ الوَحْيِ وغُرِستْ فيها أشجارُ النُبُوَّة ، وسُقِيتْ بماء الرِّسالة والفتوَّة .

فهل يفوحُ منها إلا مِسْكُ الهُدَى ، وعَنْبَرُ التُقى ، وهل تُثمِر إلّا ثِمار النَّدى ، وتَهدِل إلّا الأغصان الشَّامِخة المُرْتقَى ؟

شَرفٌ ضخمٌ ونائلٌ جَزيل ، وفَخْر شاهِداه وَحْيٌ وتنْزِيل .

يفتخِرُ الزمانُ بوُجودِهم على مامضَى من الأزْمِنة وسَلَف ، ويُتوِّج الدهرُ بأيَّامهم الخضْر رُءوسَ سِنِيِّهِ فيحصُل لها بذلك غاية الشَّرَف .





(١) أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازى .
من الزهاد الوعاظ ، وهو من أهل الرى ، انتقل الى بلخ وأقام بها .
وتوفى بنيسابور سنة ثمان وخمسين ومائتين .
تاريخ بغداد ١٤/٢٠٨ ، حلية الأولياء ١٠/٥١ ، الرسالة القشيرية ٢١ ، طبقات الصوفية للسلمى ١٠٧ .

## ٢٦٧

## الشريف إدريس بن حسن (*)

سُلطان الأكْياس ، ومَن سِيرتُه سيرةُ ابنِ سَيِّد الناس .

رفَعه اللهُ مكاناً عَلِيّاً ، وأغْدَق عليه عِهادَ [1] المَجدِ وَسْمِيّاً ووَلِيّاً [2] .

فأبْوابُه [3] كعبةٌ تطوفُ بها آمالُ العُفاة ، وتُصلِّى [4] بالقُبَل إلى أبوابِها الشِّفاه .

وثَمَّ رأْىٌ يختفى منه فى غِمْده السيف ، وصدرٌ يَسَعُ رِحْلَةَ الشتاء والصَّيْف .

إذا سطا فالشُّهبُ من نِصاله ، وإذا فَخَر فالحمدُ أقلُّ خِصالِه .

فلو راع الهِضابَ لانْحلَّت مَعاقدُها ، أو تناوَل السماءَ لَحوَتْ فَراقدُها .

إلى نِعَمٍ أنْجَدتْ [5] على صَدماتِ [6] الزمان ، واتَّخذت عقيدةَ الكرم كعقيدة الإيمان .

فحَضْرتُه مَقصِدُ المُنْتاب ، إذا حَدَت الحُداةُ ذَواتِ الأقْتاب .

* * *

وله أدبٌ راق ورَقّ ، وشِعرٌ رقيقُه لحُرِّ العقول اسْترَق .

وقد وقفتُ له على ترجمة ، ترجمه بها السيد محمد العُرْضِيّ الحلَبىّ [7] فلم أتمالكْ إلا أن ذكرتُها .

---

(*) الشريف إدريس بن الحسن بن أبى نمى .

ولد سنة أربع وسبعين وتسعمائة ، وولى مكة بعد أخيه أبى طالب سنة إحدى عشرة وألف ، وأشرك معه أخاه السيد فهيدا ثم خلعه ، وأشرك معه ابن أخيه الشريف محسن بن الحسين بن الحسن .

واستطاع الشريف إدريس بمعونة ابن أخيه أن يتقدم شرقا إلى قرب الأحساء ، واجتمع له من العز والجاه الشيء الكثير .

وانتهى أمره بتنازله عن ولاية مكة لابن أخيه الشريف محسن ، سنة أربع وثلاثين وألف ، وتوفى فى هذه السنة فى جبل شبر ، ودفن بمحل يسمى ياطب .

خلاصة الأثر ١/٣٩٠ـ٣٩٤ ، خلاصة الكلام ٦٤ ـ ٦٦ ، سمط النجوم العوالى ٤/٣٩٢ـ٤٠٦ .

(١) العهاد : أول مطر الربيع ، وكذلك الوسمى . (٢) الولى : المطر يسقط بعد المطر .

(٣) فى ا : « فأبواه » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ا : « وتصل » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٥) فى ا : « أم نجدت » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) فى ب ، ج : « صدحات » ، والمثبت فى : ا .

(٧) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الثانى ، صفحة ٤٨٣ ، برقم ١١٣ .

قال فيها[١]: ذو الجبين المستنير بالعرفان، إذا غدا غيره جهولاً مقنعاً بقناع الذلّ والهوان.
ماجدٌ احتبى بنطاق المجد كما احتبى بالسّحاب[٢] ثهلان[٣]، وجواد أقسم جوده بيوم الغدير[٤] والنهروان[٥].

فأقسم بربّ البُدْن تدمى منها النحور، إنه الوارثُ منه وقفة الحجيج والوفادة، وسقايتهم[٦] والرّفادة.

وشهوده[٧] على ذلك منًى والمُخيّف[٨]، وصُمُّ الصّفا والمعرّف.

كما قال الشاعر[٩] الرّضِي[١٠]:

له وَقَفاتٌ بالحجيج شُهودُها ... إلى عَقِب الدنيا مِنًى والمُخَيَّفُ

ومن مأثراتٍ غيرِ هاتيك لم تزَلْ ... له عُنُقٌ عالٍ على الناس مُشْرِفُ

سار المذكور في أهل[١١] الحجاز بسيرة جدّه، من غير أن يُغْمِد فيهم سيفَ حَدّه.

ومما أُنْشِدتُ له من شعر الملوك المحمود، وإن قيل: شعرُ الهاشميّ لا يكاد[١٢] يجود.

قولُه في الاعتذار عن خِضاب الشَّيب بالشّباب المُتلبِّس[١٣] بالمَعاد[١٤]، والتّسربُل على موتِ الصِّبا بثياب الحِداد:

قالُوا خضبْتَ الشَّيبَ قلتُ لهم نعم ... ما إن طمِعتُ بذاك في رَدِّ الصِّبا

لكنَّ عقلَ الشيبِ ما أحرَزْتُه ... فخشيت أن أُدْعى جهولاً أشيبَا

⁂

(١) نقل المصنف هذا عن الأنموذج، وهو في الخلاصة أيضا ٣٩٢/١. (٢) في خلاصة الأثر: «بالسحائب».
(٣) ثهلان: جبل ضخم بالعالية، وتقدم. (٤) يعني بالغدير غدير خم، وهو موضع بين مكة والمدينة بالجحفة. معجم البلدان ٤٧١/٢. (٥) النهروان: كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي، وكان بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع الخوارج مشهورة. معجم البلدان ٨٤٦/٤.

(٦) في ا: «وسقاياتهم»، والمثبت في: ب، ج، وخلاصة الأثر. (٧) في ا: «وشهودهم»، والمثبت في: ب، ج، وخلاصة الأثر. (٨) يعني الخيف، خيف منى. (٩) في خلاصة الأثر: «الشريف». (١٠) ديوان الشريف الرضي ٥٢٦/٢. (١١) ساقط من: ا، وهو في: ب، ج، وخلاصة الأثر. (١٢) ساقط من: خلاصة الأثر. (١٣) ساقط من: ج، وهو في: ا، ب، وفي خلاصة الأثر: «الملبس». (١٤) في ب، وخلاصة الأثر: «المعاد»، والمثبت في: ا، ج.

# ٢٦٨

## السيد أحمد بن مسعود بن حسن*

نابغة السّادة ، ومن له فى الفضل صدرُ الوِسادة .

لم تُنجب بمثله أمُّ القُرَى ، ولم تنضمّ على مثلِ وُجودِه الشريفِ العُرَى .

نَفَذ [1] فى العِزّ نُفوذَ السّهم ، وبلغ العَلْيا بمِعراجِ الفهم .

وبرّز فى فرسان الكلام وشُجعانه ، وجاء من الشّعر بما هو أنضر من عَهْد الصِّبا فى رَيْعانِه .

فلله ما أقْومَ نَهْجَه ، وأوْثق نسْجَه .

وأسمح ألفاظَه ، وأفْصَح عُكاظَه .

وأحمدَ نِظامَه ونِثارَه ، وأغْنَى شِعارَه ودِثارَه .

يجولُ بذهْنِـــــه فى كلّ شيءٍ فيدركُه وإن عَزّ المَرامُ

تطوف ببَيْتِ سُؤْدُدِه القوافِى كما قد طاف بالبيتِ الأنامُ

وتسجُد فى مَقامِ عُلاه شكراً ونعمَ الرُّكْنُ ذلك والمَقامُ

وكانت له همّةٌ تجاوِزُ الأُفُقَ مَصْعَدًا ، ولا ترضى إلا فلكَ الأفلاكِ مَقْعدًا .

---

(*) الشريف أحمد بن مسعود بن حسن بن أبى نمى الحسنى .

أديب بارع ، وشاعر مفلق .

توجه إلى شهارة فى بلاد اليمن ، سنة ثمان وثلاثين وألف ، وامتدح إمامها محمد بن القاسم ، وطلب مساعدته على تخليص مكة المشرفة له من الشريف أحمد بن عبد المطلب ، فلم يحصل منه على طائل ، وعاد إلى مكة .

ثم توجه إلى الروم سنة إحدى وأربعين ، ومدح السلطان مراد خان ، وسأله تولية مكة المشرفة .

فيقال إنه أجابه إلى طلبه ، ولكنه توفى قبل أن يصل إلى مكة ، ويقال : إنه أجزل صلته، ولم ينله مراده .

توفى سنة إحدى وأربعين أو اثنتين وأربعين وألف .

خلاصة الأثر ١/٣٥٩–٣٦٤ ، سلافة العصر ٢٢–٣١ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤٤١–٤٥٣ .

(١) فى ا : « تنفذ » ، والمثبت فى : ب ، ج .

فلم يزل يُقدِّر من نَيْلِ الشَّرافةِ ما أطال تَمنِّيه ، والأيام تَعِدُه بها وتُمَنِّيه .

فلم يظفرْ منها بلَحْظةِ لَحْظ ، ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظّ ﴾[1] .

فاقْتحم لطلبِها بحراً وبرّاً ، مُتوسِّعا أينما حَلّ رفاهيةً وبِرّاً .

قال ابنُ مَعْصوم[2] : وكان قد دخل شَهارة[3] ، من بلاد اليمن[4] ، وامتدح بها إمامَها محمدَ بن القاسم[5] ، بقصيدة راح بها ثَغْرُ مديحه[6] وهو ضاحكٌ[6] باسم .

وطلب منه مُساعدتَه على تَخْليص مكةَ المشرَّفة له ، وإبْلاغِه من تَحْلِيَتِه بولايتِها أمَلَه .

وكان ملِكُها إذ ذاك الشريف أحمد بن عبد المطلب[7] ، فأشار في بعض أبياتها إليه ، وطعن فيها بسِنان بَيانِه عليه .

ومطلع القصيدة[8] :

سَلا عن دَمِي ذاتَ الخلاخلِ والعِقْدِ   عَلامَ استحلّتْ أخْذَ رُوحي على عَمْدِ[9]

فإن أمِنتْ أن لا تُقادَ بمــا جنَتْ   فقد قيل أن لا يُقْتَل الحرُّ بالعَبْدِ[10]

* * *

---

(١) سورة فصلت ٣٥ .   (٢) سلافة العصر ٢٢ .   (٣) شهارة : من حصون صنعاء باليمن . معجم البلدان ٣/٣٣٩ .   (٤) ذكر ابن معصوم أن ذلك كان في أحد الجمادين من سنة ثمان وثلاثين وألف

(٥) تقدمت ترجمته في الجزء الثالث ، صفحة ٢٤٨ ، برقم ١٩٥ .   (٦) في سلافة العصر : « ضاحكا » .

(٧) الشريف أحمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي الحسني .

شريف مكة ، وأحد نجباء وأذكياء هذا البيت .

ولي أمر مكة سنة سبع وثلاثين وألف ، بعد تغلبه على الشريف محسن ، واستولى على أموال الناس ، ولم يرحم أحدا .

واستمر كذلك حتى قتله قانصوه باشا حين كان متوجها لفتح اليمن ، سنة ثمان وثلاثين وألف .

خلاصة الأثر ١/٢٣٩ ، سمط النجوم العوالي ٤/٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٨ـ٤٢٦ .

(٨) القصيدة كلها في سمط النجوم العوالي ٤/٤٤٢ـ٤٤٥ ، وماهنا في : خلاصة الأثر ١/٣٦٠ ، سلافة العصر ٢٢ .   (٩) في السمط : « سلوا عن دمي » .   (١٠) عجز البيت في السمط :

* فقد قيل إن الحُرَّ يُقتَل بالعبدِ *

منها ، وهو محلّ الغرض :

أغِثْ مكةً وانْهَضْ فأنتَ مُؤيَّدٌ … من الله بالفتح المُفوَّضِ والجدِّ (١)

وقَدِّمْ أخا وُدٍّ وأخِّرْ مُباغِضاً … يُساوِر طَعْناً فى المُؤيَّد والمَهْدِى (٢)

ويطعن فى كلِّ الأئمةِ مُعْلِناً … ويرضَى عن ابن العاصِ والنَّجْلِ من هنْدِ

فلم يحصُل منه على طائل ، إلّا ما أجازه به من فضل ونائل .

فعاد إلى مكةَ المشرّفة (٣) ، ثم توجَّه إلى الروم (٤) .

قلتُ : فمرَّ على ساحل الشام ، ونزل طَرَسُوس (٥) ، وبها عمل سِفِينَّته التى زَفّها (٦) خريدةً على أرائِك الطُّروس ، وعطر بريّاها أنديِة الأدب ولا عِطْرَ بعد عَرُوس .

وكان هام بالوطن ، هيامَ ابن طالب (٧) بالحوض والعطَن (٨) .

وحَنَّ إلى تلك البِقاع ، حَنِينَه إلى أثلاث القاع .

والقصيدة هى هذه ، وإنما ذكرتُها بتمامِها لِمَكانها من القلوب (٩) :

حُثَّ قبل الصباحِ نُخَبَ كُئوسِى … فهى تَسْرِى مَسْرَى الغِذَا فى النُّفوسِ (١٠)

وانتخِبْها بِكْراً فقد نَوَّب الدَّا … عِى إليهـــــا من حانةِ القِسِّيسِ

بِنْتُ كَرْمٍ إن تَلْقَ مَلْسُوعَ حَىٍّ … وهْو حِلْسٌ لن يرتَضِى بالجلوسِ (١١)

---

(١) فى خلاصة الأثر : « بالفتح المقوض » ، وفى سمط النجوم : « بالفتح المعوض » .

(٢) فى سلافة العصر ، والسمط : « وأخر مبغضا » .

(٣) فى الخلاصة ، والسلافة ، والسمط أن عودته كانت سنة تسع وثلاثين وألف ، وأنه أقام بمكة سنتين .

(٤) كان ذلك سنة إحدى وأربعين وألف. (٥) طرسوس : مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم . معجم البلدان ٣/٥٢٦ . (٦) فى ج : « زخرفها » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٧) كذا فى الأصول، ولم أعرفه، ولعله : ابن طاب، وهو جنس من تمور المدينة. انظر ثمار القلوب ٢٦٦ .

(٨) فى ا ، ب : « والوطن » ، والمثبت فى : ج. (٩) مستهل القصيدة فى خلاصة الأثر ١/٣٦٣ ، وهى كلها فى سمط النجوم العوالى ٤/٤٥٠–٤٥٣ . (١٠) فى السمط : « فهى تجرى مجرى الغذا » .

(١١) فى سمط النجوم العوالى :

بنتُ كَرْمٍ إن تَرْقِ ملسوعَ را … حَ وهْو حِلْسٌ لم يرتضِ بالجلوسِ

وحلس : ملازم للشىء .

كشفتْ غيهبَ الخمارِ ولو ترْ … شحُ رمْساً ردّتْ بقا المرْموسِ
غرستها بين الحدائقِ فى النوْ … روزِ والشطِّ كفُّ بطْليموسِ
فتلقَّ أمّ المسرّةِ طلْقاً … والندامى بمهْرِ كَيْسٍ وكيسِ [1]
واطْلقِ النَّدَّ والكبا الرَّطْبَ وامْتحْ … لِ عروساً لا عِطرْ بعد عروسِ [2]
عانسٌ فى الدِّنانِ بالخانِ لن تُطْ … مثَ من عهد جُرْهُمٍ وجَديسِ [3]
نار أنْسٍ يعْشو الكليمُ ويصْبو … لِفِناهـا بالذُّلِّ والتّقْديسِ
حرقتْ حُلّةَ الجنانِ وأبْدتْ … مُسْتطيرَ الصّباحِ فى الخنْدريسِ [4]
زعم الجاهلون ظُلْماً بأن قد … عصرتْها قِدْماً يدا عبْدوسِ
وهْى من لُطْفها كشَكٍّ نفاهُ … صادقُ العِلْمِ عند ذى توْسيسِ
فأدِرْها فى كأسِها دون خَدَّيْ … ك وفوق الشّقيقِ من خنْدريسِ
واسْقِ بالخيْزَلَى النّدامى لتبْدو … قُدرةُ اللهِ فى المَقامِ النّفيسِ [5]
لترى أنجُماً بفُلْكٍ وبدْراً … فوق غُصْنٍ يختال بين شُموسِ
ولكلٍّ إرْبٍ وما أنا بالرّا … ئى شريفاً فى جَنْبِ وجْهٍ خسيسِ
لستُ من قبلها أُصدِّقُ أن الرّ … احَ ظَلْمٌ فى لُؤْلُؤٍ مغْروسِ
ظبْيةٌ رخْوةُ العريكةِ تَغْتا … لُ أسودَ الشّرى بدَهْيٍ شُموسِ
لَبِستْ من غلائلِ الحُسْنِ بُرْداً … منه كلُّ العقولِ فى تلْبيسِ
تتهادَى فيه فتسْتقْبحُ الرّ … وضَ أنيقاً بجوْزةِ التّدْنيسِ [6]

---

(١) فى الأصول : « فتلق » ، والمثبت فى : سمط النجوم العوالى . (٢) الكباء : عودالبخور .
(٣) فى السمط : « عانسا فى الدنان عذراء لم » . (٤) فى السمط : « خرقت حلة الجنان . . فى الخنديس » .
والخندريس : الخمر .
(٥) فى السمط : « واسق بالخيزلى الندامى » .
والخيزلى : مشية فى تثاقل .
(٦) فى السمط : « أنيقا لجودة التجنيس » .

لو رآها تختـــالُ عُجْباً أبوها ... لخشينا عليـه دِينَ المَجُوسِ

كلُّ خِـلْوٍ منها استجدَّ رَسِيساً ... وقديمي فيها استمدَّ نَسِيسِي (١)

تركتني نِضْواً على نِضْوِ رسمٍ ... فيه دمعي خِلِّي ومُهْدِي جَلِيسِي (٢)

مُوحِشاً من هُنَيْدةٍ بعد أن كا ... نَ حَقِيقياً بالمَرْبَعِ المأنُوسِ

طالَمَا قلتُ للعُـذافِرِ واللَّيْـ ... ـثُ قد ألْقَى بها عصا السَّيْرِ هِيسِي (٣)

انْقَضِي به حُقُوقاً ونبكي ... فيه وُرْقَ الحمى وثُكْلَ العِيسِ (٤)

ونُرَجِّي الآمالَ أن تبعثَ الرِّ ... يحُ أرِيجاً من معهدٍ مَطْمُوسِ

فرعَى اللهُ بالأجارعِ عَصْراً ... مَرَّ أمْسَتْ نُجُومُه في طُمُوسِ (٥)

حيث جَوُّ الشبابِ صَحْوٌ وبَحْرُ اللَّـ ... ـهْوِ رَهْوٌ لم ألْقِ فيه بِرُوسِي (٦)

ومَحَـلِّي بين الأباطِحِ والقُبَّـ ... ـةِ من طَيْبَةٍ بسُوقِ الرَّسِيسِ (٧)

أحمدُ الاسْمِ أحمدُ الخلقِ في الأَ ... ءِ غِيَاثُ المَنْجُودِ والمَلْبُوسِ (٨)

---

(١) في السمط: « كل حلو منها ... فيها استمر نسيسي ».
والنسيس: غاية جهد الإنسان، وبقية الروح. القاموس ( ن س س ).

(٢) في الأصول: « على نضو رسمي »، والمثبت في السمط.
وفي ا: « فيه دمعي خلمي »، وفي ب: « فيه دمعي خلي »، وفي ج: « فيه دمعي طمي »، والمثبت في السمط.

(٣) العذافر: الأسد العظيم.
وفي السمط: « للعذافر والليـ * ـث به قد ألقى عصا السير ».
والهيس: أخـذك الشيء بكره، وهيس هيس: كلمة تقال عنـد إمكان الأمر والإغراء به. القاموس ( هـ ي س ).

(٤) في السمط: « حقوقا وتبكي ».

(٥) عجز البيت في السمط:

* وبُدوراً نجومُه في طُموسِ *

(٦) الرهو: الواسع.
وفي الأصول: « لم ألق فيه فروسي ».

(٧) في السمط: « من طيبة بسوح الرئيس »، وفيه أيضا: « ومحلا بين الأباطح ».

(٨) في السمط: « أحمد الخلق أحمد الخلق ». بضم الأولى وفتح الثانية

شافعُ الأُمَّـــةِ التى جاء فيها ... كُتْبُهُمْ من مُهَيْمِنٍ قُدُّوسِ

أوّلُ الأنْبياءِ والخَـــاتِمُ العا ... صِمُ من صَوْلِ صَيْلَمٍ دَرْدَبِيسِ (١)

يَتَّقِي حَيْـــدَرٌ وحمزةُ والفا ... روقُ فيه إن جَاشَ قِدْرُ الوَطِيسِ (٢)

وكذا فى المَعادِ عِيسى وإسْحا ... ق وموسى الكَلِيمِ مَعْ إدْرِيسِ

وبه يسْألون إن دَمْـــدَمَ الهَوْ ... لُ تَجلِّيهِ فى الزمانِ العَبُوسِ (٣)

وهمُ الفائزون لــكنْ لما طَمَّ ... على الخلقِ من عذابٍ بَئِيسِ

مُهْطِعين الأعناقَ فى موقفِ الرَّهْ ... بَةِ لا يُسْمَعَنْ لهم من نَبِيسِ (٤)

فيُنادَى سَلْ تُعْطَ واشْفَعْ أيا خَيْ ... رَ شفيعٍ فى مُسْمَهِرٍّ طَبِيسِ (٥)

أرْيَحِيٌّ بقَصْـــدِهِ يَأنفُ الأخْ ... مَصُ أن يَحْتذِى شَواةَ الرُّءوسِ (٦)

نقل الدَّهرَ للجوامِـــعِ والأحْ ... كامِ بعد الأزْلامِ والناقوسِ

ترك الذئبَ والغَضَنْفَرَ والشا ... ةَ جميعاً من خَوْفِ غبِّ الفَرِيسِ

أيّدَ الدِّينَ بالذَّوابـــلِ والشُّو ... سِ المَذاكى تعدو ببِيضٍ شُوسِ (٧)

كل ذِمْرٍ فى السِّلمِ هَيْنٍ وفى الحَرْ ... بِ أبِيٍّ يشُقُّ أنفَ الخَمِيسِ (٨)

---

(١) فى ج : « أول الأنبياء ذو الخاتم » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والسمط .
وفى ا ، ج : « صيلم ورديبس » ، وفى السمط : « صيلم دربيس » ، والمثبت فى : ب .
والصيلم : الداهية ، وكذلك الدردبيس .

(٢) فى ج : « وحمزة والعباس » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والسمط .
وفى الأصول : « إن جاس قدر الوطيس » ، والمثبت فى السمط .

(٣) فى ا : « وبه يسألون عن دم دم الهول » ، وفى السمط : « وبه يسألون إذ صدم الهــول » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) فى ج : « فى موقف الشر » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والسمط ، وفيه : « لم يستمع لهم من نبيس » .

(٥) امهر : صلب واشتد ، والطبيس : الـكثير ، انظر القاموس (طبس) .
وفى السمط : « فى مسمهر ضبيس » . والضبيس : العسر .

(٦) شواة الرأس : قحفه وجلدته .

(٧) فى ا ، ب : « بالذوابل والشوس المذاكى » ، والمثبت فى : ج ، والسمط .
وفى السمط : « تعدو وبيض شوس » ، وفى ا : « ببيض شموس » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٨) فى ب : « كل ذخر فى السلم » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسمط .
والذمر : الشجاع .

كَمَـــلِيّ وحمزةِ البِشْرِ إن بُدِّ ... لَ بِشْرُ الوجـــوهِ بالتَّعْبيسِ

بَيْهَسِيْ غابةِ الوَشيجِ وطَوْدَيْ ... مَفْخَرٍ في مُؤَثّلٍ قُدْمُوسِ (١)

بهمـــا والبَتُولِ والآلِ والسِّبْـ ... طَيْنِ والمُخْتبيْن في التَّغْليسِ (٢)

الإمامين بالنُّصُـــوص الشهيديـ ... نِ البريئيْن من صدا التَّذنيسِ (٣)

فَرْقَدَيْ هـــالةِ السيادةِ وابْنَيْ ... من خص بالقواضبِ التَّبخيسِ (٤)

ما رعى فيهما رئيسٌ إلى الفِدْ ... يةِ إلَّا فَضْلاً عن المَرْءوسِ (٥)

وبمن قام في مقـــامك يَسْتَشْـ ... فى به والمُحلِّقِ الدَّعْيسِ (٦)

وبِنَجْمَيك صاحِبَيْك ضَجِيعَيْـ ... ـك ظَهِيرَيك في الرَّخا والبُوسِ (٧)

ذا رفيقٌ في الغـــارِ حِلْفٌ وذا يَنْـ ... ـفِرُ من حَبْسِه شَبَا إبْليسِ (٨)

وبِتِـــلْوِ الاثنين جامعِ أشْتا ... تِ المَثاني بالرَّسْمِ والتدريسِ (٩)

لم يراقبْ للهدى والجيشِ من غَيْـ ... ـرِ فسوقٍ أتَى ولا تدليسِ

أدرِكْ أدرِكْ ذا غُرْبةٍ وانفرادٍ ... وسُهادٍ ومَدْمَعٍ مَبْجُوسِ (١٠)

قد لَقِي من حصائدِ النَّفْيِ ما لَا ... قَى كُلَيْبٌ فيها غـــداةَ البَسُوسِ

أَلْوَحَى أَلْوَحَى فذلك مَلْهُو ... فٌ يُناديك من ورا طَرَسُوسِ (١١)

---

(١) البيهس : الأسد والشجاع ، والقدموس : القديم . (٢) في ا ، ب : « والمجتنين في التغليس » وفي السمط : « والمخبتين بالتغليس » ، والمثبت في : ج . (٣) في السمط : « من صدى التدنيس » .

(٤) في السمط : « مدحضي بالقواضب » ، وفي ا ، ب : « بالقواضب التجنيس » ، والمثبت في : ج ، والسمط ، ولم يستقم لي أمر هذا البيت . (٥) في السمط : « رئيس ربي الفدية » .

(٦) في ا : « يستقي به » ، وفي ج : « يستشفي به » ، والمثبت في : ب ، والسمط .

وفي ا : « والخلق الدعنيس » ، وفي ج : « والمحلق الدعس » ، والمثبت في : ب ، والسمط .

(٧) في السمط : « وبخليك صاحبيك » . (٨) في السمط : « في الغار ردف . . من حبسه رق إبليس » ، وفي ج : « بسفر من حبسه » ، والمثبت في : ا ، ب . (٩) في الأصول « أشتات المباني » ، والمثبت في السمط . (١٠) في ا ، ب : « ومدمع محبوس » ، والمثبت في : ج ، والسمط .

وبجس الماء : تفجر .

(١١) في السمط : « الوحى الوحى فدى لك ملهوف » .

والوحى الوحى : كلمة تقال للاسراع ، بمعنى البدار البدار .

يا نَبِيَّاه يا وَلِيَّاه يا جَدّ ... اه يا غَوْثَ ضارعٍ مَوْطُوسِ (١)

أنت إن أعْضَلَ العُضالُ وأعْيَى ... كُلَّ آسٍ دَواهُ جالِينُوسِي (٢)

وإذا ما الخِناقُ ضاق فلم أرْ ... جُ لِكَرْبِي إلّاك للتَّنفِيسِ

ولقد جرّد العقول إلى أن ... لبِسَتْ منه بِزَّةَ المَخْلوسِ (٣)

فبِجَدْواك يقلِب السعدُ فى الأزْ ... مةِ سَعْداً تحديقَ عَيْنِ النُّحوسِ

يا خَفِيرِي إذا ارْتَهِنْتُ وما لِي ... غيرُ كُتْبِي فى مَضْجَعِي مِن أنيسِ

أبِظُلْمِ الحُوبا أُقصِّر عن شَأْ ... وِ جُدودِي وأنت أصلُ غُروسِي (٤)

حاشَ لِلّهِ أن يقصِّر مَن أَوْ ... مِ فيكم مَدْحاً بُطونَ الطُّروسِ

فارْتَبِطْها من الجِيادِ التى تَسْ ... بِقُ خَيْلَ الوليد وابن سَدِيسِ

وأجِزْنى بُرْداً من الأَمْنِ ما حِيـ ... ـكَ بصَنْعا حُسْناً ولا تِنِّيسِ (٥)

إن أرُحْ مُطلقاً من الذنبِ فالتَّقْ ... رِيضُ وَقْفٌ مُسَلْسَلُ التَّحْبيسِ (٦)

أو تَناسَى به فَنِائِى وحقِّى ... فعلى الحظِّ دعوةُ المَبْخُوسِ

فأغْنِنِي دُنْيا وأخرَى بمَوْلا ... كَ لِيَهْدا رُوعِي ويقْوى رَسِيسِي (٧)

لو تشفَّعْتَ فى سَبَا لعلِمْنا ... أنهم فائزون بالمَحْسُوسِ

فعليك الصلاةُ ما هَجَّر الرَّكْ ... بُ وحَثَّ القِلاصَ للتَّعْرِيسِ

* * *

ثم دخل حلب .

(١) الوطس : الكسر والضرب الشديد . (٢) فى الأصول : « كل آس دواه جالينوسى » ، والمثبت فى السمط . (٣) فى السمط : « بزة المخموس » . (٤) الحوباء : النفس .

(٥) تنيس : جزيرة فى بحر مصر ، قريبة من البر ، ما بين الفرما ودمياط ، وبها تعمل الثياب الملونة . معجم البلدان ٨٨٢/١ . (٦) فى السمط : « فالتقريض وقف مسلسل التجنيس » .

(٧) فى السمط : « وأغثني دنيا وأخرى بمرآك » .

وترتيب هذا البيت فى السمط بعد البيت السابق : « وأجزنى برداً . . » .

قال العُرْضِيّ[١] : فنزل منها [٢] فى صدرٍ [٢] رَحِيب ، وقابلتْه بتأهيلٍ وترحيب .

ثم انثالتْ إليه من أبناء الشَّهْباء عيونُ أعْيانِها ، من وجوه علمائِها وأشْرافِها ، الذين هم إنسانُ حَدَقةِ إنْسانِها .

انْثِيالَ الدُّرِّ ، إلى[٣] الواسطة من عِقْد النَّحْر ، واحْتَفَّتْ به احْتِفافَ النُّجُوم بالبدر .

مِمَّن[٤] دَعاه نادِيه فلبَّاه ، وحَظِىَ بإقبالِ وَجْهِه وطَلْعةِ مُحَيَّاه .

[٥] فرأيْناه يُحاضِر بأخبار الطَّالِبيِّين، الحسنيِّين منهم والحُسَيْنيِّين .

سِيَّما الشريفُ الرَّضِىّ [٥] ، مِن وَجْهٍ مَذهبُهُ فى البلاغة وَضِىّ ، وطريقُه وهو أخو المُرْتضَى مَرْضِىّ .

ويَلْهَج كثيراً بأخبارِه ، ويحفظ أغلَبَ أشْعارِه .

قال : فمدحتُه بقصيدةٍ ، مطلعُها :

لِلهِ أكْنافُ بخيفٍ طابَتْ وطال بها وُقوفِى

إلى أن [٦] تخلّصتُ إلى مَدِيحه [٦] :

وإذا طلبتَ عَرِيفَهم ولأَنْتَ بالفَطِنِ العَرِيفِ

فهُــــو الشريفُ بنُ الشرِيـ ـفِ بن الشَّريفِ بن الشريفِ

فتمايَل لدَى إنْشادِها طرَبا ، وأظْهر بها إعجاباً وعجَبا .

قائلا : لا فَضَّ اللهُ فاك ، وكثَّر من أمثالِك .

---

(١) أى السيد محمد بن عمر العرضى ، الذى تقدمت ترجمته فى الجزء الثانى ، صفحة ٤٨٣ ، برقم ١١٣ والنقل فى خلاصة الأثر ١/٣٦٠ ، ٣٦١ .

(٢) فى خلاصة الأثر : « بصدر » .

(٣) فى ب : « من » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة . (٤) فى ا : « مما » ، وفى الخلاصة : « فمن » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى خلاصة الأثر : « فرأيناه يحاضر بأخبار الشريف الرضى » .

(٦) فى خلاصة الأثر : « قلت فى التخلص إلى المديح » .

فقلتُ : استجاب الله دعوتك[1] هذه[2] ، كما استجابها من جَدِّك رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، حين أنشده النَّابغة الجَعْدِيّ[3] :

بلغْنَا السماءَ مَجْدَنا وجُدودَنا وإنّا لنَرْجو فوق ذلك مَظْهَرَا

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :[4] « فأين المظهرُ يا أبا ليلى »[4] ؟

قال : الجنة[5] يا رسولَ الله .

فقال :[6] « قل إن شاء الله »[6] .

ثم قال[7] :

ولا خيرَ فى حِلْمٍ إذا لم يكُنْ له بَوادِرُ تَحْمِى صَفْوَه أن يُكَدَّرا[8]

ولا خيرَ فى أمرٍ إذا لم يكن له حليمٌ إذا ما أوْرَد الأمرَ أصْدَرَا[9]

فقال له صلى الله عليه وسلم : « لا فَضَّ اللهُ فاكَ[10] » .

فبلغ عمرُه مائة سنة ، لم يتغيَّر له سِنّ ، بل كان أحسن الناس ثَغْراً .

***

ثم قصد الشريف أحمد دارَ السَّلطَنة العليَّة ، قسطنطينيَّة المحميَّة ، فلقىَ سُلطان الوقت إذ ذاك السلطان مرادا بقصيدة فريدة ، سأله فيها توليته مكّة .

---

(١) فى خلاصة الأثر : « دعاك » .

(٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، والخلاصة . (٣) شعر النابغة الجعدى ٥١ ، وانظر ٦٨ .

(٤) فى خلاصة الأثر : « إلى أين يا ابن أبى ليلى » ، وهو خطأ ، والذى ورد فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إلى أين أبا ليلى » . انظر حاشية شعر النابغة الجعدى .

(٥) فى خلاصة الأثر : « إلى الجنة » ، وكذلك فى حاشية شعر النابغة الجعدى .

(٦) فى الخلاصة : « أجل » ، وفى حاشية الديوان : « إن شاء الله » . (٧) شعر النابغة الجعدى ٦٩

(٨) فى ا : « ولا خير فى علم » ، وفى خلاصة الأثر : « ولا خير فى حكم » والمثبت فى : ب ، ج ، وشعر النابغة الجعدى .

وقد سقط عجز هذا البيت وصدر الذى يليه من خلاصة الأثر .

(٩) فى شعر النابغة الجعدى : « ولا خير فى جهل » ، وفى ا ، ب ، وخلاصة الأثر : « حكيم إذا ما أورد الأمر أصدرا » ، والمثبت فى : ج ، وشعر النابغة الجعدى . (١٠) فى حاشية شعر النابغة الجعدى : « يفضض » .

أولها[1] :

ألا هُبِّى فقــــد بكر النَّدامَى ومَجَّ المَزْجُ من ظَلْمِ النَّدَى مَا[2]

فقيل : إنه أجابه إلى مُلتَمسِه ومرادِه ، وأرْعاه من مقصدِه أخْصَبَ مَرادِه .

ولـكنْ مُدَّت إليه يدُ الهلاك ، قبل أن ينال المُلْك .

وقيل : بل أجْزل[3] عَطاه[4] فقط ، [5] فقَدَّ طمعه [5] عمَّا تمنَّاه وقَطّ .

ولم يعُدْ إلى مكة ، وتُوُفِّى فى تلك السنة ، أو فى التى تليها .

وتتمة هذه القصيدة قولُه بعد المَطْلع :

وهَينمتِ القَبُولُ فضاعَ نَشْرٌ رَوَى عن شِيحِ نَجْدٍ والخُزامَى

وقد وضَعت عَذارَى المُزْنِ طِفْلاً بِمَهْدِ الرَّوضِ تَغذُوه النُّعامَى[6]

فَهُبِّى وامْزُجِى خَمْراً بظَلْمٍ لِيَحْيَى ما أماتتْ يا أُماما[7]

ومُنِّى بالحيــــاةِ على أُناسٍ بِشمسِ الرَّاحِ صَرْعَى والظَّلاما[8]

فـكم خَفَر الفوارسُ فى وَطِيسٍ فَتًى منا وما خَفَر الذِّماما[9]

وكم جُــــدْنا على قُلٍّ بوَفْرٍ وأعطَيْنا على جَدْبٍ هِجاما[10]

* * *

(١) القصيدة كلها فى سلافة العصر ٢٣ ، ٢٤ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤٤٥ ـ ٤٤٨ ، ومطلعها ، ومن أول قوله : « فيامالك الملوك » الآتى ، فى خلاصة الأثر ١/٣٦٢ ، ٣٦٣ .

(٢) فى الأصول ، وسمط النجوم العوالى : « ومج المزج » ، والمثبت فى خلاصة الأثر ، وسلافة العصر . و « الندامى » جمع النديم ، و « الندى ما » مركب من الندى ، وماء .

(٣) فى ا : « أجزاه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٤) فى السلافة : « صلته » .

(٥) فى الأصول : « فقط طمعه » ، وهو تكرار لآخر السجعة ، وفى السلافة مكان هذا : « وأغفل » ، والمثبت فى خلاصة الأثر ١/٣٦٠ . (٦) النعامى : ريح الجنوب .

(٧) سقط هذا البيت والذى يليه من سلافة العصر .

ورواية السمط : « لتحيي ما أمتى يا أماما » .

(٨) فى السمط : « بشمس الراح صرعى والطلاما » .

(٩) فى الأصول : « فـكم حضر القواصر . وما حضر الذمما » ، والمثبت فى السلافة ، والسمط ، وفى السمط : « من وطيس » . (١٠) لعله جمع الهجمة ، وهى من الإبل أولها أربعون إلى ما زادت ، أو ما بين السبعين إلى المائة أو إلى دوينها . القاموس ( هـ ج م ) .

قوله : « وقد وضعت عذارى » البيت . المراد بالطّفل هو[1] النَّبْتُ ، واستعارة الأُمِّ المُرضِع للمُزْن ، كما وقع فى قول البَاخرْزىّ ، من قصيدة[2] :

وتَرَعْرَعتْ فيه لَطِيفاتُ الكَلَا  رَضْعانةً ضَرْعَ الغَمامِ الغَادِى[3]

ومنه مطلع قصيدة يحيى بن هُذَيل التُّجِيبىّ المَغْرِبىّ :

نام طفلُ النَّبْتِ فى حِجْرِ النُّعَامَى  لاهْتِزازِ الطَّلِّ فى مَهْدِ الخُزامَى

وهذا البيت مطلعُ قصيدة من المُرقِّص والمُطرِب[4] ، بل مطلعُ شمسِ البلاغة وإن كان قائلُها من المغرب .

وبعده :

وسَقَى الوَسْمِىُّ أغصانَ النَّقَا  فهوتْ تلثِمُ أفواهَ النَّدامَى

كَحَلَ الفَجْرُ لهم جَفْنَ الدُّجَى  وغَدا فى وَجْنةِ الصبحِ لِثاماً

تحسَبُ البدرَ مُحَيَّا ثَمِلٍ  قد سقَتْه راحةُ الصُّبْحِ لِثاماً

حوله الزُّهْرُ كؤوسٌ قد غَدتْ  مِسْكَةُ الليلِ عليهنَّ خِتاماً

قوله : « كحل الفجر » . البيت ، ما زلنا فى تردُّد وشُبْهة فى معنى هذا البيت ؛ فإنه أسْند التَّكْحيل إلى الفجر ، وهو لا يلائمه ؛ لابْيضاضِه ونُورِه ، وإنما يُلائم التكحيل ما كان أسودَ مظلِما ، وبعض الأفاضل حمَله على أنه فى ليلة[5] مُقْمِرة[6] ، يغيب القمرُ[7] فيها لَدُن طلوع الفجر ، فتحدُث حينئذ[7] ظُلمة يستحق بها الفجر أن يُسْنَد التكْحيل إليه .

---

(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .  (٢) الملتقط من ديوان الباخرزى ٣ .

(٣) فى الملتقط : « أطيفال الكلا * ممتكة ضرع » .

(٤) لم يرد هذا البيت والأبيات بعده فى عنوان المرقصات والمطربات المطبوع .

(٥) فى الأصول : ( ليل ) ولعل المناسب للسياق الآتى ما أثبته .  (٦) فى ا : « مقمر » ، والمثبت فى : ب ، ج .  (٧) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

وهو معنى متكلف كما تراه ، حتى وقفنا على قَوْل ابن الظَّهير الإِرْبِلِيّ [١] :

وكأنَّ الصباحَ مِيـــلُ لُجَيْنٍ     كاحلٌ للظلامِ طَرْفًا كَحِيلَا

فـكان قولًا شارحا لبيت التُّجِيبِيّ ، وصار التَّكْحيل لا غُبارَ عليه بوجـه من الوجوه .

وبيتُ ابن الظَّهير من قصيدة يصفُ فيها الفَلاة :

جِئْتُها والظلامُ راهبُ دَيْرٍ     جاعلٌ كلَّ كوكبٍ قِنْدِيلَا

أو عظيمٌ للزَّنْجِ يقدمُ جَيْشًا     قد أعَـدُّوا أسِنَّةً ونُصولَا

وكأنَّ السـماءَ رَوْضٌ أنيقٌ     نَوْرُه باتَ بالنَّدى مَطْلُولَا

وكأنَّ النجومَ دُرُّ عُقُــودٍ     عاد مَعْقودُ سِلْكِها مَحْلُولَا

ليلةٌ كالغُدافِ لو لم يرُعْها     نارُ فجرٍ ما أوْشكتْ أن تزُولَا [٢]

وتولَّتْ وأشهبُ الصبحِ يتْلُو     أدْهمَ الليلِ وانِيًا مَشْكُولَا

***

ومن تتمَّة القصيدة :

فيا مَلِكَ المُلوكِ ولا أُحاشِي     ولا عُذْرًا أسوقُ ولا احْتِشامًا [٣]

أنِفْتُ بأنني أَلْقَــاكَ منهم     بمنزلةِ الرِّجالِ من الأيامَى [٤]

إلى جَـدْواكَ كَلَّفْنا المَطايا     دَوامًا لا نُفارِقُهــا دَوامًا

---

(١) محمد بن أحمد بن عمر ، المعروف بابن الظهير الإربلي الحنفي .

شاعر ، أديب .

ولد سنة اثنتين وستمائة ، وتنقل بين بغداد ودمشق ، وكان من كبار الحنفية ، ذا رأى متقن ، وهو من أعيان شيوخ الأدب ، وفحول المتأخرين في الشعر .

توفى سنة سبع وسبعين وستمائة .

الجواهر المضية ٢/٢٠١ ، فوات الوفيات ٢/٣٥٦ ، الوافي بالوفيات ٢/١٢٣ .

(٢) الغداف : الشعر الطويل الأسود ، والغراب .     (٣) في سلافة العصر ، والسمط : « ولا أبالى »

(٤) في السلافة : « إذا ما قست لم أنزلك فيهم » ، وفي السمط : « أنفت بأنني أنزلك فيهم » .

وجُبْنا أيهـــا المِلكُ المَوامِى إلى أن صِرْنَ من هزلٍ هُياماَ(1)

وذُقْنا الشُّهدَ فى معنى التَّرجِّى وذُقْنا الصبرَ من جُوعٍ طَعاماَ(2)

صَلِينَـــا من سَمُومِ القَيْظِ ناراً تكون بنُورِكَ السَّامِى سَلاماَ(3)

وخُضْنا البحرَ من ثَلْجٍ إلى أن حسِبْناه على البِيدِ الأُكاماَ(4)

وجاوَزْنا العَنانَ على عِنانٍ تسِـــيرُ بنا ولم تلبثْ شآماَ(5)

نَؤُمُّ رِحابَكَ الفِيحَ اشْتِياقاً ونأمُل منك آمالًا جِساماَ(6)

ومَن قصَدَ الكريمَ غدا كريماً على ما فى يديْه ولن يُضاماَ(7)

وحاشَا بحرُكَ الفَيَّاضُ أنَّا نُرَدُّ بغُـــلَّةٍ عنه حِياماَ(8)

وقد وَافــاكَ عبدٌ مُسْتَمِيحٌ نَدَى كَفَّيْك والشِّيمَ الضِّخاماَ(9)

وحُسْنُ الظنِّ يقطعُ لى بأنِّى أنالُ وإن سَما منك المَراماَ(10)

---

(١) فى الأصول : « من هزل هلاما » ، والمثبت فى السلافة والسمط .

وصدر هـذا البيت فى السلافة والسمط : « وجبنا يا ابن عثمان الموامى » ، وجاء فى الأصول : « وجئنا أيها الملك الموالى » .

وقد سقط هذا البيت والذى يليه من خلاصة الأثر .

(٢) فى السمط : « فى مغنى الترجى » ، وفى السلافة : « وقلنا الصبر » . (٣) فى ا : « حسبنا من ... » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة ، والسمط ، وفى السلافة : « من شموس القيظ » .

وفى الخلاصة : « تكون ببردك الناشى سلاما » ، وفى السلافة والسمط : « تكون بنورك العالى سلاما » .

(٤) فى الخلاصة : « حسبناه على البيدا لكاما » ، وفى السلافة : « على البيدا أكاما » ، وفى السمط : « على البيدا ركاما » .

واللكام : الجبل المشرف على أنطاكية وبلاد ابن ليون والمصيصة وطرسوس وتلك الثغور . معجم البلدان ٤/٣٤٧ ، ٣٦٤ .

(٥) لم يرد هذا البيت فى : الخلاصة ، والسلافة ، والسمط . (٦) فى السمط : « ونأمل فيك » .

(٧) فى الخلاصة : « ومن قصد الكريم غدا أميرا » ، وفى السلافة : « ومن قصد الأمير غدا أميرا » .

(٨) فى الخلاصة : « نرد بغلة عنـه هياما » . (٩) فى الخلاصة : « عبد مستهيج » ، وفى ج : « والشيم الفخاما » ، وفى السمط ، والسلافة ، « والشيم الكراما » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة .

(١٠) لم يرد هذا البيت فى : السلافة ، والسمط .

وبعده فى الخلاصة بيت به يتضح المعنى ، هو :

ولا بِدْعٌ إذا وافاكَ عافٍ فعادَ يقُود ذا لَجَبٍ لُهاماَ

فقد نَزَلَ ابنُ ذِي يَزَنٍ طَرِيداً   على كِسْرَى فأنْزلَه شَماماً [١]

أتَى فَرْداً فآلَ يجُرُّ جيشاً   كساَ الآكام خيلاً والرَّغاماَ [٢]

به اسْتَبْقَى جميلَ الذكْرِ دَهْراً   وأنت أجَلُّ من كِسْرَى مَقاماَ

وسَيْفٌ لو سماَ دونى فـإنِّى   عِصامِيٌّ وأَسْمُوه عِظاماَ [٣]

بفاطمةٍ مع ابْنَيْهـا وطَهٰ   وحَيْدَرَةَ الذى أشْفَى العُقاماَ [٤]

عليهم رحمـةٌ تُهْدِي سلاماً   يكون لنَشْرِها مِسْكاً خِتاماَ

***

ومن تفاريق شعره، قولُه من قصيدة، مستهلُّها [٥] :

كيف العَزَا والفُؤادُ يلْتهبُ   والحيُّ زُمَّتْ لِبَيْنِه النُّجُبُ

والعينُ عَبْرَى والجسمُ مُمْتَقِعٌ   والنفسُ حَرَّى والعقلُ مُضْطربُ

وهـذه أرْبعٌ بكاظِمَةٍ   عَفَتْ قديماً فنَدْبُها يجبُ [٦]

منها :

وابْكِ زماناً مضَى بها أنِفاً   عنِّي فقد أذْهلَتْنِيَ النُّوَبَ

---

(١) شمام جبل لباهلة . معجم البلدان ٣/٣١٨ ، وانظر القاموس ( ش م م ) .
واعله أراد شمام من الشمم ، وهو العلو والارتفاع ، أي رفع مكانته وأعلى قدره .
وانظر تعليق المحبي على هذا البيت في خلاصة الأثر ١/٣٦٣ .

(٢) في الخلاصة : « فآب يجر جيشا » ، وفي السلافة ، والسمط : « فعاد يجر جيشا » .

(٣) في السلافة : « وسيف في العلى دوني » ، وفي السمط : « لو سما دوني لأني » ، وفي السمط : « وأسموه عصاما » .

(٤) في الخلاصة ، والسمط : « بفاطمة وابنيها » ، وفي السلافة : « بفاطمة ونجليها » .
وفي الخلاصة : « أشفى السقاما » ، وفي السلافة : « وحيدرة الذي فاق الأناما » .
والعقام ، بالضم : الداء لا يبرء منه ، وبالكسر : جمع العقيم .

(٥) الأبيات في سلافة العصر ٣١ .

(٦) كاظمة : جو على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان ، وفيها ركايا كثيرة . معجم البلدان ٤/٢٢٨ .

منها :

وبالنَّقا غـــادةٌ إذا خطَرتْ تغارُ منها الأغصانُ والـكُثُبُ
كأنها فى الأثِيثِ إن سَفَرتْ بدرٌ بسَجْفِ الظلامِ مُحْتجِبُ

***

وكان ابن عمِّه الشريف محسن بن حسين[1] يَطْرب لأبيات الحسين بن مُطَير[2] ، ويعجَب بها ، وهى[3] :

ولى كبدٌ مقْروحةٌ مَن يَبيعُنى بهـــا كَبِداً ليستْ بذاتِ قُروحِ
أبى النَّاسُ وَيْبَ الناسِ لا يشْترونها ومَن يشْترى ذا عِـــلّةٍ بصحيحِ[4]
أحِنُّ من الشوقِ الذى فى جَوانِحى حَنينَ غَصيصٍ بالشَّراب قَريحِ[5]

***

---

(١) الشريف محسن بن الحسن بن أبى نمى الحسنى .
شارك عمه الشريف إدريس فى إمارة مكة ، ولبس الخلعة الثانية ، ثم جرت بينه وبين عمه خطوب، انتهت باستقلاله بإمارة مكة ، سنة أربع وثلاثين وألف ، واطمأن به الحال ، وانتظمت الرعية .
وتوفى فى زيارته لصنعاء ، سنة ثمان وثلاثين وألف .
خلاصة الأثر ٣/٣٠٩–٣١١ ، خلاصة الكلام ٦٥ – ٦٨ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤١٠–٤١٤ .

(٢) الحسين بن مطير بن مكمل الأسدى .
مولى بنى أسد بن خزيمة .
شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، فصيح متقدم فى الرجز والقصيد .
توفى سنة تسع وستين ومائة .
الأغانى ١٦/١٧ ، فوات الوفيات ١/٢٨٤ ، معجم الأدباء ١٠/١٦٦ .

(٣) القصة ، والأبيات ، والتذييل فى : سلافة العصر ٣٠ .
والبيتان الأول والثانى من أبيات الحسين بن مطير فى معجم الأدباء ١٠/١٧٨ .

(٤) فى سلافة العصر : « ريب الناس » . ورواية صدر البيت فى معجم الأدباء :

* أباها علىَّ الناسُ لا يشترونها *

(٥) فى الأصول : « حنين غضيض » ، والمثبت فى السلافة .

فسأل السيد أحمد تذييلها ، فقال :

عَلى سالِفٍ لو كان يُشْرَى زمانُه ... شَرَيْتُ ولكن لا يُباعُ بِرُوحِي

تَقَضَّى وأبْقَى لَاعِجًا يستفِزُّه ... تألُّقُ بَرْقٍ أو تنسُّمُ رِيحِ

وقَلْبًا إلى الأطْلالِ والضَّالِ لم يزَلْ ... نَزُوعًا وعن أفياهُ غيرَ نَزُوحِ (١)

فليت بذاتِ الضَّالِ نُجْبُ أحِبَّتِي ... طِلاحٌ فنِضوُ الشوقِ غيرُ طَلِيحِ (٢)

يُجشِّمُه بالأبْرَقَيْنِ مُنَيْزِلٌ ... وبَرْقٌ سرَى وَهْنًا وصوتُ صَدُوحِ (٣)

وموقفُ بَيْنٍ لو أرى عنه مَوْلِجًا ... وَلَجْتُ بنفسِي فيه غيرَ شَحِيحِ (٤)

صَرَمْتُ به رَبْعِي وواصلتُ أرْبُعِي ... وأرْضَيْتُ تبْرِيحِي وعفْتُ نَصِيحِي

وبايَنْتُ سُلْوانِى وكلَّ مُلَوِّحٍ ... ولاءَمْتُ أشْجانِي وكُلَّ مَلِيحِ

وكلَّفْتُ نفسِي فوق طَوْقِي فلم أُطِقْ ... لِعَدِّ سَجايَا مُحْسِنٍ بمدِيحِ (٥)

***

ومما قاله فى تغرُّبِه :

أتتْنِيَ سَلْمَى وهْى غَضْبَى أسِيفَةً ... تُساقِطُ ياقوتًا على فضةِ النَّحْرِ (٦)

تقول أما هذا المُقامُ ببلدةٍ ... غريبًا على سَخْتِ النوائبِ والشُّمْرِ (٧)

أما تذكُرُ البَطْحاءَ والبيْتَ والصَّفا ... ومنزلةَ الوُفَّادِ بين بنى فِهْرِ

فقلتُ لها والطَّرْفُ تَدْمَى كُلومُه ... وقلبِيَ من لَذْعِ الكَلامةِ فى جمْرِ

---

(١) فى السلافة : « وعن أفياء غير نزوح » . (٢) طلاح : متعبة هزيلة .

(٣) الأبرقان : أبرقا حجر اليمامة ، وهو منزل على طريق مكة من البصرة ، بعد رميلة اللوى للقاصد مكة. معجم البلدان ١/ ٨١ . (٤) فى السلافة : « لو أرى عنه ماجدا » . (٥) فى ب : « فوق طوق » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة . (٦) فى ب : « أتتنى سليمى » ، والمثبت فى : ا ، ج.

(٧) فى الأصل : « على شخت النوائب » ، والشخت : الدقيق الضامر من هزال ، ولا محل له هنا ، فلعل الصواب ما أثبته .

والسخت : الشديد .

ألا فارْبَعِي عَنِّي وعِي القولَ واسْمعِي ... ولا تُوجِعِي المحزونَ باللَّوْمِ والهجْرِ [1]

إذا جاء نصرُ اللهِ والفَتْحُ بعــــدَه ... فتبّتْ يدُ الأحْزابِ في زمنِ الكُفْرِ [2]

وإنِّي على بُعْدِ المَزارِ وقُرْبِه ... عزيزٌ على هامِ السِّماكَيْن والنَّسْرِ

* * *

وله [3] :

ألا ليت شِعْرِي هــل ألاقيكَ مَرَّةً ... وصوتَك قبل الموتِ هــل أنا سامعُ

فيادَهْرَنا للشَّتِّ هــل أنت جامِــعٌ ... ويادهرَنا بالوصــلِ هل أنت راجعُ

* * *

وقال مخاطباً عمَّه الشريف إدريس [4] ، وقد رأى تقْصيراً منه في حقِّه [5] :

رأيتُك لا تُوفِي الرِّجالَ حُقوقَهم ... توهَّم كِبْراً ساء ماتتوهَّمُ

وتزعُم أنِّي بالمَطامِــعِ أرْتضِي ... هَواناً ونَفْسِي فوق ماتِلْتَ تزْعُمُ

وما مَغْنَمٌ يُدْنِي لِذُلٍّ رِابَـــــه ... فيُقْبلُ إلا وهْـــو عندِيَ مَغْرَمُ

وأخْتــارُ بالإعْزازِ عنه مَنِيَّـــةً ... لأنِّي من القــــومِ الذين هُمُ هُمُ

* * *

المِصراعُ الأخير صدر أبيات أبي الطَّمَحان القَيْنيّ [6] ، أورد المُبرِّد في « كامله » ، والشريف المُرتضَى في « أماليه » ، وصاحب « الحماسة البَصْرية » منها أربعة أبيات .

---

(١) اربعى : انتظرى . (٢) يشير إلى سور : النصر ، والفتح ، والأحزاب ، من القرآن الكريم .

(٣) البيتان في سلافة العصر ٣٠ .

(٤) تقدمت ترجمته ، صفحة ٧ ، من هذا الجزء ، ترجمة رقم ٢٦٧ . (٥) الأبيات في سلافة العصر ٣١ .

(٦) أبو الطمحان حنظلة بن الشرقي ، أحد بني القين بن جسر .

شاعر جاهلي إسلامي ، وكان خبيث الدين جيد الشعر .

توفي نحو سنة ثلاثين للهجرة .

الأغاني ١٣/٣ ، سمط اللآلي ١/٣٣٢ ، الشعر والشعراء ٣٨٨ .

وهى [1] :

وإنِّى من القـــومِ الذين هُمُ هُمُ ... إذا مات منهم سيِّدٌ قام صاحبُهْ

نجـــومُ سماء كلَّما غابَ كوكبٌ ... بَدا كوكبٌ تأْوِى إليه كواكِبُهْ [2]

أضاءتْ لهم أحسابُهم ووجوهُهم ... دُجَى الليلِ حتى نظَّمَ الجزْعَ ثاقبُهْ

ومازال منهم حيث كانُوا مُســوَّدٌ ... تَسِيرُ المَنــايا حيث سارتْ كتائبُهْ

***

وأورد أبو تمام ، فى « حماسته » منها ثلاثة أبيات .

وهى [3] :

إذا قيل أىُّ الناسِ خــيرٌ قبيلةً ... وأصبرُ يوما لا توارَى كواكبُهْ

فإنَّ بنى لَام بن عمرٍو أرُومةٌ ... سمَتْ فوق صعبٍ لا تُنال مَراقبُهْ

أضاءتْ لهم أحسابُهم . . . . . . . . . . . . . . . . . . إلخ

***



وله فى الغزل :

أفى المَضارب أسيافٌ وأجْفــانُ ... تصولُ أم هىَ ألحاظٌ وأجْفــانُ [4]

أحنَّتِ العِيسُ أم نَوْحُ الحمائمِ أم ... نسيمُ نجْدٍ توالتْ منــه أشجانُ [5]

لا بل هو الشوقُ يدعو الصَّبَّ نحوَهمُ ... فيستجيبُ لهم قلبٌ وجُثمانُ

وكيف وهْـــو قَوِىُّ القلبِ لا سِيَمَا ... وجُنْدُه خُرَّدٌ غِيــدٌ وغِزْلانُ [6]

طاب الزمانُ به والعَيْشُ وابتهجَتْ ... أوقاتُنـــا وكذا الأيامُ تزْدانُ

(١) الكامل ١/٤٩ ، أمالى المرتضى ١/٢٥٧ ، الحماسة البصرية ١/١٦١ . (٢) فى الكامل : « كلما غار كوكب » . (٣) حماسة أبى تمام ١/١٤٩، ١٥٠ .

(٤) أجفان الأولى : جمع جفن ، وهو غمد السيف ، والثانية جمع جفن العين . (٥) فى ا ، ج : « نوح الحمام » ، والمثبت فى : ب . (٦) فى ا : « وكيف لا وهو... وعنده خرده » ، والمثبت فى : ب ، ج .

هُمُ الأحبّــةُ إن جارُوا وإن عَدَلُوا    وهُم حُــــلولُ فؤادِي أينما كانُوا

***

وله فى مُغَنٍّ [1] :

برُوحِيَ مَن غَـــنّى ورَوضةُ خَدِّه    مُخضَّبةٌ مُخْضَـــلّةٌ من دمِي غَنّا

وأهْـــدَى لنا وَرْداً وبَاناً ونَرْجِساً    ولم يُهْدِ إلّا القَدَّ والخــدَّ والجَفْنَا

***

وله فى روض :

انظُر إلى الروضِ كَساه الحيَا    مَطارِفًا ضاع شَـــذاها الأرِيجْ

واهتزّتِ الأرضُ إلى أن رَبَتْ    وأنبتتْ من كلِّ زوجٍ بَهِيجْ



(١) الأبيات فى سلافة العصر ٣٠ .

# ٢٦٩

## السيد عمّار بن بركات بن جعفر بن بركات*

هو لأبْنِيةِ المكارم عمّار ، ولِمُجْتديه بمَواهبه الدَّارَّةِ[1] غَمّار .

أصلٌ كعَمُودِ الصبح فى الإنارة ، وطبعٌ كالأغرِّ المحجَّل فى الإثارة .

أحد فرسان الكُلوم والكلام ، وأحد حَمَلة السيوف والأقلام .

سمعتُ له أشعاراً هى غايةٌ فى الحُسن ، يجلو رَوْنَقُ دِيباجتها القلبَ من الحُزْن .

فعرفتُ أنه أحقُّ حَقِيقٍ بأن يُذكَر ، وأخْلقُ فى كلِّ خَلِيقٍ بأن تُتلَى آياتُه وتُشكَر .

وكان دخل البلادَ الهنديَّة ، وتفيَّأ ظلالَ أنْدِية مُلوكِها النَّدْيَّةِ النَّدِيَّة .

فما لبِثَ أن تعلَّقتْ فيه خَطاطيفُ الظُّنون ، وطارتْ به عَنْقاء المَنون .

***

وقد أثبتُّ له ماتستهلُّ البراعةُ من بَراعةِ اسْتِهْلالِه ، ويُؤْذِن بالسِّحْر الذى لاحَرَج فى القَول باسْتِحْلالِه .

---

(*) السيد عمار بن بركات بن جعفر الحسنى .

أحد أشراف مكة ، المشهورين بالفضل ، والأدب ، وجودة الشعر .

دخل الهند سنة اثنتين وستين وألف ، وصحب بها النظام ابن معصوم ومدحه .

وتوفى بها ، سنة تسع وستين وألف .

خلاصة الأثر ٣/٢٠٤ ـ ٢٠٦ ، سلافة العصر ٣١ ـ ٣٦ ، وفيه خطأ « عماد الدين » ، سمط النجوم العوالى ٤/٤٦٩ .

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

فمنه قوله ، مُذيِّلاً بيت أبي زَمْعة جَدِّ أُمَيَّة بن أبي الصَّلْت [١] ومادحاً النِّظامَ ابنَ مَعْصوم [٢] :

اشربْ هنيئاً عليك التَّاجُ مُرْتفِقاً ... في رأسِ غُمْدانَ داراً منك مِحلالَا [٣]

تسْعَى إليك بهـــا هَيْفاء غانيةٌ ... مَيَّاسةُ القدِّ كَحْلاَ الطَّرْفِ مِكْسالَا

إذا تثنَّتْ كغُصْنِ البانِ من ترَفٍ ... وإن تجلَّتْ كبــدرٍ زان تِمْثالَا

كأنهـــا وأدام اللهُ بَهْجتَها ... شمسٌ على فَلَكٍ إشراقُهـا طالَا [٤]

وكيف لا وهْي أمسَتْ فيـه ساحِبَةً ... بخِدْمــةِ السيِّد المِفْضالِ أذيالَا [٥]

ذاك الذي جَلَّ عن تَنْويهِ تَسْميــةٍ ... شمسٌ علَتْ هل ترى للشمسِ أمْثالَا [٦]

الباسمُ الثغــــرَ والأبْطالُ عابِسَةٌ ... والباذلُ المــالَ لم يُتْبِعْه أنْـكالَا

عارٍ من العارِ كاسٍ من محامِدِه ... لا يعرفُ الخُلْفَ في الأقوالِ إن قالَا

إن قال أفْحَم نَدْبَ القــومِ مِقْوَلُهُ ... أو صال أخْجَل لَيْثَ الغابِ إن صالَا

---

(١) ذكر ابن إسحاق أن القصيدة التي منها هذا البيت لأبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي، وقال ابن هشام : وتروى لأمية بن أبي الصلت . السيرة ١/٦٥ ، ٦٦ .

وفي معجم البلدان ٣/٨١٢ أن البيت لأبي الصلت يمدح ذايزن، وهو في اللسان ٣/٣٢٧ ( غ م د )، ١٠/١١٩ ( ر ف ق ) دون نسبة .

(٢) تأتي ترجمة النظام بن معصوم في هذا الباب ، برقم ٢٩٤

والقصيدة في : خلاصة الأثر ٣/٢٠٥ ، ٢٠٦ ، وسلافة العصر ٣٤ ، ٣٥ .

(٣) في الخلاصة ، والسلافة : « عليك التاج مرتفعا » ، وهو خطأ .

والمرتفق : المتكئ على المرفق .

(٤) عجز البيت في خلاصة الأثر :

* ظَبْيٌ رَنا فسَبَى تِيهًا وإدْلالَا *

وفي السلافة :

* تـكوَّنتْ من مُحيًّا دهرِنا خالَا *

(٥) في ا : « أمست فيه سامية » ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٦) في خلاصة الأثر : « هل ترى للبدر أمثالا » .

عَـــلاَ به النّسَبُ الوَضّاحُ مَنْزِلةً   عن أن يُماثَل إعْظاماً وإجْـــلالَا

خُـــذْها رَبِيبةَ فِـكْرٍ طالَمَا حُجِبتْ   لولا عُـــلاكَ ووُدٌّ قَطُّ ماحالَا

واسْمَحْ بفضلِكَ عن تقْصيرِ مُنْشِئِهـــا   وحُسْنُ بِشْرِكَ لم يبرَحْ بها فَالَا [1]

* * *

قلتُ : وقد عارض البيتَ المُضمَّنَ بعضُ الشعراء ، مُخاطبا عبدَ الله بن طاهر ، حيث قال [2] :

اشْرَبْ هَنِيئًا عليك التّاجُ مُرْتفِقاً   بالشّاذِياخِ ودَعْ غُمْدانَ لليَمنِ [3]

فأنتَ أوْلَى بتاجِ المُلْكِ تلْبَسهُ   من هَوْذَةَ بن عَلِيّ وابنِ ذِي يزَنِ [4]

وقصر غُمْدان باليمن ، بناه لِيشْرَح [5] بأربعة وجوه ؛ أحمر ، أخضر ، وأبيض ، وأصفر ، وبنى داخلَه قصْراً بسبعة سُقوف ، بين كل سَقْفين أربعين ذراعا ، وهو أحد الأبْنية الوثيقة للعرب ، يُتمثّل بها فى الحَصانة والوَثاقة .

وقال بعضُ شُرّاح « المقصورة الدُّرَيْدِيّة » [6] ، عند شرح قوله :

وسَيْفٌ اسْتعلَتْ به هِمّتُهُ   حتى رمى أبعدَ شَـــأْوِ المُرْتمَى

فجَــــرّع الأُحْبُوشَ سمًّا ناقِعاً   واحْتلّ مِن غُمْدان مِحْرابَ الدُّمَى

ما صورتُه : غُمْدان بناء بصَنْعاء ، لم يُدْرك مثلُه ، هدَمه عثمانُ بن عفان فى الإسلام ، وله رسومٌ باقية إلى اليوم ، والمِحراب : الغُرفة بلُغتهم [7] .

---

(١) فى السلافة ، والخلاصة : « لم يبرح لها فالا » .   (٢) البيتان فى معجم البلدان ٣/٢٢٩ .

(٣) الشاذياخ : كانت قديما بستانا لعبدالله بن طاهر ملاصقا لمدينة نيسابور ، ثم بنى مكانه مدينة لجنده اتصلت بنيسابور وأصبحت منها . انظر معجم البلدان ٣/٢٢٨، ٢٢٩ .   (٤) عجز البيت فى معجم البلدان :

* من ابنِ هَوْذَةَ يوماً وابنِ ذِى يزَنِ *

(٥) فى الأصول : « ليشرخ » ، والمثبت فى معجم البلدان ٣/٨١١ .   (٦) هو الخطيب التبريزى . انظر شرح المقصورة ٧٦ ، ٧٧ .   (٧) هذا آخر ما جاء فى شرح الخطيب التبريزى .

وغُمْدان : قصر بناه النُّعمان بن المُنْذِر .

والشّاذِياخ[1] : اسم نَيْسابور ، وقَرْيَةٌ بمَرْو ، كذا فى « القاموس »[2] ، ووجد على حاشية مكتوبٌ بخطِّ بعض فُضَلاء الشام على هامش « القاموس » صورتها : بل اسم مَدينةٍ بخُراسان ، قرب نَيْسابور [3] وكانت بستاناً لعبد الله بن طاهر بن الحسين ، ذكَر فى « تاريخ نَيْسابور »[3] أنه لمَّا نزل عبدُ الله بهـا ، نزلتْ عساكرُه فى دورِ أهلهـا ، فرأى امْرأةً حسناء تسْقِى فرسَ جُنْدِىٍّ ، فقال : ما شأنُك ، لستِ أهلاً لهذا ؟ !

فقالتْ : هذا فعلُ عبدِ الله بن طاهر .

فغضِب ، ونادَى فى عَسْكرِه : مَن بات فى المدينة حَلَّ مالُه ودمُه .

وسار إلى الشّاذِياخ ، وبنى بها قصراً ، وبنى الجُنْدُ حولَه ، فعُمِّرتْ ، وكانت من أطْيب البلاد تُرْبةً وهواء .

* * *

وكتب إلى النِّظام المذكور ، يخاطبه بقوله[4] :

| | |
|---|---|
| زُرْتُ خِـلّا صَبِيحةً فحبانِى | بسُؤالٍ أشْفَى وأرْغَم شانِى |
| قال لمَّا نظرتُ نُورَ مُحَيَّا | هُ ونِلْتُ المُنَى وكلَّ الأمانِى |
| كيف أصْبَحْتَ كيف أمْسَيْتَ مِمَّا | يُنْبِتُ الحُبَّ فى قلوب الغَوانِى |
| فتحرَّجْتُ أنْ أفُوه بما قد | كان مِنِّى طَبْعاً مدَى الأزْمانِ[5] |
| يا أخا المَجْدِ والمَكارم والفَضْ | لِ ومَن لا أرى له اليومَ ثانِى[6] |

(١) انظر معجم البلدان ٣/٢٢٨ ، ٢٢٩ ، والنقل الآتى فيه عن تاريخ نيسابور للحاكم .

(٢) القاموس ١/٢٦١ .    (٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .    (٤) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٣/٢٠٤ ، سلافة العصر ٣٣ .    (٥) فى ا : « إذ أفوه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .    (٦) هكذا فى الأصول « ثانى » للقافية .

أدرِكْ أدرِكْ مُتيَّماً في هواكُمْ ‏ قبلَ تَسْطُو به يَدُ الحِدْثانِ[1]

وابْقَ واسْلَمْ مُمتَّعاً في سُرورٍ ‏ مَاتغنَّتْ وُرْقٌ على غُصْنِ بَانِ[2]

* * *

فراجعه بقوله[3] :

ليت شِعْرِي متى يكون التَّداني ‏ لبلادٍ بهـا الحِسانُ الغواني

وبها الكَرْمُ مُثمِرٌ والأقاحي ‏ ضحِكتْ عن ثُغورِ زَهْرٍ لِجَانِ

والبساتينُ فائحـاتٌ بِعِطْرٍ ‏ يُخْجِلُ العَنْبَرَ الذَّكِيَّ اليَمانِي

وطيورٌ بهـا تجاوَبْنَ صُبْحاً ‏ وعَشِيًّا كنَغْمةِ العِيدانِ

وبألحانِها تُذيبُ ذَوِي اللُّبِّ ‏ م وتُحْيِي مَيْتاً من الهِجْرانِ

وتَمَشَّى بهـا الظِّباءُ الحَوالِي ‏ مائساتٍ كناعمِ الأغْصانِ

كلُّ خَوْدٍ تسطُو بلَحْظِ حُسامٍ ‏ وتَثَنَّى كما القَنا المُرَّانِ[4]

وَجهُها الصبحُ لكنِ الفَرْعُ منها ‏ ليلُ صَبٍّ من لَوْعةِ الحبِّ فانِ[5]

غادةٌ كالنُّجُومِ عِقْدُ طُلاها ‏ ما اللآلِي وما حُلَى العِقْيانِ[6]

إنَّ يا قوتَ خَدِّها أرخَص اليا ‏ قوتَ سِعراً وعابَ بالمَرْجانِ[7]

كلُّ يوم يُقْضَى بقُرْبٍ لدَيْها ‏ فهْوَ يومُ النَّوْرُوزِ والمِهْرجانِ

منها :

تلك مَن فاقتِ الظِّباءَ افْتِناناً ‏ فـلِذا وَصْفُها أَتَى بافْتِنانِ

---

(١) في السلافة ورد عجز البيت هكذا :

* واكْفُفَنْ عنه صَولَةَ الحِدْثانِ *

(٢) في ا : «واسلم ودم ممتعا» ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة ، وفي السلافة : «واسلم منعما في سرور» .

(٣) القصيدة في : خلاصة الأثر ٣ / ٢٠٤ ، ٢٠٥ ؛ سلافة العصر ٣٣ ، ٣٤ .

(٤) الخود : المرأة الشابة ، والمران : الرماح اللدنة الصلبة . ‏ (٥) في السلافة : «إنما الفرع منها» .

(٦) في خلاصة الأثر : «عقد حلاها» . ‏ (٧) في السلافة : «سعرا وعائب المرجان» . وبعد هذا البيت في السلافة زيادة : «منها» .

ما لِمُضْنًى أُصيب من أَسْهُمِ اللَّـ ... ـحظِ نجاةٌ من طارقِ الحِدْثانِ
أَذْكرتْني أيامَ تلك وأغرتْ ... أعْيُنِي بالبكاءِ والهَمَلانِ[1]
نَفَثاتٌ كالسِّحرِ يَصْدَعْنَ فى قَلْـ ... ـبِ مُعَنًّى من الملامةِ عانِ[2]

***

ومنها :

كلماتٌ لكنَّها كالدَّرارِى ... وسطورٌ حوَتْ بديعَ المعانِى[3]
إذْ أتتْ من أخٍ شقيقِ المعالِى ... فائقِ الأصْلِ غُرَّةٍ فى الزَّمانِ
صَافِىَ الوُدِّ صافِىَ القلبِ قَرْمٌ ... كعبةٌ قد عَلا على كِيوانِ[4]
ذاكراً لِىَ فيها تزايدَ شَوْقٍ ... ووُلوعاً بها مدَى الأزْمانِ[5]
ففهِمْتُ الذى نَحاهُ ولكنْ ... ليت شِعْرِى يَدْرِى بما قد دَهانِى
أنا قيسٌ فى الحبِّ بل هُو دونِى ... لا جميلٌ حالى ولا كابْنِ هانِى
يا أخا العَزْمِ قد سلبْتَ وَجْدِى ... طافحٌ زائدٌ بغيرِ توانِ
فلِحَتْفِى أبصرتُ مَن قد رَمانِى ... وعناءً تَصَيُّدُ الغِزْلانِ
إن تشأْ شرْحَ حالِ صبٍّ كئيبٍ ... فلقد قاله بديعُ المعانِى
مَرَضِى من مَريضةِ الأجْفانِ ... عَلِّلانِى بوَصْلِها علِّلانِى

***

البيتُ الأخير مشهور ، وهو مطلع قصيدةٍ للشيخ الأكبر[6] ، قدَّس اللهُ سِرَّه الأنْوَر[7] .

---

(١) فى الخلاصة : « أيام تلك وعزت » ، وبعد هذا البيت فى السلافة زيادة : « ومنها » .
(٢) فى ا : « نفهات كالسحر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .
(٣) فى السلافة : « وسطور حصت » . (٤) فى السلافة : « كعبة المجد فى ذرا كيوان » .
وكيوان : زحل .
(٥) فى السلافة : « ذاكرا لى بها » ، وفى الخلاصة ، والسلافة : « ولوعا به » .
(٦) فى ج بعد هذا زيادة : « رضى الله عنه » . (٧) ذكر ابن معصوم ، فى السلافة ٣٤ بعض أبيات محيى الدين بن عربى من القصيدة التى أولها هذا البيت .

# ٢٧٠

## الإمام عبد القادر بن محمد الطَّبَرِىّ *

إمام الأئمة ، وعالم هذه الأمة .

فضائلُه يقِلُّ عند عدِّها رمل يَبْرِين[1] ، ومَحامِدُه يتضاءل لديْها مِسْكُ دارِين[2] .

وهو من الرُّتبة المَكينة ، والمَهابة التى جمَّلت الوقارَ والسَّكينةِ .

فى محلٍّ اتَّخذ المَجرَّة ممْشَى ، والفلكَ الأطْلَس عرْشاً .

ثم إذا اعْتُبِر حالُه من أرْقامِه ، شهِد الوصفُ بأن ذلك دون مقامِه .

وأمَّا تصلُّبُه فى أمرِ الدِّين ، فهو فيه من أعْظم الرَّاشِدين المرشدين.

إلى بلاغة وبراعة ، أعجَز بهما فرسان اليراعة .

* * *

(*) عبد القادر بن محمد بن يحيي الحسينى الطبرى الشافعى المكى .

إمام أئمة الحجاز .

ولد سنة ست وسبعين وتسعمائة بمكة ، وذكر الشوكانى أنه ولد سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة .

ونشأ بمكة ، وأكمل حفظ القرآن ، وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، وحفظ عدة متون ، وفى سنة إحدى وتسعين وتسعمائة بدأ بالاشتغال على علماء عصره مثل الشمس محمد الرملى المصرى الشافعى ، وشمس الدين محمد النحراوى الحنفى ، وعبد الرحمن الشربينى الخطيب ، وعلى بن جار الله بن ظهيرة الحنفى ، فأخذ من كل فن بطرف وبرع فى التأليف ، وله مصنفات منها : «شرح الدريدية» و «حسن السريرة فى حسن السيرة» ، و «علو الحجة بتأخير أبى بكر بن حجة » ، و «عيون المسائل من أعيان الرسائل» ، و « الكلم الطيب على كلام أبى الطيب » .

وتوفى بمكة ، سنة ثلاث وثلاثين وألف ، وذكر الشوكانى أن وفاته كانت سنة اثنتين وثلاثين وألف.

البدر الطالع ١/٣٧١ ، ٣٧٢ ، خلاصة الأثر ٢/٤٥٧ ــ ٤٦٤ ، خلاصة الكلام ٦٧ ، سلافة العصر ٢٤ ــ ٥٠ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤٠٣ ، ٤٠٤ .

(١) يبرين : رمل لا تدرك أطرافه ، عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة . معجم البلدان ٤/١٠٠٥ .

(٢) دارين : فرضة بالبحرين ، يجلب إليها المسك من الهند . معجم البلدان ٢/٥٣٧ .

وقد أثبَتُّ له ما يقوم بالحجَّة .

فمن ذلك قوله من قصيدة يمدح بها الشريف حسن بن أبى نُمَيّ (١) :

بَدَتْ تجرُّ ذُيول التِّيهِ والخَيَلَا ... في روضةِ العُجْبِ حتى قلتُ حَيَّ عَلَى

خَوْدٌ تُجرِّد بِيضًا من لَواحِظِها ... فتتركُ الأُسْدَ في ساحاتِها قتلَا (٢)

وتنثنى بِقَوامٍ زانَه هَيَفٌ ... فتُخجِلُ الغُصْنَ تعديلًا كذا مَيلَا

ما أطلعتْ لِي هلالًا من مُبَرْقَعِها ... إلّا وعايَنْتُه بَدْرًا فلا أفلا

ولا رَنَتْ لى بلحْظٍ فَتْرَةً كَسَلَا ... إلّا وقد بعثتْ خوفَ الحشا رُسُلَا

يا حُسْنَها من فتاةٍ حَلَّ مَبْسِمُها ... ظَلْمٌ يفوق على لَذَّاتِه عَسَلَا

ورَصَّعَتْه لآلٍ حولَ مَنْبَتِها ... زُمُرُّدُ الوَشْمِ يالله ما فَعَلَا (٣)

ناديتُها ورماحُ الحيِّ مُعْلَنَةٌ ... يا ظَبيةَ الحيِّ هل ما يَبْلُغُ الأَمَلَا (٤)

لِوالهٍ عبثتْ أيدى الغرامِ به ... أما تَرَىْ شأنَه أن يُبْدِعَ الغَزَلَا

قالتْ صدقتَ ولكنْ ذاك توطئةٌ ... لِمَدْحِ أفضلِ مَن في الأرضِ قد عَدَلَا

السيِّدِ الحسنِ الملكِ الهُمامِ ومَن ... تراه بالحقِّ للجَوْزاءِ مُنْتَعِلَا

سلطانُ مكّةَ حامى البيتِ مَن شهدتْ ... بعَدْلِه الأرضُ لمّا مَهَّدَ السُّبُلَا

---

(١) الشريف حسن بن أبى نمى محمد بن بركات الحسنى ، شريف مكة .

ولد سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة .

واستقل بسلطنة الحجاز بعد موت أبيه أبى نمى ، سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة ، فقام بها خير قيام .

وكان صاحب فضل باهر ، وأدب غض ، ومحاضرة دقيقة ، واستحضار غريب .

توفى سنة عشرة بعد الألف .

خبايا الزوايا لوحة ٨٢ ب ، خلاصة الأثر ٢/٣ ، خلاصة الكلام ٥٦ - ٦١ ، ريحانة الألبا ١/٣٨٨ ، سمط النجوم العوالى ٤/٣٥١ - ٣٦١ .

وقصيدة الطبرى فى : خلاصة الأثر ٢/٤٥٩ ، ٤٦٠ .

(٢) فى خلاصة الأثر : « فى ساحاتها قتلى » . (٣) فى خلاصة الأثر : « من فعلا » .

(٤) فى ب : « يا طبية هل ما يبلغ الأملا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

مُؤيِّدُ الدِّين بالعَزْمِ الذى اقْترنَتْ ... به السَّعاداتُ فى حالاتِه جُمَــلَا[1]
لَيْثُ الـكتيبةِ مُرْوِى المَشْرَفيَّةِ مِن ... دم العِدَى مَنْهَلاً إذْ أرْعَف الأسَلَا[2]
صادَ الصَّناديدَ يوم الحربِ ما بَطَلٌ ... رأى عَجائبَه إلَّا وقد بَطَــلَا
كم ذا أبانَتْ عن العَلْيــاءِ هِمَّتُهُ ... وكم أبادتْ مَعالِى عَزْمِه رَجُلا
وكم محا سيفُه أهــلَ الفَسادِ وأرْ ... بابَ العِنادِ فَجارَى سيفُه الأجَلَا
فأصبحُوا لا تُرَى إلا مَساكنُهمْ ... بَلاقِعاً قد كَساها الذُّلُّ ثوب بِلَى
وليس بِدْعاً فهذا شأْنُ والدِه ... علىٌّ المُرْتَضَى السامِى بفضْلٍ وَلَا
فسَلْ حُنَيْناً وسَلْ بَدْراً وسَلْ أُحُداً ... والنَّهْرَوانِ وسَلْ صِفِّينَ والجَمَلَا
فيا ابنَ طٰه عَــلَوْتَ الناسَ قاطِبةً ... وجَلَّ قَدْرُك أن تَحْكِى له مَثَلَا[3]
هل أنتَ مَلْكٌ عظيمُ الخلْقِ أم مَلَكٌ ... أبِنْ فأمْرُك هــذا حيَّرَ العُقَلَا

* * *

وقوله من أخرى يمدحه بها، وأولها:

رَبْرَبُ الأخْدارِ من شَيمِهْ ... لا يُراعِى النَّقْضَ فى ذِمَمِهْ
حجَبَ الأبْصارَ رُؤيتُــه ... وتَجلَّى فى خِبَا خِيَمِهْ
وأرى أحْبابَ حَضْرتِه ... غَضَباً ما كان من شِيَمِهْ
ما يراه حالَ نَفْرتِه ... غيرُ مَن بارَى بسَفْكِ دَمِهْ
زُرْتُه والعَزْمُ يُسْعِفنى ... آمِلاً منــه ابْتسامَ فَمِهْ
جُنْحُ ليلٍ مُسْفِرٌ بسَنَا ... طَلْعــةِ المَأْمولِ عن ظُلَمِهْ

---

(١) فى خلاصة الأثر: «مؤيد الدين بالفهم الذى اقترنت».
وفى ا، ج: «به السعودات»، والمثبت فى: ب، وخلاصة الأثر.
(٢) فى الأصول: «مردى الكتيبة.. أرعف الأصلا»، والمثبت فى خلاصة الأثر.
(٣) فى خلاصة الأثر: «علوت الناس مرتبة».

فحَداني عَرْفُ ساحتِـه وهَـداني مُرْتقى أَكَمِهْ
فبـدا لى فى الحجاب فمِن فَرْقِهِ نُورٌ إلى قدمِهْ
هـو للرّائي مُعاينةً مثـلُ طَيْفٍ مَرّ فى حُلُمِهْ
هِمْتُ من حُـبِّي له زمناً فى رُبا نجْدٍ وفى سَلَمِهْ
أنْظِمُ الآدابَ من غزَلٍ أَسْنِدُ الإعجازَ عن كَلِمِهْ
لِنَسيبٍ فى المديحِ يرى حَسَناً عنـد اجْتِنا نِعَمِهْ
سَيِّداً من آل حَيْـدرةٍ وعَريقاً باقْتِفا عِصَمِهْ
وحكيماً فى ممالـكِه قَطُّ ما انحلتْ عُرى حِكَمِهْ
فاق قُسّاً فى فَصاحتِـه وسَما الطّـائِيَّ فى كَرَمِهْ
وابْنُ سُعْدَى لو يُقاسُ به كان مَطْروحاً بمُلْتَزَمِهْ
هَزّه للمَكْرُماتِ سَناً عُنْصرٍ منـه انتَها هِمَمِهْ
كيف لا يهْتَزُّ مُغْتَبِطاً وكتابُ اللهِ فى عِظَمِهْ
وملوكُ الأرضِ قاطبـةً كلُّهم واللهِ مِن خَـدَمِهْ
جَـدُّه طَهَ الشَّفيعُ لنا فَوْزُ مَن يأْوِى إلى عَلَمِهْ
طِبْتَ نفساً يامليكُ به فى غدٍ طُوبَى لِمُعْتَصِمِهْ[1]
أُمُّك الزَّهْراءُ إبْنَتُـه وأبوك السِّبْطُ من رَحِمِهْ
أيّدَ الرحمنُ قِبْلَتَـهُ بك واسْتَحْمَى حِمَى حَرَمِهْ
وحَباك المجـدَ أجْمَعَه حيثما ذَبَّبْتَ عن حُرَمِهْ
قَسَماً باللهِ يُقْسِمُـه عبدُ بِرٍّ بَرَّ فى قَسَمِـهْ
إنّك المَهْـدِى وحُجّتُه عَدْلُك المَمْدودُ مِن قِسَمِهْ

---

(١) فى ا : «يا مليكا به» ، والمثبت فى : ب ، ج .

يا أميرَ المؤمنين ويا مَن ... شاد بالعَلْيا على أُطُمِهْ [(١)]

خُـــذْ مَديحاً كلُّه دُرَرٌ ... جاء يسْعَى نحو مُسْتَلِمِهْ

هَزَأَتْ بالفَجْرِ غُرَّتُه ... حيث لاحَتْ من دُجَى لِمَمِهْ

نَظْمُ عبدٍ نَثْرُ مَدْحِك ما ... زال يُرْوَى عن حِجَى قَلَمِهْ

دُمْتَ مولاه وسيِّدَه ... ماشَــدا القُمْرِيُّ فى نَغَمِهْ

* * *

ووقف على قول البدر الدَّمَامِينِيّ [(٢)]:

ياساكِنِى مكَّةَ لا زلْتُمُ ... أُنْساً لنـــا إنِّى لم أنْسَكُمْ

مافيكُمُ عَيْبٌ سِوَى قَوْلِكم ... عنــد اللِّقا أوْحَشَنَا أُنْسُكُمْ

فقال مجيبا [(٣)]:

ماعَيْبُنا هـــــذا ولـكنَّه ... مِن سُوءِ فَهْمٍ جاءَ مِن حَدْسِكُمْ

لم نَعْنِ بالإيحاشِ عنـــد اللِّقا ... بل مامضَى فابْكُوا على نَفْسِكُمْ

وحَذا حَذْوَه ولدُه زَيْنُ العابدين [(٤)]، فقال [(٥)]:

يامُظْهِرَ العَيْبِ على قَوْلِنــــا ... عند اللِّقا أوْحَشَنا أُنْسُكُمْ

---

(١) سقطت «من» من : ب ، وهى فى : ا ، ج.

والأطم : الحصن .

(٢) تقدم التعريف بالبدر الدماميني ، فى الجزء الأول ، صفحة ٥٠٢ .

والبيتان فى : خلاصة الأثر ٢/٤٦٠ ، سلافة العصر ٥٠ .

(٣) خلاصة الأثر ٢/٤٦٠ ، سلافة العصر ٥٠ .

(٤) زين العابدين بن عبد القادر بن محمد الطبرى الحسينى المكى الشافعى .

إمام المقام الإبراهيمى .

ولد سنة اثنتين بعد الألف ، وحفظ القرآن ، وأخذ عن والده ، وعن أكابر شيوخ الحرمين كالشيخ عبد الواحد الحصارى المعمر ، والسيد محمد الشلى باعلوى ، والشيخ الحسن بن على العجيمى المكى .

توفى بمكة سنة ثمان وسبعين وألف .

خلاصة الأثر ٢/١٩٥ ، ١٩٦ ، سلافة العصر ٥٠ ـ ٥٧ .

(٥) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٤٦٠ .

ماقَصَــدْنا ماقد جَنَحْتُمْ له ... من خطأٍ قد جاء فى فَهْمِكُمْ

فقَوْلُنــا المذكورُ جارٍ على ... حَذْفِ مُضافٍ غابَ عن حَدْسِكُمْ[1]

والقَصْدُ فَقْدُ الأُنْسِ فيما مَضَى ... لا ضِدُّه الواقِعُ فى وَهْمِكُمْ

فالأُنْسُ لم يُوحِش بلَى فَقْدُه ... هو الذى يُوحِش مِن مِثْلِكُمْ

وبعد أن بان لكم فاجْزِمُوا ... بِنِسْبَةِ العَيْبِ إلى نَفْسِكُمْ

ولمّا وقف على ماقالاه أحمدُ بن عبد الرءوف[2] ، قال مُجِيباً ومعتذِرا عن الدَّمامِينِىّ[3] :

صَوْناً مَوالِى الفضلِ بين الورَى ... للبدرِ أن تُدْرِكَه شَمْسُكُمْ

وجَلُّوه بعَبــاء الإخَا ... فإنه الأنْسَبُ من قُدْسِكُمْ[4]

فإنه الكنزُ وبُنْيــانُه ... مُؤَسَّسٌ قِدْماً على أُسِّكُمْ

كأنه أضْمَر أن شَانَكُمْ ... صِناعةُ الإبْهامِ فى لَفْظِكُمْ

فاسْتعمَلَ النَّوعَ الذى أنتُمُ ... أدْرَى به كى يُجْتَنَى غَرْسُكُمْ

ولم يسَمْه كونَه مُنْكِرا ... لِمثل هذا الحِذْقِ من مثلِكُمْ[5]

فإنّ هــذا سائغٌ شائِعٌ ... بُرْهانُه أوْحَشَنا أُنْسُكُمْ

٭

(١) فى ب : « من حدسكم » ، والمثبت فى : ا ، ج وخلاصة الأثر . (٢) تأتى ترجمته فى هذا الباب برقم ٢٩١ . (٣) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٦٠، ٤٦١ . (٤) فى الأصول : « وخللوه بعباء » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

وفى ا : « فإنه أنسب » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٥) فى ا : « لمثل هذا الحزو » ، وفى ب ، ج : « لمثل هذا الحذف » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

# ٢٧١

## ولده عليّ *

الإمامُ ابنُ الإمام، والقَطْر ابنُ الغَمام .

نشأ فى كَفالتِه بأذخَ المَرْبِضِ والعَرين ، شامخَ الأنْف بذلك الوالدِ أشَمّ العِرْنين.

أرْتعَه معه فى رَوْضِه ، وسَقاه بيده من حَوْضِه .

حتى بلَّغه رُتْبةً تتقاعَسُ عنها رتبةُ التَّمنِّى ، واعْتنَى به فأوصَلَها إليه بغير مشقّةِ التعنِّى .

فقام مَقامَه فى الإمامة والتَّدريس ، وانْتصَب للفُتْيا على مذهبِ الإمام محمد بن إدريس .

وألَّف وصنَّف ، وقَرَّط الأسماعَ بلآلِيه وشنَّف .

* * *

وهو فى الأدب ممن سبَق وفات ، وجَمع على أحْسنِ نَسَقٍ كلَّ مُتفرِّقٍ رُفات .

وله نَظْمٌ كانْتظامِ الأحْوال ، ونثرٍ تعرف منه كيف تشْقيه الجواهرُ بالأقْوال .

فمن نثره ، ما كتبه إلى القاضى تاج الدين المالِكيّ (١) مُسائلا (٢) :

---

(*) على بن عبد القادر بن محمد الطبرى الحسينى المكى الشافعى .

ولد بمكة ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن وجوده ، ولازم والده فى الفنون العلمية ، وأخذ عمن عاصره من أكابر العلماء .

اشتغل بالتدريس ، والإفتاء ، وصنف كتباً عديدة ، منها التاريخ المسمى بـ « الأرج المسكى والتاريخ المكى » ، و « الجواهر المنظمة بفضيلة الكعبة المعظمة » .

توفى سنة سبعين وألف ، بمكة .

حديقة الأفراح ٤٥ ، ٤٦ ، خلاصة الأثر ٣/١٦١ ـ ١٦٦ ، سلافة العصر ٥٧ ـ ٦٣ .

(١) تأتى ترجمته فى هذا الباب ، برقم ٢٧٧ .    (٢) النص جميعه فى : خلاصة الأثر ٣/١٦٢ـ١٦٤ ، سلافة العصر ٥٨ ـ ٦١ .

سيدَنا المُقتدَى بآثاره ، المُهتدَى بأنواره .

إمامَ محْرابِ العلوم البديعة ، وخطيبَ منْبر البلاغة التى أضْحَت مُذْعِنة له ومُطِيعة .

قمرَ سماءِ المجد الأثيل ، فَلَكَ شمسِ [(١)] فخرِ كلِّ ذى مَقام جليل .

المُمِيطة يدُ بيانه حواجزَ الأشْكال عن وجوه المعانى ، المُعترِف بمَنْطقِه الفصيحِ القاصِى من هذه الأمّة والدّانى .

عمدةَ المُحقِّقين قديما وحديثا ، مَلاذَ المُدقِّقين تفسيرا وتحْديثا .

الصاعد [(٢)] معارجَ العَلْيا بِكماله ، المُنشِد فى مَقام الافْتخار لسانُ حالِه :

لنا نفوسٌ لِنَيْلِ المجدِ راغبةٌ ... ولو تسلَّتْ أسْلناها على الأسَلِ [(٣)]

لا ينْزِل المجدُ إلَّا فى مَنازلنا ... كالنَّوْمِ ليس له مَأْوًى سِوى المُقَلِ

والقائل عند المُجادله فى مَقام المُباهَلة :

نحن الذين غَدَتْ رَحَى أحْسابِهمْ ... ولها على قُطْبِ الفَخارِ مَدارُ

المملوكُ يُقبِّل الأرضَ التى ينال بها القاصِدُ ما يُؤمِّله ويرْتجيه ، ويُنْهِى أنه نَظم بعضُ الجهابِذة الأعيان بَيْتيْن فى التَّشْبيه .

والسببُ الدّاعِى لهما ، والمعنَى المُقتضِى لنَظْمِهما .

أنه أبصرت العينُ ظَبْيًا يرْتعُ فى رياضِه ، ويمنَع بسُيوف لِحاظِه [(٤)] عن وُرودِ [(٥)] حِياضِه .

يرى العاشقُ سيِّآتِه حسناتٍ جاد بها وأحْسَن ، ويعترف له بالحُسْن كلُّ حَسَنٍ فى الأنام وابن أحْسن .

---

(١) ساقط من : سلافة العصر ، وفى الأصول : « الشمس » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(٢) فى سلافة العصر : « والصاعد » .  (٣) فى الخلاصة والسلافة : « لنيل المجد عاشقة » .

(٤) فى سلافة العصر : « جماله » .  (٥) فى ا : « ورد » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وسلافة العصر .

بدا وهو الجوهرُ [1] السالِمُ من العَرَض ، وظهر وعليه أثَرٌ من آثار المَرَض .

فأراد المُشبِّه تشْبيهَهَ فى هذه الحالة ، فشبَّهه بغُصْنٍ ذابِلٍ قائلا لا مَحالَة .

ونَظم ذلك المعنى ، فشَدا بما قاله صادحُ الفصاحةِ وغَنَّى .

وهو :

بَدا وعليـــــه أثرٌ مِن سَقامِ        كمكْحولٍ من الآرامِ ساهِى

فخُيِّل لى كبدرٍ فوق غُصْنٍ        ذَوَى للبُعْدِ من قُرْبِ المِياهِ

فاعترض معترِضٌ عالم بالإصْدار والإيراد ، قائلا : إن البيتَ الثانىَ لا يُؤدِّى المعنى المُراد .

إذ القصْدُ تشبيهُهُ بالغُصن المَوصوف ، وليس المُرادُ تشبيهَهَ بالبدرِ فالبدْر لا يُوصَف إلّا بالخُسوف .

فطالتْ بين المُعترِض والمُعترَض عليه المُنازَعَة ، ولم يسلِّم كلٌّ واحـد منهما للثانى ماجادل [2] فيه ونازَعَه .

فاختْارا [3] القاضىَ الفاضل حَكَماً ، ورَضِيا [4] سيِّدَنا حاكِما ومُحَكَّما .

فَلْيحكُم بما هو شأْنُه وشِيمتُه من الحق ، ولْيتأمَّل ما عسى أن يكون قد خَفِى عن نظرِها ودَقّ .

والأقْدام مُقْبلة ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمدٍ ما هبَّت الرِّيحُ المُرسلَة .

***

فأجابه بقوله :

سيِّدنا الإمام [5] الهُمام ، الذى أضْحَى عَلَم الأئمة الأعلام .

---

(١) فى الأصول : « جوهر » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، وسلافة العصر .

(٢) فى سلافة العصر : « جادله » .    (٣) فى الأصول : « فختار » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، وسلافة العصر .    (٤) فى الأصول : « ورضى » ، وفى السلافة : « وراضيا » ، والمثبت فى خلاصة الأثر

(٥) ساقط من سلافة العصر .

الإمامُ المُقتدَى به وإنما جُعِل الإمام[1] ، الحَبْر الذى قصُرت عن استيفاء فضائله الأرْقام ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ[2] ﴾ .

وارثُ الجَلالةِ عن آبائه الذين زهَتْ بذِكْراهم[3] الأخبارُ والسِّيَر ، المُقيم من نفسِه العِصاميَّة على ذلك أوضحَ دلالةٍ يُصدِّقُ فيها الخُبْرُ الخبَر .

الحرِيُّ بما استَشْهد به فى شأنِ الملوك ، السَّالكُ من الكمال طريقةً عزَّ على غيره فيها لعِزَّتها السُّلوك[4] .

يُقبِّل المملوكُ الأرضَ بين يديْه ، ويؤدِّى بذلك ما هو الواجبُ عليه .

ويُنهى وصولَ المِثال العالى ، الفائقة جواهرُ كلماته على فَرائد اللآلى .

يتضمَّن السؤالَ عن بَيْتَىْ ذلك الجَهْبَذ ، فى الشَّأْن[5] الذى قضى حُسْنُه أن تُسْلَب الأرواحُ وتُؤْخَذ .

ومنَع حبُّه الكلامَ الألْسُن ، وكان الدليلُ على ذلك اعترافَ ابن أحْسن .

فإنه ذو النَّظَر العالى المُدرِك حقيقةَ الكُنْه ، فإذا تنوَّر من أذْرِعات[6] أدْنى ما تنوَّره إلى قيدِ شِبْرٍ منه .

فتأمَّل المملوكُ ما وقع من تلك المُعارضة ، التى أفضَتْ إلى التَّحْكيم والمفاوضة[7] .

فإذا المُتعارضان قد مزَجا فى حُلْوِ فُكاهتِهما شدةَ البأسِ فى البحث برِقَّة الغزَل ، وأخرجا الكلامَ لبلاغتهما على مُقتضى حالٍ من جِدٍّ وهزَل .

---

(١) فى الأصول ، وخلاصة الأثر : « إمام » ، والمثبت فى سلافة العصر .

(٢) سورة لقمان ٢٧ . (٣) فى خلاصة الأثر ، وسلافة العصر : « بذكرهم » .

(٤) بعد هذا فى السلافة زيادات تنظر فيها ، صفحة ٦٠ . (٥) فى سلافة العصر : « الشادن » .

(٦) أذرعات : بلد فى أطراف الشام ، يجاور أرض البلقاء وعمان . معجم البلدان ١ / ١٧٥ .

وهو يشير إلى قول امرئ القيس :

تنوَّرْتُها من أذْرِعاتٍ وأهلُها ... بيَثْرِبَ أدْنَى دارِها نَظَرٌ عالِ

ديوانه ٣١ .

(٧) فى الأصول : « والمعاوضة » .

وجَرَيا إلى غايةٍ حقًّا عند كلِّ سابقٍ أنه المَسبوق ، وأَرِيا غُبارَهما لمن أراد اللُّحوق .

وكان الأحْرَى بالملوك سَتْرُ عَوارِ نفسِه ، وحَبْسُ عِنان قلمِه أن يجرىَ فى مَيْدان طِرْسِه .

لكنْ لمَّا كان تركُ الجوابِ من الأمر المَحْظور ، لم يلتفتْ إلى ما يترتَّب على الواجب[١] من المَحْذُور .

فقال حيث كان الأمرُ على ما أسنَده مولانا عن النَّاظِم وروَى ، من أنه قصَد التَّشْبيه فى حال بَقايا أثَرِ السَّقام بغُصْنٍ ذَوَى .

فعدَل إلى سَبْكِهِ فى قالَب صياغتِه ، وسَلْكِه فى سِلْكِ بلاغته .

فلا شكَّ أنه أتى بما لا يدُلُّ على المراد دلالةً أوْلَويَّةً[٢] ظاهرة ، وكان كمن شبَّه الأغصانَ أمام البدرِ ببنت مليكٍ خلف شُبَّاكها ناظِرة .

وحينئذ فإطْلاقُ القولِ بأن البيتَ الثانى لا يدلُّ[٣] على ما أُريد ، ربما تمسَّك الخَصْمُ فى عدمِ ثُبوتِ الحكمِ عليه[٤] بأنه إطلاقٌ فى محلِّ التَّقْييد .

كما أن للمُعترِض أن يتمسَّك فى ذلك باسْتيفاء[٥] الدَّلالةَ الأولويَّة[٦] ، فيكون المَحكوم به هو المُتعارِض[٧] فى القضيَّة .

وهذا أجْدَى ما رآه المملوكُ فى فَصْل الخطاب ، وأحْرَى ما تحرَّى فيه أنه الصواب .

مع اتِّهامِه نفسَه فى مُطابقةِ الواقع فى الفَهم ، لعِلْمِه بدِقَّة نَظَرِ مولانا إذا قَرْطَسَ[٨] أغراضَ المعانى مِن فَهْمه بسَهْم .

---

(١) فى سلافة العصر : « الجواب » ، وهى رواية حسنة . (٢) فى سلافة العصر : « أولية » .

(٣) بعد هذا فى ا زيادة : « إلا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وسلافة العصر .

(٤) ساقط من سلافة العصر . (٥) فى سلافة العصر : « بانتفاء » . (٦) فى سلافة العصر : « الأولية » . (٧) فى سلافة العصر : « التعارض » . (٨) قرطس السهم : أصاب به الهدف .

وتجويزه على نفسِه العجزَ عن الوصول إلى مأْخذِ المولى ومَدْرَكه ، واعْترافِه بأنه لا يُجارَى فى نَقْد الشِّعر لأنه فارس مَعْرَكه [1] .

انتهى .

* * *

قوله [2] فى أثناء الجواب : « كان كمن شبَّه الأغصان ، أمام البدر » ، يُشير به إلى قولِ الصَّلاحِ الصَّفَدِىّ :

كأنَّمـــا الأغصانُ لمَّا انثنَتْ أمامَ بَدْرِ التَّمِّ فى غَيْهَبِهْ
بنتُ مَليكٍ خَلْفَ شُبَّاكِها تفرّجتْ منه على موكِبِهْ [3]

وله فيه أيضا :

كأنَّمـــا الأغصانُ فى رَوْضِها والبدرُ فى أثْنائِها مُسْفِرُ [4]
بنتُ مَليكٍ سار فى مَوْكِبٍ قامتْ إلى شُبَّاكِهـــا تنظُرُ

* * *

قال النَّواجِىّ : لا يخفَى ما فى هـذين [5] البيتيْن ، بل [5] المقطوعيْن من ضَعْفِ التركيب ، وكثرة الحشْو ، وقلْب المعنى ، وذلك أنه جعل الأغصانَ مبتدأً ، وأخبر عنه ببنت المَليك ، وهو فاسد ، وإن كان قصدُه تشبيهَ المجموع بالمجموع ، إلا أن الإعراب لا [6] يساعده .

---

(١) فى سلافة العصر : « معركة » .

(٢) هذا النقل أيضاً عن السلافة .

(٣) الشباك : كوة مشبكة بالحديد ، مولد . شفاء الغليل ١٢٩ .

وفى ب : « تفرجت منه على كوكبه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، خلاصة الأثر ، وسلافة العصر .

(٤) فى سلافة العصر : « فى أثنائها يسفر » .

(٥) ساقط من سلافة العصر .

(٦) فى خلاصة الأثر ، وسلافة العصر : « لم » .

على أنه لم يخترعْ هـذا المعنى ، بل سبقه إليه القاضى مُحيي الدِّين ابن قُرْناص[١] ، فقال :

وحديقةٍ غنّاء ينتظِم النَّدَى … بفُروعِها كالدُّرِّ فى الأسْلاكِ

والبدرُ مِن خَلَلِ الغصونِ كأنه … وجهُ المليحةِ طَلّ من شُبّاكِ[٢]

فانظُر إلى حِشْمةِ هـذا التركيب وانْسِجامه ، وعدم التَّـكلُّف[٣] والحشْو ، واسْتيفاء المعنى فى البيت الثـانى فَحسْب ، والصَّفَدِيّ لم يسْتوفِ المعنى[٤] إلّا فى بيتين ، مع[٥] ما فيهما .

فلو قال فى المقطوع الأوّل :

كأن بدرَ التّمِّ لمّا بدَا … من خَلَلِ الأغصانِ فى غَيْهَبِهْ

بنتُ مَليكٍ خلْفَ شُبّاكِها … تفرّجتْ منه على موكِبِهْ[٦]

وفى المقطوع الثانى :

كأن بدرَ التّمِّ فى روضـةٍ … من خَلَلِ الأغصانِ إذْ يُسْفِرُ

بنتُ مَليكٍ سار فى موكِبٍ … قامتْ إلى شُبّاكِها تنظُرُ

«لتمّ له من غيرِ تـكلُّف»[٧]

***

(١) فى حاشية المنهل الصافى ١/١٢٢ ، عند ذكر مخلص الدين إبراهيم بن محمد ، ابن قرناص الحموى ، أن ممن يكنى بابن قرناص جماعة كثيرون كلهم من حماة ، وكأنهم من أسرة واحـدة ، وأن منهم محيي الدين ابن قرناص الحموى شاعر مجيد ، أديب مشهور ، تجـد كثيراً من شعره فى «خزانة الأدب» ، لابن حجة الحموى ، وغيرها .

(٢) فى سلافة العصر : «يطل من شباك» . (٣) فى الأصول : «التكليف» ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، وسلافة العصر . (٤) زيادة من سلافة العصر . (٥) فى خلاصة الأثر : «على»

(٦) فى ب : «على كوكبه» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وسلافة العصر .

(٧) ساقط من خلاصة الأثر ، ومكانه فى سلافة العصر : «انتهى كلام النواجى» .

ومن شعر عليّ المذكور(١) :

هَذِى رياضُ الْحُسْنِ أغصانُها ... غَرَّد بالدَّوْحــةِ منه الهَزارْ

يهْتزُّ فيها قَدُّ ذاتِ الرَّنَا ... رقيقة الخصْر على الاخْتصارْ(٢)

بِتُّ ونارُ الشوقِ قد أُضْرِمتْ ... بمُهجةٍ أحْرَقها الاسْتِعارْ(٣)

رام عَذُولِى هَدَّ رُكْنِ الهوى ... يا كعبةَ الحسنِ بكِ المُسْتجارْ(٤)

غَضَيْتُ ذاكَ الطَّرْفَ عن ناظرٍ ... هَيَّجه الوجدُ عَفِيفِ الإزارْ

***

وقول فى فتاة اسمها غَرْبيّة(٥) :

ولى جِهَةٌ غَرْبيّــةٌ أشرقتْ بها ... لِعَيْنِى شمسُ الأُفْقِ من غيرِ لا حُجْبِ(٦)

ولاح بهـا بدرُ التّمامِ لِناظِرى ... ومن عجبٍ شمسٌ وبَدْرٌ من الغَرْبِ

***

وقوله فيها أيضا(٧) :

هَيْفــاء كالشمسِ ولكنّها ... غَرْبيّةٌ يا قومِ عند الشُّروقْ

يفْتَرُّ منها الثّغْرُ عن لُؤْلُؤٍ ... رَطْبٍ ويبدُو منه لَمْعُ البُروقْ

باللهِ يا عاذلُ عنِّى فــذا ... باردُه السَّلْسلُ فيه يَرُوقْ

رِفْقاً فما فى العَذْلِ لى طاقةٌ ... يُمْكِن منها لِعَذُولِى الطُّروقْ(٨)

غِبْتُ عن العــاذلِ فيها فما ... هَزْلٌ وجِدٌّ لِذَواتِ الفُروقْ

***

---

(١) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٣/١٦٥ ، سلافة العصر ٦٢ . (٢) فى سلافة العصر : « ذات الربى » .

(٣) فى خلاصة الأثر : « بمهجة قد أحرقها » . (٤) فى خلاصة الأثر : « بك الاستجار » .

(٥) البيتان فى : حديقة الأفراح ٤٥ ، ٤٦ ، خلاصة الأثر ٣/١٦٢ ، سلافة العصر ٦٣ .

(٦) فى خلاصة الأثر : « من غير ما حجب » . (٧) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٣/١٦٥ ، سلافة العصر ٦١ ، ٦٢ (٨) فى ا : « لعذولى الطريق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وسلافة العصر

وقوله فيها أيضا [1] :

إنّ الأهِـــلّةَ إذ بدَتْ غرْبيّةً    فالغرْبُ منه ضِيا المَسرّة يُشرِقُ [2]

والشرقُ دَعْهُ فليس منه سِوَى ذُكاَ    تَختَرّ في وَسَطِ النهارِ وتَحرِقُ [3]

* * *

وقوله أيضا ، مُشجِّراً [4] :

غزال كبدرِ التّمِّ لاح بوجْهِــــه    هلالٌ رأتْه العينُ من أُفُقِ الشمسِ

رَنا طَرْفُه الفتّانُ يوماً لنــاظرٍ    يهيمُ به من حيث يُصْبِــحُ أو يُمْسِي

بدَا لِيَ في خُضْرِ الرياضِ بأسمرٍ    به سُودُ هاتيك الحدائقِ في لَبْسِ [5]

يُعلِّل بالتّسْويفِ قلبي فليْتــه    رأى دَنِفاً ما زال يَقْنَعُ باللَّمْسِ

هلَكتُ جَوًى منه فمَن لِمُتيَّمٍ    غريبٍ عن الأوطانِ يدْنُو من الرّمْسِ

* * *

وكتب [6] لبعض أحبابه [6] في صدر رسالة [7] :

على الحَضْرةِ العَليْـــاء دام مَقامُها    عَلِيّاً سلامٌ طيِّبُ النّشْرِ والعَرْفِ

إلى نَحْوِهـــا حَمّلْتُه نَسْمةَ الصَّبا    لتَكْسِب وصْفاً من شَذا ذلك الوَصْفِ

---

(١) البيتان في : خلاصة الأثر ٣/١٦٢ ، سلافة العصر ٦٣ . (٢) في خلاصة الأثر، وسلافة العصر : « مذ بدت غربية » . (٣) في خلاصة الأثر : « فالشرق دعه » .

(٤) الأبيات في : خلاصة الأثر ٣/١٦٥ ، سلافة العصر ٦٢ .

(٥) في ب : « في خضر الرياض بأحمر » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وسلافة العصر .

(٦) في ا : « لأحبابه » ، وفي ج : « إلى بعض أحبابه » ، والمثبت في : ب .

(٧) البيتان في : خلاصة الأثر ٣/١٦٦ ، سلافة العصر ٦٣ .

# ٢٧٢

## محمد على بن إسماعيل الطَّبَرِىّ

أحدُ تلك الجِلّة الكرام ، وأوحدُ[1] أئمّةِ الحَرَم الذين وجَب لهم الاحْترام .

سما قَدْرُه فوق أعالى الجبال الشَّواهِق ، وبلغ غايةَ الكُهول وهو فى سِنِّ المُراهِق .

منزلة لا يُكْتَنَه كُنْهها ، ولا يُوجد فى العالم شِبْهُها .

إلى فضلٍ ثَنَى إليه عِنانَ الخطاب ، وأدبٍ جَنَى به الثناءَ المُستطاب .

ووراء ذلك رَوِيّة أحْسَنُ من كلِّ رَوِيَّة ، وبَدِيهة أوْرَى من كلِّ فكرةٍ ورَيّة .

بلفظٍ ناهَبَ الحَلْىَ الغَوانِى وأهْدَى السِّحْرَ للحَدَقِ الصِّحاحِ

وقد جئتُك من شِعْره بما يُعطِّر شامَّ النَّوْر العَبِق ، ويُرَوِّق به كأسَه المُصْطَبِحُ على ماء النَّهر والمُغتبِق .

فمنه قوله من قصيدة ، يمدح بها الشريف حسن بن أبى نُمَىّ[2] .

مطلعها :

أَسَرتْنِى بطَرْفِها الفَتّانِ وبحُسْنٍ يفوقُ حُورَ الجِنانِ[3]

ذاتُ قُرْطٍ من طَوْقِها مَطْلَعُ الشَّمْـ سِ فِدَا حُسْنِها البديعِ جَنانِى

ما تبدَّتْ تختال إلّا أرَتْنا بدرَ تِمٍّ يُقِلُّه غُصْنُ بانِ

ما حكاها فى جَنّة الخُلْدِ حُورٌ لا ولا فى مَراتِعِ الغِزْلانِ

قلّدتْها يدُ الجَمال حُلِيًّا فاق حُسْنا قلائدَ العِقْيانِ

بخُدودٍ مُورَّداتٍ حِسانٍ ما حكتْها شَقائقُ النُّعْمانِ

---

(١) فى ب : « وواحد » ، والمثبت فى : ا ، ج (٢) تقدم التعريف به ، فى الترجمة رقم ٢٧٠ من هذا الجزء

(٣) فى ا : « يفوح حور الجنان » ، والمثبت فى : ب ، ج .

تَيَّمَتْنِي فَرَقَّ جسمِي نُحُولًا ··· مِن جَفاها فعائدِي لا يَرانِي

وأذابتْ قلبِي المُنَى وجارتْ ··· وصَلَتْنِي لَواعِجَ الأشجانِ

ليْتَها بعْدَ بُعْدِها وصَلتْنِي ··· وكَفاها مامَرَّ من هِجْرانِ

أرّقتْ مُقْلتِي فأذْرَيْتُ دَمْعاً ··· كالغَوادِي دماً عَبِيطاً قانِي (١)

لا تَسَلْ ماجَرى على الخدِّ منها ··· ياحبيبِي فقــد جرَى ما كَفانِي

فجفُونِي على الدَّوامِ دَوامٍ ··· ودموعِي مَشارِعُ الغُدْرانِ

قيل مَهْلاً فمَن صَباً صَيَّرتْه ··· مُوجِباتُ الصِّبا أسيرَ الغَوانِي

حبَّذا إن قَضيْتُ فى الحبِّ وَجْداً ··· وقضى حاكمُ الهــوى بهَوانِي

ظَبْيــةٌ تقْنِصُ الهِزَبْرَ فيُمْسِي ··· وهْو لَيْثُ الشّرَى الأسيرَ العانِي

تتَّقِي الأُسْدُ فى العَرِينِ سَطاهُ ··· وهْو يخْشَى من فَتْرةِ الأجْفانِ

كلمتْنِي بفاتِراتٍ مِراضٍ ··· سِحْرُ هارُوتِهــا قضَى بافْتِتانِي

جاوَزَ الحــدَّ لحْظُهــا فملاذِي ··· حَسَنٌ ذُو الفخار والسُّلْطانِ (٢)

* * *

وقوله من أخرى فى مدحه أيضا (٣) ، ومستهلها :

أفْدِي مَهاةً تُلِينُ القولَ أحْيانَا ··· فتسلُبُ العقــلَ ممَّن كان أحْيانَا

أماتَنا هَجْرُها المُولِي القلــوبَ أسًى ··· يُذِيب لولا رجاءُ الوصلِ أحْيانَا

لا عاش مَن يتمنَّى بعــد نَشْوتِه ··· مِن خمرةِ الحبِّ أن يصحُو ولا كانَا

بمُتْرَفِ الخــدِّ جنَّاتٌ لناظرِها ··· لــكنّها أجّجتْ فى القلبِ نيرانَا

لولا سحائبُ جَفْنٍ سَحَّ وابِلُه ··· أجْرَى بحاراً فأطْفاها وغُــدْرانَا

---

(١) فى ا : « كالغوانى دما عبيطا » ، والمثبت فى : ب ، ج .
و « قانى » هكذا لضرورة القافية .
ودم عبيط : خالص طرى .

(٢) فى الأصول : « حسن ذا الفخار » .

(٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

تُرِيكَ من وجهِها الضاحِي وقامتِها ... بدراً على غُصُنٍ يختال نَشْوانَا
جارتْ على قلبِيَ المجروحِ مُقْلتُها ... وأتلفتْه وما أضمرْتُ سُلْوانَا
لا تُسْتمال وإن مالتْ مَعاطِفُها ... تحمّلَتْ من رياضِ الحُسْنِ أفْنانَا
ترْنُو بفاترِ طَرْفٍ زاد صارِمُه ... فينا عن الحدِّ مَسْنونًا فأفنانَا
كأنما سيفُ بَدْرِ الدين أوْدَعه ... من طَرْفِها الفاترِ الفتّانِ أجْفانَا
ويحسَبُ الناسُ من أهلِ البَدِيعِ ومن ... أهلِ السليميَّةِ الغَبْرَا ومعكانَا [1]
أو آلِ خالدِ من أهدى ضلالُهُمُ ... نُفوسَهم فغَدوْا هَدْياً وقُرْبانَا
وغرّهم فيهمُ حتى غَدتْ فِئَةٌ ... فَيْئًا وأخْرَى قضتْ لم ترْجُ غفْرانَا
هذا مُكبّلُ مأسُورٌ وذا وردتْ ... به القنَا مِن حِياضِ الموت طُوفَانَا
وجرّعتْهم كؤوسَ الحَيْنِ مُتْرَعةً ... وقائعٌ تتْرُكُ الوِلْدانَ شِيبانَا
لو أنهم عَقَلوا أمْراً لَما شَهَرُوا ... عَضْبًا ولا اعْتَقلُوا للحَرْبِ مُرّانَا [2]
ولو يُريدون خَيْراً أو يُرادُ بِهِمْ ... كانُوا على ما مضَى من قبلُ غِلْمانَا
لكنْ قضَى اللهُ بِاسْتِئْصالِهِم فبَغَوْا ... على نفوسِهِمُ ظُلْماً وعُدْوانَا
وشاهَدُوا جَحْفَلاً ذابتْ نفوسُهُمُ ... مِن خَوْفِه مَلأَ الآفاقَ فرسانَا
تَسُلُّ أسيافَه أحلامُ نائِمِهِمْ ... عليه رُعْباً ويَلْقَى الموتَ يَقْظانَا

* * *

هذا من قول أشجع السُّلَمِيّ [3] :

وعلى عَدُوِّك يا ابنَ عَمِّ محمدٍ ... رَصَدانِ ضَوْءُ الصبحِ والإظْلامُ

---

(١) البديع : ماء عليه نخل ، وعيون جارية بقرب وادي القرى . معجم البلدان ١/٥٢٧ .

(٢) في ج : « لما اشتهروا » ، والمثبت في : ا ، ب .

والمران : الرماح اللينة الصلبة .

(٣) البيتان في التمثيل والمحاضرة ٨٤ ، خاص الخاص ٨٨ ، طبقات الشعراء ٢٥١ ، ٢٥٢ ، نهاية الأرب ٣/٨٧ .

فإذا تنبَّه رُعْتَــــه وإذا غفَا ... سَلَّتْ عليــه سيوفَكَ الأحْلامُ

***

منها :

له من الرُّعْبِ أنْصارٌ مُؤيِّدةٌ ... تُصَيِّرُ الليثَ مثــلَ الضَّبِّ حَيْرانَا

***

فى الأمثال « أحْيَرُ من ضَبٍّ »[1] ؛ لأنه إذا فارق جُحْرَه لم يهتدِ للرجوع .

***

يحفُّه من بَنِيــه أُسْدُ معركةٍ ... تَرْوِى القَنا إن غدا الضِّرْغامُ ظَمْآنَا

بيتُ النُّبُوةِ بيتُ اللهِ مَن ورِثُوا ... أمْرَ الخلافةِ سُلْطانًا فسُلْطانَا

يَفْنَى المَديحُ ولا تُحْصَى محامدُهمْ ... فدَعْ زُهَيْراً ودَعْ كَعْباً وحَسَّانَا[2]

***



(١) مجمع الأمثال ١/١٥٣ (٢) فى ا : « ولا تحصى مدائحهم » والمثبت فى : ب ، ج

# ٢٧٣

## محمد جمال الدين بن عبد الله الطَّبَرِيّ*

مُقدَّم فى المَقال وإن تأخَّر ، وإذا كان غيرُه بَحْراً يَفِيض فهو بحرٌ يزْخَر .
يتقدَّم حيث يتأخَّر الدَّابِل ، ويجُود إذا ماضَنَّ بجُودِه الوَابِل .
فرَوْضُ طبعِه تسْرح النَّواظرُ فى فَضاه ، ومَرْعَى بيانِه أيْنع سَعْدانُه (١) ورَفَّ غَضاه .

وله ذَكاه مُتَطاير اللَّهب ، وقَرِيض يُزْرِى بقُراضة الذهب .

* * *

وقد أثبتُّ له مايعلق من كعبة البَلاغة ، ويُعْرَف منه أنه لم يبلُغْ أحدٌ بلاغه .

فمنه قوله ، من قصيدة فى المدح :

مُذ لاح بدرُ الدُّجَى وأشْرَقْ ... أغرقنى مَـدْمَعِى وأشْرَقْ
ورُحْتُ من لَوْعتِى أُصالِى ... جَوًى لقلبِى الكئيبِ أحْرَقْ (٢)
لا لَوْعَتِى تنْطفِى وحِـبِّى ... فَرَّق شمْـلِى وما ترفَّقْ

ومنها :

لَمَّا رأيتَ الهـوى هَواناً ... وأننى فى يديْك مُوثَقْ
وأن جَوْرَ الغرامِ عَـدْلٌ ... وحاكمَ الحبِّ ليس يُشْفِقْ
جاوَزْتَ فى الحـدودِ ظُلْماً ... ألستَ عَدْلَ الحسينِ تَفْرَقْ (٣)

---

(*) ترجمه ابن معصوم فى سلافة العصر ٦٣ ، ٦٤ .

(١) السعدان : من أفضل مراعى الإبل ، وهو نبت له شوك . (٢) فى ب : « جوى لقلب » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) لعله يعنى الحسين بن الحسن بن أبى نمى . انظر خلاصة الكلام ٦١ .

بدرُ الملوكِ الحسينُ مَن فى ... نَدَى يديْهِ البحارُ تَغْرَقْ
ومَن له صَـــوْلَةٌ وعَزْمٌ ... منها أُسودُ الحروبِ تُشْفِقْ

ومنها :

لو لَمَستْ رَاحتاهُ عُـــوداً ... أَثْمَرَ فى كفِّه وأَوْرَقْ
ولو ينال السحـــابُ فَيْضاً ... من بعضِ جَدْواهُ كان أَغْرَقْ
فلا تقِسْ بالحسين خَلْقاً ... فمثـــلُه ما أظنُّ يُخْلَقْ
ومَن بنُورِ النبيِّ طٰه ... ضَمَّخَـــه ربُّه وخَلَّقْ (١)
أعْظَمُ من قيصرٍ وكسرى ... وتُبَّعٍ مَنْصِباً وأعْـــرَقْ

***

وقوله فى الغزل (٢) :

أسيرُ العيونِ الدُّعْجِ ليس له فَكُّ ... لأنَّ سيوفَ اللَّحْظِ من شأنها السَّفْكُ
حَذارِ خَلِيَّ القلبِ من عَلَقِ الهوى ... وأوَّلُها سُقْمٌ وآخرُها فَتْكُ (٣)
ورُحْ سالماً قبلَ الغرامِ ولا تقِسْ ... علىَّ فإنِّى هالكٌ فيـــه لا شَكُّ
أَلم تَرَنِى وَدَّعتُ يوم فِراقِهِمْ ... حَشاىَ لِعلْمِى أن مادونه الهُلْكُ
وكيفَ خَلاصِى من يَدَىْ شادِنٍ إذا ... بَدا أَبيَضَّ فى الدَّيْجُورِ من نُورِه الحَلْكُ
وهيْهات أن تُرْجَى لِمِثْلِى سَلامةٌ ... وقد سَلَّ بِيضَ الهنْدِ أَلحاظُه التُّرْكُ
يقولون تَرْكُ الحبِّ أَسلمُ للفتى ... نعم صدقوا إن كان يُمكِنُه التَّرْكُ (٤)
دَعُونِى وذِكْرِى بين بَاناتِ لَعْلَعٍ ... غُرَيْباً هواهم فى المَواقِفِ لى نُسْكُ (٥)

---

(١) خلقه : طيبة بالخلوق . (٢) القصيدة فى سلافة العصر ٦٣، ٦٤ . (٣) فى سلافة العصر : « وآخرها سفك » . (٤) فى السلافة : « لو كان يمكنه الترك » . (٥) لعلع : ماء بالبادية. معجم البلدان ٤/٣٥٩ .
وفى سلافة العصر : « غريبا هواهم » .

وإن رُمْتُمُ إرشادَ قلبي فكرِّرُوا أحاديثَ عشقٍ طاب في نَظْمِها السَّبْكُ

أما والخدودِ العَنْدَمِيَّاتِ لم أحُلْ وكلُّ الذي عنّي روَى عاذِلِي إفْكُ

وما بمَصُونِ الثَّغرِ من ماء كَوْثَرٍ وكأسِ عَقِيقٍ خَتْمُه خالُه المِسْكُ [١]

لقد لَذَّ لى خَلْعُ العِذارِ وطاب في هوَى الُخرَّدِ الغِيدِ الدُّمَى عندىَ الهَتْكُ

***

قوله [٢] : « لاشكَّ » قد يُتوهَّم أن فيه لَحْناً ، على أن لا نافيةٌ [٣] للجنس واسمها في ذلك مَبْنيٌّ على الفتح .

ولا لَحْنَ فيه ، بل فيه وجهان :

أحدُهما ، مَنْعُ كونها نافيةً للجنس ، بل عاملة عملَ ليس ، والخبر محذوف جوازا، كقول الحماسيّ [٤] :

مَن صَدَّ عن نِيرانِها فأنا ابنُ قَيْسٍ لا بَراحُ

والثاني ؛ أن تكون نافيةً للجنس ، إلّا أنها مُلغاة ، والرفع بالابْتداء ، فلم [٥] يجب تَكْرارها ، لجواز تَرْكِه في الشعر .

***

وله تَصْدِير وتَعْجيز لقصيدة ابن الفارِض ، وقفتُ منه على قطعةٍ ، وهي [٦] :

ما بين ضَالِ المُنْحَنَى وظِلالِهِ رَشَأٌ سَبَى الألبابَ عَنْبَرُ خالِهِ [٧]

في ليلِ طُرَّتِه وصُبْحِ جَبِينِه ضَلَّ المُتَيَّمُ واهْتدَى بضلالِهِ

وبذلك الشِّعْبِ اليَمانِي مُنْيةٌ مابين سَفْحِ طُوَيْلعٍ وجِبالِهِ [٨]

---

(١) في سلافة العصر : « خاله المسك » .

(٢) نقل المحبي ذلك عن السلافة أيضا . (٣) في ا : « النافية » ، والمثبت في : ب ، ج ، وسلافة العصر .

(٤) هو سعد بن مالك بن ضبيعة ، جد طرفة بن العبد . انظر حماسة أبي تمام ٢ / ٧٧ ، وكلام التبريزي عليه . والبيت مع بيتين آخرين في السلافة أيضا .

(٥) في السلافة : « ولم » . (٦) قصيدة ابن الفارض في ديوانه ٢ / ٢ ـ ٦ . (٧) الضال : نوع من السدر البرى . (٨) طويلع : هضبة بمكة ، وماء لبنى تميم ، ثم لبنى يربوع . معجم البلدان ٣ / ٥٦٣ .

مِن دونها حَتْفُ النفوسِ وبُغْيةٌ　　للصَّبِّ قد بَعُدتْ على آمالِهِ
ياصاحِبِي هذا العَقِيقُ فقِفْ به　　واحرُس فؤادَكَ من لِحاظِ غَزالِهِ
فإذا وصلتَ الجِزْعَ طُفْ بِقِبابِهِ　　مُتولِّهًا إن كنتَ لستَ بِوَالِهِ
وانظُرْه عنّي إن طَرْفِي عاقَنِي　　ياقوتَه بصَفا لُجَيْنِ رِمالِهِ
مارَام منـــه ذاك إلّا صَدَّهُ　　إرْسالُ دَمْعِي فيه عن إرْسالِهِ
واسْأَلْ غزالَ كِناسِهِ هل عنده　　خــبَرٌ بمَن أضْحَى قتيلَ نِزالِهِ
أو عنـــده ممّا أُلاقِي من أسًى　　عِلْمٌ بقلبِي فى هَـــواه وحالِهِ

***

وكتب إلى شيخه عبد الرؤوف بن يحيي الواعظ المَكِّيّ ، مُسائِلا بقوله :

يا أيهـــا الحَبْرُ يامَنْ　　منـــه العلومُ تفجَّرْ
ومُفْرَدَ العصرِ مَن قد　　لمسجـــدِ اللهِ أَزْهَرْ
بالاشْتغـــالِ دَواماً　　بقُرْبِ بيتٍ مُطهَّرْ
ما الحكمُ فى كلِّ قاتٍ　　وكفتةٍ هو مُنْكَرْ (١)
أم لا لنـــا فأبِينُوا　　لديكمُ الصَّعْبُ يَظْهَرْ
أنتم مَـــــلاذٌ وأمّا　　فى الحكم كُلٌّ تحيَّرْ (٢)

***

فأجابه بقوله :

الحمـــدُ لله حَمْـــداً　　أفرادُه ليس تُحْصَرْ
ومنه خيرُ ثَنـــاءٍ　　لأحمدَ الطُّهْرِ يُنْشَرْ
الحكمُ فى ذَيْنِ حِـــلٌّ　　والتَّرْكُ للضُّرِّ أظهَرْ
عبدُ الرؤف وَشـــاهُ　　يرجُو المَزلّاتِ تُغْفَرْ

(١) القات : نبت معروف فى اليمن ، ولعله والكفته مخدران أو مفتران .　(٢) فى الأصول : « أنتم ملاذا » .

# ٢٧٤
## فَضْل بن عبد الله الطَّبَرِىّ *

ذاتُه كاسْمِه ، والفضل كلُّه برَسْمِه

أجَلُّ قَدْراً من أن لا يُعْرَف ، وحاشاه أن يكون نَكِرةً فيُعرَّف .

وقد سمعتُ مَن يقول عنه : هو العَلَمُ الذى عرَف العالَمُ فضلَه ، والفاضل الذى إذا اعْتُبِر فغيرُه بالنسبة إليه فَضْلَة .

***

وله من الأشعار كلُّ دُرَّةٍ فريدة ، هى رَوِىٌّ فى طُلَا كلِّ وَليدة خَرِيدة .

فمنها قوله ، من قصيدة يمدح بها الشريف زيد بن محسن[1] ، أولها[2] :

يا مىُّ حَيِّى الحَيَا أحيا مُحَيَّاكِ ... هلاَّ بأعتابِ عُتْبَى فاهَ لى فاكِ

مَن لى إليك وقد أوْدَى صُدودُكِ بى ... ولا تزالين طَوْعاً لِىَ أفّاكِ

يا هذه لم أزلْ مِن بُعْدِها ودُنُوِّ ... م السُّقْمِ من بَعْدِها مَوْثوقَ أشْراكِ

تِيهِى أطِيلى التَّجنِّى والجفاءَ وما ... أرَدْتِ فاقْضِيه بى فالحُسْنُ وَلَّاكِ

رِفْقاً رُوَيْداً كأنى بالعَذُولِ على ... تَطاوُلِ الصَّدِّ فى ذا الصَّبِّ أغْراكِ[3]

---

(*) فضل بن عبد الله الطبرى المكى .

مفتى الشافعية بالبلد الحرام ، وإمام مقام إبراهيم عليه السلام .

ولد بمكة ، وبها نشأ ، وأخذ عن أكابر الشيوخ .

وله شعر كثير ، ومن مؤلفاته « التبجيل لشأن فوائد التسهيل » فى العروض .

توفى بمكة ، سنة أربع وثمانين وألف .

خلاصة الأثر ٣/٢٧١ ، ٢٧٢ ، سلافة العصر ٦٤ ، ٦٥ .

(١) تقدم التعريف به ، فى الجزء الثالث ، صفحة ٥٨٥ .

(٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/٢٧٢ .

(٣) فى خلاصة الأثر : « فى ذا الصب عزاك » .

منها :

حَسْبِي دليلاً على شوقِ المُبرِّحِ بي ... أنِّي لَثَمْتُ عَذُولِي حين سَمَّاكِ

والجَفْنُ في أرَقٍ والقلبُ في حُرَقٍ ... والعينُ في غَرَقٍ إنسانُها باكِي

يا مُهجةَ الصَّبِّ غيرِ الصَّبْرِ ليس وقد ... جَنَتْ عليك بما لاقيتِ عيناكِ[1]

منها في المديح :

قد زاد في شرفِ البطْحاءِ أنَّكَ في ... جِيرانِها خيرُ فعَّالٍ وترَّاكِ

مُولِي الجميلِ ومَنْجاةُ الدَّخِيلِ ومَنْـ ... ـجاةُ الخذيلِ سَرِيٌّ عَبْنِ أمْلاكِ[2]

***

قوله في مطلع القصيدة : « فاه لي فاك » ، جرى فيه على اللغة الضعيفة ، وهي لُزوم الألف للأسماء الخمسة في جميع الحالات ، كقوله[3] :

* إنَّ أباها وأبا أباها *

***

ومن شعره قوله[4] :

لا تُضيِّعْ سَبَهْلَلاً فُرَصَ الْـ ... ـعمرِ بلا طاعةٍ ولا تتعلَّمْ[5]

سوف يَدْرِي الجَهُولُ عند انقضا ... ءِ العمرِ سُدًى كيف ضاع فيَنْدَمْ[6]

***

(١) في ب : « غير الصب » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٢) في ج : « ومنجاة الخزيل » ، والمثبت في : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .

(٣) أي قول أبي النجم الفضل بن قدامة العجلي . انظر شواهد القطر للشربيني ٤٢ . وانظر شرح الشواهد للعيني ١/ ٧٠ .

(٤) البيتان في خلاصة الأثر ٣/ ٢٧١ .

(٥) مشى سبهللا : إذا جاء وذهب في غير شيء . القاموس ( س ب هـ ل ل ) .

(٦) في خلاصة الأثر : « كيف ضاع منه فيندم » .

## ٢٧٥

## عبد الرحمن بن عيسى المُرْشِدِيّ*

مُفْتِي القُطْر الحِجازِيّ وعالِمُه ، وصدرُه الذي قامتْ به مَعالِمُه .

جَوادُ قلمِه في مَيْدان الطِّرْس مُرْخِيُّ العِنان ، وشَرْح نَمُوذج حالِه أجْلَى وأظهرُ من العيان .

سلِّم له من كلِّ فَنّ أهلُ حَـلِّه وعَقْدِه ، وأذْعَن لبلاغته من كلِّ صَوْبٍ جَهابِذَةُ نَقْدِه .

وألْقتْ إليه الفصاحةُ مَقاليدَها ، وكَتبتْ رؤساءُ البَراعة باسمِه تَقاليدَها .

وهو الطَّوْدُ رَصانةً ، والطُّور رَزانةً .

---

(*) عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد العمري المرشدي الحنفي .

مفتي الحرم المكي ، وعالم قطر الحجاز ، وأوحد أهله في الفضل والمعرفة والأدب .

ولد بمكة ، سنة خمس وسبعين وتسعمائة ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن ، و « الألفية » ، و « كنز الدقائق » ، و « الجزرية » ، وغيرها .

وشرع في الاشتغال ، سنة تسع وثمانين وتسعمائة ، فلازم عبد الرحمن بن حسان ، وأخذ عن علي ابن جار الله بن ظهيرة ، وروى الحديث عن الشمس الرملي ، والمنلا حميد السندي ، وأخذ القراءات عن المنلا علي القاري الهروي .

وولي تدريس مدرسة محمد باشا ، في حدود سنة تسع وتسعين وتسعمائة ، وولي التدريس بالمسجد الحرام سنة خمس وألف ، وتعاطى الفتوى على مذهب أبي حنيفة سنة اثنتي عشرة وألف ، وولي إمامة المسجد الحرام ، وخطابته ، والإفتاء السلطاني ، سنة عشرين وألف ، ثم تولى تدريس المدرسة السليمانية بمكة ، سنة سبع وعشرين وألف ، وورد إليه في سنة إحدى وثلاثين وألف تفويض النظر في قضاء مكة وأعمالها ، من لدن قاضيها يومئذ المولى رضوان بن عثمان ، ونال من سمو الشأن ، وعلو الرتبة ، ما لم ينله أحد من معاصريه بالحجاز .

وله مؤلفات كثيرة ، ذكرها المحبي في خلاصة الأثر .

قبض عليه الشريف أحمد بن عبد المطلب سنة سبع وثلاثين وألف ، وسجنه ، ونهب داره وكتبه ، وأمر بخنقه يوم النحر ، فتوفي شهيدا حميدا .

تراجم الأعيان ترجمة رقم ١٤٣ ، حديقة الأفراح ٤٧ ـ ٤٩ ، خلاصة الأثر ٢/٣٦٩ ، خلاصة الكلام ٦٩ ، ٧٠ ، سلافة العصر ٦٥ ـ ٩٢ ، سمط النجوم العوالي ٤/٤١٩ .

بِعلْمِهِ يُقْتَدَى ، وبِحِلْمِهِ يُهْتَدَى .

وكان عصره يَرْبُو على العصور شَرَفًا ، ويرتقِي من المعالى فَنَنًا وشَرَفا .

بضُرُوبٍ من المآثِرِ والمَفاخر ، ازْدانتْ بها الأوائلُ والأواخِر .

يحْدِيها[١] حادِى الرِّفاق ، على مطالع الإشْراقيْن من الآفاق .

حتى سمعتْها كلُّ أذن[٢] صمَّا ، ورأتْها كلُّ عيْنٍ عمْيا .

وكان حِماه للقُصَّاد قِبْلَة ، وما أظنُّ أحداً بلغ مِثْلَ شأْنِه قَبْلَه .

يعتقد الحَجِيجُ قَصْدَه من غُفْران الخطايا ، ويُنشَد ببابه تمامُ الحجِّ أن تقِفَ المَطايا .

وله من الآثار ما هو فى مَسامع النُّبَهاء شُنُف ، وفى مَجامِـع البُلَغاء رَوْضٌ أُنُف[٣] .

ومن خبرِه على ما نقل ابنُ مَعْصوم[٤] ، أنه لم يزَلْ مُمتطِياً صَهْوَةَ العِزِّ المَكِين ، راقِياً ذِرْوَة طَوْدِ الجاهِ[٥] الرَّكِين .

لايقاس به قَرِين ، ولا تطأُ آسادُ الشَّرَى له عَرِين .

إلى أن تولَّى الشريف أحمد بن عبد المطلب[٦] مكةَ المُشرَّفة ، ورفَل فى حُلَلِ ولايتِها المُفوَّفَة .

وكان فى نفسه من الشيخ المُشار إليه ضَغَن ، حلَّ بصَمِيم مُهْجتِه وما ظَعَن .

فأمر أوَّلا بنَهْب دارِه ، وخَفْضِ مَحلِّه ومِقْدارِه .

ثم قبض عليه قَبْضَ[٧] المُعتمِد على ابن عَمَّار[٨] ، وجَزاه الدهرُ على يديْه جَزاء سِنِمَّار[٩] .

---

(١) كذا فى الأصول : « يحديها » ، والمعروف : « يحدوها » . (٢) فى ا : « آذان » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) روض أنف : لم يرع . (٤) سلافة العصر ٦٨ ، ٦٩ . (٥) فى ا : « الجواد » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٦) تقدم التعريف به ، فى الترجمة رقم ٢٦٨ السابقة .

(٧) فى ا : « قبضة » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٨) انظر خبر مقتل ابن عمار ، فى المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ١٨٦-١٨٩ . (٩) يضرب هذا مثلا للمحسن يكافأ بالإساءة ، انظر قصة مكافأة النعمان بن امرئ القيس لسنمار الرومى ، فى ثمار القلوب ١٣٩ .

إلا أن المُعتمدَ أعضَّ ابنَ عمّار بالحسام الأبيض ، وهذا طوّقه هلالَ فِتْرٍ من أنامل عبدٍ أسود ، فجرّعه كأسَ الموت الأحمر .

وكان قد أبقاه فى محبَسِه إلى ليلة عرَفة ، ثم خَشِىَ أن يسْعَى فى خلاصِه مِن أكابر الروم مَن عرَفه .

فوجّه إليه بزِنجِىٍّ أشوَهَ خَلْقِ الله خَلْقا ، وتقدّم إليه بقتْلِه فى تلك الليلة خَنْقا .

فامْتثل أمْره فيه ، وجلّله من بُرْد الهلاكِ بضافِيه .

فأقفرتْ لموْتِه المَدارس ، وأصبحتْ ربوعُ الفضلِ وهْىَ دَوارِس .

وذلك فى عام سبع وثلاثين وألف .

ومن الاتِّفاق أن الشريفَ المذكور قُتِلَ هـــذه القِتْلة بعينها ، حين تقاضتْ منه الليالى ما سلَفتْ من دَيْنِها .

وفى الأثر : « كَمَا تَدِينُ تُدان » ، وهذا حالُ الدهرِ مع كلِّ قاصٍ ودَان .

***

وهذا حين أتْلُو من آياتِه ، وأُثْبت مايدلُّ على بُعْدِ غاياتِه .

فأعظَمُها قصيدته التى مدح بها الشريفَ حَسنا [1] ، وابنه أبا طالب [2] ، مُهَنِّيًا لها

---

(١) تقدم التعريف به ، صفحة ٣٦ ، من هذا الجزء .

(٢) الشريف أبو طالب بن حسن بن أبى نمى الحسنى .

ولد سنة خمس وستين وتسعمائة .

آلت إليه إمارة مكة بعد أخيه الشريف مسعود ، نيابة عن أبيــه ، ثم أمر أبوه أمراء الحجاز بأن يلبسوه الخلعة الكبرى ، وألبسوا أخاه عبد المطلب الخلعة الثانية ، واستصدر من السلطان محمد خان بن مراد ، تقريرا بذلك ، فأجيب إلى ملتمسه ، ولما مات والده ، ولحقه أخوه عبد المطلب استقل بالملك .

وكان حسن الهيئة ، شديد الهيبة ، كريما .

توفى سنة اثنتى عشرة وألف ، بمحل يقال له العشة ، من جهة اليمن ، وحمل إلى مكة ، ودفن بالمعلاة .

تراجم الأعيان ١/٢٤٥ ، خبايا الزوايا لوحة ٨٣ ب ، خلاصة الكلام ٦٢ ــ ٦٤ ، خلاصة الأثر ١/١٣١ ــ ١٣٥ ، ريحانة الألبا ١/٣٩٧ ــ ٤٠٥ ، سمط النجوم العوالى ٤/٣٨٤ ــ ٣٩٢ .

بالظَّفَر بأهل شَمر ، وهو جبل بنَجْد [1] :

نَقْعُ العَجاجِ لَدَى هَياجِ العِثْيَرِ أذْكَى لدَيْنا من دُخانِ العَنْبَرِ [2]

وصَليلُ تجريدِ الحُسامِ ووَقْعُه في الهامِ أجْدَى نَغْمةً من جُؤْذُرِ [3]

وسَنَا الأسِنَّةِ لامعاً في قَسْطَلٍ أسْنَى وأسْمَى من مُحَيًّا مُسْفِرِ [4]

وتَسَرْبُلٌ في سابغاتٍ مُزَرَّدٍ أبْهَى علينا من قَباءِ عَبْقَرِى [5]

وتتوُّجٌ بقَوانسٍ مَصْقُولةٍ أزْهَى علينا من سُدُوسٍ أخْضَرِ [6]

وكذاك صَهْوةُ سابحٍ ومُطَهَّمٍ أشْهَى إلينا مِن أريكةِ أحْوَرِ

ولِقَا الكَمِيِّ مُدَرَّعا في مِغْفَرٍ كلِقَا الغَريرِ بمِقْنَعٍ ومِخْمَرِ [7]

ألِفَتْ أسِنَّتُنا الورُودَ بمَنْهَلٍ عَلِقَتْ به عَلَقَ النَّجِيعِ الأحْمَرِ

وسيوفُنا هَجَرتْ جِوارَ غُمودِها شَوْقاً لِهامَةِ كلِّ أصْيَدَ أصْعَرِ [8]

فتَخالُها لَمّا تُجرَّد عندما هاجَ القَتامُ بَوارِقاً بِكَنَهْوَرِ [9]

وصَهيلُ جُرْدِ الخيلِ خِيلَ كأنه رَعْدٌ بزُجْرٍ في الجَدَى المُثْعَنْجِرِ [10]

ودمُ العِدَى مُتقاطِراً مُتدفِّقاً كالوَبْلِ كالسَّيلِ الجُرافِ الجُوَّرِ [11]

---

(١) القصيدة في : خلاصة الأثر ٢/٣٧٢ – ٣٧٤ ، سلافة العصر ٧٧ – ٨٠ ، سمط النجوم العوالي ٤/٣٨٦ – ٣٨٩ . (٢) في الأصول : « على هياج العثير » ، والمثبت في : خلاصة الأثر ، والسلافة ، والسمط .

والعثير : التراب والعجاج .

(٣) في خلاصة الأثر ، والسلافة ، والسمط : « أشدى نغمة من جؤذر » . (٤) القسطل : الغبار تثيره الحرب . (٥) في السمط : « من سدوس أخضر » . (٦) لم يرد هذا البيت في سمط النجوم العوالي .

والقوانس : جمع القونس ، وهو أعلى بيضة الحديد ، والسدوس : الطيلسان .

(٧) في ا : « كلقا الغرير » ، وفي السلافة : « كلقا العرين » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، والسمط .

(٨) في الأصول : « كل أصيد أصغر » ، والمثبت في : خلاصة الأثر ، والسلافة ، والسمط .

(٩) الكنهور من السحاب : قطع كالجبال ، أو المتراكم منه . القاموس ( ك ن هـ و ر ) .

(١٠) الجدى : المطر العام ، أو الذي لا يعرف أقصاه ، والمثعنجر : السائل . (١١) في السلافة : « كالسيل الجزاف » ، وسيل جراف : جحاف .

وفي السمط : « الجراف الحور » ، والجور من الغيث : الشديد صوت الرعد .

ورُءوسُهم تَجْرِى به كجَنادِلٍ ... قذَفَتْ به مَوْجُ السيولِ الهُمَّرِ [(١)]

غَشِيَتْهُمُ فى العـــامِ مِنّا فِرقةٌ ... تَركتْ فَرِيقَهم كَسَبْسَبٍ مُقْفِرِ [(٢)]

أوْدَتْهُمُ قَتْـــلاً وأجْلَتْهم إلى ... أن حطَّم الهِنْـــدِىُّ ظَهْرَ الْمُدْبِرِ [(٣)]

تَركَتْ صَحاراهُم مَوائِدَ ضُمِّنَتْ ... أشْلاءَ كلِّ مُسَوَّدٍ وغَضَنْفَرِ [(٤)]

ودَعتْ ضُيوفَ الوحشِ تَقْرِيهمْ بما ... أفْرَى الْمُهَنَّدُ والوَشِيجُ السَّمْهَرِى [(٥)]

فأجَابها من كلِّ غِيـــلٍ زُمْرَةٌ ... تَحْدُو مَنارَ عَمَلَّسٍ أو قَسْوَرِ [(٦)]

وأظلَّها طُلَلٌ نَشاصُ سَحابِها الْـ ... ـمَرْكُومِ أجْنحةُ البُزاةِ الأنْسُرِ [(٧)]

فَبَراثِنُ الآسادِ تَضْبِثُ فى الكُلَى ... ومَخالبُ العِقْبانِ تنشَبُ فى الْمَرِى [(٨)]

شَكَرتْ صَنِيعَ الْمَشْرَفِيَّةِ والْقَنا ... إذْ لم تَضِفْها الهَبْرَ غـــيرَ مُهَبَّرِ [(٩)]

فَغَـــدتْ قبورُهمُ بطونَ الوَحْشِ مِنْـ ... ـها يُبْعَثُون إذا دُعُوا لِلْمَحْشَرِ

وخلَتْ ديارُهمُ وأقْوَى رَبْعُهمْ ... وسَرَى السَّرِىُّ مُشَمِّراً عن شمَّرِ [(١٠)]

أنِفَتْ من اسْتِقْصاء قَتْلِ شَرِيدِهِمْ ... كَيْما يُخَــــبِّرَ قائلاً مِن مَخْبَرِ [(١١)]

فَثَنَتْ أعِنَّـــــةَ خَيْلِنا أجْيادَها ... عن قَتْلِ كلِّ مُزَنَّدٍ وحَزَوَّرِ [(١٢)]

---

(١) فى السمط : « قدفت بها موج السيول القمر » . (٢) فى السلافة ، والسمط : « كسبسب أنفر » ، والسبسب : المفازة لا ماء فيها .

(٣) فى السمط : « أودتهم قتلا وأطبقهم إلى » ، وفى السلافة : والسمط : « أن حطم الخطى » .

(٤) فى السمط : « تركت صحاريهم » . (٥) فى السمط : « أفرى المهند » .

(٦) العملس : الذئب الخبيث ، والقسور : السبع . (٧) فى ا : « وأظلها ظل » ، وفى ج : «وأظلها طلى » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر ، والسلافة ، والسمط ، وفى السمط : « نشاط سحابها » .

والنشاص : السحاب المرتفع ، أو المرتفع بعضه فوق بعض .

(٨) فى ب ، ج : « تنضب فى الكلى » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر ، والسلافة ، والسمط .

وتضبث فى الكلى : تقبض عليها قبضاً شديداً .

(٩) الهبر بالفتح : بضع لحم لا عظم فيها ، وبالضم : جمع الأهبر ، وهو الكثير من اللحم ، وغير مهبر : غير مقطع . (١٠) فى السلافة ، والسمط : « مشمزا عن شمز » ، والشمز : نفور النفس مما تكرهه .

(١١) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « من مخبرى » ، وفى السمط : « عن مخبر » .

(١٢) فى السمط : « أعنة خيلنا أجيادنا » .

والمزند : الدعى ، والبخيل الضيق .

والحزور : الرجل الضعيف والقوى ، ضد .

حتى إذا حان القطافُ ليانعٍ ... من أرْؤُسٍ تُرِكتْ ولمّا تُؤْبَرِ (١)

عصفَتْ بهــا رَيْبُ المَنُونِ فأُلْقِحتْ ... وتحرَّكتْ بزَعازِعٍ من صَرْصَرِ (٢)

فدعَتْ سُراةَ كُماتِنا لِقِطافِهــــا ... بأناملِ القصَبِ الأصمِّ الأسْمَرِ (٣)

فتجهَّزتْ لحصادِها فى فَيْلَقٍ ... لو يسْبَحون بزَاخرٍ لم يَزْخَرِ

مَلأٌ تتوق إلى الكفاحِ نفوسُهم ... تَوَقَانَها لِلِقَا الرَّداحِ المُعْصِرِ (٤)

يغْشَوْن أبْطالَ الخميسِ بَواسِماً ... كالليثِ إن يَلْقَ الفريسةَ يَكْشِرِ (٥)

وتخالُهم فوقَ الجِيــادِ لَوابِساً ... سَدًّا يمُوجُ من الحديدِ الأخْضرِ (٦)

فإذا همُ ازْدحَمُوا بجِزْعٍ وانْثنَوْا ... أوْرَى زِنادُ دُروعِهم ناراً تُرَى (٧)

جيشٌ طَلائعُه الأوابدُ إن تُصِخْ ... لوَجِيبِه من قيــدِ شَهْرٍ تنْفِرِ

يقْتــادُه الملكُ المُشِيحُ كأنه ... بين العَــوالِي ضَيْغَمٌ فى مَزْأَرِ

مَلِكٌ تدرَّع بالبَسالةِ فاغْتــنَى ... يومَ الوَغَى عن سابغٍ وسَنَوَّرِ (٨)

مَلِكٌ تتوَّج بالمَهابةِ فاكْتفَى ... عند الطِّعانِ لِقِرْنِه عن مِغْفَرِ (٩)

مَلِكٌ تُذكِّرنا مَواقِعُ حَــدِّه ... فى الهامِ وَقْعةَ جَــدِّه فى خَيْبَرِ (١٠)

مَلِكٌ إذا ماجالَ يومَ كَرِيهــةٍ ... لم تَلْقَ غــــيرَ مُجدَّلٍ ومُعَفَّرِ

مَلِكٌ يُجهِّز من جَحــافلِ رَأْيِه ... قبلَ الوَقيعةِ جَحْفَلاً لم يُنْظَرِ

مَلِكٌ تسنَّمَ ذِرْوةَ المجــدِ التى ... مِن دونِها المرِّيخُ بل والمُشْتَرِى

---

(١) فى السمط : « ولما تؤتر » . (٢) فى سلافة العصر ، وسمط النجوم : « ريع المنون » .

(٣) فى ا : « بأنامل القطف » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، والسلافة ، والسمط .

(٤) فى السلافة : « ملأٌ تشوق ... للقا الرواح » .

والرداح : الثقيلة الأوراك ، والمعصر : الجارية الشابة .

(٥) فى خلاصة الأثر ، والسلافة والسمط : « أبطال الوطيس » . (٦) فى السلافة : « سدا يمور »

(٧) فى السلافة : « نارا يرى » . (٨) السنور : لبوس من قد كالدرع .

(٩) فى الأصول والسلافة : « عند الطعان لقرمه » ، وفى السمط : « عند الطعان لفرقه » ، والمثبت فى خلاصة الأثر . (١٠) فى السلافة ، والسمط : « مواقع عضبه » ، ويعنى بجده الإمام على كرم الله وجهه

( نفحة الريحانة ٥/٤ )

الأشْرفُ الشَّهمُ الذى خضَعتْ له ... شُمُّ الأُنوفِ وكلُّ جَحْجاحٍ سَرِى (١)

الأفضلُ السَّنَـــدُ الذى أوْصافُه ... أنْسَتْ سُمَا الوَضَّاحِ وابنِ المُنْذِرِ (٢)

الأكْرمُ المِفْضالُ مَنْ إحسانُه ... أرْبَى على كسرَى الملوكِ وقَيْصَرِ

ذُو الهِمّةِ العَلْيا الذى قد نالَ ما ... عنه تُقَصِّرُ هِمَّـــةُ الإسكَنْدَرِ

شَرَفاً تقاعسَتِ الكواكبُ دونَه ... لو لم تُمَدَّ بنورِه لم تَزْهَرِ (٣)

هَبْهـــا بمنطقةِ البُروجِ مَقَرُّها ... أمُناهِزٌ هــذا بنُوَّةَ حَيْدَرِ

كَلَّا فكيف بمَن حَواها جامِعاً ... نَسَباً سَما بأُبُوّةِ المُدَّثِّرِ

أعْظِمْ بهـــا من نِسْبةٍ نَبَوِيّةٍ ... عَلَوِيّةٍ تُنْمَى لأصـــلٍ أطْهَرِ

قد شُرِّفَتْ بَدْءاً بأشْرفِ مُرْسَلٍ ... ونِهايةً بالسيِّدِ الحسَنِ السَّرِى

فَخْرُ الخــلائقِ دُرّةُ التَّاجِ الذى ... بِسواه هامُ ذوِى العُلَى لم يَفْخَرِ (٤)

لم تَلْقَــه يومَىْ وَغًى وعطًا سِوَى ... طَلْقِ المُحَيَّا فى حُلَى المُسْتَبْشِرِ (٥)

يَعفُو عن الذَّنْبِ العظيمِ مُجازِياً ... جازِيه بالحُسْنَى كأنْ لم يُوزَرِ

يا سيِّدَ الساداتِ دُونَك مِدْحَـــةً ... نفَحتْ بعَرْفٍ من ثَناك مُعَطَّرِ (٦)

قد فُصِّلَتْ بلآلِئِ المَدْحِ التى ... يقِفُ ابنُ أوْسٍ دُونها والبُحْتُرِى (٧)

وَافتْكَ تَرْفُلُ فى بُرودِ بلاغـــةٍ ... وبراعـــةٍ ببُرودِ صَنْعا تَزْدرِى

صاغتْ حُلاها فِكرةٌ قد صانَها ... شَمَمُ الإباءِ عن امْتداحِ مُقصِّرِ (٨)

---

(١) فى ب : « وكل جحجاح جرى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، والسلافة ، والسمط .

(٢) فى السلافة والسمط : « الذى بجنابه » .

والسما : الصيت البعيد الحسن .

والوضاح : هو جذيمة بن مالك الأبرش ، صاحب القصة مع الزباء .

وهو من ملوك الجاهلية ، عمر دهراً طويلا ، وكان إليه ملك العراق وأطراف كثيرة من بلاد العرب .

انظر خبره فى نهاية الأرب ١٥/٣١٦

(٣) فى السمط : « تقاعست الثوابت دونه » .

(٤) فى السمط : « فخر الخلائف » ، وهى رواية حسنة (٥) فى السمط : « يومى عطا ووغى سوى »

(٦) فى السمط : « من نداك معطر » . (٧) يعنى بابن أوس أبا تمام (٨) فى السمط : « قد زانها »

ما شأنُها كَسْب القَرِيضِ تكسُّباً ... لولا مَقامُك ذُو العُلَى لم تَشْعُرِ[1]

فوردتُ مَنْهلَها الرَّوِيَّ فلم أجِدْ ... أحداً فنِلْتُ صَفاهُ غيرَ مُكدَّرِ

فَنَهلتُ منه وعَلَّني بنَمِيرِه ... وطَفِقْتُ وَارِدَه ولَمَّا أصْدُرِ

خُذْهَا عَقِيلةَ كِسْرِ جَيْشِ فَصاحةٍ ... سَفَرتْ نِقاباً عن مُحَيًّا مُسْفِرِ[2]

جمعتْ بَلاغةَ مَنطقِ الأعْرابِ مَعْ ... حُسْنِ البيانِ ورِقَّةِ المُسْتَحْضِرِ[3]

لو سامَها قُسٌّ لمَا سُمِعتْ له ... بعُكاظَ يوماً خُطْبَةٌ فى مِنْبَرِ[4]

شرُفتْ على مَن عارَضتْه بمَدْحِ من ... أضْحَى القَرِيضُ به كعِقْدٍ جوهرِى[5]

فاسْتَجْلِها وَافتْ تُهنِّى بالذى ... نَفَحتْ بَشائرُه بمِسْكٍ أذْفَرِ

نصرٌ تهزُّ بُنُودَه رِيحُ الصَّبا ... خَفَقتْ على هامِ الأشَمِّ الحَزْمَرِ[6]

هو نَجْلُك المنصور دامَ مُؤيَّداً ... بك أيْنما يُلْقِ العزيمةَ يظْفَرِ[7]

لا زِلْتُما فى ظِلِّ مُلْكٍ باذِخٍ ... وجنودُ مُلْككُمُ ملوكَ الأعْصُرِ[8]

مُسْتَمْسِكين بهَدْىِ جَدِّكم الذى ... بالرُّعْبِ يُنْصَر من مسافةِ أشْهُرِ

أهْدَى الإلهُ صَلاتَه وسلامَه ... لجَنابِه فى طَىِّ نَشْرِ العَبْهَرِ[9]

❀

(١) فى خلاصة الأثر ، والسلافة ، والسمط : « نظم القريض » ، وبعد هذا فى السلافة ، والسمط ، بيت يوضح القصد ، هو :

ما شأنُها إلّا اكْتساب فضائلٍ ... تُغْنِيه عن شَرَفِ العِظامِ النُّخَّرِ

(٢) فى خلاصة الأثر : « عقيلة كسر خدر فصاحة » ، وكذلك فى السمط ، وفى السلافة : « عقيلة كسر كنز فصاحة » . (٣) فى السمط : « جمعت فصاحة منطق . . » ، وسقط من : ا : « منطق » ، وهو فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة ، والسمط .

(٤) فى خلاصة الأثر : « لما سمعت به » .

وعكاظ : نخل فى واد ، بينه وبين مكة ثلاث ليال ، وبه كانت تقام سوق العرب بموضع منه يقال له : الأثيداء . معجم البلدان ٣ / ٧٠٥ .

(٥) فى سمط النجوم العوالى : « على ما عارضته » . (٦) فى الأصول : « الأشم الجزمر » ، وفى السلافة ، والسمط : « الأشم الحزمرى » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر .

والحزمر : الملك . القاموس ( ح ز م ر ) .

(٧) فى خلاصة الأثر : « يلق الفريعة يظفر » ، وفى الأصول : « يلق العزيمة » . والمثبت فى السمط

(٨) فى السمط : « فى ظل مجد باذخ » . (٩) العبهر : النرجس والياسمين . القاموس ( ع ب ه ر ) .

أخوه :

## ٢٧٦

## القاضي أحمد شهاب الدين *

الشهابُ السَّاطِع ، والحسام القاطِع .

له المجدُ المُضاعَف ، والأملُ المُساعِف .

والتَّباهي في التهذيب والتَّحْليم ، والتَّناهي في التَّجْريب والتحكيم .

وكان في أيام صَدارة أخيه عَضُده الذي أزْرُه به اشْتدّ ، ومُضاهِيه الذي تهيَّأ به لقيام تلك الحُرْمة واعْتدّ .

وولىَ[1] حكمَ القضاء بالحرم فأضاءت العِقدَ دُرّةٌ وكانت واسِطة ، وامْتدَّتْ يد من القوة وكانت بها[2] باسِطة .

ولما قبض ابنُ عبدِ المطَّلب[3] على أخيه ، أرْدَفه معه على ذلك الأدْهَم ، حتى جرّع أخاه تلك الكأس فألهمه اللهُ في إفراجِه ما ألهم .

فنُجِّيَ بعد ظَنّه أنه[4] لم يكن ناجيا ، وسُومِح بالجِناية التي اجْتُرِمتْ عليه وما أحسبه عُدَّ جانيا .

---

(*) شهاب الدين أحمد بن عيسى المرشدي الحنفي المكي .

أحد فضلاء مكة ، وأدبائها .

كان مع أدبه فقيها متضلعا ، ولى القضاء نيابة بمكة .

ولما قبض الشريف أحمد بن عبد المطاب على أخيه عبد الرحمن ، السابق ذكره ، أسره معه ، ثم خلى سبيله بعد قتل أخيه .

توفى سنة سبع وأربعين وألف .

خلاصة الأثر ١/٢٦٦-٢٧١ ، سلافة العصر ٩٢-٩٩ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤٥٧ ، ٤٥٨ .

(١) في ا : « وله » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

(٣) تقدم ذكره في الترجمة السابقة . (٤) في ا : « أن » ، والمثبت في : ب ، ج .

فمتّع اللهُ به سائرَ أوِدّائِه [١] ، ونوّلهم بقاه إرْغاما لأعدائِه [٢] .

ثم انقضتْ دولةُ ابن عبد المطلب فانْهَشّ له الدهرُ وأراه وَجْها بَسِيطا، وساعفَه بُعَيْد ذلك التّوانى فحَباه عِطْفا نَشِيطا .

وراشَ حالَه ، وأعاد منه ماغيّره وأحالَه .

فما برِح فى حالٍ حالِيَة ، وأيّامُه من النّكَد خالِيَة .

إلى أن انْمَحى رسمُ عيشِه ودَثَر ، وانفَصم عِقْدُ أيامِه المنظوم وانْتَثَر .

واتفق تاريخُ وفاتِه صدر هذا البيت [٣] :

مَن شاء بعدَكَ فَلْيَمُتْ فعليكَ كنتُ أُحاذِرُ

***

وله شِعر كرَأْدِ [٤] الضُّحى فى التألّق ، وبهجةِ الرّوْض الأرِيض فى التأنُّقِ .

أثبَتُّ منه مابه الكتاب عَبِق ، وخاطرُ المُتَرنِّح [٥] به عَلِق .

فمنه قوله من داليّة مشهورة، مدح بها الشريفَ مسعود بن إدريس [٦] ، ومستهلها [٧] :

عُوجاَ قليلاً كذا عن أيْمَنِ الوادِى واستوقِفا العِيسَ لايحْدُو بها الحادِى [٨]

---

(١) فى ا : « أواديه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى ا : « أعاديه » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) هذا البيت للصولى فى رثاء ابن له ، ذكر ذلك الخفاجى ، فى ريحانة الألبا ١/٣٠٧ ، وخطأ صاحب المواهب اللدنية ، فى نسبته إلى غيره ، انظر مع الريحانة الزرقانى على المواهب ٨/٢٨٧ . (٤) رأد الضحى : ارتفاعه . (٥) فى ا : « المرنح » ، والمثبت فى . ب ، ج . (٦) الشريف مسعود بن إدريس بن الحسن بن أبى نمى الحسنى .

نشأ فى كفالة أبيه الشريف إدريس .

وولى مكة بعد السيد أحمد بن عبد المطلب ، سنة تسع وثلاثين وألف، وحمدت سيرته، ورخصت الأسعار .

ووقع فى زمنه السيل المشهور ، فقام بتنظيف البيت الحرام وعمارته .

توفى سنة أربعين وألف ، ودفن عند قبر أم المؤمنين خديجة رضى الله تعالى عنها .

خلاصة الأثر ٤/٣٦١، ٣٦٢ ، خلاصة الكلام ٧١ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤٠٥، ٤٢٦ـ ٤٢٩ .

(٧) قيلت هذه القصيدة سنة تسع وثلاثين وألف .

وهى فى : خلاصة الأثر ١/٢٦٧، ٢٦٨ ، سلافة العصر ٩٣ـ ٩٥ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤٣٠ـ ٤٣٢ ، ومطلعها والبيت الثامن منها ، والثانى والثلاثون ، فى السمط أيضا ٤/٤٥٨ .

(٨) فى خلاصة الأثر : « واستوقف العيس » .

وعَرِّجا بى على رَبْعٍ صحِبتُ به ... شَرْخَ الشَّبيبةِ فى أكْنافِ أجْيادِ[١]

واسْتَعْطِفا جِيرةً بالشِّعبِ قد نزلُوا ... أعلَى الكَثِيب فهُم غَيِّي وإرْشادِي[٢]

وسائِلاَ عن فؤادِي تبْلُغا أملِي ... إن التَّعلُّل يشْفِي غُلَّةَ الصَّادِي

واسْتَشفِعا تُشْفَعا نَسْألْكُمُ فعسَى ... يُقدِّر اللهُ إسْعافِي وإسْعادِي[٣]

وأجْمِلانى وحُطَّا عن قَلوصِكما ... فى سُوحِ مُرْدِى الأعادِى الضَّيْغَمِ العادِى[٤]

مسعودُ عينُ العُلَى المسعودُ طالِعُهُ ... قلبُ الكتيبةِ صدرُ الحَفْلِ والنَّادِى[٥]

رأسُ الملوكِ يمينُ المُلكِ ساعِدُهُ ... زَنْدُ المعالى جَبينُ الجَحْفلِ البادِى[٦]

شهمُ السُّراةِ الأُلَى سارتْ عَوارِفُهمْ ... شرقًا وغربًا بأغْوارٍ وأنْجادِ

تَرِدْ غِمارَ العُلَى فى سُوحِه وتَرِحْ ... أيْدِى الرَّكائِب من وَخْدٍ وإسْآدِ[٧]

فلا مُناخَ لنا فى غيرِ ساحتِه ... وجودُ كفَّيْه فيها رائِحٌ غادِى

يَعْشَوْشِبُ العِزُّ فى أكْنافِ عَقْوتِه ... ياحَبَّذا الشِّعبُ فى الدنيا لِمُرْتادِ[٨]

ونجْتنِى ثَمرَ الآمالِ يانِعَةً ... من رَوْضِ مَعْروفِهِ من قبل مِيعادِ

فأىُّ سُوحٍ يُرَى من بعد ساحتِه ... وأىُّ قصدٍ لمقصودٍ وقُصَّادِ[٩]

(١) فى خلاصة الأثر: «فى أكناف أجواد».

وأجواد: موضع بمكة يلى الصفا. معجم البلدان ١/١٣٨.

(٢) فى ج: «فهم عزى وإرشادى»، والمثبت فى: ا، ب، وخلاصة الأثر، والسلافة، والسمط.

(٣) فى ج: «تسألكم فعسى»، وفى خلاصة الأثر: «واستشفعا واسعفا سؤالكم فعسى»، وفى السلافة: «واستشفعا تشفعا تسآلكم فعسى»، والمثبت فى: ا، ب، والسمط.

(٤) فى السلافة: «وأجلا لى وحطا»، وفى السمط: «وأجلا بى وحطا»، وفى خلاصة الأثر: «فى سرح مردى الأعادى». (٥) فى السمط: «صدر الجحفل البادى». (٦) فى السمط: «وعين الملك»، وسقط منه «الجحفل البادى»، وقد اختلط بما فى عجز البيت السابق.

(٧) فى الأصل: «ترد خمار العلى»، وفى خلاصة الأثر: «فرد غمار العلى... وأرح»، وفى السلافة: «ترد عمار العلى»، وفى السمط: «ترد غمار العلى... وترح»، ولعل الصواب ما أثبته. وفى السلافة: «من وخد وإيساد». (٨) فى السمط: «يعشوشب العشب... يا حبذا العشب..»، وفى خلاصة الأثر: «فى أكناف ذروته».

والعقوة الساحة، وما حول الدار.

(٩) فى خلاصة الأثر، والسلافة، والسمط: «فأى سوح يرجى بعد ساحته».

لِيَهْنِ ذا المُلكَ أن أَلْبِسْتَ حُلّتَـــه     تُحْيِي مآثرَ آباءٍ وأجْـــدادِ (١)

لَبِسْتَها فـكَسَوْتَ الفخرَ مُرْسِلَها     مُشهَّراً يَبْهَر المصبوغَ بالجادِي (٢)

عَلَوْتَ بيتاً ففاخرْتَ النُّجــومَ علاً     والشُّهْبَ فَخْراً بأسبابٍ وأوْتادِ (٣)

ولُحْتَ بَدْراً بأُفْقِ المُلك تحسِده     شمسُ النهارِ وهـــذا حَرُّها بادِي

وصُنْتَ مكةَ إذْ طهّرتَ حَوْزَتَها     من ثُلّةٍ أهلِ تَثْليثٍ وإلْحادِ (٤)

قد غرَّ بعضَهم الإهمالُ يحسَبُه     عَفْواً فعاد لإتْلافٍ وإفْسادِ (٥)

فذُدْتَهم عن حِمَى البيتِ الحرامِ وهم     من السَّلاسلِ في أطْواقِ أجْيادِ

كأنهم عنـــد رَفْعِ الزَّنْدِ أيديَهم     يدْعُـــون حُبًّا لمولانا بإمْدادِ (٦)

وما ارْعَوَوْا فشَهرتَ السيفَ مُحتسِباً     ياَبَرْدَ حَرِّهِم في حَرِّ أكْبادِ (٧)

غادرْتَهم جَزَراً من كلِّ مُنْجَـــدِلٍ     كأن أثوابَه مُجّتْ بفِرْصادِ (٨)

سعَيْتَ سَعْياً جَنَيْنــا من خمائلِه     نَوْرَ الأمانِ لأرْواحٍ بأجْسادِ (٩)

فـكم بمكةَ من داعٍ ومُبْتَهِلٍ     ومن محبٍّ ومن مُثْنٍ ومن فادِي (١٠)

وعاد كلُّ عَصِيٍّ ذِلّةً وصَـــلَى     وكان من قبلُ صَعْباً غيرَ مُنْقادِ (١١)

---

(١) فى خلاصة الأثر : « إذا ألبست حلته » ، وفى السلافة ، والسمط : « يحي مآثر » .

(٢) فى السمط : « فـكسوت الفخر ملبسها » .

وثوب مشهر : يختال به صاحبه ويشهر به . والجادى : الزعفران .

(٣) فى خلاصة الأثر : « علوت فخرا » .          (٤) فى خلاصة الأثر : « أهل تغليب وإلحاد » .

(٥) فى السمط : « الإمهال يحسبه . . . فعادوا لإتلاف . . . » .

(٦) فى السلافة : «يدعون حيا» .     (٧) سقط من : ا : «وما ارعووا» ، وفى ج : «ومارعو» ثم سقط بقية شطر البيت ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر ، والسلافة ، والسمط .

(٨) فى خلاصة الأثر : « غادرتهم حرزا فى كل منجدل » .

والفرصاد : صبغ أحمر .

(٩) فى السمط : « سعيا جنيا من خمائله » .     (١٠) فى ج ، والسلافة : «ومن مثن ومن غادى» ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر ، والسمط.     (١١) رسم «وصلى» فى الأصول : « وصلا » .

وجاء البيت فى خلاصة الأثر :

وقُدْتَ كلَّ عَصِيٍّ ذلّةً وعَنًا     وكان من قبلُ صعباً غيرَ مُنْقادِ     =

نَفَى لَذِيذَ الكرى عنهم تذكُّرُهم ... وقائعاً لك بين الخَرْجِ والوادِي [1]

أباح سَرْحَك أن يرعى منازِلَهم ... مُهمّلا كلَّ مُعْوَجٍّ ومُنْآدِ [2]

مِن كلِّ أبيضَ قد صَلّتْ مَضاربُه ... لَمّا ترقّى خطيباً مِنْبرَ الهادِي [3]

وكلِّ أسمرَ نَظّـــامِ الطُّلاَ وله ... إلى العِدَى طَفْرةُ النَّظّامِ مَيّادِ [4]

وصانَ وَسْمَكَ فى حاشٍ مُخالطةً ... عن ربِّ غَزْوٍ تنضّاه بأحْشادِ [5]

وأسكنتْ قلبَهم رُعْباً تذكُّرُه ... يُنْسِى الشَّفُوقَ المُوالِىَ ذِكْرَ أولادِ [6]

أقبلْتَهم كُلَّ مِرْقالٍ وسابحةٍ ... يُسْرِعْنَ عَدْواً إلى الأعدا بأطْوادِ [7]

من كلِّ شهمٍ إلى العليـــاء مُنتسبٍ ... بسادةٍ قادةٍ للخيْـــلِ أجْوادِ [8]

---

= وجاء بعده فيه :

وعاد كلُّ شقيٍ صالحاً وغدتْ ... أيّامُنا بالهنـــا أيامَ أعْيادِ

ومكان هذا البيت فى السلافة قوله :

وعاد كلُّ عَصِيٍّ مُصْلَحًا وغدتْ ... أيامُنا بالهنا أيامَ أعيـــادِ

وقاد كلَّ قَصِيٍّ ذلّةً وهلا ... وكان من قبلُ صَعْباً غيرَ مُنقادِ

وورد البيت فى السمط على الطريقة التى ورد بها البيت الأول فى السلافة ، ومكان « عصى » فيه : « قصى » . ولم يرد فيها البيت الثانى ، وفى السمط خلط آخر ، فقد جاء عجز البيت المثبت فى الأصل عجزا للبيت التالى ، وعجز البيت التالى عجزا للبيت بعده ، وسقط منه عجز البيت الثالث .

(١) الخرج : واد فيه قرى من أرض اليمامة ، فى طريق مكة من البصرة . معجم البلدان ٢ / ٤١٩ .

(٢) لم يرد هذا البيت فى : خلاصة الأثر .

(٣) فى الأصول : « لما تلق خطيبا » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، والسلافة ، والسمط .

(٤) فى السلافة ، والسمط : « نظام الكلى » .

وهو يشير إلى النظام ومذهبه الكلامى ، وقد تقدمت الإشارة إليه كثيرا .

(٥) لم يرد هذا البيت فى خلاصة الأثر .

وفى ا : « وصاف وسمك » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة ، وفى السمط : « فى جأس مخالطه » ، وفى موضع آخر فيه : « فى جأش يخالطه » ، وفى ا ، ج : « فى حاش مخالطه » ، والمثبت فى : ب ، والسلافة ، وفى موضع من السمط : « عن رب عز » ، وفى الموضع الآخر رواية تتفق مع المثبت ، وفى السلافة : « تنضاه بإحساد » .

وتنضاه : هزله ، وهى فى معنى هزمه .

(٦) فى خلاصة الأثر ، والسلافة ، والسمط : « أسكنت » دون واو العطف .

(٧) المرقال : المسرعة .

(٨) فى السلافة خطأ : « إلى الأعداء منتسب » .

فهاكَ يا ابنَ رسولِ اللهِ مِدْحــةَ مَن ... أوْرَتْ قَرِيحتُه من بَعْدِ إخْمادِ
فأحْكمتْ فيك نظماً كلُّه غُرَرٌ ... ما أحْرزَت مثــلَه أقْيالُ بَغْدادِ
أضْحتْ قَوافِيــه والآمالُ تَسْرَحُها ... روضَ البديعِ لإرْصادٍ بمِرْصادِ (١)
ترْوِيه عـــنِّى الثُّريَّا وهْى هازئةٌ ... بالأصْمَعِىِّ وما يرْوِى وحَمَّــادِ
وتسْتحِثُّ مَطايَا الزَّهْرِ إن ركَدتْ ... كأنها إبلٌ يحْدُو بهـــا الحادِى
وتُوقِظُ الرَّكْبَ مِيلاً من خُمارِ كَرًى ... والليلُ من طَوْقِ تَدْآبِ السُّرَى هادِى (٢)
أتتْك تشْفَع إدْلالاً لِمُنشِئهـــا ... فاقْبلْ تدلُّلَهـــا يانَسْلَ أمْجادِ (٣)
وأسْبِلِ الصَّفْحَ سِــتْراً إن بَدا خَلَلٌ ... تَهتك به سِتْرَ أعْـــداءٍ وحُسَّادِ (٤)

***

وكتب إلى القاضى تاج الدين المالِكىّ (٥)، من الطائف (٦):

لا هاجَ قلباً هـــامَ مِنْ ... بُرَحِ التفَرُّقِ بانْصِداعِ (٧)
غَـــيْمٌ أرَقُّ حَواشِياً ... مِن بُرْدِ ضافِيةِ القِناعِ
زَجِلُ الرُّعودِ كأنهـــا ... نَغَماتُ آلاتِ السَّـــماعِ
والهَمْعُ مثلُ الدمعِ مِن ... عَيْنَىْ مُراءٍ أو مُراعِ (٨)
يَهْمِى ويسْـــكُن كى يعُمَّ ... بِرِيِّه شَعَفَ التِّـــلاعِ (٩)
والبرقُ يخْفِق مثــلَ قَلْـ ... ـبِ الصَّبِّ فى يومِ الوَداعِ

(١) فى السلافة: «والآمال يشرحها»، وفى السمط: «أضحت قوافيه والإحسان يشرحها ... روض بديع ...». (٢) فى السلافة، والسمط: «والليل من طول ...».
(٣) فى خلاصة الأثر: «أتتك تسأل إقبالا لمنشئها»، وفى السلافة: «أمتك تشفع ...».
(٤) فى الخلاصة، والسلافة: «وأسبل الستر صفحا إن بدا خلل»، وفى الخلاصة: «واهتك به»، وفى السمط: «ستر أعدائى وحسادى». (٥) تأتى ترجمته فى هذا الباب برقم ٢٧٨.
(٦) القصيدة فى: خلاصة الأثر ١/٢٦٩، عدا الأبيات الأربعة الأخيرة، سلافة العصر ٩٥، ٩٦.
(٧) فى السلافة: «برح الفراق بالانصداع». (٨) فى ا: «والدمع مثل الدمع»، والمثبت فى: ب، ج، وخلاصة الأثر، والسلافة. (٩) فى خلاصة الأثر، والسلافة: «سعف التلاع».
والشعفة: رأس الجبل.

وَنَسِيمُهُ قد رَقَّ مِن حَرِّ اشْتِياقِ والْتِياعِ

لِفِراقِ تـاجِ الدِّين ما ضِي الأمْرِ قاضِينا المُطاعِ

مَن جُمِّعَتْ فيه العُلَى وتوفَّرتْ فيه الدَّواعِي

ذِي الفضـل بالمعنَى الأَعَمِّ م ولا أَخُـصُّ ولا أُراعِي

سبقتْ أناملُه الأنـا مَ فأحْرَزَتْ قَصَبَ اليَرَاعِ

لَجلَتْ إذْ فاتحتْهُ التَّرْسيلَ من سوءِ اصْطِناعِي [(١)]

مَن ذا يُبارِي ذَا البَيا نِ براقِمٍ ويَدٍ صَناعِ [(٢)]

إذْ حـاكَ وَشْيًا لا يحُو كُ بالابْتـكارِ والاخْتِراعِ [(٣)]

لا زال محمودَ الخِصـا لِ ودام مشـكورَ المَساعِي

فإلَيْـكها ابْنـةَ خاطرٍ أَصْفَى من الذهب المُماعِ

تزْهُـو على دُرِّ النُّحو رِ وتزْدرِي وَدَعَ الوَداعِي

وعلى شهابِ الدِّين مَن يهْوى النُّزوعَ إلى النِّزاعِ [(٤)]

مِنِّي تحيَّـةِ شَيِّقٍ مَزجَ الخلاعةَ بالخِـلاعِ

* * *

فراجعه بقوله [(٥)]:

إنْ همَّ قلبُك صِينَ مِن بُرَحِ الفِراق بالانْصِداعِ [(٦)]

فالقلبُ قد غادرتُه شَـذَرًا بمُعْتَرَكِ الوَداعِ

---

(١) لم يرد هذا البيت في : خلاصة الأثر ، وسقط من ا : «لجلت» ، وهو في: ب ، ج، والسلافة .

(٢) في السلافة : « ذا لسان راقم » ، وفي الخلاصة : « ذا البنان براقم ويدى ضباع » .

(٣) في الخلاصة : « إذحاك وشي ما يحوك » . (٤) في ب ، ج : « إلى نزاع » ، وفي السلافة : « إلى نزاعي » . (٥) القصيدة في : خلاصة الأثر ١/٢٦٩ ، ٢٧٠ ، وسلافة العصر ٩٦، ٩٧ .

(٦) صدر البيت في خلاصة الأثر : « إن كان قلبك صيب من » .

إذ هاجَكَ الزَّجِلُ الرَّعُو ... دُ سُرَى وأصبح فى انْدِفاعِ[1]

وسمعت من نَغَماتِهِ ... رَنّاتِ آلاتِ السَّماعِ

فلقد رحلْتُ بمُقْلةٍ ... عَمْيا وسَمْعٍ غيرِ واعِي

ولئن يكُنْ رَقَّ النَّسِيـ ... ـمُ بما تُجِنُّ من التِّياعِ[2]

فبِزَفْرَتِي اشْتَعَلَ الهوَا ... ءُ من العَنانِ إلى اليَفاعِ[3]

كم قلتُ للقلبِ المُصَدَّ ... عِ بالنَّوَى جُدْ بارْتجاعِ

فأحالَ ذاكَ على انْتِظا ... مِ الشَّمْلِ فى سِلْكِ اجْتِماعِ

عهدِى به لمّا أنِ انْـ ... ـتولَّتْ عليه يدُ الضَّياعِ

أضْلَلْتُهُ فى موقفِ التَّـ ... ـودِيعِ من دَهَشٍ ارْتياعِي

ناشدْتُكم نُشْدانَه ... لِى بين هاتِيك الرِّباعِ

تحت المَواطئ مِن مَمَرِّ ... مِ صَديقِيَ الخِلِّ المُراعِي

ياسَيِّدى وأخِى هوًى ... وجَلالةً وبَدِى وباعِي[4]

مَن أصبحتْ شمسُ العُلَى ... بسَناه ساطعةَ الشُّعاعِ

فخرُ القضاةِ وفَيْصلُ الْـ ... أحكامِ فى يوم التَّداعِي

بحرُ العلوم فإنْ أفا ... دَ ترَى له سَعةَ اطِّلاعِ

قُل للمُحاوِلِ شأْوَه ... قَصِّرْ خُطَى هَذِى المَساعِي

فانْظُر لمِرآةِ الزَّما ... نِ وقد غدتْ ذاتَ اتِّساعِ

لا غيرَ صورةِ مَجْدِهِ ... فيها تَراه ذَا انْطِباعِ

---

(١) فى خلاصة الأثر : « أو هاجكم زجل الرعود » .

(٢) فى خلاصة الأثر : « بما يجن من التياع » . (٣) فى ج : « اشتعل الهوا » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر ، والسلافة ، وفى خلاصة الأثر : « من العنان إلى البقاع » .

واليفاع : كل ما ارتفع من الأرض .

(٤) فى السلافة : « وجلاله وأخى وباعى » .

يا مُحْرِزاً ببنـانِهِ قَصَبَ السِّباقِ بلا دفاعِ[1]
ومُوَشِّياً حِـبَرَ البلا غةِ والبراعةِ باليَراعِ[2]
أَنَّى يُحـاكَى وَشْيُها بحِياكتِي ذاتِ الرِّقاعِ
كان الحرِيُّ بهـا اشْتِما لِي ثوبَ صَمْتِي وادِّراعِي[3]
لكنْ أمرْتَ بأنْ أجيـ ـبَكَ وامتثالُ الأمْرِ داعِي
فأتَتْكَ من خَجَـلٍ تجرُّ م الذَّيْلَ مُرْخِيـةَ القِناعِ
فانْشُرْ لها سِتْرَ الرِّضا الْـ ـمنسوجَ من كَرَمِ الطِّباعِ
لا زالَ مجـدُكَ كلَّ وَقْـ ـتٍ فى ازْديادٍ وارْتفاعِ[4]

***

وكتب يستدعِي جماعةً من الفضلاء، وهم بجبـل النُّور من المَلاة، وهو بمِـنًى[5]:

عليكمُ مِن مُحِبٍّ حَشْوُ أَضْلُعِهِ وُدٌّ أرَقُّ إلى الظَّامِى من النُّطَفِ
تحيةٌ يرْتضيها الفضلُ إن نفحتْ أرْبَتْ على نَفَحاتِ الرَّوضةِ الأُنُفِ
حَواكمُ الجبلُ العالِى بكم شَرَفاً على المَعالِى التى تعلُو على الشَّرَفِ
نُظِمْتُمُ فيه نَظْمَ العِقْدِ مُتَّسِقاً على تَليلٍ كَعابٍ ظاهِرِ التَّرَفِ[6]
وغادرتْ عقدَكم أيْدِى مُؤلِّفِهِ مُكبَّلا وحدَه فى رِبْقةِ الصَّدَفِ[7]
مِنًى هى الصَّدَفُ المُومَى إليه مُنًى للنفسِ فيها وفى أفْنائها الوُرُفِ
ولا أنيسَ له إلّا مُماثِلُكم على ثَبِيرٍ جميلِ السَّفْحِ والشَّعَفِ[8]

---

(١) فى السلافة: «يا محرزا ببيانه». (٢) فى السلافة: «والبراعة بالبراع».
(٣) فى خلاصة الأثر: «اشتمالى صوب سمتى». (٤) فى خلاصة الأثر: «لازال مجدك كل حين».
(٥) القصيدة فى: سلافة العصر ٩٥. (٦) التليل: العنق. (٧) فى الأصول: «أيدى مؤلفة»، والمثبت فى السلافة. (٨) فى السلافة: «على بثين جبل السفح والسعف».

يُجيبُنى بصَدَى صَـــوتى فأرفعه ... مِن قِلّةِ الإلفِ لا مِن كثرةِ الشَّغَفِ[١]

فهل وَفِىٌّ مِن الخِـــلّان يُسْعِدُنِى ... فى الفجر أو بعد ما صُلِّى مع الحَنَفى

يُجيبنى أو يُجيب الغَيْرَ عنه وما ... يُجيبُنى غيرُ مُحْيِى الدِّين أو شَرَفِ[٢]

كُفوانِ يرْضاهما الإحسانُ إن نَطَقَا ... أو أرْعَفَ الدَّنُّ للأقلامِ فى الصُّحُفِ[٣]

***

ومن بديع نَظْمه ، ما كتبه فى ديوان قصر ابن عقُبة ، فى قرية السَّلامة[٤] ، من أعمال الطائف ، وهى قصيدة فريدة ، لا يحضرنى منها إلّا قوله[٥] :

قصرَ ابنِ عقُبْةَ لا زالتْ مواصِلَةً ... منى إليك التَّحايَا نَسْمــةُ السَّحَرِ

ولا عدَتْك غَوادِى السُّحْبِ تَسحب فى ... رِحابِك الفِيح ذَيْلَ الطَّلِّ والمَطَرِ[٦]

كم لَذَّةٍ فيــك أرضيْتُ الغرامَ بها ... يوماً وأرْغَمْتُ أنْفَ الشمسِ والقمرِ

وكم صديقٍ من الخِلّانِ حاوَرَنِى ... أطْرافَ أخبارِ أهلِ الكُتْبِ والسِّيَرِ

***

ويُعجبنى[٧] من شــعره قولُه فى مطلع قصيدة مدح بهـا السيد شَهوان[٨] ابن مسعود ، وهو :

---

(١) فى السلافة : « أو من كثرة الشغف » . (٢) فى السلافة : « أو يجيب الضير عنـه » . ويعنى بـ « شرف » شرف الدين . (٣) فى السلافة : « أو أرعفا لدن الأقلام فى الصحف » .

(٤) السلامة : قرية من قرى الطائف ، بها مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم ، وفى جانبه قبة فيها قبر ابن عباس ، وجماعة من أولاده ، ومشهد للصحابة رضى الله عنهم . معجم البلدان ٣/١١٣ .

(٥) هذا قول ابن معصوم فى السلافة ، والمصنف ينقل عنه .
والأبيات فى : خلاصة الأثر ١/٢٧١ ، سلافة العصر ٩٧ ، ٩٨ .

(٦) فى خلاصة الأثر : « غوادى السحب تسحبه » ، وفى ا : « ذيل الذل والمطر » ، وفى ب ، ج ، والسلافة : « ذيل الظل والمطر » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(٧) هذا قول ابن معصوم أيضا ، فى السلافة ٩٩ ، وهو فى خلاصة الأثر ١/٢٧١ .

(٨) فى السلافة : « شهران » .

فَيْرُوزجٌ أو وِشَـــامُ الغَادَةِ الرُّودِ يبْدُو على سِمْطِ دُرٍّ منه مَنْضُودِ[(١)]

وأعجب منها مَخْلَصُها ، وهو :

صَهْباء تَفْعلُ بالألْبابِ سَوْرَتُها فِعْلَ السَّخاء بشَهْوانِ بن مسعودِ[(٢)]

* * *

ومن شعره قولُه فى البُرْقع الشَّرقىّ ، المعروف عند أهل اليمن[(٣)] :

وخَوْدٍ كبدرِ التَّمِّ فى جُنْحِ مِصْوَنٍ حَماها عن الأبْصارِ بُرْقُعها الشَّرْقِى[(٤)]

سِوَى طُرَّةٍ مثْـــلِ الهلالِ بَدَتْ لنا على شَفَقٍ والفَرْقُ كالفجرِ فى الأُفْقِ[(٥)]

فقلتُ هـــلالٌ لاحَ والفجرُ طالعٌ من الغربِ أمْ لاحَ الهلالُ من الشَّرْقِ[(٦)]

* * *

وقوله فى مثل ذلك[(٧)] :

بالبُرْقِـــعِ الشرقىِّ تَحْـ ـتَ المصْوَنِ الباهى الجمالْ

أَبْدَتْ لنـــا شَفقًا وكَيْـ ـلاَّ لاحَ بينهما الهـــلالْ

* * *

وقال معللاً تسمية القدَحِ قدحًا[(٨)] :

مُذْ صَبَّ ساقينـــا الطِّلَا حتى تناثَر وانتضَـــحْ[(٩)]

---

(١) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « أو وشام » ، وفى ا : « على السمط در » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، والسلافة. (٢) فى السلافة : « بشهران بن مسعود ».

(٣) فى السلافة : « الحجاز ».

الأبيات فى : خلاصة الأثر ١/٢٧١ ، سلافة العصر ٩٨.

(٤) هكذا فى الأصول : « فى جنح مصون ».

(٥) فى الأصول : « سرى طرة » ، وفى خلاصة الأثر : « ترى طرة » ، والمثبت فى : السلافة ، وفى ب: «بدالنا» والمثبت فى: ا ، ج، وخلاصة الأثر، والسلافة. (٦) فى الخلاصة : «والبدر طالع».

ويعنى : « الشرق » مطلع الشمس ، والبرقع الشرقى.

(٧) البيتان فى: خلاصة الأثر ١/٢٧١ ، سلافة العصر ٩٨، ٩٩. (٨) خلاصة الأثر ١/٢٧١، سلافة العصر ٩٨. (٩) فى السلافة : « حتى تناثر واتضح ».

خـــالوا شَراراً ما رأَوْا     فلأَجْـــلِ ذا قالوا قَدَحْ

***

وله فى صُوفيّة عصره (١) :

صُوفيّةُ العصرِ والأوانِ     صُوفِيّةُ العَصْرِ والأوانى

فاقُوا على فعلِ قومِ لُوطٍ     بنَقْرِزانٍ لِنَقْرِزانِ (٢)

***

وله ، وهو معنى مُبْتكَر (٣) :

ألا انْظُر إلى هـــذا الصَّفاءِ لبِرْكَةٍ     تقول لِمَن قد غاب عنها من الصَّحْبِ

لَئِن غبْتَ عن عيني وكدَّرْتَ مَشْرَبِي     تأمَّلْ تجِدْ تِمْثالَ شَخْصِك فى قَلْبِي



(١) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٢٧١ ، سلافة العصر ٩٨ .     (٢) « نقرزان » الأولى مؤلفة من « نقر » ، و « زان » وهو الزانى ، والثانية : الآلة الموسيقية .     (٣) هذا قول ابن معصوم أيضا . والبيتان فى سلافة العصر ٩٥ .

# ٢٧٧

## حَنيف الدِّين بن عبد الرحمن*

المُنيف فى دَوحة النُّبل فَرْعُه ، الحَنيف فى مِلّة الفضل شَرْعُه .

قام مَقام أبيه بعده ، فصدَق فيه الدهرُ وَعْدَه .

بمَرْأًى كالصباح إذا وضَح ، ووَجْهٍ لو قابلَه البدرُ فى تمّه افتَضح .

وفكرٍ أسرعَ فى تدبُّر الأشياء من الوَهْم ، ورأيٍ يفعل عَزْمُه الشَّهمُ مالا يفعله السَّهْم .

فاستقرَّ فى مركز أبيه مُكمِّلا لكمالاته ، وهو بدرُ سمائه ومِن عادة البدر أن لا يخرج عن هالاتِه .

فلم تنطق الأفْواهُ بمدحه إلا وقفتْ وفيه كثرة الفكر ، واستَبقت السُّراة إلى سُؤددٍ إلّا تناهت وله مُحكَم الذِّكْر .

وهو فى الفضل ،

تجاوَز قَدْرَ المدح حتى كأنه ... بأحْسنِ ما يُثْنَى عليه يُعابُ

---

(*) حنيف الدين بن عبد الرحمن بن عيسى المرشدى العمرى الحنفى المكى .

مفتى الحنفية بالديار الحجازية .

ولد بمكة ، سنة أربع عشرة بعد الألف .

وكان دينا ، عفيفا ، ملازما للعبادة .

أخذ عن والده ، وعبد العزيز الزمزمى ، وأبى العباس المقرى ، وعبد الرحمن الخيارى ، وخالد المالكى ، وغيرهم .

ولى بعد والده خطابة الجمعة بالمسجد الحرام ، والتدريس خلف مقام الحنفية ، وتدريس مدرسة محمد باشا ، ثم ولى الإفتاء السلطانى بالديار الحجازية ، سنة أربع وأربعين وألف .

وصنف عدة كتب ، منها : شرح « مناسك الوسيط » المنلاعلى ، و « بغية السالك فيما يتعلق بآداب السفر وأدعية المناسك » ، و « شفاء الصدر ببيان ليلة القدر » .

توفى سنة سبع وستين وألف بالمدينة ، ودفن ببقيع الغرقد .

خلاصة الأثر ٢/١٢٦ - ١٢٨ ، سلافة العصر ٩٩ - ١٠٥ .

وفى الأدب ،

تبوَّأ أسْمَى منزلٍ فازْدهَتْ به ... هضابٌ تسامَتْ للعُلَى وشِعابُ

***

وله أشعار بحبر الرِّقَّة مُوَشَّاة ، كأن صحائفها بنقوش الزَّبَرْجَد مُحَشَّاة .

فمنها قوله ، مراجعا عن لسان أبيه لبعض الأدباء [1] :

تبدَّى لنا بَرْقٌ بأُفْقِ رُبَا نَجْدِ ... فأذْكَرنِى عَهْداً وناهِيكَ من عهدِ

وهَيَّجَنِى شوقاً وزاد بِىَ الأسَى ... وأضْرَم لى نارَ الصَّبابةِ والوجْدِ [2]

وجدَّد لى ذِكرَ الليالى التى خَلَتْ ... وطِيبَ زمانٍ بالحِمَى طَيِّبِ الوِرْدِ

زماناً جلاَ ذو الحسن شمْسَ جمالِهِ ... علينا فشاهدْنا به الشمسَ فى بُرْدِ [3]

وأبدَتْ لنا ذاتُ الجمال جَبِينَهَا ... فأخْجَل بدرَ الأُفْقِ فى طالِعِ السَّعْدِ

هى الروضُ تبدو للأنام بوَجْهِها ... فتقطفُ زهرَ الوردِ من خَدِّها الوردِى

وفاح لنا نَشْرُ الخُزامَى بروضةٍ ... شَدَتْ وُرْقُها شوقاً على الأغْصُنِ المُلْدِ

تغنَّتْ على غصنِ الأَراكِ بمَدْحِ مَنْ ... علا قَدْرُه السامِى على ذِرْوةِ المجدِ

كمالُ قُضاةِ المسلمين إمامُهم ... ومُوضِحُ مِنْهاجِ الرَّشادِ لِذِى الرُّشْدِ [4]

عليه مَدى الأيام مِنِّى تحيَّةٌ ... تفُوق فَتِيتَ المِسْكِ والعُودِ والنَّدِّ

***

وقال فى مثل هذا الغرض [5] :

---

(١) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٢/١٢٧ ، سلافة العصر ١٠٣ ، ١٠٤ . (٢) فى خلاصة الأثر : « وأضرم بى » .

(٣) فى السلافة : «فشاهدنا به الشمس فى البرد» . (٤) فى الأصول ، والخلاصة : «لدى الرشد» ، والمثبت فى السلافة . (٥) القصيدة فى: خلاصة الأثر ٢/١٢٧، ١٢٨ ، سلافة العصر ١٠٤، ١٠٥ . ومكان « الغرض » فى السلافة « المعرض » .

غنّتِ الوُرْقُ فى المَسا والبُكورِ ساجِعاتٍ على غُصونِ الزهورِ

وتبـــدَّتْ من كِلّةِ الحُسْنِ خَوْدٌ تُخْجِلُ الشمسَ مَعْ سَناء البدورِ (١)

قد تحلَّتْ من الجمـــالِ بِعِقْدٍ جَلَّ فى الحُسْنِ والبَها عن نَظِيرِ (٢)

فاقتطفْنا من خَـــدِّها زَهْرَ وَرْدٍ فاق نَشْرَ النِّسْرِينِ والمَنْثُورِ (٣)

وارْتَشَفْنا من ثَغْرِها العَــذْبِ شُهْداً فانْتَشَوْنا لا نَشْوَةَ المخمورِ (٤)

برّدتْ بالوِصالِ قلبَ كئيبٍ كان فيــــه للهجرِ نارُ السّعيرِ

يالَها عَـــذْبةَ الثّنايا رَداحاً قد تبــدَّتْ فى زِيِّ ظَبْيٍ غَريرِ (٥)

قد أتتْنا من عالِمِ العصرِ مَوْلًى قد تَسامَى على السُّهـــا والأثيرِ

قـــد أتانى مولاىَ منك كتابٌ ذُو نظامٍ حكى عُقـــودَ النُّحُورِ

ففَضضْتُ الختامَ عن كَنْزِ عِــلْمٍ حاز منـــه الغِناء كلُّ فقيرِ (٦)

فتأمّلتُ فى رياضِ حِمـــاهُ وتنسَّمْتُ مابه من عَبيرِ (٧)

فبـــدا نَظْمُ طِرْسِهِ مع نَثْرٍ ذِى بَيانٍ فسُرَّ منه ضَميرى (٨)

دُمْتَ يا أوْحَـــدَ الزمانِ فريداً فى أمانٍ بحِفْظِ ربٍّ خَبيرِ

***

ومن بديع شعره قوله (٩) :

أُمسى وأُصبح من تَذْكارِكم وَصِباً يرْثِى له المُشْفِقان الأهـــلُ والولدُ

---

(١) فى السلافة : « وتبدت فى كلة الحسن » .
والخود : المرأة الشابة الناعمة .

(٢) فى ب : « قد تجلت » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٣) فى السلافة : « واقتطفنا » .

(٤) كذا فى الأصول ، والخلاصة ، والسلافة : « فانتشونا » .

(٥) الرداح : الثقيلة الأوراك .

(٦) « الغناء » بمدود « الغنى » .

(٧) فى السلافة ، والخلاصة : « وتأملت » .

(٨) فى السلافة : « مذ بدا نظم طرسه » .

(٩) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٢/١٢٨ ، سلافة العصر ١٠٣ .

قد خدَّد الدمعُ خدِّى من تذكُّرِكمْ ... واعتادَنِى المُضْنِيانِ الوجدُ والكَمَدُ[١]

وغاب عن مُقْلتِى نومِى لغَيْبتِكم ... وخانَنِى المُسْعِدانِ الصبرُ والجَلَدُ

لا غَرْوَ للدمعِ أن تجرى غواربُه ... وتحته المُظْلِمانِ القلبُ والكَبِدُ

كأنمــا مُهْجتى شِلْوٌ بمَسْبَعةٍ ... ينْتابُها الضَّارِيانِ الذئبُ والأسدُ

لم يبْقَ غيرُ خَفِيِّ الرُّوحِ فى جسدِى ... فِدًى لك الباقيانِ الرُّوحُ والجسدُ

❁



(١) فى ا : «قد خرد الدمع» ، وفى السلافة : «قد حدد الدمع» ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر.

# ٢٧٨

## القاضي تاج الدين المالكي *

إمامُ الحرمَيْن وقاضيهما الفاضِل ، ولَوْذَعِيّ خلّهما الذى سلّم له المُناظِر والمُناضِل .

فشرَفُه على سَمْك السِّماك (١) مكان ، ومجدُه كعبةُ أخلاقِهِ لها أركان .

وقد زيّن مُدّةً مَراقِي المنابر ، وأمدّ الفضلا بخُطَبه التى تنافستْ فى نَسْخِها الأقلامُ والمَحابر .

***

وهو فى الإنشاء تاجُ رأسِ أهلِهِ ، والمُقدَّم فيهم وإن كان جاء على مَهلِه .

فالصاحبُ على ذِكْره مَحْشور ، وكأن الصّابِي من طِيب نَشْرِه مَنْشور .

وأما البديعُ فلو أدْركه لكان بمَنْزلةِ غُلامه ، وعبدُ الحميد لو عاصَره لكان بارِياً لأقْلامه .

وآثار أقلامِهِ حِلْيةُ الآدابِ العَواطِل ، إذا ذُكِرتْ كاثَرت السحبَ الهَواطل .

وقد وقفتُ على رسائله التّاجِيّة فرأيتُ اللفظَ المُعجِب ، والقولَ المُنْجِب .

وشاهدتُ الفضلَ عِياناً ، وعاينْتُ التاجَ قد نُثِر عِقْياناً .

***

---

(*) تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم المالكى المدنى ، ثم المكى ، ويعرف بابن يعقوب .

ولد بمكة ، وبها نشأ ، وأخذ عن أكابر شيوخ عصره ، مثل العلامة : عبد القادر الطبرى ، وعبد الملك العصامى ، وخالد المالكى ، وغيرهم ، وأجازه عامة شيوخه .

وتصدر للتدريس بالمسجد الحرام ، وكان بمكة من صدور الخطباء والمدرسين ، ومن أكابر العلماء المحققين .

وكان إمام الإنشاء فى عصره ، وله ديوان إنشاء ، ومجموع فى خطب الجمع والعيد والاستسقاء ، وله فتاوى فقهية جمعها ولده أحمد فى مجموع سماه « تاج الجاميم » ، وله مصنفات فى علوم شتى .

توفى بمكة ، سنة ست وستين وألف .

حديقة الأفراح ٤٤ ، ٤٥ ، خلاصة الأثر ١/٤٥٧ ــ ٤٦٤ ، سلافة العصر ١٣٣ ــ ١٥٨ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤٠٧ ــ ٤٠٩ ، ٤١٤ ــ ٤١٦ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ .

(١) السماك : أحد نجمين نيرين ، يقال لأحدهما الأعزل ، وللآخر الرامح .

وأما نَظْمُه فقد نظَم في لَبَّةِ الإحسان منه [1] عِقْدا ، كاد يتميَّز عليه سِمْطُ الثُّرَيَّا غَيْظا وحِقْدا .

وقد جئتُك من بدائعه بما أشرقَ بدرُه في مطالِع تِمِّه ، وأخذتْ أطرافُه بأجلِّ الحُسْنِ وأتمِّه .

فمنه قوله من داليَّة [2] عارضَ بها داليَّة [2] أحمد المُرْشِدِيّ التي ذكرتها [3] ، وسيأتي مُعارضة ثالثة [4] لها ، في ترجمة محمد بن حَكِيم المُلْك [5] .

وصاحب الترجمة مدح بقصيدته الشريف مسعوداً [6] أيضا ، ومطلعها [7] :

| | |
|---|---|
| غُذِيتُ دَرَّ الصِّبـــا مِن قبلِ مِيلادِي | فلِمْ تَرُمْ ياعَذُولِي فيه إرْشادِي [8] |
| غَيُّ التَّصابِي رَشادٌ والعَذابُ به | عَذْبٌ لداءٍ كبَرْدِ الماءِ للصَّادِي [9] |
| وعاذِلُ الصَّبِّ في شَرْعِ الهوى حَرِجٌ | يرومُ تبديلَ إصلاحٍ بإفْسادِ |
| ليت المَــذُولَ حوَى قلبي فيعذِرُني | أوليتَ قلبَ عَذُولِي بين أكْبادِي |
| لو شام بَرْقَ الثَّنايا والتَّثَنِّيَ مِن | تلك القُدودِ انْثَنَى عِطفاً لإسْعادِي [10] |
| ولو درَى هادِيَ الجَيْداء كان درَى | أن اشتياقَ الهُدَى من ذلك الهادِي [11] |
| كم بات عِقْداً عليــه ساعِدِي ويَدِي | نطاقُ مُجتمَعِ المَخْفِيِّ والبادِي [12] |
| إذْ أعْيُنُ العِينِ لا تنفكُّ ظامِئةً | لوِرْدِ ماءِ شَبابي دون أنْدادِي [13] |

(١) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٢) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

(٣) تقدمت في ترجمته رقم ٢٧٦ من هذا الجزء . (٤) في الأصول : « ثلاثة » ، ولعل الصواب ما أثبته

(٥) تأتي ترجمته في هذا الباب ، برقم ٣١١ . (٦) تقدم التعريف به في ترجمة أحمد المرشدي من هذا الجزء .

(٧) القصيدة في : خلاصة الأثر ١/٤٥٨ – ٤٦٠ ، سلافة العصر ١٥٢ – ١٥٤ ، سمط النجوم العوالي ٤/٤٣٢ – ٤٣٤ . (٨) في الخلاصة ، والسلافة ، والسمط : « غذيت در التصابي ... فلا ترم .. » ، وهو الأولى

(٩) في ب : « عذب لدائي » ، وفي الخلاصة والسلافة ، والسمط : « عذب لدى كبرد الماء » ، والمثبت في : ا ، ج .

(١٠) في خلاصة الأثر : « تلك القدود ثني » ، وفي السلافة ، والسمط : « تلك القدود انثني » ، وفي السلافة والسمط : « لإسعاد » . (١١) في الخلاصة ، والسلافة ، والسمط : « ولو رأى هادي الجيداء » .

(١٢) في السمط : « نطاق مجتمعي » . (١٣) في السلافة : « دون أورادي » .

فيازمانَ الصِّبا حُيِّيتَ من زمنٍ ... أوْقاتُه لم نُرَعْ فيهـــا بأنْـكادِ

ويا أحِبَّتَنا رَوَّى معاهِـــدَكم ... من العِهادِ هَتُونٌ رائحٌ غادِ

مَعاهداً كُنَّ مُصْطافِي ومُرْتَبَعِي ... وكم بها طال بل كم طاب تَرْدادِي (١)

ياراحِلين وقلبي إثْرُ ظُعْنِهِمُ ... ونازِحين وهم ذِكْرِي وأوْرادِي

إن تطلبُوا شرحَ ماأيْدِي النَّوَى صنَعتْ ... بمُغْرَمٍ حِلْفِ إيحاشٍ وإيجادِ (٢)

فقابِلُوا الرِّيحَ إن هبَّتْ شآمِيةً ... تَرْوِى حَدِيثى لكم مَوْصولَ إسْنادِ

وَالَهْفَ نفسِى على مَغْنًى به سلَفتْ ... ساعاتُ أُنْسٍ لنا كانتْ كأعيادِ (٣)

كأنهـــا وأدام اللهُ مُشْبِهَهــا ... أيامُ دولةِ صدرِ الدَّسْتِ والنَّادِي

ذو الجود مسعودٌ المسعودُ طالِعُه ... لا زال فى بُرْجِ إقْبالٍ وإسْعادِ

عادتْ بدولتِـــه الأيامُ مُشرِقةً ... تهزُّ مُختالةً أعْطافَ ميَّادِ (٤)

وقلَّد المُلْكَ لمَّا أن تقـــلَّده ... فخراً على مرِّ أزمانٍ وآبادِ

وقام باللهِ فى تدْبيرِه فغَــدَا ... مُوَفَّقاً حالَ إصْــدارٍ وإيرادِ

حَقٌّ لك الحمدُ بعد اللهِ مُفْتَرَضٌ ... فى كلِّ آونةٍ من كلِّ حَمَّادِ

أنقذتَهم من يدِ الأعداءِ مُتَّخِذاً ... عنـــد الإلٰهِ يداً فيهم بإنْجادِ

دارَكْتَهم سُهَّداً رَمْقَى فعادَ لهم ... غُمْضٌ لجَفْنٍ وأرواحٌ لأجسادِ

بُشْراكَ يادهرُ حازَ المُلْكَ كافلُه ... بُشْراكَ يادهرُ أُخْرَى بِشْرُها بادِ

عادت نجــومُ بنى الزَّهْراء لا أفلَتْ ... بعَوْدةِ الدولةِ الزَّهْــرَا لمُعتادِ

واخْضَلَّ رَوْضُ الأمانى حين أصبحتِ الْ ... أجْوادُ عِقْــداً على أجْيادِ أجْيادِ (٥)

---

(١) فى السلافة : «وكم بها طال كم قد طاب ترداى» . (٢) فى الأصول: «حلف إيحاش وإيجاد»، وفى السلافة : « حلف إيحاش وإيجاد » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، وسمط النجوم العوالى .

(٣) فى ا : «والهف نفسى على معنى» ، وفى ج : «على مضنى» ، والمثبت فى: ب ، والخلاصة، والسلافة.

(٤) فى السلافة : « تهتز مختالة » .

(٥) فى السلافة : « على الأجياد أجياد » ، وفى السمط : « على جياد جياد » .

وأجياد : موضع بمكة يلى الصفا . سبقت الإشارة إليه .

وأصبح الدِّينُ والدنيا وأهلُهما ... في حِفْظِ مَلْكٍ لظلِّ العدلِ مَدَّادِ (١)

يُبيحُ هامَ الأعادِي مِن صَوارِمِه ... مااستحْصدتْ بالتَّعاصِي كلَّ حَصَّادِ (٢)

فيهم أيادِي أيادِيهِ ونائـلُه ... على الورَى أصبحتْ أطواقَ أجْيادِ (٣)

بَذْلُ الرَّغائبِ لا يعتـدُّه كرماً ... مالم يكنْ غيرَ مَسْبوقٍ بميعادِ

والعَفْوُ عن قُدْرةٍ أشهَى لِمُهْجتِه ... صِيتتْ وأشْفَى من استيفاءِ إبعادِ (٤)

مَآثِرٌ كالدَّرارِي رِفعـةً وسَناً ... وكَثْرةً فهي لا تُحْصَى بعَدَّادِ (٥)

فأنتَ مِن مَعْشرٍ إن غارةٌ عَرضتْ ... خَفُّوا إليها وفي النادِي كأطْوادِ

كم هَجْمةٍ لك والأبطالُ مُحْجِمَةٌ ... ووقفةٍ أوْقفتْ لَيْثَ الشَّرى العادِي

بكلِّ أبيضَ مَعْضُودٍ لمُضْطَهِدٍ ... وللمَرائِرِ والمُرَّانِ قَصَّـادِ (٦)

وكلِّ مُجتمِـعِ الأطْرافِ مُعْتـدلٍ ... لَدْنٍ لِعِرْقِ نَجِيعِ القِرْنِ فَصَّادِ (٧)

فَخْرَ الملوكِ الأُلَى فَخْرُ الزمانِ بهم ... دُمْ حائزاً مُلْكَ آباءٍ وأجدادِ (٨)

ولْيَهْنِ حُلَّتَـهُ إذْ رُحْتَ لابِسَها ... أن أصبحتْ خيرَ أثوابٍ وأبْرادِ (٩)

واستَجْلِ أبْكارَ أفكارٍ مُخدَّرةٍ ... قد طال تَعنِيسُها مِن فَقْدِ أندادِ (١٠)

كم رُدَّ خُطَّابُها حتى رأتْكَ وقد ... أتتْكَ خاطبـةً يانَسْلَ أمجادِ (١١)

---

(١) في خلاصة الأثر : « في ظل ملك » ، وفي السلافة : « لظل العدل عداد » .

(٢) في السمط : « ما استحصدت بالتقاضي . . » . (٣) في الخلاصة : « فهم أيادي أياديه » ، وفي السلافة ، والسمط : « شهم أيادي أياديه » ، وهي رواية حسنة . (٤) في الأصول : « من استيفاء ميعاد » ، وفي السلافة : « من استيفذا أبعاد » ، والمثبت في : الخلاصة ، والسمط .

(٥) في خلاصة الأثر : « لا تحصى بأعداد » ، وفي السلافة : « لا تحصى لعداد » ، وفي السمط : « لا تحصى بتعداد » . (٦) لم يرد هذا البيت في خلاصة الأثر . وفي الأصول : « معضود لمضطهر » ، وفي السلافة : « مقصود لمضطهر » ، وفي السمط : « مقصود لمضطهد » ، ولعل الصواب ما أثبته .

والمضطهد : الأسد . والمران : الرماح اللدنة الصلبة .

(٧) لم يرد هذا البيت في السمط ، وفي خلاصة الأثر : « بكل مجتمع الأطراف » .

(٨) في خلاصة الأثر : « فخر الملوك الألى تزهو مناقبهم » . (٩) في السلافة والسمط : « إذ أصبحت » وفي خلاصة الأثر : « فأصبحت » . (١٠) في السلافة : « قد طال تعنيسها في فكر نقاد » .

(١١) في خلاصة الأثر ، والسلافة ، والسمط : « أمتك خاطبة »

أفرغتُ فى قالبِ الألفاظِ جَوْهرَها ... سَبْكاً بذهنٍ وَرِىِّ الزَّنْدِ وَقَّادِ

وصاغَها فى مَعاليكم وأخْلَصَها ... وُدٌّ ضميرُك فيه عَدْلُ أشْهادِ [1]

يحْدُو بها العِيسَ حَادِيها إذا رزَحتْ ... مِن طُولِ وَخْدٍ وإرْقالٍ وإسْآدِ [2]

كأنَّها الرَّاحُ بالألْبابِ لاعبةٌ ... إذا شَدا بين سُمَّارٍ بها شادِى

بفضْلِها فُضَلاءُ العصرِ شاهدةٌ ... والفضلُ ما كان عن تسْليمِ أضْدادِ

فلو غَدَتْ من حبيبٍ فى مَسامِعِه ... أو الصَّفِىِّ اسْتحالاَ بعضَ حُسَّادِى [3]

واستنْزَلا عن مَطايا القومِ رَحْلَهُما ... واستوْقفَا العِيسَ لا يحْدُو بها الحادِى [4]

وحَسْبُها فى التَّسامِى والتقدُّمِ فى ... عَدِّ المَفاخرِ إذ تَغْدُو لَعدَّادِ [5]

تَقْرِيظُها عندما جاءتْ مُعارِضةً ... عُوجَا قليلاً كذا عن أيْمَنِ الوادِى [6]

* * *

وكتب إلى القاضى أحمد المُرْشِدِىّ [7] ، مُعتذِراً عن وُصولِه إليه بعد وعده له ؛ لعروضِ مانعٍ مَنَعَه [8] :

أيُّها المَعْشَرُ الذين إليهم ... واجباً أن يكون سَعْياً براسِى

لا تظنُّوا تَرْكِى الوصولَ إليكم ... لِمَلالٍ وِدادَكم أو تَناسِى [9]

---

(١) فى السلافة : « ود ضميرك منه عدل أشهادى » ، وفى السمط : « ود ضميرى فيه » .

(٢) فى ب : « إذا زجرت » ، وفى الخلاصة : « إذا رزمت » ، وفى السلافة : « إذا زرجت » ، وفى السمط : « إذا زجرت » ، والمثبت فى ا ، ج . وفى السمط : « وإرقال وإشهاد » .

والوخد : الإسراع ، وكذلك الإرقال ، والإسآد : سير الليل كله .

(٣) فى خلاصة الأثر : « بعض حساد » .

وحبيب هو أبو تمام ، والصفى هو صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى .

(٤) فى السلافة ، والسمط : « عن مطايا القول » ، وهى رواية حسنة .

(٥) فى ج : « إذ تمدو لتعداد » ، وفى السمط : « إذ تغدو لتعداد » .

(٦) فى الأصول ، والخلاصة : « تقريضها عند ما جاءت » ، والمثبت فى : السلافة ، والسمط .

وهو يشير إلى مطلع قصيدة أحمد بن عيسى المرشدى ، التى سبقت .

(٧) تقدمت ترجمته برقم ٢٧٦

(٨) الأبيات فى خلاصة الأثر ١ / ٤٦١ .

(٩) فى خلاصة الأثر : « لملالى ودادكم » .

أو تَغالٍ عنكم وإن كان عُذرِى ... هو أنى شُغِلْتُ من بعض ناسِ [١]

* * *

فأجابه بقوله بَدِيها [٢] :

قد أتانى اعْتذاركم بعد أنِّى ... بِتُّ من هَجْرِكم عديمَ حَواسِى [٣]

فتلقَّيْتُه بصدرٍ رَحِيبٍ ... ولصَقتُ الكتابَ عِزًّا برِاسِى

غيرَ أنِّى لا أرْتضيه إذا لمْ ... تُنْعِموا بالوصالِ والإيناسِ

وأقِلْنى العِثارَ فى النظم إنِّى ... قلتُه والفؤادُ فى وَسْواسِ

* * *

وكتب إلى صاحبيْن له استدْعياه ، فتعذّر عليه الذهابُ إليهما [٤] :

يا خليلَىَّ دُمْتُما فى سرورٍ ... ونعيمٍ ولذَّةٍ وتَصافِى

لم يكن تَركىَ الإجابةَ لَمَّا ... أن أتانى رسولُكم عن تَجافِى [٥]

كيف والشوقُ فى الحُشاشةِ يقْضِى ... أنَّنى نحوَكم أجوبُ الفَيافِى [٦]

غيرَ أنَّ الزمانَ للحظِّ منى ... لم يزلْ مُولَعًا بحُكْمٍ خِلافِى [٧]

عارِضُ المُقتضِى من الشوقِ بالما ... نِعِ والحكمُ عندكم ليس خافِى [٨]

فسلامٌ عليكمُ وعلى مَن ... فُزْتُما مِن ثِمارِه باقْتطافِ

* * *

وكتب إلى القاضى محمد بن [٩] دراز [١٠] يستدعيه [١١] :

---

(١) فى خلاصة الأثر : «أو تراخ عنكم . . . هو أنى ندبت خير أناس» . (٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٤٦١ . (٣) فى ب : « عديم حواس » ، وفى خلاصة الأثر : « بت من هجرك الأيام أقاسى» . (٤) خلاصة الأثر ١/٤٦٢، ٤٦٣ . (٥) فى ا : «ترك الإجابة» ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٦) فى ب ، ج: «فى الحشا منه يقضى» ،والمثبت فى: ا ، وخلاصة الأثر . وفى الأصول : «أجيب الفياف» ، والمثبت فى خلاصة الأثر . (٧) فى ا ، ج : « بحكم خلاف » ، والمثبت فى: ب ، وخلاصة الأثر . (٨) « ليس خاف » كذا لضرورة القافية . (٩) زيادة من خلاصة الأثر . (١٠) صاحب الترجمة التالية . (١١) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٤٦٣ .

رَقَّ النَّسيمُ وذيلُ الغَيْمِ مُنسدِلٌ   على الوُجوهِ وطَرْفُ الدهرِ قد طَرِفَا
فاغْنَمْ مُعاقرةَ الآدابِ واغْنَ بهـــا   عن المُدامِ وخُذْ من صَفْوِها طُرَفَا
وانْزِعْ إلينا لنجنِيَ من خَمائِلِهـــا   وَرْدًا ونجذبَ من مِرْطِ الوفا طَرَفَا

***

ومن شعره قولُه[1] :

غَنِيَتْ بِحِلْيةِ حُسْنِها   عن لُبْسِ أصنافِ الحُلِي
وبدتْ بهيْكلِها البدِيـ   ـعِ تقولُ شاهِدْ واجْتَلِ
تَجِدِ المَحاسِنَ كُلَّهـــا   قد جُمِّعَتْ فى هَيْكَلِي

***

ولما وقف عليها السيد أحمد بن مسعود[2] ورآها ، وَشَّاها[3] وِشَاها[4] .

وشيَّد كلَّ بيت مِن أبياتِه قَصْرًا ، وابْتَزَّ ذلك المعنى باسْتحْقاقِه قَسْرًا .

فقال[5] :

لله ظَبْيٌ سِرْبُهُ   يَزْهُو به فى المَحْفَلِ
قَنَص الأُسودَ بغالِبِ   قَيْدِ الأوابِدِ هَيْكَلِ[6]
وله الجوارِ المُنْشَئا   تُ جَوَى الحُشاشةِ للْخَلِي
من كلِّ رُودٍ لَحْظُهـــا   يسْطُو بحَدِّ المُنْصُلِ[7]
مُشْتاقُها من ثَغْرِها   وأثيثُها فى مُشْكِلِ

---

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٤٦٢ ، سلافة العصر ٢٥ .   (٢) تقدمت ترجمته ، برقم ٢٦٨ ، فى هذا الجزء .   (٣) فى ا : « وشاءها » ، وفى ب : « وشآها » ، والمثبت فى : ج .

(٤) جمع الوشى، وهو نقش الثوب .   (٥) الأبيات فى: خلاصة الأثر ١/٤٦٢، سلافة العصر ٢٥، ٢٦.

(٦) فى السلافة : « قنص الأسود بغالب » .   (٧) لم يرد هذا البيت والبيتان التاليان له فى خلاصة الأثر. وفى السلافة : « من كل بكر لحظها » .

وجارية رؤد : ناعمة . أساس البلاغة ( رأد ) .

فاق الغَوانِي حَالِيا ... تِ عاطلٌ فى هَيْكَلِي[١]

ما قال فى ظَلْمائِه ... يا أيُّها الليلُ انجَلِ[٢]

* * *

وحَذا حَذْوها القاضى أحمد المُرْشِدِىّ[٣] ، فقال[٤] :

يا ربَّةَ الحُسْنِ الجلِي ... لمُؤَمِّلِ المُتأمِّلِ[٥]

صدرى ووجهى مُنْيَةُ ... المُجتنِي والمُجتلِي

فالْحَظْ بديعَ محاسنِي ... من تحتِ أنواعِ الحُلِي

تَجِدِ الهياكلَ والحُلِيَّ ... م جمالَها من هَيْكلِي

* * *

وكتب إلى بعض أصدقائه قولَه[٦] :

مَن كان بالوادى الذى هو غيرُ ذِى ... زَرْعٍ وعَزَّ عليه ما يُهْدِيهِ

فَليُهْدِيَنَّ من الْمُفاكِهِةِ التى ... تحلُو فواكهُها لكلِّ نَبِيهِ[٧]

* * *

وله فى غربيَّة المتقدِّم وصفُها[٨] :

خالفْتُ أهلَ العشقِ لمَّا شَرَّقُوا ... فجعلتُ نحوَ الغربِ وحدى مَذْهبِي

قالوا عدلْتَ عن الصوابِ وأنشدُوا ... شتَّان بين مُشرِّقٍ ومُغرِّبِ

فأجبْتُهم هذا دليلى وانظرُوا ... للشمسِ هل تسْعَى لغيرِ المغْربِ[٩]

* * *

(١) فى السلافة : « عاطلا فى هيكلى » . (٢) فى خلاصة الأثر : « قد قال فى ظلمائه » .

(٣) تقدمت ترجمته برقم ٢٧٦ . (٤) الأبيات فى: خلاصة الأثر ١/٤٦٢ ، سلافة العصر ٢٧ .

(٥) فى خلاصة الأثر : « لمؤمل المستأمل » ، وفى السلافة : « أنا ربة . . . لمؤملى المتأمل » .

(٦) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٤٦٢ . (٧) فى خلاصة الأثر : « فليهدين ألفاظه الغر التى » .

(٨) انظر صفحتى ٤٨ ، ٤٩ .

والأبيات فى : خلاصة الأثر ١/٤٦٢ .

(٩) فى خلاصة الأثر: «دليلى فانظروا» .

وله فى المُفاخرةَ بين الإِبرة والمِقَصّ [1] :

فاخَرَتْ إبرةٌ مِقَصًّا فقالتْ لِيَ فضلٌ عليكُمْ بادٍ مُسَلَّمْ
شأنُكَ القطعُ يا مِقَصُّ وشأنى وصلُ قطعٍ شتّانَ إن كنتَ تفهمْ [2]

***

وأصله قولُ بعضهم [3] :

إنَّ شأنَ المِقَصِّ قَصٌّ وِصالٍ فلهـذا يَضِيعُ بين الجلوسِ
وترى الإبرةَ التى تُوصِلُ الْـ قَطْعَ بِعِزٍّ مغروسةً فى الرؤوسِ

***

وله فى الفوّارة [4] :

وفوّارةٍ من مَرْوةٍ قام ماؤُها كَبَزْبُوزِ إبْرِيقٍ وليس له عُرْوَهْ [5]
بَدالىَ لمّا أن وردتُ صَفاءَها ولا غَرْوَ أن يبدُو الصَّفاءُ من المَرْوَهْ

***

ومن فوائده ، أنه سُئل عن قول الصَّفِىّ الحِلِّى [6] :

فلئن سطَتْ أيْدِى الفِراقِ وأبْعدَتْ بدْرًا تحجَّبَ نِصْفُه بنَصِيفِ
فلقد نَعِمْتُ بوَصْلِهِ فى مَنْزِلٍ قد طاب فيه مَرْبَعِى ومَصِيفِى [7]

فأجابه بقوله [8] :

لا يخفَى أن النَّصِيف هو الخِمار ، فكأن الشاعر تخيَّـل أن الجبينَ بدرُ تمامٍ [9]
كاملُ الاستدارة ، ستر الخِمارُ نصفه الأعلى ، فلما تخيل ذلك قال :

* بدراً تحجَّب نصفُه بنَصيف *

---

(١) خلاصة الأثر ١/٤٦٣ . (٢) فى خلاصة الأثر : «إن كنت تعلم» . (٣) خلاصة الأثر ١/٤٦٣
(٤) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٤٦٣ . (٥) البزبوز : القصبة أو القضيب المجوف ، ومى هنا مخرج الماء من الإبريق . انظر المحكم فى أصول الكلمات العامية ٣١ . (٦) البيتان فى : ديوانه ٥٢٤ ، خلاصة الأثر ١ / ٤٦٠ . (٧) فى الديوان : « فلكم نعمت » .
(٨) الجواب أيضا فى خلاصة الأثر ١/٤٦٠ . (٩) فى خلاصة الأثر : «تام» .

ثم ضمَّنه بقوله :

أفْدِي التي جلَبَ الُخمارَ جبينُها تحت الِخمارِ لقلبيَ المَشْغُوفِ[1]

فصَبــــا له لمَّا تحقق أنه بدرٌ تحَجَّب نِصْفُه بنَصِيفِ

* * *

وقد سئل[2] عنه أيضا الإمام زين العابدين الطَّبَرِيّ[3] ، فأجاب بما نصُّه :

النَّصيف الِخمار ، وكل ما يغطَّى به الرأس ، والوجهُ هو البدر فى التّشبيه ، فمُراد الشاعر أنها تلثَّمت ببعض النصيف الذى على رأسِها ، فسارت[4] بذلك ، ساترةً لنصف وجهِها الأسفل المُشبه بالبدر ، فصار نَصِيفا ونِقابا .

والنقاب ما تَنْقبُ به المرأةُ ، كما فى القاموس[5] ، وهو شاملٌ لِما كان مُستقِلاً وبعضِ شىء آخر، كما يُقال بمثله[6] أيضا فى النَّصِيف ، فهو نَصِيف وإن غطّى رأسَ الرّأس[7] مع الرأس[7] .

وهذا الذى ذكرْنا هو عادةُ غالِب النساء الحِسان فى قصور[8] العرب ؛ فإن الواحدة منهن تنتَقِب بفاضلِ خِمارها ، فتفتِن العقول بما ظهَر من لواحِظها وأسْحارها .

انتهى .

☆

(١) فى ب، ج، والخلاصة : «جلب الغرام»، والمثبت فى : ا .
وفى هامش ب : « الظاهر : شر الخمار . فليتأمل » .

(٢) خلاصة الأثر ١/ ٤٦٠، ٤٦١ .   (٣) تقدم التعريف به أثناء الترجمة رقم ٢٧٠ .

(٤) فى الخلاصة : « فصارت » .   (٥) القاموس ١/ ١٣٣ .   (٦) فى الخلاصة : «مثله» .

(٧) زيادة من خلاصة الأثر .   (٨) فى خلاصة الأثر : « قطر » .

# ٢٧٩

## القـــاضى

## محمد جمال الدين بن حسن

## ابن دراز *

جُمْلَةُ جَمال ، وتكمِلةُ كَمال .

رتَع فى رياض الفنون فهَصر أفْنانَها ، وأجال جوادَ فكرِه فى مَيْدان العلوم فملَك عِنانَها .

أما الشعرُ فهو مُتَمِّمُ حُلَّتِه وناظمُ حَلْيِه ، وأما النـثرُ فهو مُبْدعُ زَهْرِه ومُنَمِّق وَشْيِه .

وكان فَيصل أحكام ، ومصدرَ إتْقان وإحكام .

ولما دخل اليمن فى دولة الرُّوم ، قام له حاكمُها بكلِّ ما يروم .

فحلَّاه بحِلْيَة القضا ، وأرْهف حُسامَ أملِه بذلك المَضا .

ولم يزلْ مُجتلِياً وجوه أمانيه مُشرِقة ، مُجْتَنِياً من رياضِها أغصانَ حُظْوةٍ مُورِقة .

إلى أن فجعه الدهرُ بمخدومِه ، وعاجلَه أمرُ القضاء والقدر بمحتُومِه .

هناك انقْلب إلى وطنِه ، شاكِياً ما حَلَّ به من ضِيقِ عَطَنِه .

ولَقِيَ بعد ذلك أحوالاً ركب صَعْبَها ورَكُوبَها ، وأهْوالاً امْترَى أخْلافَ شآبيبها مُنْهلَّها وسَكُوبَها .

---

(*) محمد جمال الدين بن حسن بن دراز المكى ، القاضى .

أديب بارع ، وشاعر مشهور .

رحل إلى اليمن ، وتولى بها القضاء زمن سنان باشا ، وبعد وفاته عاد إلى مكة ، واشتغل بالتدريس فى البلد الحرام .

كان موجودا سنة اثنتى عشرة وألف ، ولم يعش بعدها كثيرا .

حديقة الأفراح ٥٢ ، ٥٣ ، خلاصة الأثر ٣/٤٢٠ - ٤٢٧ ، سلافة العصر ١٠٧ - ١٢٢ .

وجاء اسمه فى الأصول : « محمود » ، والمثبت عن المصادر السابقة .

كما أفصح عن ذلك فى رسالة كتبها لبعض كُبَراء الحجاز ، يقول فيها[١] :

ولما قفلتُ[٢] عائداً من اليمن ، بعد وفاة سنان باشا[٣] وانقضاء ذلك الزمن .

اخترتُ الإقامةَ فى الوطن ، بعد التشرُّف بمجلس القضاء فى ذلك العطَن[٤]

إلا أنه لم يَحْلُ لىَ التخلى عن تذكُّر ما كان فى تذْكِرة[٥] الخيال مَرْسوما ، وتفكُّر ما كان فى لَوح المُفكِّرة مَوْسوما .

فاخترتُ أن أكون مُدرِّسا فى البلد الحرام ، ومُمارِسا لما آذَن غِبَّ الحصول بالانْصِرام[٦] .

ولم يكن فى البلد الأمين كِفاية ، ولا ما يقوم به الإتمام والوفاية[٧] .

انتهى .

وما زال مُقيما فى وطنه وبلَدِه ، مُتدرِّعا جِلْبابَ صَبرِه وجَلَده .

حتى انصرمتْ من العَيْش مُدَّتُه ، وتمَّت من الحياة عِدَّتُه .

***



وها أنا مُثْبِتٌ من بديع إنشائه ، ما يدعو لطرَب اللبيب وانْتشائه .

وأُتْبِعه من عالى نِظامه ، ما يُغْنِى عن مجلسِ الأُنْس وانْتظامِه .

---

(١) الرسالة فى : خلاصة الأثر ٣/٤٢١ ، سلافة العصر ١٠٧ . (٢) فى السلافة : « حصلت » .

(٣) سنان باشا ، الوزير الأعظم ، صاحب الآثار العظيمة فى البلاد الإسلامية .

ولى الحكومة فى مصر أيام السلطان سليم بن سليمان ، ثم عينه السلطان لإعادة الاستقرار إلى اليمن ، بعد عصيان مطهر بن شرف الدين يحيى الزيدى ، فتوجه وأصلح ما كان اختل ، واستنقذ ما كان مطهر أخذه ، بعد وقائع وأمور كثيرة .

وانتصر المسلمون تحت قيادته على الفرنج ، وأخرجوهم من تونس ، كما عينه السلطان لحرب النمسا .

توفى سنة أربع بعد الألف .

خلاصة الأثر ٢/٢١٤ – ٢١٧ .

(٤) فى ب : « القطن » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، والسلافة . (٥) فى السلافة : « خزانة » .

(٦) فى خلاصة الأثر : « بالانضمام » . (٧) فى خلاصة الأثر : « والوقاية » .

فصل من كتاب لبعض أصحابه[١] :

يُنْهِى المملوكُ[٢] أنه لا يزال ذاكراً لتلك الأيام الماضية ، شاكراً لهاتيك الأعوام التى حلت[٣] بفضـلِ مولانا ولا أقول مرّت بمسرّاتٍ لا تزال النفسُ لدَيْنِها مُتقاضية .

كم أردْنا هـذا الزمانَ بذَمٍّ فشُغِلْنا بمـدحِ ذاكَ الزمانِ

أقْفر[٤] الصّفا من إخوان الصفا ، وخَلا الحَطيم من رَضِيع الأدب والفَطِيم .
وأقْوَتِ المَشاعر ، من أرباب الإدْراك والمشاعر .

كأن لم يكن بين الحَجُونِ إلى الصّفا أنيسٌ ولم يسْمُرْ بمكّةَ سامِرُ[٥]

[٦] وكان علم مولانا[٦] محيطاً بحالى ، إذ كنتُ آنس بأولئك الجِلّة وأرْباب المعالى[٧] .

فلم يبْقَ مَن يُدانيهم ، فَضْلاً عمَّن يُساويهم ، [٨] ولا مَن يُباريهم[٨] ، فكيف[٩] بمَن يُماريهم[١٠] .

ولقد ذكرتُ هنا قولَ بعضهم :

دجَا الليـلُ حتى ما يبين طريقُ وخوّف حـتى ما يقرّ فَريقُ
وجرّدت يا برْقَ المنون مَناصِـلاً لها فى قلوبِ المُبصرين بَريقُ[١١]

---

(١) هذا الفصل فى : خلاصة الأثر ٣/٤٢١ ، سلافة العصر ١٠٧ ، ١٠٨ . (٢) ساقط من الأصول ، وهو فى : الخلاصة ، والسلافة . (٣) فى ب ، ج : « خلت » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر ، والسلافة .
(٤) فى الأصول : « أقفرت » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، والسلافة .
(٥) البيت لمضاض بن عمرو الجرهمى يتشوق مكة ، والحجون : جبل بأعلى مكة . معجم البلدان ٢/٢١٥ ،
(٦) فى السلافة : « ولما كان مولانا » . (٧) فى السلافة ١٠٨ بعد هذا زيادة .
(٨) لم يرد هذا فى السلافة ، وفى الأصول : « ولا بمن » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .
(٩) فى ب : « فضلا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، والسلافة (١٠) فى خلاصة الأثر : « يجاريهم » ، وفى السلافة : « يباريهم » . (١١) فى الأصول : « يا رق المنون » ، والمثبت فى خلاصة الأثر ، والسلافة .

وزَعزعَتَ يا رِيحَ الرَّدَى كلَّ شاهِقٍ  عليـــه لأنفاسِ النفوسِ شَهِيقُ
ســــلامٌ على الأيامِ إنّ صَنِيعَها  أساء فهل لى بالنّجـــاةِ لُحوقُ[١]

* * *

فصل ، من كتاب إلى كاتب الحضرتين الشّريفتين ؛ الحسَنيّه والطّالبيّة[٢] عفيف الدين[٢] يُعزِّيه بمَوْت الشريف أبى طالب[٣] ، فى سنة اثنتى عشرة بعد الألف[٤] :

كتبتُ إليك ، كتب اللهُ لك سَعداً لا يزال يتجدَّد ، ومَجْداً لا ينقطع بانقضاء مِلاكٍ إلّا واتّصل بمِلاكٍ مَلَكِيٍّ مُؤيَّد[٥] .

وإنما كتبتُ بدمِ الفؤاد ، وأمْدَدْتُ اليَراعَ سُوَيْدائِى وشفَعها اللّحْظُ بما فى إنسانِه من السَّواد .

والكونُ ، عِلمَ اللهُ ، كأنما هو بحرٌ من مِداد ، والقلوبُ ، ولا أقول الأجساد مُسَرْبَلَة بلِباس الحِداد .

لا يُسمَع إلّا الأنين ، ولا يُصغَى إلّا لمن[٦] تفَضَّح[٧] بنَعِيِّها[٨] ذواتِ الحَنين .

أضحَى النَّقْع[٩] من مُثار النقع كليلةٍ من جُمادَى ، ورَبّاتُ الخدود يلْطِمْن[١٠] الخدودَ مَثْنَى وفُرادَى .

وذو الحِجَى يغوص فى لُجّةِ الفِكر فيُسْمَع له زفير ، وليثُ العَرين كاد من صَدْمة هذا المُصاب أن يتفطّرَ[١١] من الزئير .

---

(١) انظر السلافة ١٠٨ ، فالرسالة فيها بقية . (٢) ساقط من خلاصة الأثر وتأتى ترجمة عفيف الدين فى هذا الباب برقم ٢٨٨ . (٣) تقدم التعريف بالشريف أبى طالب فى الترجمة رقم ٢٧٥ . (٤) الفصل فى : خلاصة الأثر ٣/٤٢٢ ـ ٤٢٤ ، سلافة العصر ١١٢ ـ ١١٤

(٥) فى السلافة : « مؤيد » .

(٦) فى ب ، وخلاصة الأثر بعد هذا زيادة : « لم » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة .

(٧) فى ا : « تنصح » ، وفى ب : « تنضح » ، وفى ج : « تنضخ » ، والمثبت فى خلاصة الأثر ، والسلافة .

(٨) فى الأصول : « بنبعها » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر والسلافة . (٩) النقع : موضع قرب مكة فى جنبات الطائف . معجم البلدان ٤/٨٠٥ . (١٠) فى ب « يلطخن » ، والمثبت فى : ا ، ج وخلاصة الأثر ، والسلافة . (١١) فى ا : « ينفطر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، والسلافة

وشارَف الحطيم أن يتحطم ، وأبو قُبَيس[١] أن يتقطم ، وبيتُ الله لولا التُّقَى لقلتُ وَدّ أن[٢] يتهدَّم[٣] .

وأخال أن الحِجْرَ أسِف حيث لم يكن تابوتاً لذلك الجُثْمان وتندم .

أيُّ داهيةٍ دَهْياء أصابت قُطّان ذلك الحرم ، وأي بَلِيّةٍ نزلت بلازِمي[٤] أذْيال ذلك المُلْتزَم .

﴿ إنّا للهِ وَإنّا إليْهِ رَاجِعُونَ[٥] ﴾ كلمةٌ تُقال عند المصائب ولم نجدْ المصيبة مِثْلا ، ولم تشاركْنا فيها حَزِينةٌ ولا ثَـكْلَى .

بأيِّ لسانٍ نُناجى وقد أخْرسنا هذا النازل ، بأيِّ قلبٍ نُحاجِي وقد بلغَنا هذا الجِدُّ[٦] الهازِل .

بيْنا نحن فى سرور وفرح ، إذ نحن فى هموم وتَرَح .

أشكُو إلى مَخْدومى ضَحْوةَ يومٍ شمسُه كاسِفة ، ﴿ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ[٧] ﴾ .

أقْبل نَعْشُ لابس أثوابِ المَرْحمةِ بعد الخلافة ، المُتلقَّى رُوحَه الملائكةُ[٨] مع الحور على الأرائك[٩] تُتْحِفُه بالسُّلافة[٩] .

والأيدى مُمْتدَّةٌ إليه تُشِـير بالعَوِيل[١٠] ، والحُجّاج وأربابُ الفِجاج يَضِجُّون بالنَّحِيب الطويل .

وكادت آماقُنَا واللهِ أن تسيل ، وأضْحتْ جَلامِيدُ القلوب كضحاضِحَ المَسِيل .

---

(١) أبو قبيس : جبل مشرف على مكة ، من شرقيها . معجم البلدان ١/١٠١ ، ١٠٢ .

(٢) فى السلافة : « لو » .　　(٣) بعد هذا فى السلافة ١١٢ زيادة ، انظرها .

(٤) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « بلازم » .

(٥) سورة البقرة ١٥٦ .　　(٦) فى السلافة : « المجد » .　　(٧) سورة النجم ٥٧ ، ٥٨ .

(٨) فى السلافة : « الملائك » .　　(٩) فى خلاصة الأثر : « تتحفهم السلافة » .

(١٠) فى ا : « بالعوامل » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، والسلافة .

فلم تجدْ أحداً(١) من الرَّعايا إلا وهو مخرور ، وذو قرابته فى الحىِّ مسرور .

إنا لله من هذه الطَّامة ، التى أدْهَشت العامة ، وأذْهبت الشامَّة .

ليت شِعْرِى أبعْدَه السَّلاهِب(٢) تُركب ، أم الجنائبُ تُجْنَب ، أم المُقْرَبات(٣) تُقْرَب ، أم المَنابر يُتْلَى عليها غيرُ اسْمِه ويُخْطَب

* واحرَّ قَلْباه ممَّن قلبُه شَبِمُ(٤) *

مضَى مَن أقام الناس فى ظِلِّ عَدْلِهِ ... وآمن من خَطْبٍ تدبُّ عقاربُهْ

فكم من حِمًى صَعْبٍ أباحتْ سُيوفُه ... ومن مُسْتباحٍ قد حَمَتْه كتائبُهْ

أرى اليومَ دَسْتَ المُلْكِ أصبح خالياً ... أما فيكمُ مِن مُخْبِرٍ أين صاحبُهْ

فمَن سائلِى عن سائل الدمع لِمْ جَرَى ... لعل فؤادِى بالوَجيبِ يُجاوِبُهْ

فكم من نُدوبٍ فى قلوبٍ نَضيجةٍ ... بنارِ كُروبٍ أجَّجتْها نَوادِبُهْ(٥)

سقتْ قَبْرَه الغُرُّ الغَوادِى وجادَهُ ... من الغَيْثِ سارِيه المِلِثُّ وسارِبُهْ(٦)

***

فما كان إلا كلَمْحة طَرْف ، أو حُلول حَتْف .

وقد وُضِع على الباب الشريف ، وسُمِع من أجْنحة الملائكة حَفِيف ، وتُليت ولكنتُ(٧) أوَدُّ أن أكون المُصَلِّى ولا أقول التَّالى فى جميع ذلك التَّرْصِيف(٨) .

---

(١) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « شخصاً » (٢) السلهب من الخيل : الطويل .

(٣) المقرب من الخيل : ما يقرب معلفه ومربطه لكرامته . (٤) صدر بيت أبى الطيب الذى عجزه :

* ومَن بجسمِى وحالى عنده سَقَمُ *

ديوانه ٣٢٢ .

(٥) فى السلافة : « أججتها نوادبه » (٦) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « الغوادى وجادها » . والملث : المتتابع .

(٧) فى ا : « ولكن » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، والسلافة

(٨) فى الأصول : « الرصيف » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، والسلافة .

فما تركَ الرئيس لَقَباً من الألقاب إلا وحَلّاه بدُرِّه ، وعَلّه[1] بدَرِّه .

حتى كاد النهار أن ينْتصِف ، والمُقَل[2] تسِحُّ بالدموع وتَكِف .

ومن عَدَم إنْصاف الدهر الخؤون ، أن لم يُطَفْ به سَبْعاً وهو لِمَليك[3] هذا البيت[4] مسْنون .

ثم ازْدحم على رَفْعِ جنازته قاضى الشَّرْع والسَّادة ، فذادُوه عنها ورفَعُوه على أعْناق السَّلاطين والقادة .

وقلتُ فى ذلك المَقام ، وعَيْناى تهْمِل ولا هُمول الغَمام .

يَعِزُّ علىَّ أن أراك على غير صَهْوة ، وأن تُنادَى يامُرْغِم الأُنوف ولا تُجيب دَعْوة .

وأن تَحُفَّ بك الصَّفْوة[5] ، ولا تَدعُ لِكرِّك فيها فَجْوة .

فطالَما ضَرَعت[6] لك السلاطين ، وخضَعت لك الأساطِين ، وأرْعدْتَ الفَرائِص ، وأوْهنْتَ القلائِص .

وحميْتَ الحِمَى ولم يرْعه[7] جسَّاس ، واقْتنصْتَ حتى لم تدَعْ شادِناً فى كِناس ، أو لَيْثاً فى افْتِراس .

فلِلّهِ جَدَثٌ ضمَّك وقد ضاقت الأرضُ عن عُلاك ، ولِلّهِ لَحْدٌ عَلاك وقد اتَّخذْتَ أنْعُلَك[8] من السِّماك[9] .

وكيف بك تَحُلُّ فى الثَّرَى فبالأثير[10] مَلْعَب جُرْدِك[11] ، والسِّدْرةُ مِضْمار أسْلافِك ، والنُّبُوَّة لُحْمة بُرْدِك .

---

(١) فى خلاصة الأثر : « وعلمه » . (٢) بعد هذا فى خلاصة الأثر ، والسلافة زيادة : « أن » .
(٣) فى الأصول ، والسلافة : « الملك » ، والمثبت فى خلاصة الأثر . (٤) فى السلافة : « لبيت » .
(٥) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « الصفوف » ، وهى رواية حسنة . (٦) فى ج : « ضرمت » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر ، والسلافة . (٧) فى خلاصة الأثر : « يرعك » .
(٨) فى خلاصة الأثر : « نعلك » . (٩) السماك : أحد نجمين نيرين هما الأعزل والرامح .
(١٠) فى خلاصة الأثر : « وبالأثير » . (١١) فى السلافة : « جودك » .

فَلَكَ بِجَدِّكَ فى ارْتقائِكَ إلى العالَمِ العُلْوِىِّ أُسْوَة ، ولنــا بفَقْــدِكَ الجَزَعُ الذى لا يعقُبه سَلْوَة .

فأنت لقيتَ الحبيب ، ولقينا بعدك مايَلْقى الكئيب .

فلَكَ البُشْرَى بلُقْياك (١) ربك ، ولنا (٢) بكَ اللُّقْيا على الكَوْثر وأنت فَرِحٌ بشَرابِكَ وشَرْبِك .

ثم ياعَفِيف لا تَسَلْ عن نَعْشٍ حفَّه الوَقار ، وتقــدَّمه (٣) الرُّوح الأمِين والملائــكةُ الأبْرار .

فَوائحُ (٤) المِسْكِ الأذْفَر تنْفَح من كلِّ جانب ، كأنَّما يُنْفَض (٥) من غدائر خُرْعوبٍ (٦) كاعِب .

وبالله أُقْسِم أن طِيبَه نَفَحنِى وأنا فى الخَلْوة ، وهُم فى تجْهيز تلك الذَّات على هاتيك العَلْوة .

وحاصلُ ما أقُصُّ عليك من القصص ، أنَّا أوْدَعْنا فى كَنَفِ الرحمن ذلك القفَص .

وعُدْنا ونحن كما يُقال : شاهَت الوُجوه ، حَيارَى لا نعلم مَن (٧) تُؤمِّله وتَرْجُوه (٧) .

وقد أظْلَم (٨) قَتامُ العِثْيَر (٩) ، ودَجا النَّقْعُ حتى خُيِّــل (١٠) لم يكن قَطُّ (١١) صُبْحٌ أسْفَر

وحين هجوم هــذا الخبر المُهِيل ، كادت (١٢ البلدة تدْثُر ١٢) لولا تَسْهِيلُ (١٣) بعضِ (١٤ ماصَعُب فى ١٤) التَّسْهيل .

---

(١) فى خلاصة الأثر : « بلقيا » .  (٢) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « ونرجو » .

(٣) فى السلافة : « وتقدم » .  (٤) فى السلافة : « وفوائح » .  (٥) فى خلاصة الأثر : « ينقض » .  (٦) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « خرعوبة » .

والخرعوب والخرعوبة : الشابة الحسنة الخلق الرخصة .

(٧) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « نؤمله ونرجوه » .  (٨) فى السلافة : « اطلحم » .

(٩) العثير : الغبار تثيره الخيل .  (١٠) فى خلاصة الأثر بعد هذا زيادة : « لنا أنه » .

(١١) ساقط من السلافة.  (١٢) فى خلاصة الأثر : « البلاد تهب » ، وفى السلافة : « البلدان أن تهب » .

(١٣) فى ب ، ج : « تسهل » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر ، والسلافة.  (١٤) فى السلافة : « بأصعب فيه » .

والنِّداء من الحاكم بالعافية ، والأعْيُن قد امتلأتْ من الهاربين بالسَّافية .

وغُلِّقت الأبواب ، وانقطعت الأسباب .

حتى ـ والله ـ كأن القيامة قد قامتْ ، وحقَّتْ كلمةُ [١] ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ ﴾ [٢] والأنفُسُ قد حامَتْ .

وحال بيني وبين الخلْوة طريقٌ طالما [٣] [٤] صاحَبَ الرَّبَّا ، وسبيلٌ وَبيل صرتُ أقطعُه وَثْبا .

فكلُّ مَن لاقيْتُه لا يُجيب ، ومَن كان من ورائى فكأنما هو طَريدٌ أو سَليب .

وبعدَ الدَّفْن كثُر القالُ والقيل ، ونُودِيَ كما بلَغكم وصَليلُ السيوف منَعَنا المَقيل .

وزَفَّ المُنادِي عُصْبةً مشهورةَ القواضِب ، مَعْنوقةَ [٥] الشَّوازِب [٦] .

والأسواقُ من السُّكَّان خالية ، فكأنما هى خَوْد أضْحَتْ عاطِلةً بعد أن كانت حالِيَة .

ودُور مكة كأنها ـ وبالله أُقسِم ـ دُورُ البَرامكة ، وكأنها لم يتغزَّل فيها بُرْهة كدارِ عاتِكة [٧] .

ولقد تذكرتُ فيها قيْنة [٨] الأمِين ، وقولَها كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصَّفا أنيسٌ [٩] غيرَ الأنين .

---

(١) فى ا ، ب : « كسائمة » ، وفى خلاصة الأثر ، والسلافة : « كريمة » ، والمثبت فى : ج .

(٢) سورة عبس ٣٤ .

(٣) بعد هذا فى السلافة زيادة : « عهدته » .

(٤) فى خلاصة الأثر : « صلحت للزبا » .

(٥) فى ا ، والسلافة : « معنونة » ، وفى ج : «معنوية» ، وفى خلاصة الأثر : « مسنونة » ، والمثبت فى : ب .

(٦) فى خلاصة الأثر : «الشواذب» . والشوازب : الخيل المضمرة .

(٧) يشير إلى قول الأحوص :

يا بيتَ عاتكةَ التى أتعزَّلُ ... حذَرَ العِدى وبه الفؤادُ مُوكَّلُ

التمثيل والمحاضرة ٢١٢ ، زهر الآداب ١ / ٢٠٠ .

(٨) فى الأصول : « فتنة » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، والسلافة .

(٩) يشير إلى بيت مضاض ، الذى تقدم قريبا .

هذا وقد أطَلْتُ عليك ماينبغى أن يُقتَصَر فيه مع عُلُوِّ مَـكانك ، ومَشِيد مَبانيك فى البلاغة وأرْكانك .

والله تعالى يُلْهِمك صَبْراً جميلاً على هـذا المُصاب ، ويُوليك أجراً جزيلا على فَقْد ذلك المَلِيك المُهاب .

ولا يُسْمِعُنا وإيّاك بعدها صَوْت عَزاء [1] أحـدٍ [2] من الأعِزّا ، ولا يُحمِّلنا مالا طاقةَ لنا به مِن [3] مثل هذه الأرْزَا ، فوَا الرَّحمنِ لَهُوَ الرُّزْء الذى كلُّ رُزْء بالنِّسْبة إليه أقلُّ الأجزا .

والسلام .

* * *

وكتب [4] إلى الإمام عبد القادر الطَّبَرِىّ [5] ، يسأله عمَّا يرِدُ على كلامٍ للسُّبْكِىّ ، ذَكَرَه فى « الطَّبقات الـكبرى » ، فى استخْراج المَلَك العَلَقة التى فى صدره صلَّى الله عليه وسلَّم :

مولانا الإمام الذى إليه هـذا الحديث يُساق ، الهُمام الذى تُشَدُّ إليه يَعْمَلات البلاغة ببدائع السِّياق [6] .

فلِلّه السَّلَف الذين تتقاصَرَ الثُّرَيّا دون مَقاماتِهم الرفيعة ، وينْحطُّ الأثير عن مَـكاناتِهم [7] التى هى للفَخار شَفِيعة .

على أنه العِصامِىُّ الذى به تفتخر الأبْنـا ، وتتبَخْـتَر فى مَطارِف سُؤْدَدِه الأعمامُ والأصْنا [8] .

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، والسلافة ، وبعد هذا فى السلافة زيادة : « ولا فقد » .

(٢) فى خلاصة الأثر : « ولا أحدا » . (٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، والسلافة . (٤) هذا الفصل أيضا فى خلاصة الأثر ٣ / ٤٢٥ — ٤٢٧ .

(٥) تقدمت ترجمته فى هذا الباب برقم ٢٧٠ . (٦) بعد هذا فى خلاصة الأثر ٣ / ٤٢٥ زيادة ، انظرها .

(٧) فى الأصول : « مقاماتهم » ، والمثبت فى خلاصة الأثر . (٨) الأصناء : جمع الصنو ، وهو الأخ الشقيق أو العم .

فالْمُزَنِيّ(١) لا يُبارِي جُودَ مُزْنِه ، والرَّازِيُّ(٢) أَضْحَى (٣) فى تقديمه منتظراً فَضْلَ مَنِّه (٣) .

هدانا الله إلى سَواء السبيل ، وأَغنانا بسَلْسالِ فوائده عن رَقْراق السَّلْسبيل .

قال السُّبْكِيّ(٤) : سمعتُ الوالدَ يقول ، وقد سُئِل عن العَلَقة السَّوداء التى أُخْرِجتْ من قلبِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم فى صِغَرِه حين(٥) شُقَّ فؤادُه ، وقولِ الملَك « هذا حَظُّ الشيطانِ منك » : إن تلك العَلَقة التى(٦) خلَقها اللهُ فى قلوب البشر قابلةٌ لما يُلْقِيه الشيطانُ فيها ، فأُزيلتْ من قلبه صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق فيه مكانٌ قابلٌ لأن يُلْقِي الشيطانُ فيه شيئا .

قال : هذا معنى الحديث ، ولم يكن للشيطان فيه(٧) صلى الله عليه وسلم حَظٌّ قَطُّ ، وإنما الذى نفاه الملَك أمرٌ هو فى الجِبِلاَّت البشريَّة ، فأُزِيل القابِلُ ، الذى لم يكن يلزم من حصولِه حصولُ القَذْف فى القلب .

قال : فإن قلت فلِمَ خُلِق هذا القابِلُ فى هذه الذَّات الشريفة ، وكان الْمُمكِن(٨) أن لا يُخْلَق فيها ؟

قلتُ : لأنها(٩) من جملة الأجزاء الإنْسانية ، فخُلِقتْ(١٠) تكملةً للخَلْق الإنسانِيّ ،

---

(١) هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزنى الشافعى .
صاحب الإمام محمد بن إدريس الشافعى ، وناشر مذهبه .
وكان جبل علم ، مناظرا ، محجاجا .
توفى سنة أربع وستين ومائتين .
طبقات الشافعية الكبرى ٢/٩٣ ـ ١٠٩ .

(٢) لعله يعنى الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى الشافعى ، المتوفى سنة ست وستمائة .
انظر طبقات الشافعية ( الطبقة السادسة ) ٥/٣٣ ـ ٤٠ .

(٣) فى خلاصة الأثر : « رؤية من حزنه » .

(٤) فى ترجمة والده ، فى الطبقة السابعة .
طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٩٩ ، ٢٠٠ .

(٥) فى الطبقات : « حيث » .

(٦) ليس فى الطبقات .

(٧) فى الطبقات : « منه » .

(٨) فى خلاصة الأثر : « يتمكن » ، وفى الطبقات : « يمكنه » .

(٩) فى الطبقات: «لأنه» .

(١٠) فى الخلاصة ، والطبقات: «فخلقه» .

فلابدَّ منه ، ونَزْعه أمرٌ ربانىّ طرأ بعده .

انتهى كلام السُّبْكىّ .

أقول : يُعارَض هذا بخِتانه صلى الله عليه وسلم ، فخَلْقُه تكملةٌ للخلْق الإنسانىّ ، ولا شَكَّ أن بقاءه على تلك الفِطرة الإنسانية ، ثم إزالتها بعد ذلك ، فيه تعليمٌ للخَلْق باتِّباعِه .

فإن قلت : ثَمَّ فارقٌ ، وهو القابِل الذى تُؤثِّر فيه الوَسْوسة .

قلتُ : الأكملُ والأشرفُ عدمُ خَلْقِ القابِل ، كعدَم خلقِ القَلَفة وسَلامته من الانزعاج الذى حصَل له عند شَقِّ المَلَك صدرَه الشريف صلى الله عليه وسلم ، خُصُوصا فى سِنِّ[1] الطفوليَّة .

فالمسئول خِلاصُكم[2] السُّبْكىّ[3] ، والخلاصُ من شِباك سيِّدنا السبكىّ .

ولمولانا مُناسبة بهذا الفن موروثة ، وفى البقيَّة دُرَرٌ على طَنافِس الفضل مبْثوثة .

***

فأجابه الطبرى بما نصُّه :

« مولانا الذى يهطِل[4] بوَاكِف تُرْفَع لِتلقِّيه الأكُفُّ المبسوطة ، ويتألَّق عن بارِقٍ يُضِئُ به مظلمُ وجهِ الأرض البسيطة .

ويُرْعِد بما يُنْتَجَع إليه إذا سُمِع ثقةً بوعدِه ، ويُشرِق بذُكاء ذَكاء أكسبتْ البدرَ ساطعَ ضِيائه وطالِعَ سَعْدِه .

ويُرْهِفُ سَمْهَرىَّ القلمِ فى كَتيبة الكتابة بالمِداد الأسْود والأحمر[5] ، ويُرْعِف

---

(١) فى خلاصة الأثر : « فى أوان سن » .   (٢) الخلاص ، بالكسر : ما اتقى عنه الغش من الذهب أو الفضة .   (٣) فى خلاصة الأثر : « للسبكى » .

(٤) فى خلاصة الأثر : « مولانا الذى إليه مطايا آمال الأفاضل تزجى ، ومن سحائب فضله الغيوث المغدقة تؤمل وترجى ، فيهطل » .   (٥) فى ا : « والأسمر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

عَضْبَ اللِّسان فى مَعْرَكِ المُناظرة والمُناضلة فنال ما لم ينَلْه اللَّدْنُ الأسمر .

إمام البلاغةُ ، ربُّ الكمالات المُصاغَة .

دامت فرائدُ فوائدِه [(١)] عُقوداً للنُّحُور [(١)] ، واستمرَّتْ وطْفاه [(٢)] غيْثِه مُمِدَّةً للبُحور .

وافَى المُشرِّف [(٣)] المُشرَّف ، المُدَبَّجُ المُفوَّف .

فوقفتْ [(٤)] له أقدامُ الأفهام حَيارَى ، وأضْحتْ تالِيَة : ﴿ وترَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى [(٥)] ﴾ .

غيرَ أنها دَاوَتْ [(٦)] ما ألَمَّ بها بارْتِشاف سَلْسَبِيله ، واسْتضاءتْ بمِصْباحه [(٧)] لسُلوكِ سَواء سَبِيله .

فرأتْ [(٨)] بعد التكلُّف [(٩)] فى التوفيق بين عبارةِ مولانا وبين مُرادِه ، أنه لا مُعارضةَ بما أشار إليه من خِتان مَن مَنَح اللهُ تعالى الخَلْقَ بإسعافِه وإسْعادِه .

أمَّا أوَّلًا ، فلأنهم اختلفوا فى أنه هل [(١٠)] وُلد مَخْتونا أو أنه خُتِن بعد وَلادتِه ؟

وقد قال بكلٍّ من القولين طائفة :

فأمَّا على القول الثانى فلا اعْتراض بالمُعارضة المذكورة .

وأما على الأوَّل فالكلام فى جزء من الخِلقة البشريَّة ، [(١١)] من الأجزاء الشريفة [(١١)] ، التى لا تُمْكن الحياةُ بدونِها فى العادة ، فإنها هى المكمِّلة للخِلْقة فى الحقيقة ، وأما القلفةُ

---

(١) فى ا : « عقود النحور » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٢) سحابة وطفاء : مسترخية لكثرة مائها . (٣) فى خلاصة الأثر : « المشوق » . (٤) فى ا ، ب : « وقفت » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر . (٥) سورة الحج ٢ . (٦) فى ب ، ج : « دارت » ، وفى الخلاصة : « ذرأت » ، والمثبت فى : ا . (٧) فى ب : « بصباحه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة.

(٨) فى خلاصة الأثر : « فرأيت » . (٩) فى ا ، ب : « التكليف » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر . (١٠) فى الأصول : « ما » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(١١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وسقط من ج كلمة : « من » .

فهى كالأظفار والشُّعور ، ممَّا لا يترتَّب على وجُودِه ما يترتَّب على مثلِ العَلَقة المُستكِنَّة فى ذلك الموضع بالنسبة إلى الحياة .

وأيضا الكلامُ فيما يترتَّب عليه الأحكام ، فإن العَلَقة حيث كانت مَحَلَّ وَسْوسةِ الشيطان فى البشَر ، ربما يترتَّب عليه عدمُ الإيمان ، عِياذاً بالله ، ولا كذلك القَلَفة .

وأيضا خَلْقُ القَلَفة وإزالتها بعد ذلك قد وقع لغيرِه صلى الله عليه وسلم ، كإبراهيم عليه السلام ، فلو وُجِدتْ فيه صلى الله عليه وسلم ، ثم أُزيلتْ لم يكن فى ذلك كبيرُ مَزِيَّة بخلاف الشَّقِّ المذكور ، وإخراجِ العَلَقة المذكورة .

نعم ، يَرِد على كلامِ السُّبْكيِّ ، حيث قرَّر أنه لم يكن للشيطان حظٌّ منه صلى الله عليه وسلم ، وأنَّ خَلْقَ العَلقة فيه لتكْميل الخلْق ، أنَّهُ لا معنى لإزالتها بعد ذلك ، حيث لم تكن منه صلى الله عليه وسلم مَظِنَّةٌ له ، فلا يتمُّ حينئذ[1] ما قرَّره على ذلك النَّمط .

هذا ما لَاح ، ودعا إليه الفَلاح

***

قلت : فيه مناقشة

أما نَقْلُه الاختلافَ فى كونه وُلِد مَخْتونا ، فلم يكن إليه داعٍ ، إذ الإشكالُ إنما هو وارِدٌ على مُقابِلِه ، فلا معنى لنَفْى الاعْتراض .

ودعوى كَوْن العَلَقة من الأجزاء التى لا يُمكن بقاء الحياة بدونها مَمْنوعة .

وما أورد على كلام السُّبْكيِّ ، ليس بواردٍ عليه ، فإن فى إزالتها مع[2] مَنْع

(١) ساقط من : ا ، وهو ف : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٢) ساقط من : ا ، وهو ف : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

الشيطان عنها حكمةٌ هي[1] قَطْع وُصولِه إليه .

ولقد أجاد الشِّهابُ الخفاجِيُّ في تعليله الشَّقَّ بقوله :

شُقَّ منه صَـدْرٌ فأُخْرِج منه    عَلَقةٌ في صَمِيمِه سَوْداء[2]

وبه تَمَّ خَلْقُه وتَقْوى    قَلْبِـه فِطْرةً وزاد النَّماء

فـلِذا حاز جُرْأةً في اعْتدال    وله حَبَّب الفتـاةَ الفَتاء

ما انْتفتْ هذه لتُكْمِل خَلْقاً    نُـكْتةٌ ما اهْتدَى لها الحُكَماء

فعلى القلبِ دِرْعُ عَزْمٍ حَصِينٌ    ولِلُبٍّ عليـه لَامٌ وبَاء[3]

* * *

ومن شعر القاضي محمد قولُه[4] :

سلامٌ على الدارِ التى قد تباعدتْ    ودمعى على طولِ الزمانِ سَفُوحُ[5]

يعِزُّ علينا أن تَشِطّ بنا النَّوى    ولِى عندكم دُون البَرِيّةِ رُوحُ

إذا نَسمتْ من جانبِ الرَّمْلِ نَفْحةٌ    وفيها عَرارٌ للغُوَيْرِ وشِيحُ

تذكَّرتُـكم والدمعُ يستُر مُقْلتِى    وقلبى مَشُوقٌ بالبِعاد جَرِيحُ

فقلتُ ولِى من لَاعِجِ الشوقِ زَفْرةٌ    لها لَوْعةٌ تَغْدُو بها وترُوحُ[6]

ألا هل يُعيد اللهُ أيّامَنا التى    نَعِمْنا بها والكاشِحون نُزُوحُ[7]

* * *

---

(١) في ا : « على » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٢) في ب ، ج : « علق في صميمه » ، والمثبت في : ا .

(٣) كلمة « لب » مكونة من اللام والباء ، واللأم : الدرع .

(٤) القصيدة في : خلاصة الأثر ٣ / ٤٢٥ ، سلافة العصر ١٢٢ .

(٥) في ا : « ودمع على طول الزمان » ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٦) في ج ، والخلاصة ، والسلافة : « من لاعج الوجد » ، والمثبت في : ا ، ب .

(٧) هذا البيت ساقط من : ج ، وهو في : ا ، ب ، والخلاصة ، والسلافة .

وفي السلافة : « يعيد الدهر » .

وقوله أيضا ، فى جواب كتابٍ ورد إليه[١] :

هـــذا كتابُك أم دُرٌّ بمُنَّسِقٍ أم الدَّرارِى التى لاحتْ على الأُفُقِ[٢]

وذا كلامُك أم سِحْرٌ به سُلِبَتْ نُهَى العقولِ فتتْلُو سورةَ الفَلَقِ

وذا بيانُك أم صهباءُ شَعْشَعَها أغَنُّ ذو مُقْـــلةٍ مكحولةِ الْحدَقِ

بتاجِ كلِّ مَلِيـــكٍ منه لامعةٌ وجِيدِ كلِّ مُجيدٍ منه فى أُفُقِ[٣]

رَوْضٌ من الزهْرِ والأنوارُ زاهيةٌ كأنجُمِ الأُفْقِ فى اللألاءِ والنَّمَقِ

وذِى حمائمُ ألفاظٍ سجَعْنَ ضُحًى على الخمائلِ تحت العارضِ الغَدِقِ[٤]

رســـالةٌ كفَرادِيسِ الجِنانِ بها من كل مُؤْتلقٍ يُلْهِى ومُنْتَشَقٍ[٥]

كأنمـــا الألِفاتُ المائِداتُ بها غصونُ بانٍ على أيْكٍ من الوَرَقِ[٦]

تَعْلُو منابرَها الهمْزاتُ صادِحةً كالوُرْقِ ناحتْ على الأفْنانِ من حُرَقِ

مِيماتُها كثُغورٍ يبتسِمْنَ بمـــا يُزْرِى على الدُّرِّ إذْ يُزْهِى على العُنُقِ[٧]

فِطرْسُها كبَياضِ الصُّبْحِ من يَقَقٍ ونِقْسُها كسَوادِ الليلِ فى غَسَقِ[٨]

يا ذَا الرَّســـالة قد أرسلْت مُعجِزةً رَدَّتْ بلاغتُها الدَّعْوَى من الفرقِ[٩]

---

(١) فى ب ، ج : « عليه » ، والمثبت فى : ا .

والقصيدة فى : خلاصة الأثر ٣/٤٢٤ ، ٤٢٥ ، سلافة العصر ١٢٠ ، ١٢١ .

(٢) فى السلافة : « أم در بمنسق » . (٣) فى السلافة : « منه فى أنق » .

(٤) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « غب العارض » . (٥) فى ا : « من كل مؤتلف » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة ، وفى ا : « يلهو ومنتشق » ، وفى السلافة : « يلفى ومنتشق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٦) فى ج ، والسلافة : « على أيد من الورق » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . (٧) فى ا ، ب ، والسلافة : « يبتسمن بهما » ، والمثبت فى : ج ، والخلاصة .

وفى ا ، ب : « أن يزهى » ، والمثبت فى : ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٨) اليقق : الشديد البياض .

وفى ا « ويقسها كسواد الليل » ، وفى ج ، وخلاصة الأثر : « ونقشها » ، والمثبت فى : ب ، والسلافة .

والنقس : المداد .

(٩) فى ا ، ب : « من الغرق » ، والمثبت فى : ج ، والخلاصة ، والسلافة .

ويا مَليكَ ذوِي الآدابِ قاطبـــةً ... ويا إماماً هَدانا أوْضح الطُّرُقِ

مَن ذا يُعارِض ما قد صاغ فكرُكَ مِن ... حَلْي البيانِ ومَن يقْفوك فى السَّبقِ

أنت المُجَلِّى بمِضْمارِ العـــلوم إذا ... أضْحَى قُرومُ أُلِى التحْقيقِ فى قلَقِ

صَلَّى أئمـــةُ أهلِ الفضلِ خَلْفَك يا ... مَوْلَى المَوالى وربَّ المنطقِ الذَّلِقِ

مُسلِّمين لما قد حُزْتَ من أدبٍ ... مُصدِّقين بما شُرِّفْتَ من خُلُقِ

مَهْلاً فباعِى من التقْصيرِ فى قِصَرٍ ... وأنت فى الطَّوْلِ والإحْسانِ ذو عُمُقِ

سبحان بارئُ هٰذِى الذاتِ من هِمَمٍ ... سبحان فاطرُ ذا الإنْسان من عَلَقِ

ياليتَ شِعْرِىَ هل شِبْهٌ يُرَى لكمُ ... كلاَّ وربِّى ولا الأمْلاكُ فى الخُلُقِ

عُـــذْراً فما فِكْرتى صَوَّاغةٌ دُرَراً ... حتى أصُوغَ لك الأسْلاكَ فى نَسَقِ

واسْلَمْ ودُمْ وتعـــالى فى مَشِيد عُلاً ... تسْتنْزِل الشُّهْبَ للإنْشا فلم تُعَقِ

***

وقوله فى صدر كتاب[1] :

بحقِّ الوفَا بالوُدِّ بالشِّيمةِ التى ... عرِفتم بها بالجودِ والكرمِ الجَمِّ

بتلك الخِصالِ الأشْرفيّاتِ بالنُّهَى ... بعِزَّتك العَلْيـــا على قِمةِ النَّجْمِ

بذاك المُحَيّـا الهَشِّ بالمنطِقِ الشَّهِى ... بما فيك من خُلْقٍ رضِيٍّ ومن عَزْمِ

أجِرْنِى من التـكْليفِ واقْبَلْ تحيَّتِى ... بتقْبيل أرضٍ لم تزَلْ مُنْتهى هَمِّى

فدهرِى من الإسْهابِ أمْنَعُ مانـعٍ ... ووقْتِى عن الإطْنابِ أضْيَقُ من سَمِّ[2]

وماذا عسَى فى الوصفِ يبلُغ مِقْوَلى ... ولو مُدَّتِ الأقْلامُ من مَدَدِ اليَمِّ

***

---

(١) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٣/٤٢٥ ، سلافة العصر ١٢٢ .

(٢) السم : الثقب ، وهو يعنى ثقب الإبرة .

# ٢٨٠

## محمد على بن محمد بن عَلاَّن الصِّدِّيق*

عَلَمٌ حديثُ فضلِهِ أحسنُ الحديث ، وإليه انتهى فى قُطْر الحجاز فَنُّ التَّحْديث[١] .

فهو سَبَّاق غايته ، وحامل رايته ، وحافظُه الذى ملَك جُلَّ[٢] رِوايتِه ودِرايتِه .

شرَح اللهُ لتحفُّظِه صَدْرَه ، وأعْلَى به فى الخافقَيْن قَدْرَه .

فحدِّث إذا حَدَّث عن البحر ولا حَرَج ، وانْظُر روضةً من رياض الجَنَّة طَيِّبةَ الأرَج .

إلى ماحَوَى من فنون أرْبَى فيها على حُلَفائه ، وهناك حُسْنُ حالٍ مع الله أَلْحقه بأتْقياء الدِّين وحُنَفائه .

تتَّعِظ به النفوسُ فى التكلُّم والسكوت ، ودعوتُه لا تُحْجَب عن الملك والملكوت .

---

(*) محمد على بن محمد علان بن إبراهيم بن محمد بن علان البكرى الصديقى العلوى .

ولد سنة ست وتسعين وتسعمائة ، بمكة ، وبها نشأ .

وحفظ القرآن بالقراءات ، وحفظ عدة متون فى كثير من الفنون ، وأخذ عن جلة علماء عصره ، وأجازه كثير من الشيوخ .

تصدر للإقراء ، وله من السن ثمانية عشر عاما ، وباشر الإفتاء ، وله من السن أربع وعشرون سنة ، وجمع بين الرواية والدراية ، والعلم والعمل .

وكان إماما ثقة ، من أفراد أهل زمانه معرفة وحفظا وإتقانا وضبطا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عالما بالتفسير ، ضليعا فيه .

وله مؤلفات كثيرة ، منها تفسيره «ضياء السبيل إلى معالم التنزيل» ، و «شرح الأذكار للنووى» .

توفى بمكة ، سنة سبع وخمسين وألف ، ودفن بالمعلاة .

تراجم الأعيان ، ترجمة رقم ١٧٧ ، خلاصة الأثر ٤/١٨٤ ـ ١٨٩ .

وجاء فى ج ضبط «علان» بكسر العين واللام المشددة ، ضبط قلم . وانظر المشتبه ٤٧٨ .

(١) فى ا : «الحديث» ، والمثبت فى : ب ، ج .  (٢) فى ا : «خيل» ، وفى ج : «حل» ، والمثبت فى : ب .

وله تصانيف تُشَنَّف بها آذانٌ ومَسامِـع ، ووَدَّت [1] صحائفُ الأذْهان لو أنها لها دفاترُ ومَجامِـع .

***

وله شعرٌ ربما أجاد فيه ، فلم يَحْكِ مِثالَه من الزُّلال العَذْب صافِيه .

فمنه قوله [2] :

وزمزمَ قالوا فيــه بعضُ مُلوحةٍ ومنه مِياهُ العَيْنِ أحْــلَى وأمْلَحُ

فقلت لهم قلبي يَراها مَلاحــةً فما برِحتْ تحــلُو لقلبِي وتَمْلُحُ

***

وقوله [3] :

يارَبِّ أنت حبسْتَ الحُسْنَ في قمرٍ حُلْوِ الشَّمائلِ لايرْثِي لمن عَشِقَهْ

أكاد أدعو عليه حين يهجُرنِى لـكنْ لِفَرْطِ غرامى تمْنعُ الشَّفَقَهْ

***

وقوله [4] :

يا مالِـكاً رِقَّ قلـــبِي رِفقاً بنفْسِ رَفِيقِكْ [5]

اللهُ بيـــنِى وبين الـ ـلَّـهِ والِكِ في رَشْفِ رِيقِكْ

***

وقوله [6] :

يامَن يلوم مُحِـــبًّا ولا يُراعِى الجمـــالا [7]

---

(١) في ب : « وددت » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) البيتان في خلاصة الأثر ٤/١٨٨ .

(٣) خلاصة الأثر ٤/١٨٨ .

(٤) البيتان في خلاصة الأثر ٤/١٨٨ ، ١٨٩ . (٥) في الخلاصة : « بنفس رفيقك » .

(٦) البيتان في خلاصة الأثر ٤/١٨٩ . (٧) في الخلاصة : « يا من يلم في هواه » .

بالله دَعْـــــــنِي فإنِّي لقـــــد فَنِيتُ انتحـــالا

* * *

وقوله مضمِّناً (١) :

كتَبْتُه ولهيبُ الشوقِ فى كَبِدِى والدمعُ مُنسكِبٌ والبالُ مَشْغولُ
وقلتُ قد غاب مَن أهْواه وَا أسَفِي بانتْ سعادُ فقلبي اليومَ مَتْبُولُ

* * *

ومن زَهْرياته ، قولُه فى عَقْد الحديث (٢) :

إذا أمْسَيْتَ فابتَــدِرِ الصَّباحَا ولا تُمْهِلْه تنتظرُ الصَّياحَا (٣)
وتُبْ ممَّا جَنَيْتَ فـكم أناسٍ قَضَوْا نَحْباً وقد نامُوا صِحاحَا (٤)

* * *

ومما يُعجِب فى هذا المعنى قولُ الشِّهاب :

ألا أيُّها المغرورُ فى نومِ غَفْـلةٍ تيَقَّظْ فإن الدهرَ للناس ناصِحُ
فـكم نائمٍ فى أوّلِ الليلِ غافلٍ أتاه الرَّدَى فى نَوْمِه وهْو صابِحُ
فشَقَّ عليه الليلُ جَيْبَ صَباحِه وقامتْ عليــه للطيورِ نَوائحُ

* * *

وأنشد له بعضُهم هذه الأبيات ، وهى قولُه (٥) :

الموتُ بحرٌ مَوْجُــــه طافحٌ يغرَق فيه الماهرُ السابِــحُ
وَيْحَكِ يانفسُ قِفِي واسْمعِي مَقالةً قد قالهــــا ناصحُ
ماينفعُ الإنسانَ فى قبرِه إلّا التقى والعمـــلُ الصالحُ

---

(١) خلاصة الأثر ٤/١٨٩ . (٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/١٨٩ . (٣) فى الخلاصة : « تنتظر الصباحا » . (٤) فى الخلاصة : « فـكم أناسا » .
(٥) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/١٨٩ .

# ٢٨١

## عبد الملك بن جمال الدين العِصامِيّ *

حَفِيدُ العِصام الإسْفَرايِنِيّ (١) ، رحمهُ الله رحمةً تُبْرِد ضَرِيحَه ، وتُقدِّسُ رُوحه ورِيحَه .

المُتَّصِف بصفاتِه ، الجارِي على نَهْجِه فى مُصنَّفاته .

رَساَ أصلُه فى الثَّرَى ، ورافق عَزْمُه النجمَ فى السُّرَى .

فلا مَجْدَ إلّا إليه انْتِسابُه ، ولا جُود إلا إليه انْسِيابُه .

وهو والفضلُ رُوح وشَخْص ، وكلُّ وَصْفٍ من أوصافِه الكمالُ به مُخْتَصّ .

عَفُّ السَّرِيرة طاهرُ الأثْواب ، مُقسِّم الآنَات بين الطاعةِ ونَيْل الثَّواب .

وله من الآثار مالا تزال الرُّواةُ تدرسُه ، والتَّواريخ على مَدَى الأيام تحرُسه .

* * *

(*) عبد الملك بن جمال الدين بن صدر الدين العصامى الإسفرايني ، المشهور بالملا عصام .
ولد بمكة ، سنة ثمان وسبعين وتسعمائة ، ونشأ بها .
وأخذ عن والده ، وعن عمه القاضى على بن صدر الدين الشهير بالحفيد ، وعن عبد الكريم بن محب الدين القطبى ، والسيد العلامة محمد الشهير بمير باد شاه ، وغيرهم .
ولازم الإقراء والتدريس حتى فاق واشتهر .
وله تآليف كثيرة ، زادت عن ستين كتابا ، منها : « شرح الشذور » ، و « شرح الإرشاد » فى النحو ، و « حاشية على الشرح الجديد على الكافية » .
توفى بالمدينة المشرفة ، سنة سبع وثلاثين وألف ، ودفن ببقيع الغرقد .
البدر الطالع ١/٤٠٣ ، خلاصة الأثر ٣/٨٧ ، ٨٨ ، سلافة العصر ١٢٢-١٢٤ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤٢٠ ، ٤٢١ .

(١) عصام الدين إبراهيم بن محمد بن عرب شاه الإسفراينى .
من علماء البلاغة ، وهو صاحب « الأطول » فى شرح تلخيص المفتاح للقزوينى .
توفى سنة خمس وأربعين وتسعمائة .
شذرات الذهب ٨/٢٩١ ، كشف الظنون ١/٤٧٧ ، معجم المطبوعات ١٣٣٠ ، وانظر حاشية الأعلام ١/٦٤ .

فمنه قوله مُضَمِّنا (١) :

أُهْـــدِي لمجلسِهِ الـكريـ ـمِ فرائداً تُهْدَى إليْهِ
كالبحـــرِ يُمْطِرُه السَّحا بُ ومالَه فضـــلٌ عليْهِ

***

وهو من قَوْل البَدِيع الأَسْطُرْلابِيِّ (٢) :

أُهْـدِي لمجلسِهِ الـكريمِ وإنما أُهْدِي له ماحُزْتُ من نَعْمائِهِ (٣)
كالبحرِ يُمْطِرُه السحابُ ومالَه فضلٌ عليـه لأنه من مائِهِ (٤)

***

وكتب إليه القاضي تاج الدين المالِكِيّ (٥) مُسائِلاً (٦) :

ماذا يقولُ إمامُ العصرِ سيدُنا ومَن لديْه يرَى التحقيقَ طالبُهُ (٧)
في الدارِ هــل جائزٌ تذْكيرُ عائدِها في قَوْلِنا مثلاً في الدارِ صاحبُهُ
وفي إبانةِ هَمْزِ ابنٍ أراد فهـلْ يكون موصوفُه إسْماً تُطالبُهُ (٨)
أم كَوْنُه عَلَماً كافٍ ولو لَقَباً أو كُنْيةً إن أراد الحذْفَ كاتبُهُ

---

(١) البيتان في : خلاصة الأثر ٣/٧٧ ، سلافة العصر ١٢٣ .

(٢) هبة الله بن الحسين الأسطرلابي ، المعروف بالبديع .

من شعراء «زينة الدهر» للحظيري ، فيلسوف ، طبيب ، فلكي من أهل بغداد .

توفي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة .

طبقات الأطباء ١/٢٨٠ ، فوات الوفيات ٢/٦١٤ معجم الأدباء ١٩/٢٧٣ ، النجوم الزاهرة ٥/٢٧٥ ، وفيات الأعيان ٥/١٠١ .

والبيتان في : خلاصة الأثر ٣/٨٨ ريحانة الألبا ١/٩٦ ، سلافة العصر ١٢٣ ، فوات الوفيات ٢/٦١٥ ، وفيه : « وقد قيل : « إنهما لغيره » ، معجم الأدباء ١٩/٢٧٥ ، وفيات الأعيان ٥/١٠١ .

(٣) في ريحانة الألبا ، ومعجم الأدباء ، والنجوم الزاهرة : « أهدي لمجلسك الشريف وإنما » .

(٤) في ريحانة الألبا ، والنجوم الزاهرة : « من عليه » . (٥) تقدمت ترجمته برقم ٢٧٨ .

(٦) الأبيات في : خلاصة الأثر ٣/٨٧ ، ٨٨ ، سلافة العصر ١٢٣ . (٧) في خلاصة الأثر : « إمام العصر عالمه » . (٨) في السلافة : « ومن إبانة ... إسما نطالبه » .

أفِدْ فما إنْ رأينــــا الحقَّ مُنْخفِضاً ... إلّا وأنتَ على التحقيقِ ناصبُهُ

***

فأجابه بقوله[١] :

يا فاضلاً لم يزَلْ يُهْدِي الفرائدَ مِنْ ... عُلومِــــه وتُروِّينا سَحائبُهُ

تأنيثُك الدارَ حتْمٌ لا سبيلَ إلى التَّـ ... ـذكيرِ فامْنَعْ إذاً في الدارِ صاحبُهُ

والابْنُ مَوْصوفَه عَمٌّ فإن لَقَباً ... أو كُنْيَةً فارْتِكابُ الحَذْفِ واجبُهُ[٢]

هذا جَوابِيَ فاعْذِرْ إن تجِدْ خَلَلاً ... فمصدرُ العَجْزِ والتَّقْصيرِ كاتبُهُ[٣]

لا زِلْتَ تاجاً لِهاماتِ العُلَى عَلَماً ... في العلمِ يحْوِي بك التحقيقَ طالبُهُ



(١) خلاصة الأثر ٣ / ٨٨ ، سلافة العصر ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) في ا ، ج : « فارتـكابه الحذف أوجبه » ، والمثبت في : ب ، وخلاصة الأثر ، والسلافة .

(٣) في السلافة : « إن ترى خللا » .

ابناه :

# ٢٨٢ ، ٢٨٣

## شرف الدِّين يحيى*

و

## بدر الدين حسين*

لما تُوُفِّى أبوهما فى المدينة قرَّا بها قرار أُحُدٍ وسَلْعٍ[1] ، ورسَخا رسُوخَ الباسِقات ذواتِ الثَّمر والطَّلْع .

وهما قمَران طلَعا معاً فأشْرقا ، ورَوضان سُقِيا ماء النَّباهة فأوْرقا .

وكلٌّ منهما أديبٌ أرِيب ، له فى المَعارف ضرائبُ ماله فيها ضَرِيب .

إلى أشعارٍ تَرُوق كما راقتْك عُهود الشَّبائِب ، وتَشُوق كما شاقتْك ذِكرى الحبائِب .

* * *

فمما ظفِرْتُ به من أشعار شرف الدين ، قولُه وقد[2] أهدى نَبقًا وفُلاًّ[3] :

(*) يحيى بن عبد الملك بن جمال الدين العصامى الإسفراينى المكى .

أديب ، شاعر ، له مؤلف سماه : « أنموذج النجباء من معاشرة الأدباء » .

توفى بالمدينة ، سنة أربع وسبعين وألف ، ودفن ببقيع الغرقد .

خلاصة الأثر ٤/٤٧٢ ـ ٤٧٤ ، سلافة العصر ٢٧٢ ـ ٢٧٥ .

(*) ترجمه ابن معصوم ، فى سلافة العصر ٢٧٦ ، وذكر أنه حفظ « مقامات الحريرى » بحسن إنشاؤه وقريضه .

وأورد له هذه الأبيات ، التى قرظ بها « رحلة » السيد محمد كبريت المدنى :

جمعتَ فى رحلةٍ أنشأْتَها أدبًا ... وكان مِن قبلُ فيه أىَّ تشتيتِ

وقد أقرَّ لك الرَّاوون حين بدَتْ ... تَميسُ فى حُلَّتَىْ دُرٍّ وياقوتِ

لا تعجَبوا أن جلَتْ عنكم غياهِبكمْ ... فإنها جَذْوةٌ من نار كبريتِ

(١) سلع : جبل بسوق المدينة . تقدم كثيرا . (٢) سقطت « قد » من : ا ، وهى فى : ب ، ج ، والسلافة . (٣) البيتان فى : خلاصة الأثر ٤/٤٧٤ ، سلافة العصر ٢٧٥ .

أهديتُ نَبْقاً لنبـــقى فى الودادِ على ... صِدْقِ الودادِ وإرْغامِ العدى أبدَا
ومَعْه يا سيِّدى فُلٌّ يبشِّرُكم ... بأنَّه فُلَّ مَن يَشْناكمُ كَمَدَا

***

الفُلُّ : نوع من الياسَمين ، بلغة أهل اليمن ، ذَكِيُّ الرائحة .
ولم يذكره أهلُ اللغة ، فلعله مُولَّد ، وسمَّاه ابن البَيْطار فى « مفرداته » النَّمَارِق [(١)]

***

وكتب على « سفينة شعر » ، لأديب يُعْرَف بعارف ، قولَه [(٢)] :

سفينةُ أشعـــارٍ هى البحرُ دُرُّها ... نتائجُ أفـــكارٍ وشتَّى معارفِ
بها اللفـــظُ كأْسٌ والمَعانى مُدامةٌ ... وما ذاق منها نشوةً غيرُ عارفِ

***

وله [(٣)] :

رأى سَقَمَ الـكتابِ فقال عنـــه ... سَقيمُ الجفْنِ ذو حُسْنٍ بديعِ [(٤)]
فقلتُ له فدَتْك الرُّوحُ هـــذا ... مُراعاة النَّظيرِ من البـــديعِ [(٥)]

***

أين هذا من قول البعضِ فى مليحٍ احمرَّتْ عيْناه ، وهو [(٦)] :

---

(١) هذا نقل عن الريحانة ٢/٤٢ ، وانظر شفاء الغليل ١٧٣

(٢) سلافة العصر ٢٧٥ .

(٣) البيتان فى : خلاصة الأثر ٤/٤٧٤ ، سلافة العصر ٢٧٥ .

(٤) فى خلاصة الأثر : « رأى سقم الـكثيب » .

(٥) فى ا : « مع البديع » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

ومراعاة النظير من أقسام البديع ، ويسمى التناسب والتوافق والائتلاف والمؤاخاة ، وهو جمع أمر وما يناسبه ، مع إلغاء التضاد ، لتخرج المطابقة ، مثل قول البحترى :

كالقِسِىِّ المُعطَّفاتِ بل الأسْـ ... ـهُمِ مَبْرِيَّةً بل الأوتارِ

انظر معاهد التنصيص ١/٢١٦ ، ٢١٧ .

(٦) سلافة العصر ٢٧٥ .

ليس احمرارُ لِحاظِه من عِـــلَّةٍ  لـكنْ دمُ القتْـــلَى على الأسْيافِ

قالوا تَشابَه طَرْفُه وبَنـــانُه  ومن البـــديعِ تَشابُه الأطْرافِ

* * *

وقوله مُعارِضاً بيْتَيِ القاضى تاج الدين المالِـكِىّ [1] :

وخَوْدٍ من الأعْرابِ لمـــا تلثَّمتْ  ببُرْقُعِهـــا الشَّرْقِىِّ فى مَعْشَرِ العِشْقِ

وشَرَّق خَـــدَّيْها الحياءُ بحُمْرَةٍ  أرَتْنا هلالَ الأُفْقِ يبْدُو من الشَّرْقِ

* * *

وله [2] :

قالوا أضافَكَ يايحْيى لِخدْمتِـــــه  حبيبُ قلبِك فى سِرٍّ وفى عَلَنِ

فقلتُ لَمَّا رآنى غَـــيرَ مُنْصرِفٍ  عن حُبِّه رام كَسْرِى فهْوَ يَجْبُرُنِى

* * *

وله مُوجِّهاً بأسماء الأنْغام ، فيمن اسمه حسين ، وقد ورد المدينة من مكة [3] :

أقولُ لِمَعْشَرِ العُشّاقِ لَمَّـــا  بدا رَكْبُ الحِجازِ وقَرَّ عَيْنِى

أمِنْتُم من نَوَى المحبوبِ فاسْعَوْا  له رَمَـــلاً وغَنُّوا فى حُسَيْنِى

* * *

وما ألطف قول ابنَ جابرٍ الأندلُسِىّ [4] ، فى مثل ذلك [5] :

---

(١) تقدمت ترجمة تاج الدين المالـكى ، برقم ٢٧٨ ، وانظر البيتين هناك .
وبيتا شرف الدين العصامى فى سلافة العصر ٢٧٥ .

(٢) البيتان فى : خلاصة الأثر ٤/٢٧٤ ، سلافة العصر ٢٧٥ .

(٣) خلاصة الأثر ٤/٤٧٣، ٤٧٤، سلافة العصر ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على بن جابر الأندلسى الهوارى .
شاعر أندلسى ، ضرير ، ضليع فى علوم اللسان .
رحل إلى المشرق ، واستقر بالشام ، وتوفى بها سنة ثمانين وسبعمائة .
بغية الوعاة ١/٣٤ ، الدرر الـكامنة ٣/٤٢٩ ، نفح الطيب ١٠/١٦٢ ، نكت الهميان ٢٤٤ .

(٥) البيتان فى : خلاصة الأثر ٤/٤٧٤ ، سلافة العصر ٢٧٤ .

يا أيها الحادِي اسْقِني كأسَ السُّرَى  نحْـوَ الحبيبِ ومُهْجتِي للسَّاقِي
حَيِّ العِراقَ على النَّوَى واحمِلْ إلى  أهلِ الحِجازِ رسائلَ المُشْتاقِ

* * *

وله [1] تأليف سماه « أُنْموذج النُّجَبا من معاشرة الأُدَبا » تكلَّم فيه شارحاً لقول القائل :

حاشا شَمائِلَكَ اللَّطيفـةَ أن تُرَى  عَـوْناً علىَّ مع الزمانِ القاسِي

غيرَ أنه لم يعرف قائلَه ، فقال : ولَعَمْرِي ، إنه ، وإن جُهِل بَانِيه [2] ، من البيوت التى أَذِن الله أن تُسْكَن ، فما اللفظُ إلّا بمعانيه ، وإن كان [3] قائلُه أَلْكَنْ .

ثم قال : وهـذا البيتُ ممَّا يُكثِر الاسْتشهادَ به أهلُ الآداب ، فى مُحاضرة الأصدقاء والأحباب .

وهو من أربعة أبيات مَعْمورة بلطيف العتاب ، [4] وتنْزيه شمائلِ الأَنْجاب [4] ، مَبْرورة بصدقِ المنطق واقْتضاء الصَّواب .

مَحاسنُها غُرَر فى جِياد [5] القصائد ، [6] ولمعانى البديع [6] بها صلةٌ ومن [7] مُفْرداتها عائِد .

تُشرِق شموسُ التهذيب فى سماء بلاغتها ، وترتشِف [8] الأسماعُ على الطرب من رَقيق [9] سُلافتِها .

---

(١) هذا الفصل منقول عن سلافة العصر ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، وهو فى خلاصة الأثر ٤/٤٧٣ .

(٢) فى الخلاصة بعـد هذا زيادة : « فهو » .  (٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .  (٤) ساقط من : خلاصة الأثر .  (٥) فى خلاصة الأثر : «أجياد» .

(٦) فى خلاصة الأثر : « والمعانى البديعة » .  (٧) سقطت « من » من خلاصة الأثر .

(٨) فى خلاصة الأثر ، وسلافة العصر : « وترشف » .  (٩) فى خلاصة الأثر : « ريق » .

فما أحقّها بقول القائل :

أبياتُ شِعْرٍ كالقُصو ... رِ ولا قصورَ بهـا يايقُ
ومن العجائبِ لَفْظُهـا ... حُرٌّ ومعناها رقيقُ (١)

وهى :

إنِّى لأعْجبُ من صدودِكَ والجفَا ... من بعد ذاكَ القُرْبِ والإيناسِ
حاشَا شمائلك اللطيفةَ أن تُرَى ... عَـوْنًا علىَّ مع الزمانِ القاسِى
أو ثغرَكَ الصافِى يَرُدُّ حُشاشَةً ... تشْكو لَهِيبًا من لَظَى أنْفاسِى
تاللهِ ماهذا فِعالُكَ فى الهوى ... لكنْ حُظوظٌ قُسِّمتْ فى الناسِ

انتهى كلامه .

قال ابنُ مَعْصوم :

قلتُ : وقد وقفتُ أنا بالدِّيار الهِنْدية على « مجموع » بخط أبى البقاء الوَفائىّ (٢) الوَداعِىّ الحنفىّ قديم ، يقول فيه : القاضى علاء الدين على بن فَضْل الله أبو (٣) الحسن ، صاحب ديوان الإنشاء ، أخو القاضى شهاب الدين أحمد (٤) العُمَرِىّ ، وقف على بيتَيْن للصلاح الصَّفَدِىّ .

وهما :

إنى لأعجبُ من صُدودِك والجفَا ... من بعد ذاكَ القُرْبِ والإيناسِ
حاشَا شمائلَكَ . . . . . . . . . . . . . . . . . . إلخ

فقال مُجيزاً لهما :

---

(١) فى خلاصة الأثر : « ومعناه رقيق » .

(٢) فى ا : « الوفاء » ، وفى ج : « الوفاى » ، والمثبت فى : ب ، والخلاصة ، والسلافة .

(٣) فى السلافة : « أبى » .       (٤) فى السلافة بعد هذا زيادة : « بن فضل الله » .

أو ثغرُكَ الصافى يرُدُّ حشاشتى . . . . . . . . البيتين [١] .

انتهى .

فعُلِم بهذا [٢] أن البيتَ الذى شَرحه للصلاح الصَّفَدِىّ .

وقوله : إنه من أربعة أبيات ليس بصوَاب ؛ لإيهامِه أن الأربعة الأبيات [٣] قائلَها واحد ، وقد علمتَ أنها لشاعريْن .

والله أعلم .

٭٭٭



(١) كذا فى الأصول والسلافة : « حشاشتى » ، وفى الخلاصة : « حشاشة » ، وهو موافق لما سبق .

(٢) فى خلاصة الأثر : « من هذا » .      (٣) ساقط من : خلاصة الأثر ، وفى السلافة : «أبيات» .

## ٢٨٤

## عبد الملك بن حسين العِصامِيّ *

هو بمنزلة الغُرّة بين البصر والجَبين ، رَمَقَتْه عينُ العِناية منذ أُطْلِق عليه لفظُ الجَنين .

فنشأ مُتردِّيًا من النعمة ثَوْبا سابِغًا ، ومُتروِّيًا من الرَّفاهة شَرابًا سائِغا .

لا دَأب له إلّا توسُّم وُفودِ الآداب فى سُوقِ عُكاظِها، ولا شُغْلَ له إلا استكشافُ وُجوه المعانى المُخبَّأة تحت بَراقِع ألفاظِها .

مُشتمِلًا بحُلِيِّ الكمالات وبُرودِها ، رافلا بين عقيق [1] الفضائل وزَرُودِها .

حتى طَنَّتْ حَصاةُ عُلاه ، وعجزَتْ حُصاة حُلَاه .

فما الدهرُ إلّا من رُواة مَعاليه ، وما بديعُ الزّمان إلا من خَدَمَة مَعانيه .

وناهيك بعِصامِيِّ النَّفْس والجَدّ، وماجدٍ جَدَّ فى المعالى فساعَفه على نَيْله الحظُّ والجَدّ.

وقد صحبتُه أيامَ المجاورة ، واغتنمتُ من نَشْوة المحاضرة والمحاورة .

فى أوقاتٍ لا أحسِب من عُمرِى غيرَها ، ولا أنْسَى مدةَ عمرِى خيرَها ومَيْرَها .

***

وقد أخذتُ عنه من بِدَعِه ، ومُختَرَعِه فى مَحاسنِ الشعرِ ومُبْتَدَعِه .

---

(*) عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامى الشافعى المكى .
ولد بمكة ، سنة تسع وأربعين ومائة ، ونشأ بها .
واشتغل بفنون العلوم ، حتى نبه ، وتصدر للتدريس فى المسجد الحرام مدة عمره .
وهو صاحب « سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى » .
توفى بمكة ، سنة إحدى عشرة ومائة وألف ، وقيل : سنة ثمان ومائة وألف .
البدر الطالع ١/ ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، سلك الدرر ٣/ ١٣٩ ، عنوان المجد ١/ ١٢٠ .
وللمترجم شعر كثير ، أورده فى كتابه سمط النجوم العوالى، الجزء الرابع، صفحات ٤٨٦ — ٤٨٨، ٥٢٣، ٥٢٤ ، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٥٦ ، ٥٥٧، ٥٥٩ ، ٥٧٠، ٥٧١ ، ٥٧٧، ٥٧٨ ، ٥٨٠—٥٨٢ .

(١) فى ا : « عميق » ، والمثبت فى : ب ، ج . ومن المشهور المقابلة بين العقيق وزرود .

ما تتوالَدَ من غُصون حضيرتهِ[١] وُلْدان القَرِيض ، وتُقتطَف أزهارُ الأدب الغَضّ من غصون روضه الأرِيض .

فمن ذلك قوله من قصيدة مدح بها الشريف سعد بن زيد[٢] ، مطلعها[٣] :

سقى الغَيْثُ ذَيّاكَ الأُبَيْرِقَ والسِّقْطَا ... فأنبتَ فى أرْجائه الرَّنْدَ والأرْطَا[٤]

وحَيّي رُبًا تلك المعاهد فاكْتسَتْ ... رياضٌ لهـا من نَسْجِ إبْرَتِه بَسْطَا[٥]

مَعاهدُ لَمْياء البَدِيدِ تعطَّرتْ ... دمائثُ مَيْثاهَا بمـا تَسْحب المِرْطَا[٦]

لهـــا بشَرٌ كالماء إذ قلْبُها صَفَا ... وناظرُها كالسيفِ لكنَّه أسْطَى

إذا مادجَا ليـلٌ حكى لَيْلَ شَعْرِها ... وإن لاح نجمُ الأُفْقِ شِمْنَا به القُرْطَا[٧]

رَدَاحٌ إذا لاحتْ فكالبدر أو رَنَتْ ... فكالظَّبْيِ أوماسَتْ تُرِى الحَلّ والرَّبطَا[٨]

أراشَتْ لأحْشائى رَواشِقَ مُقْلةٍ ... ترى نَبْلَها يُصْمِى الفُؤادَ إذا أخْطَا

منها :

رَمَاها ومَرْباها مُلِثٌّ من الحَيَا ... وروَّى على أكْنافِها الأثْلَ والخَمْطَا[٩]

فَوا شَوْقَ أحْشائى لِلَحظةِ لَحْظِها ... وأنَّى بهـــا إذْ قد نأَتْ دارُها شَحْطَا

---

(١) الحضيرة : جماعة القوم .

(٢) كانت تولية الشريف سعد بن زيد بن محسن بن حسين ، سنة سبع وسبعين وتسعمائة .

انظر خلاصة الكلام ٨٠ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤٨١ .

(٣) القصيدة فى سمط النجوم العوالى ٤/٤٨٦–٤٨٨ .

(٤) السقط . ناحية الخباء . والأرطاة : شجرة ثمرها كالعناب .

(٥) فى ا : «رياضا لها» ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسمط .

(٦) فى الأصول : « لمياء البريد » ، والمثبت فى السمط ، ولعله يعنى بالبديد الثغر المفلج .

وفى ج : « دمائث ميساها » ، وفى السمط : « ومائث ميثاها » ، والمثبت فى : ا ، ب .

والميثاء : الأرض السهلة .

(٧) فى السمط : «حكى ليل جورها ... سمنا به القرطا» .

(٨) فى السمط : «فكالشمس أورنت» .

والرداح : العظيمة الأوراك .

(٩) فى السمط : « سحوح من الحيا » .

والملث : المتتابع . والخمط : كل شجر لا شوك له .

بلَى قد نأتْ عنِّى ولا بَيْنَ بيننا ... وبُدِّلْتُ من عَيْنِ الرِّضا بالجفا سُخْطَا[١]

كذلك أخلاقُ الغوانِى ومَن يرُمْ ... بهِنَّ الوفا كالمُبْتغِى فى الإضا قُرْطَا[٢]

ومن لم يذُد دون التَّصابِى وشِرْبِه ... فَصاراه فيها أن يَذِلَّ ويَنْحَطَّا[٣]

ويُمْسِى صَرِيعَ العينِ لا ناصرٌ له ... سِوى عَبْرةٍ يَرْوِى تفجُّرُها سَبْطَا[٤]

نعم لو نحَا فى كلِّ أمرٍ يؤُودُه ... مَليكَ الورى سَعْدَ بن زيدٍ لَما شَطَّا

مَليكٌ له من طِينةِ المجـــد جوهرٌ ... به ازْدانَتِ الدنيا وقِدْمًا هى الشَّمْطَا[٥]

شريفُ العلَى والذاتِ فى الوصفِ مُنْتمٍ ... إلى خيرِ أصلٍ طاب فى قَنْسِه رَبْطَا[٦]

منها :

طويلُ البِنا رَحْبُ الفِنا مُنْهِلُ الغِنَى ... مُزِيلُ العَنَا مُولِى المُنَى لِلُّهَى سَفْطَا[٧]

لقد حُطْتَ أكْنافَ الخلافةِ عَزْمةً ... وقُمْتَ بها حِفْظًا وشَيَّدْتَها ضَبْطَا[٨]

منها :

أبَى اللهُ إلّا أن تحُلَّ مَحَلَّهُ ... بمَرْتبةٍ عَزَّتْ لغيرك أن تُمْطَى[٩]

فوَافاكَ بالتَّأْييد ما كان كامنًا ... من الأزلِ العُلْوِىِّ ينتظِر الشَّرْطَا[١٠]

فمـــا خَطَّ تقْليدًا على الطِّرْسِ كاتبٌ ... ولـكنْ قضاءُ اللهِ من قبلِهِ خَطَّا

---

(١) فى ا : « وبدلت من عينى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسمط. (٢) الإضاء : الأجمة من الخلاف الهندى . والأضاة : المستنقع من سيل وغيره . (٣) فى السمط : « دون التصابى وسربه ».

(٤) السبط : الغزير . وفى السمط : « يروى تفجرها سطا » . (٥) فى ب : « وقد ناهز الشمطا » ، وفى ج : « وقد ماهر الشمطا » ، والمثبت فى : ا ، والسمط .

(٦) القنس ، بالفتح ويكسر : الأصل .

(٧) فى السمط : « رحب القنا » ، وفى ا : « نهل الغنى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسمط ، وفى السمط : « باللهى سفطا » .

واللهى : العطايا . والسفط : وعاء كالجوالق . يعنى أنه مصدر العطاء .

(٨) فى الأصول : « لقد حط » ، والمثبت فى : السمط . (٩) فى الأصول : « أن تحل محلة » ، والمثبت فى السمط ، ويعضده الأبيات السابقة على البيت فى السمط ، والحديث فيها عن سابقه .

(١٠) يشير إلى المرسوم السلطانى . انظر سمط النجوم العوالى ٤/٤٨٥ ، ٤٨٦ .

وفى ا : « ما كان كافيا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسمط .

منها وهو آخرها :

سأملأُ ديوانى بمَدْحِك مِدْحةً    لِشعْرِي لِكَي يستوجبَ الحمدَ والغِبْطا(١)

فدُمْ وابْقَ واسْلَمْ لا بَرِحْتَ مُؤيَّدًا    على العِزِّ مهما أن تحاوِلَه تُعْطَى

***

وله من أخرى أولها :

أعِدْ نَظْرةً تَشْفِيه يا مَن له الحُسْنَى    على مُهْجةِ المَعْمودِ والعاشِقِ المُضْنَى

بدا قَدُّكَ المَيَّاسُ فى حُلَلِ البَهـــا    فألبسنِى جِلْبابَ سُقْمِىَ والحُزْنَا

أجِيءُ إلى الأعْتابِ فى غَسَقِ الدُّجَى    وما خِلْتُه ألّا يزيدَ بى الوَهْنَا

لواه وَلائى تحت قَبْضِ يَمينِهِ    وإن كان عن رِقِّى بغيرِى قد استغْنَى(٢)

وَدِدْتُ لخدِّى تحت نَعْلَيْه مَوْطِئًا    فياليْته يَرْضَى وَضعتُ له الجَفْنَا

أيُشبه غُصْنُ البـــان لِين انْعِطافِه    فلا الصَّعدةُ السمراءُ تَحْكِى ولا الغُصْنَا(٣)

به فى فؤادِ الصَّبِّ سُقْمٌ مُبرِّحٌ    فلله سُقْمٌ ما ألَذَّ وما أهْنَا

نَحيفُ قَوامٍ لا من السُّقْمِ رِقَّةً    بها صِرْتُ رِقًّا بالنُّحُولِ له قِنًّا

حريقُ فؤادى لا يزال مُؤجَّجًا    ومَدْمَعُ جَفْنِى وابِلُ السَّحِّ لم يفْنَا(٤)

سَماحُ مُحيَّاه دليـــلٌ على السَّخَا    فمـــا بالُه بالوصلِ عن عَبْدِه ضَنَّا

نَبِىُّ جمـــالٍ مُعْجِزٌ بجمالِهِ    ومُعْجِزُ لَحْظَيْه عن الكلِّ قد أغْنَى

إليـــه إشاراتُ المحِبِّين حيثما    تولَّى وكلٌّ فى هَواه به مُضْنَى

به كلُّ أوصافِ الجمالِ تجمَّعتْ    فمِن أجْلِه فى الحبِّ صِرتُ له رَهْنَا

نَفَى وَسَنِى عنِّى وذَوَّب مُهْجتِى    وحَنَّ فؤادى للوِصالِ وما حَنَّا

عُبَيْدٌ له لا أبْتغِى العِتْقَ دائمـــا    فياليْته يَرْضَى حُلولِىَ فى المَغْنَى

---

(١) فى السمط : « لشعرى كى » .    (٢) فى ا : « ولاء ولائى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) الصعدة : القناة المستقيمة .    (٤) لعل الألف فى : « يفنا » للاطلاق .

له فى حَشاىَ منزلٌ ومَودَّةٌ مُشيَّدَةُ الأركانِ مُحْكَمَةُ المَبْنَى
يَهِيمُ به عقلى فسِرِّى تَهتُّكى ورُشْدِى ضَلالى فى هواه ولا مَنَّا
أَبُثُّ له شوق فيَلْوِى وينْثنِى بِتِيهٍ تَثَنٍّ يُخجِلُ الذّابِلَ اللَّدْنَا
لــماذا تُطِيلُ الصَّدَّ ياغايةَ المُنَى ومُغرَمُكَ الوَلْهانُ أفنيْتَه حُزْنَا
نَهتِنِيَ عُذّالِى وبى يتمَسْخَرُوا يقولون يا وَلْهانُ إِرْعَ لنا الظَّعْنَا[1]
زمانُك يامجنـون ضـــاع بحُبِّهِ ولم تر أهـلَ العشق مثلَكَ قد جُنَّا
يصُدُّ ويجْنِى فى فِراقِك دائمـــا فقلتُ فعنـدى ذاكَ أطيبُ ما يُجْنَى
إلى كم جفاً حتى متى تَرْضَ باللقـا وتُطفِى لَهِيباً لا عجاً مُهْجـةَ المُضْنَى
هنيئاً اقلبى مات فيـك محَبَّةً بمـا يُرْضِى الرحمن والإِنْسَ والجِنَّا
وما عَشَقتِى فيـه قَبِيحاً ولا خَناً ولـكنّها للهِ خالصـــةُ المعـنَى

***

وله من أخرى فى الغزل ، أولها :

أمالَ عِطفاً وطُـــلاه لَواهْ وأَخْفَقَ الحسنُ عليه لِواهْ[2]
عِطفٌ حكى الصَّعْدةَ فى صَدْعِها والغُصن المائسُ يحكى انْثناهْ
يتـــلوه لَحْظٌ نافِثٌ تالياً سِحْراً فيا وَيْلاه ممّا تلاهْ
فى كلِّ يومٍ منـــه لى آية لو أنّها للطَّوْدِ حَصباً تَراهْ
وكم به كلّمنى إذْ مضَى فمـــذْ دَعاه القلبُ وافَى وجاهْ
فدَيْتُها من لَحظةٍ لى بها من المنـــايا وشَهِىّ الحياهْ
لا صبرُ لى عنها ولا طاقةٌ عندى لها والأمرُ فيه اشتِباهْ
من حَسبِها عَقربَ صُدْغٍ بها قلبِىَ مَـــلْدُوغٌ وما مِن رُقاهْ

---

(١) كذا ورد : « يتمسخروا » . (٢) الطلاة : العنق .

دبَّتْ له دَبَّ لذيذِ الكرَى ... فى مُقلةٍ أوْدَى بها الانْتباهْ

ثم تحرَّتْ فى سُوَيْداه أن ... تشُوكَه وَيْلاه وا وَيْلتاهْ (١)

بدرٌ ثنانِى حبُّه فاغتـدَى ... فكرِى بنانِى دَيْدَنًا فى ثناهْ

ظَـبْىٌ وعنه لم يزلْ ناهِياً ... كلُّ جَهُولٍ عارياً عن نُهاهْ

فى ثغره العذبِ وسِلْكِ الجُما ... نِ الرَّطْبِ فانظر للحُلَى فى حُلاهْ

وفى شِفاهُ اللُّمْسِ خمرٌ حَـلا ... لـكنَّ لحظَيْه هما حَرَّماهْ

بمنطقٍ ذِى غُنَّةٍ خِلتُهـا ... صَليلَ عَضْبٍ فى حَشاىَ فَرَاهْ

لجيـدِهِ جُدْتُ برُوحِى وبالآ ... باءِ والبيْتِ وما قد حَواهْ

فتَـاه بالحُسْنِ وما ضَرَّه ... لو أنَّ بالحُسْنِ يُوَاتِى فَتاهْ

لا غَرْوَ أن تاه على مَن له ... ليلاً صباحاً بالشَّجَى أتَاهْ

لِمْ يا خليـلىَّ تلوما لِمَا ... لُمَا جَهُولًا عاذَلِى عن أماهْ (٢)

كم ليلةٍ أمسيْتُ ذا جَذْوةٍ ... تسوءُ ظَنِّى لا عِجِى لا عجاهْ (٣)

وسيِّدى عَـنِّىَ لاهٍ ولم ... أُحِرْ سَداداً والحِجا فيه لاهْ

آهِ لقـلبِى آهِ آهاً له ... آهِ لقـلبِى آهِ آهاً وآهْ

ذا لُؤْلُؤِى ثغرِه جِسْمُه ... ولُؤْلُوِىُّ الثَّوْبِ قلبِى لَواهْ

يا رَشاً بالـكُمِّ عنِّى أراهْ ... يستُرُ لحظًا فاتِـكاً بالـكُماهْ

أفْديكَ من خَجْلانَ لا عنكَ لِى ... مُسْتبْدَلٌ لا والعلِى فى عُـلاهْ

صَبْراً لهجْرِى إن به ترْضَ لى ... يوماً فيوماً ثم ماهاً فماهْ

وهـكذا يقضِى زَمانِى به ... لا حولَ لى ما شاء ربِّى قضاهْ

❊

(١) فى ا : « ثم تخيرت » ، وفى ب : « ثم تحترت » ، والمثبت فى : ج .

(٢) « عاذلى » مؤلفة من : « عاذ » الفعل ، و « لى » ، و « عاذلى » اسم فاعل من العذل .

(٣) اللاعج : المحرق الشديد . وعجاه : أخره ومنعه .

# ٢٨٥

## تقيّ الدين بن يحيى

## ابن إسماعيل بن عبد الرحمن بن مصطفى

## السِّنْجاريّ *

الاسم تَقِيّ والعِرْضُ نَقِيّ ، والخُلُق رَضِيّ ، والفعلُ بحمْدِ الله مَرْضِيّ .

تميَّز بهذا الشأن على وُفور حَلْبته ، وفرَّع فيه البيانَ على سُمُوِّ هَضْبته ، وفوَّق سَهْمَه إلى نَحْرِ الإحسان فأثبتَه فى لَبَّتِه .

مع أدبٍ غاصَ فى لُجَّةِ بحرِه ، فاستخرج دُرَرَه وأثبتها فى جِيدِ الدهر ونَحْرِه .

***

وقد أثبتُّ له ما يُغنِي عن ارْتشاف ثُغورِ الأقْداح ، ويكفى عن استنشاقِ عَرْفِ الرياضِ تفتَّح فيه الوَرْدُ والأقاح .

فمنه ما كتبه إلى القاضى تاج الدين المالكِيّ (١) ، مُلْغِزاً فى نخلة :

أيها المِصْقَعُ الذى شرَّف الدَّهْـ ... ـرَ وأحْيَى دَوارِسَ الآدابِ (٢)

والهمامُ الذى تسامَى فَخاراً ... وتناهَى فى العلمِ والأحْسابِ

---

(*) تقى الدين بن يحيى بن إسماعيل السنجارى المكى الحنفى .

فاضل ، أديب ، نبيل ، نبيه .

ولد سنة عشر بعد الألف بمكة ، ونشأ بها ، فأجهد نفسه فى تحصيل الأدب واكتسابه ، حتى أصبح فيه علماً .

توفى سنة سبع وخمسين وألف ، ودفن بالمعلاة .

خلاصة الأثر ١/٤٧٥ – ٤٧٩ ، سلافة العصر ٢٣٠ – ٢٣٤ .

وسنجار التى ينتسب إليها : مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة ، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام . معجم البلدان ٣/١٥٨ .

(١) تقدمت ترجمته برقم ٢٧٨ .

(٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ١/٤٧٧ ، سلافة العصر ٢٣١ ، ٢٣٢ ( نفحة الريحانة ٩/٤ )

والخطيبُ الذى إذا قال أمّا ... بعـــدُ أشفى بوعظِه المُستطابِ
والإمامُ الذى تهـــذّب طِفلاً ... وزكا فى العلومِ والأنسابِ [١]
إن تُصحّفه كان فيــــه شفاءٌ ... وبه النَّصُّ جاءنا فى الكتابِ
ولك الفضــلُ إن تُصحِّفه أيضا ... بالعطا لا برحْتَ سامِى الرِّحابِ
مُفرَداً إن حذفْتَ منسه أخيراً ... صار جمعاً له بغــير ارتيابِ [٢]
أو وصلتَ الأخيرَ منـــه بصَدْرٍ ... كان عدًّا برأيِ أهــلِ الحسابِ
وبثانٍ إن ضُمَّ تالٍ إليــــه ... فهو خِلٌّ من أعظمِ الأحْبابِ [٣]
وإذا ماصحّفْتَــــه لذّ للنفْـ ... ـسِ مَذاقاً فى مَطْعَمٍ وشَرابِ
خَلِّ نِصفاً يُحَلُّ عنــــه وبادِرْ ... قَلْعَ عينٍ ما إنْ لها مِن حسابِ
قلَع اللهُ عينَ شانيكَ يامَن ... قَدْرُه قد سما عن الإسْهابِ [٤]
وابْقَ فى عِزّةٍ وعزٍ منيعٍ ... ماحَدا بالحِجازِ حادِي الرِّكابِ [٥]

* * *

فأجابه بقوله [٦] :

يا إماماً صــلَّى وسلّمَ كُلٌّ ... خلفَــــه من أئمّةِ الآدابِ
وخطيباً رقَى فضمَّخ طِيباً ... مِنبَرَ الوعظِ منـه فَصْلُ الخطابِ

---

(١) فى خلاصة الأثر : « وذكا فى العلوم » .
وبعد هذا فى السلافة بيتان ، يتضح بهما سياق القصيدة ، وهما :

وحوَى ما حوى الأصولَ إلى أن ... حاز مالا يُحازُ بالاكْتساب
جئتُ أرجو كَشْفاً لشىءٍ تناهَى ... فى العلى واكْتفَى عن الحُجّاب

(٢) فى السلافة : « مفرد إن حذفت » ، وفى الخلاصة : « صار جنساً له » .
(٣) فى خلاصة الأثر : « أوبثان » . (٤) فى السلافة : « من الإسهاب » .
(٥) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « وابق فى نعمة وعز منيع » . (٦) الجواب فى خلاصة الأثر ١/٤٧٧، ٤٧٨ ، سلافة العصر ٢٣٢، ٢٣٣ .

لم يُنافَس لَدَى التَّقدُّم إلّا ... قال مِحْرابُه هــو الأحْرَى بِي

أشْرقتْ شمسُ فضلِه لا توارتْ ... عَيْنُهـــا عن عِيانِنا بحِجابِ

وأتى رَوْضُ فـكرِه بعَرُوسٍ ... قد أُمِدَّتْ أنهارُها من عُبابِ

تقتضي مِنِّيَ الجوابَ وعُــذْرِي ... في جوابِي حُوشِيتَ أنَّ الجوَى بِي

شَبَّــــهُ في حَشايَ فَقْدُ فتاةٍ ... رحلتْ تمتطِي مُتونَ الرِّقابِ (١)

وانْطَوتْ بعد بَيْنِها بُسْطُ بَسْطِي ... وانقضتْ دولةُ الصِّبا والتَّصابِي

ليت شِعْرِي بمن أهيمُ وشمسِي ... مالها في أُفولِهـــا من إيابِ

كيف أصْبُو ووردةٌ كان رَوْضُ الْ ... أُنْسِ يزْهُو بها ثوتْ في التُّرابِ (٢)

لا وعَيْشٍ مضَى بهـــا في نعيمٍ ... لستُ أصْبُو من بعدِها لـكَعابِ (٣)

هاتِ قُلْ لي يامَلْعَبَ السِّرْبِ مالِي ... لا أرى فيكَ ظَبْيةَ الأتْرابِ (٤)

قال سَلْ حاسِبَ الـكواكبَ عمَّا ... حار في دَفْعِه أُولو الألبابِ

أصبحتْ من بَناتِ نَعْشٍ وكانتْ ... بدرَ تِمٍّ فهل ترَى من جوابِ (٥)

فابْسُطِ العُذْرَ ياأخا الفضلِ فَضْلاً ... إن تجدْني أخطأتُ صَوْبَ الصوابِ

أُصِيبُ الصوابَ فـكرةُ صَبٍّ ... يحْتسِي كأسَ فُرْقةِ الأحْبابِ

وتطَوَّلْ وأسْبِلِ السِّتْرَ صَفْحاً ... فهو شأنُ الخِلِّ المُحِبِّ المُحابِي

في جَـــوابٍ عن نَخْلةٍ قد أتتْنا ... بجَنَى النحْلِ في سُطورِ الـكِتابِ

أتحفَتْنــــا باللُّغْزِ في اسمِ أُخْتٍ ... لأبِينا خُصَّتْ بذا الانْتسابِ (٦)

---

(١) في سلافة العصر : « بثه في حشاى فقد مهاة » .

(٢) في السلافة : « ووردة كان » . (٣) في ب : « لا وعيشي » ، والمثبت في : ا ، ج ، خلاصة الأثر ، والسلافة . (٤) في السلافة : « طية الأتراب » . (٥) في السلافة : « من نت نعش فـكانت » .

وبنات نعش الـكبرى : سبعة كواكب ، أربعة منها نعش ، وثلاث بنات ، وكذا الصغرى . القاموس ( ن ع ش ) .

(٦) في خلاصة الأثر : « في اسم لأخت » .

وكَساها المَرْوِىُّ من شَبَهِ المُؤْ ... مِنِ فَضْلاً فى سائرِ الأحْقابِ (١)

وهْىَ ترْقَى من غيرِ سَوْءٍ فطَوْراً ... يستحِقُّ الجانِى أليمَ العذابِ (٢)

ثم طَوْراً وهو الكثيرُ يُرَى الجا ... نِى عليها من أفْضلِ الأصْحابِ (٣)

ولها إنْ تَشَا تَصاحِيفُ منهـــا ... مُفْرَدٌ فيــه غايةُ الإغْرابِ

جاء قَلْبُ اسمِ جِنْسِه وهْو لَحْنٌ ... لا تُنافيـــه صَنْعةُ الإعرابِ

ومُسَمَّى التصْحيفِ هذا إليه اللّ ... هُ أوْحَى سُبحانَه فى الكتابِ

وهْو ذُو شَوْكةٍ وجُنْدٍ عظيمٍ ... خَلْفَ يَعْسُوبِه بغــيرِ حسابِ

ذُو دَوِىٍّ فى جَحْفَلٍ يَمْلأ الجوّ ... مَ كرَعْدٍ فى مُكْفَهِرِّ السحابِ

حيوانٌ وإن تُصحِّفْ جَمادٌ ... مُفْصِحٌ عن مُرادِ سامِى الجنابِ

ياخليـــلِى بل يا أنا فاتّحادِى ... بك يقْضِى بذا بغيرِ ارْتيابِ (٤)

إنّ صُنْعِى فى حَـــلِّ اللُّغْزِ باللُّ ... غْزِ بديعٌ فلا تفُهْ بِعتابِ (٥)

وابْقَ فى نعمةٍ وفى جَمْعِ شَمْلٍ ... بِبَنِيكَ الأفاضــلِ الأنْجابِ

ماسَرَتْ نَفْحةُ الأزاهرِ تَرْوِى ... ضَحِكَ الروضِ من بُكاءِ السحابِ

* * *

وأعْقَب ذلك بنثرٍ صورتُه (٦) :

---

(١) فى السلافة : « من شبه المسلم » .

وهو يشير إلى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ المُؤْمِنِ كَالنَّحْلَةِ لَا تَأْكُلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَلَا تَضَعُ إِلَّا طَيِّبًا » انظر التمثيل والمحاضرة ٢٤ .

(٢) فى ا : « ومى ترق من غير سؤر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٣) فى السلافة : « من أنفع الأصحاب » .

(٤) فى خلاصة الأثر : « بك عينى بذا بغير ارتياب » . (٥) فى ا : « بحلى اللغز » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة ، وفى الخلاصة : « فلا تفه بعتابى » . (٦) هذا الفصل فى خلاصة الأثر ١/٤٧٨ ، ٤٧٩ ، سلافة العصر ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

المولى الذى إذا أخذ القلمَ ووَشَّى [١] ، وأرى غبارَه أرْبابَ البلاغة والإنْشا .

لا يَرَى [٢] على مَن رَماه الدهرُ بسَهْمِهِ ، ولعِبتْ صَوالِجُ الأحزان بُكرةِ فَهْمِه .

فمَزَج [٣] المدحَ بالرِّثا ، وقابَل النَّضْرَ بالغُثا .

فقد بان عُذْرُه ، واتَّضح فِعْلُ الزمانِ به وغَدْرُه .

وقد كنتُ قبلَ إدْراج هذا الرِّثاء فى أثناء الجواب ، أرِقْتُ ذاتَ ليلةٍ من تجرُّع صَابِ ذلك المُصاب .

فنفَثَت القريحةُ ، فى تلك الليلة التى كاد أن لا يكون لها صَبِيحة :

لقد كان رَوْضُ الأُنْسِ يزْهُو بوردة ... شَذَا كلِّ عِطْرٍ بعضُ نَفْحةِ طِيبِهَا [٤]

فمَدَّ إليهـا البَيْنُ كَفَّ اقْتطافِهِ ... وأمْحَلَ ذاكَ الرَّوْضُ بعـد مَغيبِهَا

ولم يصْفُ لى من بعـدِها كأْسُ لَذَّةٍ ... وكيف تَلَذُّ النفسُ بعد حَبِيبِهَا

فرَوَّى ثَراها بسحائبَ أدْمُعِى ... ومَن لى بأن تَرْوَى بسَحِّ صَبِيبِهَا

فقصدتُ أن أُثْبِتَها فى ذيْلِ الجواب وأُخْرَياتِه ، لِما عسَى أن يكون من محفوظات مَوْلانا ومَرْوِيّاتِه .

وقد طال هذا الهُذَا ، وطَغَى القلمُ [٥] بما هو للعَيْن قَذَى .

فلْنَحْبِس عِنانَه ، ونُرِحْ [٦] سَمْعَ المولى وعِيانَه .

⁂

(١) فى الخلاصة ، والسلافة : « وشى » دون واو العطف .

(٢) فى السلافة : « يرى » ، وهو أولى . (٣) فى السلافة : « فمن مدح » .

(٤) فى خلاصة الأثر : « بعد نفحة طيبها » . (٥) فى الأصول : « العين » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، والسلافة . (٦) فى السلافة : « ورح » .

# ٢٨٦

## حفيده علىّ بن تاج الدين

فاضلٌ نشَرَ أدبَهُ فأذهَش مَخْبَرُه ، وتنسّم صَبا خُلُقِهِ فعطّر المَشامَّ مِسْكُه وعَنْبَرُه .

نشأ فى حِجْر الكرم ، مُتفيِّئاً ظِلَّ حَرَمِ المجد المُحْتَرم .

فطلع وَفْقَ ما اقتضَتْه العِناية ، ودلَّتْ عليه كلمةُ الفضل بالصَّريح والكِناية .

وقد رأيتُه وليس بينه والمُنَى حِجاز ، وحقيقةُ فضائلِه لا يطرُقُها مَجاز .

فاستضأتُ حيناً بمَنْظرِه البَهِيّ ، وتمتّعْتُ آونةً بلفظِه الشَّهِيّ .

ورأيت أدباً كالعُمْر فى رَيْعانه ، وسمعتُ شِعْراً كالشَّباب فى رَوْنقِه ولَمَعانِه .

* * *

فمما تناولتُه من شعره ، قوله من قصيدة أولها :

على مِثْلِهــا من أعْيُنٍ كُحْلُها السِّحْرُ ... يهُون الذى نَلْقَى وإن عَظُمَ الأمْرُ

فمَنْ إلى غَــيْرِى العداةِ عَواذِلِى ... فلى شِرْعةٌ فى الحبِّ لستُمْ بها تَدْرُوا[1]

دَعُــونى وما ألْقاه من حُبِّ شادِنٍ ... مَحاسنُه لى فى الغــرامِ به عُذْرُ

مِن التُّرْكِ لَمَّا فى الحِياصَةِ قد بدَا ... رأتْ هالةً عَيْنِى ومنه بهـا بَدْرُ[2]

يُرِيكَ جَــنِيَّ الوردِ من وَجَناتِه ... ويبسم عن زَهْرِ الأقاحِ له الثَّغْرُ

تعلّقْتُــــه بادِى النِّفارِ كأنه ... غزالٌ قد استوْلَى على قلبِه الذُّعْرُ

فما زلتُ أسْقِى قاسياً من طباعِه ... مُدامةَ لُطْفٍ مَزْجُ أكْوُسِها التِّبْرُ

---

(١) كذا فى الأصول : « تدروا » للقافية .

(٢) فى ا : « لما فى الحياصة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

والحياصة : سير يشد به حزام السرج . القاموس ( ح و ص ) ، ولعل الغلمان كانوا يستعملونه .

فرقّ وقد رقّتْ معانِي تغــزُّلِي فلمــا رنا لم أدرِ أيُّهما الشِّعْرُ
عشيَّةَ وافانِي على غــيرِ موْعِدٍ وجُنْحُ الدُّجى من دونِ حُرّاسِه سِتْرُ
فقبَّلْتُ منه راحَ كفٍّ أُجِلُّهــا عن الرّاحِ حاشَ أن يُلِمَّ بها وِزْرُ
وصارتْ يميني كالنِّطاقِ لخصْرِه على رغْمِ مَن قد قال بان له خَصْرُ
وقال وقد رُمْتُ ارْتِشافَ رُضابِه متى بحياتي قد أُحِلَّتْ لك الخَمْرُ
فلوْلاه ما كان الغــرامُ بمُهْجتِي مُقيماً وقد سارتْ بأخْبارِه السَّفْرُ
سَلُوا الليلَ عني كم سهِرْتُ ظلامَه أُكابِدُ شوقاً دون حُرْقتِه الجمْرُ
أرى نجمَه أدْنَى من الوصلِ مأخَــذاً وأبْعَدَ من سَلْوايَ إن يمحُه الفجْرُ
فما زلتُ أُزْجيهــا مطايَا تصبُّرٍ بأرضِ الجَنَى حتى اسْتَبان لِيَ البِشْرُ
وقال لِيَ الوصلُ الذي أنا طالبٌ له مَرْحباً في الأمْنِ قد رحَل الهَجْرُ

* * *

وأنشدني من لفظه لنفسه :

إذا غاب كان المَيْلُ منِّي لغــيرِه وإنْ لاح كان المَيلُ مــنِّي له حتْمَا
كأنِّيَ هل في النحوِ والفعلَ حُسْنُــه وكلُّ الورى إن لاح محبوبِيَ الأسْمَا

* * *

يُريد به ماذكره النحويُّون ، من أن « هل » مختصَّـة بالفعـل إذا كان في حَـيِّزِها[1] ، فلا يجوز « هل زيد خرج » ؛ لأن أصلَها أن تـكون بمعنى « قد » ، كقوله تعالى[2] : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى ٱلْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ ﴾ ، و « قد » مختصة بالفعل ، فـكذا « هل » ، لـكنها لمّا كانت بمعنى همزة الاستفهام ، انحطَّت رُتْبتُها

(١) انظر مغني اللبيب ٢ / ٢٨ . (٢) سورة الإنسان ١ .

عن « قد » فى اختصاصها بالفعل ، فاختصَّتْ به فيما إذا كان فى حَيِّزِها ؛ لأنها إذا رأتْه فى حَيِّزِها تذكرتْ عُهوداً بالحِمَى ، وحنَّت إلى الإلْف المألوف ، ولم ترْضَ بافتراق الاسم بينهما ، وإذا لم ترَه فى حَيِّزِها ، تسلَّتْ عنه ، وذهَلت ، ومع وُجودِه إن لم يشتغل بضميرٍ لم تقْنع به مُقدَّراً بعدها ، وإلَّا قنَعت به ، فلا يجوز فى الاخْتيار « هل زيداً رأيتَ » بخلاف « هل زيداً رأيتَه » .

انتهى[1] .

☆☆☆



(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

# ٢٨٧

## القاضى

## محمد بن خليل الأحْسائى *

أديبٌ لا يُجارَى فى مَيدان إحسان (١) ، ولا يُبارَى فى صنعةِ يَدٍ ولسان .

وهو فى عِلْم العَروض خليفةُ الخليل ، وتحريرُه فيه الكافى عن شفاء العليل .

وكان ولى قضاءَ الطّائف فاكتستْ به جمالا ، وبلغتْ فى أهلِها مآرِبَ وآمالا .

فكثُر فيه المُطْرِى والمادح ، وتفنَّن فى وصفِه الشّادِى والصَّادح .

* * *

وقد وقفتُ له على شِعْرٍ بهَر انتِّقادُه ، وصَحّ على زَيْف الأنام انتقادُه .

فأثبتُّ منه ما يُقْتطَف زَهْراً جَنِيًّا ، ويُتَّخذ لتعليلِ النفسِ نَجِيًّا .

فمنه قوله ، مخاطبا للقاضى تاج الدين المالكِى (٢) ، (٣) وقد طلب شيئاً من شعره (٣) :

لدَيْك أخا العَلْياء والفضلِ والعلمِ ... ومَن جَلّ من بين الأجِلاّء بالفَهْمِ (٤)

---

(*) محمد بن خليل الأحسائى المكى .

أديب ، شاعر ، له معرفة باللغة والنحو ، صاحب قدم راسخة فى علم العروض ، وخط حسن .

تولى القضاء بالطائف .

وتوفى سنة أربع وأربعين وألف .

خلاصة الأثر ٣/٤٦٠ - ٤٦٣ ، سلافة العصر ٢٢٧ - ٢٣٠ .

والأحساء التى ينسب إليها : مدينة بالبحرين معروفة مشهورة ، وببلاد العرب مواضع أخر يطلق عليها لفظ الأحساء . معجم البلدان ١/١٤٨ .

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٢) تقدمت ترجمته برقم ٢٧٨ .     (٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

والقصيدة فى : خلاصة الأثر ٣/٤٦٣ ، سلافة العصر ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٤) فى خلاصة الأثر ، وسلافة العصر : «من بين الأخلاء بالفهم» .

تُحَلُّ رحالُ الظَّاعنين ومَن غَـدا إليك بَدا فى حاملِى العلمِ كالنَّجْمِ (١)

لئن كان ربُّ الفضلِ كالرأسِ فى الورَى فأنتَ له تاجٌ يُضِيءُ بلا كَتْمِ (٢)

طلبتَ من النظمِ البديعِ لآلئاً فدُونَكَها كالعِقْدِ فى الحسْنِ والنَّظْمِ

تُشنِّفُ أسماعَ الرُّواةِ بدُرِّهـا وتقطع أفلاذَ الغَبِيِّ من الغَمِّ (٣)

فيا أيُّهـا القاضى المُولَّدُ طَبْعُه من العلمِ أفْناناً تجلُّ عن العُقْمِ (٤)

نوائبُ هـذا الدهرِ غالَتْ قَرِيحتِى ودقَّتْ عظامِى بعـد تمزيقها لَحمِى

فلو أن هـذا الدهرَ يُبْدِى تَعطُّفاً لظَلَّ بديعُ النظمِ وَالنظمُ فى سَهْمِ (٥)

ولو أن جُزْءاً من هُمومِى مُفرَّقٌ على الخَلْقِ عامُوا فى بحارٍ من الهمِّ

وسامِحْ فمِنْدِيلُ القَرارِ مُقطَّعٌ ورقٌّ لقلبٍ لا يقَرُّ من العُدْمِ (٦)

ودُمْ أبداً فى نِعْمـةٍ ضِدُّها لها يُطَأْطِئُ رَأْساً فى الرَّغامِ على الرَّغْمِ

***

وكتب إلى القاضى أحمد بن عيسى المُرْشِدِىّ (٧)، يهنِّيه بزيارة النبىِّ صلّى الله عليه وسلّم :

زيارةٌ رفعتهـا للقبولِ يَدٌ وسَفْرةٌ أسفرَتْ فى طَيِّها مُدَدُ

يَهْنِيكَ زَوْرَةُ خيرِ الخلقِ فى رَجَبٍ يامَن ربيـعُ يديْه دائماً لُبَدُ (٨)

اللهُ والشافِـعُ المُختارُ قد نظَرا إليك والرَّكْبُ إذ سايرْتَه سَعِدُوا

أخلَصْتَ لله فى هٰذِى الزيارةِ إذْ شدَدْتَ وَجْناءَ لا تشكو إذا تَخِدُ (٩)

---

(١) فى السلافة: « فمن غدا » ، وفى الأصول : « إليك بدا » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .

(٢) فى الخلاصة : « لئن كان رب العلم » ، وفى السلافة : « مضىء بلا كتم » .

(٣) فى السلافة : « أفلاذ الغبي » .

(٤) فى الخلاصة : تجل من العقم » . (٥) فى السلافة : « لظل بديع النثر والنظم فى حكمى » .

(٦) فى ج : « لا يرق من العدم » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة ، والسلافة .

(٧) تقدمت ترجمته برقم ٢٧٦ . (٨) فى ا : « ربيع لديه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٩) الوجناء : الناقة الشديدة ، والوخد : الإسراع .

وفُزْتَ فى أَنْمِ أعتابٍ مُقَرَّبَةٍ ... إليه قومٌ بهـــا فى زيِّهمْ حمدُوا
نعمْ لـكم ذِمّةٌ منـــه بتَسْمِيَةٍ ... يَهْنِى مُحمّدَ من ذَا الحمْدِ مايَجِدُ
قد سِرْتَ للهِ سيرَ الصالحين إلى ... نَبِيِّهِ وعلى الألطافِ تعتمِــدُ
قصَدتَ سُوحَ إمامِ الرُسْلِ سَيِّدِهمْ ... غَوْثِ العبادِ إذا فى حَشْرِهم جُهِدُوا
ورُمْتَ من فضلِهِ فضلاً تَزِيد به ... فضائلاً هى فى عَلْيائِكَ السَّنَدُ
طابتْ بطَيْبةَ أوقاتُ الألَى قصدُوا ... تقْبيلَ تُرْبتِه والخيرَ قد وَجدُوا
هبّتْ عليهم نُسَيماتُ الرِّضا سَحَراً ... فزال عنهم لَهيبُ القلبِ والـكَمَدُ
زاروا جُسوماً وزُرْنا نحنُ أفئدةً ... فى سَبْسَبِ الوجدِ والأشْواقِ تَطَّرِدُ
بُشْراكَ يازائرَ المُختارِ لابرحتْ ... عليك منـــه مبرّاتٌ سمتْ تَرِدُ
لا زلْتَ تقصِــده ماسار زائرُه ... إليـــه فى كلِّ عامٍ نجْمُه يَقِدُ

* * *

فأجابه بقوله :

أذِى زهورُ رياضٍ زانَها النَّضَدُ ... أم الدَّرارِى التى فى أُفْقِهـــا تَقِدُ
أم ذِى جواهرُ تيجانِ المُلوكِ بَلَى ... جواهرُ التّاجِ إذْ قِيستْ بها تَأَدُ (١)
أم العقودُ أم المنظومُ من كَلِمٍ ... أعان ناظِمَه التَّأيِيــدُ والمَدَدُ
أم ذِى عرائسُ أفكارٍ مُحَجّبـــةٌ ... أماطَتِ السِّتْرَ عنهـــا الأديبِ يَدُ
يدٌ طويلةُ باعٍ فى العلومِ لهـــا ... فى كلِّ ما يُعجِزُ الأفهامَ مُنتَقَدُ
كأنهـــا حين وافتْنِى على غَرَرٍ ... أرْىُ قتيلِ الهوى عَذْبِ اللَّمَى الصَّرِدُ (٢)
قد أذْكرتْنِى أيَّاماً حلتْ وَخلتْ ... واغتال لَذّتَنا فى طَيِّهـــا الأبدُ
وافتْ تُهَـــنِّى مُحِبّاً لم يزَلْ قَلِقاً ... إلى لِقائِكَ صَبّاً وهْو مُضطَهَدُ

---

(١) أود يأد : اعوج وانحنى . (٢) الأرى : العسل ، والصرد : الصرف .

وكان لما أتتْ أخرى بتهنيةٍ بها لِماَ أطفأتْ من حرّ ما يجدُ
وقلت فيها وزُرْنا نحن أفئـــدةً مُعرّضاً فانجـــلى ما جنّهُ الخلدُ
فالحمـدُ للهِ زار المصطفى الجسدُ مع الفؤادِ وحُقّ الأجرُ والرّشــدُ
هذا وأنتَ على العِلّاتِ أجمعِها لَدَى المُحِبِّ لموْموقٌ ومُعتمَدُ
لأنّ كلّ اعتدالٍ من سِواكَ يُرَى يفُوقُهُ منك عندي ذلك الأَوَدُ
عليـــك منّي تحيّاتٌ مُضاعفةٌ من المُهيْمِنِ تترَى مالها أمَدُ

۞



# ٢٨٨

## عفيف الدين بن عبد الله

## ابن حسين الثَّقَفيّ *

هذا من أهل الطَّائف ، أديبٌ كثيرُ اللطائف .

ثَقَفِيّ مُثقِّف قناة المجد ، جرَى إلى آماد الفتُوّة فبلغها بالجِدّ والجَدّ [١] .

وقد أطْرَب بأناشيده مَن لم يكن يَطْرَب ، وأتى بما يُسكر من سَمِعه وإن لم يكن يشْرَب .

بعبارة مستغنيةٍ عن التصنُّع ، وبَديهة لم تُشَب بخطر التمنُّع .

مصقولةٍ بلا تَطْرية واسِطة ، مَجْلُوّة بلا مِنّة ماشِطة .

وكلُّ كلامِه عليه مِسْحةُ النَّضارة ، وله مَلاحةُ البدَاوة وهي تفُوق [٢] الحضارة .

* * *

وقد جئتُك من شِعره بما يصِفُ نفسَه إذا لاح ، وإذا ارْتصفَت دُرَرُ عُقوده تغايَرتْ عليها لَبّاتُ المِلاح .

فمنه قوله من قصيدة [٣] :

سَقَى طَلَلاً بين الأجارِع واللِّوَى ... وحَيّى زماناً لم نُرَعْ فيه بالنَّوَى

ورَعياً لأيامٍ هناك سوالِفٍ ... قضَيْنا بها عصرَ الشَّبِيبة والهَوى

بظِلٍّ جَنابٍ والنَّدامَى عِصابةٌ ... كرامُ المساعي تُرغم الخَصْمَ إن غوَى

---

(*) ترجمه ابن معصوم ، في سلافة العصر ٢٣٧ ـ ٢٤٢ ، وسماه : « عفيف الدين عبد الله بن حسين بن جاشل الثقفي » .

(١) في ب : « والحد » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٢) في ب ، ج : « فوق » ، والمثبت في : ا .

(٣) القصيدة في سلافة العصر ٢٣٨ .

على السَّفْحِ ما بين القُصَيرِ إلى الحِمَى ... إلى الحِصْنِ نَطْوِي الوُدَّ عنَّا وما انْطَوَى[1]

ليــالىَ لا تُخْطِى سهامُ رَمِيّتِى ... ولا عاقَنِى الوالى الغَيُورُ وإن زَوَى

وأصبحتُ يَثْنِينى الحِجَى عن هَوِيّتى ... ويمنعنى دهرٌ تمادَى وما ارْعَوَى[2]

فللهِ كم من يومِ دَجْنٍ وصَلْتُه ... بلَيلٍ على الرَّبْعِ الجنوبِى وما حوَى

وساعاتِ أُنْسٍ كلّمــا عَنَّ ذِكْرُها ... يُهَيِّجنى فَرْطُ الصَّبابةِ والجوَى

لـكلِّ غَضِيضِ الطَّرْفِ أحْوى إذا رَنَا ... سَباكَ النُّهى والصبرَ واسْتأْثر القُوَى

إذا افْتَرَّ عن ثَغْرٍ حكى الدُّرَّ نَظْمُه ... وإن لاح قلت الشمسُ حَلَّتْ فى الاسْتِوا

يُشِيــرُ فأَدْرِى ما يقول برَمْزِه ... فأَقْضِىَ على ما فى هَواه بمــا نَوَى

علــيم بعِلاّتِ الغَوانِى وطِبِّها ... ومُفْتِى النَّدامَى فى مُحاورةِ الهَوَى[3]

***

وكتب إلى السيد على بن معصوم[4] :

برُوحِىَ مَجْبولاً على الحبِّ طَبْعُهُ ... وقلبِىَ مجبولٌ على حُبِّــه طَبْعَا

يُراقِبُ أيامَ المُحرَّمِ جاهِــداً ... فيُطلِعُ بدراً والمُحبُّ له يَرْعَى

كَلِفتُ به أيامَ دهرِىَ مُنْصِفٌ ... ووجهُ الصِّبا طَلْقٌ وروضُ الهوى مَرْعَى

جَنَيْنا ثِمارَ الوصلِ من دَوحةِ المُنَى ... ليـالىَ لا وَاشٍ ولا كاشحٌ يسعَى

فللهِ أيامٌ تقضَّتْ ولم تَعُدْ ... يَحِقُّ لعَيْنِى أن تَسِحَّ لهـا دَمْعَا

***

---

(١) القصير: مواضع بعضها فى بلاد العرب وبعضها فى مصر . انظر معجم البلدان ٤/١٢٦ .

(٢) فى ا : « يثنينى الهوى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .
وهويته : مقصده .

(٣) فى الأصول : « عليـه بعلات الغوانى » ، والمثبت فى السلافة .

(٤) تأتى ترجمته فى هذا الباب ، برقم ٢٩٦ .
والأبيات فى سلافة العصر ٢٤١ .

فراجعه بقوله[١] :

بنفسيَ مَن قد حاز لَوْنَ الدُّجى فَرْعاَ ... ولم يـكْفِه حتى تقمَّصه دِرْعاَ
بَدَا فكأن البدرَ فى جُنْحِ ليـلِهِ ... تعلَّمَ منه كيف يصْدعُه صَدْعاَ
نَمَتْه لنـا عَشْرُ المُحرَّم جهْرةً ... يُطارِحُ أترابًا تـكنَّفنه سَبْعاَ
تبدَّى على رُزْءِ الحسينِ مُسوَّداً ... ومازال يُولى فى الهوى كُرَبًا مَنْعا[٢]
وقد سَلَّ من جَفْنيْه عَضْبًا مُهنَّداً ... كأنَّ له فى كلِّ جارِحـةٍ وَقْعاَ
هناكَ رأيتُ الموتَ تَندَى صِفاحُه ... وناعِي الأسَى يَنْعَى وأهلُ الهوى صَرْعَى

***

وكتب إليه ابنُ معصوم فى لابس أسود مُسْتجيزاً فى عَشر المُحرَّم[٣] :

لا تقُـلِ البدرُ لاح فى الغَسَقِ ... هذا سوادُ القـلوبِ والحَدَقِ
إنسانُ عينى بدَا بأسْودِها ... فعـاد لى إذْ رَمَقْتُه رَمَقِى[٤]
يا لابِساً للسَّوادِ طِيبَ شَـذاً ... ما المسكُ إلّا من نَشْرِكَ العَبِقِ[٥]
لبِسْتَ لَوْنَ الدُّجَى فسَرَّ وقد ... أغرتْ ضوءُ الصباحِ فى الأُفُقِ[٦]
حتى بدا وهْو فيـه مُنفلِقٌ ... يشُقُّ ثوبَ الظلامِ عن حَنَقِ[٧]

***

فأجازه بقوله[٨] :

رُوحِى فِدَا مَن أعاد لى رَمَقِى ... لمَّا بَدَا كالهلالِ فى الشَّفَقِ[٩]

---

(١) سلافة العصر ٢٤١ .

(٢) يشير إلى مقتل الحسين بن على رضى الله عنهما فى كربلاء . (٣) الأبيات فى سلافة العصر ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٤) فى ا : « إن رمقته » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٥) فى ا : « بيض شذا » ، وفى السلافة : « طبت شذا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) فى السلافة : « أعرت ضوء الصباح » .

(٧) فى السلافة : « حتى بدا فيه وهو . . . . . من حنق » . (٨) سلافة العصر ٢٤١ .

(٩) فى ب : « من أعاد لى رمق » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة .

يَهْتَزُّ كالغُصْنِ فى غَلائلِه ... ويَرشُق القلبَ منه بالرَّشَقِ
قلتُ له مُذْ بدَا يُعاتبنِي ... ويمزُج الهزْلَ منه بالحَنَقِ
لو أنْصَفَ الدهرُ يا شِفَا سَقَمِى ... ما بِتُّ أرْعَى النجومَ من أرَقِ[1]
لكن عسَى عَطْفَةٌ تُسَرُّ بها ... فيها سرورُ القلبِ والحَدَقِ[2]

***

ومن شعره فى النَّسِيب قولُه[3]:

للهِ دَرُّ ظِباءِ الهِنْدِ كم تركتْ ... من ماجدٍ دَنِفِ الأحْشاءِ مُضْطَرِمِ
نَواعِسٌ كلَّما فَوَّقْنَ أسْهُمَها ... تركْنَ أُسْدَ الشَّرَى لَحْماً على وَضَمِ[4]

***

وقولُه[5]:

قلتُ لمَّا بدَا يميسُ بقَدٍّ ... جَلَّ مَن صاغ حُسْنَه وتبارَكْ
عَمِّرِ الوقتَ بالرَّجا أو بوَصْلٍ ... عَمَّر اللهُ يا حبيبِى دِيارَكْ

***

وقولُه[5]:

لقد صار لى مَدْمعٌ بعدَكمْ ... يفيضُ على وَجْنتِي كالعَقِيقْ
لِتَذْكارِ أيَّامِنا بالحِمَى ... وتلك الليالِى بوادِى العَقِيقْ[6]

---

(١) فى ب : « ما شفا سقمى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة .
(٢) فى السلافة : « فيها سرور القلوب » .      (٣) البيتان فى سلافة العصر ٢٤١ .
(٤) الوضم : الخشبة التى يقطع عليها اللحم .      (٥) البيتان فى سلافة العصر ٢٤٢ .
(٦) فى الأصول : « لقد كان أيامنا بالحمى » ، والمثبت فى السلافة .

# ٢٨٩

## أحمد بن الفضل باكثير *

الفضلُ والدُه ، وبه تمّ له طارِفُ المجد وتالِدُه .

فمقدارُه فى النباهة جليل ، ومثلُ باكثير فى الناس قليل .

جَيِّدُ النثر والنِّظام ، كثيرُ الارْتباط فى سِلْكه والانْتِظام .

وله قَرِيحةٌ سَيَّالة ، وطبيعةفى الافْتنان مَيَّالة .

***

وشِعْره بعيدٌ عن الكُلَف ، نَقِيٌّ من النمش والكَلَف .

فمنه قوله مُصدِّراً ومُعجِّزاً قصيدةَ المُتنبِّي[1] ، يمدح بها السيد عليّ بن بركات الشريف الحَسَنِيّ[2] :

حُشاشةُ نفسٍ وَدَّعتْ يوم وَدَّعُوا ... وقلبٌ لأظْعانِ الأحِبَّةِ يَتْبَعُ[3]

وصبرٌ نَوَى التَّرْحالَ يومَ رحيلِهم ... فلم أدْرِ أيَّ الظاعِنَيْنِ أُشَيِّعُ[4]

أشارُوا بتسليمٍ فجُدْنا بأنْفُسٍ ... تسيلُ مع الأنفاسِ لَمَّا ترفَّعُوا

---

(*) أحمد بن الفضل بن محمد باكثير المكى الشافعى .

أديب فاضل ، له فى العلوم الفلكية وعلم الأوفاق والزايرجا يد عالية .

ومن مؤلفاته « حسن المآل فى مناقب الآل » .

توفى سنة سبع وأربعين وألف ، بمكة ، ودفن بالمعلاة .

خلاصة الأثر ١/٢٧١ ـ ٢٧٣ ، سلافة العصر ٢٠٤ ـ ٢١٣ .

(١) ديوان أبى الطيب ٢٢ ـ ٢٦ .

(٢) القصيدة فى : خلاصة الأثر ١/٢٧٢ ، ٢٧٣ ، سلافة العصر ٢١٠ ـ ٢١٣ .

(٣) فى خلاصة الأثر : « وقالت لأظعان الأحبة اتبعوا » .

(٤) فى السلافة : « أى الظاعنين أودع » ، وهو مختلف عما فى ديوان أبى الطيب .

وساروا فظلّتْ في الخدودِ عيونُنا  تسيلُ من الآماقِ والإسمُ أدْمُعُ [1]

حَشاىَ على جمرٍ ذَكِيٍّ من الهوى  وصَدْرِى مُذْ بانُوا عن الصبرِ بَلْقَعُ

وقلبي لَدَى التَّوْديعِ في حَزْنِ حُزْنِه  وعَيْناىَ في روضٍ من الحُسْنِ تَرْتَعُ [2]

ولو حُمّلتْ صُمُّ الجبالِ الذى بنا  من الوجدِ والتَّبْريحِ كانت تضعضعُ

وأكْبادُنا من لَوْعةِ البَيْنِ والنَّوَى  غَداةَ افترقْنا أوْشكتْ تتصدعُ

بما بيْن جَنْبَىَّ التى خاضَ طَيفُها  دموعِى فوافَى بالتَّواصُلِ يطمعُ

تخيَّلَ لى فى غَفْوةٍ وجْهتْ بهــــا  إلىَّ الدَّياجِى والخَلِيُّون هُجَّعُ [3]

أتتْ زائراً ما خامَر الطِّيبُ ثَوْبَها  وتَخْرتُها من مِسْكِ دَارِينَ أضْوَعُ [4]

فقبَّلتُ إعْظاماً لها فضـــلَ ذَيْلِها  وكالمِسْكِ من أرْدانِها يتضوَّعُ

فشرَّد إعْظامى لهــــا ما أتَى بها  وفارقْتُ نَوْمِى والحشَا يتقطَّعُ

وبِتُّ على جمرِ الغَضا لفِراقِها  من النومِ والْتاعَ الفؤادُ المُفجَّعُ [5]

فياليلةً ما كان أطولَ بِتُّها  سميرَ السُّها حِلْفَ الجوَى أتضرَّعُ [6]

يُجرّعنى كأسَ الأسى فقدُ طَيفِها  وسمُّ الأفاعِى عَذْبُ ما أتجرَّعُ

تذلَّلْ لها واخْضَعْ على القُرْبِ والنَّوَى  لعلّكَ تحْظَى بالذى فيه تطمعُ

ولا تأنَفَنْ من هَضْمِ نفسِك فى الهوى  فما عاشقٌ من لا يذِلُّ ويخضعُ

ولا ثَوْبُ مَجْدٍ غيرَ ثوبِ ابنِ أحمدٍ  علىِّ الذى أضْحَى له الفخْرُ أجْمَعُ [7]

---

(١) فى خلاصة الأثر : « وسارت فظلت . . . والسم أدمع » ، والمثبت فى الأصول ، والسلافة ، وفى ديوان أبى الطيب أيضا : « والسم أدمع » ، وهو بكسر السين : الاسم . انظر شرح العكبرى للديوان ٢/٢٣٥ . (٢) فى ا : « فى حزن حزبه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة . وفى السلافة : « من الحسن تدمع » ، وهو مختلف عما فى ديوان المتنبى . (٣) فى السلافة : « تخيل لى فى عفوة » . (٤) دارين : فرضة بالبحرين ، يجلب إليها المسك من الهند ، تقدم ذكرها .

(٥) فى خلاصة الأثر : « الفؤاد المولع » ، وهو مختلف عما فى ديوان أبى الطيب .

(٦) فى السلافة : « حلف الدجى » . (٧) عجز البيت فى خلاصة الأثر ، والسلافة :

* علىّ بن بركات به الفخرُ أجمعُ *

وقصيدة المتنبي فى مدح على بن أحمد الخراسانى .

عليه ضَفاً بالمكْرُماتِ ولم يكُنْ ... على أحَـــــدٍ إلّا بلُؤمٍ مُرَقَّعُ
وإنّ الذى حابَى جَدِيلَةَ طَيِّءٍ ... بحاتِمِهم وهْو الجوادُ المُمَنَّعُ[1]
حَبَى بعَــــلِيٍّ آلَ طَه فإنّه ... به اللهُ يُعْطِى مَن يشاء ويَمنعُ
بذِى كَرَمٍ ما مَرَّ يومٌ وشمسُه ... بغيرِ سَنًا منه تُضِئُ وتَسْطَعُ
ولا ليـــلةٌ تزْهُو به ونجومُها ... على رأسِ أوْفَى ذِمّةٍ منه تطْلُعُ[2]
فأرْحامُ شِعْرٍ يتّصِلْنَ لَدُنَّه ... فكم سِمْرِ شِعْرٍ فى مَعالِيه يُرْفَعُ

ومنها فى الختام :

ألا كُلُّ سَمْحٍ غــيرَك اليومَ باطِلٌ ... لأنك فَرْدٌ للكمالاتِ تجْمَعُ
وكلُّ ثناء فيك حَقٌّ وإن عَلَا ... وكلُّ مَديحٍ فى سِواك مُضَيَّعُ[3]

***

واتّفق له أنه سمع وهو محتضر رجلاً ينادى على فاكهة : « وَدِّعوا مَن دنا رحيلُه » فقال بَدِيهاً[4] :

يا صاحِ دَاعِى المَنونِ وَافَى ... وحَـــلَّ فى حَيِّنا نُزولُهْ
وها أنا قد رَحلْتُ عنكم ... فودعوا مَن دَنَا رَحِيـــلُهْ

٭

(١) فى السلافة : « جديلة طيهم » ، وهو مختلف عما فى ديوان أبى الطيب . (٢) فى الأصول : على رأس أوفى دمنة تتطلع » ، والمثبت فى : السلافة ، وديوان أبى الطيب .
ولم يرد هذا البيت والذى يليه فى خلاصة الأثر .
(٣) فى السلافة : « حق وإن غلا » . (٤) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٢٧٣ .

## ٢٩٠

## محمد بن سعيد باقشير*

وَحِيدُ نَسْجِهِ رَوِيّةً وإسْراعا ، ونَسِيج وَحْدِهِ ابْتِكارا واخْتِراعا .
بهرَ بمحاسِنِه التمائم ، قبلَ أن تُوضَع على رأسِهِ العمائم .
فانْجلَتْ به النَّواظِرُ وقَرَّتْ ، وابتسمتْ به ثُغورُ الأمانى وافْتَرَّتْ .
وقد سلك فى الشِّعر مسلَكا سهلا ، فقالت له غرائبُه مرحباً وأهلا .
فلبَّس[1] الشعر حِلْيةَ الحلاوة ، ووشَّاه برَوْنَق الرِّقة وطَلِّ الطَّلاوة .

***

وقد أوردتُ له ما يُطلع بدره فى تِمِّه ، ويُرقِص زهرَه فى كِمِّه .
فمنه قوله ، من قصيدة فى الغزل[2] :

ألَآلٍ ما أرى أم حَبَبُ ... أم أقاحٍ لا ولكن شَنَبُ[3]
حُرِّمتْ وهْى حَلالٌ قد جرَى ... فى خلالِ الطَّلْع منها الضَّرَبُ[4]
ما ورَى بارِقُ ذَيَّاكَ اللَّمَى ... أن لى قلباً بها يلْتهِبُ[5]
دَعْ لما قد نقَل الرَّاوى لنا ... عن لَماه ما رَوته الكُتبُ
آهِ ما أعْذبه من مَبْسَمٍ ... وهْو لو جاد به لى أعْذَبُ

---

(*) محمد بن سعيد باقشير المكى .
أديب ، شاعر ، كثير النوادر والتحف .
صاحب قريحة وقادة ، لم يتكلف لها نحوا ولا عروضا .
توفى بمكة ، سنة سبع وسبعين وألف .
خلاصة الأثر ٣/٤٦٩ — ٤٧٢ ، سلافة العصر ٢١٨ — ٢٢٧ .

(١) فى ج : « فكسى » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٢) القصيدة فى سلافة العصر ٢٢٥ .
(٣) الشنب : بياض الأسنان وحسنها .
(٤) الضرب : العسل الأبيض الغليظ .
(٥) فى ب ، والسلافة : « به يلتهب » ، والمثبت فى : ا ، ج .

ليت لو أنَّ مَنالًا منه لى غير أن البرقَ منه خُلَّبُ

جُؤْذُرٌ يرْنُو بعيْنَىْ أغْيَدٍ مِن مَهَا الرملِ أَغَنُّ أَخْلَبُ(١)

ومُحَيًّا كَلِفَ الْحُسْنُ به فغَـــدا يُنشِد أين المَذْهَبُ

هزَّ عِطفَيْه فلم يدْرِ النَّقا أقنـــاةٌ هزّه أم قُضُبُ(٢)

رَقَّ فاسْتعْبد أرْبابَ الهوى فله فى كلِّ قلبٍ مَلْعَبُ

يالها من نِعْمةٍ فى ضِمْنِها مَهْلَكٌ هانَ وعَزَّ المَطْلبُ

***

وقوله ، من قصيدة يمدح بها السيد أحمد بن مسعود(٣) ، أولها(٤) :

عَلِقًا أظنُّك بالـكَعابِ الرُّودِ أمْ والِهًا بهوَى الظِّباء الغِيدِ(٥)

أسْبلْنَ أمْثــلةَ الغُدافِ غَدائرًا سُودًا تطولُ على الليالى السُّودِ(٦)

وسفَرْنَ عمَّا لو لَطَمْنَ بمثْــلِه خدَّ الظــلامِ لَمَا بدا بالبِيدِ

بِيضٌ يُرَنِّحُهنَّ ريْعانُ الصِّبا تِيهًا كخُوطِ البانةِ الأُمْلودِ(٧)

عذَرَ العَذُول على الهوى فيها وقد غنَّتْ لنا بين اللِّوى وزَرُودِ(٨)

فطفِقْتُ أُنْشِده على تأْنيبه أرأيتَ أىَّ سَوالفٍ وخُدودِ

---

(١) فى ب ، ج ، والسلافة : « أغن أغلب » ، والمثبت فى : ا .

(٢) فى السلافة : « أقنا ما هزه » .  (٣) تقدمت ترجمته ، برقم ٢٦٨ .

(٤) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٤٦٩/٣ ، سلافة العصر ٢١٨  (٥) فى السلافة : «بالظباء الرود» .

والرود : الشابة الحسنة .

(٦) الغداف : غراب القيظ .

وفى الخلاصة : « سودا تطل » .

(٧) فى السلافة : « ريحان الصبا » .

والأملود : الناعم .

(٨) فى الأصول : « غنت لنا » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .

وزرود : رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة . معجم البلدان ٩٢٨/٢ .

تَرِبتْ يدُ اللُّوّامِ كم ألطَتْ حَشاً ... دَنِفٍ بألهوبٍ من التَّفنيدِ

أو ما درَوْا أن الجمـالَ حبائلٌ ... ما إن يُصاد بهنّ غيرُ الصِّيدِ

ولرُبَّ مُخْطفَةِ الحشا بَهْنانةِ الْـ ... ـمَتْنَيْنِ مُفْعمةِ الإزارِ خَرُودِ (١)

تَرْنُو فتحسب أمّ خِشْفٍ ثارَها الـ ... ـمِقْناصُ عن خَضْلِ الكَلا مَخْضُودِ (٢)

للهِ أحْـداقُ الحسانِ وفعلُها ... فى قلبِ كلِّ مُتيَّمٍ معْمودِ

ألْفْتَنِي البُرَحاء لكنّى امْرُؤٌ ... وَزَرِى برُكْنٍ فى الملوكِ شَديدِ (٣)

***

وكتب إليه ، يصف أمَةً له سوداء مُداعبا (٤) :

أبَتْ صروفُ القضا المَحْتومِ والقدرِ ... إلّا إشابةَ صَفْوِ العيْشِ بالكَدَرِ

وإنّ مِن نَكَدِ الأيامِ أن قَرُبتْ ... دارُ الحبيب ولكن شطّ عن نَظَرِى

بِى من سَطَا البَيْن ما لو بالجبالِ غدتْ ... عِهْناً وبالسبعةِ الأفْلاكِ لم تَدُرِ (٥)

نوَى الأحبّة والشوقُ الشديد ولى ... جوًى تُجدِّدُه مهما انقضى فِكَرِى

وزادنى الدهرُ همًّا لا يُعـادِلُه ... همٌّ بسمراءَ ألْهتْنى عن السَّمرِ

زَنْجيّةٌ من بنات الزَّنْجِ تحسبُها ... حَظًّى تجسَّم جُثْمانا من البشرِ

كأن قامتَها ليـلِى ومِنْخَرَها ... ذيلى فيالكَ من طول ومن قِصرَ

---

(١) فى خلاصة الأثر : « منعمة الإزار حرود » .

والبهنانة المتنين : اللينة . والخرود : البكر لم تمس .

(٢) فى خلاصة الأثر : « ثارها القناص » .

والخضل : الندى المبتل .

(٣) الوزر : الملجأ . (٤) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٣/٤٦٩ ، ٤٧٠ ، سلافة العصر ٢١٩

(٥) العهن : الصوف المصبوغ ألوانا . وهو ينظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنْفُوشِ ﴾ . سورة القارعة ٥ .

لها يدٌ ألِفَتْ خَطْفَ الكسارِ ولو ... باتتْ تَحُوطُ بالهِنْدِيَةِ البُتُرِ (١)
تسْطو على القُرْصِ سَطْوَى غيرِ ذى جُبُنٍ ... لو أنه بيْن نابِ الليثِ والظُّفُرِ
كم غادرتْنِيَ من جوعٍ ومن سَغَبٍ ... حُزْناً أعضُّ بَنانَ النادمِ الحَصِرِ
ورُبَّ يومٍ غدا مَوْتى يُجرِّعنى ... كاساتِه فيه حتى عِيلَ مُصْطَبَرِى (٢)
أرُوضُها تارةً عَتْباً وأزْجرُها ... طَوْراً فلم يُجْدِ تأنيبِى ومُزْدَجَرِى
وربما أفحمتْنِى القولَ قائلةٌ ... وليس كلُّ مَقالٍ بالجوابِ حَرِى
تخْشَى الرَّدَى وبُنودُ المجدِ خافقةٌ ... على ابنِ مسعودٍ فرْعِ الفرعِ من مُضَرِ (٣)

***

وله من قصيدة (٤) :

بذِى العلَمَيْن من شَرْقِيِّ حاجِرْ ... تَوَقَّ أخا الغرامِ ظُبَا المَحاجرْ
فكم برُبَاه من صَبٍّ عَمِيدٍ ... لسائلِ دمعِه الثَّجَّاجِ ناهِرْ
به السُّودُ التى فى السُّودِ منها ... فِعالُ السُّمْرِ والبيضِ البَواتِرْ
فأىُّ حَشاً يمُرُّ به خَلِيًّا ... وقد رمَقتْه هاتيك الجآذِرْ
به البِيضُ الرَّعابيبُ السَّوافِرْ ... وآسادٌ بفَدْفَدِه قَساوِرْ (٥)
لَعَمْرُكَ ما سيوفُ الهندِ يوماً ... بأمْضَى من بواترِها الفَواترْ
عيونٌ ما مَنحْنَ السُّقْمَ إلَّا ... لقَدِّ القلبِ أو شَقِّ المَرائرْ

---

(١) فى خلاصة الأثر : « حطب الكسار » .
والبتر : القاطعة .
(٢) فى الأصول ، والسلافة : « غدا موسى يجرعنى » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .
(٣) الفرع من كل شيء : أعلاه . (٤) القصيدة فى سلافة العصر ٢٢٤ ، وذكر ابن معصوم أنه أصلح بعض أبياتها .
(٥) الرعبوبة : البيضاء الحسنة .
وفى الأصول : « وآساد بقسورة قساور » ، والمثبت فى السلافة .
والفدفد : الفلاة .

مَرِضْنَ وما مَرِضْنَ سُدًى ولٰكنْ ... لِسَلْبِ قلوبِ أربابِ البَصائرْ

بأُمِّي ثم بي وأبي رَبيبٌ ... غَضيضُ الطَّرْفِ مَكْحولُ النَّواظِرْ

نَحيلُ الخَصْرِ عَبْلُ الرِّدْفِ أحْوَى ... أَزَجُّ الحاجِبَيْنِ أغَرُّ نافِرْ[1]

يَميلُ بمِثْلِ غُصْنِ البانِ لَدْنٍ ... تُرَنِّحه الصَّبا والغُصنُ ناضِرْ

ويُسْفِرُ عن مُحَيًّا لو رآه ... صَباحاً ذو الهِدايةِ ضَلَّ حائرْ

ويبْسِم عن شَهِيِّ الظَّلْمِ عَذْبٍ ... تَرقْرَق فيه سَلْسالُ الجواهِرْ[2]

جَفَا جَفْنِي الكَرَى مُذ بانَ عَنِّي ... فجَفْنِي مُذْ نأَى ساهٍ وساهِرْ

* * *

وقال على مُصطلَح أرباب الحال ، وهى قصيدة غريبة[3] :

ربَّما عاكفٍ على الخَنْدَرِيسِ ... رَافِلٍ فى مَلابسِ التَّلْبيسِ[4]

جَهْبَذٍ يمـلأُ الدفاترَ عِلْماً ... لم يُنَلْ بالتَّقْريرِ والتَّدْريسِ[5]

أيُّما خُطَّـةٍ أرَدْتَ تَجِدْهُ ... قَهْرَمانَ المَعْقولِ والمَحْسوسِ

يُعْلِمُ السابقين من عَهْدِ طَسْمٍ ... ويُفِيدُ الطُّلَّابَ عصرَ جَدِيسِ[6]

عَلَمٌ لم يكن على رأسِه نَا ... رٌ ولٰكنْ كالنورِ فى الحِنْدُوسِ

ماشياً عُمْرَه على نَهْجِ الصِّدْ ... قِ على ما به من التَّدْلِيسِ

دُعَـةٌ مَرَّةً وآوِنةً قُسٌّ ... وطَوْراً يُمْليك عن إبْليسِ[7]

وعليمٌ بطِبِّ عِـلَّةِ بُقْرا ... طَ ويَهْزُو بجِدِّ جالِينُوسِ

---

(١) فى سلافة العصر : «أغن نافر» . (٢) الظلم ، بالفتح: الريق . (٣) القصيدة فى: خلاصة الأثر ٣/٤٧٠ ، ٤٧١ ، سلافة العصر ٢٢٢ ، ٢٢٣ . (٤) الخندريس : الخمر .

(٥) فى خلاصة الأثر : « لم ينل بالتقرير » . (٦) طسم وجديس ابنا لاوذ بن إرم بن سام بن نوح ، نزلوا اليمامة . انظر المعارف ٢٧ .

(٧) فى السلافة : « دعة مرة » ، وفى الأصول: «وآونة قشر» ، والمثبت فى : الخلاصة ،والسلافة . ودعة : امرأة من عِجل تحمق . القاموس ( دع و ) .

ارْمِهِ حيثُ شئتَ تلْقَ أخا النَّجْ ... دةِ من آدمٍ ومن إدريسِ

لعِبَ الحبُّ منـــه بالجبَلِ الرَّا ... سِي وبالضَّيْغمِ الهَمُوسِ العَبُوسِ (١)

مِن هوَى رَبَّةِ الجمالِ ومَن قد ... لعبتْ مِن دَلالِها بالنفوسِ

والتى خيَّمتْ على كلِّ قلبٍ ... ورمَتْ كلَّ مُهْجةٍ برَسِيسِ (٢)

وأبَتْ أن تُرَى بعيْنِ مُحِبٍّ ... قَطُّ إلّا فى صورةٍ ولَبُوسِ

لاح مِن نُورِها الأغرِّ سَناهُ ... فتَراءى فى نارِه للمَجُوسِ

قد بدَتْ للكليمِ ناراً ولكنْ ... لا بحَضْرٍ فغاب بالتَّقْديسِ (٣)

وغَدا المَانَوِىُّ منهـــا على رَأْ ... ىٍ صحيحٍ لكن بلا تأْسِيسِ (٤)

والنَّصارَى ظلَّتْ على صُوَرٍ شَتَّى ... فضلَّتْ برأْيِهـــا المعكوسِ

قيَّـــدُوا مُطلَقَ الجمالِ فباتُوا ... فى قيودِ الشَّمَّاسِ والقِسِّيسِ (٥)

كيف مَن قيَّـــدتْ تقيُّد والإطْ ... لاقُ قيْدٌ والقيْدُ غـــيرُ مَقِيسِ

شأْنُها فى حبِّهـــا فتْنُها الأكْ ... بادَ من رائِسٍ ومن مَرْءوسِ (٦)

رُبَّ قلبٍ قد تاهَ فيهـــا فلم يَدْ ... رِ حَسِيساً ولم يَمِلْ لِلْمَسِيسِ

ظلَّ فيها فى جَحْفلٍ من سرورٍ ... وخَمِيسٍ يلْقَى الأسَى بخَمِيسِ (٧)

كلَّما أسْفرَتْ له عن نِقابٍ ... وفَنِى فى فِنـــائه المَأْنُوسِ

أشْرقتْ مِن وراءِ ذاكَ لعَيْنَيْ ... هِ بمَغْنَى حُسْنِ الجمالِ النَّفِيسِ

---

(١) فى خلاصة الأثر : « لعب الجد منه » ، وفى ا ، ج : « المهموس العبوس » ، والمثبت فى ب ، الخلاصة ، والسلافة . (٢) الرسيس : ابتداء الحب . (٣) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « فغاز بالتقديس » . (٤) المانوية أتباع مانى ، الذى كان يقول بأن للعالم أصلان هما النور والظلمة ، هما أزليان ، وكان ظهور مانى فى زمان سابور بن أردشير الملك الفارسى . انظر الأخبار الطوال ٤٧ ، الملل والنحل ٢ / ٧٢ . (٥) الشماس فى الرتبه دون القسيس .

(٦) فى ج : « شأنها فى حبها فتنها الأكباد » ، وفى الخلاصة : « شأنها فى محبها » ، وفى السلافة : شأنها من حبها » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٧) الخميس : الجيش .

فطوى كَشْحَه على غُصَصِ الوَجْـ ـدِ تُقًى بين طامعٍ ويؤوسِ

***

ذكرتُ [١] بمطلع هذه القصيدة ، ماحكاه البهاء الحارثيّ فى « كشكوله » [٢] ،

وهو أن تاجراً من تُجَّار نَيْسابور ، أودع جاريتَه عند الشيخ أبى عثمان الحِيرِىّ [٣] ،

فوقع نظرُ الشيخ عليها ، فعشِقها ، وشُغِف بها ، فكتب إلى شيخه أبى حفص الحدّاد

بالحال ، فأجابه بالأمر بالسفر إلى الرَّىّ ؛ لصُحْبة [٤] الشيخ يوسف .

فلما وصل إلى الرَّىّ ، وسأل الناسَ عن منزل الشيخ يوسف ، أكثروا من مَلامتِه

وقالوا : كيف يسألُ تقِىٌّ مِثلك عن [٥] بيت فاسق [٥] ؟

فرجَع إلى نَيْسابور ، وقصّ على شيخه القصةَ ، فأمره بالعَوْد إلى الرَّىّ ، ومُلاقاةِ

الشيخ يوسف المذكور .

فسافر مرّةً ثانية إلى الرَّىّ ، وسأل عن منزل الشيخ يوسف ، ولم يُبالِ بذَمِّ

الناس له وازْدرائِهم به .

فقيل له : إنه فى محلّة الخمّارة .

فأتَى إليه ، وسلّم عليه ، فردّ عليه السلام ، وعظّمه .

ورأى إلى جانبه صَبِيًّا [٦] بارعَ الجمال ، وإلى جانبه الآخر زجاجةً مملوءةً من شىء

كأنه الخمر بعيْنِه [٧] .

فقال له الشيخ أبو عثمان : ماهذا المنزِلُ فى هذه المحلّة ؟

فقال : إن ظالما شَرَى [٨] بيوتَ أصحابى ، وصيّرها خَمّارة ، ولم يحتجْ إلى بيْتى .

(١) هذا قول ابن معصوم فى السلافة ، والمؤلف ينقل عنه فى : الخلاصة ، والنفحة .

(٢) الكشكول ١ / ١٥٧ .

(٣) فى الخلاصة : « الحيرى » . (٤) فى الكشكول : « إلى صحبة » . (٥) فى الكشكول « بيت شقى فاسق » ، وفى الخلاصة بعد هذا زيادة « مثله » ، وفى السلافة : « بيت فاسق شقى مثله »

(٦) فى السلافة : « غلاما » ، وعبارة الكشكول : « وكان إلى جانبه صبى . . . » .

(٧) فى الكشكول : « بعينها » . (٨) فى السلافة : « اشترى » ، وتأتى شرى الشىء بمعنى باعه وابتاعه

فقال : ماهذا الغلام ، وما هذه الجرة ؟

فقال : أما الغلامُ فولدى من صُلْبى ، وأما الزجاجةُ فخَلّ .

فقال : ولِمَ تُوقِـع نفسك فى مَحلّ[1] التُّهْمة بين الناس ؟

فقال : لئلاّ يعتقدوا أنى ثِقة[2] ، فيستودعونى جواريَهم ، فأُبتلَى بحبِّهنّ .

فبكى أبو عثمان بكاء شديدا ، وعلم قَصْدَ شيْخه .

انتهى .

***

وبهذه الحكاية يظهر مَغْزَى[3] صَدْرِ هـذه القصيدة ، ويحصُل الجمعُ بين مافى ظاهرِها من المدح والقَدْح[4] .

والله أعلم .

***



رجع .

ومن شعر باقشير ، وهو مختار من قصيدة له[5] :

| | |
|---|---|
| أتَعْذِلُ فى لَمْياءَ والعُـــذْرُ أَلْيَقُ | تعشَّقْتُهـــا جهلاً وذو اللُّبِّ يعشَقُ |
| ولا عيشَ إلّا ما الصَّبــابةُ شَطْرُه | وصوتُ المَثانِى والسُّلافُ المُعتَّقُ |
| وجَوْبُك أجْـــوازَ المَوامِى مُشمِّراً | إلى المجدِ يطْوِيها عُذافِرُ مُعْنقُ[6] |
| وأن تتهاداكَ النَّعـــائمُ مُعْلَماً | تُضِلُّك أو تَهْدِيك بيْداء سَمْلَقُ[7] |

(١) فى الكشكول ، والخلاصة ، والسلافة : « مقام » . (٢) فى الكشكول ، والخلاصة ، والسلافة بعد هذا زيادة : « أمين » . (٣) فى السلافة : « معنى » . (٤) فى السلافة بعد هذا زيادة : « وإنما نبهت على ذلك ؛ لأنى سئلت مرة عن معنى ذلك ، فخطر لى هذا الجواب ، والله الملهم للصواب » .

(٥) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٤٧١/٣ ، ٤٧٢ ، سلافة العصر ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٦) الموامى: جمع الموماة ، وهى الفلاة الواسعة . والعذافر : العظيم الشديد من الإبل . ومعنق: مجد فى سيره .

(٧) فى السلافة : « وأن تتهاداك التنائق » .

والنعائم : من منازل القمر . والسملق : القاع الصفصف .

وأن تَرِدَ المـــاءَ الذى شَطْرُه دَمٌ   فتسقَى برأيِ ابنِ الحُسَين وتُرْزَقُ (١)

وأسْوَغ مابَلَّ اللّهى بعْدَ عَيْمـــةٍ   وأرْوَى من الماءِ الشّرابُ المُرَوَّقُ (٢)

فدَعْ لَجَجَ التّعْنيفِ وابْكِ بذى اللِّوى   دياراً كأنهـــا للتّقادُمِ مُهْرَقُ (٣)

أحالتْ مَغانِيها السّنـــون فأصْبحتْ   قِوَى لِهرِيقِ الوَدْقِ والرِّيح مَخْرَقُ (٤)

وقفتُ بها والقلبُ بالوَجْـــدِ مُوثَقٌ   كُفِيتَ الرّدَى والجفْنُ بالدمعِ مُطْلَقُ

أُناشدُها بَيْنُونةَ الحيِّ عن جَـــوًى   لقلبٍ إذا هَبَّ النّسائمُ يخفِقُ

شَجٍ تتَصاباهُ الصَّبا وتلُوعُـــه الـ   جَنُوبُ ويشْجُـــوه الحمامُ المُطوَّقُ

إلى اللهِ أفعالَ الليالِى بهـــا وبِى   لقـــد كنتُ منها دائمَ الدهرِ أفْرَقُ

فسِمْ سِمَةَ الصبرِ الجميلِ لعلّهـــا   تُديلُ فإنْ لم تُغْنِ فالصبرُ أخْلَقُ (٥)

فلو سلِمتْ من حادثِ الدهرِ دِمْنَـــةٌ   تمَطّى على هامِ الدهورِ الخَوَرْنَقُ

***

ومن محاسنه، قوله فى زَيّاتٍ بديعِ الجمال، وقد أجاد فى التورية (٦) :

أفْدِيه زَيّاتاً رَنَا وانثـــنَى   كالبـــدرِ كالشّادِنِ كالسّمْهرِى

أحسنُ ما تُبْصِرُ بدرَ الدجى   يلعبُ بالمِيزانِ والمُشْـــترِى

***

وقوله (٧) :

كيف التخلُّصُ من حُبِّ المِلاحِ وقد   تبادرَتْ لقتـــالِى أعْيُنٌ سَحَرَهْ

تغزُو لَواحِظُهـــا فى العاشقِين كما   تغزُو جيوشُ بنى عثمانَ فى الكَفَرَهْ

---

(١) فى السلافة : « فتسقى برأى » .

(٢) فى الخلاصة : « وأسوغ ما بل النهى » ، وفى السلافة : « بعد غيمة » .
والعيمة : شدة الشهوة إلى اللبن .

(٣) المهرق : الصحراء الملساء . (٤) القوى : مقصور القواء ، وهو قفر الأرض . والمخرق ، كمقعد : الفلاة . (٥) فى السلافة : « تديل فإن » . (٦) البيتان فى : خلاصة الأثر ٣/٤٧٢ ، سلافة العصر ٢٢٦ . (٧) البيتان فى سلافة العصر ٢٢٧ .

# ٢٩١

## أحمد بن محمد على الجَوْهَرِىّ*

جوهرٌ استخرجَتْه أفكارُ الليالى من بحورِها ، والْتقَطَتْه أبكارُ المعالى لنُحورِها .
له ذاتٌ تخلَّصتْ من الكِبْرِ ، وخلُصت من الخُيَلاء خلوصَ التِّبْر .
وأما أشعارُه فكلُّها قِطَعٌ من خالصِ الجُمان ، قلَّد بها صدورَ الأيام وشنَّف آذانَ الزمان .

فإذا حدَّثتَ عن آثار قلمِه ، فارْوِ الصِّحاحَ عن جَوْهَرِىِّ كَلِمِه .

***

وقد جئتُك من كلماتِه بأنفَسِ نَفِيس، فلا تذكر الدُّرَّ بعدها إن كنت ممَّن يَقِيس .
فمن ذلك قوله[1] :

ما شِمْتُ بَرْقاً سَرَى فى جُنْحِ مُعْتكِرِ ... إلَّا تذكَّرتُ بَرْقَ المَبْسَمِ العَطِرِ[2]
ولا صَبَوْتُ إلى خِلٍّ أُسامِرُه ... إلَّا بكَيتُ زمانَ اللهوِ والسَّمَرِ
شَلَّتْ يدُ للنَّوَى ما كان ضائرَها ... لو غادرتْنا نُقضِّى العيشَ بالوَطَرِ[3]
فى خِلْسةٍ من ليالى الوصلِ مُسْرِعةٍ ... كأنما هى بيْن الوَهْنِ والسَّحَرِ[4]
لا نَرْقُبُ النجمَ من فَقْدِ النَّدِيمِ ولا ... نستعجلُ الخطْوَ من خوفٍ ومن حَذَرِ[5]

---

(*) أحمد بن محمد بن على الجوهرى المكى .
أديب بارع ، وشاعر مجيد .
ولد فى مكة ، ونشأ بها ، ثم رحل إلى الهند فى عنفوان عمره ، ومكث بها خمسا وعشرين سنة ، ثم عاد إلى مكة ، فأنكر تقلب أمورها ، فانتقل منها إلى فارس .
وتوفى بالهند ، سنة تسع وستين وألف .
حديقة الأفراح ٤٣ ، ٤٤ ، خلاصة الأثر ١ / ٣٢٧ ـ ٣٣١ ، وفيه « محمد بن على » ، سلافة العصر ١٩٢ ـ ٢٠٤ .

(١) القصيدة فى : خلاصة الأثر ١/٣٢٨ ، سلافة العصر ٢٠٠ . (٢) فى الأصول : « برقاجرى » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، والسلافة . (٣) فى ا : « نقضى الليل بالوطر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة . (٤) الوهن : منتصف الليل أو بعده بقليل. (٥) فى خلاصة الأثر : « من خوف ولا حذر » .

وأهْيَفُ القَدِّ ساقِينا بِرَاحتِهِ ... كأنه صنمٌ في هيكلِ البَشَرِ
مُنَعَّمين وشَمْلُ الأُنْسِ منتظِمٌ ... يربُو على نَظْمِ عِقْدٍ فاخرِ الدُّرَرِ
فما انْتهَيْنا لأمرٍ قد أَلَمَّ بنا ... إلاّ وبُدِّل ذاك الصَّفْوُ بالكَدَرِ
لا دَرَّ دَرُّ زمانٍ راح مُخْتلِسًا ... من بيننا قَمَرًا ناهِيك من قَمَرِ
غزالُ إنْسٍ تحلّى في حُلَى بَشَرٍ ... وبدرُ حُسْنٍ تجلّى في دُجَى شَعَرِ
وغُصْنُ بانٍ تثنَّى في نَقَا كَفَلٍ ... لا غصنُ بَانٍ تثنَّى في نَقَا مَدَرِ[1]
كأنَّ لَيْلِي نهارٌ بعد فُرْقتِهِ ... مِمَّا أُقاسِي به من شدَّةِ السَّهَرِ[2]
يا ليت شِعْرِيَ هل حالتْ مَحاسنُه ... وهل تغيَّر ما باللَّحْظِ من حَوَرِ
فإن تكنْ في جِنانِ الخُلْدِ مُبْتهِجًا ... فاذْكُرْ مُعَنَّى الأمانِي ضائعَ النَّظَرِ[3]
وإن تأنَّسْتَ بالحُورِ الحسانِ فلا ... تَنْسَ الليالِي التي مَرَّتْ مع القِصَرِ

***

وقوله[4] :

كيف أسْلُو مَن مُهْجتِي في يدَيْهِ ... وفؤادي وإن رحَلتُ لدَيْهِ
إن طلبتُ الشِّفاءَ من شفتيْهِ ... جادَ لي بالسَّقامِ من جَفْنيْهِ
إنَّ حِلْفَ السُّهادِ عينٌ رأتْهُ ... وجنَتْ وَرْدَ جَنَّتَيْ خَدَّيْهِ[5]
كلّما رُمْتُ سَلْوةً قال قلبي ... لا تلُمْنِي على العكوفِ عليْهِ[6]
لستُ وحدِي مُتيَّماً في هَواهُ ... كلُّ أهلِ الغرامِ تصبُوا إليْهِ

***

---

(١) في خلاصة الأثر: «لا غصن بان تثنى في نقا المدر» . (٢) في السلافة : « كأن ليلى نهارى » .
(٣) في السلافة : «بجنان الخلد . . . ضائع الخطر » . (٤) الأبيات في : خلاصة الأثر ٣٢٨/١ ، سلافة العصر ٢٠٠، ٢٠١ . (٥) في الأصول: «ورد وجنتى خديه»، والمثبت في: الخلاصة، والسلافة .
(٦) في السلافة : « لا تلمني في ذا العكوف عليه » .

وله مقاطيع ، سماها « لآلئ الجوهري » ، منها قوله[١] :

كيف يرجو العِرْفانَ بالله مَن قد قيَّدَتْه الذنوبُ طولَ حياتِهْ

لا لعَمْري أم كيف يُشرِقُ قلبٌ صُوَرُ الكائناتِ في مِرْآتِهْ

* * *

وقوله[٢] :

إذا مضتِ الأوقاتُ من غيرِ طاعةٍ ولم تكُ محزوناً فذا أعظمُ الخطْبِ[٣]

علامةُ مَوْتِ القلبِ أن لا تَرَى به حَراكاً إلى تقْوَى ومَيْلاً عن الذنبِ[٤]

* * *

وقوله[٥] :

إن حُزْتَ عِلماً فاتّخِذْ حِرْفةً تصُون ماءَ الوجهِ لا يُبْذَلُ

ولا تُهِنْهُ أن تُرَى سائلاً فشأنُ أهلِ العلم أن يُسْئَلُوا

* * *

وقوله[٦] :

جانبِ اللهوَ والبَطالةَ واحْذَرْ مِن هوَى النفسِ إن أردتَ السّعادَهْ

واعبُدِ اللهَ ما استطعتَ بصدقٍ مَطْلبُ العارفين صِدْقُ العبادَهْ

* * *

وقوله[٧] :

قُلْ للذي يبتغِي دليـــلاً من غير طُولٍ على المُهَيْمِنْ

---

(١) البيتان في: خلاصة الأثر ١/ ٣٢٨، ٣٢٩ ، سلافة العصر ٢٠١ . (٢) خلاصة الأثر ١/ ٣٢٩ ، سلافة العصر ٢٠١ . (٣) في خلاصة الأثر : « إذا انقضت الأوقات » .

(٤) في السلافة : « حراكا إلى التقوى » . (٥) البيتان في : خلاصة الأثر ١/ ٣٢٩ ، سلافة العصر ٢٠١ . (٦) البيتان في سلافة العصر ٢٠١ . (٧) خلاصة الأثر ١/ ٣٢٩ ، سلافة العصر ٢٠٢ .

ما ذَرَّةٌ في الوجودِ إلاَّ    فيها دليـلٌ عليـه بيِّنْ

* * *

وقوله في الغزل[١] :

ولقـد سقتْنا البابليّةُ إذْ رأتْ    أنَّا نُحدِّثُها لِنَسْبُرَ حُسْنَها[٢]

خمْرًا أدارتْها العيونُ فأذْهبَتْ    مِنَّا العقولَ ولم تُفارِقْ دَنَّها[٣]

* * *

وقوله[٤] :

لمَّا بدا البــدرُ يجْلُو    دُجَى الظلامِ وأسْفَرْ

ذكرتُ وجهَ حبيبي    والشيء بالشيء يُذْكَرْ

* * *

وقوله[٤] :

وأسْمَحُ النــاسِ كفًّا    مَن لا يقولُ ويفعلْ

وأعْذَبُ الثَّمَرِ بيتٌ    يرْوِيه عَذْبُ المُقبَّلْ

* * *

وقوله[٥] :

لا تعذِلونِيَ في وقتِ السَّماعِ إذا    طرِبتُ وَجْدًا فخيرُ الناسِ مَن عذَرَا

حتى الجمادُ إذا غنَّتْ له طَرِبْ    أمَا ترى العودَ طوْرًا يقطعُ الوَتَرَا

* * *

وقف بعضُ أدباء عصرِه[٦] على هذين البيتيْن ، فـكتب إليه مُقرِّظا :

---

(١) خلاصة الأثر ١/٣٢٩ ، سلافة العصر ٢٠٢     (٢) في الخلاصة : « ونسبر حسنها » .
(٣) في الخلاصة : « ولم تفارق دنها » .     (٤) البيتان في : خلاصة الأثر ١/٣٢٩ ، سلافة العصر ٢٠٢ .     (٥) خلاصة الأثر ١/٣٢٩ ، سلافة العصر ٢٠٣ .     (٦) هو ابن معصوم صاحب السلافة . انظرها صفحة ٢٠٣ ، وخلاصة الأثر ١/٣٢٩ .

وصل البيتان بل القَصْران[١] فما ألفاظُهما إلا الدُّرُّ النَّظيم ، فلا وحقِّك لم يفُز[٢] بمثلهما العَصْران[٣] لا الحديثُ ولا القديم .

فلله دَرُّك ، ما أحْفَلَ[٤] دَرَّك ، وأبْهَج فى أسْلاك المعانى دُرَّك .

ولقد خاطبتُ بمعناها عند سَماعِهما مَن عذَل ، وطربتُ لحُسْنِ سَبْكهما طَرَبَ مَن مَنَح عند نَشْوته سَبيكَ النُّضار وبَذَل .

بل طَرِب لهما حتى الجماد ، ومن ذا الذى سمعهما وما ماد .

فالله تعالى يُبْقيك للأدب كهفا يُرجَع إليه ، وذُخْراً يُعوَّل عند اشْتباه الألفاظ والمعانى عليه .

وقد نظمتُ البارحةَ أبياتاً فى العُود ، أحببتُ أن تُلاحظَها بمُلاحظتِك لها السُّعود . وهى :

وعُودٌ به عُودُ المَسَرَّةِ مُورِقٌ ... يُغَنِّى كما غَنَّتْ عليه الحمائمُ

إذا حرَّكَتْ أوتارَه كَفُّ غادةٍ ... فسِيَّانِ من شوقٍ خَلِيٌّ وهائمُ[٥]

يُرَنِّحُ مَنْ يُصْغِى إليـه صبابةً ... كما رَنَّحَتْهُ فى الرِّياضِ النَّسائمُ

***

فراجَعه بقوله[٦] :

يامولاىَ الذى إن عَدَّ أربابُ المجد عُقِدَتْ عليه الخناصِر ، وإن ذُكِر أصحابُ الفضل فلا يُدانيه مُتقدِّم ولا مُعاصِر .

لو أمَدَّنى ابنُ العَميد وأضْرابُه ، والصاحبُ بنُ عَبَّادٍ وأصحابُه .

ما استطعتُ تقريظَ أبْياتِكَ الأبيَّات إلَّا منك ، المُمْتَنِعات إلا عنك .

فأنت فريدُ دهرِك ، ولا أقول فى هذا الفن ، ووحيدُ عَصْرِك ، وليس ذلك عن ظَنّ .

---

(١) فى الأصول : « القطران » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة . (٢) فى السلافة : « يفه » .

(٣) فى ا : « العطران » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة . (٤) فى السلافة : « أحقد » .

(٥) فى خلاصة الأثر : « فسيان فى شوق » . (٦) خلاصة الأثر ١ / ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، سلافة العصر ٢٠٣ .

وقد دعتْنِي داعيةُ الأدب ، إلى أن أقول إن[1] العُود يفُوق آلاتِ الطَّرَب . فمدحتُه كما مدحتَه ، ووصفتُه كما وصفتَه .

وقلت :

فاق كلَّ الآلاتِ فى اللحْنِ عُودٌ  حين تعْلُو أصواتُها وتَرِنُّ
فكأنَّ الحمامَ دهراً طويلًا  علَّمتْهُ ألحانَها وهْوَ غُصْنُ

***

قلتُ[2] وهذا من قول أبى الفضل[3] أحمد بن يوسف الطِّيبِيّ[4] :

من أين للعُود هذا الصوتُ تأخذُه  أطْرافُهُ بأطَاريفِ الأناشيدِ[5]
أظُنُّ حينَ نَشَا فى الدَّوْحِ علَّمه  سَجْعُ الحمائمِ تَرْجيعَ الأغاريدِ

ومثله قولُ مُعاصرِه الصَّفِيّ الحِلِّيّ[6] :

وعُودٍ به عاد السرورُ لأنهُ  حوَى اللهوَ قِدْماً وهْوَ رَيَّانُ ناعمُ
يُغَرِّبُ فى تَغْريدِه فكأنَّما  يُعيدُ لنا ما ألْقَتْهُ الحمائمُ[7]

ولبعضهم فيه[8] :

وعُودٍ له نوعانِ من لذَّةِ المُنَى  فبُورِكَ جانٍ يجتَنيه وغارِسُ
تغنَّتْ عليه وهْوَ رَطْبٌ حمامةٌ  وغنَّتْ عليه قَيْنَةٌ وهْوَ يابسُ

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة . (٢) هذا قول ابن معصوم انظر السلافة ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، وخلاصة الأثر ١/ ٣٣٠ . (٣) فى السلافة : « أبى الفضائل »

(٤) أحمد بن يوسف الطيبي شمس الدين ، كاتب الإنشاء بطرابلس .
ولد سنة تسع وأربعين وستمائة ، وتعانى الآداب ففاق فى النظم والنثر .
وتوفى بطرابلس ، سنة سبع عشرة وسبعمائة .
الدرر الكامنة ١/ ٣٦٣ ـ ٣٦٥ ، النجوم الزاهرة ٩/ ٢٤٠ .
والبيتان فى : خلاصة الأثر ١/ ٣٣٠ ، الدرر الكامنة ١/ ٣٦٥ ، سلافة العصر ٢٠٣ ، ٢٠٤

(٥) فى الدرر الكامنة ، والسلافة : « هذا الصوت تطربنا » . وفى ب : « أطرافه بأناشيد الأناشيد » وفى السلافة ، والدرر الكامنة : « ألحانه بأطاريف الأسانيد » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٦) البيتان ليسا فى ديوانه وهما فى : خلاصة الأثر ١/ ٣٣٠ ، سلافة العصر ٢٠٤ .

(٧) فى السلافة : « يعذب فى تغريده » ، وفى الخلاصة ، والسلافة : « ما اقتته الحمائم » .

(٨) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/ ٣٣٠ ، سلافة العصر ٢٠٤ .

وأصله قول الوزير المَغْرِبى[١] :

وطُنْبُورٍ مَلِيحِ الشكلِ يحكى ... بنَغْمَتِهِ الصَّلِيبةِ عَنْدَلِيبَا
رَوَى لما دَرَى نَغَمًا فصيحًا ... حَواها فى تقلُّبِهِ قَضِيبَا
كذا مَنْ عاشَرَ العلماء طِفْلاً ... يكون إذا نَشَا شَيْخًا أدِيبَا

***

ومن « لآليه » المذكورة قوله[٢] :

لا تَجْهَلَنْ قَدْرًا لنفسِكَ إنّها ... عُلْوِيَّةٌ تَرْقَى لما هو شِبْهُهَا
والنفسُ كالمِرْآةِ يَصْقُلُهَا التُّقَى ... قَسْرًا ويُظْلِمُ بالمعاصى وَجْهُهَا[٣]

***

وقوله[٤] :

فى المَنْعِ والإعْطَاءِ كُنْ شاكِرًا ... واستَقْبِلِ الكلَّ بوجهِ الرِّضَا[٥]
فالخيرُ للعارِفِ فيما جرَى ... ورُبَّ مَنْعٍ كان عينَ العَطا

***

وقوله[٦] :

إذا الْتبَسَ الأمرانِ فالخيرُ فى الذى ... تَرَاه إذا كلَّفْتَه النفسَ تَثْقُلُ
فجانِبْ هَواها واطَّرِحْ ما تُرِيدُه ... من اللهوِ واللذّاتِ إن كنتَ تعقِلُ

***

---

(١) أبو القاسم الحسين بن على الوزير المغربى .

ولد بمصر ، وتنقل بين الشام وبغداد والموصل ، واستوزره مشرف الدولة البويهى ببغداد ، ثم ترك الوزارة ، واضطربت أحواله ، إلى أن توفى بميافارقين ، سنة ثمان عشرة وأربعمائة .

دمية القصر ١/٩٤ ، وانظر حاشيتها .

(٢) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٣٣٠ ، سلافة العصر ٢٠١ .  (٣) فى الأصول : « يصقلها الفتى » ، وفى الخلاصة : « يصقلها الغنى » ، والمثبت فى السلافة ، وفى الأصول : « ويظلم بالمعالى » ، والمثبت فى : الخلاصة، والسلافة .  (٤) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٣٣٠ ، سلافة العصر ٢٠١ .

(٥) فى خلاصة الأثر : « كن راضيا » .  (٦) خلاصة الأثر ١/٣٣٠ ، سلافة العصر ٢٠١ .

وهذا من قول الأحنف بن قيس[١] :

كفى بالرجلِ رأياً إذا اجتمع عليه أمران ، فلم يدرِ أيهما الصواب ، أن ينظر أعجبهما إليه ، وأغلبهما عليه ؛ فيحذره .

وقريب منه قول أبي الفتح البُستِيّ[٢] :

وإنْ هممْتَ بأمرٍ ولم تُطِــــقْ تخريجهْ
فقِسْ قياساً صحيحاً واحــكُمْ بضدِّ النتيجهْ[٣]

***

ومن الحِـكَم المَرْويّة عن أبي العلاء المعرّيّ :

الخيرُ كلّ الخير فيما أُكرِهت النفسُ الطبيعيّة عليـه ، والشرُّ كلّ الشر فيما أكْرَهتْك النفسُ الطبيعيّة عليه .

***

ومن مَقاطيعه في الغزل قوله[٤] :

وظَــــبْيٍ نافرٍ ممّا أراهُ يَذِلُّ لحُسْنِهِ الملِكُ المَهيبُ[٥]
عرفتُ مِزاجَه فانقادَ طَوْعاً ومَن عرَف المِزاجَ هو الطبيب

***

وقوله[٦] :

وأهْيَفٍ كالسيفِ ألْحاظُه وقَدُّه العسّالُ كالسَّمْهرِي[٧]

---

(١) هذا أيضا في : خلاصة الأثر ١/ ٣٣٠ ، سلافة العصر ٢٠١ .

(٢) البيتان ليسا في ديوانه وهما في : خلاصة الأثر ١ / ٣٣٠ ، ٣٣١ ، سلافة العصر ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٣) في الخلاصة : « وخذ بضد النتيجة » .

(٤) البيتان في : خلاصة الأثر ١ / ٣٣١ ، سلافة العصر ٢٠٢ .

(٥) في السلافة : « مما رآه » .

(٦) خلاصة الأثر ١/ ٣٣١ ، سلافة العصر ٢٠٢

(٧) في السلافة : « وقده المياس » .

أخجلَـــنِي ثغرٌ له باسمٌ فاعْجَب لثغرٍ يُخْجِلُ الجَوْهَرِى[١]

* * *

وقوله[٢] :

قال عَـــذُولِي إذْ رأى أخَا الغــزالِ الأعْفَرِ

هــــذا الذي مَبْسِمُه فتّتَ قلب الجَوْهَرِى

* * *

وقوله[٣] :

جَرحَ اللَّحْظُ خالَ خَدِّ غُلامٍ فضَحَ البَانَ قَدُّه باعْتدالِهْ

فإذا ثار طاعِناً لفــؤادِي قال خُذْها من طالبٍ ثارَ خالِهْ

* * *

وقوله :

تذكَّرتُ إذْ جاء الحَجيجُ بمكَّةٍ ونحن وقوفٌ ننظُر الرَّكْبَ مُحْرِمَا

فصرْتُ بأرضِ الهندِ فى كل مَوْسِمٍ يُجدِّد تَذْكارِى لقلبِى مَأْتَمَا

* * *

وقوله :

ولو أنَّ أرضَ الهندِ فى الْحُسْنِ جَنَّةٌ وسُكَّانَها حُورٌ وأمْلِكُها وَحْدِى[٤]

لَما قِسْتُها يوماً ببَطْحاء مــكةٍ ولا اخترتُ عن سُعْدَى بديلاً هوَى هندِ

* * *

وقوله[٥] :

وقالُوا بالْمَخَا خــيرٌ كثيرٌ فقلتُ صدقتمْ وبها الأمَانُ[٦]

---

(١) فى خلاصة الأثر ، والسلافة : « مخجل الجوهرى » . (٢) خلاصة الأثر ١/٣٣١ ، سلافةالعصر ٢٠٢ . (٣) البيتان فى: حديقةالأفراح ٤٤ ، خلاصةالأثر ١/٣٣١، سلافةالعصر ٢٠٢ .

(٤) فى ا : « أهل الهند » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والحديقة ، والخلاصة ، والسلافة . وفى ب : « فى الحسن بهجة » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والحديقة ، والخلاصة ، والسلافة .

(٥) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٣٣١ ، سلافة العصر ٢٠٢ .

(٦) المخا : بلدة بساحل بحر اليمن . القاموس ( م خ ى ) .

ولـكن حرّها يشوي البَرايا ... ولولا الرِّيقُ لاحترق اللِّسانُ

***

وقوله [١] :

شبّهتُ أمواجَ بحرِ الهندِ حين رستْ ... به السّفائنُ من هندٍ ومن صينِ
بأسْطُرٍ فوق قِرْطاسٍ قد انْتسقَتْ ... والسُّفْنُ فيه علاماتُ السَّلاطينِ [٢]

***

وقوله [٣] :

إذا تكنْ ناقِداً للرجـــالِ ... وصاحبْتَ مَن لا له تعرفُ
تخالِفْه فى بعضِ أقـــوالِهِ ... فإنك عن خُلْقِهِ تـكشِفُ



(١) خلاصة الأثر ١/٣٣١ ، سلافة العصر ٢٠٢ . (٢) فى ب : «قد اتفقت» ، وفى خلاصة الأثر : « قد انسقت » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة . (٣) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٣٣١ ، سلافة العصر ٢٠٣ .

# ٢٩٢

## أحمد بن عبد الله بن أحمد

## ابن عبد الرءوف بن يحيي الواعظ*

لَوْذَعِيٌّ وجهُ أدبِه سافر ، وخبرُ نَباهتِه فيما بين الخافِقَيْن مُسافِر .

له كَلَفٌ بالفنون وعناية ، مع ديانة ارْتدى بردائها وصِيانة .

فمجدُه مُشنَّف من عِقْد الثُّرَيَّا ، ولَدَيْه من نَسْج السجيَّة ما[1] يهْزأ بِبُرْد الروضة الرَّيَّا .

وأما أدبه فله رُواء الوجوه الحسان ، وله شعرٌ أُفْرِغ فى قالَب الحسن والإحسان .

فمنه قوله من نبويَّة[2] :

يا صاحِبَيَّ حَقِّقا مِيعادِى وانْطلِقا لأخْصَبِ الوِهادِ

ولا حِظانى فى السُّرَى فإننى نِضْوُ هوًى مُقرَّحُ الأكْبادِ

قد ترك الجَفْنَ مَفازةً فلا يَضْوِى إليه وافدُ الرُّقادِ[3]

وضَلَّ شَرْخُ العمرِ فى بياضٍ أشْرَق من أشِعَّةِ الأفْوادِ[4]

---

(*) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الرءوف المكى ، الشافعى ، الواعظ .

ولد بمكة ، وبها نشأ ، وحفظ القرآن والمتون .

وأخذ عن الشهاب أحمد بن حجر الهيتمى ، وعبد الله باقشير ، وغيرهما .

جلس فى مكة للفتاوى ، وللصلح بين الناس ، وهو شاعر عذب الشعر .

توفى سنة سبع وسبعين وألف .

خلاصة الأثر ١/٢٢٦ ـ ٢٢٩ ، سلافة العصر ٢٣٤ ـ ٢٣٧ .

(١) فى ا بعد هذا زيادة : « زال » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) القصيدة فى : خلاصة الأثر ١/٢٢٧ ـ ٢٢٩ .

(٣) فى خلاصة الأثر : « قد ترك الجفن منامه فلا » .

(٤) فى خلاصة الأثر : « وظل شرخ العمر فى بياضه » .

فعرِّجا بمَسْرحِ السِّرْبِ الذى ليس له مَرْعًى سوى فؤادِى
وخفِّفا عليكما وخلِّيا دمعِى السَّفِيحَ رائحًا وغادِى [1]
يرْمُل فى جَرْعائها بمَسْفِها لا يعْتريه وَهَنُ الوِخادِ [2]
ويجعل الحصْباَ عَقِيقًا أحمراً من التَّجيعِ الأحمرِ الفِرْصادِ [3]
ويترك القاعَ له أعِقَّةٌ يكْرَع منها كلُّ صَبٍّ صادِى [4]
وزَفْرةٌ قد غُرِست بمُهْجتى وطَلْعُها فى لِمَّتَىَّ بادِى [5]
تتابعتْ حتى يُخالُ أننى من فَرَقٍ لِمُنْجِدٍ أنادِى [6]
أذابت القلبَ سِوى ما أحْرزُوا ثم ثوَى فى وسَط الفؤادِ [7]
وعاذلٍ يعبثُ بى لَوَ انَّه يُجْدِيه ما خُطَّ بلا مِدادِ
يُنمِّق العَذْل يُخالُ أنه يُمازِجُ التَّشْكيكَ باعْتقادِ
كأنما يرقُم فى كونٍ ما أفرغ فى الفؤاد من وِدادِ
لا يقبلُ التَّعْنيفَ فى الهوى سِوَى من يقْتنِى غيرَ هوَى سُعادِ
واحرَّ قلباه وبرْدُ المشتهَى هيهاتَ كيف تجْمَعُ الأضْدادِ
ذادُوا السيوفَ عن وُرودِ هامِهم زادتْ على الأنْواء للوُرَّادِ [8]
ما حَقَّ طَرْفٌ جاد إذ قد ضَنَّ نَوْ ءُ الطَّرْفِ أن يحْمِى عن المِبْرادِ [9]
هيهات لم يبرحْ يرُوم نَظْرةً من حضرةِ الإسعافِ والإسْعادِ [10]

---

(١) فى ب : « وخففا بمسرح السرب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٢) فى خلاصة الأثر : « يرمل فى جرعائها معتسفا » . (٣) الفرصاد : صبغ أحمر .

(٤) فى خلاصة الأثر : « ويجعل القاع » .

والأعقة : جمع العقيق ، وهو كل مسيل شقه ماء السيل . القاموس ( ع ق ق ) .

(٥) فى الأصول : « فى لمى نادى » ، والمثبت فى خلاصة الأثر . (٦) فى خلاصة الأثر : « من فرق لنجدهم أنادى » . (٧) عجز البيت فى خلاصة الأثر : « لما أتوا من وسط السواد » .

(٨) فى خلاصة الأثر : « ذادوا العيون » .

(٩) فى خلاصة الأثر : « ماحق طرف . . يحمى عن الميراد » . (١٠) فى خلاصة الأثر : « من حضرة الإسعاد والإمداد » .

من حضرةِ المختار طه أصلِ مَبْ ... نَى الكونِ فى التَّعيين والإيجادِ[1]

مِن نُورِ ذى العرشِ الرفيعِ كُنْهُهُ ... تواتُرٌ قد جـــاء بالآحادِ

فى قولِ لولاكَ إشارةٌ ولا ... خَفاء للمُرِيدِ فى المُرادِ

يدْرِيه مَن يرى الشُّئونَ جُمِّعتْ ... فى مُفْردٍ مجتمعِ الإفْـــرادِ

فآدمُ الآبا وغــــيرُه له ... فرعٌ على معنًى جَلِيِّ الرَّادِ[2]

وذاكَ معنَى أنه أصلُ الوجو ... دِ أوّلٌ فى البَسْطِ بالأعدادِ[3]

فاعْجَبْ له خَتْمًا نَبيًّا أوَّلا ... قد جاء بالتحقيقِ فى الإسْنادِ

الواضحُ الحقَّ الصَّحيح حَسْبَما ... حَرَّره أئمةُ الإرشـــادِ

وبعد أن زان جمالُ وجهِهِ ... وجودَه جاء الـكمالُ هادِى[4]

فقـــام بالتَّوحيدِ داعِيًا له ... وراقَبَ المُدْعَوْنَ بالمِرْصادِ

ومَهَّد الشرعَ القديم للورَى ... مبيِّنَ الميعـــادِ والإبعادِ[5]

وشَتَّ شَمْلَ الـكفرِ بانْتظامنا ... فى سلْكِه كالعقْد فى الأجْيادِ

فابْتَهج الـكونُ به نَضارةً ... وصدَحتْ فى دَوْحِها الشَّوادِى[6]

وخفَقتْ ألْوِيةُ النصرِ على ... سُكُونِ ريحِ الـكفرِ والأعادِى[7]

وزَمْزَم الرعدُ على مَسْرَى الصَّبا ... وشقَّتِ السُّحْبَ ظُبَا الغَوادِى[8]

وأضْحكَ الرَّوضَ بُـكاؤُها على ... مَسرَّةِ النِّتاجِ والإيلادِ[9]

---

(١) فى خلاصة الأثر : « فى الإتقان والإيجاد » .

(٢) فى خلاصة الأثر : « حلى الراد » .
والرأد : ارتفاع الضحى .

(٣) فى خلاصة الأثر : « فى البسط للأعداد » .

(٤) فى خلاصة الأثر : « وجود ما جاء الـكمال هادى » .

(٥) فى خلاصة الأثر : « الشرع القويم » ، وهى أولى .

(٦) فى خلاصة الأثر : « نضارة به » .

(٧) فى الأصول : « وخفضت ألوية النصر » ، والمثبت فى الخلاصة .

(٨) فى خلاصة الأثر : « على مسرى الظبا » .
وفى الأصول : « ظبا الفوادى » ، والمثبت فى الخلاصة .

(٩) فى خلاصة الأثر : « وأضحك الروض مسرة على ❊ بكاء ذى النتاج . . » .

وأحييتِ الأنوا مواتَ الجدبِ مِن مُرتَبعِ التِّلالِ والوِهادِ
ونُتِجتْ من صُلبِه أئمةٌ قادوا إلى الإيمان والرّشادِ (١)
مِن مَظهرِ الزّهراء ذات الفخرِ في حظائرِ التّقديس والإسعادِ (٢)
مِن حَيدرٍ عليٍّ الطُّهرِ أمير المؤمنين سيِّد الأمجادِ
قد أعرضوا عمَّا به النّاسُ عُنوا وصرفوا الوجْهَ إلى المَعادِ
تزهَّدوا وذاك مِن صِفاتِهم ذاتاً وهل يخفى شَميمُ الجادِي (٣)
قد شرفوا على الورَى فحَسبُهم نَصُّ الكتابِ عن حَصا التّعدادِ (٤)
يا سيِّدَ الرُّسْلِ ويا خِتامَ من قد خُصِّصوا بوافرِ الأيادِي (٥)
يا خيرَ مبعوثٍ على ظهرِ الثَّرَى بسَيْبه أخصبتِ الأيادِي (٦)
يا مَن هو الأَوْلى بكلِّ مؤمنٍ من نفسِه من سائرِ العبادِ
أحنتْ عليَّ حَوبةٌ جَنيتُها قد جرَّعتْني غُصَصَ البِعادِ (٧)
وعرَّضتْني هدَفاً لأسهُمِ الـ إعراضِ لا أخلُو من العَوادِي
وأخلَقتْ صَبْرِي وجدَّ مطمعِي في أن أرَى في هذه النوادِي (٨)
وضاق ذَرْعِي فذَريعتي إلى رِحابِك الفَيْحاء شوْقُ حادِي (٩)
فحُلَّ عقْدِي يا مَلاذِي مثلَما حلَلْتَ عَقْدَ العُسْرِ بالإنقادِ
وأطلِقِ القيْدَ المُحيطَ علَيَّ في سُوحِكم أنفَكُّ عن قِيادِي (١٠)

---

(١) في خلاصة الأثر : « إلى الإيمان والإرشاد » . (٢) في الأصول : « حضائر التقديس » ، والمثبت في الخلاصة . (٣) الجادي : الزعفران . (٤) في خلاصة الأثر : «على الورى فحبهم» .
(٥) في خلاصة الأثر : « ويا خاتم من » . (٦) في خلاصة الأثر : « أخصبت البوادي » .
(٧) في خلاصة الأثر : « خففت على حوبة » . (٨) في خلاصة الأثر : « وجدت مطمعي » ، ولعلها : « وجدت » . (٩) في ا : « شوق جادي » ، وفي الخلاصة : « شوق الحادي » ، والمثبت في : ب ، ج .
(١٠) في خلاصة الأثر : « أنفك من قيادي » .

فأنت كَهْفُ المُلْجِفِين فى الورَى ... وغيرهم من زُمَرِ القُصَّادِ (١)

وأنت بابُ الله كلُّ مَن أتى ... مِن غـــيرِهِ يُسامُ بالإبْعادِ

فمن دنَا مِن سُوحِه مُلتمِساً ... بادرَهُ العفـــوُ إلى المُرادِ

وعَمَّه الفضـــلُ فقال شاكراً ... قد كثُرَتْ ذخائرُ الفُؤادِ (٢)

صلَّى عليك اللهُ ما تلألأتْ ... صِفاتُك البِيضُ على السَّوادِ

☆☆☆





---

(١) فى خلاصة الأثر : « كهف المرتجين . . . فى زمر القصاد » .

(٢) ذكر المحبى فى خلاصة الأثر ١ / ٢٢٩ ، أن هذه القصيدة عروض قصيدة الفتح ابن النحاس ، مطلعها :

قد نفِدتْ ذخائرُ الفؤادِ ... فلِم أرُدُّ الدمعَ للسُّهادِ

وتقدمت القصيدة فى ترجمته ٢/٥٢٣ .

# ٢٩٣
## محمد بن أحمد المُنوفيّ *

هو فى المَقام خليفةُ الشافعِىّ ، وكلامُه فى العلوم كافِى المُهمّ وشافِى العِىّ .
وكان آيةً فى قُوَّة الحافِظة ، قائما فى الإفادة بوظيفتى المُثابرة والمُحافظة .
ودخل الرُّوم فقام الدهر بحقوقِه ، ولم يَشُب بِرَّه بعُقوقه .
فاخْضرَّت بالإدْرارات أكْنافُه ، وتجمَّلتْ أنواعُ رَعْيِه وأصْنافُه .
إلّا أنه عارَضه الأجل فى طريقِه ، وأغَصّته إذ ساغَت له أمانيه برِيقه .
فقبَضه اللهُ بالشام إليه ، فلا زالتْ رحمةُ الله مُنْهلّة عليه .

* * *

قال سِبْطُه ابنُ معصوم : ولا يحضُرنى الآن من شعره غيرُ مارأيته منسوبا إليه بخط سيدى الوالد (١) :

عَتبْتُ على دهرِى بأفعالِه التى … أضاق بها صدرِى وأضْنَى بها جِسْمِى
فقال ألم تعلمْ بأن حَـــوادثِى … إذا أشْكلتْ رُدَّتْ لمن كان ذا عِلْمِ

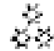
وهذان بيتان لا يُشيِّد مثلَهما إلّا مَن شاد رُبوعَ الأدب ، وسارع لاقْتناصِ شوارِدِ القَرِيض وانْتدَب .

---

(*) محمد بن أحمد المنوفى المصرى الشافعى .
نزيل مكة المكرمة ، وأحد الفضلاء الأعيان .
وكان يعانى التجارة ، صاحب ثروة ، وقد سافر إلى الروم ، ليسلم السلطان مرادا مفتاح الكعبة ونال ما يرجوه من هذه السفرة .
وفى سفرته هذه عقد حلقة تدريس فى الجامع الأموى ، كانت مثار جدل ونقاش .
مرض المنوفى فى دمشق بمرض الأمعاء ، وكان هذا سبب موته سنة أربع وأربعين وألف .
خلاصة الأثر ٣/٣٥٩ – ٣٦١ ، سلافة العصر ١٢٤ ، ١٢٥ .
(١) خلاصة الأثر ١/٣٦٠ ، سلافة العصر ١٢٥ .

وهما نموذج (١) براعتِه وبلاغته ، واقتدارِه على سَبْك إبْرِيز الكلام وصياغتِه .
وقد صدَّرتُهما وعجَّزتهما ، فقلتُ (٢) :

عَتبْتُ على دهرِى بأفعالِه التى ... بَرانِى بها بَرْىَ السِّهامِ من الهَمِّ
ليصْرِف عــنى فَادحاتِ نوائبٍ ... أضاق بها صدْرِى وأضْنَى بها جسْمِى (٣)
فقال ألم تعلمْ بأن حَــوادثِى ... وأخْطارَها اللاتِى تُلِمُّ بذِى الفَهْمِ
يضِيقُ بها ذُو الجهلِ ذَرْعاً وإنمــا ... إذا أشْكلتْ رُدَّتْ لمن كان ذا عِلْمِ





---

(١) فى خلاصة الأثر : « أنموذج » . (٢) خلاصة الأثر ٣/٣٦٠ ، ٣٦١ ، سلافة العصر ١٢٥ .
(٣) فى ا ، ج : « فادحات نوائب » ، والمثبت فى : ب ، والخلاصة ، والسلافة .

## ٢٩٤

## ولده عبد الجوّاد *

فاضلُ البيتِ بعد أبيه النَّبيه ، وأشبَه مَن تصدَّر فى مركز العِزَّة فَقيد المَثِيل والشَّبيه .

اشتملتْ عليه دَولةُ آل الحسَن ، اشْتمالَ الفمِ على اللِّسان ، والمُقْلة على الإنسان .

وقامت فضائلُه فى رِياض مَحامِدها تَتلُو آيةِ البيان ، بما تردَّد بين السمع والعيان .

وهو أديبٌ عُرِف بكَمال الفِطْنة من حين المِهاد ، وله خِلالٌ كلُّها روضٌ قريبُ العَهْد من صَوْب العِهاد (١) :

فتًى صَفَتْ من القَذَى مَوارِدُهْ وانتثرتْ فى رَوضِه فَرائدُهْ

مَبْذُولةٌ لوفدِه فوائدُهْ شاهدةٌ بفضلِه مَشاهِدُهْ

منظومةٌ من شُكرِه قلائدُهْ يَحمَدُهُ وَليُّه وحاسدُهْ

* * *

وله شعر حسَن الأسلوب ، يرِفُّ على مائِه رَيْحانُ القلوب .

فمنه قوله ، من قصيدة يمدح بها الأمير محمد بن فَرُّوخ (٢) أمير الرَّكْب الشّامِيّ .

---

(*) عبد الجواد بن محمد بن أحمد المنوفى المكى الشافعى .

أديب فاضل ، حسن المذاكرة .

أخذ بمكة عن علمائها ، وتولى تدريس إحدى مدارسها ، وناله من ورائها رزق ، فتعصب عليه جماعة ، فتركها إلى مصر ، ثم إلى الشام مع والده ، وحين توفى والده بها رجع إلى مكة ، فبلغ عند شريفها رتبة عالية .

توفى بالطائف ، سنة ثمان وستين وألف .

حديقة الأفراح ٤٦ ، خلاصة الأثر ٢/٣٠٣ – ٣٠٥ ، سلافة العصر ١٢٥ – ١٣٣ .

(١) العهاد : أول مطر الربيع .

(٢) الأمير محمد بن فروخ ، أمير الحاج ، الشامى ، النابلسى .
شهر بالشجاعة والكرم ، وتولى إمارة الحاج سنة إحدى وثلاثين وألف ، وأرهب العربان ، وذاع صيته ، وبقى فى الإمارة ثمانى عشرة سنة.

مستهلها[1] :

لأىِّ كمالٍ من كمالِك أذكُرُ ... وأىَّ جميلٍ من جميلِك أشكُرُ[2]

ألِلسّابقِ الآنِى به أنت لاحقاً ... أم اللاحقِ التّالى له يتكرَّرُ

تحيّرتُ فى هـذا الكمالِ ولم أزَلْ ... أنا والنُّهى فى ذا البهـا نتحيّرُ[3]

جَمعتَ كمالاً فى سِواك مُفرَّقٌ ... وأنت به فَرْدٌ وجمعُك أكثرُ[4]

رفعتَ لِواءَ الدِّين حتى خَفقْتَهـا ... من الدُّونِ يومَ النصرِ بالفتْح يظْهَرُ[5]

ألسْتَ الذى يوم ابنِ مَعْنٍ ونجلِه ... تأزّرْتَ مجداً عنه غـيرُك يُزْجَرُ[6]

وصوَّمْتَه فيـه عن الفِطْرِ بالقَنا ... وقلبُ السُّوَى منها بهـا يتفطَّرُ

ويمّمْتَ إذ يمّمتَ للنصرِ مُشْرِعا ... وجوهاً تَراها فى الوَطِيسِ تَعفَّرُ

وصَلّيْتَهم من ذلك اليـومِ مَشْهداً ... تأمّمْتَ صَفّاً فيـه أنت المُكبِّرُ

وأوْردتَ منهم مَعْشراً مَشرعَ الوَغَى ... وأصْدرْتَهم والسيفُ بالدَّمِ يقْطُرُ

فما السُّمْرُ إلّا فى الوَغَى كغُصونِه ... بهامِ العِدَى سُمْراً من البِيض تُثْمِرُ

ولا عجبٌ هـذا فأىُّ محمدٍ ... تَدِينُ لهـا أهلُ الدُّنا حين تُذْكَرُ

هـو البطلُ الحامِى الذِّمارَ ومَن به ... تُهَدُّ حصـونُ المارقين وتُهْدَرُ

فيا أيُّها الشَّهْمُ الهِزَبْرُ الذى إذا ... دَعاهُ امْرُؤٌ أغناه إذْ هـو مُفْقِرُ

إلىَّ فمالى غـيرَ سُوحِك مُنْجِدٌ ... أمَسُّ بوجْهِى بابَه وأُعفِّرُ[7]

= توفى بنابلس ، سنة ثمان وأربعين وألف .

خلاصة الأثر ٤/١٠٨ ــ ١١٠ .

(١) الأبيات ؛ الأول والرابع ومن الرابع عشر إلى الرابع والعشرين ، فى خلاصة الأثر ٣/٣٠٤ ، وذكر المحبى هناك أنه قالها سنة خمس وثلاثين وألف . (٢) فى خلاصة الأثر : « لأى كمال منك مالك أذكر » . (٣) فى الأصول : « متحير » ، ولعل الصواب ما أثبته . (٤) فى خلاصة الأثر : « فى سواك مفرقا » . (٥) فى ا : « جمعت لواء الدين » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) تقدم التعريف بابن معن ، فى الجزء الأول ، صفحة ٥٦ . (٧) هذا البيت ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .

وقد ضاقتِ الدنيا علىَّ بأسْرِها وضِقْتُ بها ذَرْعاً وفَقْرِىَ مُقْفِرُ [(١)]

وأنت لنـــا غَيْثٌ إذا شَحَّ ماطِرٌ وما سَحَّ يَرْوِى المُمْطَرين ويُمْطِرُ

وأنت الذى قد عَمَّ وَاكِفُ كَفِّهِ بوَزْنِ نُضـــارٍ لا بمُزْنٍ يُدَرِّرُ

وسائله نيـــــلا وسائله ترى مَقاصد عمَّن رامَها ليس تقصُرُ [(٢)]

إلىَّ وفرِّج ما انْطوَى فى جَـوانِحِى من الهمِّ حتى بعدُ لا أتأمَّرُ [(٣)]

فـكم لك فى يومِ الوغَى من مَعارجٍ ومن فُرَجٍ فرَّجْتها حين تَنْصُرُ [(٤)]

وكم لك فى الحُجَّاجِ آىٌ جميـــلةٌ يُقصِّر عنها فى مُنَى الطَّوْلِ قَيْصَرُ [(٥)]

وكم لك فى ساداتِ مكةَ من يَدٍ ومن حسَناتٍ فضلُها ليس يُحْصَرُ [(٦)]

وماذا عسى أُحْصِى صفاتِك والورَى بأجْمعِهم عن وَصْفِ فضلِك تقصُرُ [(٧)]

* * *

ومن شعره قولُه [(٨)] :

أتزعُم أنك الخِدْنُ المُفَـــدَّى وأنت مُصادِقٌ أعْـــداىَ حَقّا

إلىَّ إلىَّ فاجْعلنِى صَــــديقاً وصادِقْ مَن أصادقُه مُحِقّا

وجانِبْ مَن أعادِيه إذا ما أردتَ تـكونُ لى خِدْناً وتَبْقَى

* * *

---

(١) فى ب : « وفقرى مفقر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة . (٢) لم يستقم لى أمر صدر هذا البيت . (٣) فى ا ، ج : « إلى وفرح ما انطوى » . (٤) فى خلاصة الأثر : « يوم الوغى من مفارج » . (٥) فى ا : « آى جليلة » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

وفى الخلاصة : « فى منى الفضل قيصر » .

(٦) فى خلاصة الأثر : « وكم لك فينـا أهل مـكة من يد » . (٧) فى الأصول : « عن وصف فضلك يقصروا » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(٨) الأبيات فى : حديقة الأفراح ٤٦ ، خلاصة الأثر ٢/٣٠٣ ، سلافة العصر ١٣٣ .

وهو ينظر إلى قول الآخَر [1] :

إذا صافَى صديقَك مَن تُعادِي ... فقد عاداكَ وانفصَل الكلامُ [2]

* * *

وله « رسالة » فى شرح البيتَين المشهورين [3] :

مِن قِصَرِ الليـــلِ إذا زُرْتِنِي ... أشْكُو وتشْكِين من الطُّولِ

عَـــدُوُّ عينَيْك وشانِيهما ... أصْبحَ مَشْغولاً بمشْغولِ [4]



(١) خلاصة الأثر ٢/٣٠٣ ، سلافة العصر ١٣٣ ، وفيها مكان « الآخر » ، « الأول » .

(٢) فى السلافة : «إذا وافى . . . . وانقطع الكلام» .     (٣) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٣٠٣ .

(٤) فى الخلاصة : « عدو شانيك » .

# ٢٩٥

## أحمد نظام الدين

## ابن الأمير محمد بن نصير الدين بن

## إبراهيم بن معصوم*

هذا النِّظام ، به تمّ نِظام النّثار والنِّظام .

فهو فى حَوْزة المعالى ذو قدرٍ معظَّم ، وفى صنعة النَّظم صاحبُ دُرٍّ مُنظَّم .

طَلَّاع أنْجِدةٍ للمجدِ بَوارِي زَنْدِه ، مَصقول شَبا الفكر كالسيف مع فِرِنْده .

تبلَّغ بالفضل غايةَ الاشْتهار ، وبَدا كما تبدو الشمسُ للمُبصِرِ فى وسَط النهار .

حتى عشِقت أوصافَه الأسماع ، وتوفَّرت للتملِّى من مُشاهدتِه الأطماع .

فاستدْعاه الملِك شاهنشاه صاحب حيدر أباد ، فدخل إليه الدُّرة الهِنْدية ، متهيِّئاً لأن يتفيَّأ كما يستحقُّه ظلالَ دولته النَّدِّيَة النَّدِيَة .

فلما رآه الملك اعْتَدَّ به واغْتَبط ، وأكرم نُزُلَه بمواهبِه فارْتبط .

ثم أملكه بِنْتَه ، ورعَى غَرْسَه ونَبْتَه .

فكثُر رِياشُه ، وحسُن مَعاشُه ، وتولّتْه العِنايةُ فعظُم انتعاشُه .

---

(*) الأمير نظام الدين أحمد بن محمد معصوم بن نصير الدين الحسينى .

ولد بالطائف ، سنة سبع وعشرين وألف .

واستدعاه السلطان عبد الله بن محمد قطب شاه ملك حيدر اباد وما والاها ، الذى يلقب بشاهنشاه إلى الهند ، سنة خمس وخمسين وألف ، وقربه إليه ، وزوجه ابنته ، وانتهت إليه بسبب ذلك الرياسة ، وقصده الناس من البلاد النائية ، ثم أدرك الأجل السلطان ، وكان يعد أنه يتولى النظام السلطنة ، ولكن الميرزا أبا الحسن من العجم سيطر على المملكة ، وقبض على النظام وسجنه حتى توفى سنة ست وثمانين وألف ، بمدينة حيدر اباد .

البدر الطالع ١/٩٨ ، ٩٩ ، حديقة الأفراح ٤٢ ، ٤٣ ، خلاصة الأثر ١/٣٤٩ ـ ٣٥٢ ، سلافة العصر ١٠ ـ ٢٢ .

فأقام وسوقُ الفضل به نافِق، وحظُّ الكرام بملاحظته لهم مُوافِق .

إليه مَطايا الأمل تُزْجَى ، ومن يده سحبُ المكارم تُرْجَى .

حتى ولَعتْ بالملِك يدُ الهُلْك ، واستولَى الميرزا أبو الحسن بعدَه على المُلْك .

عند ذلك صدَمه[١] الزَّمن المتقلِّب ، وانقلب عليه الدهرُ المتغلِّب .

فقبَض عليه أبو الحسن وسجَنه ، وخَلاَّه رَهْنَ قَيْدِه وشَجَنه .

ثم قبضَه اللهُ إليه ، فانقبضت القلوبُ حُزْناً عليه .

فتَبًّا لدهرٍ لم يَفِ بضَمانِه ، ولم يصدُق بأمانِه .

فيسترجع مُعارَه ، ويَشُنُّ مَغاره .

وهكذا الدنيا دُوَل ، وما يُغْنِي الحَوْلُ فيها ولا الخَوَل[٢] .

***

وقد وقفتُ له على أشعار نقَشها فكرُه وزَخْرفها ، وحَبَّر وَشْيَها في بلاد الهند وفَوَّفها[٣] .

فأثبتُّ منها ما يعظُم وَقْعُه عند الاختبار ولا يقع عليه النَّظرُ إلا وقَع عليه الاختيار .

فمن ذلك قوله من قصيدة[٤] :

مُثِيرُ غرامِ المُسْتهامِ ووَجْدِهِ ... وَمِيضٌ سرَى من غَوْرِ سَلْعٍ ونَجْدِهِ[٥]

وبات بأعْلَى الرَّقْمتيْن الْتهابُه ... فظَلَّ كئيبًا من تذكُّرِ عَهْدِهِ[٦]

يحِنُّ إلى نحو اللِّوَى وطُوَيْلِعٍ ... وبَاناتِ نَجْدٍ والحجازِ ورَنْدِهِ[٧]

---

(١) في ج : « صدعه » ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) الخول : الأنصار ، وهو يطلق على العبيد والإماء ، ومن بهم عون الرجل . (٣) فوف الثوب : رققه ، أو جعل فيه خطوطا بيضا بالطول .

(٤) القصيدة في : حديقة الأفراح ٤٢ ، ٤٣ ، خلاصة الأثر ١/٣٥٠ ، سلافة العصر ١٩ .

(٥) في السلافة خطأ : « من غدر سلم » .

وسلع : جبل بسوق المدينة . تقدم ذكره .

(٦) الرقمتان : قريتان بين البصرة والنباج . تقدم ذكرهما أيضا . (٧) طويلع : ماء لبني تميم ، لبني يربوع منهم ، وطويلع : هضبة بمكة . معجم البلدان ٣/٥٦٣ .

وضَالٍ بذات الضَّالِ مُرْخٍ غصونَه تفيَّاه ظَبْيٌ يَميسُ ببُرْدِهِ[١]

يَغار إذا ما قِسْتُ بالبـــدرِ وَجْهَه ويغضَب إن شبَّهتُ وَرْدًا بخدِّهِ[٢]

كثيرُ التَّجنِّى ذو قَوامٍ مُهَفْهَفٍ صَبيحُ المُحيَّا ليس يُوفِى بوَعْدِهِ[٣]

مَليحٌ تَسامَى بالمَلاحـةِ مُفْرَدًا كشمسِ الضُّحى كالبدرِ فى بُرْجِ سَعْدِهِ[٤]

ثَناياه بَرْقٌ والصَّباحُ جَبينُه وأما الثُّريَّا قد أُنِيطتْ بعِقْدِهِ

فمِن وَصْلِه سُكْنَى الجنـانِ وطِيبُها ولـكنْ لَظَى النِّيرانِ من نارِ صَدِّهِ

تَراءى لنـا بالجِيدِ كالظَّبْيِ تالِعًا أسارَى الهوى مِن حُكْمِه بعضُ جُنْدِهِ[٥]

روَى حُسْنَه أهلُ الغرامِ وكلُّهم يَتيهُ إذا ما شاهدوا ليلَ جَعْدِهِ

يُعنْعِنُ علمَ السحرِ هاروتُ لَحْظِه ويَرْوِى عن الرُّمَّانِ كاعبُ نَهْدِهِ[٦]

مَضاه اليَمانِيَّاتِ دون لحاظِه وفِعْلُ الرُّدَيْنِيَّاتِ من دون قَدِّهِ

إذا ما نَضا عن وجهِـه البدرِ حُجْبَه صَبا كلُّ ذى نُسْكٍ مُلازِمُ زُهْدِهِ

وأبْدَى مُحَيًّا قاصِرًا عنـه كلُّ من أراد له نَعْتًا بتَوْصيفِ حَدِّهِ[٧]

هو الحُسْن بل حسنُ الورَى منه مُجْتدًى وكلُّهم يُعْزَى لجوهرِ فَرْدِهِ

وما تفعل الرَّاحُ العَتِيقةُ بعضَ ما بمَبْسَمِه بالمُحْتَسِى صَفْوُ وِرْدِهِ

* * *

وقوله فى مليح اعتلَّ طَرْفُه[٨] :

يا جَوْهرًا فَرْدًا عَلَا من أين جاءك ذا العَرَضْ

---

(١) فى الأصول، والحديقة: «مرخ غصونه»، وفى السلافة: «مرخ غصونه»، والمثبت فى خلاصة الأثر

(٢) بين هذا البيت والذى بعـــده تقديم وتأخير فى: حديقة الأفراح، والسلافة.

(٣) فى السلافة: «صبيح المحيا لا وفاء لوعده». (٤) فى السلافة: «بالملاحة مفرد» وفى الخلاصة: «والبدر فى برج سعده». (٥) فى خلاصة الأثر: «كالظبى لفتة».

والتلع: طول العنق.

(٦) فى السلافة: «يعلم علم السحر». (٧) فى الأصول، والحديقـة: «ورأى محيا» وفى السلافة: «بروحى محيا قاصر»، والمثبت فى الخلاصة.

(٨) القصيدة فى: حديقة الأفراح ٤٣، خلاصة الأثر ١/ ٣٥٠، ٣٥١، سلافة العصر ١٩، ٢٠

وعلى مَ طَرْفُك ذا المريـ ضُ أعلَّه هذا المَرَضْ
عهـــدِى به مِمَّا يُصِيـ بُ فكيف صار هو الغَرَضْ[١]
ها قلبِيَ المَعْمُودُ نُصْـ بٌ للنَّوائب يَرْتَكِضْ
فاجْعَلْه يا كُلَّ المُنَى بَدَلًا لِمَا بك أو عِوَضْ
فاسْلَمْ مَدَى الأيَّام يا ذَا الحُسْنِ ما بَرْقٌ وَمَضْ[٢]
فمُذِ اعْتَلَلْتَ أخا المَهــــا فى الطَّرْفِ جَفْنِى ما غَمَضْ[٣]
ونَحِيلُ جسمِى مُذْ وَنَدْ تَ وحَقِّ عَيْنِك ما نَهَضْ[٤]
أنتَ المُرادُ وليس لى فى غيرِ وَصْفِك من غَرَضْ

***

وله مُشَجَّرا[٥] :

خِلْتُ خالَ الخـــدِّ فى وَجْنتِهِ نُقْطــــةَ العَنْبَرِ فى جمرِ الغَضَا[٦]
دامتِ الأفراحُ لى مُذْ أبصرتْ مُقْلتِى صُبْحَ مُحَيًّا قد أضَا[٧]
يتمنَّى القلبُ منـــــه لَفْتةً وبهـــــذا اللَّحْظِ للعينِ رِضَا
جاهـــلٌ رام سُلُوًّا عنه إذْ حظَر الوصلَ وأوْلانى الفَضَا[٨]
هامتِ العينُ به لَمَّا رأتْ حُسْنَ وجهٍ حين كُنَّا بالإِضَا[٩]

***

(١) فى ا : «مما يصيب» ، وفى الحديقة : «عمن يصيب» ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .
(٢) فى الحديقة : «واسلم» . (٣) فى الحديقة والسلافة : «فى الطرف ما طرق غمض» ، وفى الخلاصة : «فى الطرف طرق ما غمض» . (٤) لم يرد هذا البيت فى خلاصة الأثر . وفى السلافة : «مذ دنفت» . (٥) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٣٥١/١ ، سلافة العصر ٢٠ .
(٦) فى ب : «فى جنب الغضا» ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .
(٧) فى ا : «دامت الفرحة» ، والمثبت فى : ب ، ج ، الخلاصة ، والسلافة .
(٨) فى ج : «وأولانى الغضا» ، وفى الخلاصة : «وأولاه النضا» ، وفى السلافة : «وأولانى النظا» ، والمثبت فى : ا ، ب . (٩) الأضاءة : المستنقع من سيل وغيره ، والإضاء : الأجمة من الخلاف الهندى . القاموس ( أ ض و ) .

وقال فى الغزل [١] :

سلوا بطن مَرٍّ والغَمِيمَ ومَــوْزعَا ... متى اصْطافَها ظَبْىُ النَّقَا وتَرَبَّعَا [٢]

وهل حَلَّ من شَرْقِيِّها أرضَ هَجْلَةٍ ... وقد جادَها مُزْنٌ فسال وأمْرَعَا [٣]

سقَى تلك من نَوْءِ السِّماكَيْن جَحْفَلٌ ... سحائبُ غَيْثٍ مَرْبَعًا ثم مَرْبَعَا [٤]

تَظَلُّ الصَّبا تَحْدُو بهــا وهْى نُعَّمٌ ... وتُنْزِلُها سَهْلًا وحَزْنًا وأجْرَعَا [٥]

فتلك مَغانٍ لا تَزال تَحُلُّهــا ... خَدَلَّجَةُ الساقَيْن مَهْضومةُ المِعَى [٦]

رَبِيبةُ خِدْرِ الصَّوْنِ والتَّرَفِ الذى ... يَزِيد على بَذْلِ اللَّيــالِى تَمَنُّعَا [٧]

تروَّتْ من الحسن البَهِىِّ خُدودُها ... وقامَتُها كالغُصْنِ حين تَرَعْرَعَا

قَطُوفُ الخُطَا مثلُ القَطَا حين ما مَشَتْ ... تقومُ بأرْدافٍ يُحاكين لَعْلَعَا [٨]

* * *

---

(١) القصيدة فى : خلاصة الأثر ١/٣٥١ ، سلافة العصر ٢٠ . (٢) فى ب : « بطن مرو للغيم » ، وفى الخلاصة والسلافة : « بطن مرو والغيم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وبطن مر : من نواحى مكة ، عنده يجتمع وادى النخلتين فيصيران واديا واحدا . معجم البلدان ١/٦٦٧ .

والغميم : موضع قرب المدينة ، أو بين مكة والمدينة . معجم البلدان ٣/٨١٧ ، ٨١٨ .

وموزع : موضع باليمن ، وهو المنزل السادس لحاج عدن . معجم البلدان ٤/٦٨٠ .

(٣) فى الأصول : « أرض هجلة » ، وفى الخلاصة : « أرض عجلة » ، والمثبت فى السلافة .

وفى معجم البلدان ٤/٩٥٤ : « هجول ، بالضم : جمع هجل ، وهى الصحراء التى لا نبات بها ، وقيل الهجل : ما اتسع من الأرض وغمض ، وهو اسم جبل فى الحجاز يتلاقى هو والأخشبان فى موضع » .

(٤) فى الخلاصة : « من نوء السماكين جفل » ، وفى السلافة : « من نوء السماكين بكرة » .

وفى الأصول : « مرتعا ثم مربعا » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .

(٥) فى السلافة : « تحدو بها وهى سجم » . (٦) فى خلاصة الأثر : « مدملجة الساقين » .

والخدلجة : الممتلئة الساقين والذراعين .

(٧) فى خلاصة الأثر : « على بدر الليالى » . (٨) لم يرد هذا البيت فى خلاصة الأثر .

وفى الأصل : « مثل القضا » ، والمثبت فى السلافة .

وفى ا ، ب : « يحاير لعلعا » ، وفى السلافة : « يحادين لعلعا » ، والمثبت فى : ج .

ولعلع : جبل ، تقدم ذكره .

وكتب إلى محمد الحشرىّ[١] الشامىّ رقعةً ، صورتها[٢] :

يا مولانا عمّر الله بالفضل زمانَك ، وأنار فى العالم بُرْهانك ، سمحتْ للعبد قريحتُه ، فى رِثْم هذه صِفته ، بهذين البيتيْن[٣] :

تَراءى كظَبْيٍ خائفٍ من حبائلٍ يُشيرُ بطرْفٍ ناعسٍ منه فاترِ[٤]
وقد مُلِئتْ عيْناه من سُحْبِ جَفْنِه كنَرْجِسِ رَوضٍ جادَه وَبْلُ ماطِرِ[٥]

فإن رأى المولى أن يُجيزَها ويُجيرَها[٦] من البَخْس ، فهو المأمول من خَصائل تلك النفس ، وإن رآها من الغَثّ فليدعْهما كأمْس .

ولعل الاجتماعَ بكم فى هـذا اليوم قبل[٧] الظهر[٨] أو بعد[٨] العصر ، لنحُثَّ[٩] من كؤوس المحادثة ماراق بعد العَصْر .

والمملوك كان على جَناح ركوب ، بَيْدَ أنه كتب هذه البطاقة وأرسلها إلى سُوقِ أدبِكم العامرة التى مابرح إليها كلُّ خير مجْلوب

فأسْبِل السِّتْرَ صَفْحاً إن بَدا خَلَلٌ تهتِكْ به سِتْرَ أعـــداء وحُسَّادِ

* * *

فكتب إليه بهذين البيتيْن بَديهة[١٠] :

ولُربَّ مُلتفتٍ بأجْيــــادِ المَها نحوِى وأيْدِى العِيسِ تنْفُث سُمَّها[١١]

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .
وتقدمت ترجمته المحشرى ، فى الجزء الثانى ، صفحة ٣٤٦ .

(٢) صورة هذه الرقعة فى : خلاصة الأثر ١/٣٥١ ، ٣٥٢ ، سلافة العصر ٣٠ .

(٣) ذكر الشوكانى فى البدر الطالع ١/٩٩ هذين البيتين ، فى غلام له ضربه فبكى .

(٤) فى البدر الطالع : « كظبى نافر . . . بطرف فاتن » .  (٥) فى السلافة : « ومذ ملئت » .

(٦) فى الأصول : « ويجبرها » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .

(٧) فى خلاصة الأثر : « بعـد » .  (٨) فى خلاصة الأثر : « وقبل » .

(٩) فى الخلاصة ، والسلافة : « لنحسو » .  (١٠) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٣٥٢ ، سلافة العصر ٣١ .

(١١) فى ا : « ولرب ملفت » ، وفى ب ، ج : « ولرب ملتف » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .

لم يَبْكِ من ألَمِ الفِراقِ وإنما ... يَسْقِى سيوفَ لِحاظِه لِيَسُمَّهَا

* * *

ثم نظَم المعنى بعينه، فقال [١] :

ولقد يُشير إلىَّ عن حَدَقِ الْمَهَا ... والرُّعْبُ يخفِق فى حَشاهُ الضَّامِرِ

أسْيانَ يفْحَص فى الحبالِ كأنه ... ظَبْىٌ يُخبِّط فى حَبالةِ جاذرِ [٢]

غشَّت نواظِرَه الدموعُ كأنهــا ... ماء ترقْرَق فى مُتونِ ضَوامِرِ [٣]

رقَّتْ شمائلُه ورَقَّ أديمُه ... فتكاد تشْربُه عيونُ النَّاظِرِ

* * *

وقال أحمد الجَوْهَرِىّ [٤] ، مُعارِضا له [٥] :

وظَبْىٍ غَريرٍ بالدَّلالِ مُحجَّبٍ ... يرى أن سَتْرَ العَيْنِ فَرْضُ المَحاجِرِ

رَمانِى بطَرْفٍ أسْبَلَ الدمعَ دونه ... لِئلاَّ أرى عيْنيْه من دون ساتِرِ [٦]

* * *

ولما وقف أدباء اليمن على بيْتَىِ النِّظام، تجاروا [٧] فى مِضمارِهما بسوابق النِّظام .

فقال السيد حسن الجُرْمُوزِىّ [٨] :

ورِئْمٍ فلا أصلُ المَحاسنِ فَرْعُه ... تبدَّى كبدرٍ فى الدجَى للنَّواظِرِ

---

(١) الأبيات فى: خلاصة الأثر ١/٣٥٢ ، سلافة العصر ٢١ . (٢) لم يرد هذا البيت فى خلاصة الأثر. والجاذر : القاطع .

(٣) فى الخلاصة : « فى متون بواتر » . (٤) تقدمت ترجمته فى هذا الجزء برقم ٢٩١ .

(٥) البيتان فى : البدر الطالع ١/٩٩ ، وذكر الشوكانى أن الجوهرى هذا وزيره ، خلاصة الأثر ١/٣٥٢ ، سلافة العصر ٢١ . (٦) فى البدر الطالع : « من غير ساتر » .

(٧) فى الأصول : « تجاوروا » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(٨) تقدمت ترجمة السيد الحسن بن مطهر الجرموزى ، فى الجزء الثالث ، صفحة ٣٩٠ .
والبيتان فى : خلاصة الأثر ١/٣٥٢ ، سلافة العصر ٢١ .

سَبانِي بجَفْنٍ أدْعجٍ ماجَ ماؤُه فطرّز شُهْبُ الدَّمْعِ ليلَ الغدائرِ[١]

***

وقال حسن بن على با عفيف[٢] :

وخِشْفٍ عليه الحسنُ أوْقفَ حُسْنَه له ناظرٌ يحْمِيه عن كلِّ ناظرِ[٣]

نظرتُ إليه ناثراً دُرَّ دَمْعِه فنظّام فكرِى هام فى دُرِّ ناثرِ[٤]

***

وقال عبد الله الزَّنْجِىّ[٥] :

وطَرْفٍ له فعلُ السيوفِ البَواترِ يُصِيب به مُسْتَلْئِماً كلَّ حاسِرِ[٦]

رمَى ورَنَا فانهَلَّ بالدمعِ جفنُه كدُرٍّ حَواه سِمْطُ نظمِ الجواهرِ

***

وقال السيد على بن النِّظام الناظم[٧] :

وللهِ ظَبْيٍ كالهـــلالِ جَبِينُه رَمانِى بسهمٍ من جُفونٍ فَواترِ

جرتْ بمآقِيه الدموع كأنّهـــا مِياهُ فِرِنْدٍ فى شِفاهِ بَواترِ

***

ومن نظم النِّظام فى الحماسة[٨] :

إلى كم تقاضَانِى الظُّبا وهْى ظامِيَهْ وتشْكُو العَوالِى جوعَها وهْى طاوِيَهْ[٩]

---

(١) فى ا : « فطور شهب الدمع » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .
وفى الخلاصة : « ليل البواتر » .

(٢) خلاصة الأثر ١/٣٥٢ ، سلافة العصر ٢١ . (٣) فى خلاصة الأثر ، وسلافة العصر : « من كل ناظر » . (٤) فى الخلاصة : « ناظرا در دمعه » . (٥) فى الأصول : « الريحى » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ١/٣٥٢ ، سلافة العصر ٢١ ، والبيتان فيهما . (٦) فى خلاصة الأثر : « دون حاسر »

(٧) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٣٥٢ ، سلافة العصر ٢٢ ، وفيه أنه قالها سنة ثمان وستين .

(٨) القصيدة فى سلافة العصر ١٨ . (٩) فى ب : « الظبا وهى طاميه » ، والمثبت فى : ا ، ج والسلافة .

وتُشجِي الجيادُ الصافِناتُ صَهِيلُها مُتَيَّمَ وَقْعاتٍ على الدَّمِ طافِيَهْ (1)

فمَن مُبْلِغٌ عنى نِزاراً ويَعْرُباً أولئك قومٌ أَرْتَجِيهم لِمَا بِيَهْ

حُماةٌ كُماةٌ قادةُ الخيلِ فى الوَغَى ضَراغِمُ يومَ الرَّوْعِ تَلْقاكَ ضارِيَهْ

بَهالِيلُ فى البأساءِ يومَ تَناضُلٍ إذا ما الْتَقَى الجَيْشانِ فالعارَ آبِيَهْ

ثِيابُهُمُ من نَسْجِ داوُدَ سُبَّغاً وأَوْجُهُهُمْ تحكى بدوراً بداجِيَهْ (2)

سَمَوْا لِدِراكِ المجدِ والثأرِ والعُلَى ورَوَّوا قَناهُم من دِما كلِّ طامِيَهْ (3)

وساروا على مَتْنِ الخيولِ وسَوَّروا بذى شُطُبٍ عَضْبٍ وسَمْراءَ عالِيَهْ (4)

عَلاءً لهم لم يَبْرَحُوا فى حِفاظِهِ مَدَى الدهرِ والأزمانُ عنه مُحامِيَهْ (5)

فهم سادةُ الأقوامِ شَرْقاً ومغرِباً وبَرّاً وبحراً والقُرومُ المُحامِيَهْ (6)

فلا غَرْوَ أنْ كان النبىُّ محمدٌ إليهم لَيُنْمَى فى جَرائِمَ سامِيَهْ

به افْتَخَروا يومَ الفَخارِ وقَوَّضوا بِناءَ العُلَى عن كلِّ قومٍ مُضاهِيَهْ

به كَسَروا كِسْرَى وفَلُّوا جُموعَهُ لِكَثْرَتِها فى العَدِّ لم تَدْرِ ماهِيَهْ (7)

ونافُوا على الأطْوادِ عِزّاً ورِفْعةً وزادُوا على الآسادِ بأساً وداهِيَهْ

بَلاغاً صريحاً واضحاً كاشفاً له قِناعَ المُحَيَّا فَلْيُلَبِّينَ داعِيَهْ (8)

وإيّاهمُ والرَّيْثَ عن نَصْرِ خِدْنِهِمْ ولا يأمَنُوا الدنيا فليستْ بصافِيَهْ (9)

وقُلْ لهمُ يَسْرُونَ فوقَ جِيادِهِمْ خَفايا كما تَمْشِى مع السُّقْمِ عافِيَهْ

❊

(1) رواية السلافة للبيت :

وتدعو الجيادُ الصافناتُ قُرُومَها ليومٍ ترى فيه وَقْعاتٍ على الدمِ طافِيَهْ

(2) فى السلافة : « من نسج داود أسبغت » . (3) فى السلافة : « من دما كل طاغيه » .

(4) ذو الشطب : السيف فى متنه خط أو طريقة . (5) فى السلافة : « على لهم » .

(6) فى السلافة : « والقروم المباهيه » . (7) فى السلافة : « لكثرتها لم تدر فى العد ماهيه » .

(8) فى السلافة : « فليبين داعيه » . (9) فى السلافة : « ولا تأمن الدنيا » .

# ٢٩٦

## والده السيد على*

## « صاحب السلافة »

القولُ فيه أنه أبْرع من أظلّتْه الخضْرا ، وأقلّتْه الغَبْرا .

وإذا أردت عِلاوةً فى الوصف قلتُ : هو الغاية القُصوَى ، والآية الكبرى .

طلَع بدرُ سَعْدِه فنَسَخ الأهِلّة ، وأَنْهَلَ سحابُ فضلِه فأخْجَل السحبَ المُنْهَلّة .

أخبرنى السيد علىّ بن نور الدين بمكة المشرَّفة ، قال : كان رفيقى فى التَّحْصيل ، وزميلى فى التَّفْريع والتَّأْصيل .

والصِّبا ينزِع أوَاخِينا ، والرغبةُ فى الاستفادة تَعقِد فى البَيْن تواخِينا .

وكلانا فى مَبْـدأ صَوْب القَطْر من الغَمامة ، وباكورة خُروجِ الزَّهرة من الكِمامة .

فكنت أشاهد من حِذْقِه الغايةَ التى لا تُدْرَك ، ومن غرائب صَنائِعه المَنْزلة التى لا تُشْرَك .

هـذا وليلُ الشبابِ الجُونِ مُنْسَدِلٌ فكيف حين يجىء الليلُ بالسُّرُجِ

ثم فارق البيتَ والمَقام ، ودخل الهند فنهض حظُّه بها وقام .

وهو الآن مُتقلِّد خِدَمَ ملِكها الشَّريفة ، ومُتفَيِّئٌ فى عهدِه ظِلالَ النِّعَم الوَرِيفة .

---

(*) السيد على بن أحمد بن محمد معصوم الحسينى ، المعروف بابن معصوم .

صاحب « سلافة العصر » ، و « أنوار الربيع » .

ولد فى الحجاز ، وانتقل إلى الهند ، حيث لحق بوالده فى عزه وجاهه .

وهو صاحب مؤلفات قيمة ، وله « ديوان شعر » .

توفى بشيراز ، سنة تسع عشرة ومائة وألف .

أبجد العلوم ٩٠٨ ، إيضاح المكنون ١/١٤٤ ، ٤٨٧ ، البدر الطالع ١/٤٢٨ ، ٤٢٩ ، حديقة الأفراح ٥٧ ، نزهة الجليس ١/٢٠٩ ـ ٢١٣ .

وقد ألَّف تآليف تهفُو إليها الأفــكار ، وتجنح إليها جُنوحَ الأطيــار إلى الأوْكار .

منها كتابه المُسمَّى بـ « سلافة العصر » ، التى زف بها البكرَ ابْنةَ الفِكْر ، فى هَوْدَجِها الفَرِج ، وجِلبابها الأَرِج .

تباطَأَتْ عنها السَّوابِق، وتَتطأْطَأَتْ [1] عن سُمُوِّها السَّوامِق .

وجاء بها أصْفَى من ماء الشَّباب فى غَضارته ، فى زمن لم يَبْقَ منه إلا رَدِئُ عُصارته .

إلَّا أن الظُّنونَ مُرجَّمة ، وألسنةَ الانتقاد عنها مُتَرْجَمة ، والأقوال فيها كثيرة ، والعباراتُ للازدراء مُثِيرة .

وذلك لِماَ بدا منه من أغْراض ، كان حقُّها أن تُعامَل بالإعْراض .

فهو فى إيراد تلك الفصول ، مُعرِّض بنفسِه إلى وَصْمة الفُضول .

والحقُّ أنه أحسَن ماشَا ، وأبْدع فيما أنْشَا ووشَّى .

وكم أورد من نادرةٍ مُسْتظْرَفة ، وأبْدَعَ من فائدةٍ مُستطْرَفة .

وهو فى الأدب بحرٌ مالَه ساحل ، إذا قصَد أن يَدْنُوَ منه طَيْفُ الفِكْر أصبح دونه بمَراحِل .

***

وله شعر أرَقُّ من كلِّ رقيق ، وأحقُّ بالقبول من غيرِه عند التحْقيق .

فمنه قوله من خمرِيَّة :

لَمعتْ ليـــــلاً فقالوا لَهَبُ ... وصفَتْ لَوْناً فقـــالوا ذَهَبُ

وإذا ما انْدفقَتْ من دَنِّها ... فى الدُّجَى قالوا طِرازٌ مُذْهَبُ

---

(١) فى ا : « وتطأطأ » ، والمثبت فى : ب ، ج .

قهوةٌ رَقَّتْ فـلولا كأسُها    لم يُشاهِد جِرْمَها مَن يشربُ
وتراهـا في يدِ السَّاعي بها    كوكبًا يسعَى بها لي كوكبُ[1]
ألبسَتْها الكأسُ طَوْقًا ذهبًا    وحَبابًا باللآلِي الحَبَبُ
عجِبُوا من نورِهـا إذْ أشرقتْ    وشَذاها من سَناها أعجبُ
بِنْتُ كَرْمٍ كَرُمتْ أوصافُها    أيُّ نَبْتٍ قام عنها العِنَبُ

* * *

وقوله مُعارضًا قصيدة أبي العلاء المَعرّي ، التي أولها[2] :

هاتِ الحديثَ عن الزَّوْراء أوهِيتَا    ومُوقِدِ النَّارِ لا تكْرَى بتَكْرِيتَا[3]

وقصيدته هي هذه :

ياحادِيَ الظُّعْنِ إن جُزْتَ المواقِيتَا    فحَيِّ مَنْ بِمِنًى والخَيْفَ حُيِّيتَا
وسَلْ بجَمْعٍ أجَمْعُ الشَّمْلِ مُلتئِمٌ    أم غالَه الدَّهرُ تفريقًا وتشتيتَا[4]
والثَمْ ثرَى ذلك الوادي وحُطَّ به    عن الرِّحالِ تنَلْ ياصاحِ ما شِيتَا
عهْدِي به وثَراهُ فائحٌ عَبِقٌ    كالمِسكِ فتَّتَه الدَّارِيُّ تفتيتَا
والدُّرُّ ما زال من حَصْبائِه خَجِلًا    كأنَّ حَصْباءَه كانت يَواقيتَا
يؤُمُّـه الوَفْدُ مِن عُرْبٍ ومن عجمٍ    ويسبُرون له البِيدَ السَّباريتَا[5]
يطْوُون عُرْضَ الليـالِي طُولَ ليلِهمُ    لا يهتدون بغير النَّجْمِ خِرِّيتَا[6]
من كلِّ مُنْخَرِقِ السِّرْبالِ تحسَبُه    إذا تَسَرْبَلَ بالظَّلْمـاء عِفْريتَا

---

(١) في ا : « يسعى بها لي كوكب » ، وفي ج : « يسعى إليها كوكب » ، والمثبت في : ب .

(٢) شروح سقط الزند ١٠٥٣/٤ ، وهو مطلع قصيدته التي خاطب بها القاضي أبا القاسم علي بن المحسن التنوخي

(٣) في الأصول : « وموقدي النار » ، والمثبت في سقط الزند .

والزوراء : بغداد ، وهيت : موضع على شاطىء الفرات ، ولا تكرى : لا تنام ، وتكريت : موضع كانت إياد تحله .

(٤) جمع : هو المزدلفة . معجم البلدان ١١٨/٢    (٥) السبروت : القفر لا نبات فيه . القاموس (س ب ر ت)

(٦) الخريت : الدليل الحاذق .

لا يطعَمَ الماء إلّا بَلَّ غُلّتِه ... ولا يذُوق سوى سَدَّ الطَّوَى بيتا [١]

يفرِى جيُوبَ الفَلا فى كلّ هاجِرةٍ ... يُماثِل الضّبُّ فى رَمْضائِها الُحوتا

ترى الحصاَ جَمَراتٍ من تلهُّبها ... كأنّما أُوقِدتْ فى القَفرِ كبْرِيتا

أجاب دَعْــــوةَ داعٍ لا مرَدَّ له ... قضَى على الناسِ حَجَّ البَيْت توْقيتا

يرجو النّجاةَ بيومٍ قد أهاب به ... فى موقفٍ يدعُ المِنْطيق سِكّيتا

فسار والعزْمُ يطْويه وينْشُره ... ينــازِل البَيْن تصْبيحاً وتبْييتا

حتى أناخَ على أمِّ القُرَى سَحَراً ... وقد نضاَ الصبحُ للظّلْماءِ إصْليتا [٢]

فقام يقْرَعُ بابَ العَفْــو مُبْتهِلاً ... لم يخْشَ غيرَ عتابِ اللهِ تبْكِيتاَ

وطَاف بالبيتِ سَبْعاً واثنى عَجِلاً ... إلى الصَّفــا حاذِراً للوقْتِ تفويتاَ

وراح مُلْتمِساً نَيْلَ المُنَى بِمِنًى ... ولم يخَفْ غيرَ حِلّ الخَيْفِ تعْنيتاَ

وقام فى عرَفاتٍ عارفاً ودعاَ ... ربًّا عَوارِفُه عَمَّتْـــه ترْبيتاَ

وعاد منها مُفيضاً وهْو مُزْدَلِفٌ ... يرْجُو من اللهِ تمكيناً وتثْبيتاَ

وبات للجَمَراتِ الرُّقْشِ مُلْتقِطاً ... كأنه لاقِطٌ دُرًّا وياقوتاَ [٣]

وحين أصْبح يومَ النَّحرِ قام ضُحًى ... يُوفِى مَناسِكَه رَمياً وتَسْبيتاَ [٤]

وقرَّبَ الهَدْىَ تهْدِيه شرائعُــه ... إلى الهُدَى ذاكِراً لله تَسْميتاَ [٥]

وملّأتْه الليــالى الخَيْفَ بهْجتَها ... تَخِذ للدِّين والدنيــا مَواقِيتاَ

حتى إذا كان يومُ النَّفْرِ نفّرَه ... وجدّ ينكُث فى الأحْشاء تَنْكيتاَ

ثم اغتدَى قاضِياً من حَجِّه تَفَثاً ... يرجُو لتزكيةِ الأعمالِ تزْكيتاَ [٦]

---

(١) البيت : القوت . القاموس ( ب ى ت ) . (٢) الإصليت : السيف الصقيل الماضى .

(٣) فى ا : « كأنه لاقتا » ، وفى ب ، ج « كأنه لاقطا » والصواب ما أثبته .

(٤) التسبيت : ضرب العنق ، يعنى ذبح الهدى . (٥) التسميت : ذكر الله تعالى على الشىء .

(٦) التفث : التنظيف من الوسخ . انظر غريب القرآن للنيسابورى ٦٨ .

والتزكيت : الملء . القاموس ( ز ك ت ) .

وودّع البيتَ يرجو العَوْدَ ثانيةً ... وليته عنه طولَ الدهرِ ما ليتا (١)

وأمَّ طَيْبَةَ مثْوى الطيّبين وقد ... ثَنَى له الشوقُ نحْوَ المصطفى لِيتا (٢)

فواصَل السيرَ لا يلْوِي على سَكَنٍ ... أزاد حُبّاً له أم زاد تمْقيتا

حتى رأى القُبَّةَ الخضراءَ حاكِيةً ... قصراً من الفَلَك العُلْوِيِّ مَنْحوتا (٣)

فقبّل الأرضَ من أعْتابِ ساحتِها ... وعفّر الخدَّ تعظيماً وتشْميتا

حيث النبُوّةُ ممدودٌ سُرادِقُها ... والمجدُ أنْبتَه الرحمنُ تنْبيتا

مَقامُ قُدْسٍ يحارُ الواصِفون له ... ويرجِعُ العقلُ عن عَلْياه مَبْهوتا

لو فاخَرَتْه الطِّباقُ السّبعُ لانْتكَستْ ... وعاد كوكَبُها الدُّرِّيُّ مَبْكوتا

تسْتوقفُ العَيْنَ والأبصارَ بهْجتُه ... وتجمع الفضلَ مشْهوداً ومنْعوتا

يقول زائرُه هاتِ الحديثَ لنا ... عن زَوْرِه لا عَنِ الزَّوْراءِ أو هِيتا

وصِفْ لنا نُورَهُ لا نورَ عادِيةٍ ... باتتْ تُشَبُّ على أيْدِي مَصاليتا (٤)

مَثْوَى أجلِّ الورَى قَدْراً وأرْحَبِهم ... صَدْراً وأرْفَعِهم يومَ الثَّنا صِيتا

نَبِيُّ صِدْقٍ هَدَتْ أنوارُ غُرَّتِه ... بعد العَمَى للهدَى مَن كان عِمِّيتا (٥)

وأصْبحت سُبُلُ الدِّين الحنيفِ به ... عَوامِراً بعد أن كانتْ أمارِيتا (٦)

أحْيَى به اللهُ قوماً قام سَعْدُهُمُ ... كما أماتَ به قَوْماً طَواغِيتا

لَوْلاه ماخاطب الرحمنُ من بَشَرٍ ... ولا أبانَ لهم دِيناً ولاهُوتا

له يدٌ لا نُرَجِّي غيرَ نائلِها ... وقاصِدُ البحرِ لا يرْجُو الهَرامِيتا (٧)

فلو حَوَتْ ماحَوَتْه السُّحْبُ من كَرَمٍ ... لَما سمِعْتَ بها للرَّعْدِ تَصْوِيتا

(١) لاته يليته : حبسه عن وجهه وصرفه . القاموس ( ل ي ت ) . (٢) الليت : صفحة العنق .

(٣) في ا : « القبة الحمراء » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) المنصلت : الرجل الماضي في الحوائج .

(٥) العميت : من لا يهتدي إلى جهة . القاموس ( ع م ت ) . (٦) الأماريت : لعله جمع المرت ، وهي المفازة بلا نبات . (٧) في ج : « لا يرجى غير نائلها . » والهراميت : الركايا . القاموس ( هـ ر م ت ) .

فقُل لِمَن صَدَّه عنـــه غَوايتُه ... لو اهْتَدَيْتَ إلى سُبْلِ الهـدى جيتَا

مارام حَصْرَ مَعاليه أخو لَسَنٍ ... إلّا وأصبح بادِى العِيِّ صِمِّيتَا

يا أشرفَ الرُسْلِ والأمـلاكِ قاطِبةً ... ومَن به شَرَّفَ اللهُ النَّواسِيتَا

سَمْعًا لدعوةِ نَاءٍ عنك مُكْتَئِبٍ ... فكَمْ أغثْتَ كَئيبًا حين نُودِيتَا

يرجـوك فى الدِّين والدنيا لِمَقْصدِه ... حاشا لِراجِيك مِن بأسٍ وحُوشِيتَا

أضْحَى أسيرًا بأرضِ الهندِ مُغْتَرِبًا ... لم يَرْجُ مَخْلَصَــه إلَّا إذا شِيتَا

فنجِّنِى يافَدَتْك النفسُ مِن بَلَدٍ ... أضْحتْ لِقاحُ العُلى فيها مَفالِيتَا

وقد خدَمْتُك من شِعْرِى بقافيةٍ ... نَدَتْ فيهــا بديعَ القَوْلِ تنْبِيتَا

وزانَها الفِـكْرُ من سِحْرِ البيانِ بما ... أعْيَى ببابِلَ هارُوتًا ومارُوتَا

جلَّتْ بمَدْحِك عن مثلٍ يُقاسُ بهـا ... ومَن يَقِيسُ بنَشْرِ المِسْكِ حِلْتِيتَا (١)

عليك من صَلَواتِ اللهِ أشْرَفُها ... وآلِك الطُّهْرِ ماحُيُّوا وحُيِّيتَا

* * *

وقوله ، من قصيدة أخرى ، أولها (٢) :

يادارمَيَّةَ باللِّوَى فالأجْـرعِ ... حَيَّاكِ مُنْهَمِلُ الحَيَا من أدْمُعِى (٣)

وسرَى نسيمُ الرَّوْضِ يسْحَبُ ذَيْلَه ... بِمَصِيفِ أُنْسٍ فى حِماكِ ومَرْبَعِ (٤)

لو لمْ تَبِيتِى من أنِيسكِ بَلْقَعًا ... مابِتُّ أنْدُبُ كلَّ دارٍ بَلْقَعِ

لم أنْسَ عَهْدَكِ والأحِبَّـةُ جِيرَةٌ ... والعَيْشُ صَفْوٌ فى ثَراكِ المُمْرِعِ

أيَّامَ لا أُصْغِى لِلَوْمَــةِ لائمٍ ... سَمْعًا وإن تُغْرِ الصَّبابةُ أسْمعِ

---

(١) الحلتيت : صمغ الأنجذان ، وهو نبات يقاوم السموم . انظر القاموس ( ح ل ت ، ن ج ذ ) .

(٢) القصيدة فى سلافة العصر ٥٣٦ - ٥٣٧ . (٣) فى ا : « منهمل اللوى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة وفى الأصول : « من أدمع » ، والمثبت فى السلافة .

(٤) فى ا : « فى حباك ومربع » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

حيثُ الرُّبا تَسْرِى بِرَيَّاها الصَّبا ... والرَّوضُ زاهِى النَّوْرِ عَذْبُ المَشْرَعِ

تَحْنُو علىَّ عَواطِفاً أَغْصانُهـــا ... عند المَبِيتِ به حُنُوَّ المُرْضِعِ (١)

والوُرْقُ فى عَذَبِ الغُصونِ سَواجِعٌ ... تَشْدُو بمَرْأًى من سُعادَ ومَسْمَعِ (٢)

كم بِتُّ فيه صَرِيعَ كأسِ مُدامةٍ ... حِلْفَ البَطالةِ لا أُفِيقُ ولا أَعِى

أَصْبُـــو بقلبٍ لا يزال مُوَلَّعاً ... فى الحُبِّ بين مُعَمَّمٍ ومُقَنَّعِ

مُسْتَهْتَرٌ طَوْعُ الصَّبابةِ فى هَوَى ... قَمَرَىْ جمالٍ مُسْفِرٍ ومُبَرْقَعِ

ما ساءنى أن كنتُ أوَّلَ مُغْرَمٍ ... بجمالِ رَبِّ رِداً ورَبَّةِ بُرْقُعِ

يقتادنى زَهْـــوُ الشبابِ وعِفَّتِى ... فيـــه عَفافُ الناسِكِ المُتورِّعِ

للهِ أيامِى بمُنْعَرَجِ اللِّـــوَى ... حيثُ الهوَى طَوْعِى ومَن أهْوَى مَعِى

لم أنسه والبَيْنُ يَنْعَقُ بيننـــا ... مُتصاعِدَ الزَّفَراتِ وهْو مُوَدِّعِى (٣)

إن شَبَّ فى قلبِى الغَضا بفِراقِه ... فلقد ثَوَى بالمُنْحَنَى من أَضْلُعِى

أتجشَّمُ السُّلْوانَ عنـــه تكلُّفاً ... والطبعُ يغلِبُ شِيمةَ المتطبِّعِ

***

وقوله من أخرى ، أولها :

بين العُـــذَيْبِ وبين بَرْقةِ ضاحِكٍ ... غَرَّاء تَبْسِم عن شَنِيبٍ ضاحِكِ (٤)

فى حبِّهـــا للعاشقين مَصارِعٌ ... من هالِكٍ فيهـــا ومن مُتَهالِكِ

تَسْطُو مَعاطِفُهـــا وسُودُ لِحاظِها ... بمُثَقَّفٍ لَدْنٍ وأبيضَ فاتِكِ

لا تستطِبْ يوماً مَوارِدَ حبِّهـــا ... ماهُنَّ للعُشَّاقِ غـــيرَ مَهالِكِ

---

(١) فى السلافة : «عواطفا أفنانه» . (٢) عذب الغصون : أطرافها . (٣) فى ا : «وهو مودع» والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٤) العذيب : ماء بين القادسية والمغيثة . معجم البلدان ٣/٦٢٦ وبرقة ضاحك : باليمامة لبنى عدى . معجم البلدان ١/٥٨٣ .

فتكَتْ بألبابِ الرجالِ ولم تَصِلْ ... بسِوَى فواتِنِ للقلوب فَوَاتِكِ
يُرْدِيك ناظِرُها ويُغضِي فاعْجَبَنْ ... من فاسِقٍ يحكى تعفُّفَ ناسِكِ
هجَرتْ وما اتَّسعتْ مَسالِكُ هجرِها ... إلّا وضاقتْ فى الغرامِ مَسالِكِى
ولقــــد أبيتُ على القَتادِ مُسهَّداً ... وتبيتُ وَسْنَى فى مِهادِ أرائِكِ
لا تستعِرْ جَلَداً على هِجْرانِهـــــا ... إن كنتَ فى دعوَى الغرامِ مُشارِكِى
واترُكْ حديثَ المُعْرِضِين عن الهوَى ... ياصاحِبِى إن كنتَ لستَ بتارِكِى
وإذا دعاكَ لِتبيعَ نفسك سائمٌ ... فى حبِّهــــا يوما فبِعْه وبارِكِ
إن التى فتنَتْك ليـلةَ أشرقتْ ... إشْراقَ شمسٍ فى دُجُنَّةِ حالِكِ
لا تصْطفِى خِـلاًّ سوى كلِّ امْرِئٍ ... صَبٍّ لأسْتارِ التنسُّكِ هاتِكِ
فاخلَعْ ثيابَ النُّسْكِ فيهــا واسْترِحْ ... من عَـــذْلِ لاحٍ فى الصَّبابةِ آفِكِ
أولا فدَعْ دعــوَى المحبَّةِ واجتنِبْ ... نَهْجَ الغرامِ فلستَ فيــه بسالِكِ
وإذا بدَا منهــــا المُحيَّا فاستمِدْ ... من سافرٍ لِدَمِ الأحبَّــةِ سافِكِ
كم من مُحِبٍّ قد قضَى فى حبِّهــــا ... وَجْداً عليه فكان أهْوَنَ هالِكِ
ملكتْ نفوسَ أُلِى الغرامِ بأسْرِها ... هلاَّ اتَّقيْتِ اللهَ يا ابنةَ مالِكِ
حَسْبِى وُلوعاً فى هــــواكِ ولَوْعةً ... إن تطْلُبِى قَتْـــلِى ظَفِرْتِ بذلكِ

* * *

وله من نونيَّة نبويَّة ، أولها (١) :

تذكَّرَ بالحِمَى رَشأً أغنَّا ... وهاج له الهــــوى طَرباً فغنَّى
وحَنَّ فؤادُه شوقاً لِنَجْـــدٍ ... وأين الهنـــدُ من نجدٍ وأنَّى
وغنَّتْ فى فروعِ الأيْكِ وُرْقٌ ... فجاوَبَه بزَفْرتِه وأنَّا (٢)

---

(١) البيتان الثالث عشر والرابع عشر فى البدر الطالع ١/٤٣٩ ، والأبيات من الأول إلى السادس عشر فى حديقة الأفراح ٥٧ . (٢) أنَّ من الأنين .

وطارِحَها الغرامَ لحين رَنَّتْ ... له بتنفُّسِ الصُّعَداءِ رَنَّا
وأَوْرَى لاعِجَ الأشواقِ منه ... بُرَيقٌ بالأُبَيْرِقِ لاح وَهْنَا (١)
مُعَنًى كلما هبَّتْ شَمالٌ ... تذكَّر ذلك العيشَ المُهنَّا
إذا جَنَّ الظلامُ عليه أَبْدَى ... من الوَجْدِ المُبَرِّح ما أَجَنَّا
سَقَى وادِي الغَضا دمعِي إذا ما ... تَهلَّل لا السَّحابُ إذا أَرْجَحَنَّا
فكم لى فى رُباه قَضِيبُ حُسْنٍ ... تفرَّد بالملاحةِ إذْ تَثَنَّى
كَلِفْتُ به وما كُلِّفْتُ فَرْضاً ... فأوجَب طَرْفُه قَتْلِي وسَنَّا
وأَبْدَى حبَّه قلبي وأَخْفَى ... فصرَّح بالهوى شَوْقاً وكَنَّا
تفنّن حسنُه فى كلِّ معنًى ... فصار العشقُ لى بهواه مَعْنَى
بدا بَدْراً ولاح لنا هِلالاً ... وأَشْرَق كوكباً واهتزَّ غُصْنَا
وثَنَّى قَدَّه الحسَنَ ارْتياحاً ... فهام القلبُ بالحسَن المُثَنَّى (٢)
ولو أن الفؤادَ على هَواهُ ... تَمنَّى كان غايةَ ما تَمنَّى
بكَيْتُ دماً وحَنَّ إليه قلبي ... تَخضَّب من دمِي كَفًّا وحَنَّا
ألا ياصاحِبَيَّ ترفَّقا بى ... فإن البَيْنَ أَنْصبنِي وعَنَّى
ولم تُبْقِ النَّوَى لى غيرَ عَزْمٍ ... إذا حَفَّتْ به المِحَنُ اطْمأَنَّا
وأُقْسِمُ ما الهوى غرَضِي ولكنْ ... أُعَلِّلُ بالهوى قلباً مُعَنَّى
وأَصْرِفُ بالتأَنِّى صَرْفَ دهرِي ... وأعلمُ أن سيظْفَرُ مَن تأَنَّى
وأَدْفَعُ فادحاتِ الخطْبِ عنِّي ... بتفويضٍ إذا ما الخطْبُ عَنَّا (٣)
ولا واللهِ لا أَرْجُو لِيُسْرِي ... وعُسْرِي غيرَ من أَغْنَى وأَقْنَى

٭٭٭

---

(١) فى الحديقة : « بويرق بالأبيرق » .
والوهن : منتصف الليل أو بعده بقليل .
(٢) فى ا : « وثنى قده الغصن » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والبدر الطالع ، والحديقة .
(٣) فى ج : « وأدفع قادحات الخطب » ، والمثبت فى : ا ، ب .
وفى ب : « بتفويضى إذا ما » ، والمثبت فى : ا ، ج .

# ٢٩٧
## أخوه محمد يحيى*

غصن طيّب النّما ، أشبه بأخيه من الماء بالما .

فهو الرمحُ وأخوه سِنانُه ، وكلاهما فى حَوْمةِ الأدب فارسٌ أُطْلِق عِنانُه .

وكان رحَل إلى أبيه للهنـد ، فأقام فى كَنَفِه يتأدّب بآدابه ، وكانت مُلازمتُه من دَابِه .

ولم يزل من كِفايتِه فى ظلّ غيرِ مُقَلّص ، ومن حِفايتِه فى مَوْرِدٍ غيرِ مُنغّص .

حتى غرَب نجْمُه فى إبّان اسْتنارتِه ، وخسَف بدرُه فى بَدْء اسْتدارتِه .

فأضْحَى ناظِرُ الأدب لفَقْدِه رَمِدا ، وقلبُ الأمانى لحَيْنِه مُتفجِّما كَمِدًا .

***

وقد ظفرتُ من شِعره بما هو أغرُّ من الصُّدْغ المُرْسَل ، وأعذبُ من الرّحيق السَّلْسَل .

فدونَك منه ما لا يجِدُ خاطرُك فيه تعسُّفا ، غيرَ أنى أراك تُكْثِر على قِلّتِه تأسُّفا[1] :

تذكّرتُ أيامَ الحَجيجِ فأسْبَلَتْ ... جفونى دِماءً واستجدّ بِىَ الوَجْدُ[2]

---

(*) السيد محمد يحيى بن أحمد بن محمد معصوم الحسينى ، المعروف بابن معصوم .
أخو صاحب « السلافة » .
ولد سنة ثمان وأربعين وألف .
وكان صاحب أدب رفيع ، وخلق عال .
ارتحل إلى والده بالهند ، وأقام بها إلى أن توفى ، سنة اثنتين وتسعين وألف .
خلاصة الأثر ٣/٣٩١ ـ ٣٩٣ ، سلافة العصر ٣٦ ـ ٤٢ .

(١) البيتان فى : خلاصة الأثر ٣/٣٩١ ، سلافة العصر ٣٦ .

(٢) فى خلاصة الأثر : « جفونى بماء »

وأيّامَنا بالمَشْعَرينِ التى مَضتْ ... وبالخَيْفِ إذْ حادِى الرِّكاب بنا يَحْدُو

***

وقوله أيضا [١] :

ألا يازمانًا طال فيــــه تباعُدِى ... أما رحمةٌ تدْنُو بها وتجودُ [٢]

لألْقَى الذى فارقتُ أُنْسِىَ مذ نأَى ... فها أنا مسلوبُ الفـــؤادِ فرِيدُ

***

وقوله :

ألا لاسقَى اللهُ البعادَ وجَـــوْرَهُ ... فإن قليلاً منه عنك خطيرُ [٣]

وواللهِ لو كان التّباعُـــدُ ساعةً ... وأنت بعيـــــدٌ إنه لـكثيرُ

***

وكتب إلى أخيه من قصيدة طويلة ، أولها [٤] :

أقِلْ أيُّهذا القلبُ عمَّا تُحاوِلُهْ ... فإنك مهما زِدْتَ زاد تَشاغُلُهْ [٥]

دَعِ الدهرَ يفعلْ كيف شاء فقلّما ... يرومُ امرُؤٌ شيئًا وليس يُواصِلُهْ

وما الدهرُ إلَّا قُلَّبٌ فى أمورِه ... فلا يغْـــتَرِرْ فى الحالتيْن مُعامِلُهْ

وياطالَما طاب الزمانُ لِواجِــــدٍ ... فسَرَّ وقد ساءتْ لَدَيْه أوائلُهْ

سَقَى ورعَى اللهُ الحجازَ وأهـــلَه ... مُلِثًّا تعمُّ الأرضَ سَقْيًا هَواطِلُهْ [٦]

فإن به دارى ودارِى عَزِيزةٌ ... علىَّ ومهما أشْغَلِ القلبَ شاغِلُهْ [٧]

---

(١) خلاصة الأثر ٣/٣٩١ ، سلافة العصر ٣٦ . (٢) فى الأصول : « تدنو لها وتجود » ، ثبت فى : الخلاصة ، والسلافة . (٣) فى ا : « الفؤاد وجوره » ، والمثبت فى : ب ، ج ، لخلاصة ، والسلافة . (٤) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٣/٣٩١، ٣٩٢ ، سلافة العصر ٣٦، ٣٧ .

(٥) فى الخلاصة : « أفق أيهذا القلب » ، وفى السلافة : « أقل أيهذا القلب » .

(٦) فى الأصول : «ملث تعم الأرض » ، وفى السلافة : «بلث تعم الأرض» ، والمثبت فى خلاصة الأثر. والملث : المتتابع .

(٧) فى الخلاصة، والسلافة : «فإن به دارى ودار عزيزة» .

ولكنَّ لى شوقاً إلى خُلَّتى التى ... متى ذُكِرتْ للقلبِ هاجتْ بَلابِلُهْ
أبيتُ ولى منهـــا حَنينٌ كأننى ... طَريحُ طِعانٍ قد أُصيبتْ مَقاتِلُهْ
هَوًى لكِ ما ألقاه ياعَذْبَةَ اللَّمى ... وإلّا فصَعْبٌ ما أتى اليوم حامِلُهْ (١)
أُكابِدُ فيكِ الشوقَ والشوقُ قاتِلِى ... وأسألُ عمَّن لم يُجِبْ مَن يسائِلُهْ (٢)
تَقِى اللهَ فى قَتْلِ امْرِئٍ طال سُقْمُه ... وإلّا فإنّ الهجرَ لا شكَّ قاتِلُهْ (٣)
صِلِيه فقـــد طال الصُّدودُ فقلّما ... يعيش امْرُؤٌ والصدُّ مِمّا يقاتِلُهْ (٤)
حَزينٌ لِمَا يلْقاه فيك من الجـــوَى ... فهاهو مُضْنًى مُدْنَفُ الجسمِ ناحِلُهْ
بَلَى إن يــكنْ لى من علىٍّ وعَزْمِه ... مُعِينٌ فإنّى كلَّ ما شئتُ نائِلُهْ

***

فراجعه بقوله (٥) :

إليك فقلبى لا تقَرُّ بَلابِلُهْ ... إذا ماشدَتْ فوق الغصـــونِ بَلابِلُهْ
تُهيِّجُ لى ذِكْرَى حبيبٍ مُفارِقٍ ... زَرُودُ وحُزْوَى والعقيقُ مَنازِلُهْ (٦)
سَقاهُنَّ صَوْبُ الدمعِ مــنِّى ووَبْلُهُ ... منازلَ لا صَـــوْبُ الغمامِ ووابِلُهْ
يحُلُّ بهـــا من لا أُصَرِّحُ باسْمِهِ ... غزالٌ على بُعْدِ المَزارِ أُغازِلُهْ
تقسَّمه للحُسْنِ عَبْـــلٌ ودِقَّةٌ ... فَرَنَّ وِشاحاه وصُمَّتْ خَلاخِلُهْ (٧)
وما أنا بالنّاسِى ليـــالِىَ بالحِمَى ... تقضَّتْ ووِرْدُ العَيْشِ صَفْوٌ مَناهِلُهْ

---

(١) فى ا : « ما أتى اليوم عامله » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .
(٢) فى السلافة : « وأسأل ممن » . (٣) فى ب ، ج : « تق الله » ، والمثبت فى : ا والخلاصة ، والسلافة .
وفى ا : « فى صب لقد طال سقمه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .
(٤) فى خلاصة الأثر : « والصد ممن يقاتله » . (٥) القصيدة فى : خلاصة الأثر ١/٣٩٢، ٣٩٣
سلافة العصر ٣٧ ، ٣٨ .
(٦) تقدم ذكر زرود والعقيق ، وحزوى : موضع بنجد فى ديار تميم . معجم البلدان ٢/٢٦٢ .
(٧) فى الأصول : « تقسمه للحسن رقة دقة » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .

لياليَ لا ظَبْيُ الصَّرِيمِ مُصارِمٌ ... ولا ضاق ذَرْعاً بالصدودِ مُواصِلُهْ

وكم عاذلٍ قلبي وقد لجَّ في الهوى ... وماعادلٌ في شِرْعةِ الحبِّ عاذِلُهْ

يلومون جَهْلاً بالغرامِ وإنما ... له وعليه بِرُّه وغَوائِلُهْ [1]

فللهِ قلبٌ قد تمادَى صَبابةً ... على اللَّوْمِ لا تنفكُّ تَغْلِي مَراجِلُهْ

وبالحِلَّةِ الفَيْحاءِ من أبْرَقِ الحِمَى ... رَداحٌ حَماها من قَنا الخطِّ ذابِلُهْ [2]

تَمِيسُ كما ماس الرُّدَيْنِيُّ مائداً ... وتهتزُّ عُجْباً مثلما اهتزَّ عامِلُهْ

مُهَفْهَفةُ الكَشْحَيْنِ طاويةُ الحَشا ... فما مائدُ الغُصْنِ الرَّطِيبِ ومائلُهْ

تعلَّقتُها عصْرَ الشَّبيبةِ والصِّبا ... وماعلِقتْ بي من زمانِي حَبائلُهْ

حذِرْتُ عليها آجِلَ البُعْدِ والنَّوَى ... فعاجَلَنِي من فادِحِ البَيْنِ عاجِلُهْ

إلى اللهِ يا أسماءُ نفساً تقطَّعتْ ... عليكِ غراماً لا أزال أُزاوِلُهْ

وخطبِ بِعادٍ كلَّما قلتُ هذه ... أواخِرُه كرَّتْ علَيَّ أوائلُهْ

لئن جار دهرٌ بالتفرُّقِ واعتدَى ... وغال التَّدانِي من دَهَا البَيْنِ غائلُهْ [3]

فإنِّي لأرجُو نَيْلَ ما قد أمَّلْتُه ... كما نال من يحيي الرَّغائبَ آمِلُهْ

***

وخاطب أخاه أيضا بقوله [4] :

وماشوقُ مَقْصوصِ الجناحيْن مُقْعَدٍ ... على الضَّيْمِ لم يقدِرْ على الطيرانِ [5]

بأكْثَرَ من شوقٍ إليك وإنما ... رَمانِي بهذا البُعْدِ عنك زَمانِي [6]

---

(١) في الخلاصة : « يلوموه جهلا » . (٢) الرداح : الثقيلة الأوراك .

(٣) في الأصول : «لئن جاد دهر » ، والمثبت في : الخلاصة ، والسلافة .

(٤) البيتان في : خلاصة الأثر ٣/٣٩١ ، سلافة العصر ٣٦ . (٥) في خلاصة الأثر : « لم يقعد

الطيران » . (٦) في ا : « «بأكثر من شوق» ، والمثبت في : ب، ج ، والخلاصة،والسلافة.

وفي الأصول: «زماني بهذا البعد» ، والمثبت في : الخلاصة، والسلافة، وفي الخلاصة : «منك زماني» .

# ٢٩٨

## جمال الدين محمد بن أحمد الشاهد *

شاعر بيّض وجهَ الصحائف بسَواد نِقْسِه ، وكاتب أقام على فضْلِه شاهداً كألفِ شاهدٍ من نفسِه .

فإذا أخذ القلمَ بيمينه ، جاء من مَعْدِن الدُّرِّ بثَمِينِه .

وكان فى رَوْنَق حَداثتِه ، ومَلاحة نَفاثتِه .

حيث بُرْدُ شبابِه قَشِيب ، ومِسْكُ ذَوائبه لم يدرِ فيه كافورُ مَشِيب .

حليفَ كأسٍ وأليفَ دَنّ ، وله التَّصابى شُغْلٌ والخلاعةُ دَيْدَن .

لا (١) ينتقل من خمارٍ إلا إلى خمار ، ولا يُقلع عن هَوَى ذِى عمامة إلّا (٢) إلى هوى ذات خِمار .

حتى بدَتِ الشَّعَراتُ البِيض ، وأخذت تُفرِخ (٣) فى العارِض وتَبِيض .

ولم يَبْقَ فى إناء العُمْر إلا صُبابَة ، يتدارك بها مافات أيّامَ لهوٍ وصَبابة .

فأصبح شيخَ سَجّادة ومِحْراب ، بعد أن كان فتى دَسْكَرةٍ (٤) وشَراب .

ومُقتفِيَ إنابة ودُعا ، بعد أن كان متروكَ إناء الرّاح ووِعا .

قال السيِّد (٥) علىّ بن معصوم فى « سلافته (٦) » : وبلغنى أن الرّاح أوْرثَت يدَه رَعْشة ؛ لتعاطِيه لها ، فقلت :

لا تحسَبــوا الرّاح أورثتْ يدَه ... من سُوئِها رَعْشةً لهــا اضْطَرَبا (٧)

---

(*) ترجمه السيد على بن معصوم ، فى سلافة العصر ٢١٣ — ٢١٧ .

(١) فى ا : « من لا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٣) فى ا : « نفرى » ، وفى ج : « تفرح » ، والمثبت فى : ب .

(٤) الدسكرة : بيوت الأعاجم ، يكون فيها الشراب والملاهى . القاموس ( د س ك ر ) .

(٥) فى ا ، ب : « الشيخ » ، والمثبت فى: ج .

(٦) صفحة ٢١٣ .

(٧) فى ا : « أودعه يده » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

لكنه لا يزال يَلمَسُهـا فالكَفُّ تهتزُّ دائماً طَرَبا[1]

***

ومما يُقارِب هذا قولُ الشِّهاب :

أقولُ لِمُدْمِنِ الرَّاح الذى ارْتعشَتْ كفّاه إذْ راح من ثَوْبِ التُّقى عارِى

كأن كفَّك مَقْرورٌ برَعْشتِه وليس يصْلَى بغَير الكأسِ من نارِ

***

وأنا أقول : الأنْسَب أن يُنشِد بعد توبتهِ ما اختلسْتُه من قول البعض :

لَعَمْرُكَ ما اهْتزَّتْ له الكفُّ رَعْشةً ولكنْ أرادتْ أن ينامَ خُمارُهُ

على أنَّ فيها الكأسَ يرقُص فَرْحةً بذِكْرَى زمانٍ طاب فيها قَرارُهُ

***

وقد ذكرتُ من شِعره مايشُوق ويرُوق ، وتحسده شمسُ الكأس وشمسُ الأُفق فى غروب وشروق .

فمن ذلك ماراجع به السيد أحمد بن مسعود[2] ، وقد كتب إليه[3] :

وشادِنٍ وافَى وكان خُلْسةً من بَعْدِ ما أرّقنى بمَطْلِهِ

لمّا بدا مُحْتجِباً بمِرْطِه كيْما يَنِمَّ ضَوْءه لأهلِهِ

قلتُ له البدرُ إذا الغَيْمُ غَشَى أنوارَه ترجُو الورَى لوَبْلِهِ

فقال لى مُسْتضْحِكاً يهزْأُ بى ما أحسنَ الشّاهِدَ فى مَحَلِّهِ

ياجمالَ العلمِ والأدب ، والناسُ إليهما من كلِّ حَدَب .

أشْرِفْ على هذه الأبيات ، وحَلِّ عاطِلَها بفوائد الصفات .

---

(١) انتهى هنا مقال ابن معصوم . (٢) تقدمت ترجمته ، فى الجزء ، برقم ٢٦٨ .

(٣) صورة الرسالة فى سلافة العصر ٢١٣، ٢١٤ .

وإن استدْعيْتَنا إلى مَحَلّك ولا زال آهِل [1] ، وكواكبُ أُفْقِه بوجودك زاهرة ونَجْمُ أعدائك آفِل [1] .

قلنا : ما أحْسَنَ الشاهِدَ فى مَحَلِّه ، ولا بِدْعَ أن يرجعَ الفرعُ لأصلِه .

والسلام .

* * *

فأجابه بقوله [2] :

لله ما أبْدَتْ وماذا أبْدَعتْ ... من دُرِّ عِقْدٍ قد زَها مِن أهْلِه

بَدِيهةٌ لواحِـدِ العصرِ ومَن ... حاز المَعالى نَاشِياً كأصْلِه

نَظْمُ لآلٍ من مَلِيكٍ ماجِـدٍ ... فاق الأُلَى هيهات دَرْكُ مِثْلِه

شرّفنى بقطعـةٍ من نَظْمِه ... أحْـلَى من الحِبِّ وَفَى بوَصْلِه

أشار فيها أن يزُورَ منزِلاً ... مافيه إلّا ما نَمَا من فضـلِه

ماهُوَ إلّا روضـةٌ أمْطرَها ... ماسَحٌ من هامِى مَطِيرٍ وَبْلِه

فإن يزُرْ شاهِـدَ معناه يقُلْ ... ما أحْسَن الشاهدَ فى مَحَلِّه [3]

ثم أعقب الأبيات بنثرٍ ، قال فيه :

ناظِمُ دُرِّها [4] ، وناسِج حِبَرِها .

وصلتْه الأبياتُ الشريفة ، من الحضرة العالية المُنيفة .

فحَيّر عقلَه ماحبّر مُنْشِيها ، وأدْهَش لُبّه مادبّج مُوَشِّيها .

فوالله لولا أن يُقال غالَيْت ، لكتبتُ تحت كلِّ بيت : ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ [5] .

---

(١) كذا جاء فى الأصول . (٢) سلافة العصر ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٣) فى السلافة : « شاهد نعماه يقل » ، وهى رواية حسنة . (٤) فى السلافة : « دررها » .

(٥) سورة قريش ٣ .

كيف لا ومُفْترِع بِكْرها مُفترِع الأبْكار البديعة النِّظام ، الفائقة بتقْديمها على من تقدَّمها من شعراء الجاهلية والإسلام .

ليثُ بنى هاشم الضَّراغِم ، واسِطة عِقْد الأكارم أُلِى المكارم .

وحين سرَّحْتُ طَرْفَ الطَّرْف فى مَيْدان رياضِها ، ونشَقْتُ عَنبر عبيرِها من نَشْر غِياضِها .

واكْتحل ناظِرى بنَيِّر مِدادِها المَرْقوم ، ورشَف سَمْعِي من رَحِيق[1] مَعْناها المختوم .

أنشَدت ، ولا بِدْعَ فيما أوردت :

| | |
|---|---|
| فللهِ ما أدْرِى أزَهْرُ خَمِيــــلةٍ | بطِرْسِك أم دُرٌّ يلُوح على نَحْرِ |
| فإن كان زَهْراً فهْو صُنْعُ سَحابةٍ | وإن كان دُرًّا فهو من لُجَّةِ البحرِ |

وما لَوَّح به سيدُنا من زيارة العبد فى الدار ، التى هى وما فيها من بعضِ فضلِه المِدْرار .

فلسانُ الحال ، يُنْشِد هذا المَقال :

| | |
|---|---|
| قالوا يزورُك أحمدٌ وتزورُه | قلتُ الفضائلُ لا تُفارِقُ مَنْزِلَهْ |
| إن زارنى فبفضْــــلِه أو زُرْتُه | فلفضلِه والفضلُ فى الحالَيْن لَهْ |

❊

(١) فى ا : « رقيق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

## ٢٩٩

## أبو الفضل بن محمد المقاد*

ماذا أقول فيمن هو والفضلُ ابنٌ وأب ، وقد تبلَّغ بالصَّنعة حتى فاق مَن دَرَج ودَبّ .

لقبُه عَقّاد وهو لمُشكلات القَرِيض حَلَّال ، فإذا تفَوّه أو كتب سحَر لكن بسحرٍ حلال .

دخل المغرب فى عهد الملك المنصور[1] ، فنال حُظْوة يعترف لسانُ اليَراعة عن حَصْر بواعثِها بالقصور .

فهو ممَّن غرَّب وأغرب ، وأدَّب فهذَّب .

وقابل تلك العصابة ، بخاطرٍ قَدح زَنْدَ الإصابة ، ورمَى غرض الأمانى فأصابَه .

فكُتِب اسمُه فى حسَنات الأيام ، كما كُتِب شعرُه فى حسَنات الأنام .

* * *

فمن شعره الذى ناظَر به نسيمَ الزَّهر فى السَّحَر ، وباهَى قضاءَ الوطَر على الخطر .

---

(*) أبو الفضل بن محمد العقاد المكى .

شاعر بارع ، سافر إلى المغرب لينتجع سلطانه أبا العباس المنصور أحمد الحسنى، فأقام عنده ومدحه .

توفى فى حدود الثلاثين بعد الألف .

خلاصة الأثر ١/١٤٣، ١٤٤ ، سلافة العصر ٢٤٢ـ٢٤٤ ، نفح الطيب ٩/٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٨ .

(١) المنصور أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الحسنى .

سلطان المغرب ، وله اشتغال بالعلم ، وقد حكم ثمانية وعشرين عاما ، حسنت فيها العلاقة بينه وبين سلاطين آل عثمان .

وكان عادلا ، عظيم القدر ، حسن التدبير ، أديبا ، له شعر جيد .

توفى سنة اثنتى عشرة بعد الألف .

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٥/٨٩ وما بعدها ، خبايا الزوايا لوحة ١٦٥ ب ، خلاصة الأثر ١/٢٢٢ ، ريحانة الألبا ٢١/٢٨٩ ، نزهة الحادى ٧٨ .

قوله من مُوشّحٍ مدح به السلطانَ المذكور[١] :

ليت شِعْرِى هل أُروِّى ذا الظَّمَا　　من لَمَى ذاكَ الثُّغَيْرِ الألْعَسِ

وتَرى عيْناىَ رَبّاتِ الحِمَى　　باهياتٍ بقُـــــدودٍ مُيَّسِ

فلقد طال بِعـــــادى والهوى　　ملَكَ القلب غراماً وأسَرْ[٢]

هَدّ من رُكْنِ اصْطِبارى والقُوَى　　مُبْدِلًا أجفانَ عينى بالسَّهَرْ[٣]

حين عزَّ الوصل من وادِى طُوَى　　هَمَلتْ أدمـــعُ عينِى كالمطَرْ[٤]

فعساكم أن تجودُوا كرَماً　　بلِقاكم فى سَوادِ الحِنْدِسِ

عــــلّه يشفى كَلِيماً مُغْرَماً　　من جِراحاتِ العيونِ النُّعَّسِ[٥]

كلّما جَنّ ظَـــلامُ الغَسَقِ　　هزَّنى الشوقُ إليكم شغَفَا

واعْترانى مِن جَفاكم قَلَقِى　　وتذكَّرْتُ جِيـــاداً والصَّفَا[٦]

وتَناهتْ لَوْعتِى من حُرَقِى　　كم أغرَى الوجدَ بى والتَّلفَا[٧]

فانْعِمُوا لى ثم جُودُوا لى بما　　يُطْفِئُ اليومَ لَهِيبَ القَبَسِ[٨]

إننى أرْضَى رِضاكم مَغْنَماً　　لِبقَا نَفْسِى ومَحْيَى نَفَسِى[٩]

---

(١) الموشح فى: خلاصة الأثر ١/١٤٣، ١٤٤، سلافة العصر ٢٤٢، ٢٤٣، نفح الطيب ٩/٢٧٨، ٢٧٩.

(٢) فى نفح الطيب :

يُدخِلون السُّقمَ من دارِ اللّوَى　　كلَمَ الهجرُ فؤادًا وأسَرْ

(٣) فى نفح الطيب : «أجفان نوى بالسهر». (٤) فى نفح الطيب: «هملت أعين دمعى كالمطر».
طوى : موضع بالشام، وموضع عند مكة، وتفتح طاء الثانى. انظر معجم البلدان ٣/٥٥٣ .

(٥) فى نفح الطيب ورد صدر البيت هكذا : «وتداووا قلب صب مغرما».

(٦) جياد : لغة فى أجياد، وهو موضع بمكة يلى الصفا. معجم البلدان ١/١٣٨ .

(٧) فى الخلاصة : «من حرق»، وفى الخلاصة، والسلافة : «ثم أغرى الوجد»، وفى نفح الطيب : «ثم زاد الوجد فى التلفا». (٨) عجز البيت فى نفح الطيب : «يطف نيران الجوى ذى القبس».

(٩) فى نفح الطيب :

ساعة لى مِن رِضاكم مغنماً　　وتُداوِى جُثّتى مع نَفَسِى

كنتُ قبلَ اليوم فى زَهْوٍ وتِيهٍ    مَعْ أُحَيْبَابِى بسَلْعٍ أَلْعَبُ[1]

ومعى ظَبْىٌ بإحْدَى وجْنَتَيْه    مَشرِقُ الشمسِ وأُخْرى مَغْرِبُ

فرَمـــانى بسهامٍ من يديْهِ    قابِسُ البَيْنِ فقـــلبى مُتْعَبُ[2]

لستُ أرجُـــو لِلقاهم سُلَّمَا    غير مَدْحِى للإمام الأرْأَسِ

أحمدُ المحمودُ حَقًّا مَن سَمَا    الشريفُ بن الشريفِ الأكْيَسِ

* * *

قلتُ[3] : وقد حـكى المَقَّرِىّ ، فى « نفح الطيب » أنه مِمَّن اجتمع بالحضرة المنصورية ، أبو الفضل العَقّاد المَـكِّى المذكور ، والشريف المَدَنِىّ ، وهو رجل[4] وافِدٌ من أهل المدينة انْتمى إلى الشّرف ، والشيخ [5] إمام الدِّين [5] الخليلىّ ، الوافِد على حضرته من بيت المقدس .

فقال إمامُ الدين هذا للمنصور : يا أمير المؤمنين ، إن المساجد الثلاثة التى تُشَدُّ إليها الرِّحال ، شَدَّ أهلُها إليك الرِّحال[6] .

---

(١) فى نفح الطيب : « بسلع العسب » . (٢) فى ا : « قائس البين » ، وفى الخلاصة : « قاسى البين » ، وفى نفح الطيب : « ضارب البين » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

(٣) انظر : خلاصة الأثر ١/١٤٤ ، سلافة العصر ٢٤٤ ، نفح الطيب ٩/٢٨٨ .

(٤) فى الأصول : « راجل » ، والمثبت فى المصادر السابقة . (٥) فى الخلاصة : « الإمام إمام الدين » ، وفى السلافة هنا وفيما يلى : « الإمام غرس الدين » ، والمثبت فى الأصول ، ونفح الطيب ، والنقل عنه ، ولعله غرس الدين بن محمد بن أحمد الخليلى ، المتوفى سنة سبع وخمسين وألف . انظر خلاصة الأثر ٣/٢٤٦ .

(٦) فى المصادر السابقة بعد هذا زيادة : « هذا مكى ، وذاك مدنى ، وأنا مقدسى ، ثم أنشد :

إن أميرَ المؤمنين أحمـــدُ    بحرُ الندى وفضلُه لا يُجْحَدُ

فَطيْبَـــةٌ ومكةٌ أهلُهما    والمسجد الأقصى بذاك شهدُوا »

هكذا ورد فى نفح الطيب « شهدوا » ، وفى السلافة : « يشهد » ، ولم يرد البيتان فى الخلاصة ولعل الصواب : « شَهِدُ » .

## ٣٠٠

# أحمد بن محمد الأسَديّ*

الشِّبْلُ بنُ اللَّيْث ، والوَبْل ابنُ الغَيْث ، والتيَّار ابنُ البحر ، والصَّباح ابن الفجر .

اشتمل بالمجد الصُّراح ، ولطفت ذاتُه لُطفَ الرَّاح .

ولما رأى أن المخالطةَ ، لا تُثمِر إلّا مَحْضَ المُغالطة .

انعكف فى زاويةِ العُزْلة ، وتفرَّد فى حُجْرةٍ والعِزُّ له .

***

وقد ذكرتُ من شعره ما تُعوِّذه بالسَّبْع [(١)] ، وتعلم منه رِقَّةَ الطبع .

فمنه قوله [(٢)] :

دَعِ المُدامَةَ يعلُو فوقها الحَبَبُ ... رُضابُه وثناياه لنا أرَبُ

نَزِّه فؤادَكَ من رَاحِ الكئُوسِ وخُذْ ... راحًا من الثَّغْر عنها يعجِز العِنَبُ

شتَّان بين حلالٍ طيِّبٍ وحرَا ... مٍ حامضٍ يزْدرِيه العقلُ والأدبُ [(٣)]

إذا تغزَّلت فى خمرٍ وفى قدَحٍ ... فما مُرادِيَ إلا الثَّغْرُ والشَّنَبُ

---

(*) أحمد بن محمد الأسدى ، الشافعى ، المكى .

ولد بمكة سنة خمس وثلاثين وألف ، ونشأ بها ، فأخذ عن والده ، والشمس محمد بن علان ، وعلى بن عبد القادر الطبرى ، ومحمد العتائقى .

وتصدر للاقراء بالمسجد الحرام ، وكان كثير العبادة ، محبا للعزلة ، ونظم « شذور الذهب » وسمى نظمه « قلائد النحور بنظم الشذور » .

توفى سنة ست وستين وألف ، بمكة .

والأسدى : نسبة إلى أسد بن عامر ، أحد الفقهاء العامريين .

خلاصة الأثر ١/٣٢٥ — ٣٢٧ .

(١) يعنى السبع المثانى ، أى سورة الفاتحة . (٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ١/٣٢٥ ، ٣٢٦ .

(٣) فى خلاصة الأثر : « طيب عذب * وحامض . . . » .

لِلّهِ دَرُّ مُدامٍ بِتُّ أَرْشُفُهَا ... مِنْ فِي غَزَالٍ إِلى الأَتْرَاكِ يَنْتَسِبُ

مُهَذَّبُ اللَّحْظِ زَنْجِيُّ السَّوالفِ لم ... يَحْوِ الذى قد حَوَاه العُجْمُ والعَربُ[1]

منها[2] :

قالت مَبَاسِمُهُ للبرقِ حينَ سَرَى ... لقد حكيْتَ ولكن فاتَكَ الشَّنَبُ

وبِتُّ أَشْدُو على الغُصْنِ الرَّطِيب كذا ... بيْني وبينك ياوُرْقَ الحِمَى نَسَبُ[3]

يقولُ لمَّا رأى دمعِي جرَى ذَهَباً ... يامَطْلَباً ليسَ لى فى غيرِهِ أَرَبُ

تَبَّتْ يَدَا عاذِلِي عمَّنْ أُعَوِّذُهُ ... بالناسِ من نافث أو غاسقٍ يَقِبُ[4]

إِنَّ المُحَرَّم سُلْوَانِى لِطَلْعَتِهِ ... فقُل لشَعْبانَ عنِّى إِننى رجبُ

كيف السُّلُوُّ وعيْنِى كلَّما نظرَتْ ... لَوَامِعَ البرقِ قالتْ زالتِ الحُجُبُ

***

قوله : « إن المحرم . . » إلى آخر البيت ، زاد فيه المُحرَّم على قول القائل :

وشادنٍ مُبْتَسِمٍ عن حَبَبْ ... مُوَرَّدِ الخدِّ مَلِيحِ الشَّنَبْ

يلُومُنى العـــاذِلُ فى حُبِّه ... وما درَى شعبانُ أَنِّى رجبْ

والمراد من شعبان : العاذل ؛ ومن رجب : الأصَمّ ؛ لأن العرب كانت تُسَمِّى[5] المُحرَّم : المُؤتَمِر[6] ؛ وصفرَ : ناجِرا ؛ وربيعَ الأوَّل خُوَّانا ؛ وربيعَ الآخِرِ : بُصَانا ؛ وجُمادى الأُولى : الحَنِين ، وجُمادى الآخرة : الرُّنَّة[7] ؛ ورجبَ : الأصَمّ ؛ وشعبانَ :

---

(١) فى خلاصة الأثر : « مهند اللحظ » ، وهى أولى .

(٢) الأبيات متصلة فى خلاصة الأثر .

(٣) فى خلاصة الأثر : « الرطيب لنا » ، وهى أولى .

(٤) يشير إلى سور : المسد ، والمعوذتين ويقب : أى يدخل .

(٥) انظر فى أسماء هذه الشهور كتاب الأيام والليالى والشهور للفراء ، صفحات ١٧ — ٢١ .

(٦) فى ا ، ب : « المرتمر » ، وفى ج : « المرتمى » ، والتصويب من كتاب الأيام .

(٧) فى الأصول : « الربة » ، والمثبت فى كتاب الأيام ، وفيه أيضا أنه يسمى « ورنة » .

العاذِل [١] ؛ ورمضانَ : النَّاتِق [٢] ؛ وشوَّال : وَعِلا [٣] ؛ وذا القَعْـدة : هُوَاعا ؛ وذا الحجَّة : بُرَكا .

وعلى ذكر أسماء الشهور ، فلنذكُر أسماء الأيام .

وقد نظمها بعضُهم ، فقال [٤] :

أُؤمِّل أن أعِيش وأن يَوْمِي     بأوَّلَ أو بأهْوَنَ أو جُبَارِ [٥]
أو التَّالِي دُبار فإنَّ فيهـــا     فمُؤْنِس أو عَرُوبة أو شِيَارِ [٦]

***

ومن شعره قوله معارضا قصيدة ابن المُعْتزّ التى أولها [٧] :

* سقَى المَطيرة ذات الظِّلِّ والشَّجَرِ *

ومستهلها قوله [٨] :

ما ماسَ بَانُ الحِمَى مِن نَسْمةِ السَّحَرِ     إلّا وقد أَسْمَعَتْـــه طَيِّبَ الخَبَرِ
باللهِ يانَسْمةَ الأسحارِ هل خَـــبَرٌ     فإنى بالنَّبَا أَوْلَى من الشجرِ
ليلِي بمـــا طال لا آوِى إلى سَكَنٍ     هذِى نجومُ السما تُنْبِيكِ عن سَهَرِى
أباتُ أرْعَى السُّها فى الليلِ مُكتئِباً     وأدْمُعِى فى الثرى ترْبُو على المطرِ

---

(١) فى كتاب الأيام أن « عاذل » اسم شوال . انظر صفحة ٢٠ ، وفيه أن اسم شعبان « وعل » .

(٢) فى الأصول : « الفاتق » ، والمثبت فى كتاب الأيام .     (٣) فى ا ، ب : « غلا » ، وفى ج : « عالا » ، والمثبت فى صبح الأعشى ٣٦٩/٢ ، وانظر اللسان ( و ع ل ) ٧٣٢/١١ .

(٤) البيتان فى كتاب الأيام والليالى والشهور ٦ غير منسوبين ، واللسان ( هـ ون ) ٤٤٠/١٣ ، وذكر أنهما لبعض شعراء الجاهلية .     (٥) فى كتاب الأيام : « أرجى أن أعيش » ، وفى الأصول : « أوخيار » ، والمثبت من كتاب الأيام ، واللسان .

وأول : هو يوم الأحد ، وأهون : هو يوم الاثنين ، وجبار : هو يوم الثلاثاء .

(٦) فى كتاب الأيام : « أو التالى دبار فإن أفته » ، وفى رواية أخرى : « أو التالى دبار فإن يوى » ، وفى اللسان : « أو التالى دبار أم فيوى » .     (٧) ديوانه ٤٩/٣ ، وفيه : « سقى الجزيرة » ، وتقدم البيت فى الجزء الثانى ، صفحة ٩٩     (٨) هذه المقدمة زيادة من : ج ، على ما فى : ا ، ب .

أفْدِى الذين أذاقونى مَوَدّتهم ... حتى إذا ما رأونى هائِمَ الفِكَرِ
ساروا بقَلْبِى وخَلَّونى حَلِيفَ هوًى ... حَيْرانَ لا أهْتدِى وِرْداً من الصَّدَرِ
واللهِ إنّ لهم فى القلبِ مَنْزِلةً ... ماحَلّها قبْلَهم شخصٌ من البشرِ
باللهِ يافَوْجُ صِفْنِى مُنْعِماً لهمُ ... واذْكُرْ لهم طِبْقَ ماشاهدتَ من خَبَرِ
وقُل لهم قد غَدا فى حُبِّكم شَبَحاً ... يكاد يَخْفَى على الرّائين بالبصرِ
لعلّهم أن يرِقُّوا لى ويفتكرُوا ... تلك الذِّمامَ التى فى سالفِ العُمُرِ
ويرْحَموا مُدْنَفاً صَبًّا بهم كَلِفاً ... أسيرَ حُبٍّ لهم فى عالَمِ الصِّغَرِ
فاللهُ يُولِيهمُ عِزًّا ويحرُسهم ... مدَى الزمانِ من الأسْواءِ والغِيَرِ

***

وله مُلْغِزاً فى اسم علىّ :

أماتَ اصْطِبارِى حين أحْيى تولُّهِى ... رَشاً فى رياضِ الحُسْنِ بالتِّيهِ يمْرَحُ
ثلاثةُ أرْباعِ لوَصْفِى هُو اسْمُه ... فياليته بالوصلِ لو كان يسمحُ

***

وله فى يوم شديدِ الحرّ :

ويومٍ حَرٍّ دَهانا ... مافيه طِيبُ هَواءِ
قالوا نهارٌ قَوِىٌّ ... فقلتُ من غيرِ هاءِ

***

وله :

خَطُّ العِذارِ نَهانِى ... عن عِشْقِه حين دَبَّا
واللَّحْظُ بالعشقِ يُغْرِى ... والسيفُ أصْدقُ أنبا

***

وله مُضَمِّنا :

ياقلبُ غرّكَ محبوبٌ كَلِفْتَ به ... حتى طمعتَ بوصلٍ دونَه الخطَرُ
وإن غُرِرتَ بمن تَهْوَى فلا عَجَبٌ ... ما أنت أولُ سارٍ غرّهُ قمرُ

# ٣٠١

## إبراهيم بن يوسف المِهْتار *

فردُ الزمان فى فَنّه ، أطاعَه الأدبُ إطاعةَ قِنّه .

تخلّق إلى الأَوْج بعد الحَضِيض ، وحدّق عن سِرّ البلاغة جَفْنَه الغَضِيض .

إن ذُكِرت الرِّقّة فهو سُوقُ رَقِيقِها ، أو الفصاحةُ فهو الذى نشأ فى سَفْح عَقِيقِها .

فلو سمع طَرَفةُ [1] شعرَه الرَّقِيق ، صار له كأبيه [2] العبد الرَّقِيق .

إلّا أن الأيام تلاعَبتْ به تَلاعُب العابِث ، واستطالتْ عليه استطالةَ العائث .

تحمّل من عُقوقِها ماليس [3] يُنكَر ، وأقلّ من عَثَراتِها ماليس يُذْكَر .

* * *

وهو أديبٌ كما وصَفْتُه ، وشاعرٌ عرفتُ قدرَه فأنْصفْتُه .

فمن مختارِه الذى أطْلَعه مُورِقًا جَنِيًّا ، وألمّ به لأهلِ الأدب مُشْرِقًا سَنِيًّا .

قوله [4] :

أَرِحْ فؤادِى من العذابِ بالرَّاح والخُرَّدِ العِــذابِ

---

(*) إبراهيم بن يوسف المكى ، المعروف بالمهتار .

شاعر مشهور ، من أكثر المكيين شعرا ، وكان أدباء الحجاز دائما يداعبونه ويمازحونه .

وقد حط ابن معصوم من قدره فى السلافة ، وذكر المحبى أن الداعى له إلى ذلك هو التحامل والغرض ، وعزى المحبى خمول قدر المهتار بين أدباء الحجاز إلى أن والده كان مملوكا .

وكانت وفاته بعد الأربعين بقليل .

حديقة الأفراح ٤٤ ، خلاصة الأثر ١/٥٣ ـ ٥٧ ، سلافة العصر ٢٤٤ ـ ٢٤٨ .

وتجد شعرا للمهتار فى سمط النجوم العوالى ٤/٣٩٦ ، ٤٢٤ ـ ٤٢٧ ، ٤٣٦ ، ٤٤١ .

(١) يعنى طرفة بن العبد البكرى ، الشاعر الجاهلى . (٢) سبق الإشارة فى ترجمة المهتار إلى أن أباه كان مملوكا . (٣) فى ا : « لا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) الأبيات فى : حديقة الأفراح ٤٤ ، خلاصة الأثر ١/٥٥ ، سلافة العصر ٢٤٦ .

وعاطِنِيهـــا عروسَ دَنٍّ كالنارِ والعَسْجَدِ المُذابِ [١]

مِن كَفِّ لَمْياء إن تبــدَّتْ تَوارتِ الشمسُ بالحجابِ [٢]

دَعْجاء بَلْجاء ذاتُ حُسْنٍ لِكلِّ أهلِ العقولِ سابِي [٣]

على رياض مُدَبَّجـــاتٍ حاكت سُداها يدُ السَّحابِ [٤]

بهـــا القَمارِى مُغرِّداتٍ على الأفانِينِ والرَّوابِي [٥]

فبــادِرِ الأُنْسَ يانَدِيمِى وقُمْ إلى اللهوِ والتَّصابِي

أعْطِ زمانَ الشبــابِ حَظًّا فلَذَّةُ العيشِ فى الشَّبابِ

واجْسُرْ ولا تيْأسَنَّ يوماً من رحمـــةِ اللهِ فى الحسابِ

* * *

وقوله فى صدر قصيدة [٦] :

قِفْ بالمعاهـــدِ من مَيْثاءَ مَلْحوبِ شَرْقِيَّ كاظمةٍ فالجَزْعِ فاللُّوبِ [٧]

واسْتَلْمِـحِ البرقَ إذْ تبْدُو لَوامِعُــه على النَّقا هل سقَى حَيَّ الأعاريبِ [٨]

ياحبَّذَا إذْ بدا يفْـــتَرُّ مُبْتسماً أعْلَى الثَّنِيَّةِ من شُمِّ الشَّناخيبِ [٩]

والجوُّ مُضْطرِمُ الأرْجاءِ تحسَبُه بُرْداً أُصِيبَ حواشِيه بأُلْهوبِ [١٠]

---

(١) فى السلافة : « كالعسجد المذاب » .

(٢) فى الحديقـة ، والسلافة : « فى الحجاب » . (٣) الدعج : شدة سواد العين مع اتساعها . والبلج : الإشراق والضياء . (٤) فى خلاصة الأثر : « حاكت رداها » .

(٥) القمارى : جمع القمرية ، وهى ضرب من الحمام . (٦) الأبيات فى : خلاصة الأثر ١/٥٤ ، سلافة العصر ٢٤٥ . (٧) فى الخلاصة : « من بشاء ملحوب ... فالجذع فاللوب » .

والميثاء : الأرض اللينة السهلة .

وملحوب : اسم ماء لبنى أسد . معجم البلدان ٤/٦٣٢ .

واللوب : جمع اللوبة ، وهى الحرة . القاموس ( ل و ب ) .

(٨) فى ا ، ج : « واستملح البرق » ، والمثبت فى : ب ، والخلاصة ، والسلافة .

وفى الخلاصة : « إذ تخفى معالمه » ، وفى السلافة : « إذ تهفو معالمه » .

(٩) الشنخوب : أعلى الجبـــل . (١٠) فى خلاصة الأثر : « مضطرم الأحشاء . . . أصيبت حواشيه . . » .

يا بارِقاً لاح وَهْناً من دِيارِهِمُ ... كأنه حين يهْفُو قلبُ مرعوبِ
أذْكَرْتني مَعهداً كُنَّا بجِيرتهِ ... نستقصرُ الدهرَ من حُسْنٍ ومن طِيبِ
لم أنسَ بالتَّلَعات الْجُونِ مَوقِفنا ... والحَيُّ ما بين تقْويضٍ وتطْنِيبِ(١)
وقد بَدا لِعيونِ الصَّحْبِ سِرْبُ ظِباً ... حَفَّتْ بظَبْيٍ ببيضِ الهند مَحْجوبِ
لم تبدُ تلك الدُّمَى إلا لسَفْكِ دمِي ... ولا العِذابُ اللَّمَى إلا لتعْذِيبِي

***

ومن خمريَّاته(٢) :

قُمْ إلى بِنْتِ الكُرومِ ... واسْقِنِيها يانديِمي
ما ترى الليلَ تولَّى ... وانْطفا ضوءُ النجومِ
وأضاء الصبحُ ما بيـ ... ـن تصاريفِ الغُيومِ(٣)
وبَدا الطَّلُّ على الأغْـ ... ـصانِ كالعِقْدِ النَّظيمِ
وشَدَتْ قُمْرِيَّةُ الأَيْـ ... ـكِ على الغُصْنِ القَوِيمِ
وسَرتْ رِيحُ الخُزا ... مى من رُبى ظَبْيِ الصَّرِيمِ
فأدِرْها خمرةً تُنْـ ... ـبِي عن العصرِ القديمِ
واسْقِنِيها لتُزيلَ الْـ ... ـيومَ عن قلبي هُمُومِي
هاتِها لى قهوةً من ... عهدِ لُقْمانَ الحكيمِ
واملأ الكاساتِ إنِّى ... فى الصِّبا غيرُ مَلومِ
أيها النفسُ تَصابَىْ ... ثم فى العِصْيانِ هِيمِي

---

(١) هذا البيت ساقط من: ج ، وهو فى: ا ، ب ، والخلاصة ، والسلافة.

(٢) القصيدة فى : حديقة الأفراح ٤٤ ، خلاصة الأثر ١/٥٥ ، سلافة العصر ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٣) فى الأصول : « مصاريف الغيوم » ، وفى الحديقة ، والسلافة : « مطاريف الغيوم » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر .

وعن الذُّلِّ تَوَلَّىْ وعلى العِـزِّ أقيمى
واكْثِرِى الذنب فَرَبِّى غافـرُ الذنبِ العظيمِ

***

وله من قصيدة(١) :

أذْكى بقلبى لاعِجَ الأشْجانِ بَرْقٌ أضاء على رُبَا نَعْمانِ(٢)
أجرى مَدامعَ مُقْلَتِى أوْرَى زِنَا دَ صَبابتِى أشْجَى فؤادِى العانِى
ما شاقَنِى إلّا لأنَّ وَميضَه بِرُبَا الهوى ومَعاهدِ الخِلّانِ(٣)
يا بَرْقُ جُدْ بالدَّمْعِ فى أطْلالِهم عنى فسَحُّ الدمعِ قد أعْيانِى
لم أسألِ الأجفانَ سَقْىَ عُهودِهم إلّا وجادت لى بأحمرَ قانِ
وَاهاً لأيامِ العُذَيْبِ إذِ اللِّوَى وطنى وسكانُ الحِمَى جِيرانِى
إذْ كنتُ طَوْعاً للهوى واللهوِ فى ظُلَلِ الشَّبيبةِ ساحبَ الأرْدانِ
تُشْجِينِىَ الوَرْقاء إن صاحت على تلك الغصونِ بنَغْمةِ الألحانِ(٤)
ويشُوقُنى بانُ النّقا وحُلولُ وا ديهِ وحسنُ الدارِ بالسُّكانِ

***

وله ، مُوجِّهاً بأسماء الأنغام(٥) :

سلامُ اللهِ من صَبٍّ مَشُوقِ جَرِيحِ القلبِ باكِى المُقْلتيْنِ
على مَن حَلَّ من قلبى السُّوَيْدَا لِعزّتِهِ وحَلَّ سوادَ عَيْنِى
نَأَى بالصبرِ لَمّا بان عَنِّى وخلّفنى سَهِيرَ الفَرْقَدَيْنِ(٦)

---

(١) الأبيات فى : خلاصة الأثر ١/٥٤ ، ٥٥ ، سلافة العصر ٢٤٦ .
(٢) نعمان هو نعمان الأراك ، بين مكة والطائف . معجم البلدان ٤/٧٩٥ .
(٣) فى خلاصة الأثر : « إلا لكون وميضه » . (٤) فى خلاصة الأثر : « إن صدحت على » .
(٥) الأبيات فى : خلاصة الأثر ١/٥٥ ، ٥٦ ، سلافة العصر ٢٤٧ . (٦) فى خلاصة الأثر : « سمير الفرقدين » .

فليت الرَّكْبَ قد وقفُوا قليلاً ... على المُشَّاقِ يوم نوَى الحسَيْنِي(١)

***

ومن غَزَلِيَّاته قوله :

جفَت حِلالُ المَنامِ مُقْلَتِيَهْ ... مُذ حلَّ حبُّ الجمالِ مُهجتِيَهْ(٢)

وصار جسمى لمَن يرى شَبَحا ... وأضْلُعِى بالسَّقامِ مُنْحنِيَهْ

وأحْرَق القلبَ حرُّ نارِ جوًى ... وخَدَّد الخدَّ حرُّ دَمْعتِيَهْ

فما تغنَّى الحمامُ فى غُصُنٍ ... إلّا وسال الدِّما بوجْنَتَيَّهْ

ولا تذكَّرْتُ جِيرةً نزلُوا ... بالشِّعْبِ إلّا نسِيتُ صِحَّتِيَهْ

ياجيرةَ الشِّعْبِ هل لبُعْدِكُمُ ... حدٌّ يُرَى أم يُطيلُ مُدَّتِيَهْ

نأيْتُمُ والحشَا به حُرَقٌ ... فقطْرُ الدمعَ فَرْطُ حُرْقتِيَهْ

فما نسِيتُ العهودَ بعدكُمُ ... ولا تحوَّلْتُ عن محبَّتِيَهْ

ولستُ أسْلُوكُمُ وحقِّكُمُ ... هيْهاتَ زال الهوى بسَلْوَتِيَهْ

أنا الذى صِرتُ فيكُمُ مَثَلاً ... لاقَيْتُهُ بالغرام مُدَّعِيَهْ

ورُبَّ ليلٍ طرقْتُ حَيَّكُمُ ... أزورُ فى الحىِّ رَبْعَ مُنْيَتِيَهْ

مَن يسحرُ الطَّرْفَ حُسْنُ بَهجتِها ... إذا بدت بالجمالِ مُرتديَهْ

خُرْعُوبةٌ بالمَها لهــا شَبَهٌ ... رُعبوبةٌ بالظِّباءِ مُزْدرِيَهْ(٣)

مَعشوقةُ القَدِّ غادةٌ وأرَى ... ألحاظَها فى النفوس مُعتدِيَهْ

أتيْتُها والعيونُ راقدةٌ ... وأنْصُلُ القومِ غيرُ مُنْتضِيَهْ

لمَّا رأتْنِى رَبَّ الجوَى عَلِمت ... غَدَتْ لَثْنِى الوِسادِ مُتَّكِيَهْ

---

(١) فى خلاصة الأثر ، وسلافة العصر : « نوى الحسين » .

(٢) فى ب : « حلال المدام » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) الخرعوبة : الشابة الحسنة الخلق البيضاء الرخصة . والرعبوبة : الحلوة الناعمة .

قالتْ أما خِفْتَ قومَنـــا فلقد خاطَرْتَ لمّا قصدْتَ زَوْرَتِيَهْ

فقلت إنَّ المُحِبَّ مُهجتُــــه للحَيْنِ فى الحبِّ غـــيرُ مُتقِيَه

فبِتُّ فى ليلتى أُسامِرُهــــا وبُتُّ فاها النَّقِيَّ عشْرَ مِيَهْ

حتى بَدَا صُبْحُها ففرّقنـــا لا كان صبحٌ بدا بفُرْقَتِيَهْ

***

ومن مقطوعاته قوله (١) :

طِفْلٌ من العُرْبِ أخْـــوَى خِـــدْنُ الصِّبا والبَطالَهْ

بَدا بوَجْـــهٍ كبدرٍ فى جِيـــدِهِ الطَّوْقُ هالَهْ

***

وقوله مُقْتبِساً فى مليحٍ فقير الحال (١) :

تَصُدُّ وكم تَصدّى منك كَفٌّ لِمَن لم يدْرِ قَدّكَ يامُفَـــدّى

وصَـــدُّك عن أُلِى أدبٍ وأمّا مَن اسْتغْنَى فأنْتَ له تَصَدّى (٢)

***

وقوله (٣) :

ألا لا تَغضبَنَّ لِمَن تَمالَى ولا تُبْدِ الودادَ لِمَن جفا كَا (٤)

ولا تَرَ الرِّجالِ عليك حَقًّا إذا هم لم يَرَوْا لك مثلَ ذاكَا (٥)

***

وقوله (٦) :

كم ذا أُغمِّضُ عيْنِى ثُمّ أفتحُها والدهرُ مازال والدنْيا بحالتِها

---

(١) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٥٦ ، سلافة العصر ٢٤٧ . (٢) اقتبس هذا من قوله تعالى : ﴿ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴾ فى سورة عبس ٥ ، ٦ .

(٣) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٥٦ ، سلافة العصر ٢٤٧ . (٤) فى السلافة : «لمن جفاك» .

(٥) فى السلافة : « مثل ذاك » . (٦) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٥٦ ، سلافة العصر ٢٤٨ .

فليت شِعْرِىَ ماممنَى مَقالتِهِمْ ما بَيْن غَمْضةِ عَيْنٍ وانْتباهَتِهَا

***

وقوله [1] :

وظَبْيٍ رَمانِى عن قِسِىِّ حَواجِبٍ بأسْهُمِ لَحْظٍ جَرْحُها فى الهوى غُنْمُ [2]،

على نَفْسِه فلْيَبْكِ مَن ضاع عُمْرُه وليس له منهـــا نصيبٌ ولا سَهْمُ

***

قد أكْثَر الشعراء تضْمينَ هذا المِصْراع فى هـذا المَعْرِض ، والذى أخـذ بنصيبه وسَهْمِهِ القِيراطِىّ [3] ، حيث ضمَّنه فى رياضِ دِمَشْق ، ومنها محلاَّن ، يقـال لهما النَّصِيب والسَّهْم [4] :

دمشقُ بِواديها رِياضٌ نَواضِرٌ بها ينْجلِى عن قلبِ ناظرِها الْهَمُّ

على نفسِه فلْيَبْكِ مَن ضَاعَ عُمْرُهُ وليس له منْها نصِيبٌ ولا سَهْمُ [5]،

***

وله [6] :

أسألُ الرحمنَ ذا الفضْ لِ إلٰهَ العَرْشِ رَبِّى

حُسْنَ نَظْمِ الأَرَّجانِى ثم حَـــــظَّ المُتنبِّى [7]

***

(١) خلاصة الأثر ١/٥٦ ، سلافة العصر ٢٤٨ . (٢) فى ا : « فى الورى غنم » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة . (٣) برهان الدين إبراهيم بن عبد الله القيراطى .

فقيه ، أديب شاعر .

ترك القاهرة ، وجاور بمكة فتوفى بها ، سنة إحدى وثمانين وسبعمائة .

الدرر الكامنة ١/٣٢ ، شذرات الذهب ٦/٢٦٩ .

(٤) البيتان فى نزهة الأنام فى محاسن الشام ٣١٧ .

وفيه أن السهم موضع متصل بأرض الصالحية ، وهو درب ما بين دور وقصور ، وفاكهة وزهور ، ومياه تجرى بهدير كالبحور .

(٥) فى نزهة الأنام : « وليس له فيها . . » . (٦) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٥٦ ، سلافة العصر ٢٤٧ . (٧) تقدم التعريف بالأرجانى ، فى الجزء الأول ، صفحة ٤٣٢

ومما رأيتُه بخطِّه ، وقد نسبه إلى نفسه ، قولُه فى تشبيه الحجر الأسود [١] :

الحجـــرُ الأسودُ شبَّهْتُه خالًا بخدِّ البيتِ زاهٍ سَناهْ
أو أنه بعضُ مَـــوالِي بنى الـ عباسِ بوّابٌ لِبابِ الإلٰهْ [٢]

* * *

وله فى قناديل المَطاف :

تراءتْ قناديلُ المَطافِ لناظِرِى على البُعْدِ والظَّلْماء ذاتُ تَناهِى
كدائرةٍ من خالِصِ التِّبْرِ وَسْطها فَتِيتةُ مِسْكٍ وهْى بيتُ إلٰهِى

* * *

وله فى المَنائر فى ليالى رمضان [٣] :

كأن المَنائرَ إذْ أُسْرِجَتْ قَنادِيلُها فى دَياجِى الظَّلامْ [٤]
عَرائِسُ قامتْ عليهـــا الحُلَى لتنظُرَ بيتَ إلٰهِ الأنامْ



---

(١) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٥٧ .

(٢) فى ا : « لباب إله » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاه

(٣) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٥٧ .

(٤) فى ا : « قناديلها فى ليال الظلام » ، والمثبت فى : ب ، ج

# ٣٠٢

## إبراهيم بن محمد بن مشعل
## العَبْدَلِيّ السَّالِمِيّ *

أرَقُّ لُطَفاء الحجاز ، وأوْحد ذَوِي الإعجاز بالتَّطويل والإيجاز .

له طبع نقِيٌّ مُتَّقِد ، وشِعْر يختاره كل مُنْتَقٍ مُنتقِد [1] .

تناهبتْ محاسِنَه الشَّوادِي والحوادِي ، فحثّت بها المُدامة في الحانات والمَطايا في البوادِي .

* * *

وقد أوردتُ له ما يستخفُّ من الطَّرَب القُدود ، ويُغْنِي عن الوَرْدَيْن وردِ الرياض ووَرْدِ الخدود .

فمن ذلك قوله [2] :

لا أرّق اللهُ مَن بالسُّقْمِ أرّقنِي ... ولا شَفَى سُقْمَ لَحْظٍ منه أسْقمنِي

ولا طَفَى جَمْرَ خَدٍّ منه مُلْتهِباً ... وإن يكنْ بالجفا والصدِّ أحْرقنِي

وزاد في ضِيق خَصْرٍ منه ضِقْتُ به ... ذَرْعاً وأنْحلَه إذ كان أنْحلنِي [3]

ولا عَدَا لُعْسَ هاتِيكَ الشِّفاهِ لَمًى ... وإن حَمَى رَشْفَها عنِّي وأعْطَشنِي [4]

---

(*) برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مشعل العبدلي السالمي المكي .
أديب ماهر ، وشاعر حسن النظم ، لطيف الطبع ، رقيق النسج .
مدح الأشراف بالقصائد الطوال .
وتوفي سنة أربع وعشرين وألف بالطائف ، وقد جاوز السبعين .
خلاصة الأثر ١/٣٧ - ٣٩ ، سمط النجوم العوالي ٤/٣٩٨ .

(١) في ب : « متقد » ، والمثبت في : ا ، ج .      (٢) القصيدة في خلاصة الأثر ١/٣٨ ، ٣٩ .

(٣) في ب : « وزاد في ضيق خصر منه أسقمني » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) في الخلاصة : « ولا عدا اللعس » ، وفي ا : « هاتيك الشفاه بلى » ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة .

ولا اختفتْ من ثناياه بوارقُهـــا وإن بكيتُ لها بالعارضِ الهتِنِ [1]

وشدَّ أقواسَ تلك الحاجبين وإن غدت بنَبْلِ العيونِ النُّجْلِ ترشقُني [2]

ولم تزلْ شمسُ ذاك الحسنِ مُشرقةً في وجهِه لو بدمعِ العينِ شرَّقني

ودام أهْيفُ ذاك القدِّ في مَيَدٍ ولو أطار الحشا إذ صار كالغُصُنِ

وضاعف اللهُ ذاك الحسنَ أجمَعه ولو رماني بضعفِ الضُّرِّ في البدنِ [3]

أبقاه في دولةٍ بالحُسْنِ زاهرةٍ ولو جميـــلُ اصطبارِي في هواه فَنِي

وزاد ذاك المُحيَّا بهجـــةً وسَنًا وإن حَمَى عن جفوني لَذَّةَ الوَسَنِ

يامَن جميعُ معانيه فُتِنْتُ بهـــا لا أخمَدَ اللهُ ماتُبْدِي من الفِتَنِ

أحْسِنْ بوجهِك فالإحسانُ أجمعُه يليقُ لا غيرُهُ من وجهِك الحسَنِ

***

وله مُعارضاً قصيدة المُهتار الهائيَّة [4] :

كم مُهجةٍ بالغرامِ مُنْسَبِيَهْ وما لِمن يقتل الغرامُ دِيَةْ

فليَحْذرِ الحبَّ كلُّ مُحترِسٍ به ففيه الحُتوفُ مُنْطوِيَهْ

وفي رُبَا شِعْبِ عامرٍ رَشَأٌ له عيونٌ بالسِّحرِ مُمتلِيَهْ

في حُسْنِـــه اليومَ صار مُنْتهِياً وعَشْقِي فيه غـــير مُنْتهِيَهْ

كم شمس حُسْنٍ عليـــه مُشْرِقةً منهـــا بدورُ التَّمامِ مُختفِيَهْ [5]

إذا بدا مُقبِلاً ولاح فقـــد جعلتُ منه الجبينَ قِبلَتِيَهْ [6]

---

(١) الهتن : المتتابع .

(٢) في ا : « غدت بنجل العيون » ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة ، وفي الخلاصة : « العيون السود ترشقني » .

(٣) في خلاصة الأثر : « بضعف الضر في بدني » .

(٤) تقدمت قصيد المهتار في ترجمته ، وهي السابقة على هذه الترجمة ، صفحة ٢١٥ وقصيدة السالمي في خلاصة الأثر ١/٣٧ ، ٣٨ .

(٥) في خلاصة الأثر : « بدور الجمال » .

(٦) في خلاصة الأثر : « ولاح لبه » .

لى مُهْجَــةٌ غرَّها بِغرَّتِه | آهاً له عن صِيادِ غُرَّتِيَهْ (١)
وما هَـــدانِى بصُبْحِ طَلْعتِه | إلّا بلَيْلِ الشُّعورِ ضَلّتِيَهْ
فحبّذا ذلك الضــلالُ به | لِمُهْجةٍ بالضلالِ مُهْتدِيَهْ (٢)
وأغْيدٍ ذُبْتُ من مَحبّتِـــه | ونفسُه بالجمـــالِ مُلْتهِيَهْ
مُحسَّنِ الخلقِ أحْوَرٍ ترِفٍ | خِلْقتُـــه بالـكمالِ مُسْتوِيَهْ
للحسنِ فى وَجْنتيْـــهِ كلُّ حلاً | ماءٌ ونارٌ أحارَ فِـكْرَتِيَهْ
فلم أنَلْ ماءَ وردِ وَجْنتــهِ | ومِن لَظاها أحْشاىَ مُلْتظِيَهْ
لا تعجَبُوا إن فَنِيتُ فيه هوًى | فذاتُه للهـــلاكِ مُقْتضِيَهْ (٣)
ووَجْنــةٍ بالجمالِ زاهرةٍ | بنَرْجِسِ المُقْلتيْنِ مُحْتمِيَهْ (٤)
ورُبَّ خِـــدْرٍ طَرَقْتُ بَيْضتَه | واللَيـــلُ ظَلْماه غيرُ مُنْجلِيَهْ
وحَوْلَها من حُماتِها أسدٌ | على اضْطرابِ الحروبِ مُجْترِيَهْ
فانْتبهَتْ من لذيذِ نَوْمتِهـــا | تقولُ من ذا يحُلُّ غَرْزَتِيَهْ (٥)
فقلتُ صبٌّ أذبْتِ مُهْجتَه | بالحُسْنِ يابُغيتِى ومُنْيتِيَهْ
قالت لقد رُمْتَ مَطْلباً خَطِراً | مِن دونِه الموتُ يامُتيِّمِيَهْ
أمَا رأيتَ الأسودَ رابِضَــةً | أما رأيت السيوفَ مُنْتضِيَهْ
فقلتُ إنّ المحبَّ مُهْجتُه | بالموتِ فيمن يحبُّ مُرْتضِيَهْ
وحبّذا يا ابْنةَ الـكرامِ إذا | بلغْتُ فى مُنْيتِى مَنِيّتِيَهْ
فيـــا حياةَ النفوسِ أنا مَن | أعْشَقُ فى الغانياتِ مَيِّتَتِيَهْ

(١) فى ا ، ب : « لى مهجة عزها بعزته » ، والمثبت في : ج ، والخلاصة . (٢) بعد هذا البيت فى الخلاصة زيادة بيتين . (٣) فى خلاصة الأثر : « فذاته بالغرام مقتضيه » .
(٤) فى ب : « ووجنة بالجمار » ، وفى خلاصة الأثر : « ووجنة بالبهاء » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٥) فى خلاصة الأثر : « يحل حوزتيه » .
والغرز : ركاب الرحل .

فقالت الآنَ مرحبًا بفتًى قد عشِق الموتَ فى محبّتِيَهْ (١)
وأرْشفتنى رَحيقَ رِيقتِها والنفْسُ منِّى لذاك مُشْتهِيَهْ
فرُحْتُ نَشْوانَ من مُقبَّلِها ورِيقِها ما ألذَّ سَكْرَتِيَهْ
وفى ثَنايا نَقِىِّ مَبْسِمِها شُهْدٌ عليه النفوسُ مُحتوِيَهْ (٢)
وما اجْتنَى الشُّهْدَ قطُّ من بَرَدٍ غيْرِى فيامَا ألذَّ جَنْيَتِيَهْ
فعند ذا أنعمتْ وما بخِلتْ ورُحْتُ أُثْنِى على محبّتِيَهْ (٣)

***

ومن مُقطَّعاته قوله (٤) :

شمسُ الطِّلا بدرِى غدا لم يصْحُ من تعْليلِها
فالرَّاح قتلة قتْلتِى وأنا قتيــلُ قَتِيلِها (٥)

***

ومثلُه قول الأديب محمد البونىّ (٦) :

يالَقَوْمِى إنِّى قتيلٌ ببدرٍ هو أضحَى قتيلَ شمسِ العُقارِ (٧)
عَلِمَ اللهُ أنَّ قتْلِى حرامٌ فاُشْغَلَنْهُ بهـــا لتأخذَ ثارِى

⁂

(١) فى خلاصة الأثر :

فقالت أهلاً ومرحبًا بفتى يعشق للموتِ فى محبّتِيَهْ

(٢) فى خلاصة الأثر : « عليه النفوس مجتويه » . (٣) عجز البيت فى خلاصة الأثر : « بوصلها وهى غير مستحيه » . (٤) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٣٩ ، سمط النجوم العوالى ٤/٣٩٨ .

(٥) هكذا فى الأصول ، والخلاصة : « قتلة قتلى » ، وفى السمط : « قتلة قاتلى » ، ولعل الصواب « قتلت قاتلى » . (٦) صاحب الترجمة التالية .

والبيتان فى خلاصة الأثر ١/٣٩ .

(٧) فى ب : « شمس النهار » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

## ٣٠٣

## محمد بن أحمد البونى

كوكبُ مجدٍ أضاء سَناه ، وحَلَّ بيتا من الفخر رَبُّه وبَناه .
بوجهٍ أضاء نورا ، فملأ القلبَ فرحة وسرورا .
وسَجِيَّةٍ وَارِيةِ الزِّناد ، ذِكْرُ عُلاها عطَّر كلَّ نادٍ .

***

وله شِعر فى الرُّتْبة العالية ، يرخُص عند مِسْك مِدادِه الغالية .
أثبَتُّ منه ما يفُوح فَوْحةَ الزَّهْرِ عَبَقا ، ويتمتَّع به مَن كان مُعْتلِقا بالشعر الرَّقيق ومُسْتَبِقا .

فمنه قوله :

ما دام كأسُ الُحيَّا باسمَ الشَّنَبِ ... فتَرْكُ لثْمِى له من قِلَّة الأدبِ
فاستجْلِها بنتَ كَرْمٍ مَعْ ذوى كَرَمٍ ... من كَفِّ ساقٍ بِبُرْدِ الحسْن مُحْتجبِ
كالبدرِ يسْعَى بشمسِ الرَّاحِ فى يدِه ... فاعْجَبْ لبدرٍ سعَى بالشمسِ لِلَّهَبِ
إذا رَنا قلت خِشْفٌ فى تَلَفُّتِه ... وإن تثنَّى فغُصْنٌ ماسَ فى الكُثُبِ
مَن لى بها وهْى تُجْلَى فى زُجاجتِها ... ومِن سَنَا مُؤْنسٍ باللهوِ والطَّرَبِ[1]
مَعْ رُفْقةٍ كالنجُومِ الزُّهْرِ ساطعةً ... حازُوا جميعَ النُّهَى والذَّوْقِ فى العربِ
والوُرْقُ تشْدو على الأغْصانِ قائلةً ... باكِرْ صَبُوحَك بالكاساتِ والنُّجُبِ

***

وكتب إليه إبراهيم المهتار[2] قصيدةً ، مستهلُّها :

بقلبِىَ سيفَ اللَّواحِظِ سَنَّهْ ... وأفْرَضَ وَجْدِى وهَجْرِىَ سَنَّهْ

***

١) فى ب : « ومن سنا مؤنسى » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٢) تقدمت ترجمته برقم ٣٠١ .

فأجابه بقصيدة ، أولها :

أجبْتُك مولاىَ من غيرِ مِنَّهْ  فذَوْقُك قد خَصَّنى الفضلُ مِنْهْ

وإنِّى مُطيعُك فيما أمرتَ  به ووِدادِى كما تَمْهَدُنَهْ

منها :

عجبتُ لسحرِ عيونِ الظِّبـا  تصيدُ القساوِرَ من غابِهنَّهْ

وهُنَّ الدُّمَى الخُرَّدُ الآنساتُ  ومَن لهمُ الشِّعْبَ أضحَى مَظِنَّهْ

فكم دون أخْدارِها مَهْلَكٌ  وكم حولَه من جيادٍ مُعَنَّهْ

ببِيضِ الصِّفاحِ وسُمْرِ الرِّماحِ  وصُفْرِ القِسِيِّ وزُرْقِ الأسِنَّهْ

فحَيِّ حِمَى الشِّعْبِ من عامرٍ  حيًا هَمُّه سَقْىُ أطْلالِهِنَّهْ

فثَمَّ الغوانِى المِلاحِ الصِّباحِ  يَرِنُّ الوِشاحُ بأعطافِهِنَّهْ

إذا مِسْنَ ما بين تلك الخدُورِ  تُحاكِى القَنـا لِينَ قاماتِهِنَّهْ

فطـيرُ الحشَا لم يزَلْ واجبًا  عليهنَّ إن لُحْنَ فى حَيِّهِنَّهْ

ومن ثَمَّ أحْوَى بديعُ الجمالِ  حوَى اللُّطْفَ والظَّرْفَ مِن بَيْنِهِنَّهْ

رَشًا خَصْرُه مُضْمَرٌ ناحِلٌ  إذا قام والرِّدْفُ ما أرْجَحَنَّهْ

فوَجْنتُه مذْ دَبَّ العِـذارُ  حكَتْ يا ذوِى العِشْقِ نارًا وجَنَّهْ[1]

* * *

قوله : « فطير الحشا قد غدا واجبا » ، أحسن فيه وأجاد .

وطيور الواجب المتعارَفة عند أرباب القوس والبُنْدُق أربعة عشر ، وهى :

الكُرْكِىّ ، والشبيطر ، والعنز[2] ، والسَّوغ ، والمُرْزِم[3] ، والغُرْنُوق[4] .

---

(١) فى ب : «مذ دب العذار» ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٢) العنز : طير مائى ، وأنثى الحبارى القاموس ( ع ن ز ) .   (٣) المرزم : الأسد .   (٤) الغرنوق : طائر مائى أسود ، وقيل أبيض . القاموس ( غ ر ن ق ) .

وهذه السِّتَّة يقال لها : قِصار السَّبْق .

والنَّسْرُ ، والعُقاب ، والإوَزّ ، والتَّمّ ، واللَّغْلَغ (١) ، والأنيسة ، والكوى .

ويقال لها : طِوال السبق .

وإنما قيل لها طيورُ الواجب ؛ لأن الرَّامِي كان لا يُطْلَق عليه لفظُ (٢) الرَّامِي ، إلّا بعد قَتْلِهِ هذه بأجمعِها بالبُنْدُق وُجوباً صِناعِيّاً .

***

ومن مَقاطِيعه قوله :

أنْحَلَ اللهُ خَصْرَ ذاتِ المِثـالِ  فهْى واللهِ لا ترِقُّ لحالِي

وأرانى ألحاظَهـا فى انْكِسارٍ  ولَظَى جَمْرِ خَـدِّها فى اشتعالِ

***

وأصلُه قولُ ابنِ الرُّومِي :

أنْحلَتْـنِى حبيبتى  أنْحَلَ اللهُ خَصْرَهَا

كسَرتْنى جُفُونُهـا  ضاعَفَ اللهُ كَسْرَهَا

***

ومثلُه قول إبراهيم بن مشعل (٣) :

أضْعَفَ الجسمَ فاتِنِي  ضاعَفَ اللهُ حُسْنَـهُ

سَقَمِي من جُفُـونِهِ  لا عَـدا السُّقْمُ جَفْنَهُ

***

وقوله :

لا طفا اللهُ جَمْرَ خَدِّ حبيبٍ  قد كَوانِى بهَجْرِهِ والصُّدودِ

وحَمـاه من عارِض وأرانى  سُقْمَ عيْنَيْه دائماً فى مَزِيدِ (٤)

**

(١) اللغلغ : طائر.  (٢) فى ب : « اسم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) صاحب الترجمة السابقة .  (٤) فى ا : « من مزيد » ، والمثبت فى : ب ، ج .

## ٣٠٤
# فخر الدين أبو بكر بن محمد الخاتُونِيّ *

أديبٌ مُنطبِع السَّليقة ، مُتكافِئُ الخَلْق والخَليقة .

قلَّد الطُّروس فخراً بكَلِمِه ، وحشَر (١) الصَّواب بين بَنانِه وقلمِه .

وجرى طَلْقاً فى مَيْدان القَريض ، فدلَّتْ على سَبْقِه كلمةُ الكلمةِ بالتَّصْريح والتَّعْرِيض .

* * *

وقد رأيتُ له قِطعاً فَذَّة ، مَنازِعُها مُسْتلَذَّة .

فمنها قوله فى غَرْبية المَكِّيَّة (٢) ، وقد هام بها هَيمان المُعتمِد بالرُّمَيْكيَّة (٣) .

رُبَّ سَمْراءَ كالمُثقَّفِ لَمَّا خطَرتْ فى الغلائلِ السُّنْدُسيَّهْ (٤)

غادةٌ تسلُبُ العقولَ ولا بِدْعَ وأعمالُ طَرْفِها سِحْريَّهْ

جُبِلتْ ذاتُها من المَنْدَلِ الرَّطْبِ ففاقتْ على الرِّياض الزَّكِيَّهْ (٥)

---

(*) أبو بكر فخر الدين بن محمد الخاتونى المكى .

الكاتب ، الشاعر .

ولد بمكة ، ونشأ بها ، وأخذ عن شيوخ عصره ، وبرع فى الأدب .

وكان عظيم الهيئة ، حسن الصورة ، وضئ الوجه .

توفى سنة نيف وخمسين وألف .

خلاصة الأثر ٣/ ٢٧٠ ، ٢٧١ ، سلافة العصر ١٩٠ ـ ١٩٢ .

(١) فى ب : « وحشد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) تقدم فى هذا الباب شعر فى غربية هذه لشعراء الحجاز . انظر صفحات ٤٨ ، ٤٩ ، ٩١ .

(٣) هى اعتماد الرميكية ، زوج المعتمد بن عباد ، وله فى الغرام بها ، والولوع بما يرضيها قصص مأثورة .

توفيت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

انظر الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور ٤١ .

وقصيدة الخاتونى فى : خلاصة الأثر ٣/ ٢٧٠ ، سلافة العصر ١٩١ .

(٤) فى الأصول : « بالمثقف لما » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، وسلافة العصر .

(٥) فى خلاصة الأثر : « على الرياض الذكية » .

مالَها في الغُصونِ نِدٌّ وليس النَّـ ـدُّ إلّا من ذاتِهـا المِسْكِيَّهْ

منها [1] :

هي للقلبِ مُنيــةٌ ولكم مِن صَـدِّها الصَّبُّ ذاقَ طعمَ المَنِيَّهْ [2]

ذاتُ لَحْظٍ وسِنانَ يَفْعـل مالمْ يفعلِ السيفُ في قلوبِ الرَّعِيَّهْ

ومُحَيّاً مِن دونِهِ يخْسَفُ البَدْ رُ إذا لاح في الليـالي البَهِيَّهْ [3]

حَـوَتِ الحُسْنَ كلَّه فهْي ممّا أبْدَعَ اللهُ صُنْعَه في البَرِيَّهْ [4]

شَبَّهوها عنـد التلفُّتِ بالظَّبْ يِ وهيهـات ماهُما بالسَّوِيَّهْ

كلُّ شيءٍ يخْفَى إذا ماتبـدَّتْ وهْي كالشمسِ لا تزال مُضِيَّهْ

ليت شِعْري وأيُّ شمسٍ بشرقٍ لك تبْقَى إذا بدتْ غَرْبِيَّهْ [5]

* * *

وله يرثي السيد أحمد بن مسعود [6] ، لما بلغه خبرُ موته [7] :

على فَقْدِ بدر التِّمِّ أحمدَ فلْتجُدْ لِمُظْمِ الأسَى من كلِّ نَدْبٍ شُئونُهُ

وإلّا فمن ياليت شِعْرِيَ بعــدَه إذا هي لم تسمحْ تسِحُّ جفونُهُ

فتًى كان والأيامُ للجَدْبِ كُلَّحٌ إذا أمَّـه العافِي أضاء جَبِينُهُ

فتُبْصِرُ بدراً منــه قد تمَّ حسنُه وتنْشَقُ روضاً قد تناهتْ فُنونُهُ

تجود وإن أوْدَى الزمانُ يَسارُه بما قد حَوَتْ من كلِّ وَفْرٍ يَمِينُهُ

فقُل للذي قد جدَّ في طَلَبِ النَّدَى رُوَيْدَك إن الجـودَ سارتْ ظُعونُهُ

وقد غاب من أُفْقِ الكمالِ مُنِيـرُه كما غار من بحرِ النَّوالِ مَعِينُهُ

(1) ساقط من : ج ، وهو في : ا ، ب .

(2) في خلاصة الأثر : « من صدها الصب » . (3) في سلافة العصر : « بالليالي البهيه » .

(4) في ب : « صنعه بالبريه » ، والمثبت في : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(5) في السلافة : « وأي شمس لشرق » . (6) تقدمت ترجمته برقم ٢٦٨ .

(7) القصيدة في خلاصة الأثر ٣ / ٢٧٠ ، ٢٧١ .

وأصبح وجهُ المجدِ للحزن كالحاً ... كأنْ لم تكن من قبلُ قرّتْ عيونُهُ
سأبكيه والآدابُ أجمعُهـا معى ... بدمعٍ تودُّ السُّحبُ يوماً تكونُهُ
ولِمْ لا عليه الفخرُ يبكى تأسُّفاً ... وقد حُقّ منه البيْنُ وهو خدينُهُ
فذاك الذى عن مثلِهِ يقبُح العزا ... ويحسُن إلَّا من هواه سكونُهُ (١)
عليه من الله التحيَّةُ ما وفتْ ... بفُرقتِهِ من كلِّ حىٍّ منونُهُ
ورحمتُهُ ما حنَّ أوْ ناحَ وَالِهٌ ... نأى عنه من بعدِ التَّداني قرينُهُ

***

وله فى الفوّارة :

ألا مِلْ إلى روضٍ به بِرْكةٌ زهتْ ... بفوّارةٍ فيها كفصٍّ من الماسِ
إذا ما أتاها زائرٌ قام ماؤهـا ... فأجلسه منها على العيْنِ والرّاسِ

---

(١) فى ج : « فذاك الذى من أجله » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة .

# ٣٠٥

## على بن القاسم بن نعمة الله

## المعروف بالمنلا*

وجدُّه الرابع من آبائه الشيخ ظَهِيرالدِّين ، عَلَّامة شِيراز فى زمانه ، وسِرُّ التحْقيق الذى أظهره الدهرُ بعد كِتْمانِه .

وعَلِىٌّ هذا فرعٌ من فروع دَوحتِه ، بان فضلُه من حين جِيئتِه ورَوْحَتِه .

فظهر أوانَ الظُّهور وساد ، وشاد من دعائم مجدِه المُؤثَّل ما شاد .

بهِمَّةٍ إلى صِرْف العُلَى مَصروفة ، وشِيمَةٍ بإسْداء المعروف مَعْروفة .

وأمّا فضلُه فالبراعةُ مَيدان مَجالِه ، والنَّباهةُ مَحَلُّ رَوِيَّتِه وارْتِجالِه .

***

وله شِعر سهْل طريقُه وساغ ، فانْساغ مع الرِّقَّة ألطفَ مَساغ .

فمنه قوله ، مُضمِّنا [(١)] :

ولمَّا أتتْنى من جَنابِك نَفْحـــةٌ تَضَوَّع من أنْفاسِها المسكُ والنَّدُّ
وقفْتُ فأتبعْتُ الرسولَ مُسائِلاً وأنْشدْتُه بيتاً هو العَــلَمُ الفَرْدُ
وحدَّثْتنى يا سعدُ عنها فزِدْتــنى شُجوناً فزِدْنِى من شجُونِك يا سعدُ [(٢)]

***

(*) المنلا على بن القاسم بن نعمة الله الشيرازى المكى .

ولد بمكة ، ونشأ بها ، وأكب على طلب العلم وتحصيله حتى برع .

ورحل إلى بلاد العجم ، ثم إلى الهند ، وهناك وافته منيته سنة إحدى وخمسين وألف .

خلاصة الأثر ٣/١٧٨ ، ١٧٩ ، سلافة العصر ١٧٢ ـ ١٨٢ .

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/١٧٩ ، سلافة العصر ١٨٢ .

(٢) فى ديوان العباس بن الأحنف ٩٨ : « جنوناً فزدنى » ، وفى الديوان ، والخلاصة ، والسلافة : من حديثك ياسعد » .

والبيت المضمَّن للعبَّاس بن الأحْنَف ، وبعده :

هَواها هوًى لم يعرِف القلبُ غيرَه ... فليس له قَبْلٌ وليس له بَعْدُ[1]

***

وله ، وكتبه فى صدر كتاب[2] :

أناخَ بسُوحِي جيشُ همٍّ وإبْطالِ ... وأضحَى قَرِينَ القلبِ من بعدِ تَرْحالِ[3]

وما فَلَّ ذاكَ الجيشَ غيرُ صَحيفةٍ ... تَجِلُّ لعَمْرِى عن شَبِيهٍ وأمْثالِ[4]

أتَتْ تسلُب الألبابَ طُرًّا كأنّها ... رَبيبةُ خِــدْرٍ ذاتُ سِمْطٍ وخَلْخالِ

أتَتْ من خَليــلٍ قربه غاية الْمُنى ... ومنظرُه الأَسْنى غدا جُلَّ آمالى

فلا زال محفوظًا عن الْحُزْنِ والأسَى ... ولا زال محفوفًا بعزٍّ وإجْلالِ[5]



---

(١) فى الديوان : « لم يعلم القلب غيره » .
(٢) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٣ / ١٧٩ ، سلافة العصر ١٨١ .
(٣) فى السلافة : « جيش هم وأوجال » ، وفى ب : « من بعض ترحال » والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .
(٤) فى الخلاصة ، والسلافة : « عن شبيه وتمثال »
(٥) فى ا : « ولا زال محفوظاً بعز وإجلال » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

# ٣٠٦

## ولده أحمـــــد*

هو فى هذه الأخلاف ، يُذْكر بما يُذكر به كبارُ الأسْلاف .

من تقوى تعمّر بها ظاهرُه ، ومن صِيانةٍ تجمّلتْ بها مَظاهِرُه .

وقد رأيتُه بمكة المُعظَّمة ، وفرائدُ آدابه بِليتِ[1] الزّمان مُنظّمة .

وهو من النِّعْمة فى ظِلٍّ رطيبِ المَطارِح ، ومن الكرامةِ فى حِمًى رحيب المَسارح .

فتناولتُ من مَناظيمه قِطَعاً كحدائق الجِنان ، فدونك منها ما يتمتّع به الطَّرْف والجَنان .

***

فمنها قوله ، من قصيدة أوّلها[2] :

يا أخِلاَّئى بجَرْعاء الحِمَى ... ما لصافِى وُدِّنا عاد أُجاجَا

وليــــالٍ بمِنًى قَضَّيْتُها ... معْ نَديمٍ لم يكنْ فى الحب دَاجَا[3]

ومليحٍ كاملٍ فى حُسْنِه ... يفضَح الأقمارَ حُسْناً وانْبِلاَجَا[4]

فسعَى فى شَتِّنا دهرٌ بَغَى ... بيْننا من قادح البَيْن رِتاجَا[5]

---

(*) ترجمه ابن معصوم فى سلافة العصر ١٨٢ ـ ١٨٧ .

وذكر المحبي فى ترجمة والده ، فى خلاصة الأثر ٣/١٧٩ ، أنه تزوج بأم السيد على بن معصوم ، صاحب السلافة ، واستولدها ولده أحمد بن المنلا ، أحد أدباء مكة الآن ، وهو فى الأحياء كامل الأدوات، لطيف الذات ، فهو أخو السيد على بن معصوم لأمه .

(١) الليت : صفحة العنق .

(٢) الأبيات فى سلافة العصر ١٨٤ . (٣) لعله يعنى بالداجي : من يستتر بحبه .

(٤) فى السلافة : « ومليح كغزال ناعس * يخجل الأقمار . . . » .

وفى ب : « حسناً وابتلاجا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة .

(٥) فى السلافة : « دهر ثنى » .

فتناءَوْا وتبدَّلتُ بهم فِتنةً حادتْ عن الحقِّ اعْوِجاجَا[1]

***

وقوله من أخرى[2] :

سقى اللهُ رَبْعًا بالأجارعِ من هندِ … وحَيَّى الحيَا وادِى الأراكةِ والرَّنْدِ[3]

مَغانٍ بها كانَ الزَّمانُ مُساعِدِى … بأفْنانِ بِشْرٍ من أسِرَّتِهِ يُبْدِى

وريمٍ إذا ما لاح ضوءُ جبينِهِ … بفَرْعٍ حكَى لَيلَ التَّباعُدِ من هنْدِ[4]

أرَانا مُحَيًّا كالغزالةِ فى الضحى … أو البدرِ فى بُرْجِ التَّكامُلِ والسَّعْدِ

له مُقْـلةٌ وَسْناءُ ترشق أسْهُمًا … تُصيب الحشَا قبلَ الجوارحِ والجلْدِ

وثَغْرٌ إذَا ما ضاءَ فى جُنْحِ دامسٍ … توهَّمْتَ دُرًّا قد تنضَّد فى عِقْـدِ

يُدِيرُ به ظَلْمًا كأنَّ مَذاقَهُ … جَنَى الطَّلْعِ أو صِرْفُ السُّلافِ أو الشُّهْدِ[5]

وتالِعُ جيدٍ ما الغزالةُ إن عَطَتْ … بمُنْعرجِ الجَرْعاءِ طالبـةَ الوِرْدِ

وصَعْدَةُ قَدٍّ إن تقُـلْ غُصْنُ النَّقَا … يقول لها هيْهات ما ذاكَ من نِدِّى[6]

ورِدْفٌ تشَكَّى الخصْرُ أعْباءَ ثُقْلِهِ … فناءَ به حتى تضاءَلَ عن جُهْدِ[7]

فللّـه هاتيك الليـالى التى خَلَتْ … وعُوِّضْتُ عنها بالقَطِيعةِ والبُعْدِ

وأصبحتُ والأحشاءُ يذْكُو لَهِيبُها … أليفَ النوى حِلْفَ الجوى دائمَ السُّهْدِ

أروحُ وأغْدُو واجِدًا بين أضْلُعِى … لَهِيبَ جَوًى لم يَخْلُ حِينًا من الوَقْدِ[8]

أعَضُّ بنَـانِى حسرةً وتأسُّفًا … وأنْدُب عصرًا لم أبِتْ خاليًا وحْدِى

---

(١) فى ب : « وتبدت بهم » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة . (٢) القصيدة فى سلافة العصر ١٨٢–١٨٤ مدح بها النظام ابن معصوم ، وقد قصده بالديار الهندية ، سنة أربع وسبعين وألف .

(٣) فى السلافة : « بالأجارع من نجد » . (٤) فى ا : « بدر جبينـه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٥) الظلم بالفتح : الريق . (٦) الصعدة : الرمح المستوية .

(٧) فى السلافة : « إعياء ثقله » . (٨) فى السلافة : « لم يخل يوماً »

وأُرْسِلُ دَمْعًا كالغمامِ إذا همَى فهيهات أن يُغنى التأسُّف أو يُجْدِي

إلى الله أشكو جَوْرَ دهرٍ إذا عَدَا على المرء حَاجاه بألسِنَةٍ لُدِّ

وقائلةٍ والعيْشُ يُزعجُه النَّوَى وعَبْرتُها كالطَّلِّ يسقط فى الوَرْدِ[1]

لبئس المُنَى أن تقطعَ البِيدَ بالسُّرَى وتَرْحلَ عن وادِ المُحصَّبِ للهِنْدِ[2]

فقلتُ لهــا ما القَصْدُ واللهِ مُنْيَةٌ ولا نَيْلَ سُؤْلٍ من عَرُوضٍ ومن نَقْدِ

ولـكنْ لأقضِي شُكْرَ سالفِ نِعمةٍ مُشيَّــدةِ الأرْكانِ بالأَبِ والجَدِّ

لأكْرَمِ مَوْلًى ألبستْ يدُه الورَى مَطارِفَ نَعْماء تجِلُّ عن الحَـــدِّ

***

ومن شِعره قوله مُجيباً لصاحب « السلافة » ، عن أبيات كتبها إليـه ، لغرضٍ عَرَض[3] :

أبا حسنٍ لا زال سَــعْدُك غالبًا وجَـــدُّك مَسْعوداً ونَجْمُك ثاقبَا

ولا زالتِ العَلْياء تُجْنَى ثِمارُها لدَيْك وتَحْوِي فى المَعالى الأطايبَا

أتانى قَرِيضٌ منك قد جرَّ ذيْله على الأطْلَسِ الأعْلَى وفاق الـكَواكبَا

يُشِير إلى خِلٍّ تغــيَّر وُدُّه وأصبح من بعدِ التَّحابِى مُحارِبَا[4]

أبَى اللهُ أن يَثْنِي عِنانَ وِدادِه ولو مَطَرتْ سُحْبُ الغوادِي قَواضِبَا

ولـكنه يامَفْخَرَ العربِ أمْرُؤٌ يُجرَّع من هــذا الزمانِ مَصائبَا

فجرَّد عَزْماً للتَّجافِي عن الورى وأصبح مُنْحازاً عن الخلقِ جانبَا

فصبراً لهــذا الدهرِ إنَّ صُروفَه لَعَمْرُك تُبْدِي من قضاها عجائبَا

---

(١) فى السلافة : « وقائلة والعيس يزعجها النوى » ، وهـو أولى .

(٢) المحصب : موضع فيما بين مكة ومنى ، وهو إلى منى أقرب . معجم البلدان ٤/٤٢٦ .

(٣) القصيـدة فى سلافة العصر ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٤) فى السلافة : « وأصبح من بعـد تصافى محاربا » .

سيصْفو شرابٌ مَرّ دهراً مُكدَّراً ... ويرضَى مُحِبٌّ ظلّ حِيناً مُغاضِباً [1]

فإن ضميرِى لا يزال مُنازِعِى ... بأنّك ترْقَى فى المعالى مَراتِباً [2]

مَراتِبُ تسْمُو للسِّماكَيْن رِفْعةً ... تقُود بها خَيْلَ الفخار جَنائباً

فذلك عنْدى عن تَقِىٍّ مُكرَّمٍ ... صَدُوقٍ إذا ماقال لم يُلْفَ كاذِباً

ومازلتُ أرْعَى قولَه فى مَواطنٍ ... فألْفَيْتُه ثَبْتَ المَقالةِ صائباً

ودُمْ رَاقِياً للمجْدِ أرْفعَ رُتْبةٍ ... تُبيدُ الأعادى أو تُنيل الرّغائبا

٭



(١) فى ا ، والسلافة : « شراب مردهر محاربا » (٢) فى السلافة : « لا يزال منازعا » .

# ٣٠٧

## أحمد بن أبي القاسم الخَلِّيّ (١)

من أولى الناس للمجدِ تفصيلا ، وأحقّهم للتّرجيح تكميلا وتفضيلا .

لم تُرفَع عن أحسنَ من محاسنِه النُّقُب ، ولم تتشرّف بأفضلَ من مآثرِه الحِقَب .

ولقد مُنِيتُ به في إحدى ثلاثة مِنَى ، وحصّلْتُ منه على ما كنتُ أتوقّعه من أُمْنِيَّةٍ ومُنَى .

في هُنَيْئة أقصرَ من رجْعةِ طَرْف ، وأخصرَ من كتابةِ حرف .

فرأيت فاضلاً ألقى دَلْوَه في بحرِ الأدب فنزَفه ، ومدّ يدَه إلى غُصنه الفَيْنان فقطَفه .

***

وأنشدني من شعره ما تحسُد اتّساقَه الثُّغور ، وتُغازلُه شهبُ السماء فتغور .

فمنه قوله من قصيدة :

حَيِّ الحَيَا مَرَاتِعاً بنَجْدِ ... قد طاب فيها صَدَرِي ووِرْدِي

مَرَاتِعاً كنتُ سميراً للدُّمَى ... بهـا وتِرْبَ ناهِدات النَّهْدِ

من كلِّ هَيْفاءِ القَوام غادةٍ ... يَبْسِم فَاها عن لآلِي عِقْدِ

إذا انْثَنى بالدَّلِّ لَدْنُ قَدِّها ... فأين منه عَذَباتُ الرَّنْدِ

ثقيلةُ الرِّدْفِ هضيمةُ الحشا ... يحكيهما تجلُّدِي ووَجْدِي

ضعيفةُ الخَصْرِ ولكن فِعْلُه ... في القلبِ أبلانِي بضَعْفِ الجُهْدِ

---

(١) هذا الضبط من : ج ، ضبط قلم .

كثيرةُ الخُلفِ فما لِصَبِّهـا  مَطْلَ وَعيـدٍ ونجازُ وَعْدِ
ميّالةُ العِطْفِ لغـيرِ عاشقٍ  مَلولةُ الإلْفِ لغـيرِ الصَّدِّ
ريّانةُ الجسمِ يظَلُّ شارِقًا  دُمْلُجُها مِنهـا بماء الزَّنْدِ (١)
لهـا مُحيًّا كالصباحِ أبْلَجٌ  من فوقهِ ليلٌ أثيثٌ جَعْدُ (٢)
وناظِرٌ أجْـرَى دموعَ ناظِري  وَقْفًا على عامِـلِ ذاكَ القَدِّ
وحاجبٌ حجبَ عن جَفْنِي الكرى  كأنه مُوَكَّلٌ بالسَّرْدِ
شكَوْتُ ما ألْقَى لِقاسِي قَدِّها  هيْهات هـل تعْطِف من صَلْدِ
ياقلبَهـا إن كنتَ صخراً إنني الـ  خَنْساء فارْحَمْ لَوْعتِي وسُهْدِي

***

وقوله من قصيدة نبويّة ، مطلعها :

مَن لصَبٍّ في الحبِّ أفْنَى زمانَهْ  وهو إلْفُ اسْتكانةٍ وزَمانَهْ (٣)
قد براهُ الهـوى فصار خيالاً  لو أتَى عائدٌ لضَلَّ مكانَهْ
لَذَّ ذُلُّ الهـوى وهو حرٌّ  فهو يهوَى الهوَى ويهْوَى هَوانَهْ
كلَّما هبَّتِ الصَّبا هام شوقًا  لِزَرُودٍ وهيَّجَتْ أشْجانَهْ (٤)
يارعَى اللهُ عصرَ أُنْسٍ تقضَّى  برُباها وما قضَيْتُ لُبانَهْ
وسقَى صَيِّبُ الغمامِ ثَراها  لا دموعِي ودِيمَةٌ هتَّانَهْ (٥)
أنا أخْشَى من دمعِ عيني عليها  قد رأيتُم يوم النَّوَى طوفانَهْ
ياخليلِي إذا أتيْتَ إليهـا  وتراءتْ تلك القِبابُ المُصانَهْ
قِفْ بها ساعةً وسَلْ عن فؤادِي  ساكِنيها لعـل تعرفُ شأنَهْ
أخـذوه يومَ الوَداعِ الأحبّا  بُ كأنَّ الفؤادَ عنـدي أمانَهْ

---

(١) الدملج : المعضد . (٢) الأثيث : الملتف . (٣) الزمانة : عدم القدرة على الحركة ، والمرض الدائم ، وتطلق على الحب أيضاً . (٤) زرود : موضع تقدم ذكره كثيراً . (٥) هتن المطر : تتابع .

تركونى جسماً ولا قلبَ فيه ماحيـاتى واللهِ إلّا مجانَهْ

ياعَذولِي إليك عنِّى فلا قلـ ـب أراه فأرتجي سُلوانَهْ

أجنونٌ أصاب عاذِلىَ الغمْـ ـرَ وإلّا مثلى أضاع جَنانَهْ

ما درَى أن عَذْلَه يُضرِمُ الوَجْـ ـدَ أجَلْ لو درَى لألْوَى عِنانَهْ

أتُراه من بعد أن شِبْتُ فى الحُبِّ م وأصبحتُ فى الهوى تَرْجُمانَهْ

ينتهى فى صَرْف قلبى الأما نى فالأمانى بُروقُها خَوّانَهْ

كيف صَرْفُ الفؤاد قُلْ لى وهذا حُسْنُ ليلَى عَمَّ الوجودَ فزانَهْ

لو رآها رأى الذى يبْهر العقْـ ـلَ وينْسَى الرّائِى به أحْزانَهْ

إنّ داعِى جمالِها قام يدعـو مُوضِحاً للصَّبابهـا بُرْهانَهْ

جَلَّ مَن صاغَها طريقاً إلى الرُّشْـ ـدِ وأُنْموذَجاً يُرينا جِنانَهْ

نُزْهـةٌ للعيون ننظُرُ فيها قمراً مُشرِقا على خُوطِ بانَهْ[(١)]

وجَبِيناً يحْـكِى الهلالَ وفَرْعاً مثلَ ليْلٍ إذا انثنَتْ غضْبانَهْ

وعيوناً لا شكَّ عندى هى الدُّ نيا أراهـا قتَّالةً فتّانَهْ

وثَنـايَا كأنّهُنَّ اللّآلِى ورُضاباً أظُنّـه خمْرَ حانَهْ

طالما أخمدَتْ به وَهجَ القلْـ ـبِ المُعنَّى وأطفأَتْ نيرانَهْ

وأتتْنى من غيرِ سابقِ وَعْدٍ تتهادَى كأنّهـا نَشْوانَهْ

فامتزَجْنا من العِناقِ وبِتْنا فى سرابيلِ عِفّةٍ وصِيانَهْ[(٢)]

نتعاطَى من الحديثِ كؤوساً هىَ أشهَى من أكْؤُسٍ مَلآنَهْ

ثم قالتْ خُـذْ فى مَدائحِ طَه عَيْنِ هذا الوجودِ بل إنْسانَهْ

***

---

(١) الخوط : الغصن الناعم .

(٢) فى ا : « فى سراويل عفة وصيانه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وله من مُوَشَّح مُسْتَبْدَع ، مستهلُّه :

حــتَّى متَى　　هذا الرَّشَا الأَكْحَلْ　　باهِى الجَبِينْ

غيرى يفِى　　وها أنا أُهْمَــلْ　　الله يُعِــينْ

ما حِيلــتِى قد زاد بِى البَلْبَالْ

ومُهْجتِى تقطَّعتْ أَوْصــالْ

وعَبْرتِى كالعــارِضِ الهَطالْ

قد شَتَّتــا　　نَوْمِى وقد أبْطــلْ　　حَوْلِى المتِينْ

مَن مُنصِفِى　　منه وما أعمــلْ　　يا مسلمِينْ

هَوِيتُه حــلوَ اللَّمَى أرْعَنْ

شَتِيتُه كاللؤْلُــؤ المُثْمَنْ

فليتــه يُبِيحُنِى مِن أنْ

وَاحَسْــرتَا　　إن كُنتُ لا أُحْمِلْ(١)　　مَن ذَا المُعِينْ

وينطــفى　　فى القلبِ ما أشْعَلْ　　وَجْدِى سِنِينْ

أضْنَى الحَشَا بطَرْفِهِ النَّبَّالْ

وأدْهشَا لُبِّى وعقــلى زالْ

ولو يَشا ما صِرتُ فى ذا الحالْ

تفتَّتــا　　قلبى بمــا حَمَّلْ　　أنتَ الضَّمِينْ

يا مُتْــلِفِى　　ظُلْمًا وقد أجْمَــلْ　　حُلَّ اليمِينْ

ما بَراحٌ عن حُبِّه كَلَّا

ولا سَراحٌ عن عِشْقِه أصْلَا

إلَّا امْتداحُ خيرِ الورَى أصْــلَا

---

(١) فى ا ، ب : « لا أحمل » ، والمثبت فى : ج .

من قد أتى من ربِّنا مُرْسَلْ للعالَمينْ
المُقْتَفِي والسيِّدُ الأكْمَلْ طهَ الأمينْ

***

وله من آخر :

يا مَن لقتلِي ظُلْماً أحلَّا والقلبَ حلَّا
مَن لدمِ المسلمِ استحلَّا ما قطُّ حلَّا
جَفاكَ طَعمَ المنونِ حلَّا والصبرَ حلَّا
لم يحكِكَ الظَّبْيُ لو تجلَّى فأنتَ أحْلَى
يا مُنْيةَ القلبِ كم تدورُ
على هلاكِي وكم تجورُ
هذا من الدَّلِّ أم غرورُ
جرَّدْتَ من مُقلتيكَ نَصْلَا ورُشْتَ نَبْلَا
أثخنْتَ لمَّا أمِنْتَ عقلَا نهباً وقتلَا
اللهَ في عاشقٍ غريبِ مُضْنًى كئيبِ
أضْحَى من النَّوْحِ والنَّحيبِ كعَنْدَليبِ
فارجِعْ إلى اللهِ من قريبِ وكُنْ مُجيبي
وأمْنَح المُستهامَ وَصْلاَ فالقلبُ يَصْلَى
حُمِّلْتُ ما لا يُطاقُ أصْلاَ عقلاً ونقلاَ
يا كاملَ الحُسْنِ والجمالِ
يا بارعَ الغَنْجِ والدَّلالِ
يا فاضحَ الغُصْنِ والغزالِ

أنت من النَّيِّرَيْنِ أعْــلَى ... سَنًا وأغْــلَى
وجْهُكَ للبدرِ لو تجــلَّى ... بــه تمــلَّى
أضعْتَ عُمْرَ الشَّجِيِّ قَصْدًا ... هجْراً وصَــدًّا
لم ترْعَ لى يا مَــلُولُ وُدًّا ... وخُنْتَ عَهْدًا
وسِرْتَ تسْطُو علىَّ عَمْداً ... لم تَخْشَ حَدًّا
حلفتَ من قبل ذاك أنْ لاَ ... تُسِيء فِعــلاَ
نَسِيتَ لى ذِمَّــةً وإلًّا ... فاعْطِفْ وإلَّا

۞



(١) الإل : العهــد .

# ٣٠٨

## أخوه محمـــد

هو لِرَوْضِه شَقِيق ، ومِثلُه بالمدح حَقِيق .

مَشْحُوذُ سِنان البيان ، مَصقولُ أطْرافِ البَنان .

وأنا وإن لم أتَمَلَّ برُؤيةِ جمالِه ، فقد استَمْلَيْتُ طَرَفاً من خبَرِ فضلِه وكمالِه .

***

وقد أهْدَى إلىَّ تُحَفاً من أشعاره الغَضَّة ، فأخذتُ من رَاحِها بالمَصَّةِ ومن تُفَّاحِها بالعَضَّة .

فمما جرَّدْتُه منها قوله :

بالله ياريحُ هُزِّى غُصْنَ قامتِه ... وحاذِرِى العارِضَ النَّمَّامَ فى السَّحَرِ

وشَوِّشِى رَوْضَ خَدَّيْه على عَجَلٍ ... ثم انْتَحِى نحو ذاك المَبْسِمِ العَطِرِ

وضَمِّخِى الكونَ من ريَّاه وانْتَهِزِى ... لى فُرْصةً بين ذاك الورْدِ والصَّدَرِ

وعانِقِى قدَّه الزَّاهِى فما لِشَجٍ ... إلَّاكِ شافيةٌ قد جاء فى الخبَرِ

وحدِّثيه بأنِّى فى هَواه لَقًى ... قد حالفتْنِى يدُ الأسْقامِ والغِيَرِ [(١)]

مُبَلْبَلُ البالِ أرْعَى النجمَ مُكْتئِباً ... نَحِيلَ جسمٍ صَرِيعَ الدَّلِّ والحَوَرِ

كأنَّ عَيْنِىَ لاتَهْدِى بها رَمَدٌ ... وأن أهْدابَها قُدَّتْ من الإبَرِ

لعل مَسْراكِ يُطْفِى ماتضمَّنَه ... قلبٌ تَقَسَّم بين الوَجْدِ والفِكَرِ

للهِ أنتِ فكم طَوَّقْتِنِى مِنَناً ... سَحْبانُ فى وَصْفِها يُعْزَى إلى الحَصَرِ

لأشْكُرَنَّكِ ماغَنَّتْ مُطوَّقةٌ ... على الغصونِ بذاتِ الضَّالِ والسَّمُرِ

---

(١) لقى : ملقى مطروح .

وما سرى البَرْقُ وَهْناً من ديارِهِمُ ... وماهَمَى العارضُ الرَّجَّافُ بالمطرِ

***

وقد عارض بها أبيات الطُّغْرَائِيّ ، التي أولها (١) :

بالله ياريحُ إن مُكِّنْتِ ثانيـــةً ... من صُدْغِهِ فأقِيمِي فيـــه واسْتَتِرِي

***

وقوله :

ولقـــد ذكرتُك والنجومُ سَواهِمٌ ... والجوُّ من نَقْعِ السَّلاهِبِ مُظلِمُ (٢)

والحَرْبُ تُسْعِر بالحُروب كُماتها ... والبِيضُ تُنثَر والعــوَالِي تَنْظِمُ

وكأنمـــا خُضْرُ الدُّروعِ مَجَرَّةٌ ... وسَنَا المَغـــافِرِ في سَنَاها أنجُمُ

فغدَوْتُ أقْتحِمُ المَعامِعَ إذْ حَكَتْ ... مَعْـــنَى لحسنِك أبْلَجاً يتبسَّمُ

***

هذا الأسلوب استعمله الشعراء كثيرا .

قال مجنون ليلى (٣) :

ذكرتُك والحَجِيجُ له ضَجِيجٌ ... بمكةَ والقلوبُ لهـــا وَجِيبُ (٤)

مُصْعَب بن زُرارة :

ولقد ذكرتُكِ والمَنِيَّـــةُ بيننا ... تحت الخوافِقِ والقلوبُ خَوافِقُ

الوزير أبو الحسن بن القَبْطُرْنَة (٥) :

---

(١) ديوان الطغرائي ١١٤ . (٢) السلاهب : الطوال من الخيل . (٣) ديوانه ٦ .

(٤) في الديوان : « والحجيج لهم ضجيج » . (٥) في الأصول : « القبطرية » ، والمثبت في المطرب من أشعار أهل المغرب ١٨٦ ، وانظر المعجب ٢٣٧ .

وفي قلائد العقيان ١٤٨ : « القبطرنية » ، وفي المغرب لابن سعيد ١/٣٦٧ « القبطورنه » .
وهو أبو الحسن محمد بن سعيد بن القبطرنة ، كان كاتباً للمتوكل بن الأفطس .

والبيتان في : قلائد العقيان ١٥٤ ، والمغرب ١/٣٦٨ ، وديوان الصبابة ١٨١ دون نسبة .

ذكرتُ سُلَيْمَى وحَرُّ الوَغَى ... بقلبِيَ ساعةَ فارقتُهَا [1]
وأبصرتُ بين القَنا قَدَّها ... وقد مِلْنَ نَحْوِي فقبَّلْتُهَا [2]

أبو طالب الرَّقِّيّ [3] :

ولقد ذكرتُكِ والظلامُ كأنه ... يومُ النَّوَى وفؤادُ مَن لم يَعْشَقِ

عطيَّة السُّلَمِيّ [4] :

ولقد ذكرتُكِ والرِّماحُ تنوشُنِي ... عند الإمامِ وساعدِي مَغْلولُ
ولقد ذكرتُكِ والذى أنا عبدُه ... والسيفُ بين ذُؤابتِي مَسْلولُ [5]

أبو حَيَّان [6] :

ولقد ذكرتُكِ والبحرُ الخِضَمُّ طَغَتْ ... أمواجُه والورى منه على حَذَرِ [7]

مثله لابن رَشِيق [8] :

ولقد ذكرتُكِ فى السفينةِ والرَّدَى ... مُتوقَّعٌ بتلاطُمِ الأمواجِ
وعلَتْ لأصحابِ السفينةِ ضَجَّةٌ ... وأنا وذِكْرُكِ فى ألَذِّ تَناجِي

الصَّفِيّ الحِلِّيّ [9] :

ولقد ذكرتُكِ والجماجمُ وُقَّعٌ ... تحت السَّنابكِ والأكُفُّ تطيرُ
والهامُ فى أُفُقِ العَجاجةِ حُوَّمٌ ... فكأنَّها فوق النُّسُورِ نُسورُ [10]

---

(١) فى القلائد ، والمغرب : « كجسمى ساعة فارقتها » . (٢) فى القلائد ، والمغرب : « وقد ملن نحوى فعانقتها » ، وكذلك فى ديوان الصبابة . (٣) البيت فى ديوان الصبابة ١٨٣ ، وهو فيه لأبى طالب الرفاء . (٤) البيتان فى ديوان الصبابة ١٨٣ . (٥) هـذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

وفى ديوان الصبابة : « والسيف فوق ذؤابتى مسلول » .

(٦) البيت فى ديوان الصبابة ١٨٣ . (٧) فى ديوان الصبابة : « والورى منه على سفر » .

(٨) ديوانه ٤٨ ، ٤٩ ، وديوان الصبابة ١٨٢ . (٩) ديوان الصبابة ١٨٢ ، ١٨٣

(١٠) فى ديوان الصبابة : « فكأنما فوق النسور نسور » .

فظَنَنْتُ أنى فى مجالسِ لَذَّتِى ... والرَّاحُ تُجْلَى والكؤوسُ تدُورُ(١)

وقال أيضا(٢) :

ولقــــد ذكرتُكِ والعَجاجُ كأنه ... مَطْلُ الغَنِىِّ وسوءُ عَيْشِ المُعْسِرِ(٣)

فظننْتُ أنى فى صَباحٍ مُسْفِرٍ ... من ضَوْءِ وجهِكِ أو سَناءٍ مُقْمِرِ(٤)

الطُّغْرائِىّ ، وما أرقَّ قولَه(٥) :

إنِّى لأذْكُرُكم وقد بلَغ الظَّمَا ... مــــنِّى فأشْرَقُ بالزُّلالِ الباردِ

وأقولُ ليت أحِبَّتِى عايَنْتُهمْ ... قبل المَماتِ ولو بيومٍ واحــــدِ

أبو عَطاء السِّنْدِيّ(٦) الحماسِيّ(٧) :

ذكرتُكِ والخَطِّىُّ يخطِر بَيْنَنـــا ... وقد نهِلتْ مِنَّا المُثَقَّفَةُ السُّمْرُ(٨)

مثله(٩) :

وإنى جُلْتُ فى جيشِ الأعادِى ... برُمْحِى وهْـــو فى فكرِى يجُولُ

---

(١) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى ا ، ج . (٢) ديوان الصبابة ١٨٢ . والبيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج (٣) بعد هــذا فى هامش ا : « ومن هــذا القبيل قول عنترة العبسى :

ولقد ذكرتُكِ والرِّماحُ نَواهِلٌ ... مِنِّى وبِيضُ الهِنْدِ تَقْطُرُ من دَمِى

فوَدَدْتُ تقْبيلَ السيوفِ لأنها ... بَرَقَتْ كبارِقِ ثَغْرِكِ المتبسِّمِ »

وهو كلام مقحم كما ترى .

(٤) فى ا : « فى هياج مسفر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، ديوان الصبابة ، وفى ديوان الصبابة : « أو مساء مقمر » ، وهو أولى . (٥) ديوان الطغرائى ١٠٨ ، وديوان الصبابة ١٨١ .

(٦) فى ب : « السندسى » ، وهو خطأ صوابه فى : ا ، ج .

واسم أبى عطاء أفلح بن يسار ، وقيل اسمه مرزوق .

من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، وهو شاعر فحل .

انظر سمط اللآلى ١/٦٠٢ ، الشعر والشعراء ٢/٧٦٦ .

(٧) البيت فى ديوان الصبابة ١٨١ . (٨) فى ديوان الصبابة : « وقد نهلت منى » .

(٩) فى ا ، ج : « وله » ، والمثبت فى : ب ، وفى ديوان الصبابة ١٨١ ، ١٨٢ أن البيت لابن تميم وقبله قوله :

ألا مَن يُبلِغ المحبوبَ أنى ... وقفتُ والظُّبَى حولى صَليلُ

مُجير الدِّين بن تميم :

ولقد ذكرتك حين أنكرت الظُّبا أغمادَها وتعارفتْ فى الهام
والنَّبلُ من خَلَلِ الغبارِ كأنه مُنْهَلُّ قَطْرٍ من فُروجِ غَمام
فاستَصْغَرتْ عيناىَ أفواجَ العِدَى والموتُ خَلْفِى تارةً وأمامِى

ابن مَطْرُوح[1] :

ذكرتُكمْ والعَوالِى فى الطُّلَى تَرِدُ فى مَوْقِفٍ فيه يَنْسَى الوالدَ الوَلَدُ[2]
ومانسيْتُكِ والأرْواحُ سائلةٌ على السيوفِ ونارُ الحربِ تَتَّقِدُ

وقال أيضا[3] :

ولقد ذكرتكِ والصَّوارِمُ لُمَّعٌ من حَوْلِنا والسَّمْهَرِيَّةُ شُرَّعُ
وعلى مُكافحةِ السيوفِ فى الحَشَا شَوْقٌ إليكِ تَضِيقُ عنه الأضْلُعُ[4]
ومن الصِّبا وهَلُمَّ جَرًّا شِيمَتِى حِفظُ العهودِ فكيف عنها أرْجِعُ[5]

---

(١) الأبيات فى ديوانه ١٩٦ . (٢) فى الديوان : « أصدرتها والعوالى فى الطلى ترد » .

(٣) ديوان ابن مطروح ١٩٥ ، وفى ديوان الصبابة ١٨٢ أن الأبيات لابن تميم .

(٤) فى ا : « تضيق منه الأضلع » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وفى الديوان :

وعلى مُكافحةِ العَذُولِ فى الحَشَا نارٌ إليكِ تفيضُ منها الأضْلُعُ

وفى ديوان الصبابة : « وعلى مكافحة العدو » .

(٥) فى الديوان : « هذا الوفاء فكيف عنه أرجع » ، وفى ديوان الصبابة : « حفظ الوداد » .

## ٣٠٩

## عبد الله بن حسين بن محمد
## بن أحمد بن مبارك بن
## طَرَفة السّالميّ

ابن طَرَفة طُرْفة طَرْف ، لم يُهْجَر منه للبَراعة طَرْف .

فهو الشاعرُ الظريف ، الحائزُ من الكمال التّالِد والطّرِيف .

تجمّل بأهْداب الآداب ، تجمُّلَ الأجفانِ بالأهْداب .

فأقلامُه تصُوغ الدّرارِي ،

وقراطِيسُه يضُوع منها الدّارِيّ (١) .

بعباراتٍ عَنْبَرِيّة ، وإشاراتٍ عَبِيرِيّة .

***

فدُونك منها أزهار (٢) رياضٍ بعَرْفِ النّشَق تتَنَسّم ، ولآلِىء ثغورٍ عن ماء الحياة تتبَسّم .

فمنها ما كتبه إلى أحمد الخَلِّيّ (٣) المذكور آنفا :

مَن لقلبٍ دائمِ الحَزَنِ    ليس يخلُو الدهرَ من شَجَنِ

ضاق ذَرْعاً بالهمومِ فهل    ماجِدٌ يُنْجِى من المِحَنِ

يشتكى الدهرَ علَّ عسَى    يلتجِى منه إلى سَكَنِ

قد أضاعَ الوقتَ فى نَفَرٍ    كالرّياضِ الخُضْرِ فى الدِّمَنِ

---

(١) أى المسك الدارى ، نسبة إلى دارين ، فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند .

(٢) فى ا : «أزاهر» ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٣) تقدمت ترجمته برقم ٣٠٧

ظـــاهراً راقُوا وقد خَبُثُوا    باطناً فَعْماً مِن الإحَنِ[1]
وغَنُوا بالمالِ عن أدبٍ    وبهم فَقْرٌ إلى الرَّسَنِ[2]
وغَــدَوا عارِين من حَسَبٍ    واكْتَسَوا بالقُبْحِ والدَّرَنِ
فأنا ما بين أظْهُرِهـــمْ    كغريبِ الدَّارِ والوَطَنِ
صــابرٌ عَلَّ الزمانَ يفِي    بصديقٍ قَــطُّ لم يَخُنِ
وهْـو فى ظَنِّى ابنُ قاسم لا    خَيَّبَ المَوْلَى به ظَـنِّنى
أحمدُ المحمــودُ سيِّدُنا    مالكُ الأفضـالِ والمِنَنِ
من تسامَى أن يُحِيطَ به    وَصْفُ مِنْطِيقٍ من اللَّسَنِ
فاضـلٌ لم يَأْلُ مجتهداً    فى طِلابِ المجـدِ ليس يَنِى
فاق فى فضـلٍ أُبُوَّتَهُ    وجَرى منهم على السَّنَنِ
وهمُ أبنــاء مَحْمَدَةٍ    فِعلهم يَرْوِى عن الحَسَنِ
شهدتْ فى ذا فضـائلُه    وعرَفْنـا العِرقَ بالغُصُنِ
ياشهابَ الدين صِـغْ لفتًى    وُدُّه باقٍ على الزَّمَنِ
ليس يرجُو منك غـيرَ وَفاً    فاشْتَرِ عَبْـداً بلا ثَمَنِ[3]
بيننــا فى وُدِّنا نَسَبٌ    ليس يخفَى ذا على فَطِنِ
واحْتَكِمْ ما شئتَ فيه على    وَفْقِ ما ترضَى له تَـكُنِ
وابْقَ واسـلَمْ ما تَغَنَّى فى    سَحَرٍ طـيرٌ على غُصُنِ

وأتْبعه بنثرٍ صورتُه :

يا سيدىَ الأعْلَى ، وكَنْزِىَ وشِهابِىَ الأسْنَى ، وروضَتِى الغَنَّا .

---

(١) الفعم : الممتلىء .    (٢) الرسن : الحبل تشد به رأس الدابة .

(٣) فى الأصول : « فاشترى » ، وفى ا : « فاشترى العبد » ، والمثبت فى : ب ، ج .

دام عُلاك ، وهُدِم بناء عِداك .

ولا زِلْتَ مأمونَ الغوائِل ، مُعتمَد الوسائل ، يُوسُفِيّ الصَّباحةَ ، حاتِميّ السَّماحة .

فَلَكِيّ التأثير ، قَمَرِيّ التصْوير .

إبراهيميّ الْوَفا ، مُحَمَّدِيّ الأخلاق والصَّفا .

أنت راءُ الرِّضا وعينُ العطايا  أنت تاء التقى وصادُ الصَّلاحِ

أنت واوُ الوفا وميمُ المَعالِي  أنت كافُ الكمالِ سِينُ السَّماحِ

المُوجِبُ لتسْطير هذه الخدْمة عِلْمُكم بأنه لا بُدَّ للإنسان من خِلٍّ يسكُن إليه ، فيشكو إليه حُزْنَه ، وينتصِر به على مَن ظَلَمه ، ويتوصَّل به إلى ما يشُقّ عليه بُلوغه بمُفرَدِه .

والمملوكُ قد تقرَّب إليك ، وعوَّل عليك ، ورضِيَ بك مالكا فهل ترْضَى به مملوكا ، وتأخُذ منه بذلك وثائقَ وصُكوكا .

(1 يراك كالشيخ إجْلالا ، وكالوالد إكراما ، والولدِ حُنُوّا وإشْفاقا .

ويلتمسُ منك ثلاثة أمور 1) ، وأنت الآمرُ بذلك (2 لا المأمور 2) :

أولها : حفظُ الوُدِّ في الغَيْبة والحضور .

ثانيها : عدمُ سَماع كلام الواشِي والغَيور .

ثالثُها : رَفْعُ سُجُفِ الحِشْمة وطَيُّ بِساط الكلف[3] في القَبْض والسُّرور .

هذا ما أحاط به عِلْمُك ، فرُبَّ أخٍ لم تلِدْه أمُّك .

* * *

فكتب إليه مجيبا :

ذِكْرُ الماضِي من الزمَنِ  خفَقانُ البارقِ اليَمَنِي

(1) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .  (2) في ج : « والمأمور » ، والمثبت في : ا ، ب .

(1) في ا : « التكلف » ، والمثبت في : ب ، ج .

فهمت من مقلتي ديم ... نيلها أشفقت يغرقني

يا نزول السفح من إضم ... بعدكم أفنى قوى بدني (١)

حبذا أيامنا وبكم ... كانت الأقدار تسعدني

حيث وجه الدهر منبلج ... وخيول اللهو ليس تني

وسرابيل الصبا قشب ... لم تمزقها يد المحن

ليت شعري والرجا طمع ... بكم الأيام تجمعني

يا ديار الأنس جادك من ... فيض دمعي هامل المزن

إن أكن قد بنت لا برضا ... ففؤادي عنك لم يبن

آه كم من ليلة سلفت ... فيك محفوظا من الحزن

ليس ينسيني تذكرها ... غير مدح المصقع اللسن

فاضل العصر الذي يده ... حلت الأجياد بالمنن

من به الآداب قد فخرت ... وبدت في منظر حسن

يدرك الأشيا بفطنته ... وذكاه وهي لم تكن (٢)

فكره كم حل مشكلة ... وقفت عنها ذوو الفطن

عمدتي في كل نازلة ... جردت نحوي ظبا الفتن

يا عفيف الدين عبد هوى ... بك لم يغدر ولم يخن

قمت تدعوه بمفردة ... أصبحت كالقرط في الأذن

فاختبرني يا أبا حسن ... ترني المخبور بالحسن

وتقبل مدحة برزت ... من شج ناء عن الشجن

جمدت أفكاره زمنا ... فرمي بالعي واللكن

---

(١) إضم : ماء يطؤه الطريق بين مكة واليمامة ، عند السمينة ، تقدم ذكره .

(٢) في ا : « يدرك الأحياء » ، والمثبت في : ب ، ج .

رفَض الأشعارَ عنه فلو وَزَنُوا الأموالَ لم يَزِنِ
دُمْتَ سَمّا للعِدَى سنداً لِيَ يا أطْرُوفةَ الزَمنِ

---

لو دَعاني من غيرِ أرْضِك داعٍ لغَرامٍ لكنتُ غيرَ مُلَبِّي

وأمّا أنت أيها الأخُ الشقيق . والصديقُ الشَّفيقُ .

سَمْعاً لأمرِكَ الواجبةِ إطاعتُه المفروضةِ إجابتُه ، المتنعةِ مُخالفتُه ، المستحيلةِ مُجانبتُه .

لو قيل تِيهاً قِفْ على جمرِ الغَضا لوقفْتُ ممتثِلاً ولم أتوقّفِ

كيف وقد دعوْتني إلى شيء أتمنّى حصوله ، وأترقّب وصوله .

وكنت أرى نَيْلَه كالمستحيل للسائل ، وطالما قلتُ : أين الثُّرَيّا من يدِ المتناوِل .

فظهر لي قيامُ الحظِّ بعد قعودِه ، وتبدُّلُ نحوسِه المُلازمة بسُعودِه .

وطفِقْتُ أسحبُ ذيل الإعجاب مَرَحا ، وتزايدَ بي السرورُ حتى بكيتُ فَرَحا .

يا قلبُ قَرَّ فمن تُحِبُّ م أتى على وَفْقِ المُرادِ

فثِقْ مني بخُلوصِ وُدٍّ لا يشوبه غِشُّ الانفِصام ، حتى تفارق بعدَ[1] العمرِ الطَّبيعيّ أرواحُنا الأجْسام .

ألْقِني في لَظًى فإن غيّرتْني فتيقّنْ أني لستُ بالياقُوتِ

والله المسئول أن يجعلَ عيونَ الحاسدين عنّا نائمة ، ويرزقَنا والمسلمين حُسْنَ الخاتمة .

* * *

---

(١) في ا : « به » ، والمثبت في : ب ، ج .

وكتب إليه ، وقد وعده بمُشْتَرَى تَمْرٍ له :

يا مالكَ الفضلِ ويا خِلّ الأدبْ ويا كريمَ الأصلِ يا فخرَ العرَبْ
طال اشتياقِي فاستمعْ مَقَــالِي لخضْمِ تَمْرٍ كالزُّلالِ حالِي(١)
شبّهتُه لم أعْـــدُ فى تشبيهِهِ طريقةَ القَصْدِ لدَى مُرِيدِهِ
مَخازنٌ من العقيقِ نَبَتَتْ أقفالُها من النُّضارِ جُعِلَتْ
أو أنْمُلاتٌ للغوانِي طُلِيَتْ بالزّعفرانِ أُعجبتْ وفَتَنَتْ
وأكْؤُسًا من النضارِ الصّافِي تشرَبُهـــا وخِلُّك المُصافِي
كأنه خُلْقُك فى حَلاوتِهْ ولفظُك الباهِرُ فى بَراعتِهْ
يا حُسْنَه حين يُرَى فى أدَمِهْ يُوجِدُ شخْصَ الجوع بعد عَدَمِهْ
أحببْتُه حُبَّ الصغيرِ أُمَّهْ ولا عجيب حُبُّ ابنِ العَمَّهْ
فانعَمْ به دُمْتَ مدَى الدهورِ تسحبُ ذيلَ الأنسِ والحُبورِ
إلى مَعاليك العُلى ينتسبُ ومن أياديك النّدَى يُنْتخَبُ
نِميــــلُ فى مَطْلبِنا عليْكَا وتلتقِي آمالُنــــا لدَيْكَا

***

فكتب إليه :

يا عُمْدَتى فى الصَّحْبِ والخِلّانِ وعُدّتِي إذا عدَا زمانِي
وطِبَّ دائى ودواءَ جُرْحِي وعينَ أعْيانِي ورَوْحَ رُوحِي
وصارِمِى الصّارِمَ للأعداءِ وسَطْوتِي عنـــد لِقَا الهيْجاءِ
يا مَنْهَلَ الفضلِ ويُنْبوعَ الأدبْ وبحْره المُلْقِي إلينا بالعجَبْ
إليك ما كنتُ به وَعَدْتُ وإن أكُنْ أبطأتُ ما أخطأْتُ
فالعُذْرُ يا مولاىَ ما رأيْتَا فكُن لعُذْرِي قابِلًا بقِيتَا

---

(١) الخضم : الطحن بأقصى الأضراس .

وها كَهَا كوَجْنَةِ الحِسانِ  في اللَّوْنِ أو كحُمْرَةِ الدِّنانِ
كأنه صِيغَ من العَقيقِ  وطَعْمُهُ كرِيقَةِ المَعْشُوقِ[1]
إذا شققْنا الطَّرْفَ عنـــه يبْدُو  بَيْضٌ من النُّضارِ فيــــه نَدٌّ
من ذاقه عافَ مَذاقَ الشُّهْدِ  والضِّدُّ يبْدُو فضلُه بالضِّدِّ
فـكُلْ هَنيًّا ياشقيقَ رُوحِي  وعِشْ مُعَمَّرًا كعُمْرِ نُوحِ



(١) في ا : « كأنه صبح من العقيق » ، والمثبت في : ب ، ج .

## ٣١٠

## السيد محمد بن حيدر بن علي

فَرْعٌ من أشرفِ نَبْعة ، نَمَت في أشْرف بُقْعة .

فهو في بيت الشَّرَف شمسٌ ذاتُ إشْراق ، وفي رَوْض الأدبِ غُصْنٌ تتفكَّه منه بثمار وتتفيَّأُ بأوْراق .

فوجْهُ أدبِه سافِر ، وحَظُّه من البراعة وافِر .

إذا جرى في مِضْمارِ قصَّر مُجاريه ، وإذا بَرَى أقْلامَه فلا أحدَ يُباريه .

مع ما خَصَّه اللهُ من شمائل ، أرَقَّ من الشَّمُول وألطفَ من الشَّمال ، وخلائقَ أشهى من طِيب الوِصال ، وأوْقَع من مُوافقةِ الآمال .

***

وقد اجتمعتُ به فرَعتْ عيني منه في مَرْعًى خَصِيب ، واستطلعتْ نفسي منه مَطْلَعًا له من الحُسْن أوْفَرُ نَصِيب .

فشاهدتُ من نَباهتِه ولُطْف رَوِيَّته وبَداهتِه ، ما تملَّك قلبي ، واستأثَر في أن يخْلِب خِلْبِي[١] ويسلُب لُبِّي .

وحَباني من أشْعاره بكلِّ مَقْصِدٍ نامِي الغِراس ، وكلِّ مَخِيلةٍ خامَرَتْ العقلَ لأنها جاءتْ من أكرمِ بيتٍ رَاس .

فمن ذلك قوله :

نسيمٌ سرَى عن شِيحِ نَجْدٍ ورَنْدِهِ ... وبَرْقٌ شَرى من غَوْرِ نَجْدٍ ونَجْدِهِ[٢]

فذلك مُورٍ نارَ شَوْقي بزَنْدِهِ ... وهذا مُثيرٌ حَرَّ وَجْدِي ببَرْدِهِ

وأذْكَرَني صَوْبُ الغمامِ مَدامِعِي ... لتجْرِي وذِكْرُ الشيء يجْرِي بِنِدِّهِ

(١) الخلب : حجاب الكبد.   (٢) شرى البرق : لمع وكثر لمعانه .

ولولا الهوى إن كنتَ تعلمُ ما الهوى    لما زلزلتْ قلبي زماجرُ رعدِهِ

ووُدّي لظبيٍ بالصريمةِ رائعٍ    وفي بعض أفعالي وفيتُ بوُدِّهِ

فيُنبتُ دمعي كلَّ بقلٍ بروضِه    ويحرق مرعاه زفيري بوقدِهِ

أُحبُّ عذولي حين ينطق باسمِه    وأبغضُ مرآه وفاءً بعهدِهِ

وأظهر من خوفِ الوشاةِ سُلُوَّه    وإن كان لي قلبٌ ينادي بضدِّهِ

وأقصد بُعدي يقظةً عن مزارِهِ    وإن لم أُحبَّ النومَ إلا لقصدِهِ

ويلهجُ نُطقي بالعُذيبِ وحاجرٍ    ويعدِل عن ذكرى حِماه بجُهدِهِ

وفي كلِّ عضوٍ لي لسانٌ مُوَلَّعٌ    بذكراه في قلبِ المزارِ وبُعدِهِ

فهذا وفائي في الهوى بحقوقِه    فهل أرتجي منه الوفاء بوعدِهِ

وكم بالرُّبى صبٌّ صبا بالذي سبا    فؤادي ولم يَمنُنْ عليَّ بردِّهِ

من العُرْبِ طفلٌ دأبُه اللهوُ عابثٌ    بطفلِ سوادِ العينِ في مهدِهِ سُهدِهِ (١)

وهبتُ له روحي وأعلمُ أنه    يصدُّ لكي أحظى بلفتةِ جيدِهِ (٢)

ونيلُ رضاه منتهى ما أرومُه    وما عاشقٌ من لم يقفْ عند حدِّهِ

أقول هو المولى المطاعُ مُمنّيًا    لنفسي بأني عند رُتبةِ عبدِهِ

ووِردُ اللَّمى المعسولِ عزَّ وطالما    حلا بفمي طعمًا تخيُّلُ وِردِهِ (٣)

وإن كنتُ في روضٍ تحاشيتُ أن أرى    جَنى وَردِهِ للاحترامِ لخدِّهِ

وإن مال غصنٌ فيه أغضيتُ هيبةً    كفعلي إذا ما ماس مائسُ قدِّهِ

وأقطعُ أن الروضَ إذْ كان فيه ما    يُشابهُه يسمو بطالعِ سعدِهِ

وذُلُّ الهوى عِزُّ الكريمِ وإن غدا    مليكًا جليلَ القدرِ ما بين جُندِهِ

هو الحبُّ إن رُمتَ الخَاضَ ببحرِه    وإلّا دعِ التيّارَ واقنعْ بثمدِهِ (٤)

* * *

(١) الطفل : الناعم .    (٢) في ب ، ج : « بلفتة صدره » ، والمثبت في : ا .

(٣) في ا : « تخيل ورده » ، والمثبت في : ب ، ج .    (٤) الثمد : الماء القليل .

وله معارضا :

* قُلْ للمليحة فى الخمار الأسْودِ *

قُلْ للمليحةِ فى القِناعِ المُصْفُرِى ... ياشمسُ ها شَفَقُ الشروقِ فأسْفِرِى

ولكِ الأمانُ من اللِّحاظِ إذا ارْتَمَتْ ... إن الشُّعاعَ يصُدُّ طَرْفَ المُبْصِرِ

أوَما اكْتفيتِ بورْدِ خدِّك روْضةً ... عن رَوْضِ وَرْدِىِّ اللِّباسِ المُزْهِرِ

هذا القِناعُ سَما بفَرْقِك مَفْخَراً ... عن مِغْفَرٍ قد ضَمَّ هامَةَ قيْصَرِ (١)

وخَطَرْتِ فى مَوْشِيَّةٍ ذَهَبِيَّـــةٍ ... قد جانسَتْكِ بلوْنِهـــا فى المَنْظَرِ

وبديعُ حُسنِكِ قد تناسَب عندما ... راعَى نَظِيراً فى المُحَيَّا الأنْضَرِ

أرأيتِ حين خطَرْتِ فى رَمْلِ الحِمَى ... مابين بَانِ لِوَى الكثيبِ الأعْفَرِ

فتأوَّدتْ أغصـــانُه وتستَّرتْ ... بالأيْكِ من خَجَلٍ ولاتَ تستُّرِ

كم أصْيَدٍ ملكتْ يمينُك رِقَّهُ ... فأتَى إليك بذلَّةِ المُستأسِرِ (٢)

مافى الحِمَى إلَّا مَـــوالِى طاعة ... فتملَّكِى أو دبِّرِى أو حرِّرِى (٣)

***

وله :

جادتْ غَـــوادِى المُزْنِ رَبْوةَ لَعْلَعٍ ... بهَواطِلٍ تَهْمِى بذاكَ المَرْبَعِ (٤)

واخْضَرَّ روْضُ جَنابِهـــا وتأرَّجتْ ... حُلَلُ النَّسيمِ بنَشْرِه المُتضوِّعِ

ياطِيبَ أوقاتٍ مضتْ بربُوعِهـــا ... والشَّمْلُ مُلْتئِمٌ بهـــا لم يُصْدَعِ

---

(١) فى ا : « عن مفخر قد ضم » ، والمثبت فى : ب ، ج .

والمغفر : الزرد يلبس تحت القلنسوة فى الحرب .

(٢) فى ب : « ملكت يمينك رقة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ا : « فتملكى أو أدبرى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

ودبر عبده : أعتقه بعد موته . المصباح المنير ( د ب ر ) .

(٤) لعلع : جبل ، وقيل : منزل بين البصرة والكوفة . معجم البلدان ٤/ ٣٥٩ .

حيثُ الزمانُ مُسالِمٌ ماراعنا ... ببعادِ خِلٍّ أو فِراقِ مُوَدِّعِ

وصُروفُه فى غفلةٍ وصَفاةُ طِيـ ... ـبِ وِصالِنا بخُطوبِه لم تُقْرَعِ

ياسادةً بِسوى عُقودِ عُلاهمُ ... ماانُظِمتْ دُرَرُ الفَخارِ بمَجْمَعِ

وبغيرِ أُفْقِ مديحِهم ما أشرقتْ ... شمسُ البلاغةِ بالسَّنا المُتقشِّعِ

إنى لأعجَزُ أن أبُثَّكمُ من الْ ... أشواقِ ماضمَّتْ عليه أضْلُعِى

قلبى من الصبرِ الجميلِ لبُعْدِكمْ ... أضْحَى خَلاءً كالديارِ البَلْقعِ

حَلَّ السُّهادُ بجَفْنِ عَيْنِى قاطِناً ... مُذْ سار عنه ظَعْنُ نَوْمِى المُزْمِعِ

ولقد رَقمْتُ سطورَ طِرْسِ رسالتى ... وتكاد تمحوها هَوامِى الأدْمُعِ

وبعثْتُها لتفوزَ فى تقبيلِها ... أقدامَكم بذُرَى المَحَلِّ الأرْفَعِ

فى طيِّها نَشْرُ الثَّناءِ يحفُّه ... إهْداءُ مِسْكِىِّ السَّلامِ الأضْوَعِ

وَافتْ تُهنِّيكم بُلوغَ مُناكمُ ... بزيارةِ الدَّاعِى الشفيعِ إذا دَعا

وبما حَوَيْتُم من جَزيلِ الأجْرِ إذْ ... شمِلتْكمُ بركاتُ ذاكَ المَضْجَعِ

دام الهناءُ لكم ودام لنا الهنا ... بكمُ ودُمْتم فى النَّعيمِ المُمْرِعِ

***

وله من قصيدة ، أولها :

رِقِّى لِصَبِّكِ ياسعادُ ودارِكِى ... وَلْهانَ ينْدُب رسمَ دارسِ دَارِكِ

جُودِى عليه فى المَنامِ بزَوْرةٍ ... إن لم تجُودِى يَقْظةً بوِصالِكِ

هيهاتَ يغْشَى النومُ جَفْنَ مُتيَّمٍ ... عُقِدتْ عُرَى آمالِه بحِبالِكِ

مازال ذِكْرُكِ دائراً فى بالِه ... أتُراه يخطِر ذِكْرُه فى بالِكِ

اللهُ حَسْبُكِ كم تصُول بمُهْجتِى ... جَفْناكِ بالعَضْبِ الجُرازِ الفاتِكِ (١)

وتهُزُّ قامتُكِ القَويمةُ ذابِلاً ... يسْطُو بطَعْنٍ فى الحَشا مُتدارِكِ

---

(١) الجراز : « السيف القاطع » .

أو ما قنِعْتِ وبعضُ ما بى مُقْنِعٌ ... بِنَحِيلِ جسمِى والفؤادِ الهالكِ
يا رَبَّةَ الخِـــدْرِ التى تَهْفُو له ... فى الحبِّ أفئدةٌ تنالُ منالكِ
هَلَّا رحِمْتِ وليس عندكِ رَحْمةٌ ... صَرْعَى هواكِ بنَظْرةٍ لجمالكِ
مالى ومالكِ كلَّما جذَب الهوى ... قلبى إليكِ صَدَدْتِ يا ابْنَةَ مالكِ
حتَّى مَ أمْلِكُ كَتْمَ حبِّكِ فى الحشَا ... وهُمولُ دمعى ليس بالمُتَمالِكِ
وإلى مَ أَلهجُ بالعُذَيْبِ وبَارِقٍ ... وأغُضُّ طَرْفِى عند ذِكْرِ دِيارِكِ
أنتِ المُرادُ برَغْمِ كلِّ مُعارِضٍ ... قَوْلًا صحيحًا لستُ فيـــه بآفِكِ
قسمًا بمَنْظرِكِ الجميـــلِ وطَرْفِكِ الْ ... غَنِجِ الكَحِيلِ وسَلْسَبيلِ رُضابِكِ
وبورْدِ وَجْنتِكِ النَّضِيرِ وبدرِ طَلْـ ... عَتِكِ المُنِيرِ بلَيْـــلِ فَرْعٍ حالكِ
وبدُرِّ مَبْسَمِكِ النَّظِيمِ وكَشْحِكِ الـ ... رِفِ الهَضِيمِ ومُسْتقِيمِ قَوامِكِ
وبذِمَّةِ العهدِ القـــديمِ وحُرْمَةِ الْ ... وُدِّ المُقِيمِ بقلبِىَ المُغْرَى بِكِ
إنِّى على عهـــدِ الغرامِ وشاهدِى ... ما تَشْهدِينَ من السَّقامِ النَّاهكِ
قلبى بحفظِ الوُدِّ قد عَوَّدْتُه ... فلِمَا تقرَّر فيـــه ليس بتارِكِ

***

وله فى الغزل :

آهِ يا عبدَ الهوى ما أَحْمَلَكْ ... هكذا يحكُم فاصْبِرْ مَن مَلَكْ
وَيْكَ يا قلبُ تكلَّفْ جَلَدًا ... رُبَّ قلبٍ رَقَّ عِشْقًا فهلَكْ (١)
كيف لى فيكَ ومَن ينْفعُنِى ... آهِ لا بل فِىَّ قُلْ لى كيف لَكْ
يا فؤادى لكَ عقلٌ عاذِرٌ ... كنتَ صعبًا والهوى قد ذَلَّلَكْ
هَبْكَ فى الدهرِ أرِيبًا حازمًا ... أنا أدْرِى بالدَّهَا مَن خَتَلَكْ
إنَّما غرَّتْكَ أحْداقُ المَهَا ... نصرَ اللهُ بها مَن خَذَلَكْ

(١) فى ا « ويك قلبي تكلف جلداً » ، والمثبت فى : ب ، ج .

يا عَذُولِى العشقُ داءٌ مُعْضِلٌ    بالذى عافاكَ خَفِّفْ عَذَلَكْ
الهوى رُشْدِى فدَعْ نُصْحَكَ لى    فلقــد أضللتَ فيه سُبُلَكْ
لم تزلْ منذ زمانٍ جاهدًا    هل رأيتَ السمعَ يوما قَبِلَكْ
يا شقيقَ البدرِ يا تِرْبَ المَهَا    مَن كَساكَ النُّورَ أو مَن كَحَّلَكْ
إن يكُنْ يُشْبِهُكَ البدرُ سَنًا    فعــلى مثلِكَ ما دار الفَلَكْ
مَن بأشراكِكَ قسْرًا صادَنِى    أنتَ فاعْذِرْ عارفًا ما سأَلَكْ
إن تقُلْ إنِّى مَليكٌ فى الهوى    جارَ فى الحُكْمِ أقُلْ أنّى مَلَكْ
قلتُ دَبِّرْنِى فإنِّى هالِكٌ    قال من دَبَّرَ عَبْدًا ما مَلَكْ
وَيْحَ مَن كُلُّ مُناه وَصْلُه    أىُّ وَادٍ فى الأمانى قد سَلَكْ
أخذَ الرُّوحَ وولّى بَرِمًا    أخْذُ رُوحِى لم يهُونْ مَلَلَكْ (١)
يا أخا الصَّهْباءِ فى رِقَّتِه    مَن على قَسْوةِ صَلْدٍ جَبَلَكْ
كان لى قلبٌ فأفناه الجوَى    أعْظَمَ اللهُ لِىَ الأجْرَ ولَكْ

***

وله :

لولا مُحيّاكَ الجميــلُ المَصُونْ    ما كنتُ أُجْرِى من عيونى عُيُونْ
ولا عَرفتُ السُّقْمَ لولا الهوى    ولا تباريحَ الجوَى والشُّجونْ
كم وقفــةٍ لى فى طُلولِ الحِمَى    رَوَّى ثَراها صَوْبُ دَمْعِى الهَتُونْ
يا رَبْعُ خَيِّرْ لا جَفاكَ الحَيَا    وَلْهانَ لا يعرفُ غَمْضَ الجفونْ
هل كنتَ مَغْنًى للغزالِ الذى    إليــه أصْبُو والتَّصابى فُنُونْ
وأشرقتْ فيك شُمُوسُ الضُّحَى    من فوقِ قاماتٍ تفوقُ الغُصونْ

(١) فى ج : «وولى بربه» ، والمثبت فى : ا ، ب ، وفى ا : «أخذ الروح» ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى ب : «لم يهون ملكك» ، والمثبت فى : ا ، ج .

مِن كلِّ غَيْداء إذا أسْفَرَتْ   يجْلُو مُحيَّاها ظلامَ الدُّجونْ
سُيوفُ لَحظِها إذا جُرِّدتْ   تُغمَد من أحْشائنا في جُفونْ
وعامِلُ القامةِ تسطُو به   فينا إذا ماسَتْ بأيْدِي المَنُونْ
والشَّامةُ السَّوداء في خَدِّها   تُعلِّمُ الصَّبَّ فنونَ الجنُونْ
مَنيعةُ الحجْبِ فنَيْلُ اللِّقـــا   منها بَعيدٌ عن مَرامِي الظُّنونْ
حَسْبُكَ لَوْمًا يا عَذُولِي اتَّئِدْ   إنِّي لِعَهْدِي في الهوى لا أخُونْ
لا تطْلُبِ السُّلْوانَ من وَامِقٍ   فذاك شيءٌ أبدًا لا يكون
فدَعْ سُكارَى كأسِ خمرِ الهوى   ياصاحِ في سَكْرتِهمْ يَعْمَهُونْ[1]
ظنُّوا اتِّباعِي للهوى ضَلَّةً   وهم ارُشْدِي فيـــه لا يعلمونْ
أما ووَجْدِي يا أُهَيْلَ اللِّوَى   وعهدِيَ الباقِ وسِرِّيَ المَصُونْ
وما لهم من مَنْزِلٍ عامِرٍ   بسَفْحِ قلبي هُمْ به نازِلُونْ[2]
وطِيبِ أوْقاتٍ مَضَتْ بالحِمَى   لفَقْدِها تَذْرِي الدموعَ العُيونْ
لقـد أطعْتُ الحبَّ في حُكْمِه   ومِلْتُ عن طُرْقِ الأُلَى يَعْذِلُونْ
بذَلْتُ فيـــه مُهْجتِي طائِعًا   وبَذْلُها في الحبِّ عندي يَهُونْ

***

ومن نُتَفِه ومَقاطيعه، قوله مُصدِّرًا ومُعجِّزاً :

لمَّـا سرقْتُ بناظرِي مِن لحْظِهِ   خُلَسًا من اللَّحظاتِ بالآماقِ[3]
وجَنَيْتُ خَدًّا إذْ جنَيْتُ برَوْضِهِ   وَرْدًا حَمَتْه صَوارِمُ الأحْداقِ
قطَع السكرَى عن ناظِرِي مُتعمِّدًا   فوصَلْتُه بالمَدْمعِ المُهْراقِ
كيْلا يقولَ النـاسُ إنَّك سارِقٌ   والقَطْعُ حَدُّ جِنايةِ السُّرَّاقِ

***

---

(١) في ا : « ياصاح في خمرتهم » ، والمثبت في : ب ، ج .   (٢) في ا : « وهم به نازلون » ، المثبت في : ب ، ج .   (٣) في ا : « من لحظة » ، وفي ج : « بناظري من ناظري » ، والمثبت في : ب

وقوله مُصدِّرًا أيضا :

وَلَمَّا رَقمتُ الطِّرسَ أشفقَ ناظري ... ومانَعَ من سَبْقِ الكتابِ إلى الوَصْلِ
وقال لِيَ احكُمْ أنتَ بالحقِّ بيننا ... وقال لِخطِّي سوف أمحوكَ بالهَطْلِ
كِلانا سَوادٌ في بَياضٍ فما الذي ... يُمَيِّزُكَ والأهدابُ في مَوْضعِ الشَّكْلِ
وهل ما أقاسِي من سُهادٍ ومَدْمَعٍ ... خُصِصْتُ به حتى تُشاهِدَهم قَبلِي

***

وقوله :

وحقِّكَ يا كُلَّ المَرامِ أنا الذي ... جعلتُ له حِصْنَ اليَقينِ مُقاما
لأنكَ قد عوَّدْتَه لُطفَكَ الذي ... إذا زار لم يطرُق كَراهُ لِماما
ولم يكُ مَنْسيًّا لديكَ بحالةٍ ... ولا منكَ يخشَى غفلةً وسآما
فكم آيةٍ أظهرْتَها إثرَ آيةٍ ... أيَعْمَى لها ذُو اللُّبِّ أو يتعامى
ومَن كان ذا أرضٍ سقى بِذْرَها الحَيَا ... فقد حاز مَحْصولَ الزُّروعِ وساما
ومن يكُ في مَهْدِ العِنايةِ وادِعًا ... يزِدْ عند تحريكِ الخطوبِ مناما

***

وقوله :

وكأنما الثَّغْرُ الشَّهِيُّ رُضابُه ... ضِمْنَ الشِّفاهِ مع الوِشامِ الأخضرِ
دُرٌّ نَضِيدٌ ضِمْنَ حُقِّ زَبَرْجَدٍ ... وله غِطاءٌ من عَقيقٍ أحمرِ

***

وقوله :

وباكيةٍ إذ وَدَّعتْنِي وقد بدَتْ ... بوجهٍ لهتْكِي في المَحبَّةِ سافرِ
جرى دمعُها لَمَّا تألَّقَ نُورُه ... كذا البَرْقُ إذ يَسْرِي دليلُ المَواطِرِ

هو الروضُ فيه نرجسُ اللحظِ ناثرٌ   على وردِ خدٍّ دُرَّ طلٍّ مُباكرِ

***

وقوله :

فتاةٌ لاطفتني بابتسامِ   ونال كلامَها قلبي الكسيرُ

بدا من ثغرِها دُرٌّ نظيمٌ   ومن ألفاظِها دُرٌّ نثيرُ

فراعيتُ النظيرَ بدُرِّ دمعي   ولكن ذاك ليس له نظيرُ [1]

***

وقوله :

بنورِ مُحيَّاك الجميلِ إذا انجلى   ونورِ لألاءِ ثغرِك الباردِ الظَّلْمْ [2]

أعثمانُ ذا النورينِ رِفقاً بمن غدا   شهيدَ الهوى يشكو إليك من الظُّلْمِ

***

وقوله في التنباك [3] :

أُحِبُّ الشُّرْبَ للتُّنْباكِ طبعاً   وأُذْكِي نارَه أبداً عليهِ

ففي قلبٌ حريقُ جوًى ووجدٍ   وشِبهُ الشيءِ مُنجذِبٌ إليهْ

***

وكانت المقاديرُ جمعتْ بيننا في الطائف ، بين روضٍ وغديرٍ ، فتمتَّعتُ بمؤانستِه ، واغتنمتُ أوقاتَ مُجالستِه ، وكتبتُ إليه في أثناء ذلك :

يا رونقَ المُنتسبِ الشَّريفِ   أفديك بالتّالدِ والطَّريفِ

---

(١) مراعاة النظير من فنون علم البديع ، وهو جمع أمر وما يناسبه مع إلغاء التضاد لتخرج المطابقة . انظر معاهد التنصيص ١/٢١٧ .

(٢) الظلم : الريق ، وعجز البيت مضطرب . (٣) انظر في شرب الدخان والتنباك أيضاً أبياتاً لصلاح الدين الكوراني الحلبي ، والشهاب الخفاجي ، في ريحانة الألبا ١ / ٢٨٣ .

شُكْراً لأيّامى هـــذه التى ... فُزْتُ بها فى ظِلّكَ الوَرِيفِ

أسمعُ من لفظِك ما يبهرَ مَن ... ينطِق بالأسمــاءِ والحروفِ

من كلّ زَهْراءَ لآلِى لفظِها ... تُغْنِى عن العُقودِ والشُّنُوفِ

وأجتلِى من خَطِّك الرّوْضَ الذى ... أبدَعْتَ فيه صَنْعةَ التّفوِيفِ (١)

طابتْ مَجانيه فأثمــارُ المُنَى ... فى سُوحِــهِ دانيةُ القُطوفِ

دُمْتَ تُحلّى الدهرَ فخراً وأنا ... وَصّافُ حُسْنِ طَبْعِك المَوصُوفِ

* * *

فراجعنى بقوله :

يا شمسَ أفقِ الأدبِ المَوْصوفِ ... ويا فريدَ عِقْــدِه المَرْصُوفِ

ويا جمالَ النّسَبِ السامِى إلى ... عبدِ مَنافٍ بالسَّنا المُنِيفِ

يا مَن حَبانِى مِن صَفاءِ وِرْدِهِ ... رَوْنَقَ ذاكَ الجوْهرِ اللّطِيفِ (٢)

ومَن سَقانِى من نمـــيرِ فضلِهِ ... سُلافَ كَرْمِ رَوْضِه المَسْلُوفِ

ومَن أرانى مِن خِصالِ ذاتِه ... محاسناً زادتْ على الألوفِ

يا مُهْدِياً إلىَّ من أشْعارِه ... تاجَ عُــلاً تَمّ به تَشْرِيفِى

إن زماناً بك قد جادَ لنـــا ... جَدّد جُودَ حاتمِ المعروفِ

أحْسَن إحْساناً نسِينا عنده ... ما مَرّ من سُلُوكِه المألوفِ

قد كان مامضَى من العمرِ سُدًى ... لا يُشْــتَرى بالثمنِ الطّفيفِ

حتّى حَبانا بك سَعْدٌ طالِــعٌ ... يزْهُو بنَجْمِ مَجْدِك الشّريفِ

فعاد باقِى العُمْرِ عَيْشَ خالدٍ ... فى جَنّــةٍ دانيةِ القُطوفِ

---

(١) فى ب : « وأجتنى من خطك » ، والمثبت فى : ا ، ج .
وتفويف الثوب : ترقيمه ، أو رقمه بخطوط بيض على الطول .

(٢) فى ب ، ج : « من صفاء وده » ، والمثبت فى : ا .

فاسْلَمْ ودُمْ دامتْ مَعاليك تُرَى     أَوْصافُهــا للسَّمْعِ كالشُّنوفِ

***

وبلغنى من بعضِ السادة ، أنه أنشأ مُحاكمة بين الغنَى والفقر ، فكتبتُ إليه أطلبُها منه :

بلغنى خَــبَرُ المحاكمة ، التى أنشأها السيدُ مَقامَة ، وأفاد بها أنْ لا أحدَ يُساوِى مَقامَه .

فعرفتُ أنه أتَى بالعَجَبِ العُجاب ، واسْتأثر بما هنالك من الإغْراب والإعْجاب .

جَرْيًا على مايُعْهَد من طَبْعِه المُهذَّب ، وفكرِه الذى يُنْشِىء الوَشْىَ المُذهَّب .

فكم لَفَظَ منه بحرُ الفِكْر ، أمْثالَ هذا الجوهرِ البِكْر .

فأطْلَعَ الكلامَ دُرًّا ، وبَيانَ البَنانِ سِحْراً .

وصَيَّر بُطونَ المَهارِقِ بَوارِق ، ومابين مَدَبِّ الأقْلامِ خَوارِق .

من قَوافٍ تُنيرُ حَنادِسَ الأفهام ، وتتَلاعَبُ بالأفْكار تلاعُبَ السِّحْرِ بالأوْهام .

وفِقَرٍ أبْهى من الغِنَى بعد الفقر ، وأشْهى من الوطنِ غِبَّ مُقاساةِ وَحْشَةِ القَفْر .

فللهِ تلك البَديهة النَّبيهة ، والفِكْرة النَّزيهة .

حيث أتتْ بمُسْتَبِينة الإعْجاز ، مُميِّزة للحقِّ على الحقيقة والمَجاز .

فأنْسَتْ بمَحاسنِها آثارَ المُتقدِّم ، وصيَّرت المُجْتَرِىَ على مثلِها كالمُتَندِّم .

فلعلَّ السيد يُمتِّع بها طَرْفِى وسَمْعِى ، ويجمع بسببِها شَمْلَ فكرِى وطَبْعِى .

فأغْنَى بها عن نَديمٍ ومُدامَة ، وأغْدُو من مُنادمتِها فى السَّلامة بلا نَدامَة .

هذا وشَوْقِى إلى ذلك المَنْظَرِ البَهِج ، واجْتِلاء بدائعِ منطقِه اللَّهِج ، شوقُ نارِظِىٍّ [١] إلى سُكونٍ وسُكْنَى ، والقَيْسىِّ [٢] إلى لَبُونٍ [٣] ولُبْنَى .

---

(١) يضرب المثل بغيبة القارظى فى الذى لا يؤمل عوده . انظر مجمع الأمثال ١/١٤٢ .

(٢) يشير إلى قيس بن ذريح وصاحبته لبنى . انظر خبرهما فى تزيين الأسواق ٤٤ .

(٣) اللبون كالابانة : الحاجة ، واللبون أيضاً ذات اللبن .

واعتلاقي بوصفه الجميل ، اعتلاقُ « قِفا نَبْكِ » بالمَلِكِ الضِّلِّيل (١) .

وكيف لى بخُلْسةٍ أشدُّ عليها يَدَ الضَّنِين ، وتُنْسِينى هذا التَّأوُّهَ والأنِين .

فإنِّى من حين الاجْتِماع ، والتَّلَذُّذِ بذلك الخطاب والاسْتِماع ، هَجرْتُ غيرَه من القَوْل والإصْغا ، وجعلتُهما فى جانبٍ من الإزْراء والإلْغا .

فحالى فيه كما قلتُ ، وعن نَهْجِ وُدِّه ماحُلْت :

ياسيِّداً من حين فارقْتُه ماراقَنِى مَرْأًى ولا مَسْمَعُ
لا تَحْرِمَنِّى نَظْرةً أمْكنَتْ فليس لى فى غيرِها مَطْمَعُ

***

فكتب إلىَّ مجيبا :

مولاىَ قد قلَّدْتنى مِنَّةً يسْتغرِق الشكرَ حَياها العَمِيمْ
أهْديْتَ لى نثراً من الدُّرِّ بل من الدَّرارِى الزُّهْرِ طَىَّ الرَّمِيمْ
بل نَفْحةً قُدْسِيَّةً عطَّرتْ بطِيبِ أخلاقِك نَشْرَ النَّسِيمْ
تمنع أن يُعْكَس تَشْبِيه مَن يُشَبِّه العِطْرَ بخُلْقٍ كريمْ
لا بل قد أهْدَيْتَ لى فى العُلاَ هِدايةً للمَنْهَجِ المُسْتقِيمْ
تفتح عَيْنَ القلبِ حتى يرَى تبلُّجَ الدهرِ بلَيْلٍ بَهِيمْ
واللهِ لا أملِكُ شُكْراً لها إلَّا عُبُودِيَّةَ قلبٍ سَلِيمْ

يامولانا الذى شرَّف مولاه بما أتْحفه ، وشَفاه بِطِبِّ الفضل من داء الجها وقد أتْحَفَه .

ومدَحه حتى فضَّله وقدَّمه ، فشجَّعه حتى ثبَّت فى معاركِ الأدب قدَمَه ، وفهَّمه آداب السلوك وعلَّمه ، حتى حُقَّ له أن يُشْهِر لدى مُلوك الكلام قلمَه ، ويَنْشُر مواكِبِهم علَمَه .

(١) يشير إلى امرئ القيس وشهرته بالمعلقة.

أُقدِّم أوّلا عُذرِى فى مقابلةِ الدُّرِّ بالمدَر [١]، وَحَمْلِ التمرِ بل الحَشَفِ إلى هَجَر [٢]، وَجلْبِ الدُّرِّ بل الصَّدَف إلى البَحْرين، وَ إهْداء تبرُّكاتِ المساجد إلى أهل الحرمَيْن.

ثم ماذكَره مولانا عظَّم الله مَقامَه، من طلبِ ما أنشأتُه على لسان الغنى والفقر شِبْه مَقامَة.

فإن المخلِص بَنَى فى ذلك وهدَم، حتى كاد [٣] يحلَم [٤] الأدَم، ويُعِيد ما أخرجَه للوُجود إلى العَدَم، خوفاً من الإتيان بما يُوجب عند أهل المعرفة إلى الخجَل والنَّدَم.

وإلى وقت وصول الرَّقيم، والفكرُ فى تِيه الحَيْرة مُقيم.

أَيُبْرِزُه فى قالَب التَّمام، أم يستُر الأدَب ستْرَ الشمسِ المُنْكسِفة بالغَمام؟

وما قرأتُه منه على بعض المَخادِيم الكِرام، فقد نزَّلتُه منْزِلةَ أضْغاثِ أحلام، عند الانْتباه من المَنام.

لكن بعد أن أسعَفَه الطالِعُ المَيْمون بإقبالِكم، وأنارَ هِلالَه المُشبَّه بالعُرْجُون من شمسِ كمالِكم.

فقد جزَم المخلِص برَفْعِه بعد خَفْضِه، وإبْرامِه غِبَّ نَقْضِه، وضَمّ بعضِه إلى بعضِه.

حتى يقومَ شَخصاً كاملاً، ويَليق بأن يكون لديكم على قَدَمِ الخِدْمة ماثِلاً.

وبسَعْدِكم تلك المَخايِلُ ترْتقِى  بتكامُلٍ حتى تعود شمائِلاَ [٥]

بشَرْط أن أصِل أوّلاً إلى خِدْمتِكم الواجبة وُجوبَ الفَرْض، وأُنْهِيه [٦] إلى نَظَرِكم الكريم بطريق العَرْض.

---

(١) المدر: الطين العلك الذى لا يخالطه رمل.

(٢) من أمثالهم فيمن يحمل الشىء إلى موطنه الذى شهر به: «كمبضع التمر إلى هجر».
وهجر: قصبة البحرين.

(٣) فى ا: «يكاد»، وفى ج: «كان أن»، والمثبت فى: ب.

(٤) حلم الجلد: وقع فيه الحلم، وهو دود يقع فى الجلد فيأكله فإذا دبغ وهى موضع الأكل. القاموس (ح ل م)

(٥) فى ب: «تلك المخائل تلتق»، والمثبت فى: ا، ج  (٦) فى ا: «وأنهى»، والمثبت فى: ب، ج

ونبلُغ مع التَّحَلِّى [١] بتهذيبكم ، أملَ التَّمَلِّى بكم .

فوَحَقِّ [٢] وِرْدِ وُدِّكم [٢] الصَّافِى من الأكْدار ، إن شَوْقى مع قُرْب الدار :

كشَوْقِ ظامٍ بالحِبالِ مُوثَقِ ... لمـــــاءِ مُزْنٍ باردٍ مُصَفَّقِ

وأقول :

بل هو شَوْقٌ باللِّقاء يَرْتَقِى ... يزْدادُ أن لا نَلْتَقِى أو نَلْتَقِى

ونسألُ الله أن يُنِيلنا تواتُرَ التَّرَدُّد لَدَيْكم ، كما أنالَنا تظافُرَ التَّودُّد إليكم .

وأن يُمتِّعَ جِيدَ الدهر بعِقْد مجدِكم الثَّمين ، ويحرُس حِمَى وُجودِكم الذى تهْوِى إليه الأفئدةُ كما تهوِى إلى الحرَمِ الأمِين .

* * *

وبعثَ إلىَّ بالمُحاكمة ، وهاهى مُثْبَتَة منقولة من خطِّه :

الحمدُ لله الحكيمِ القادر على الإطْلاق ، الباسِط المُقدِّر للأرزاق .

الذى جعل الفقرَ والغنى آيتَيْن من أبْدعِ آياته ، وغايتَيْن فى الحكمة من أبْدَعِ غاياته .

يتفكَّر فيهما ذو الفطنة والاعْتبار فيتْلُو : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً ﴾ [٣] ، ويجرى إليهما العبدُ على جِياد الأقدار حالِياً بزينة العقل أو عاطِلاً .

فيسعَد من يرشُد للتسليم إيماناً وتصديقا ، ويبعُد من يُنْشِد وهو المُلِيم :

هـــــذا الذى تركَ الأوْهَام حائرةً ... وصَـــيَّر العالِمَ النِّحْرِيرَ زِنْدِيقَا [٤]

والصلاةُ والسلام على نبِيِّه المبعوث بالإسلام ، محمد الهادى للخلائق إلى أقْوَمِ الطَّرائق ، وأكرم الخلائق ، صلَّى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه الأغنياء بالله الفقراء إليه .

---

(١) فى ب : « التجلى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « ورودكم » ، وفى ج : « وردكم » ، والمثبت فى : ب . (٣) سورة آل عمران ١٩١ (٤) البيت لابن الراوندى كما جاء فى معاهد التنصيص ١/٥٣ ، ونسبه ابن السبكى إلى أبى العلاء المعرى ، فى طبقات الشافعية ٤/٢٣٢ .

وبعد :

فقد وقفتُ على مَقامة أنشأها بعضُ المتأخِّرين الأفاضل الأعاظم ، ووشَّاها بدُرَرِ الفوائد هَدِيَّةً لكل ناثرٍ وناظم .

ابتدَعها عَلَى لسان الفقر والغنى كالمُفاخِر بينهما والمُفاضِل ، وأوْدَعها من الحُجج التي يفْلَح بمثلِها المُناظِر [1] والمُناضل .

فمدَّ بها في العلوم باعَه الأطْول ، وأمدَّ الفهوم بمِصْداق « كم ترك الأوَّل » .

قاصداً بذلك رياضةَ العقول ، في رِياض المَقول .

وتَبْرِيض [2] اللسان ، بوقائع شآبيب البَيان .

وتعرِيض الإحسان ، للقانع بالأثَر عن العِيان .

فأيَّد فيها الفقرَ على الغنى ، وشيَّد له في الفخرِ على البِنا .

وجعله سابِقَ الحَلْبة مُجلِّيا [3] ، وأتْلاه [4] بالغِنَى بعد لأْيٍ مُصَلِّيا [5] .

حتى أقرَّ له بالتَّقدُّم تسليما ، وأخلَص لودادِه بعد التَّندُّم على عِنادِه قلباً سليما .

هذا وإن كان الفقرعند أبناء [6] الدُّنا ، مَلِيئاً باكْتساب [6] العَنا ، خَلِيًّا عن أسباب الغِنَى ، حَفِيًّا في اقتضاب المُنَى ، كَفِيًّا في سَدِّ أبوابِ الهَنا .

وبينه وبين النفوس ، مابين تَغْلِب وَبكرٍ غِبَّ غَداة البَسُوس .

وقد أوْقَع فيها من المكروه وَالمَساءة ، مالم يُوقِعه قيسٌ بابْنَيْ بَدْرٍ يوم الهَباءة [7] .

وَحَطَمها ولا تحطيم الإبلِ المُجْفَلة ، جُيوشَ لَقِيطٍ يومَ جَبَلة [8] .

---

(١) في أ : « المناظم » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) التبريض : ترشف الماء . (٣) المجلى : هو الأول في خيل السباق . حلية الفرسان ١٤٤ . (٤) في أ : « وأجلاه » ، والمثبت في : ب ، ج . (٥) المصلى : هو الثاني في خيل السباق . حلية الفرسان ١٤٥ . (٦) في : أ « الدنيا عليا يا كساب » ، والمثبت في : ب ، ج . (٧) الهباءة : أرض ببلاد غطفان ، قتل بها حذيفة وحمل ابنا بدر الفزاريان ، قتلهما قيس بن زهير . معجم البلدان ٤/٩٤٧ .

(٨) يوم جبلة لعامر بن قيس وحلفائهم من عبس ، على تميم وحلفائهم من ذبيان وأسد وغيرهما .

وجبلة : جبل طويل له شعب عظيم واسع لا يرقى الجبل إلا من قبله .

ووَسْمِها بالعار الباقى على الزّمان، كما وسَم به لَبيدُ الربيعَ بن زياد فى مجلس النُّعْمان[1].

ونُفورها عنه ولا نفور الغَادةِ الفتيّة عن مُقاربة الشَّيْب ، والشِّنْشِنَة[2] الأخْزَميّة من مُقارنة العَيْب .

وبُعْدها عنه بُعْدَ العزائم اليَقينيّة عن شُبُهات الرَّيْب ، والكثائف الجِسْمانيّة عن إدْراك مُحجّبات الغَيْب .

هذا وعِقالُ العقول فى تقْييد صِعابِ النفوس مَحْلول ، وحُسامُ الفكر المَصْقول عن قَطْع أعصابِ الأهْواء مَفْلول .

والناسُ أكْيَسُ من أن يمدحُوا رجلًا      ما لم يَرَوْا عنده آثارَ إحْسانِ[3]

فلا جَرَم كاد ينعقد الإجماع ، كما لا يخْفَى على ذِى نَظَر وسماع ، على بُغْضِ الفقر وذَمّه ، وقَصْدِه بالصّدّ وأَمّه ، وتواتر الدعاء بالهَبَل والثُّكْل على أُمّه .

ومَن يجْعلِ المعروفَ من دون عِرْضِه      يَفِرْهُ ومَن لم يَتّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ[4]

فكان ما اختاره رحمه اللهُ من هذا الصَّنيع ، معدودًا فى فن المُغايرة من البديع .

---

= وكان من أمر يوم جبلة أن قيس بن زهير العبسى أشار على قومه أن يحبسوا نعمهم فى شعب جبلة ، ويظمئوها أياماً ، فلما اقتحم لقيط بن زرارة سيد بنى تميم الجبل أطلق بنو عبس عليهم الإبل ، وأنخسوها بالسيوف والرماح ، فخرجت عطاشاً مذاعير تحطم كل شىء ، وخبطت تميما ومن معها ، فانحطوا منهزمين فى الجبل ، وجعلت بنو عامر يقتلونهم ، فهزموهم شر هزيمة . انظر أيام العرب فى الجاهلية ٣٤٩ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦

(١) وذلك أن وفد بنى عامر أتوا النعمان بن المنذر أول ما ملك ، فى أسارى من بنى عامر يشترونهم منه ، فخلفوا لبيدا فى رحالهم إذ كان صغيراً ، ودخلوا على النعمان ، فوجدوا عنده الربيع بن زياد العبسى ، وكان نديم النعمان قد غلب على حديثه ومجلسه ، فجعل الربيع يهزأ بهم لعداوة غطفان وهوازن ، ورجعوا بحال سيئة ، وأخبروا لبيداً ، فعاد معهم ، فانتهوا إلى النعمان وربيع وهما يأكلان ، فكان مما أنشده لبيد للنعمان

* مَهْلًا أبَيْتَ اللّعْنَ لا تأكُلْ معَهْ *

* إنّ اسْتَهُ مِن برَصٍ مُلَمَّعَهْ *

فأفسد ما بينه وبين الربيع بن زياد .

انظر ديوان لبيد ٣٤٣ ، والمعارف ٥٨١ .

(٢) الشنشنة : الطبيعة . ومن أمثالهم « شنشنة أعرفها من أخزم » .

(٣) البيت فى التمثيل والمحاضرة ٣٠٥ ، وفيه : « أن يحمدوا رجلا * حتى يروا . . . . »

(٤) البيت لزهير بن أبى سلمى ، من معلقته ، ديوانه ٣٠ ، وفيه : « ومن لا يتق الشتم » .

وفيه تسْلية لنفس البائِس الفقير ، وتقْوية لقلب الآيِسِ الحقير .

وإعانةٌ للمبتلَى بهذا الداء المُعضال ، وإبانةٌ للغرض إن نَشِط للنِّضال .

لـكن حقيقةُ الحـال أن هذا الفاضلَ لمـا كان من كبار الأتْقياء الزاهدين ، وخيارِ الصلحاء العابدين .

ومعلومٌ أن غالبَهم قد اختار التقشُّفَ المَوصوف ، وشيَّد بناء التزهُّد المَرْصوف .

وهجر أنواعَ زُخْرُفِ الدنيا وصُنوفه ، حتى قطع مَسافتَها وما بَلَّ بَحْرٌ صُوفَةَ[1] .

كانوا جمَـــالَ زمانِهِم فتصدَّعُوا فكأنما لبس الزمانُ الصُّوفَا[2]

فبنى رحمه اللهُ تعالى على مُقتَضَى طريقتهم، وفضَّل الفقرَ إذْ كان مُرْتضَى حقيقتهم .

وهو الحقُّ الذى لا رَيْب فيه ، والإنصاف الذى يرْتضيه الأريبُ ويصْطفيه .

ولا يُعارِضه فى مُرادِه ، مَفادُ : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبادِهِ[3] ﴾ .

فإن من راد[4] نفسَه على حُلول هذه السَّاحة ، وخَشِىَ أن يغرق عند تلاطُم الأمواج وإن كان مُتْقِنا للسباحة ، لا يلزمه أنْ[5] قال بالتَّحريم وعدم الإباحة .

وأحْزَمُ الناسِ مَن لومات من ظَمَأٍ لم يقربِ الوِرْدَ حتى يعرفَ الصَّدَرَا

وأما أرْبابُ العِصمة ، فهم البريئون من كلِّ وَصْمَة .

فإنهم شاهدوا حَظَّهم الأشرفَ الأسْمَى ، فلم يُثْبِتوا لما دونه رَسْما ولا إسْما .

وقصَروا نظرَهم على الخالد الباقى ، وأنِفُوا أن تطأَ أقدامُهم الأرضَ وهم فى أعْلَى المَراقى ، ومن ورَد البحر استْقلَّ السَّواقِى .

ولما تأمَّلتُ تلك المَقامة ، بَوَّأ اللهُ مُنْشِيها دار المُقامة .

رأيتُ مَبْنَى الأفضليّة فيها على أن جعل الفقرَ أمْهَرَ فى تحصيل العلوم والمعارف ، أكثرَ مَقِيلًا فى ظِلِّها الوارِف .

---

(١) صوف البحر : شىء على شكل الصوف الحيوانى . قال ابن منظور : « ومن الأبديات قولهم : لا آتيك ما بل بحر صوفة » . اللسان ٩/٢٠٠ ( ص و ف ) . (٢) البيت لأبى تمام ، وهو فى ديوانه ٢٠٠ ، وفيه : « كانوا رداء زمانهم » ، وانظر ريحانة الألبا ٢/٤٢٦ . (٣) سورة الأعراف ٣٢ ، فى الأصول : « التى أخرجها لعباده » . (٤) فى الأصول : « زاد » . (٥) فى ا : « أنه » ، المثبت فى : ب ، ج .

وأقدَرَ على إبْرازِ الصوابِ ، عند السؤال والجواب .

لا على إقامة الدليل والبرهان بالأفضليّة، وجَعْلِ السابق في هذا الرهان صاحبَ الأوّليّة .

على أن هذا المَيْدان مَجْرَى العَوالِي ومَجْرَى السوابِق، وفيه تَزْدحم كتائبُ فرسان الحقائق ، وتلتحمُ مَناكبُ النَّظّارة من الخلائق .

إذِ الناس لعدم خُلُوِّهم من أحد الوصفيْن، ينقسمون إلى صِنفين، وينْتظمون في صَفَّيْن.

وكلٌّ يحتجُّ لصاحبِه بالصّفات الواقعيةِ المَرْضيّة ، لا المَجازيّة الفَرْضيّة .

فأحببْتُ أن أجُول في هذا المَجال ، ولو بالمُحال[1] ، وأنسِج على هذا المِنْوال ، على وَهْن القدرة وضعف المَجال ، وقصورِ عامل الفضل على القسلُّط على هذه المَحالّ .

اعترافًا منّي بالتقصير ، وإسعافا بطلب المُسامحة لباعِيَ القصير .

ومَن يَعْصِ أطْرافَ الزِّجاجِ فإنَّه ... يُطِيعُ العَوالِيَ رُكِّبتْ كلَّ لَهْذَمِ[2]

فبنَيْتُ هذا[3] المَقْصِدَ على وضعٍ غريب ، وترتيب يَهَشُّ له الأديب والأريب ، وأسلوبٍ يأخذُه الطبعُ السليمُ عن قريب .

وجعلتُ المُفاخرَةَ بينهما على حقائقِ الأوصاف ، وذكرتُ ما يُقال من الطرفيْن بنهاية الإنصاف .

ثم أنهيتُ المخاصمة إلى التَّراضِي بالمُحاكمة ، فحكّمْتُ بينهما مَناطَ التكليف ، ورِباطَ الفضل الذي اختُصَّ به النوعُ الشريف .

فحكم حُكْمًا يقضى منه الفريقان مَآرِبَهم ، ويعلم كلُّ الناس مَشْرَبَهم ، ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ[4] ﴾ ، و﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ[5] ﴾ .

---

(١) المحال ، بالكسر : الكيد وروم الأمر بالحيل ، وبالضم : غير الممكن .

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى ، وهو في ديوانه ٣١ .

والزج : الحديدة التي في أسفل الرمح ، ونقابل السنان ، والعوالي : الرماح ، واللهذم : القاطع .

يقول : من عصى الأمر الصغير صار إلى الأمر الكبير .

(٣) في ب : « بهذا » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) سورة الأنبياء ٣٣ (٥) سورة الروم ٣٢ .

والحقُّ واضِح الغُرَرِ والأحْجال لقومٍ يعرفون ، و ﴿ مَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ[1] ﴾ .

حدَّث الغزَلُ الرَّقِيق ، عن المَديح الأنيق ، عن السؤال الجميل ، عن النَّوال الجزِيل ، عن الخاطِر المُطاع ، عن كريم الطِّباع ، قال :

حضرتُ مجلسا من المجالس السَّرِيَّةِ ، التى لم تزلْ تُعقَد بحضرةِ النفوس البشرِيَّة .

وقد حضَر وزيرُها العقل ، وحاجبُها الحِلم ، وقائدُها الفَهم ، وقاضيها العِلم ، وخازنُها الحِفْظ ، ومُنْشِيها الفِكر ، وشاعرُها الخيال ، ونَديمُها الوَهْم .

ومَثُلَتْ للخِدْمة أعوانُها المُتظاهرة ، وهى المَدارِكُ الخمسة الظاهِرة .

وانْتظمتْ فى مَراتبها سائرُ القُوَى ، وغاب بحمدِ الله عدوُّها الهوَى .

واتَّفق أن حضر المجلسَ الغِنَى والفقر ، وهما الضِّدَّان المُتناقضان ، بل العَدُوَّان المُتباغِضان ، والجَوادان المُتعارِضان ، بل القِرْنان المُتناهِضان .

إلَّا أن النادى جمع بينهما ، وقرَّب على سبيل الاتِّفاق بينهما .

وخاض القومُ فى مَجانِح الحديث ، من سوانِح القديم والحديث .

فأراد بعضُ مَن حضَر ، طِرادَ جِياد البحث والنَّظَر .

فتلطَّف بطَرْفِه ، ولَحظَ الغِنَى بطرْفِ طَرْفِه .

وقال : إنِّى أحفظُ بيتَين ، ورد الأوَّلُ منهما على رِوايتَيْن .

يُبْتنَى عليهما حُكْمٌ وأحْكام ، إذا تقرَّر مَفادُها بإحكام .

وأنشد[2] :

ولو أنِّى وَلِيتُ أميرَ جيشٍ　　　لمـا قاتلتُ إلَّا بالسؤالِ[3]

---

(١) سورة يونس ٣٢ ، وأول الآية : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾ .

(٢) البيتان للأبيوردى ، وليسا فى ديوانه ، وهما فى خلاصة الأثر ١/ ٢٢٤ ، والأول منهما فى ريحانة الألبا ١/ ٢٩٦ .　(٣) فى خلاصة الأثر ، وريحانة الألبا : « ولو أنى جعلت ... لما حاربت ... » .

لأن الناسَ ينهزمون منه وقد ثَبَتُوا لأطرافِ العَوالى

ثم قال : والرواية الأخرى ، يعرفها مَن هو بإحراز شرفِها أحْرَى .

قال كريمُ الطباع ، الرّاوى لهذه الأسجاع : فابتدَر الغِنَى لجوابِه ، وقد استخرج دقيق التّعْرِيض من جِرابِه ، فقال :

إنَّ بعضَ من أسْعده الجدُّ بخدمتى ، وأيّده الجِدُّ بعزْمتى ، وسدّده المجدُ بهمّتى .

أنشده هذيْن البيتيْن بعضُ نُدَمائه ، وجلّاهما كالنّيّريْنِ فى سمائه .

فتفطّن ذلك الرئيس [1] ، لمعنًى فيهما نفيس .

وأعاد إنْشادَهما فى الحال ، وقد وضَع النّوال موضِع السُّؤال .

فأظهر شمائلَ هِمّته العلية ، فى دلائل عِباراته [2] الجليّة .

وسدّد سهمَ الإصابة بساعدِ الكرم ، فكفتُ قَوْسَه وترَه ورمَى [3] مَقاتِل الفقرِ وما ظلم .

فأرْداه ووتَره ، وألبس البيتيْن حُلَى المُلوك بعد أن كانا فى أسْمال صُعلوك .

حتى أشرَقَ معناهما بالضِّياء المُستفاد من شمسى ، وأغْدَق معناهما بالأنْواء الهاطِلة من سماء يومى وأمسِى .

قال : ثم تنبّه إلى أن هذا الكلام ، مِن بليغ الكِلام [4] .

وأنه بغى والبغْىُ مَرْتعُه وَخِيم ، وأظْهر دعوَى الفضل ، ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيم [5] ﴾ .

فكَفَّ من غَرْبِه ، ورجع عن شَرْقِه وغَرْبِه .

واسترْجَع وسكت ، وأطْرَق [6] إلى الأرض ونكت .

---

(١) هو المنصور بالله أبو العباس الحسنى ، وخبره فى ريحانة الألبا ١/٢٩٦ ، والذى أنشده هو الأديب الفشتالى .

(٢) فى ا : « عبارته » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٣) فى ا : « ورعى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) جمع كلم ، بفتح ، فسكون ، وهو الجرح .   (٥) سورة يوسف ٧٦ .   (٦) فى ا : « فأطرق » والمثبت فى : ب ، ج .

لـكنه قال فى أثناء ذلك : ما أُراني أَضْلَلْتُ المَسالك ، وأنا ما قلتُ وإن فَخَرْتُ وطُلْتُ لعِنان الحقّ مالِك .

وليس بمَلُومٍ مَن نطق بالحق وصَدَع ، وإن شَقّ قلبَ المُعاند وصدع[1] ، والحقّ أحَقُّ أن يُتَّبَع .

وما المرء إلّا حيث يجعل نفسَه  وإنّى لها فوق السِّماكَيْن جاعلُ

قال الرّاوِى : فاسْتشاط الفقرُ من الغَيْظ ، وتلَظّت أنفاسُـــه أحرّ من سُمومِ القَيْظ .

وأنِفَ من الذُّلّ والاسْتكانة ، إذ أنزله الغِنَى إلى هذه المـكانة .

وأنْشد وقد أشْعل نارَ الحَمِيَّة تسْعيرها :

ونفْسَك أكْرِمْ عن أمورٍ كثيرةٍ  فمالك نفسٌ بعدها تسْتعيرُها[2]

ثم انبَرَى للمقاومة مُسترسِلا ، بعد أن تضرّع إلى الله تعالى مُتوسّلا ، وقال متمثّلا :

إحْدى لياليكِ فهِيسى هِيسى  لا تَنْعَمِى الليـلةَ بالتّعْرِيسِ[3]

إلا أنه خاطب خِطابَ مَن قيّد الحِلْمُ ألفاظَه ، وسدّد العلمُ إيقاظه .

فقال : أيها الغِنَى لقد صرّحتَ وما كنّيْت ، وعجِلتَ وما تأنّيْتِ ، فبرّحْت إذ تجنّيْت .

ولَيْتك حين صدَدْتَ عن الإنصاف وأَبَيْت ، لم تعْمُر بيتاً بخراب بيت .

أَخبِرْنى عن هذا الرئيس ، الذى ملَأْتَ أنتَ له الـكيس .

فزَعَمْتَ أنه إنما صار لِما ذكرتَ قائلا ، من حيثُ كان فى ظِلّك قائلا[4] .

---

(١) فى ا : « وانصدع » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) البيت فى ريحانة الألبا ١/ ٥٩ ، وفيه : « فما لك نفس غيرها تستعيرها » .

(٣) البيت فى اللسان ٦/ ٢٥٢ ( هـ ى س ) دون نسبة . وهاس يهيس هيساً : سار أى سير كان .

(٤) من القيلولة .

فلو كان ظامِئَ العود من مِياه الكرم التى جرَت فيه ، جافَّ العُنْقود عن حَلْبِ سُلافِ البلاغة التى رُشِفت مِن فيه .

أتُراه كان يقول ما قال ، ويتحمَّل ما يسْتلزمه نُطْقُه من الأثْقال ؟

أو تُراه لو كان مَرْبوطًا بأشْراكِى ، ومَخْرُوطا فى أسْلاكِى ، مَحُوطا بأفلاكى .

ثم كان ممَّن تُشْتقُّ أفعالُ الكرم من مصدرِ طَبْعِه ، وتُشَقُّ قِسِيُّ الهِمَم [1] من غُروس نَبْعِه .

ألم يكُن ينطِق بما به نطَق [2] ويُرْشِد إلى ما إليه أرْشَد ، حين أنْشَد البيتيْن مَن أنْشد .

فلا تجهل علوم الأخلاق وأنت خبيرها ،

فما الجودُ من فقرِ الرِّجالِ ولا الغنَى ‏ ‏ ‏ ‏ ولكنه خِيمُ الرِّجالِ وخِيرُها [3]

وأما إزْراؤُك على الصَّعاليك ، لتَزيد بذلك فى معاليك .

فكفاهم فخراً فى الدِّين ، قولُ علَمِ المُهتدين : « رُبَّ أشْعثَ أغْبَر ذِى طِمْرَيْنِ لَوْ أقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبرَّه [4] » ، [5] وما أشْبهَ هذا مما طرَق سَمْعَك غيرَ مرَّة [5] .

[6] وأمّا باعتبار الدنيا، ورُتْبتها الدُّنْيا [7] .

فإن فيهم مَن علَا بالأوصاف قَدْرُه ، وغَلا للأضْياف قِدْرُه ، حتى أشْرق من أُفقِ الشِّعر بدرُه .

---

(١) فى ا : « وتشق غروس الهم » ، وفى ج : « وقسى الهمم » ، والمثبت فى : ب .

(٢) فى ا : «منطق» ، والمثبت فى : ب ، ج . ‏ ‏ (٣) الخيم : الأصل . والخير : الكرم ، والشرف .

(٤) فى صحيح مسلم ٤/٢٠٢٤ ( باب فضل الضعفاء والخاملين ، من كتاب البر والصلة والآداب ) ، ٤/٢١٩١ ( باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، من كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ) ، رواية الحديث : « رُبَّ أشْعثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ » . وانظر نحوه فى صحيح البخارى ٦/١٩٨ ( تفسير سورة ن والقلم ، من كتاب التفسير ) . ‏ ‏ (٥) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وبعده فى ج زيادة : « والسلام » . ‏ ‏ (٦) من هنا إلى قوله : « فى الروايات » الآتى ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . ‏ ‏ (٧) أى الحقيرة .

ولـكنّ صُعْلُوكاً صحيفةُ وجهِهِ كضَوءِ شهابِ القابِسِ المُتنوِّرِ [1]

إلى آخر الأبيات ، المعلومة فى الرِّوايات .

فيا أيها الغِنَى ، [2] هَلَّا إذْ [2] نطقْت ، تحمَّلت ما أطَقْت .

ورفعتَ نفسك من حيثُ لم تخفِض سِواكَ ، وجلَوتَ ثغرَكَ بغير هذا السِّواكِ .

فإن الشريفَ الـكريم ، ينقص قَدْراً بالتعدِّى على الشريف الـكريم ، ووَلَعُ الخمرِ بالعقول رماها بالتَّنْجيس وبالتَّحريم .

قال : فنظرَ إليه الغِنَى شزَرا ، وأعاره لَحظاً نَزْرا .

وخاطَبه مُخاطبةَ مُتحكِّمٍ ، ولاطفه مُلاطفةَ مُتهكِّمٍ ، فقال :

عُذْراً أيها المسكين ، ورِفْقاً أيها المُستكين ، فما أنا بلّغتُ عَظْمَكَ السِّكِّين ، ولست الذى [3] أنزل شكلك هذا البيت من التَّسكين .

إنما قلتُ فىَّ وفيك ، ما كِلانا به حَقِيق ، ونسبْتُ إلىَّ وإليك ، ما انعقد عليه الإجماعُ بالتَّحقيق .

فاستمِعْ منِّى بعضَ أوصافِك ، وارْدُدْ جِماحَ [4] أنفَتِك بلِجام إنصافِك .

وإن لم تُصدِّق الناسُ ما أقول ، فبرئتْ منِّى ذِمةُ المعقول [5] :

ألستَ حائِكَ شِقَقِ الهُون والإذْلال ، ومُوشِّيها بوَشْىِ الكُدْية والسُّؤال ، ومُفصِّل أوصالِها بمِقْراض الضَّجر والمَلال ، وخائطَ تفاصِيلها بخُيوط الإلحاح الطِّوال ، ومُقدِّرها على قاماتِ الرجال ؟ فمفرِّغها عليهم للزِّينة والجمال !

فاستجْلِ فيهم هذا الوصف الشَّنيع ، واستمْلِ منهم شكرَ هذا الصَّنيع .

---

(١) البيت من قصيدة لعروة بن الورد ، فى الأصمعيات ٤٦ ، وأوله : « ولله صعلوك » .

(٢) فى ا : « هل إن » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٤) فى ا ، ب : « جماع » ، والمثبت فى : ج .

(٥) فى ا : « العقول » ، والمثبت فى : ب ، ج .

واعْفِنِى من عِتابِك ، فإنى أرْبأُ بنفْسِى عن خِطابك .

وإنَّ حِمَى عِزِّىَ المَنيعُ المُحرَّم ، ومن لا يُكرِّم نفسه لا يُكرَّم .

ثم إنك مع ذا أردْتَ جَــلاءَ العين فزِدْت قَذًى ، وأنزَلْتَ معالِىَ الهُدَى فى مَغانى الهُذَا .

[1] وتــكلَّمتَ فى حضرتى بشريف الآثار ، كلامَ مَن يظُنُّ أنه فيها ذو استِئثار ، وأنت[2] تعلم أنِّى فارسُ نَقْعِها المُثار .

واستشهدتَ ببعض الأشْعار ، فأشْهدتَ أن لمَعانيها فى ذهنِك أشْعار ، وكلٌّ عارفٌ بأنى لا أركبُ فى مِضْمارِها الفَرسَ المُعار ، ولا أقْنعُ فى معرفةِ أسرارِها بالدِّثار[3] دون الشِّعار[1] .

وإن[4] كنتَ تستطيع مَعِىَ صَبْرا ، فسأُنبِّئُك بما لم تُحِط به خُبْرا .

حَسْبى وإياكَ صِيتًا وذِكْرا ، أنَّ الله سَمَّانى خيرا وسمَّاك شَرًّا ، ﴿ إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا[5] ﴾ .

وجعَلنى من نِعَمِه التى ذكَّر بها عبادَه كثيرا ، ﴿ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا[6] ﴾ .

بل يشْمل سَيِّدَ البشر هذا المعنى ، ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى[7] ﴾ .

وإنَّ مِن دلائل فَخْرِى وسعدِى ، وهب لى مُلْكًا لا ينبغى لأحدٍ مِن بعدِى .

وجعلَك من المِحَن التى تُسْكَب عندها العَبَراتُ ، ولا تُقال فى حُزُونِها

---

(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . (٢) سقطت واو العطف من : ا ، وهى فى : ب .

(٣) الشعار : ما لامس الجسد من الثياب ، والدثار : ما كان فوقه للاستدفاء ونحوه .

(٤) فى ج : « فإن » والمثبت فى : ا ، ب . (٥) سورة المعارج ١٩ — ٢١ .

(٦) سورة الإسراء ٦ . (٧) سورة الضحى ٨ .

العثرات ، ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ [١] ﴾.

وإن شئتَ خفضتُك طبقةً أخرى ، ورويتُ لك : « كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا [٢] » ، وما جرى هذا المَجْرَى .

فأنت المُبْعِد عن طاعةِ الخالق ، لما تُنْزِل بالخلائق ، من الكُرَب والمَضائق ، وهى القَواطِع والعَوائِق .

وأنا الذى أُيَسِّر لهم سَنِيَّ البِضَاعات ، المُتوقِّف عليها كثيرٌ من الطَّاعات .

فلولا وُجودِى ، ووُجودُ جُودِى ، لم يظفَرُوا بثوابِ الزَّكَوات والصدقات ، وصِلةِ الأرْحام بالنَّفَقات .

ومن أعْظمِ هذا المُرام ، حَجُّ بيتِ الله الحَرام .

وهل يستوِى الإيسارُ والإفْلاس ، والله لم يَدْعُ إلى بيتِه سِوَى المَياسِير من النـاس !

وتعلَم كثرةَ دُعاء الأنبياء ، والمُقْتدين بهم من الأوْلياء ، بالاستعاذة من جوارِك ، والاستقالة من عِثارِك ، والتَّضرُّع إلى الله فى مَحْوِ آثارِك .

وأمّا الشعراء فقد هامُوا بِهَجْوِك فى كلِّ وَاد ، وقاموا بذَمِّك على رؤوس الأشهاد .

وأمَرُوا للهربِ منك بالتغرُّب [٣] فى البـلاد ، ومُقاساةِ الأيْن [٤] فى ذلك والسُّهاد ، حتى

رأيتُ المُقامَ على الاقتصادِ  قُنوعًا به ذِلَّةً فى العبـادِ

[٥] وحَسْبُك بيتٌ سار [٦] مَسِير الأمْثال فى الوَرَى ،

(١) سورة البقرة ١٥٥ . (٢) هذا حديث ضعيف . انظر تمييز الطيب من الخبيث ١٤٤ .

(٣) فى ا : « بالتغريب » ، والمثبت فى ب ، ج . (٤) الأين : التعب .

(٥) من هنا إلى قوله : « فتمذرا » الآتى ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

والبيت المذكور لربيعة بن الورد ، وهو فى العقد الفريد ٣/٣١ .

(٦) فى ا : « ساربه » ، والمثبت فى : ا .

فسِرْ في بلادِ اللهِ والْتَمِسِ الغِنَى    تَعِشْ ذا يَسارٍ أو تموتَ فتُعذَرا

وقال من أنِفَ مِن قَدْرِك الحقير :

دَعِيني للغـــنى أسْعَى فإنِّي    رأيتُ الناسَ شَرُّهم الفقيرُ[1]

ولو عقلتَ ما فاخَرْتَ الأقران ، وقد نَظَموك والكفرَ في قِران .

ما أحْسَنَ الدينَ والدنيا إذا اجتمعا    وأقْبَحَ الكفرَ والإفلاسَ بالرَّجُلِ

وصَعاليكُ اليهود ، على هذا البيت من الشُّهود .

ولولا ذَمُّ الإطْرا وخَوْف المَلام ، وأن يقول بعضُ الفقراء « مادحُ[2] نفسَه يُقْرِيك السلام » ؛ لأوردتُ عليك ما نظموه فيّ من المدائح ، وصيَّرتُ لك دُرّ الفرائد مِن أخْلاف القرائح .

وكيف لا وأنا عِلّتهم الغائيَّة في نَظْم مَدائِحهم المحبَّرة[3] ، ونعوتِهم المحرَّرة ، وأغزالِهم الرائقة ، وتخيُّلاتهم الفائقة .

وهل الممدوح إذا مَثُل المادحُ لديه ، إلا المعهود الذي أقْدَره على إطْلاق يدَيْه .

فخُذْ إليك غَيْضاً من فَيْض ، ولمْعةً من رَوْض .

وإن أردت زيادةَ الخوْض ، مَلأتُ بهذا السَّجْل[4] لك الحوْض .

حتى تقول قَطْنِي[5] ، فقد ملأتَ بَطْنِي .

قال الراوِي : فاستجاش الفقرُ وازْبأَرّ[6] ، وزَمْجَر وزَأر ، واسْتَوْفَز وأثأر ، وقال : كلا لا مفرّ ﴿ إلَى ربِّكَ يَوْمَئِذٍ المُسْتَقَرّ[7] ﴾ .

---

(١) البيت في الأغاني ٣/٧٥ ، والعقد الفريد ٣/٢٩ ، وهو لعروة بن الورد .
وفي العقد : « ذريني للغنى . . . » .

(٢) في الأصول : « مادحا » ، ولعل الصواب ما أثبته .    (٣) في ا : « المحررة » ، والمثبت في : ب ، ج

(٤) السجل : الدلو العظيمة .    (٥) قطني : كفاني .    (٦) ازبأر الرجل : تهيأ للشر .

(٧) سورة القيامة ١٢ ، وسقط من ب : « يومئذ » ، وهو في : ا ، ج .

الآن حَمِىَ الوطِيس ، والتفّ الخميسُ بالخميس .

وتكلّمت القلوبُ بألسنةٍ أحدَّ من الصِّفاح ، بل تكلمت ألسنةُ العذبات الحُمرِ بأفواه الجراح .

مَن صدّ عن نيرانِهـــا فأنا ابنُ قَيْسٍ لا بَرَاحُ[1]

أيها الغِنَى ، أمِثْلِي تُذَلِّلُ صِعابَه[2] البُرى ، ويركبُ أعجازَ الإبلِ وإن طال السُّرى .

أقسمتُ بمن جعلنى فى خَلْقِه آية ، ورفع لى على الطاغين أشهرَ راية ، وجعلنى لِمَحْق الباغين أشأم من ابن داية[3] ؛ لتسمَعنَّ منى ما يدَعُك تقرع بأنامل النّدم الثّنايا ، وأنا ابنُ جلا وطَلّاع الثّنايا .

أيها الناعِمُ فى لِباس العُجْب والتِّيه ، والزّاعمُ أنه مُولِي الفضلِ ومُؤتيه ، والنّازِع إلى أخلاق اللُّؤم والرّداة ، والمُنازِع ربَّ الكِبْرياء رِداه .

لقد افتريْتَ فى وصفِى ووصفِك بمَيْنِك[4] ، وأبصرْتَ القَذاةَ فى عينى ولم تُبصِر الجذْع فى عَيْنِك .

وصدَفْتَ عن مناهجِ الحقّ ومَشارِعِه ، وحرّفْتَ الكَلِمَ عن مَواضِعِه .

ولو أنك شَدّادُ بن عاد[5] ، ثم متّعك الله تعالى بإرَمَ ذاتِ العِماد ، وفرعونُ ذو الأوتاد ، ثم نجَوْتَ من اليمّ بمَن معك من الأجْناد ، وكُلَيبُ بن ربيعة ولم يقْدِر عليك جسّاسٌ فى الحِمَى ، وأبْرَهَةُ ولم ترْمِك طَيْرٌ أبابيل من السَّما ، وزُهَيْر بن جَذيمة[6]

---

(١) تقدم هذا البيت فى صفحة ٥٦ . (٢) البرى : جمع برة ، وهو ما يجعل فى أنف البعير ليقاد به .

(٣) ابن دأية : الغراب . (٤) المين : الكذب . (٥) شداد بن عاد الحميرى .

ملك جاهلى ، اتفقت عليه حمير وقحطان ، فغزا البلاد ، وملك مدائن كثيرة ، وهو صاحب إرم ذات العماد ، التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم .

التيجان ٦٥ ، معجم البلدان ١/٢١٣ .

(٦) زهير بن جذيمة العبسى .

أحد رؤساء القبائل فى الجاهلية ، صاحب صولة وهيبة فى هوازن .

قتله خالد بن جعفر العامرى .

انظر خبره فى الأغانى ١١/٨٢ ، نهاية الأرب ١٥/٣٤٦ .

ولم تأخُذُكَ يَدُ خالدٍمِن قريب ، وأبو جهل بن هِشام ولم تُسْحَب إلى القَلِيب ؛ لأنِفْتُ لك من هذا العُجْب والاسْتطالة ، وضَجِرْتُ منك إذْ أطَلْتَ هذه الإطالة .

لكن لا بِدْعَ فى ذلك فإنك مَنْبَع الطغيان ، بنَصّ القرآن : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ (١) ﴾ ، ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (٢) ﴾ .

وإن الذى جَمع مالًا وعدَّده ، وحسِب أنَّ ماله أخْلَده ، منك استَمدَّ مَدَدَه ، وبك أعدَّ فى الكفر عُدَدَه .

وقد قالت أكابرُ قُرَيش حين لَفَحتْها رِيحُك العَقِيم : ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣) ﴾ .

وقد علم مُفَضِّلُك (٤) أو مُساوِيك ، إن لم يُعْمِه حُبُّك عَن مَساوِيك ، أن الخلقَ بك يخسرون ولا يُفْلِحون ، وأنَّك من الذين يُفسِدون فى الأرض ولا يُصْلِحون .

فكم قد اقتضَى غَىُّ أهوائك ، وعِىُّ أدْوائك ، وسُكْرُ شَرابك ، ومُسْكِرُ سَرابك أن يُقطَع السارق ، ويُقمع المَارِق ، ويُرَوَّع الخارِن (٥) ، ويُصْفَع المائِن ، ويَدْفَع الغاصِبُ القاسِط ، ويتْبَع المُحاسب المُغالِط .

وأن يُدنِّس بياضُ الأعراض ، بسَواد دَنايا (٦) الأغْراض (٧) ، ويتحكَّم فى صِحاحِ العُقول عُضالُ الأمراض ، من الأطْاع الحقيقةِ بالإهمال والإعْراض .

ويُفصِح الحريصُ بالجَرِيض (٨) ، عند الحثِّ على الجود والتَّحْرِيض .

وأن يرتكِبَ الحازمُ ، مُتونَ المآثم .

يُطيبُ (٩) الظُّنُون ، ويُقْدِم السالكَ فى المَفاوز والمَهالك على رَيْب المَنُون .

---

(١) سورة العلق ٦ ، ٧ . (٢) سورة القلم ١٤ ، ١٥ . (٣) سورة الزخرف ٣١ .

(٤) فى ا : « مفضلوك » ، والمثبت فى : ب ، ج (٥) فى ب : « الخائن » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٦) فى ا : « دنيا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٧) فى ج : « الأعراض » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٨) الجريض : الريق يغص به . (٩) فى ا : « يذيب » ، وفى ب : « يخيب » ، والمثبت فى : ج .

وكم أوقعتْ فِتْنَتُك بين المرء وأبيه، وخَلِيله وأخيه، وصاحبتِه وبَنِيه، وفَصِيلته التى تُؤْوِيه، ، ومَن فى الأرض جميعًا ثم لا يُنْجِيه[1].

ولعلَّك تقول: إن مَن ذكرتَ، وشنَّعت عليهم وأنكَرت، منك هربُوا فلاذُوا بسابغ ظِلِّى، وفى حِماكَ أجْدَبُوا فاستَسْقوا وَبْلِى وطَلِّى، فأنت الذى حملتَهم على أن يرتكبُوا ما ارتكبُوا، حتى حادُوا عن القَصْد وتَنكَّبُوا، فعُوقِبوا ونُكِبوا.

كَلَّا، إنَّ خَرْط القَتادِ[2]، دوون هذا الإيراد.

فمن المعلوم أن كثيرًا ممَّن ظهرتْ غَواياتُهم، وبَعُدَت فى الفساد غاياتُهم، قد يرضى لنفسِه بسِمَةِ القباحة، مع كَوْنى لم أطرُقْ له ساحة.

وإنما يقصد الزِّيادة من كَيْلِك، أو التَّقْويمَ لأَوَدِك عند مَيْلك، فتعْشَى عينُ بَصِيرتِه فى نَيْلك.

وأما مَن سِواهُم، وقليلٌ ما هم، فلو كان قصدُه بأفعالِه الشَّنِيعة، إفلاتَه من حَوْزَتى المَنِيعَة، لكنتَ تراه يكتفى بالطَّفيفِ الذى يُبعِدُه عَنِّى، ولا يتأكد مَصاعد التَّمَنِّى والتَّعَنِّى[3].

دليلُك أن الفقرَ خيرٌ من الغنَى ... وأن قليلَ المالِ خيرٌ من المُثْرِى[4]

لقاؤُك شخصًا قد عصى اللهَ للغِنَى ... ولستَ ترى شخصًا عصى اللهَ للفقرِ

ويؤكِّد هذه الأحكامَ الجليلة، ما أثبتَتْه الأدلةُ العقليَّة والنقليَّة، أن جمعَ الأموال، من وُجوهِ الحلال، يكاد يدخُل فى المُحال.

أما تعلمُ أن مَن قابلنِى بالرِّضا، والتَّسليم للقضا.

وكَفَّ نظرَه عن الطِّماح، وعامَل هواه بالزَّجْرِ لا بالسَّماح.

ظَفِر بكنز القناعة، وطَفَر عن وِهادِ الذُّلِّ والخَناعة.

---

(١) ينظر فيما تقدم إلى الآيات ١٢ — ١٤ من سورة المعارج. (٢) القتاد: شجر له شوك.

(٣) فى ا: «والتعنى»، والمثبت فى: ب، ج. (٤) فى ا، ب: «وأن القليل المال»، والمثبت فى: ج.

وهجر كدَّ الطلب ووَبالَه ، وفرّغ بطاعةِ مولاه خاطِرَه وبالَه .

وتمسّك بأوْثقِ الوسائل ، لتحْصيل العلوم والفضائل .

واستحقّ أن يُنشِد لسانُ افتخارِه :

غيرِي يُغـيِّره فِعالُ الجـافِي ... ويحُول عن شِيَمِ الـكريم الوافِي[١]

ويرشد عند اختياره :

إن الغَـنِيَّ هو الغـنيُّ بنفْسِه ... ولَوَ أنَّه عارِي المَناكبِ حَافِي[٢]

وأما من أبغضَك وأحبَّني ، ورفَضك وقرَّبني ، وأبعدك وأنت قائمٌ في خدمتِه كبعْض عَبِيده ، وطردَك وأنت باسِطٌ ذِراعيك بوَصِيده ، فإنه رجلُ الدنيا وواحدُها[٣]، وطالب الأُخْرى فواجدُها .

وحَسْبُك بإبراهيم بن أدهَم بعـد نُزوله من أعْلَى القصور[٤] ، وعمرو بن عُبَيد وجلالةِ قدرِه عند المنصور[٥] .

دَعْ أهلَ هذه الطبقة وما حوَوه من المَفاخر ، واتْلُ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ[٦] ﴾ .

أليس قد ورَد عنه صادقُ النَّبأ ، بأنه قد[٧] نَشَزَ عنك ونبَا ، وقد عُرِض عليه أن تصِير معه جبالُ تِهامة فِضّة وذَهَبا ؟!

ثم من العجَب زَعْمُك أنك العزيزُ وأنا الذليل ، وأنِّيَ الحقير وأنت الجليل .

---

(١) البيت لأبي فراس الحمداني ، وهو في ديوانه ١/٢٥٦ ، وفيه : « الفعال الجافي » .

(٢) البيت أيضاً لأبي فراس الحمداني ، من القصيدة التي سبق أولها . (٣) في ا : « وأوحدها » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) ذلك أنه كان من أبناء الملوك والمياسير من أهل بلخ ، خرج متصيداً فهتف به هاتف ، فترك طريقته في التزين بالدنيا ، ورجع إلى طريقة أهل الزهد والورع .

انظر طبقات الصوفية ٢٧ .

(٥) بلغ من جلالة قدره عند المنصور أن رثاه ، وكان عمرو بن عبيد زاهداً عالماً ، شيخاً للمعتزلة في عصره .

انظر وفيات الأعيان ٣/١٣٠ .

(٦) سورة الأحزاب ٢١ . (٧) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

ولو كنتَ تُساوِى[1] عفْطَـةَ[2] عنزٍ أو[1] قُلامةَ حافرٍ، لَمَا متّع اللهُ تعالى بك الفاسقَ والـكافر.

وإن زعمْتَ أن لك الفضلَ والنِّعمة، لأنّ مُصاحِبَك يُعَدُّ من أُلى النَّعْمة؛ فإنَّ معك من المِحَن والأكْدار، وهُمومِ الخوف من طَوارق الأقْدار، وتَوَقِّى سُوء السُّمْعة فى هذه الدار، ما لا ينْقطع ولا ينْتفِى، ولا يسْتتِرُ ولا يخْتفِى.

وَازَنْتُ بين مَليحِها وقبيحِها ... فإذا المَلاحةُ بالقباحةِ لا تَفِى

وأنَّى يَهْنَأُ بعَيْش مُستطاب، مَن يعلم أن حلالَك حِسابٌ وحرامَك عِقاب.

وكيف يتحمَّل منك الإفْضالَ والإنْعام، مَن يسمع «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيائِهَا بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ[3]».

فَدُونَكها غارةً شَعْواء، تَخْبِط فى مَحاجِها خَبْط العَشْواء، وداهيةً دَهْياء، تُحقق عندك أنَّكَ[4] الداءُ العَياء.

تمنع الحَدَثَ الغِرَّ أن يَصُولَ، والهَرِمَ المُجرَّبَ أن يقول:

يا لَيْتَنى فيهـــا جَذَعْ ... أَخُبُّ فيهــا وأَضَعْ[5]

وتُقرِّر فى العقول، مَفاد المَثل المنقول:

ما طارَ طَـــيْرٌ وارْتَفَعْ ... إلَّا كما طارَ وَقَعْ[6]

قد أصْدرَتْها صِيانةُ المروءة الشرعيَّة، وحِياطةُ حقوقِ[7] النفسِ المَرعيَّة؛ لا بَوادِرُ

---

(١) ساقط من: ج، وهو فى: ا، ب. (٢) عفطة العنز: ضرطتها. (٣) رواه ابن ماجة فى سننه ٢/١٣٨٠ (باب منزلة الفقراء، من كتاب الزهد)، ولفظه: «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ، خَمْسِمِائَةِ عَامٍ».

(٤) فى ا: «أن»، وفى ج: «أنى»، والمثبت فى: ب. (٥) هذا رجز أنشده دريد بن صمة يوم حنين. انظر السيرة ٢/٤٣٩، واللسان (ج ذ ع، و ض ع) ٨/٤٥، ٣٩٨.

والجذع: الشاب، والخبب والوضع: ضربان من السير.

(٦) انظر البيت فى التمثيل والمحاضرة ٣٦٣. (٧) فى ا: «حقول»، والمثبت فى: ب، ج.

القوّة الغضبيّة ، ونوادرُ النّخْوة والحميّة .

لتُفيدك موعظةً حسنة ، وتتلُوَ : لا تَستوِى السّيِّئةُ والحسَنة[1] .

وتُنْشِد البيتَ الدائر على الألسنة :

الخيرُ يَبقَى وإن طال الزّمانُ بهِ والشّرُّ أخبثُ ما أوْعيْتَ مِن زادِ[2]

قال راوى الحديث : فلما أتمّ الفقرُ مقالَه ، ورمى عن ظهرِه أثقالَه ؛ أقبل الغِنى على رأسِ المجلس وصَدْرِه ، وشمسِ المحفل وبدرِه .

وقال : أيُّها النفسُ الشريفة ، مَدّ الله تعالى بك ظِلالَ العقلِ الوَرِيفَة ، إن حالَ هذا الجاهل طَريفة أىّ طَريفه .

لقد جهِل الجهلَ المُركّب ، وركِب فى غيرِ سَرْجِه هذا المركب .

وقصَد إذْ شَوّه وجهَ جَمالِى ، وأوّدَ[3] غُصْنَ كَمالِى ، أن يُنشِد حُرٌّ كريم ، أو ذو أدب قويم :

كضَرائرِ الحسْناءِ قُلْنَ لوجْهِها حَسَداً وبُغْضاً إنه لَذَمِيمُ[4]

فيدخُل بفَحْوَى[5] العموم فى جملةِ أقْرانِى ، ويصْعَد بهذا المفهوم إلى أوْج قِرانِى .

وهيهات هيهات ، أين الثُّرَيّا من يَدِ المُتناوِل ، ومتى قال السُّها ياشمسُ أنت خفيّة : وقال الدُّجَى ياصُبْحُ لونُك حائل .

ولو انْثالتْ من جيوشِ الكلام هذه الجحافل ، فى أحْقرِ الأندية والمحافل[6] ، لمَا

---

(١) نص الآية ٣٤ من سورة فصلت : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾ .

(٢) البيت لعبيد بن الأبرص وهو فى التمثيل والمحاضرة ٥٠ . (٣) أوده : حناه وعوجه .

(٤) البيت لأبى الأسود الدؤلى . البيان والتبيين ٤/٦٣ ، وفيه : « إنه لدميم » .

(٥) فى ا : « فى نحوى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٦) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

فى الحال بين البطل الشُّجاع ، والخَنِع [1] اليَراع [2] ، وأسْقط سَقَطُ [3] المَتاع ، عن رتبة سكاب [4] الذى لا يُعار ولا يُباع .

فكيف بهذا المجلس الذى انْتَشرتْ عليه غمائمُ الأدب والفضل ، وشَرَتْ [5] منه بَوارِقُ صَوارِم القول الفَصْل ، وارْتعدتْ بصواعِق الجِدِّ فَرائضُ الهزْل ،وهمَرتْ سيولُ النَّفع والضُّرّ فى شِعابِ التَّوْلِيةِ والعَزْل .

وإنى سأحْبِس عن القول عِنانى ، ولا آخُذُ إلّا فيما عَنانِى ، حتى تنْحسم أباطيل الأمانى ، وتَمَّحِي عن صحائف الخواطر وساوسُ مانِى [6] ، وأُجازِى بالشكرِ مَن عرَف قدرِى فأسْمانِى .

قال : فبادر الفقرُ قائلا [7] : رَبِّ إنى دعوتُ هذا الخصْمَ الرشادِ ليلاً ونهارًا ، ونصحْتُه بالبيان المُستفاد سِرًّا وجِهارا ، فلم يزدْه دُعائى إلّا فِرارًا ، وإصْرارا على الجوْر واستكْبارا .

ثم لم يكْتفِ بذلك حتى أخذ يمكُربى مَكْراً كُبَّارا ، ويتقرّب للحضْرة السُّلطانيَّة استظهارا علىّ واستنْصارا [8] ، ويظُنُّ أن سينال بذلك لَديْها إيثارا .

كلاَّ والله ، تلك حضرةٌ شَوْطُ الباطل فيها قَصِير ، وهى للحقِّ وأهلِه نِعْمتَ النَّصِير ، ولا يتميّز عندها المتربِّع فوق السَّريرِ ، على الجاثِى على الحصِير ، وقد وقفَ الكلامُ بمُنْتهاه وغايتِه وصار إلى مَصِير .

ثم أقْبل على العقل ، وقال : يامولانا الوزير ، أنت المُدبِّر والمُشِير ، والحاكمُ على كلِّ مأمور وأمير .

---

(١) الخنع : الذليل . (٢) اليراع : الجبان . (٣) سقط المتاع : رديئه . (٤) كذا فى الأصول ، ولم أعرفه . (٥) شرى البرق : لمع . وفى ج : « وسرت » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٦) تقدم ذكر مانى فى صفحة ١٥٣ (٧) ينظر فيما يأتى إلى الآيات ٥ ـ ٩ ، ٢٢ من سورة نوح .
(٨) فى ب ، ج : « واكتصارا » والمثبت فى : ا .

وأنت لسانُ الملِكِ الناطقُ بلا اعتراض ، ويدُه المُتصرِّفةُ فى سائر الأغْراض ، وطبيبُ أحكامِه الشافى من كلِّ الأمراض ، ولك الأمرُ ﴿ فَاُقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾[1] .

قال كريمُ الطِّباع ، الراوى لهذه الأسجاع : فلمَّا سمِع العقلُ ماقالاه ، ورآى أنهما ألْزَماه الحكومةَ وإن عثُر ما أقالاه ، لبِث هُنَيْئةً ينتظر الإذْنَ فى الكلام ، ويُحرِّر من القوْل مايُخرِجه عن المَلام .

إجْلالا للحضرة السلطانيَّة وتبجيلا ، وعملا بما قيل :

إن الكلامَ لَفِى الفؤادِ وإنما  جُعِلَ اللسانُ على الفؤادِ دليلاَ

حتى حصُلتْ له الإشارةُ ، ووَصلتْ نتائجُ أفكارِه المُستشارة .

فاسْتعاذ من الشيطانِ الرجيم ، وقال : بسم الله الرحمن الرحيم .

أما بعد ؛ فإنَّ الحكومةَ مِعْيارُ الذِّمَم ، ومِحَكُّ الهِمَم .

وميزان الفضل والمعرفة ، ومَيْدان الأفكار المُتصرِّفة .

ومَمَرُّ أنهار البلاغة والفصاحة ، ومَقَرُّ أطْواد الرَّصانة والرَّجاجة ، ومَصْرَع جُنوبِ المودَّة والصداقة ، لكن فى معاركِ ذوِى الجهل والحماقة

والحقُّ يأْبَى الجمعَ بين النَّقيضَيْن ، والعقل يحرِصُ على الإصلاح بين البَغيضَيْن .

والتوفيقُ عَزيز ، وخيرُ القولِ الجامعُ الوجيز .

وبحرُ المديح والقَدْح لا تفْنَى عجائبُه ،

ومَن ذا الذى تُرْضَى سَجاياهُ كُلُّها  كَفَى المرءَ نُبلاً أن تُعَدَّ مَعايِبُهُ[2]

ومن هنا أيها الفقرُ والغِنَى ينبغِى أن تعلما أنكما أدخلتُمانى فى أضْيَق من سَمِّ الخِياط ، وكلَّفتُمانى المُرورَ على جهنَّم فوق الصِّراط ، وأشَقُّ المَسالكِ الشرعيَّة بابُ الاحْتياط .

---

(١) سورة طه ٧٢ .  (٢) البيت ليزيد بن محمد المهلبى الشاعر العباسى ، وهو فى التمثيل والمحاضرة ٩٣ ، زهرالآداب ١/٥٥ ، نهاية الأرب ٣/٩٠ .

وأنا أستعينُ اللهَ تعالى وأستهديه ، وأسأله أن يُوفقكما لقبولِ ما أُبديه .

فقد أجبتُ السؤال وأطعْت ، وما أريدُ إلا الإصلاحَ ما استطعْت [١] .

أما أنت أيها الغِنَى ؛ فإنك المحمودُ المذموم ، المَيمون المَشئوم ؛ المحبوب المَبغوض ، المطلوب المَرفوض ؛ النافعُ الضَّارّ ، المُقيم الفارّ ، المُنبِّه الغارّ .

وأما أنت أيها الفقر ، فإنك العدوُّ الصديق ، المُسعِف الرَّفيق ؛ المُشقِي المُسعِد ، المُهبِط المُصعِد ؛ المُمرِض المعافِي ، المُعرِض الوافِي ، المُخِلُّ الكافِي ، الناقصُ الوافِي .

وأنا أُفصِّل [٢] لكما هذيْن الإجماليْن [٣] ، وأرفعُ التَّناقُض بين الاحتماليْن ، حتى تُنزِّهاني عن الجهْل والمَيْن ، وتنقلِبا بحقائق الأمورِ عالمَيْن .

اعلما أن اللهَ لم يخلُق شيئاً عبثًا ولعِبا ، ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾ [٤] أوْلاه راحةً أو تعبا .

وجميعُ نِعَمِه ونِقَمِه ، منتظمةٌ في أسلاكِ حِكَمِه .

وكلُّ ما أوْدَعه في عالمِ الكون والفساد ، ذريعةٌ للعباد إلى كَسْبِ الفوْز في المَعاد .

ومِلاكُ نتيجةِ كلِّ قضيَّة ، مايَهْدِي الله إلى اختيارِه حضرةَ النفسِ الإنسانيَّة .

وقد أحلَّكما اللهُ تعالى بين عبادِه في مَواقِع ، يُجوِّزُها الشرعُ ولا يُدافِع ، مَن أوْفاها حقَّها ظَفِر بالعملِ النافِع ، ومن قصَّر جُوزِيَ بعذابٍ واقع ، ماله من دافع .

فيكون الغِنَى مِنْحةً استوجَبها المُطيع فحَواها ، أو مصلحةً لا يُصلِح العبدَ سواها .

أو مِحْنةً للاختبار والابتلا ، أو فتنةً للاستدراج والإملا .

ويكون الفقرُ نِقْمةً طِبْقَ الاستحقاق المَسْطور ، أو نعمةً لتنزيه النفوسِ الشريفة عن مَتاعِ الغُرور .

---

(١) ينظر إلى قوله تعالى : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَاحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ﴾ ، سورة هود ٨٨ .

(٢) في ج : « أفصل » ، والمثبت في : ا ، ب . (٣) في ا : « بالإجمال » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٤) سورة الكهف ٤٩ .

ويُشارِكُ الغِنَى فى الابْتِلاء والاختبار ، والمصلحة التى يعلمها الحكيمُ المُختار .

فَحقُّ المَحْبُوِّ بالغِنَى أن لا يَأْلُوَ جُهْداً ، فى أن يُوالِىَ شُكْراً وحَمْداً .

وأن يتوصَّل به لِاكْتساب الأُخرى ، ويتصرَّف فيه بما هو الأَوْلى والأَحْرَى .

ويتخرَّج من عُهْدَةِ النَّوافل والحقوق ، ويتحرَّج عن وَصْمةِ التَّغافُل والعُقوق .

ويستعيذَ بالله من إملائه وفِتْنَتِه ، ويَحْذَرَ أن تغلِب الغَفلةُ على فِطْنتِه .

وإيَّاه ثم إيَّاه ، أن يشْغَله عن مولاه .

وتحت هذا الإجمال تفصيلٌ طويل ، الوَيْلُ لمن أضْرب عنه والعَوِيل .

وحَقُّ المَمْنُوِّ بالفقر أن يأخذَ بالرِّضا والتسليم ، ويُقابل حُكْمَ الحكيم بقلبٍ سليم .

ويشكرَه على آلائه ، حيث اختصَّه بشِعارِ أنْبيائه وأوليائه .

ويُنيبَ إلى بارِيه بالتَّوبة ، ويستعيذَ به من شُؤْمِ الإثْم والحَوْبَة [1] .

ويعْتاضَ بعِزِّ القَناعة والكَفاف ، [2] ويرْتاضَ على الزهد والعفاف [2] .

ويعْتصِمَ بحَبْلِ التُّقى [3] ، ويَحْذَرَ من التخلُّص [4] بالشَّفَا مِن الشَّقا [4] .

ولا يَيْأَس من رَوْح الفَرج ، وإن عَزَّ فى الضِّيق المَخْرج .

ولا يدَع التلطُّف فى الحِيلة ، لتكلُّف المظاهر الجميلة .

فهذه السُّنَن المُتَّبَعة ، مُقْنِعة فى الخروج من عُهْدَةِ المواقِع الأرْبعة .

إذا عُلِم هذا وتقرَّر ، وثبَت لدَيْكما وتحرَّر ، فاعْلَما أن كلَّ واحدٍ منكما جاوَر مَن هذه صِفاتُه ، وحاوَر من لا تَصْدَعُ بالجهل صَفاتُه [5] .

فهو فى مَعْرَكِ المُفاخرة فارِس الصَّفَّيْن ، والحائزُ للقِسْم المحمود من الوَصْفَيْن .

---

(١) الحوبة : الهم والحاجة . (٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . وفى ا : « الزهد والكفاف » ، والمثبت فى : ب . (٣) فى ا : « التقا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ب : « من الشقاء بالشقا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) الصفاة : الحجر الصلد الضخم .

وإلّا فهو المُتَّسِم بالوصف الأخير ، (١ الحرِيُّ وإن ١) قُدِّم بالتأخير .

ثم إن أبَيْتُمَا ، إلّا التَّمييز فى الصفات بينكما ، فأنت أيها الغِنَى كالسيفِ الصَّقِيل ، يُضِىء حَدُّه فى أعناق المعتدين والمُهتدين ، والجَوادِ الأصيل يصلُح حَدُّه(٢) لقطْع السُّبُل(٣) ولإعْزاز الدِّين .

فلك الفخرُ الذى يُزاحِم الكواكبَ بالمناكب ، لكنْ بعدَ النَّظر إلى الضَّارب والراكب .

وأنت أيها الفقر كالبحرِ الأُجاج ، يجرى فيه الفُلْكُ مَواخِر ، ويُسْتخْرَج منه الدُّرُّ الفاخر .

والقَفْرِ المَجاج ، ينجو سالِكُه(٤) مِن طَلَب أعْدائه ، ويرْجُو عند انْتهاء السيرِ لِقاءَ أوِدَّائه .

فأنت الحائزُ للمفاخر ، لكن باعتبار العواقب والأواخر .

ثم إنى أقول ولا أخْشَى مَلامة ، إن الفقرَ أدَلُّ على مَنْهج الاسْتقامة ، وأقْربُ إلى ساحلِ السلامة .

وإن كان الغِنَى إذا كُشِف عن صاحبه الرَّيْن ، ووُفِّق على عِزَّةِ التوفيق لأحَدِ الاخْتيارَيْن ، فهو الظافرُ بسعادة الدارَيْن .

وبهذا التَّأْصيل الوَثِيق ، والتَّفصيل المُطابِق للتحقيق ، يرتفعُ التناقُضُ بين ماأوردْتُماه من الحُجَج ، وقُلْتُماه عند الخَوْض فى تلك اللُّجَج .

فتأمَّلاه بعَيْن البَصِيرة ، وتناوَلاه بيدٍ غيرِ قصيرة .

وعلى كلٍّ حال فأنا المُمتحَن المُبتَلى بكما ، والمرآةُ المُجَلَّى فيها شَكْلُكما .

---

(١) فى ا : « الجرىء وأنى » ، والمثبت فى : ب ، ج .    (٢) فى ب : « جده » ، والمثبت فى : ا ، ج . والحد من كل شىء : حدته .    (٣) فى ج : « السبيل » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٤) فى ا : « سالك » ، والمثبت فى : ب ، ج

ولم يكفِكما تكليفى المَشاقَّ مُنفرِدين ، حتى جئتُمانى مُجتمعين ، وحَمَّلتمانى مالو عُرِض على الجبالِ لأَبَيْن .

وأنا أسألُ اللهَ تعالى أن يمنحَ حُكْمِىَ القَبُول ، ويُوفِّق بينكما بالإصْلاح وهيهات أن تتَّفق الدَّبُورُ والقَبُول [1] .

قال راوى الحديث : فلما سمع الغِنَى والفقر ماجَلاه العقل من الدَّلائل ، وعلِما أنه لم يُبْقِ مَقالًا لقائل ، ولا مَصالًا لصائل ، قاما حامدَيْن للحُكومة راضيَين ، وانْطلقا لشأنِهما كالسيْفين الماضِيَين .

وتفرّق أرْبابُ المجلس وكلٌّ يقول : هذا هو الحُكْمُ العَدْل ، والمنطقُ الفَصْل ، ولِواهبِ العقل جزيلُ الحمد والمِنّة والفضل .

☆☆☆



(١) الدبور : الريح تهب من الغرب ، والقبول : الريح تهب من الشرق ، وهى الصبا .

# ٣١١
# محمد بن أحمد حكيم المُلْك*

بضم الميم وسكون اللام

جَواد لا يُشَقُّ غُبارُه ، وكامل خَلَص من الزيْف عِيارُه .

سَرَّح فى فنون العلم وسَام ، واجْتلَى وُجوهَ خطاياه وهى نَضْرَةٌ وِسام .

وهو من بيت رياسةٍ وجَلالة ، وقومٍ لم يرِثوا المجد عن كلالة .

وكان لِسَلَفِه عند ملوك الهند آل تيمور ، محَلٌّ بندَى أكُفِّهم معمور ، ومنزل بفائض عَوارِفهم مغمور .

ولما ورد جَدُّه مكةَ المشرَّفة ، قصَد آل الحسن السادة ، فأحَلُّوه المحلَّ الذى يُنْبيه أعْيُن الحسَّادة .

ووُلِد صاحبُ الترجمة بمكة ، فنشأ فى بيتِ مجدٍ عَلَا قدرُه ، ورضَع من ضَرْعِ ذلك المَحْتِدِ فلله دَرُّه .

فجمع بين تَليد المجد وطَريفِه ، وقال[1] من ظِلِّ الرِّعاية فى فَسيحِه ووَريفِه .

قال ابن معصوم : ولم يزل مُتَبِّعا[2] تلك الدار ، محمودَ الإيراد[3] والإصْدار .

---

(*) محمد بن أحمد حكيم الملك .

فارسى الأصل ، ولد بمكة ، ونشأ بها .

وكان لأسرته حظوة عند بنى حسن أشراف مكة ، وكانت له مكانته عند الشريف محسن ، ثم تغيرت الأحوال فى دولة الشريف أحمد بن عبد المطلب ، فكان ممن نهبت داره ، وسار مختفياً إلى اليمن ، وظل هناك حتى قتل الشريف أحمد ، ولكنه لم يجد عند الشريف مسعود ما كان يؤمله ، فتوجه إلى الهند ، سنة تسع وثلاثين وألف .

وتوفى بها سنة خمسين وألف .

خلاصة الأثر ٣/٣٦١ ـ ٣٦٦ ، سلافة العصر ١٥٨ ـ ١٧٢ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤٦٣ .

(١) من القيلولة .  (٢) فى السلافة : « متبوءاً » .

(٣) يعنى القاضى أحمد بن أبى دؤاد الإيادى ، صاحب فتنة القول بخلق القرآن .

وكان أثيراً لدى المعتصم العباسى .

توفى سنة أربعين ومائتين .

تاريخ بغداد ٤/١٤١ ، وفيات الأعيان ١/٦٦ .

مع تمسُّكه من سلطانها الشريف محسن بالعُرْوة الوُثْقَى التى لا تنفصِم ، وحُلوله لديه بالمكانة التى ما حَلَّها ابن دُؤاد عند المُعتصم .

(١ حتى حصل عليه ١) من الشريف أحمد بن عبد المطلب ما حصَل ، (٢ لما انْحَلّ ٢) عَقْدُ ولاية الشريف مُحْسِن منها وانفَصل .

فكان ممَّن نَهَب (٣) الشريفُ دارَه ومالَه ، وقَطع من الأمانِ أمانيه وآمالَه .

فالْتجأَ إلى بعض الأشراف ، فأمَّنه على نفسه بعد (٤ مُشاهدة الوقوف ٤) على الهلاك والإشْراف .

ثم سار مُختفيا إلى اليمن (٥) ، واستمرَّ حتى قُتِل ابنُ عبد المطلب ، فلم يرَ من شريف مكة السيد مسعود ما كان يأمُله قبل ، فتوجَّه إلى الهند فألْقى بها عصاه ، إلى أن بلغ من العمر أقصاه .

انتهى .

* * *

ومن شِعره الذى أخذ بكلِّ معنى ، وتعطَّر بَشامَ ذِكْره كلُّ مَغنى .

قوله (٦) :

صَوادِحُ الْبانِ وَهْناً شَجْوُها بادِى ... فمن مُعِينُ فتًى فى فَتِّ أكْبادِ (٧)

صَبٌّ إذا غنَّتِ الورْقاء أرّقهُ ... تذْكيرُها نغَماتِ الشادِنِ الشادِى

---

(١) فى سلافة العصر : « حتى حصل على مكة شرفها الله تعالى » .

(٢) فى السلافة : « وانحل » . (٣) فى السلافة : « أنهب » .

(٤) فى سلافة العصر : « مشاهدته الوقوع » . (٥) لم يرد فى السلافة المطبوعة ذكر سيره مستخفياً إلى اليمن ، وقد تصرف المحبي بعد هذا فى كلام ابن معصوم . (٦) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٣/٣٦١ ـ ٣٦٤ ، سلافة العصر ١٦٢ ـ ١٦٥ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤٧٥ ـ ٤٧٨ .

وذكر المحبي أنه عارض بها دالية أحمد المرشدى ، التى تقدمت .

والقصيدة فى رثاء الشريف محسن بن الحسين ، وكانت وفاته سنة ثمان وثلاثين وألف .

انظر خلاصة الكلام ٦٨ ، سمط النجوم العوالى ٤/٤٢١ .

(٧) فى سلافة العصر ، والسمط : « فمن عذير فتى » .

فباتَ يرعُفُ من جَفْنيْهِ تحسَبُه ... يُرَجْرِجِ المَدْمَعَ الوَكّافَ بالجادِي [1]

جافِي المضاجعِ إلْفُ السُّهْدِ ساوَرَه ... سَمُّ الأساوِدِ أو أنيابُ آسادِ

له إذا الليلُ وَاراهُ نَشِيجُ شَجٍ ... وجَذْوَةٌ في حَشاهُ ذاتُ إيقادِ

سُمَّارُه حين يُضْنيه توَحُّشُه ... فيَشْرَئِبُّ إلى تأْسِيسِ عُوّادِ [2]

وَجْدٌ وهَمٌّ وأشْجانٌ وبَرْحُ جَوًى ... ولَوْعةٌ تتلظَّى والأسى سَادِي [3]

أَضْناهُ تفْرِيقُ شَمْلٍ ظَلَّ مجتمِعاً ... وضَنَّ بالعَوْدِ دهرٌ خَطْبُه عادِي [4]

فالعمرُ ما بين ضَنٍّ ينْقضِي وضَنًى ... والدهرُ ما بين إبعادٍ وإبْعادِ [5]

لا وَصْلَ سَلْمَى وذاتِ الخالِ يرْقُبُه ... ولا يُؤمِّل من سُعْدَى لإسْعادِ [6]

أَضْنَى فؤادِيَ واسْتوْهَى قُوَى خَلَدِي ... أقْوَى مَلاعبَ بين الهُضْبِ والوادِي [7]

عفَتْ محاسنُها الأيامُ فانْدَرستْ ... واسْتبْدلَتْ وَحْشَةً من أُنْسِها البادِي

وعاثَ صَرْفُ الليالي في مَعالمِها ... فما يُجيبُ الصَّدَى فيها سِوَى الصّادِي [8]

دَوارِجُ المَوْرِ مارتْ في مَعاهِدِها ... فغادرَتْها عَفا السّاحاتِ والنادِي

وصَوَّحتْ بالبِلَى أطْلالُها وخَلَتْ ... رِحابُها الفِيحُ من هَيْدٍ ومن هادِي [9]

---

(١) في السمط: « يرعف من عينيه »، وفي ا: « يرجج المدمع »، وفي السلافة، والسمط: « يزبرج المدمع »، والمثبت في: ب، ج، والخلاصة.
الوكاف: المنهمل. والجادي: الزعفران.

(٢) في الخلاصة: « فيتريب إلى تأسيس عواد »، وفي السمط: « فيشرئب إلى تأنيس عواد ».

(٣) في السمط: « وأحزان وبرح هوى »، وفي هامش خلاصة الأثر: « قوله: سادي، بمعنى سادس ».

(٤) في الأصول: « دهراً خطبه عادي »، والمثبت في الخلاصة، والسلافة، والسمط.

(٥) في السلافة: « ما بين ضر ينقضي . . . والدهر ما بين إبعاد وإيعاد ».

(٦) في الأصول: « من سعد لإسعاد »، والمثبت في: الخلاصة، والسلافة، والسمط.

(٧) في السلافة، والسمط: « أشجى فؤادي »، وفي الأصول: « قوى خلدي »، والمثبت في: الخلاصة، والسلافة، والسمط. وفي السمط: « بين النصب والواد ».

(٨) الصادي: الشديد الظمأ. (٩) في السمط: « من هند ومن هادي ».
والهيد: المضطرب. القاموس (هـ ى د).

كأنها لم تكنْ يوماً لبيضٍ مَهاً ... مَراتِعاً قد خلَتْ فيهنّ من هادِ [(١)]

ولم تظَلّ مَغانيها بغانيةٍ ... تُغْنِي إذا ما رَدَى من بَدْرِها رَادِي [(٢)]

ولا تثنّتْ بها لَمْياء ساحِبةً ... ذَيلَ النعيم دَلالاً بين أنْدادِ [(٣)]

فارقْتُها وكأنّي لم أظَلّ بها ... فى ظِلّ عَيْشٍ يُجلّى عُذْرَ حسّادِ [(٤)]

أجْنِي قُطوفَ فُكاهاتٍ مُحاضِرةً ... طَوْراً وطوراً أُناغِي رُتْبة الهادِي [(٥)]

هَيْفاء يُزْرِي إذا ماسَتْ تمايُلُها ... بأمْلَدٍ من غصونِ البانِ مَيّادِ [(٦)]

بجانبِ الجيدِ يَهْوِى القُرْطُ مُرْتعِداً ... مَهْواهُ جِدُّ سَحِيقٍ فوق أكْتادِ [(٧)]

شِفاهُها بين حُقّ الدُّرّ قد خَزنتْ ... ذخيرةَ النّحلِ مَمْزُوجاً بها الجادِي [(٨)]

إذا نَضَتْ عن مُحَيّاها النّقابَ صَبا ... مُسْتَهْتَراً كلُّ سَجّادٍ وعَبّادِ

وإنْ تجلّتْ ففيما قد جلَتْه دُجًى ... لنا به فى الدّآدِي أيّما هادِي [(٩)]

ومِيضُ بَرْقِ ثَناياها إذا ابتسمتْ ... بعارضِ الدّمْعِ من مَهْجورِها حادِي [(١٠)]

وناظِرانِ لها يَرْتدُّ طَرْفُهما ... مهما رَنَتْ عن قتيلٍ ما له وَادِي [(١١)]

وصُبْحُ غُرّتِها فى ليلِ طُرّتِها ... يوْمايَ من وصلِها أو هجرِها العادِي [(١٢)]

تلك الربوعُ التى كانت مَلاعبُها ... أخْنَى عليها الذى أخْنَى على عادِ

إلى مَلاعبِ غِزْلانِ الصّريمِ بها ... يَحِنُّ قلبي المُعَنّى ما شدَا شادِي [(١٣)]

---

(١) يقال : ما له هيد وهاد ، أى حركة . (٢) فى خلاصة الأصل : « ولم تحل مغانيها » .

(٣) فى السمط : « لمياه ساحته » . (٤) فى السلافة ، والسمط : « فارقتها فكأنّى » .

(٥) فى الخلاصة : « أناغى ربة الهادى » ، وفى السلافة : « أناغى زينة الهادى » ، وفى السمط : « أناجى زينة الهادى » . (٦) الأملد : الغصن الناعم . (٧) فى السمط : « فوق أكباد » . والكتد : مجتمع الكتفين من الإنسان .

(٨) فى السمط : « شفاتها بين حر الدر » ، وفى الأصول ، والخلاصة : « ذخيرة الفحل » ، والمثبت فى السلافة ، والسمط . (٩) الدآدى : الليالى الشديدة الظلمة .

(١٠) فى الخلاصة : « يعارض الدمع » . (١١) الوادى : من يدفع الدية . (١٢) العادى : من العدوان

(١٣) فى السلافة ، والسمط : « إلى حمائم غزلان الصريم » ، وفى الخلاصة : « يحن قلب المعنى » .

بُعْدًا لدهرٍ رمــانى بالفراقِ بهــا ... ولا سَقَى كَنَفَيْه الرّائحُ الغادِى[1]

عَمْرِى لئن عظُمتْ تلك القَوادِحُ من ... خُطوبه وتمــــدّتْ حَدّ تَعْدادِ

لقد نسيتُ وأنْستنى بَوائقُــه ... تلك التى دَهْدَهتْ أصْلا وأطْوادِ[2]

مَصارِعٌ لِبَنى الزّهْرا وأحمد قد ... أذْكَرْنَ فَخًّا ومَن أرْدَى به الهادى[3]

لفَقْدِهم وعلى المَطْلولِ من دَمِهم ... تبكى السماء بمُزْنٍ رائحٍ غادِى[4]

وشَقّ جَيْبَ الغمامِ البَرْقُ من حَزَنٍ ... عليهمُ لا على أبنــاء عَبّادِ

كانوا كعِقْدٍ بجيد الدهرِ مُذْ فَرطَتْ ... من ذاك وَاسِطةٌ أوْدَى بِبَغْدادِ[5]

وهو المَليكُ الذى للمُلْكِ كان حِمًى ... مُذْ ماسَ من بُرْدِه فى خَزّ أبْرادِ[6]

كانت لجيرانِ بيتِ اللهِ دولتُــه ... مِهادَ أمْنٍ بِسَرْحِ الخيفِ ذَوّادِ[7]

وكان طَوْدًا لِدَسْتِ المُلْكِ مُحْتَبِيًا ... ولاقْتناصِ المَعالى أىّ نَهّادِ[8]

ثَوَى بصَنْعــا فيالله ما اشْتملتْ ... عليه من مجدِه فى ضِيقِ ألْحادِ

---

(١) فى السلافة : « بالفراق لها » . (٢) فى السلافة ، والسمط : « فقد نسيت » .

(٣) فخ : واد بمكة ، كانت به وقعة بين أبى عبد الله الحسين بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب ، حين خرج يدعو إلى نفسه سنة تسع وستين ومائة ، وبين جنود الهادى ، وقد بذلوا له الأمان حين التقوا به يوم التروية ، ويقال إن مباركا التركى رشقه بسهم فمات وحمل رأسه إلى الهادى ، وقتل جماعة من عسكره وأهل بيته ، وبقى قتلاهم ثلاثة أيام حتى أكلتهم السباع ، ولهـذا يقال : لم تكن مصيبة بعد كربلاء أشد وأفجع من فخ .

الكامل ٦/٣٦ ــ ٣٨ ، معجم البلدان ٣/٨٥٤ .

(٤) فى السلافة ، والسمط : « بدمع رائح غادى » . (٥) فى ب : « لجيد الدهر » ، وفى السمط : « لجيد المجد » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

وفى ا : « مذ فرطت » ، وفى ب : « مذ قرظت » ، وفى ج : « مذ قرطت » ، وفى الخلاصة : « قد قرطت » ، والمثبت فى : السلافة ، والسمط .

(٦) فى الأصول : « دعو الملك » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة ، والسمط .

وفى السلافة ، والسمط : « فى خير أبراد » .

(٧) فى السلافة : « مهادها من لسرح الخوف ذواد » ، وفى السمط : « لسرح الخيف » .

(٨) فى السلافة ، والسمط : « بدست الملك » .

فقـــد حَوَيْتِ به صَنْعاء من شَرَفٍ ... كما حَوَتْ صَعْدَةٌ بالسيِّد الهادِي [(١)]

فحبَّــــذا أنتِ ياصَنْعاء من بلدٍ ... ولا تَغَشَّى زياداً وكَفُّ رَعّادِ [(٢)]

مُصابُه كان رُزْءاً لا يُوازِنُه ... رُزْءٌ ومِفْتاحَ أرْزاء وأسْبادِ [(٣)]

وكان رَأْساً على الأشْرافِ منذ هوى ... تتابَعُوا بعـــده عن شِبْهِ مِيعادِ [(٤)]

لَهْفَ المُضافِ إذا ما أزْمَـــةٌ أزَمتْ ... من قطبِ نائبةِ المَتْنِ هَدّادِ [(٥)]

لَهْفَ المُضافِ إذا ما أقْلحتْ سَنَـةٌ ... يَضِنُّ فى مَحْلِهـــا الطَّائىُّ بالزّادِ [(٦)]

لهفَ المُضاف إذا كَرُّ الجيادِ لدَى ... حَرِّ الجِلادِ أثار النَّقْعَ بالوادِي

لهفَ المضافِ إذا مايُستَباحُ حِمًى ... افْتَقَدَ حامٍ بورْدِ الكَرِّ عَوّادِ [(٧)]

لهف المضاف إذا جُلَّى به نزلَتْ ... ولم يَجِدْ كاشِفاً منهـــا بمِرْصادِ [(٨)]

لهف المضاف إذا نادَى الصَّرِيخُ ولم ... يجِدْ له مصرخاً كالغيثِ للصَّادِي [(٩)]

لهف المضاف إذا الدهرُ المَسُوفُ سَطَا ... بضَيْمِ جارٍ لنُزْلِ العزِّ مُعْتادِ [(١٠)]

بل لهفَ كُلِّ ذوِي الآمالِ قاطبةً ... عليهمُ خَـــيرُ مُرْتادٍ لِمُرْتادِ [(١١)]

---

(١) صعدة : مخلاف باليمن ، بينه وبين صنعاء ستون فرسخاً . معجم البلدان ٣/٣٨٨ ، ٣٨٩ .

(٢) فى الأصول : « وكف وعاد » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة ، والسمط .

(٣) فى الأصول ، والسلافة : «أرزاء واساد» ، وفى الخلاصة : « أرزاء واسّاد » ، والمثبت فى السمط والأسباد : الدواهى .

(٤) فى الأصول : « منه هوى » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة ، والسمط .

(٥) فى السمط فى هذا البيت والأبيات التالية : « كهف المضاف » .
وفى الخلاصة : « إذا ما أزمة أويت » ، وفى السلافة ، والسمط : « من خطب نائبة » .
وأزمت الأزمة : اشتدت .

(٦) فى السمط : « إذا ما أمحلت سنة » .
وأقلحت السنة : اشتد فيها الجدب .

(٧) فى السلافة ، والسمط : « متى ما يستباح حمى » . (٨) فى السمط : « إذا الجلى به نزلت » .

(٩) فى الخلاصة : « كالليث للصادى » . (١٠) فى السمط : « لنيل العز معتاد » .

(١١) فى السلافة ، والسمط : « بل لهف نفس ذوى الآمال » .

كانتْ بهم تَزْدهِى فى السِّلْمِ أنْدِيَةٌ ... وفى الوغَى كُلُّ قَدَّادٍ ومُنْآدِ [(١)]

على الأرائِكِ أقْمارٌ تُضِىءُ ومِن ... تحت التَّرائِكِ آسادٌ لمستادِ [(٢)]

تشكُوا عِداهم إذا شاكِى السِّلاحِ بَدَا ... شَكَّ القَنا ماضَفَا من نَسْجِ أبْرادِ [(٣)]

إلى النُّحورِ وما تحوِى الصدورُ وما ... وَارَتْه فى جُنْحِها ظُلماتُ أجْسادِ [(٤)]

جَنَى جَنًى قلقًا تحْوِى جَآجِئُها ... ممّ يُقصَد فيهــا كلُّ قَصَّادِ [(٥)]

بَادُوا فبادَ من الدنيا بأجمعِهــا ... مَن كان فكَّاكَ أصْفادٍ بإصْفادِ [(٦)]

وقد ذَوتْ زَهْرةُ الدنيــا لِفَقْدِهمُ ... وألْبِستْ بعــدهم أثوابَ إحْدادِ

واجْتُثَّ غَرْسُ الأمانى من فَجِيعتِهم ... وأنْشَد الدهرُ تقنيطًا لِرُوَّادِ [(٧)]

ياضيفُ أقْفَر بيتُ المَكْرُماتِ فخُذْ ... فى جَمْعِ رَحْلِك واجمعْ فَضْلَةَ الزّادِ [(٨)]

ياقلبُ لا تبتئسْ من هَوْلِ مَصْرَعِهمْ ... وعَزِّ نفسَك فى بُؤْسٍ وأنْكادِ [(٩)]

بمَن غدا خَلَفًا ياحبَّــذَا خَلَفٌ ... فى المُلْكِ عن خيرِ آباءٍ وأجدادِ

بحائزٍ إرْثَهم حاوٍ مَفــاخِرَهم ... كما حوَى الألفُ من آحادِ أعْدادِ [(١٠)]

---

(١) فى ا : « كل قتاد » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة ، والسمط .

وفى الخلاصة : « كل قداد وهناد » ، وفى السمط : « كل قداد ومياد » .

(٢) فى الخلاصة : « آساد لساد » ، وفى السلافة : « أسياد نساد » ، والمثبت فى الأصول ، والسمط ، ولم أعرف معنى : « لمستاد » .

والتريكة : البيضة يضعها المحارب على رأسه .

(٣) فى الأصول : « شك العنا . . . من نسل أبراد » ، وفى السلافة : « شد القنا ما ضفا من نسج أبراد » ، وفى السمط : « شك القنا ما صفا من نسخ زراد » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(٤) فى السمط : « ظلمات جساد » . (٥) فى ا : « جناجر اقلقا تحوى جآجرها * مما يقاصد » ، وفى ب : « جناجر اقلقا ... » ، وفى ج : « حناجر اقلقا ... » ، وهو اضطراب واضح ، وقد سقط البيت من الخلاصة ، والمثبت فى : السلافة ، والسمط ، والرسم فيهما : « جنا جنا قلقا » .

والجآجئ : الصدور . ولعله أراد بقوله : « مما يقصد فيها كل قصاد » مما يرى فيها من السهام التى لا تخطئ .

(٦) أصفاد : جمع الصفد ، وهو القيد ، وأصفده المال : أعطاه إياه ، وأصفاد أيضاً : جمع الصفد ، وهو العطاء . (٧) فى السلافة : « تقييظاً لرواد » . (٨) فى السلافة : « ياضيف أقوى لبيت المكرمات » .

(٩) فى السمط : « ياقلب لا تيأسن من هول مصرعهم » . (١٠) فى السلافة : « لحائز إرثهم » ، وفى الأصول ، والخلاصة : « حاو مفاخرهم » ، والمثبت فى : السلافة ، والسمط .

وذاكَ زيدٌ أدام اللهُ دولتَــــه ... وزاده منـــه تأييداً بإمدادِ [1]

سماَ به النَّسَبُ الوَضَّاحُ حيث غــدا ... طَرِيفُه جامعاً أشْتاتَ أتْلادِ [2]

لقد حوَى من رَفِيعاتِ المكارمِ ما ... يكْفِي لمَفخرِ أجْدادٍ وأحْفادِ [3]

أليس قد نالَ مُلْكاً فى شَبِيبتِه ... مانالَه مَن سعَى أعمارَ آبادِ

أليس فى وَهَجِ الهَيْجــا مَواقِفُه ... مَشْكورةٌ بين أعداءٍ وأضْدادِ [4]

أليس أسْبحَ فى التَّنْعيمِ سابِحَه ... لُجَّ المَنايا ليُحْيِي فَلَّ أجْنادِ [5]

أليس يثْبُتُ يومَ الليثِ إنَّ له ... وَثْباتُ لَيْثٍ يُزَجِّى ذَوْدَ نَقّادِ [6]

أليس يومَ العطا تحْكِى أنامِلُه ... خُلْجانَ بحرٍ بفَيْضِ التِّبْرِ مَدَّادِ [7]

أليس قد لاحَ فى تأْسِيسِ دولتِــه ... من جَــدِّه المصطفى رمزٌ بإرْشادِ

دامتْ مَعاليه والنُّعْمَى بذاك له ... يَصُونُها وهْو مَلْحوظٌ بإسْعادِ [8]

مالاح بَرْقٌ وما غَنَّتْ على فَنَنٍ ... صَوادِحُ البانِ وَهْنا شَجْوُها بادِى [9]

* * *

(١) فى السمط : « تأييداً بإعداد » . (٢) فى السلافة ، والسمط : « طريقه جامعا » .

والطريف : المحدث ، والتالد : القديم .

(٣) فى الأصول ، والخلاصة : « يكفى لمثخن .. » ، والمثبت فى : السلافة ، والسمط .

(٤) فى السلافة : « فى وهج الهيجا مواقعه » .

(٥) فى السمط : « أليس أصبح » ، وفى الخلاصة ، والسمط : « بالتنعيم سابحه » ، وفى السلافة : « بالشعميم سابحه » ، وكل ذلك خطأ صوابه فى الأصول .

وفى الأصول ، والخلاصة : « ليحيي قبـل أجناد » ، وفى السمط : « ليحمى فل أجناد » ، والمثبت فى السلافة .

والتنعيم : موضع بمكة فى الحل ، بين مكة وسرف . معجم البلدان ١ / ٨٧٩ .

وسابحه ، يعنى فرسه ، والفل : الجماعة ، أو الجماعة المنهزمون .

(٦) فى السمط : « أليس نبثث » .

والذود : السوق والطرد ، والذود من الإبل : عدد منه ، ثلاثة أبعرة إلى عشرة ، أو أكثر من ذلك

والنقاد : راعى النقد ، وهو جنس قبيح من الغنم .

(٧) فى السلافة : « خلجان بحر نقيص التبر ميداد » . (٨) فى السمط : « والنعمى يذل له * مصونها .. »

(٩) فى الأصول ، والخلاصة : « شدوها بادى » ، والمثبت فى : السلافة ، والسمط ، وهو يوافق مستهل القصيدة .

قوله [١] : « أليس قد لاح فى تأْسِيس دَولتِه » ، يشير به إلى ماوقع للشريف زيد، فإنه لمّا ورد الأمرُ السُّلطانىّ بولايته الحرميْن ، وكان إذ ذاك بالمدينة المنوَّرة ، قصد زيارةَ النبيِّ صلّى الله عليه وسلَّم ، فأراد الخدمُ أن يفتحوا الباب ، فوجدوه مفتوحاً ، وكانوا قد أغلقوه من قبل ، فعلم [٢] الناسُ أنه إشارةٌ إلى الفتح .

* * *

ومن لطائفه قوله من كتاب [٣] :

سقى الدمعُ مَغْنَى الوَابِليَّة بالحِمَى ... سَواجِمَ تُغْنِى جانبَيْهِ عن الوَبْلِ [٤]

ولا برِحتْ عينى تنُوبُ عن الحَيَا ... بدمعٍ على تلك المَناهلِ مُنْهَلِّ

مَغانى الغوانِى والشَّبيبةِ والصِّبا ... ومَأْوَى المَوالِى والعشيرةِ والأهلِ

سَقاها الحَيَا من أرْبُعٍ وطُلولٍ ... حكَتْ دَنَفِى من بعدهم ونُحولِى

سَقى صَوْبُ الحَيَا دِمَناً ... بجَرْعاءِ اللِّوَى دُرْسَا

وزاد مَحلَّكِ المأْنو ... سَ يادار الهوى أُنْسَا

لئِن درَستْ رُبوعُك فالْ ... هوَى العُذْرِىُّ مادَرسَا

إنما المحافظة على الرُّسوم والآداب ، والمُلاحظة للعوائد المألوفة فى افتتاح الخطاب ، لمن يملِك أمْرَه إذا اعْتَنَّ ذِكْرُ زينب والرَّباب ، ولم تحْكِم [٥] عِقالَ عقْلِه يدُ النَّوَى والاغْتراب .

وليست لمن كلَّما لاح بارقٌ ببَرْقةِ ثَهْمَد [٦] ، فكأنه أخو جِنَّة ممّا يقُوم ويقْعُد .

(١) هذا النقل عن السلافة ١٦٥، ١٦٦ ، وهو فى الخلاصة ٣/ ٣٦٤ . (٢) فى الأصول : « فعلموا » المثبت فى : الخلاصة ، والسلافة . (٣) كتب به من الهند ، سنة سبع وأربعين وألف ، إلى القاضى تاج الدين المالكى ، والكتاب كاملا فى سلافة العصر ١٥٨ — ١٦٢ ، وما هنا فى خلاصة الأثر ٣/ ٣٦٥، ٣٦٦

(٤) فى السلافة : « عن المحل » . (٥) فى خلاصة الأثر : « تحل » . (٦) ثهمد : جبل حوله أبارق كثيرة فى ديار بنى غنى ، وقيل : ثهمد فى ديار بنى عامر . معجم البلدان ١/ ٩٤٢ .

تتقاذَفُه أمواجُ الأحزان ، وتترامَى به طوائحُ الهَواجِس إلى كلِّ مكان .

فهو وإن كان فيما ترى العينُ قاطنًا بحَيٍّ من الأحْياء ،

يَوْماً بحُزْوَى ويوما بالعَقِيقِ وبالْ  عُوَيرِ يوماً ويوما بالْخُلَيْصاءِ [(١)]

لا يأتلِي مُقسَّمَ العزمات ، مُنْفصِمَ عُرَى العَزِيمات .

لا يقَرُّ قَرارُه ، ولا يُرَجَّى اصْطِبارُه .

إن رَوَّح القلبَ بذِكْرِ المُنحنَى أقام الحَنِينُ [(٢)] حَنايا ضُلوعِه ، أو اسْتَرْوَح رَوْحَ الفَرَجِ [(٣)] من ذِكْرِ [(٤)] الخَيْفِ بمِنًى أوْ مَضتْ بَوارِقُ زَفَراتِه تحْدُو بعارِضِ دُموعِه .

مَن تمــنَّى مالاً وحُسْنَ مآلٍ  فمُناىَ مِنًى وأقْصَى مُرادِي [(٥)]

فياله من قلبٍ لا يهْدأ خُفُوقُه ولا تَنِي لامعةً بُروقُه ، ولا يَبْرحُ من شَمُولِ [(٦)] الأحزان صَبُوحه وغَبُوقُه .

يُساوِر هُموماً فما مُساورةُ ضَئِيلةٍ من الرُّقْش ، ويُناجِي أحْزاناً لو لابَس [(٧)] بَعضُها الصَّخْرَ الأصَمَّ لانْهَشَّ ، ويركَبُ من أخطار الوَحْشة أهْوالا دونها رُكوب النَّعْش .

يحِنُّ إلى مواضع إيناسِه ، [(٨)] ويرتاحُ إلى مواضع غِزْلان صَرِيمِه وكِناسِه [(٨)] ، ويندُب أيامَ يستثمر الطَّرب من أفْنانِ أغْراسِه .

---

(١) هذا البيت لعبد الله بن أحمد بن الحارث ، شاعر بنى عباد ، فى معجم البلدان ٢/ ٤٦٧ ، مع بعض الخلاف فى الرواية ، وهو فى ريحانة الألبا ١/ ٣٤٧ لابن الخازن .

وفى السلافة ، والخلاصة : « ويوماً بالعقيق وبالْ  عذيب يوماً ... » .

(٢) فى الأصول : « العين » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .  (٣) فى الأصول : « الفزع » والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .  (٤) فى السلافة بعد هذا زيادة : « ليالى » .

(٥) فى ج ، والخلاصة : « وحسن منال » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والسلافة .

(٦) بعد هذا فى السلافة زيادة : « شمول » .  (٧) فى السلافة : « لامس » .

(٨) ساقط من الأصول ، وهو فى : الخلاصة ، والسلافة .

* أيامَ كنتُ من اللُّغوبِ مُراحاً (١) *

أيامَ لا الواشي يَعُدُّ ضَلالةً ... وَلَهِي عليه ولا العَذُولُ يُؤنِّبُ

أيَّامَ ليلَى تُريني الشمسَ طَلْعتُها ... بعد الغروبِ بدَتْ في أفْقِ أزْرارِ

أيامَ شَرْخُ شبابي رَوضةٌ أُنُفٌ ... ماريعَ منه بِرَوْعِ الشَّيْبِ رَيْعانُ (٢)

أيامَ غُصْنِيَ لَدْنٌ من نَضارتِهِ ... أصْبُو إلى غيرِ جاراتِي وجاراتي (٣)

* ثم انقضَتْ تلكَ السُّنُون وأهْلُها (٤) *

لم يَبْقَ منها لِمُشتاقٍ إذا ذكَرا ... إلَّا لَواعِجُ وَجْدٍ تبعثُ الفِكَرا

ولم يُبْقِ منِّي الشوقُ إلَّا تفكُّرِي ... فلو شئتُ أن أبكي بكيْتُ تفكُّرا

لم أكُنْ على مُفارقةِ الأحباب جَلْدًا فأقول وَهِيَ جَلَدِي (٥)، وإنما وَهِيَ تجلُّدِي (٦)، ممَّا حمَلتُ من النوائب على كَتَدِي، وفتَّتْ صُرُوفُ (٧) البَيْنِ المُشتِّ من أفلاذ كَبدِي.

جرَّبتُ من صَرْفِ دهرِي كلَّ نائبةٍ ... أمَرَّ من فُرْقةِ الأحْبابِ لم أجِدِ

فِراقًا قضَى أن لا تَأسِّيَ بعدما ... مَضَى مُنْجِدًا صبري وأوْغلْتُ مُتْهِما

وفَجْعةَ بَيْنٍ مثلَ صَرْعةِ مالكٍ ... ويقْبُحُ بي أن لا أكونَ مُتَمِّمَا (٨)

خليليَّ إن لم تُسْعِدانِي على البُكا ... فلا أنتُما منِّي ولا أنا منكُمَا

وحَسَّنْتُما لي سَلْوةً وتناسِيًا ... ولم تذكُرا كيف السبيلُ إليهما

***

(١) في ب: «من اللغوب مراغا»، والمثبت في: ا، ج، والسلافة، وسقط نصف البيت كله من الخلاصة.

(٢) في الخلاصة، والسلافة: «بروع الشيب ريعانى».  (٣) في الخلاصة: «جاراتي وخلاني»، ن أن البيتين متصلان.  (٤) صدر بيت مشهور لأبي تمام، وهو في ديوانه ٢٧٩.

(٥) في السلافة: «تجلدى».  (٦) في السلافة: «جلدى».  (٧) في الخلاصة: «صرف»، في السلافة: «صرفة».  (٨) مالك بن نويرة، الذي قتل في حروب الردة، وقد بكاه أخوه مم بكاء مرا.

## ٣١٢

## حفيدُه صالح بن إبراهيم الحكيم

رَوْح الرُّوح وثمرةُ الفؤاد ، ومحلُّه من الفضل محلُّ السُّوَيْداء من القلب والإنسانِ من السَّواد .

وقد مَنَّ الله تعالى فى الحرم الشريف بلقائِه ، وكنتُ قبل ذلك أسْتَرْوِح نسيمَ الوُدِّ من تِلْقائه .

فاتَّخذْتُه نُعْمًى نجيًّا ، وعاطَيْتُه رَيْحان الصَّداقة جَنيًّا .

أسْتشْعر من جِهَتِه نَفَسَ العافية ، وأتمسَّح منه باليدِ الشَّافية .

فهو للقلب نَجِيٌّ وللرُّوح سَمِير ، ويكاد يُؤكل بالمُنَى ويُشْرَب بالضَّمير .

يُفَاوِح أرَجُه أزاهيرَ الأدواح ، ويبعث نَسِيمُه طِيبَ الحياة للأرواح .

إلى طلعةٍ نورُها فى فَلَكِ القَبُول شارِق ، وطبيعةٍ إذا ذُقْتَ جَناها وشِمتَ سَناها تذكَّرت ما بين العُذَيب وبارِق .

وله مُحاضرةٌ هى غَرامُ كلِّ صَبٍّ مُتيَّم ، ومُعاضَدةٌ إذا مَرِضت حاجةٌ كان لها ابنَ مريم .

وأما طِبُّه فلو عالَج الدهرَ لأمِن فى نفسِه النِّقَم ، أو داوَى الحياةَ لَمَا طاف بها السَّقَم .

***

وقد تناولتُ من أشعاره ما هو شفاءٌ للصدور ، وخَفَرٌ [1] فى وُجوه البدور .

فمن ذلك قوله من قصيدة :

يا مُخجِلَ البيضِ البَواتِرْ ... بالسُّودِ من تلك النَّواظِرْ

الفاتكاتِ القاتلاتِ الذُّ ... بْلِ الوُطْفِ الفَواتِرْ [2]

عَجَبًا لها تُمْسِى الأسو ... د وهُنَّ أجْفانُ الجآذِرْ

---

(١) فى ا : «وخصره» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) الوطف : الكثيرة شعر العينين والحاجبين

غازَلتُ منها مُقْـــلةً　غزلتْ وحاكتْ كلَّ بائِرْ

يرْنو بها الرَّشأُ الأغنُّ م الأحْورُ الخشْفُ المُنافِرْ

ظَبْىٌ حَشاىَ كِناسُه　ومَقرُّه حيث السَّرائِرْ

قمَـــرَ العقولَ بحُسْنِه　أفْدِيه من قَمَرٍ وقامِرْ (١)

لَمعتْ بَوارِقُ ثَغرِه　فانْهَلَّ مِن جَفْنَىَّ ماطِرْ

بمَباسِمٍ قد نُظِّمتْ　فى سِلْكِ مَرْجانٍ جَواهِرْ

وبدا صباحُ جَبِينِه　فانْجاب لى ليلُ الضَّفائِرْ

واهْتزَّ غصنُ قَوامِه　وغدا الفؤادُ عليه طائرْ

والرِّدْفُ أخفَى خَصْرَه　فلذا عليه الكَشْحُ دائرْ

يا قلبُ مالك سَلْوةٌ　كلَّا ولا للوجدِ آخرْ

عذَل العَذولُ ومُذ رأى　بَاهِى المُحَيَّا عاد عاذِرْ (٢)

أجْريْتُ وُقْفَ مَدامِعِى　وإلى لِقاهُ الطَّرْفُ ناظِرْ

وكذا نَجِيعُ نُضارِها　بتصَعُّدِ الأنْفاسِ قاطِرْ

هجَر الحبيبُ وليْته　لو كان للهِجْران هاجرْ

أبْكِى فيضحكُ هازئًا　ولسائلِ العَبَرات ناهِرْ

يا ربَّةَ الحسْنِ الذى　بجَمالِه بهَر النَّواظِرْ

رِقِّى لِرقِّ طَرْفُه　يرعَى السُّها والطَّرْفُ ساهِرْ

ما شام بارِقَ لَعْلَعٍ　إلَّا غدا هامٍ وهامِرْ

حيثُ الظِّباءُ سَوانِحٌ　غِيدٌ حَبائلُها الغَدائرْ

من كلِّ رُودٍ كَحَّلتْ　بالسِّحرِ هاتيك المحاجِرْ (٣)

---

١) قمر العقول : غلبها .　(٢) فى ب : « بات عاذر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

٣) الرود : الشابة الحسنة .

سلبتْ فؤادي غادةٌ منهنَّ تلعب بالخواطرْ
أفدي محيّاها الذي صُبْحُ الجبين عليه سافِرْ
سدلتْ عليه جَعيدَها والليـــلُ للإصْباحِ ساتِرْ
لا تَشْتَرِي قمــرًا بدا ليــلُ الحبِّ بغيرِ آخرْ

***

وقوله من أخرى، أولها :

سَلُوا الرَّكبَ عن سَلْمى وأين بها شَطُّوا وهل خيَّمت بالجزْعِ أم دارُها الشَّطُّ
وهل عندها عِلْمٌ بما صنَع النَّوى وما جدَّد الشوقُ المُبرِّحُ والشَّحْطُ
وهل نزلتْ بالسَّفحِ من أيْمَنِ اللِّوى وغرَّدها القُمْرِي وظلَّلها الخَمْطُ(١)
وهل ذكرتْ يوم الوداعِ وأدْمُعي بخدِّي حكاه الرَّسْمُ خدَّده النَّقْطُ
وهل بارقٌ ما شِمْتُه أم تبسَّمتْ سُلَيْمَى فضاء الثَّغْرُ أو لَمَع القُرْطُ
رَداحٌ لها في كلِّ قلبٍ مخيّمٌ وليس لمفْتونٍ سوى حُبِّها قَطُّ(٢)
أباح لها والِي الهوى من قلوبنا فمِمَّا تَشا من ذي السُّوَيْداء تختطُّ
لها مَبْسَمٌ حُلْوٌ تنظَّم دُرُّه على سِلْكِ مَرْجانٍ فضاءَ لنا السِّمْطُ
كأن مُذابَ الشُّهْد في بَرَدِ اللَّمَى وفي ضِمْنِ هذا الألْعَسِ العَذْبِ إسْفَنْطُ(٣)
تُسدِّد نحوي أسْهُمًا من جُفونِها مُرَيِّشَةً حَبُّ القلوبِ لهـــا لَقْطُ
فتُصْمِي بها ظُلْمًا صَميمَ حُشاشتي فوا عجبًا منها على دارِها تَسْطُو
تُرَنِّح لي قدًّا يميلُ به الصَّبا كغُصْنٍ أمالتْه الصَّبا عندما تخطُو
وتَضْفِر من ليـــلِ الجعيدِ ذوائبًا غدائر منها للنُّهَى الحَلُّ والرَّبْطُ
عَقِيلةُ سِرْبٍ كالمَها في الْتفاتِها تُعير الظِّبا طَرْفًا وجِيدًا إذا تَعْطُو(٤)

---

(١) الخمط : شجر كالسدر، أو كل شجر لا شوك له . (٢) الرداح : العظيمة الأوراك .
(٣) الإسفنط : من أسماء الخمر . (٤) عطت الظبية : مدت عنقها .

من الأمجريّات اللّواتي سَبَيْنَنا بشَرْطٍ من الحسن البديع له شَرْطُ(١)

من الناعماتِ السُّمرِ مَن عطّر الحِمَى شَذاها إذا مرّتْ به إثْرَها المِرْطُ

فَدَيْتُ تجنّيها ولُطْفَ دَلالِها وإن راعَها مِنّي بعارِضِيَ الوَخْطُ

أعاذِلتي كُفّي المَلامَ فليس لي على بُعْدِها صَبْرٌ ولو دُونَها الخَرْطُ

ولم أدرِ أنّ الحبّ يقْدَح زَنْدَه لقلبي وأنّ النارَ أوّلها سِقْطُ

سأركبُ مَتْنَ الصّعْبِ في طُرْقِ وَصْلِها ولو أنها العَشْوا وسَيْرِي بها خَبْطُ

وأغْشى حِماها والمهنّدُ صاحِبي ولو أنّ في ذاك الحِمَى ينْبُت الخطُّ(٢)

وأرْوِي ظَمًا حرّى ببارِدِ رِيقِها وألوِي عليها الزَّنْدَ لو مسّها الضَّغْطُ

وأشكُو إليها ما لقِيتُ بحبِّها ومن فَرْطِ أشواقٍ بها أدْمُعِي فُرْطُ

***

وقوله من أخرى، مستهلها:

مَغانِي الغوانِي لاعدا الرَّبْعَ هَطّالُ ولا زال مُخْضلًّا بكِ الشِّيحُ والضّالُ(٣)

ولا سجعتْ وُرْقُ الحمامِ على سِوَى غصُونك يا مرْمًى به الغِيدُ نُزّالُ

سقاكِ وحيّاكِ وحَيّي منازلًا لقد كان لي فيهنّ حَظٌّ وإقْبالُ

أروحُ وأغدُو بالكَثِيبِ ولي به رَداحٌ لها من آل يافِثَ أخْوالُ

مُعَسّلةُ الأنيابِ أمّا شَتِيتُها فدُرٌّ وأما رِيقُها فهو جِرْيالُ(٤)

يجُولُ على تلك اللّآلي كأنه مُذابُ سَلِيلِ الشُّهْدِ أو هو سَلْسالُ

حَمَى رِيقَها المعسولَ أبيَضُ صارِمٌ من قدّها الممشوقِ أسْمَرُ عَسّالُ

تُعِير المَها منها التفاتًا ونَظْرةً وترْنو كما يرْنو إلى الخِشْفِ مِطْفالُ(٥)

---

(١) لم أجد هذا اللفظ « الأمجريات » في المعاجم، وفي القاموس: « وامرأة ممجر: متئم ».

(٢) يعني كثرة الرماح الخطية، لكثرة الحامين لها. (٣) الضال من السدر: ما كان عذيا، لسدر البري. (٤) الجريال: الخمر. (٥) المطفال: ذات الطفل.

لها شَرْطُ حسنٍ فوق تُفَّاحِ خَدِّها ... ومِن فوق ذاك الشَّرْطِ مِسْكٌ هو الخالُ

ورُمَّانتا نَهْدٍ على غُصن بَانَةٍ ... به فَرْطُ حُبِّي إن تحقَّق عُذَّالُ

وتَسْدِلُ من ليل الجَعيدِ ذَوائبًا ... يُجاذِبُ هاتيك الذَّوائبَ خَلْخالُ

وتُقْعِدُها عند النُّهوضِ رَوادِفٌ ... تَميل بغُصْنِ القَدِّ والقَدُّ مَيَّالُ

فلا تَهْجُريني إنَّ هَجْرِي ظُلامةٌ ... وجُرْحُ فؤادِي ماله اليومَ إدْمالُ

عسى عَطْفَةٌ يَحْيي بها مَيِّتُ الهوى ... رُبوعُ اصْطبارِي بعد بُعْدِك أطْلالُ

ويغْنَى مُحِبٌّ دَأْبُه السُّهْدُ والبُكا ... كأن بعيْنيه المدامعَ أسْجالُ (١)

يبِيتُ على جَمْرِ الغَضا وهو فَرْشُه ... ويصْلَى بنار الحبِّ والحبُّ فعَّالُ

صِلِيني أنا الوافِي العهودَ على القِلَى ... وجَوْرُ الهوى عَدْلٌ ومَيْلٌ إذا مالُوا

ولا الصَّبُّ إلَّا ما يرى الصَّابَ شُهْدَه ... ويعلمُ أن الصبرَ حُلْوٌ إذا حالُوا

فَدَيْتُ الجفا منها وإن كان ضَائِرِي ... وعِشْقِي سُلَيْمى لا محالَةَ قتَّالُ

أُكتِّمُ جُهْدِي حُبَّها وهو ناحِلِي ... ويفْضحني دمعٌ على الخدِّ سَيَّالُ (٢)

أحِنُّ إلى سَلْمَى على قُرْبِ دارِها ... حَنِينَ فَقِيدِ الإلْفِ أضْناه بَلْبالُ

ويُنْشِدُ قلبي كلما ارْتاع للنَّوى ... وأضْناه تَذْكارٌ وحالتْ به حالُ

أيا دارَها بالخَيْف إن مَزارَها ... قريبٌ ولكن دون ذلك أهْوالُ

***

وكتب إليَّ هذه القصيدة، طالبا مُراجعتي:

قَوامٌ أنْبتَ الرُّمَّانَ نَهْدًا ... وغُصْنٌ ماسَ أم قَدٌّ تبدَّى

وبَرْقٌ ما أرى أم دُرُّ ثَغْرٍ ... يُنظِّمه بديعُ الحسن عِقْدًا

ووَجناتٌ على تُفَّاحِ خَدٍّ ... متى أبْدَى لنا التفاحُ وَرْدًا

---

(١) غنِي، كرضي: نعس. القاموس (غ ف ى).

(٢) في ا: «وهو ناحل»، والمثبت في: ب، ج.

وآسُ سَوالفٍ ما خِلْتُ أم ذا صَفاءُ الخـــدِّ ظِلَّ الهُدْبِ مَدَّا
ومالَكِ يا غَزالةُ من شَبيهٍ سوى شِبْهِ الضُّحَى والبدرِ نِدًّا
وأنك قد أعَرْتِ الظَّبْيَ جِيـــدًا وعَيْنًا والغصونَ الهِيفَ قَدًّا
وما الحسنُ البديعُ وإن تناهَى سوى مِن بعضِ مَعْناكِ استمدَّا
بمَن أولاكِ مُلْكَ الحسن فينـــا وصيَّر كلَّ حُرٍّ فيكِ عبدَا
صِلِي حبلَ الودادِ بحبلِ وَعْدِي لقد جاوَزْتِ فى التَّسْويفِ حَدَّا
وما سَكَنِي سِوَى عَهْدِي قديمًا وما أنا ناكِثٌ ما عِشْتُ عهدَا
مُقيمٌ بالعقيقِ وبالمُصَلَّى أُبَوِّأُ منهمـــا بانًا ورَنْدَا
أُغازِلُ فيـــه أجْفانَ الغَوانِي وألثِم زينبًا وأضُمُّ هِنْدَا
وأرشُفُ من رُضابِ الغِيدِ راحًا نُعيد لهيبَ ما أشكوه بَرْدَا
وأنظِمُ من ثَناياها عقـــودًا كنَظْمِي مدحَ مولانا المُفَـــدَّى
محمـــد الأمين ومَن تسامَى شريفٌ قد علا كرمًا ومَجْدَا
من القومِ الذين بَنتْ مَعَـــدٌّ بهم فوقَ السِّماكِ ثَنًا وحمـــدَا(١)
أعزُّوا الدينَ بالسُّمْرِ العَوالِي وحازُوا الفَخْرَ شِيبانًا ومُرْدَا
وقادُوا العـــادياتِ مُطَهَّماتٍ على صَهَواتِهـــا تحمِلْنَ أُسْدَا
وأرْدَوا كلَّ غِطْرِيفٍ كَمِيٍّ بأسيافٍ تَقُدُّ الهـــامَ قَدًّا(٢)
وَرِثْتَهمُ جمـــالَ الدين حقًّا عفافًا راسخًا وتُقًى وزهدَا
فضائلَ قد علَوْتَ بهـــا الثُّرَيَّا وآدابًا تبِعْتَ بهنَّ جِدَّا
بآراءٍ يحـــارُ العقلُ فيهـــا وأيُّ حِجًا يحُلُّ لهنَّ عَقْـــدَا
بحِلْمٍ لا يُعادِلُه ثَبيـــرٌ وفخرٍ ليس يُحْصَى أن يُعَدَّا(٣)

---

(١) السماكان : نجمان نيران ، يقال لأحدهما الرامح ، وللآخر الأعزل . (٢) الغطريف : السيد .
(٣) ثبير : أعظم جبال مكة ، بينها وبين عرفة . معجم البلدان ١/٩١٧ .

وأخلاقٌ شمائلُهــا شَمُولٌ يفوح عَبيرُها مِسْكاً ونَدّا

تَوقّدُ فِطْنــةً وتسيلُ لُطْفاً جَمعتَ بهنّ يا مولاىَ ضِدّا

ووَشّيْتَ البديعَ بحُسْنِ نثرٍ كمُخْضَلِّ الربيعِ شَذًا وأنْدَى

ودُرٍّ أنت تَعرِفُه كِبــارٍ تُنظِّمه لجِيــدِ الدهرِ عِقْــدَا

ذَكاءٌ لم يَجُزْه إياسُ كَهْلاً وعَمْرٌو ما به يوماً تحدّى[1]

عظُمْتَ جَلالةً وعلَوْتَ قَدْراً فشاهدْنا الوقارَ لديكَ أُحدا[2]

أَعُدُّكَ مصدرَ الأحكامِ فينــا هُمامٌ مذ أجار عُلاكَ نَقْدَا

وما للنَّقْدِ والذهبِ المُصفَّى لقــد حقّقْتَ فى ذا النقــدِ نَقْدَا

أمولانا أتتْكَ عروسُ فكرٍ تمُدُّ لمُمْتطَى نعْليْكَ خَدّا

خَلَبْتَ شِغافَهــا بِنُعوتِ مجدٍ لذا أضْحَتْ لعذْبِ لِقاكَ تَصْدَى[3]

لِيَهْنِ العرشَ رَبُّ العرشِ مولًى به اتّسقَتْ أمورُ الدين نُضدَا

وتبقَى صاعداً ذِرْواتِ عِزٍّ بنتْ أيدِى القضاءِ عليــه سَدّا

نأى غمٌّ يؤرّخ عامَكم بلْ غنائمُ أنتَ مَعْناهنّ قَصْدَا

ولم تبرح سِنِيكَ ومن تَردَّى طِماعاً فى لَحاقِك ما تَردَّى[4]

* * *

فراجعتُه بقولى :

مُحِبٌّ فى المحبّةِ ما تصدّى لسُلْوانٍ وإنْ يكُ مات صَدّا

وهيْهات النجاةُ وما يُعانِى هَوًى أدْناه إن لم يُفْنِ أرْدَى[5]

أما وعيونِك اللّاتى شَباها أبَى إلّا شِغافَ القلبِ غِمْــدَا

---

(١) كذا فى الأصول : « يجزه » ، ولعلها « يحزه » ، وهو يشير إلى ذكاء إياس بن معاوية المزنى القاضى ، وإقدام عمرو بن معديكرب الزبيدى ، وهما مما ضرب به المثل أبو تمام .

(٢) أى فى ثبات جبل أحد . (٣) من الصدى ، وهو العطش . (٤) فى ا : « سنيك من تردى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ب : « ومن يعانى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

لأنت مُنَى الحيـــاةِ فإن تكُنْها فبعدَكَ للمُنَى سُحْقاً وبُعْدَا
أيجمُـــلُ أن أُقضِّي فيك عمرِي وما عفَّرْتُ في مَمْشاك خَدَّا
ولو أخطرْتُ ذِكْرَكَ في خَيالِي خشِيتُ بأن يُؤثِّر فيك حِقْدَا
فَدَيْتُكَ رَحْمـــةً لطريحِ عشقٍ إذا لم يقضِ سُقْماً مات وَجْدَا
تذكَّر عهـــــدَه فصَبا وآلَى بغـــيرِكَ ما رعَى للحبِّ عَهْدَا
إذا ما ليـــلهُ المُمتدُّ أرْخَى ستائرَه طَواه أسًى وسُهْدَا
يبيتُ وفي الحشا منـــه اشتعالٌ إذا قدحت رعودُ البَرْقِ زَنْدَا
وليس له سمـــيرٌ غيرَ مَدْحٍ يكون لصالحٍ شكرًا وحَمْدَا
فتًى قد ألْبَس العَلْيــاء بُرْدًا ومثَّل شخصَه أدَبًا ومجـــدَا
له الفكرُ الذي إن شاء أنْشَا أفانينَ الهوى وبهـــا تحـــدَّى
بدائعُ منـــه تُلْحَم بالمَزايا وبالسحرِ الحلالِ غدَتْ تُسدَّى
تعالى اللهُ قد أوْلاه طبعًا أغضَّ من الرياضِ رُوًا وأندَى
وأنبَتَ مِن أيادِيه ربيعًا يُنمِّق فيـــه رَيْحـــانًا ووَرْدَا
أنادِرةَ الزَّمان فدَتْك رُوحِي ومَن لي أن تكون بهـــا مُفَدَّى
أتنْنِي منك خَودٌ من سَناها تمنَّى البدرُ لو كان استمدَّا[1]
رَبِيبةُ خِدْرِها في الصَّوْنِ تأْبَى يَدَىْ أملٍ إليهـــا أن تُمَدَّا
منحْتَ بهـــا الودادَ المَحْضَ خِلًّا يرى لك وُدَّه فَرْضًا ورَدَّا
وهاكَ الأُلوكةَ بثَناك تاهتْ وفاحتْ مَنْدَلًا رَطْبًا ونَدَّا[2]
ولو وفَّيْتُ مَدْحَكَ بعضَ حقٍّ إذًا نظَّمْتُ فيك الشُّهبَ عِقْدَا
فعُذْرًا إن أخْطـــارَ التَّنائِي بَنَتْ بيني وبين الفكرِ سَدَّا
وهذي الأربعون بلغتُ منهـــا أشُدًّا ساق لي خَطْبًا أشَدَّا

(١) الخود : الحسنة الناعمة . (٢) الألوكة : الرسالة .

فلو كان الذى بى من سقامٍ ... على جبلٍ لأوْشك أن يُهَدَّا
وغيرُك لا أراك لدفعِ ما بى ... فقد أعْيَي دَواه الدهرَ جُهْدًا (١)
بَقِيتَ مُمتّعًا فى الفضـــلِ فَرْدًا ... ولا لَقِيَتْ لك الأيامُ فَقْدًا

***

وكتب إلىَّ أيضا :

لا عَيْشَ إلَّا فى وِصالِكْ ... فامْنُنْ بطَيْفٍ من خَيالِكْ
إن كان لى نوْمٌ وإلَّا ... م ليس أبْعَدَ من مَنالِكْ
يا هاجِرِى والهجرُ عَيْـ ... ـنُ الوصلِ إن يكُ عن دَلالِكْ
إلَّا المـــلالَ فإنَّه ... حَتْفِى أجِرْنِى من مَلالِكْ
يا مَن تَملَّك مُهْجتِى ... لا تُفْنِها وارفُقْ بمالِكْ (٢)
لا وَصْلَ أخطرُ لى سِوَى ... إخْطارِ تَذْكارِى ببالِكْ
أنا فى هَوانٍ من هَوا ... كَ ومن صُدودِك فى مَهالِكْ
تَلَفُ النفوسِ مُحَقَّقٌ ... فى بِيضِ سُودِك أو نِبالِكْ
وكذا السِّهامُ فإنَّهُنَّ ... م أخَذْنَ ذلك عن نِصالِكْ
واخْتُفُ فى سُمْرِ الْقنـــا ... من مَيْلِ قَدِّك واعتدالِكْ
يا نُورَ إنْسانِ العيُو ... نِ تركْتَ حالِى فيك حَالِكْ
نارُ الجوَى مِن وَجْنَتَيْـ ... ـك وذِى سُوَيْدَاى بخَالِكْ
وأرَى الجمَالَ وإن تَنا ... هَى مُسْتعارًا من جمالِكْ
هل من سبيلٍ لِلِقَـــا ... ضاقتْ علىَّ به المَسالِكْ
يا باردًا من رِيقِه ... واحَرَّ قلبِى من زُلالِكْ

---

(١) فى ا : « فتى راعى دواه . . » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ب : « لا تضنم وارفق بمالك » ، والمثبت فى : ا ، ج .

أو يا مُحيّاه الذى كالبدرِ سُقمِى من هلالِكْ
يا ذابلًا فى الحُسْنِ بل سلطانَ أربابِ المَمالِكْ (١)
الشمسُ أقربُ منك نَيْـ ـلاً وهى أبْعَدُ عن مِثالِكْ
امْنُنْ علىَّ بنظرةٍ إنِّى وحقِّك فيك هالِكْ
يا جَنّتِى لا تُدْخِلَنِّـ ـى نارَ صَدِّك أنت مالِكْ
يا تاركِى شِبْهَ الخِلا لِ وما التّجافِى من خِلالِكْ (٢)
عَلِّلْ بوعدٍ كاذبٍ يحْلُو وأمْرِنْ فى مِطالِكْ
فإلى الشريفِ توجُّهِى وإليه أخلُص من حِبالِكْ
مَدْحِى محمـــدًا الأميـ ـنَ أحْرَى وأوْلَى لى بذلكْ
البانِىَ المجدِ الأثيـ ـلِ على المَجرّةِ من هُنالِكْ
صدرُ المَجالسِ قلبُهـــا عينُ المَناصبِ والمَمالِكْ
يا شمسَ أنجُمِ كلِّ فَضْـ ـلٍ حين تطلُع فى كَمالِكْ (٣)
آياتُ فضلِك بيِّنا تٌ فى مَقالِك أو فِعالِكْ
أمّا القَريضُ فزهرُ رَوْ ضٍ إن تُدَبِّجْ من مَقالِكْ
وإذا تنسَّم عن شَذًا كالمِسك يروِى عن خِصالِكْ
ورجالُ كلِّ فضيلةٍ قصُروا وليسوا من رجالِكْ
مَن ذا المُناضلُ والمُنا ظِرُ فى جِلادِك أو جِدالِكْ
كذب الزمانُ بما ادّعَى إن قال يُوجَد من مِثالِكْ
كَرَمُ الطِّباعِ ولُطفُها كلٌّ تفيّأ فى ظِلالِكْ
وترى المَعالِى والمَكا رمَ أنفقتْ من رأسِ مالِكْ

---

(١) فى ا : « ياذاثلا » ، وفى د : « ياداثلا » ، والمثبت فى : ج .
(٢) الخلال : ما يتخلل به بين الأسنان . (٣) فى ا : « من كمالك » ، والمثبت فى : ب ، ج .

مولاىَ إنِّى شاكرٌ لِمَزيدِ فضلِك واحْتِفالِكْ
لا خِلَّ لى أصْبُو إليْـ ـهِ سِوَى المَعالِى من خِلالِكْ
لا زلتَ فى أَوْجِ العلى والضِّدُّ فى دَرْكِ المَهالِكْ
ما دام رَضْوَى راسِخاً يَحْكى وَقارَكَ مِن جَلالِكْ(١)

***

فكتبتُ إليه جوابَها قولى :

ما بين مَيْلِكْ واعتدالِكْ خَطَرُ الْتفاتِكَ أو دَلالِكْ
فَمَن السَّلِيمُ وكلُّنــا منه تورَّطَ فى مَهالِكْ
يا مُوتِرًا قَوْسَ الحوا جبِ مَن لقلبى مِن نِبالِكْ
أمْسِكْ فمهْلَكَ مَن أرَدْ تَ يقِلُّ عن أدْنَى انفعالِكْ
بأبِى لَواحِظُكَ التى أوْقَعْنَ قلبى فى حِبالِكْ
أتُرَى علِمْتَ بحالَتى فأخذْتنِى فى جَنْبِ بالِكْ
لا والذى جعل ابْتدا عَ الجوْرِ من أقْوَى اشتغالِكْ
كلُّ الخطوبِ حسِبْتُها إلَّا اجْتنابَك عن مَلالِكْ
هل كنتَ يا ثمِلَ الجفُو نِ بعثْتَ طَيْفاً من خَيالِكْ
فيزورَ غصَّــانَ اللَّها ةِ دَواؤه صافِى زُلالِكْ
يا مَن تملَّكَ مُهْجتِى اللهَ فى إتْلافِ مالِكْ
إن كنتُ أطمعُ فى سِوا كَ فلا بلغْتُ مُنَى مَنالِكْ
مالى وللأُفُقِ المُضِى ءِ وعنه كافٍ من كمالِكْ
فالشمس تطلُع من يَمِيـ ـنك والثُّرَيَّا من شِمالِكْ
والبـدرُ يُعْزَى للتَّمـا مِ إذا استدار على مِثالِكْ

---

(١) رضوى : جبل بالمدينة ، تقدم كثيراً .

أمّا الهلالُ فما على ... مَن ظَنّه إحْدَى نِعالِكْ
وإذا تخيّلتُ الرّيا ... ضَ ذكرتُ حسنَ رُواخِصالِكْ
فنسيمُها مهما سرَى ... مُتلطِّفاً أثرُ اختيالِكْ
وعَبيرُها مِن شمّةٍ ... أهْدَيْتَها من مِسْكِ خالِكْ
هذا وثَمّ إذا ذكر ... تُ حُلَى تجلُّ وراءَ ذلكْ
مِن أجلها أنا شاعرٌ ... أجْرَى التغزُّلَ فى جمالِكْ
ولأجْلِ مَدْحِي صالحاً ... يحلو افْتنانِى فى خِلالِكْ[1]
ذاكَ الذى أسْلُو بعِشْ ... رتِهِ الحميدةِ عن وِصالِكْ
مَولاىَ أنت المُرْتجَى ... للوُدِّ فى حُسْنِ اقْتبالِكْ
رجلُ المُروءةِ أنت لا ... أحدٌ وحقِّك مِن رجالِكْ
حُزْتَ المعالِي قبل أن ... وُجِدَتْ بنُوها حسْبَ حالِكْ
وملكْتَ كلَّ فضيلةٍ ... أفْدِيك من مَلِكٍ ومالِكْ
فيك المكارمُ شيمةٌ ... والأرْيحيّةُ فى فِعالِكْ
فالطَّوْدُ يُلْفَى ذرّةً ... فى جَنْبِ حِلْمِك واحْتمالِكْ
والبحرُ بعضُ رَشاشِه ... بالطبعِ تُؤْثَرُ عن نَوالِكْ
إنّ الحكيمَيْن اللذيْ ... نِ تظاهَرا فيما هُنالِكْ[2]
لو عاصَراك تنافسا ... بأقلِّ جرْىٍ فى مجالِكْ
والبُحْتُرِىُّ أبو الفتُو ... ةِ لو تأمّلَ فى مقالِكْ
أتْحفْتنِي بقصيدةٍ ... غرّاءَ من بِدَعِ ارْتجالِكْ
وبعثْتَ لى كلَّ المُنى ... فكفيْتنِي أدْنَى سُؤالِكْ

(١) فى ج : « يحلو افتنانى » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) يعنى بالحكيمين : أبا تمام والمتنبى .

قد كان جيدِى عاطِلاً — لكنْ حَلاَ بحُلَى احْتفالِكْ
فإلَيْـــك رُوداً من بَنا — تِ الفكر حَيْرَى فى جَلالِكْ
تَرْتاحُ فى مِرْطِ الثَّنا — بصَباكَ زَهْواً أو شَمالِكْ
واعْذِرْ فطَبْعِى لا يُزِ — ل صَداهُ عنه سوى صِقالِكْ
واسْلَمْ لبُغْيةِ آمِلٍ — متفَيِّءٍ بذَرَى ظِلالِكْ
فلأنتَ ظِـــلٌّ للمُنَى — لا انْتاعَ قلبٌ من زَوالِكْ

***

وأنشدنى من نُتَفِهِ قولَه :

ظَبْىٌ من التُّرْكِ له مُقْلَةٌ — ضَيِّقةٌ تُمْعِن فى قَتْلِى
يَبْخَل بالوصلِ على صَبِّه — وضِيقةُ العيْنِ من البُخْلِ
ملَّـكْتهُ عيْنى وأخْدمتهُ — إنْسانَها لَمَّا أبى وَصْلِى

***

هذا كثير فى الأشعار ، منه قول ابن النَّبيه [1] :

يصُدُّ بطَرْفِهِ التُّرْكِيِّ عنِّى — صدقْتُمْ إنَّ ضِيقَ العيْنِ بُخْلُ [2]

وقوله [3] :

بى ضَيِّقُ العيْنِ وإن أطْنَبُوا — فى الحَدَقِ النُّجْلِ وإن وَسَّعُوا [4]

وأصله قول البديع الهَمَذانى :

أنادِيةَ الأعْرابِ أهْلاَكِ إنَّنى — بنادِيةِ الأتْراكِ نِيطَتْ عَلائقِى
وأرضَكِ يانُجْلَ العيونِ فإننى — فُتِنْتُ بهذا الفاترِ المُتضايقِ

---

(١) ديوانه ٤٣ . (٢) فى الديوان : « يميل بطرفه » . (٣) ديوان ابن النبيه ١٧ .

(٤) فى الديوان : « فى الحدق النجل وإن أوسعوا » .

# ٣١٣

## السيد هاشم الأُزْوَارِىّ *

سيدٌ عِرْقهُ طاهر ، وفضله بَيِّن ظاهر .

أبْيَنُ من الكعبة للطائفين ، وأظْهر من المساجد للعاكفين .

وهو أديب شاعر ، له فى مَناسِك الفضل مَشاعر .

أوتِىَ من البراعة أحسنَ كَلِمَ مَن عارضها سلَّم لها ومَن لم يعترِض لها سَلِم .

وكان فى الغالب أيامَ المُجاورة سَمِيرِى ، ومَحَلُّه منِّى خَلَدِى وضميرى ، ونديمى ، ومكانه بين عَظْمِى وأدِيمى .

فتملَّيتُ منه مُغتنِماً حظَّ اليوم والغد ، فى عهدٍ أنضرَ من رَوْقِ التَّصابى فى العيش الرَّغْد .

***

وقد أهدَى لى من طُرَفِهِ قصيدة فريدة ، لم تحظَ بمثلها « دمية » ولا « خريدة » .

وها هى ألذُّ من مُعاطاة الأحباب ، كأسَ المُعاقرة طفَا عليها الحَباب :

ما لقلبى عنك سَلْوَهْ ولا ولا عن رَبْعِ سَلْوَهْ[١]

منزلٌ يجمعُ ما بَيْـ نِى وما بينك صَحْوَهْ

قد تسمَّى بانْتظامِ الشَّـ مْلِ فيه دارَ نَدْوَهْ[٢]

كم به ليلةَ أُنْسٍ لِىَ مَرَّتْ بك حُلْوَهْ

قد جلَا طَلْعَتَها البَدْ رُ لنا أحْسَنَ جَلْوَهْ

---

(*) فى ج : « الأزرارى » ، والمثبت فى : ا ، ب .

وأزوارة ، بالضم ثم السكون : بليدة بنواحى أصبهان على طرف البرية . معجم البلدان ١ / ٢٣٤ .

(١) « سلوه » الثانية اسم محبوبته . (٢) فى ا : « قد سمى بالنظام الشمل » ، والصواب فى : ب ، ج

وأرانا لطِـــلاهَا بالنُّجومِ الزُّهْرِ زَهْوَهْ(١)
ونهـــارٍ ألبسَ الأُفْـ قَ من السِّنجابِ فَرْوَهْ(٢)
وبلُطْفٍ فيـك عن جَيْـ بِ الحَيا المُزَوَّرِ عُرْوَهْ
قد أخـــذْناه اغْتصاباً من يدِ الدهرِ بقُوَّهْ
ووصلْنـــــاه برَوْحٍ وبرَيْحـــانٍ وقهوهْ
وبتوْقيعِ سَمـــاعٍ ما نَحَا مَعْبَدُ نَحْوَهْ(٣)
ومُديرُ الشمسِ بَدْرٌ بِحُلَى الظَّرْفِ مُنوَّهْ
أفْلَجُ الثَّغْرِ نَقِيُّ الْـ خَدِّ أَلْمَى فيـه حُوَّهْ(٤)
يزدَرِي بالْحُسْنِ لُبْنَى والصِّفَاتِ الغُرِّ عَلْوَهْ
ذُو لِحَاظٍ هي والسَّيْـ فُ على حَدٍّ وسَطْوَهْ
وقَوَامٍ هوَ والرِّدْ فُ كغُصْنٍ فوقَ رَبْوَهْ
وعَجيبٌ لَيِّنُ العِطْـ فِ وفى أحْشَاه قَسْوَهْ
ما رآه الطَّرْفُ إلَّا وزَكَى منـه بشَهْوَهْ
لا تَلُمْنِي يا ابْنَ وُدِّي إنْ بَدَتْ مِنِّيَ هَفْوَهْ
حيثُ لى من « نفحة الرَّيْـ حانة » الغَضَّةِ صَبْوَهْ
ولعقْلِي من شَذَاهَا بطِلَا الحَـــانةِ نَشْوَهْ
وأنا بينَ حبيبٍ وأباريقَ وخَلْوَهْ
طابَ لى الشُّرْبُ مساءً من أياديهِ وغُدْوَهْ
مِثْلَمَـــا طابَ مَدِيحِي وسمَا أرْفَعَ ذِرْوَهْ

---

(١) فى ا : « الزهر زهره » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فروة السنجاب : يجمع لونها بين لون الرماد والزرقة . (٣) معبد بن وهب المدنى المغنى ، المتوفى سنة ست وعشرين ومائة . تقدم ذكره كثيرا

(٤) فى ا : « أفلج الصدر . . . فيه حلوه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

والحوة : حمرة إلى السواد .

بأمينِ الفضلِ مَوْلَا　　نا الذى فى الفضلِ قُدْوَهْ

الشَّريفُ المُمْتَطِى مِن　　صَافِنِ الرِّفْعَةِ صَهْوَهْ(١)

والسَّرِىُّ الشهمُ مَن لا　　يَرْتَضِى الهَقْعَةَ حَبْوَهْ(٢)

طَيِّبُ الأصلِ كريمٌ　　مُنْتَقًى من خيرِ صَفْوَهْ

أفصحُ الأمَّةِ لفظًا　　يَزْدَرِى كلَّ مُفَوَّهْ

فَيْصلٌ فى الشرعِ لا يَخْـ　　فَى عليه أمرُ دَعْوَهْ

كيف لا وهْو أمينٌ　　لم يَخُنْ فى أخْذِ رِشْوَهْ

جَـلَّ ذاتًا وصِفاتًا　　وحَيَـاءً ومُرُوَّهْ

وسَمَا عن أن يُدانيـ　　ـهِ امرؤُ القيسِ وعُرْوَهْ(٣)

بحرُ فضلٍ ونَوَالٍ　　وكَمَالاتٍ ونَخْـوَهْ

من يَرِدْه وهْـو ظَامٍ　　يرتوِى عِلْمًا وجَدْوَهْ(٤)

ومتى نَوْءُ سحابٍ　　ضَنَّ نَسْتَمْطِرْ نَوَّهْ

فبه جَدْبُ الأراضِى　　عاد بالخِصْبِ نَمُوَّهْ(٥)

ماجِـدٌ سيفُ حِجاهُ　　قَطُّ ما فُلَّ بِنَبْوَهْ

كم عَوِيصٍ فتـحَ المُغْـ　　لَقَ منه الرَّأْىُ عَنْوَهْ

مِصْقَعٌ طِرْفُ ذَكَاهُ　　ما له فى البحثِ كَبْوَهْ

أحْرَزَ السَّبْقَ وأوْشَى　　فى حَشَا الحُسَّادِ جَذْوَهْ(٦)

وغَدَا كلُّ أديبٍ　　عَجزًا يطلب عَفْوَهْ

---

(١) الصافن من الخيل : ما قام على ثلاث وحافر الرابع . (٢) الهقعة : ثلاث كواكب فوق منكبي الجوزاء كالأثافي . القاموس ( هـ ق ع ). (٣) لعله يعني عروة بن الورد العبسي ، الذي يقال له : عروة الصعاليك ، من شعراء الجاهلية ، عرف بالشجاعة والجود .

انظر الأغاني ٣/٧٣ ، الشعر والشعراء ٢/٦٧٥ .

(٤) يعني : علما وجدوى . (٥) نموه : أي فيه ماء . (٦) أوشى : بمعنى استخرج .

ذُو يَرَاعٍ لِي بِهِ فِي رِقَّةِ الأَلفَاظِ أُسْوَةْ
قَد بَرَاهُ الشَّوقُ مِثْلِي وَحَشَاهُ الشَّقُّ جَفْوَةْ
فَخَطَا وَهْوَ نَحِيفٌ وَلِذَاكَ الخَطْوِ خُطْوَةْ
كَعَمِيدٍ يَشْتَكِي بِالضُّرِّ فِي الأَطْرَاسِ شَجْوَةْ
كُلَّمَا أَثْبَتَ عَنْهُ الْفِكْرُ لَا يُمْكِنُ مَحْوَهْ
يَا رَبِيعَ الفَضْلِ يَا مَنْ فَضَلَ النَّاسَ فُتُوَّةْ
نَظْمُكَ الشَّهْدُ مُصَفًّى وَسِوَاهُ فِيهِ رَغْوَةْ
أَنَا مَا بَيْنَ مَصِيفٍ مِنْ مَعَانِيهِ وَشَتْوَةْ
فَلِسُقْمِي فِيهِ بُرْءٌ وَلِضَعْفِي مِنْهُ قُوَّةْ
وَإِلَى عَلْيَاكَ وَافَتْ مِنْ عَرُوسِ الفِكْرِ فَحْوَةْ
فَتَحَتْ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ مُرْتَجٍ لِلْبَسْطِ فَجْوَةْ
وَكَسَا وَصْفُكَ طِيبَ الْعَرْفِ مِنْهَا أَيَّ كُسْوَةْ
لِصَفَا وَجْهِكَ تَسْعَى وَهْيَ لَا تَطْرُقُ مَرْوَةْ[1]
تَنْقُلُ الأَقْدَامَ تِيهاً خُطْوَةً مِنْ بَعْدِ خُطْوَةْ
ذَاتُ حُسْنٍ بِكَ أَضْحَتْ وَلَهَا بِالْحُسْنِ ثَرْوَةْ
فَاسْتَمِعْهَا فَهْيَ بِكْرٌ وَأَنِلْهَا مِنْكَ حُظْوَةْ
وَاسْبِلِ السِّتْرَ مَتَى إِنْ شِمْتَ فِي التَّرْكِيبِ حَشْوَةْ
قَدْ لَعَمْرِي يَغْلَطُ النَّاقِدُ لِلدُّرِّ بِحَصْوَةْ
وَاشْتِبَاهُ الجِنْسِ أَمْرٌ وَاضِحٌ مِنْ غَيْرِ فَتْوَةْ
وَابْقَ وَاسْلَمْ مَا تَغَنَّى عَنْدَلِيبٌ بَعْدَ هَدْوَةْ

(١) يشير إلى الصفا والمروة ، المكانين المعروفين ، وصفا : مقصورة صفاء ، والمروة : واحدة الحجارة الصلبة .

أو مُحِبٌّ قال يوماً لحبيبٍ بعد قَصْوَهْ
أنا أهـــواكَ وربِّى ما لقلبى عَنْك سَـــلْوَهْ

***

فكتبت إليه جوابها ، قولى :

لا تُمَنِّ القلبَ سَـــلْوَهْ فلقد جُشِّمْتُ صَبْوَهْ
واحترِزْ من أعيُنٍ ترْ قُبُ للأخْذَةِ هَفْوَهْ
فهْى فى بابلَ دَهْراً سُقِيَتْ بالسِّحرِ قهوهْ
وطِلَا أوضحَ من شَمْ سٍ تجلَّتْ وقتَ ضَحْوَهْ
مِن وَلُوعٍ بالتَّثَنِّى فَتْكَةٌ منه وخُطْوَهْ
سَلَّ سيفَ اللَّحْظِ لمَّا رامَ أخْذَ القلبِ عَنوهْ
راكباً فى دَرَكِ العِزَّ ةِ للعِزَّةِ صَهْوَهْ
أتُرَى يسْمح منه الاَّ حظَ لِى حيناً بحُظْوَهْ
يُمْكِنِ الأمْرُ إذا أمْ كَنَ تَهْوِيمٌ وغَفْوَهْ
أين ما ثَمَّــــةَ إلَّا بُغْيَةٌ قُصْوَى ونَبْوَهْ
(١) . . . . . . . . .

---
(١) بياض فى الأصول .

## ٣١٤

## علی بن عمر بن عثمان المزداکیّ

من أفاضل العصر ، يضيقُ عن مَعاليه نِطاقُ الحصْر .

رأيتُه بالشام بعد عَوْدِى من الحجاز ، فرأيتُ شخصاً حقيقةُ فضلِه لا يتطرّقُها المَجاز .

وقد خرج من وطنِه قاصداً باب المُراد ، وله أمانٍ أرجو أن لا تفوتَه فى الإصْدارِ والإيراد .

***

وهو على كلِّ حالٍ لم يزلْ فى الإجادةِ مُترقِّيا ، ولشواردِ المعانى من مَكامنِها مُتلقِّيا .

وقد أنشدنى من شعره هذا المقطوع :

رَوِّ رَوْضَ الكروم يا قَطْر نَيْسا نَ وخَلِّ الأصْداف منك خَوالِي[1]
قَطَراتٍ تصيرُ خمْرًا أترْضَى عَمْرَكَ اللهُ أن تَصيرَ لآلِي

***

وقد تناوله من بيت السيد علىّ بن مَعْصوم ، عَرَّبه من الفارسية ، وهو :

يا قَطْر نَيْسانَ والكَرْمُ مُكَرَّمةٌ فَفِى الحَباب غِنًى عن لُؤْلُؤِ الصَّدَفِ

ولى ما هو منه ، ولا يبعد عنه :

ما عَزَّ شىءٌ فى شِبْهِه بَدَلٌ عنه وللعُسْرِ فُرْجَةُ اليُسْرُ

---

(١) نيسان : شهر الربيع ، وهو ما يعرف فى مصر بأبريل .

في غُنْيةٍ من يَرى الحبَاب إذَا ... مَا عاقَه عائقٌ عن الدُّرّ

***

وأنشدَنُه هذين البيتيْن ، وكان أنشدنيهما السيد هاشم الأزْواريّ(١) لنفسه ، فتعارَف عليهما ، وألْزمنى أن لا أُثْبتهما إلا له ، وهما قوله يمدح السيد عمرو بن محمد بن بركات(٢) ، في ليلة عيد ، بعد وفاة الشريف زيد :

يقولون مات الُجودُ في كلّ بَلْدةٍ ... عجيبٌ ولم يُشْهَد له أبدًا قبْرُ

فقلتُ لهم أحْيَي الذي مات في الورَى ... بأُمِّ القُرَى من بعد زَيْدٍ لنا عَمْرُو

❊



---

(١) صاحب الترجمة المتقدمة .

(٢) له ذكر في سمط النجوم العوالي ، الجزء الرابع ،

ة ٥٣٧ ، وما بعدها .

( نفحة الريحانة ٢١/٤ )

## ٣١٥

## السيد سالم بن أحمد بن شيخان*

هو الخَتْمُ الوارثُ لجدِّه سيِّد الأنام، وبه أرجو من الله سبحانه وتعالى حُسْنَ الختام.

فأما العلم فهو مَن خضَع له كلُّ عالِم، وأما الصَّلاحُ فحَسْبُه أنه من كل مَا يَشِين سالم.

نِسْبتُه إلى الشَّرَف نِسْبةٌ أُولَى، ويدُه فى المَكارم يَدٌ طُولَى.

تعترف به الأبْصارُ والأسماع، وإن جَحدتْ عارَضَها الإجْماع.

طلَع فى سماءِ العلوم بدرًا مُشْرِقا، وسارتْ مَناقبُه مَغْرِبا ومَشْرِقا.

فالعُلَى فَرْعُ عَلائِه، والثَّنا وَقْفٌ على آلائِه.

ليس يختَصُّ مَدْحُه بلساني مَدْحُ شمسِ الضُّحَى بكلِّ مَكانِ

* * *

وله تعاريف عِدَّة، هى لأهل العِرْفان أجَلُّ[1] عُدَّة.

وأشْعارٌ على لسانِ أهلِ الطريقة، تُجْتَنَى منها ثمارُ الحقيقة.

فمنها قوله، مُصدِّرًا ومُعجِّزًا:

حُوَيْدِي الجمالِ إلى سُوحِكمْ وهادِي الرِّحال إلى مَن أُحِبّ[2]

رَفِيقُ الهوَى وفَرِيقُ النَّوَى يحِبُّ الجمَال ويهْوَى الطَّرَبْ

---

(*) السيد سالم بن أحمد بن شيخان الحسينى المكى.

ولد سنة خمس وتسعين وتسعمائة.

ونشأ فى طلب العلم، فقرأ «الإحياء» على الشيخ سعيد بابق، وصحب الشيخ أحمد الشناوى، وأخذ علوما جمة.

وله مؤلفات كثيرة، منها: «بلغة المريد وبغية المستفيد»، و «تمشية أهل اليقين على ذائقة التمكين».

توفى سنة ست وأربعين وألف.

خلاصة الأثر ٢/ ٢٠٠ـ٢٠٢، سمط النجوم العوالى ٤/ ٤٥٥، وفيه: «شيحان» مكان «شيخان».

(١) فى ا: «أجد»، والمثبت فى: ب، ج.

(٢) حويدى: تصغير حادى.

ويسْعَى إليكم على رأسِهِ  بشَوقٍ وتَوْقٍ عظيمِ الخَبَبْ (١)

ويطْوِى الفَيافِى بعَزْمٍ قَوِىّ  ويقْضِى لكم فى الهوى ما وَجَبْ

ويُنشِدُ فى حَقِّكمْ جَهْرةً  ألَا إننى عبدُ عالِى الرُّتَبْ

أتيْتُ إلى سُوحِه خاضِعًا  بدَمْعٍ جرَى وبقلبٍ وَجَبْ

سلامٌ عليكم أُهَيْلَ الحِمَى  أتتْكم وفودٌ بَراها الوَصَبْ

يُنادِى بِحَىِّ أُهَيْلَ الحِمَى  أيَا مَن به قد بلغْنا الأرَبْ

إذا ما وقفْنا بأبْوابِكمْ  وزال اللُّغوبُ بها والنَّصَبْ (٢)

أنِيلُوا الغِنَى وأبِيدُو العَنَا  فذاكَ لدَيْنا أجلُّ القُرَبْ (٣)

إليكم بكم سادتى جئتُكم  بحُسْنِ الرِّضا وبصِدْقِ الطَّلَبْ (٤)

ولا لى شَفِيعٌ سوَى حُبِّكم  فلا تُهْمِلُوا مَن أساء الأدبْ

وقولُوا عفَا اللهُ عمَّا مَضَى  جزاءُ المُحِبِّ لنا أن يُحَبّ

فأنتم وجودُ الوفَا والعَطا  وليس التفضُّل منكم عَجَبْ

* * *

ومن مَقاطِيعه قوله (٥) :

تراءى بَدِيعُ الحسنِ فى صُنْعِ خَلْقِهِ  جميلاً فظَنَّ المظهرَ النَّاظِرُ القَذِى (٦)

وما هُوَ إلَّا اللهُ بالصُّنْعِ بارِزٌ  على صِيَغِ التَّخْلِيقِ فى الظَّاهِرِ الذِى

* * *

وقوله (٧) :

ن العبدُ سَهْمَ الوَهْمِ من قَوْسِ حُكْمِه  فأدْمَى خيـالًا فى مِنَصّاتِهِ السَّبْعِ

---

١) الخبب : ضرب من العدو .  (٢) اللغوب : التعب والإعياء .  (٣) فى الأصول : « وأبيدوا » ، ولعل الصواب ما أثبته .  (٤) فى ا : « بحسن الرضاه وصدق الطلب » ، والمثبت فى : ب ، ج .

٥) البيتان فى خلاصة الأثر ٢ / ٢٠٢ .  (٦) القذى : الذى به القذى ، وهو الوسخ المعترض فى العين .

٧) البيتان فى خلاصة الأثر ٢ / ٢٠٢ .

وليس إذا حققْتَ رامٍ سِوَى الذى أتاكَ بطَىِّ النَّشْرِ فى الطَّبْعِ والوَضْعِ

***

وقوله[1] :

كُنْ مُمْسِكاً بالصومِ عن كلِّ السِّوَى واذْكُرْ بفِطْرِكَ مَن أتَى مَعْروفَهُ

وبفاطِرٍ عن رُؤْيَةِ الأغْيارِ صُمْ مَن صامَ عند اللهِ طاب خَلُوفُهُ[2]

***

وقد أنعم اللهُ علىَّ برواية مؤلفاته ، عن ابنه المعمَّر السيد السَّنَد عُمَر[3] ، أحْياهُ اللهُ وحَيَّاه ، ونوَّر الدنيا بطَلْعةِ مُحَيَّاه .

فى أمَلٍ لا يبْرَح يُطيعه ، والحادثاتُ فيه لا تستطيعُه .

فلله هو مِن سَرِىٍّ مُتَواضِعٍ على عُلُوِّه ، ممدوحٍ بإيغال المدحِ وغُلُوِّه .

ماء لُطْفِه يكاد يتقطَّر ، وخُلُقه تتخلَّق به النَّسَمات وتتعطَّر .

إلى وَجْهٍ بالوضاءةِ مُتجلِّل ، يبْرُق بَرْقَ العارِض المُتهلِّل .

ورَدْتُ مِراراً دارَه العامرة ، وحصَلتُ على نِعمِه الدَّارَّة الغامِرة .

أستنْجِد دُعاءه المُبارَك ، وأستمنِح اعْتناءه فى كلِّ حالٍ أن يتدارَك .

وعندى له مِن الوَلاء فيه ما ينْقِص ولاء زيادٍ[4] فى النُّعْمان ، ومن الحُبِّ لبَيْتِ العُمَرىّ ما يُنْشِد قولَ الأوّل : أحِبُّه حُبَّ قُرَيْش عثمان .

***

(١) خلاصة الأثر ٢/٢٠٢ . (٢) الخلوف : رائحة الفم المتغيرة من صوم ونحوه .

(٣) ذكر المحبى فى خلاصة الأثر ٢/٢٠٢ ، أن ذلك كان سنة مائة وألف .

(٤) يعنى زياد بن معاوية ، النابغة الذبيانى ، الشاعر الجاهلى المشهور .

وهنا أذكر لي شيخين ، وعلمين في العلم راسخين .

أخذتُ عنهما ، واستفدتُ منهما .

وهما : الحسن بن علي العَجَمِيّ [١] ، وأحمد بن محمد النَّخْلِيّ [٢] .

كلٌّ منهما في ذلك الأفق قمرٌ باهرُ السَّناء والسَّنا ، وقَصْدُه أسنى قَصْدٍ توخّاه المدح والثَّنا .

هِدايتهُ متكفّلةٌ بإحياء علوم الدِّين ، وإرشادُه يتولَّى مِنْهاج العابدين [٣] .

ودعاؤه بظَهْر الغَيْب عُدّة وعَدَد ، وبرُّه حالَي الظَّعْن والإقامة مُعْتمل مُعْتمَد ، ومَجالُ المعرفة بفضْلِه لا يحصرُه أمَد .

وردْتُ منهما حضرةَ الأنوار المُفاضـــة ، وجعلتُ قَصْدَهما بُحُجّـــة سَفَرِي طوافَ الإفاضة .

فأرَيانِي من الجِدِّ ما لو كان بظُبة صــارمٍ ما نبا له غِرار ، ومن البِشْر ما لو سال صَفْحةِ البَدْرِ ما خِيفَ عليه سِرار .

فلله هُما قد خلُصا للنّاقِد ، ورَفَلا في أُزُرٍ من الحمْدِ طيِّبةِ المَعاقد .

ولِلعَهْدِ أنا لستُ أنساهُما فأذكرُهما ، وإذا ذكرتُهما فكُلِّي ألْسِنة تحْمَدُهما وتَشْكرُهما .

وبهما أرجُو من الله حُسْنَ المَتاب ، وأن أكون ممّن تناوَل بيمينهِ الكتاب .

* * *

---

١) في سلك الدرر ٨٦/٤ ، في ترجمة المحبي ، أنه أخذ بالحرمين عن جماعة من علمائها ، منهم الشيخ ن العجيمي .  (٢) المتوفى سنة ثلاثين ومائة وألف .

انظر سلك الدرر ١٧١/١ ، ومقدمة التحقيق صفحة ٦ .

٣) منهاج العابدين ، من كتب حجة الإسلام الغزالي أيضاً .

# أدباء المدينة المنوّرة

لا بَرِحت - بحراسةِ الله - من الأَسْوَاء مُسوَّرة

# ٣١٦

## السيد حسن بن شَدْقَم الْحُسَيْنِيّ *

الحسَن السَّمْت ، المُسْتحسَن الصَّمْت .

المَرْمُوق المُقْتنَى والمُعْتلَى ، المعشوقُ المُجتنَى والمُجْتلَى .

تصدَّر من مركز السِّيادة فى الرُّتْبة المَكِينة ، وبلَغ فى العلم رُتبةَ أسْلافِه إلى أن ينْتهوا إلى باب تلك المدينة .

وكان قد دخل الهند فى صِباه ، فأحبَّه بعضُ مُلوكها وحَباه ، وعقَد أسماع كلماته حِباه .

ثم أملَكه كَرِيمته فأرْدف تكْرِيمَه بتكْرِيره ، وأتْبَع توْقيرَه بتوْفيرِه .

فاجْتَلَى عرائس آمالِه فى مِنصَّات نَيْلها ، واسْتطْلع أقْمارَ سَعْدِه فى نَوَاشِي لَيْلِها .

وكان من فِعْله الحسَن ما قدَّره بحَزْمِه ، ودبَّره فى تمْشِيه مآلَ حالِه بقُوَّة جَزْمِه ، إرْساله[1] فى كلِّ عام إلى بلدِه جُمْلةً من المال ، فاصْطُفِيَتْ له بها حدائقُ وقصورٌ على وَفْقَ ما جنَح إليه ومال :

ولما مات الملك أبو زَوْجِه ، وسقَط قمرُ حياتِه من أوْجِه .

---

(*) السيد حسن بن شدقم المدنى الحسينى .

فاضل أديب ، دخل الديار الهندية فى عنفوان شبابه ، وأملكه أحد ملوكها بنته ، فنال مرتبة عالية ، وكان يرسل كل سنة إلى المدينة مالا لشراء القصور والضياع ، وظل فى الهند يشغل منصب رئيس الرؤساء ، حتى توفى أبو زوجته ، فعاد بأهله إلى المدينة ، ولم تطب له الحياة فيها ، فرجع إلى الهند .

وكانت وفاته سنة ست وأربعين وألف ، بالهند .

خلاصة الأثر ٢/٢٣، ٢٤ ، سلافة العصر ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(١) فى ا : « أرسلها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

انقلب بأهله إلى وطنه مُصاحباً رفاهيةً زاهية ، وأقام مُدّةً فى عَيْشِه بُحُوَيْصَة نفسه باهرةً باهِيَة .

إلّا أنّ الرياسة التى فرّخت فى أمّ رَاسِه ، والمكانة التى شُدّت عُراها بأمْراسِه[1] .

لم يجدْ عنهما[2] عِوَضاً فى وَطَنِه ، فانتهى إلى الهند شاكياً ضِيقَ عَطَنِه .

***

فمن شِعره ما قاله حين أنِفَ من الإقامة فى بلده[3] :

وليس غريباً مَن نأى عن دياره ... إذا كان ذا مالٍ ويُنْسَبُ للفضلِ

وإنى غريبٌ بين سُكانِ طَيْبَةٍ ... وإن كنت ذا مالٍ وعلمٍ وفى أهْلِي[4]

وليس ذهابُ الرُّوحِ يوماً مَنِيَّةً ... ولكنْ ذهابُ الرُّوحِ فِى عدَمِ الشِّكْلِ[5]

***

وهو من قول البُسْتِي[6] :

وإنِّى غريبٌ بين بُسْتَ وأهْلِها ... وإن كان فيها جيرَتِى وبها أهْلِي

وما غُرْبةُ الإنسانِ فى شُقَّةِ النَّوَى ... ولكنها واللهِ فى عدَمِ الشِّكْلِ

***

ولابن معصوم فى المعنى[7] :

وإنِّى غريبٌ بين قومى وجيرَتِي ... وأهْلِيَ حتى ما كأنّهُمُ أهلِي

---

(١) الأمراس : الحبال . (٢) بعد هذا فى ا زيادة : « حين » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/ ٢٤ ، وسلافة العصر ٢٥٠ . (٤) فى ا : « وإن كنت ذا حلم وعلم وفى ج ، والسلافة : « وإن كنت ذا علم ومال » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر .

(٥) فى سلافة العصر : « يوما منيته » ، وجاء هذا البيت بين بيتى البستى التاليين فى خلاصة الأثر .

(٦) لم أجد البيتين فى ديوانه المطبوع ، واليتيمة ، وهما فى : خلاصة الأثر ٢/ ٢٤ ، وسلافة العصر ٢٥٠ .

(٧) الأبيات فى سلافة العصر ٢٥٠ .

وليس غريبُ الدّارِ مَن راح نائياً عن الأهلِ لكنْ مَن غدا نائِيَ الشّكلِ
فمن لى بخِلّ فى الزّمـــانِ مُشاكلٍ ألفُ به من بعدِ طُولِ النّوى شَمْلِى

***

ومن شِعر السيِّد حسن قولُه[1] :

لا بُدّ للإنسانِ مِن صاحبٍ يُبْدِى له المَكْنونَ من سِرِّهْ
فاصْحَبْ كريمَ الأصــلِ ذا عِفّةٍ تأمَنْ وإن عادَاك مِن شَرِّهْ



(١) البيتان فى : « خلاصة الأثر » ٢/٢٤ ، سلافة العصر ٢٥٠ .

# ٣١٧

## ولده السيّد محمد*

فَرْعُ دَوْحةٍ زكَتْ مَفارِعُها ، وطابَتْ بطَيْبةَ الطَّيِّبةِ مَشارِعُها .

له خبرٌ تتعطّر به المَجالس ، ويتَنادَم عليه المُنادِمِ والمُجالِس .

***

إلى ما تميّز به من الشعر الرّصين ، الذى يُباهِي بتَنْميقه نُقوشَ الصّين .

غرّد به ساجِعُ إطْرائه وصدَح ، وأوْرَى زِنادَ البيان وقدَح .

فمنه قوله ، مُذيِّلا بيتَ أبى دَهْبَل[1] مُقْتفِيًا للشريف المُرْتَضَى[2] :

وأبْرَزْتُها بَطْحاءَ مكةَ بعدَما ... أصاتَ المُنادِي بالصَّلاةِ فأعْتَما

فأرّج أرْجاءَ المُعرَّفِ عَرْفُها ... وأضْوَى ضِياها الزِّبْرِقانَ المُعظَّما[3]

وحَيَّي مُحيَّاها المُلبُّون وانْتَشَوْا ... بنَشْرِ مُحيَّاها المُمنَّعِ واللَّمَى

ورَوّضَ منها كلَّ أرضٍ مَشَتْ بها ... تجُرُّ التَّصابِي بين أتْرابِها الدُّمَى[4]

هى الشمسُ إلَّا أنَّ فاحِمَها الدُّجَى ... هى البدرُ لكنْ لا يَزال مُتمَّما

تجُول مِياهُ الحُسْنِ فى وَجَناتِها ... وتمنَع سَلْسالَ الرُّضابِ أخَا الظَّما

---

(*) ترجمه ابن معصوم ، فى سلافة العصر ٢٥٠ ـ ٢٥٣ .

(١) هو وهب بن زمعة الجمحى ، شاعر عفيف ، قال الشعر فى آخر خلافة على بن أبى طالب ، ومدح معاوية وعبد الملك بن الزبير .

أما كنيته فهى مشتقة من الدهبلة ، وهى المشى الثقيل .

الأغانى ٧/١١٤ ـ ١٤٥ ، أمالى المرتضى ١/١١٦ ، الشعر والشعراء ٢/٦١٤ ـ ٦١٧ .

(٢) فى الأصول : « الرضى » ، وهو خطأ ، يصححه السياق الآتى .

والقصيدة فى سلافة العصر ٢٥٠ ، ٢٥١ .

(٣) المعرف : موضع الوقوف بعرفة ، معجم البلدان ٤/٥٧٣ .

والزبرقان : القمر .

(٤) فى ا : « كل روض » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

وتسلُبُ يَقْظانَ الفؤادِ رَشادَه ... وتكسُو رِداءَ الحُسْنِ جِسمًا مُنَعَّمَا

مَهاةٌ يَصِيدُ الأُسْدَ سَهمُ لِحاظِها ... ومن عَجَبٍ صَيْدُ الغزالةِ ضَيْغَمَا

يُعلِّلُنى ذِكْرَ الحِمَى مُتَرنِّمٌ ... وما شَغَفِى لولا الغزالةُ بالحِمَى[1]

وأصْبُو لِنَجْدِيِّ الرِّياحِ تَعَلُّلًا ... ومَن فقَدَ الماءَ الطَّهُورَ تَيمَّمَا

***

قال السيد المُرْتَضَى ، فى كتابه « الدُّرَر والغُرَر[2] » :

ذاكَرنى بعضُ الأصدقاء بقول أبى دَهْبَل :

وأَبْرَزْتُها ................ إلخ

وسألنى إجازةَ هذا البيت بأبياتٍ تنضَمُّ إليه ، وأجعل الكناية [3]فيه كأنها كناية عن[3] امرأةٍ لا عن ناقة ، فقلتُ فى الحال :

فطيَّبَ رَيَّاها المَقامَ وضَوَّأتْ ... بإشْراقِها بين الحَطِيمِ وزَمْزَمَا

فيا رَبِّ إن لَقَّيْتَ وجهًا تَحِيَّةً ... فَحَيِّ وجُوهًا بالمدينة سُهَّمَا

تَجافَيْنَ عن مَسِّ الدِّهانِ وطالَما ... عَصَمْنَ عن الحِنَّاءِ كَفًّا ومِعْصمَا

وكم من جَلِيدٍ لا يُخامِرُه الهوى ... شَنَنَّ عليه الوَجْدَ حتى تَتَيَّمَا[4]

أهانَ لَهُنَّ النفسَ وهْى كريمةٌ ... وألْقَى إليهنَّ الحديثَ المُكَتَّمَا

تسفَّهْتُ لَمَّا أن مَرَرْتُ بدارِها ... وعُوجِلْتُ دُونَ الحِلْمِ أن أتَحَلَّمَا[5]

فعُجْتُ تَقَرَّى دارِسًا مُتَنكِّرًا ... وتسألُ مَصْروفًا عن النُّطْقِ أعْجَمَا[6]

ويومَ وقَفْنا للوَداعِ وكلُّنا ... يَعُدُّ مُطِيعَ الشوقِ مَن كان أحْزَمَا[7]

---

(١) هذا البيت ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، والسلافة . (٢) الجزء الأول ، صفحات ١١٤ ـ ١١٦ ، وسلافة العصر ٢٥١ ، والقصيدة فى ديوانه ٣/ ٢٠٠ ، ٢٠١ باختلاف فى بعض ألفاظها .

(٣) تكملة من الدرر والغرر . (٤) شنن عليه الوجد : صبّه .

(٥) فى الغرر والدرر : « أن تتحلما » . (٦) تقرى دارساً : تتبعه .

(٧) فى الأصول : « من كان أخزما » ، وفى السلافة : « من كان أخرما » ، والمثبت فى الغرر والدرر .

نُصِرْتُ بِقلبٍ لا يُعنِّف فى الهوى ... وعَيْنٍ متى اسْتَمْطَرْتَها قَطَّرتْ دَمَا[1]

قال السيّد عليّ بن مَعْصُوم ، فى سلافته[2] : وقلتُ أنا ناسجًا على هذا المِنْوال :

وأبْرَزْتُها بَطْحاء مكةَ بعدَما ... أصاتَ المُنادِي بالصلاةِ فأعْتَمَا

فَضَوَّأ أكْناف الحَجُونِ ضِياؤُها ... وأشْرَق بين المَأْزِمَيْنِ وزَمْزَمَا[3]

ولمّا سَرتْ للرَّكْبِ نَفحة طِيبِها ... تَغَنَّى بها حادِيهمُ وتَرَنَّمَا[4]

فتاةٌ هى الشمسُ المنيرةُ فى الضحى ... ولكنَّها تَبْدُو إذا الليلُ أظْلَمَا[5]

تعلَّمَ منهـا الغُصْنُ لَفْتة قَدِّها ... وما كان أحْرَى الغُصْنَ أن يتعلَّمَا[6]

وأسْفرَ عنها الصبحُ لمَّا تلثّمتْ ... ولو سفَرتْ للصُّبْحِ يوما تلثَّمَا

إذا ما رَنَتْ لَحظًا وماستْ تأوُّدًا ... فما ظَبْيةَ الجَرْعا وما بَانةُ الحِمَى

تَراءتْ على بُعْدٍ فكبَّر ذو التُّقَى ... ولاحتْ على قُرْبٍ فصلَّى وسلَّمَا

وكم حلَّلتْ بالصَّدِّ قَتْلَ أخِى الهوى ... وكان يُرَى قبلَ الصُّدودِ مُحرَّمَا[7]

وظنَّتْ فؤادي خاليًا فرمَتْ به ... هوًى عاد دائى منه أدهَى وأعْظَمَا

ولو أنها أبْقَتْ علىَّ أطَعْتُه ... ولكنها لم تُبْقِ لَحمًا ولا دَمَا[8]

قال : وأنْشدنى صاحبُنا أحمد الجَوْهَرِيّ[9] لنفسِه[10] :

وأبْرَزْتُها بَطْحاء مكةَ بعـدَما ... أصاتَ المُنادِي بالصلاةِ فأعْتَمَا

فشاهدتُ مَن لو أبصر البدرُ وَجْهَها ... لَكان بها مُضْنًى وَلُوعًا ومُغْرَمَا

---

(١) فى الأصول : « قصرت بقلب » ، وفى السلافة : « نظرت بقلب » ، والمثبت فى الغرر والدرر .

(٢) السلافة ٢٥١ ، ٢٥٢ . (٣) المأزمان : موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة ، معجم البلدان ٣٩١/٤ . (٤) بعد هذا فى السلافة زيادة :

وشامَ مُحيَّاهَا الحجيجُ على السُّرَى ... فيمَّمَ مَغْنَاها وَلَبَّى وأحْرَمَا

(٥) فى السلافة : « أناة » . (٦) فى السلافة : « عطفة قدها » . (٧) فى ج : « وكم طلت » والمثبت فى : ا ، ب ، والسلافة . (٨) فى السلافة : « أبقت على أطقته » .

(٩) تقدمت ترجمته برقم ٢٩١ . (١٠) القصيدة فى سلافة العصر ٢٥٢ .

ولو عرَضتْ رَكْبَ الحجيجِ تصدُّه  لَلَبَّى لِمَا يدْعُو هَواها وأحْرَمَا
وعرَّفَ بالكُثْبان مِن عَرَصاتِها  وقال مِنًى لى دارُها حين يَمَّمَا (١)
فلا تعذِلُوا فى حُبِّ ظَمْياء إنها  لها مَبْسِمٌ يشفِي الفؤادَ مِن الظَّمَا
وأعْذَبُ من صَوْبِ الغَمامةِ مَرْشَفًا  وأضْوَأُ مِن لَمْعِ البُروقِ تبسُّمَا
وأجْمَلُ من ليلَى وسَلْمَى وعَزَّةٍ  وسُعْدَى ولُبْنَى والرَّبابِ وكُلْثُمَا
وكم مَلِكٍ فى قومِه كان قاهرًا  فأضْحَى ذليلاً فى هواها مُتَيَّمَا
يَدِينُ بما تَهْوَى مُطِيعًا لأمْرِها  وإن ظلمتْه لم يكُن مُتظلِّمَا
تظَلُّ الملوكُ الصِّيدُ تعثُر بالثَّرَى  إذا قاربُو أو شاهَدُوا ذلك الحِمَى

وممَّن ذيَّل عليها العارف بالله تعالى السيد حاتم بن الأهدل اليمنِى (٢) :

وأبْرَزْتُها بَطْحاء مكةَ بعدمَا  أصاتَ المنادِى بالصَّلاةِ فأعْتَمَا (٣)
وسَرَّحْتُ عينِي فى رياضِ خدُودِها  فشاهدْتُ رَوْضًا كالربيعِ مُنَمْنَمَا
سَقَتْه مِياهُ الحُسْنِ فازْداد بَهْجةً  وغادَر قلبِي بالحَطِيمِ مُحطَّمَا
حُسَيْنِيَّةٌ حَسْناء لَمْيَاء نحوَها  توَجَّه قلبِي بالغرامِ وأحْرَمَا
سَعيْتُ إليها بالصَّفاء مُسلِّمًا  لِرُوحِي وقلبِي طاف سَبْعًا وزَمْزَمَا
غزالٌ يُعيرُ الظَّبْيَ لَفْتةَ جِيدِها  وعن قَدِّها المَيَّاسِ سَلْ بانَةَ الحِمَى
فتاةٌ يُعيرُ الشمسَ بهجةَ وَجْهِها  سَناها بغيرِ الحُسْنِ لن يتلَثَّمَا
عَدَا خَصْرُها جِسْمِي سَقامًا وجَفْنُها  تعَدَّى على جَفْنِي وللنَّومِ حَرَّمَا (٤)
إليها تَنَتْ قلبِي الثَّنايا صَبابةً  فيامَا أُحَيْلَى ذلك الثَّغْرَ واللَّمَى (٥)

---

(١) فى السلافة : « حين خيما » .  (٢) تقدمت ترجمته برقم ٢٣٥ .
والقصيدة فى سلافة العصر ٢٥٢ .
(٣) فى ب ، ج : « أصاخ المنادى » ، والمثبت فى : ا ، والسلافة ، وهو ما تقدم .
(٤) فى ا ، ب : « غدا خصرها » ، وفى السلافة : « عدى خصرها » ، وفى ج : « على خصرها » ، وهو من العدوى .  (٥) فى ا : « إليها تفنت » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

إذا حدَّثتْ فاحَ العَبيرُ وأَظهرتْ      بِرَمْزَتِها مِنِّى الحديثَ المُكَتَّمَا

وأما بيت أبى دَهْبَل، المُذيَّل عليـه، فهو من قصيدة له يصف فيها ناقته، حدَّث موسى بن يعقوب، قال: أنشدنى أبو دَهْبَل يوما[1]:

ألا عَلِقَ القلبُ المُتيَّمُ كُلْثُمَا      لَجَاجًا فلم يلزَمْ من الحُبِّ مَلْزَمَا[2]

خرجْتُ بها من بَطْنِ مكةَ بعدما      أصاتَ المُنادِى بالصَّلاةِ فأعْتَمَا[3]

فما نام من رَاعٍ ولا ارْتَدَّ سامِرٌ      من الحىِّ حتى جاوزَتْ بى يَلَمْلَمَا[4]

ومَرَّتْ ببطْنِ اللِّيثِ تَهْوِى كأنها      تُبادِرُ بالإدْلاجِ نَهْبًا مُقَسَّمَا[5]

وجازَتْ على البَزْواء والليلُ كاسِرٌ      جَناحَيْن بالبَزْواء وَرْدًا وأدْهَمَا[6]

فما ذَرَّ قَرْنُ الشمسِ حتى تبيَّنَتْ      بِعُلْيَبَ نَخْلًا مُشْرِفًا أو مُخَيَّمَا[7]

ومَرَّتْ على أشْطانِ رَوْقَةَ بالضُّحَى      فما حدَرتْ للماءِ عَيْنًا ولا فَمَا[8]

---

(١) القصيدة فى: الأغانى ٧/ ١٤٠، ١٤١، سلافة العصر ٢٥٢، ٢٥٣، معجم البلدان ١/ ٥٩٠، ٥٩١، ٣/ ٧١٥، والأبيات: الثانى، والثالث، والسادس، فى الشعر والشعراء ٢/ ٦١٥.

(٢) فى معجم البلدان: «لجوجا ولم يلزم»، وفى الأغانى: «لجاجاً ولم يلزم».

(٣) فى معجم البلدان: «للصلاة فأعتما».

وأعتم: دخل فى العتمة.

(٤) يلملم: موضع على ليلتين من مكة، وهو ميقات أهل اليمن، وتقدم.

(٥) فى السلافة: «ببطن البث»، وفى ا: «نهبا ومقسما»، والمثبت فى: ب، ج، والمصادر السابقة.

والليث: واد بأسفل السراة. معجم البلدان ٤/ ٣٧٤.

(٦) فى الأصول: «وجازت على البزداء والليث ... فباحين بالبزدا وردا ..». والمثبت فى: الأغانى، والسلافة، ومعجم البلدان، وفيه: «جناحيه بالبزواء ...».

والبزواء: موضع فى طريق مكة، قريب من الجحفة. معجم البلدان ١/ ٦٠٦.

(٧) فى ا: «بعسيب نخلا»، وفى ب: «بيعسب نخلا»، وفى ج: «بعيب نخلا»، وفى السلافة: «بعايب نخلا»، والمثبت فى: الأغانى، ومعجم البلدان، والشعر والشعراء.

وفى السلافة، والشعر والشعراء، ومعجم البلدان: «مشرفا ومخيما».

وعليب: موضع بتهامة. معجم البلدان ٣/ ٧١٤، ٧١٥.

(٨) فى الأغانى: «أشطان رونق بالضحى .. فما خزرت»، وفى معجم البلدان: «فما جررت الماء».

وما شرِبَتْ حتى ثَنَيْتُ زِمامَها ... وخِفْتُ عليها أن تَجُرَّ وتُكْلَما [1]

فقلتُ لهـــا : قد نِلْتِ غيرَ ذَميمةٍ ... وأصْبح وادى البِرْكِ غَيْثاً مُدَيَّما [2]

قال : فقلتُ : ما كنتَ إلّا على الرِّيح .

فقال : ياابن أخى ، إن عمَّك كان إذا همَّ فعَل ، وهى العَجَّاجة [3] .

هكذا رواه أبو الفرج الأصْبَهانِىّ ، فى « الجامع الكبير » ، وفى رواية البيت المُذَيَّل بعضُ تغيير كما رأيت ، والرِّوايات تختلف .

❁



(١) فى الأغانى : « أن تخر وتكلما » ، وفى معجم البلدان : « أن تجن وتكلما » .

(٢) فى الأصول : « وأصبح وادى البرق غيثاء سديما » ، والمثبت فى : الأغانى ، والسلافة ومعجم البلدان والبرك : ناحية باليمن ، وهو بين ذهبان وحلى ، وهو نصف الطريق بين حلى ومكة . معجم البلدان ١ / ٥٩٠ وفى الأغانى : « قد بنت غير ذميمة » ، وفى معجم البلدان : « قد بت غير ذميمة » .

(٣) انظر هامش الأغانى ٧ / ١٤١ ، وما أثبته الأستاذ الشنقيطى صحيح ، وهو ما هنا ، والعجاج : الصياح ، أو مثير العجاج ، ولعل هذا اسم ناقته .

# ٣١٨

## السيد حسين بن علي بن حسن بن شَدْقَم (*)

غُصْن بَسَق من روضةِ الفُتُوَّة ، وأشْبَه أصلَه مجداً تحقّق شواهدَ النُّبُوَّة .

ما شئتَ من فضلٍ سَمَا باكْتسابِه ، وفخرٍ ما زال يعْلُو بانْتِسابِه .

وجَدّ أطاعَه أبِيُّه وشَامِسُه ، وأدبٍ أنارَ به دَاجيه وطَامِسُه .

وهو ممَّن دخل الهند كجَدِّه ، فعلا بها قدرُه فوق ما قَدَّره بجِدِّه .

* * *

وقد رأيتُ من شعره قطعتين ، فأثبتُّهما له حسَنتين .

فالأولى قوله من قصيدة نَبَوِيَّة أولها [١] :

أقيمَا على الجَرْعاءِ فى دَوْمَتَىْ سَعْدِ ... وقُولَا لحادِى العِيسِ عِيسَك لا تَحْدِى

فإنَّ بذاكَ الحىِّ إلْفًا أَلِفْتُهُ ... قديمًا ولم أبْلُغْ برُؤْيَتِهِ قَصْدِى

عسَى نَظْرَةٌ منه أُبِلُّ بها الصَّدَى ... ويسكُن ما أَلْقاه من لَاعِجِ الوَجْدِ

وإلَّا فقُولَا يا أُمَيْمَةُ إنَّنا ... تركْنَا قتِيلًا من صُدُودِكِ بالهندِ

يحِنُّ إلى مَغْنَاكِ بالطَّلْحِ والغَضَا ... ويصْبُو إلى تلك الأُثَيْلَاتِ والرَّنْدِ

قِفَا نَنْدُبِ الأطلالَ أطْلالَ عامرٍ ... ونبكى بها شَوْقًا لعلَّ البُكا يُجْدِى

إلى ذاتِ دَلٍّ يُخْجِلُ البدرَ حُسْنُها ... مُرَنَّحَةِ الأعْطافِ ميَّاسَةِ القَدِّ

سَقاها الحَيَا ما كانَ أطْيَبَ يَوْمِنا ... بمَوْرِدِها والحَىُّ وِرْدًا على وِرْدِ

وقد نَثَرَتْ أيْدِى الغَمامِ مَطَارِفًا ... كَسَتْهَا أدِيمَ الأرْضِ بُرْدًا على بُرْدِ [٢]

---

(*) ترجمه ابن معصوم فى سلافة العصر ٢٥٣ – ٢٥٦ ، وذكر أنه رحل إلى الديار الهندية ، وأفاض فى الصلات التى كانت بينه وبين والده النظام ابن معصوم ، وترجمه الشروانى فى حديقة الأفراح ٥٥، ٥٦

(١) القصيدة فى سلافة العصر ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، وذكر الشروانى الأبيات النبوية من القصيدة ، فى صفحتى ٥٥ ، ٥٦

(٢) فى السلافة : « وقد نشرت أيدى الغمام » ، وهو أولى .

وقد رفعتْ فوق الحُزُومِ سُرادِقًا ... من الشَّعْرِ والأضيافُ وَفْدًا على وَفْدِ (1)

بَدَوْتُ لِحَيَّيْهَا وإلّا فإنّني ... مِنَ السّاكنين المُدْنَ طِفْلًا على مَهْدِ

ومِلْتُ إلى ماءِ البَشَامِ لأجْلِهَا ... وأعْرَضْتُ عن ماءٍ مُضَافًا إلى الوَرْدِ (2)

وغادَرْتُ نَخْلًا بالمدينةِ يانِعًا ... ومِلْتُ إلى السَّرْحاتِ من عارِضَيْ نَجْدِ

وحارَبْتُ أقْوامي وصادقْتُ قَوْمَها ... وبالَغْتُ في صِدْقِ الوِدادِ لهم جُهْدِي

فلا إثْمَ لي في حُبِّهَا ولقومِها ... وإن يَكُ إنّ اللهَ يغفرُ للعبدِ

ولا سِيَّمَا إنْ جئتُهُ مُتَوَسِّلًا ... بمُرْسَلِهِ خيرِ النَّبِيِّينَ ذي المجدِ

أبي القاسمِ المبعوثِ من آلِ هاشمٍ ... نَبِيًّا لإرْشادِ الخلائقِ بالرُّشْدِ

دَنَا فتدلَّى من مَلِيكٍ مُهَيْمِنٍ ... كما القابُ أوْ أدْنَى من الواحدِ الفَرْدِ

ألا يارسولَ اللهِ ياأشرفَ الوَرَى ... ويا بَحْرَ فَضْلٍ سَيْبُهُ دائمُ المَدِّ

لَأنْتَ الذي فُقْتَ النَّبِيِّينَ زُلْفَةً ... من اللهِ ربِّ العرشِ مُسْتَوْجِبِ الحمدِ

يُناجيك عَبْدٌ من عَبِيدِكَ نازِحٌ ... عن الدّارِ والأوْطانِ والأهْلِ والوُلْدِ (3)

ويسألُ قُرْبًا من حِماكَ فَجُدْ له ... بقُرْبٍ فقُرْبُ الدّارِ خيرٌ من البُعْدِ

ليَلْثِمَ أعْتابًا لمَسْجِدِكَ الذي ... به الرَّوْضَةُ الفَيْحاءُ من جَنَّةِ الخُلْدِ

فإنَّ له سَبْعًا وعشرين حِجَّةً ... غريبٌ بأرضِ الهِنْدِ يَصْبُو إلى هِنْدِ

إذا الليلُ وَارَاني أهِيمُ صَبابَةً ... إلى طَيْبَةَ الغرّاءِ طَيِّبَةِ النَّدِّ

وأُسْبِلُ من عَيْنَيَّ دَمْعًا كأنَّهُ ... عَقِيقٌ غدا وادي العَقِيقِ له خَدِّي

سَمِيراه في لَيْلٍ غرامٌ وزَفْرَةٌ ... تُقَطِّعُ أفْلاذَ الحَشاشَةِ كالرَّعْدِ

عليك سلامُ اللهِ ما ذَرَّ شارِقٌ ... وما لاح في الخَضْراءِ من كوكبٍ يَهْدِي

---

(1) في ج: «وقد رقعت»، والمثبت في: ا، ب، والسلافة، وفي السلافة: «فوق الحزوم».

(2) في ا: «مضافاً إلى ورد»، والمثبت في: ب، ج، والسلافة.

(3) في السلافة: «بالأهل والولد».

كذا الآلُ أصْحابُ الكرامةِ حَيْدَرٌ ... وبِضْعَتُهُ الزَّهراءُ زاكيةُ المجدِ

وسِبْطاكَ مَن حازا الفضائلَ كُلَّها ... وسَجّادُهم والباقرُ الصادقُ الوَعْدِ[1]

وكاظِمُهم ثم الرِّضا وجَوادُهم ... كذاكَ عليٌّ ذو المناقبِ والزُّهْدِ[2]

كذا العَسْكَرِيُّ الطُّهْرُ ذو الفضلِ والتُّقى ... وقائمُهم غَوْثُ الورَى الحجةُ المَهْدِي[3]

***

والقصيدة الثانية مطلعها[4] :

هواىَ لِرَبّاتِ الخُدورِ العواتِقِ ... وخَيْلٍ جيادٍ صافِناتٍ سَوابِقِ[5]

وقَوْمٍ ظُهورُ العادياتِ حُصونُهم ... ومِصْباحُهُم لَمْعُ السيوفِ البَوارِقِ

غَطاريفُ كم بَلَّ النَّجيعُ ثِيابَهُمْ ... كُماةٌ غَداةَ الرَّوْعِ حامُو الحقائِقِ[6]

أُسودٌ إذا مازارهم ذو تَهَوُّرٍ ... تَوَلَّى بقلبٍ بين جَنْبَيْهِ خافِقِ

بِضُمِّ القَنا تَذْرِي جُسُومَ عِدائِها ... وتَشْفِي ثَراها من دِماءِ المَفارِقِ[7]

إذا أَوْلَجَتْ نحوَ العَدُوِّ خُيولُهم ... تبارَتْ ليوثُ الغابِ شِبْهَ الخرانِقِ[8]

---

(١) فى ا ، ج، والسلافة : «من حاز الفضائل» والمثبت فى : ب.
وعرف بالسجاد على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، المتوفى سنة ثمان عشرة ومائة .
والباقر هو : محمد بن على زين العابدين بن الحسين ، المتوفى سنة أربع عشرة ومائة .

(٢) الكاظم : هو موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ، المتوفى سنة ثلاث وثمانين ومائة .
والرضا : هو على بن موسى الكاظم ، توفى سنة ثلاث ومائتين .
والجواد : هو محمد بن على الرضا ، توفى سنة عشرين ومائتين .
ولعله أراد بعلى ، على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب ، المتوفى سنة أربع وتسعين .

(٣) العسكرى هو : على بن محمد الجواد ، المتوفى سنة أربع وخمسين ومائتين .
وهل يريد بالقائم محمد بن عبيد الله ، ابن المهدى العبيدى الفاطمى ، المتوفى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، أم يريد المهدى المنتظر ؟

(٤) القصيدة فى سلافة العصر ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، يمدح بها النظام بن معصوم .

(٥) الصافن من الخيل : ما قام على ثلاث وحافر الرابع . (٦) الغطريف : السيد العظيم .

(٧) فى السلافة : «وتشفى ثراها» . (٨) فى السلافة : « إذا أدلجت » .
والخرانق : جمع الخرنق ، وهو الفتى من الأرانب أو ولده . القاموس ( خ ر ن ق ) .

تنـــازلُهم مابين نجدٍ ويثربٍ  جنُوباً وشاماً فى رؤوسِ الشّواهِقِ
غُيوثٌ إذا حلّ النّزيلُ بأرْضِهم  وإن أمّها الباغِى فهم كالصّواعِقِ
كِرامٌ يُجـــازُون الجميلَ بمثْـلِهِ  ويرْعَونَ وُدّاً للحَمِيمِ المُصَـــادِقِ
مَنِيعُون إن لاذَ المُخـــافُ بظلّهم  كسَوْه بِسربالٍ من الأمْنِ فائِقِ
وَدَدْتُهم إذ أشْبَهُوا بِفِعـــالهم  فِعال كريم طـاهر الأصل صـادقِ



## ٣١٩

## الخطيب عبد الله بن إلياس*

إمامُ المدينة وخطيبُها ،وعَرْفُها الذى طاب وطِيبُها .

أَسْهمَ في التَّحلِّى بشِعار الإمامة وأَنْجَد ، وقام في حَفْل الفصاحة خطيبًا يُرْكَع لإمامتِه ويُسْجد .

وقد الْتَحَف الفضل بُرْداً ، وأصبح في الأدب علمًا فَرْداً ، مع خُلقٍ جانبُه لَدْن ، وطبع حضرته جنة عَدْن .

وهو إلى القلوب مُتحبِّب ، وعمَّا يُسِيء ويَشِين مُتجنِّب .

***

وله نثرٌ ونَظْم ، هذا تتضاءل له النجومُ في أُفقِها ، وهذا تتستَّر البدُور حياءً منه في شَفَقِها .

فمن نظمِه قولُه في العَرُوض[1] :

إن العَرُوضَ لَبحْرٌ تَعومُ فيه الخواطِرْ
وكلُّ مَنْ عام فيه دارتْ عليه الدَّوائرْ

***

وبخطِّ السيِّد محمد كبْرِيت[2] مانَصُّه : أنشدنى إجازة لنفسِه سيِّدى العَفيف عبدُ الله بن الخطيب إلياس ، سَلِما من المكْروه والباس :

ياسيِّدى قُم لى ولا تَدَعِ الوقِيعةَ والعتَب[3]

---

(*) ترجمه ابن معصوم ، في سلافة العصر ٢٧٠ ــ ٢٧٢ ، والمحبى في خلاصة الأثر ٣/٣٩٨ ، في أثناء ترجمة أخيه محمد بن إلياس ، نقلا عن ابن معصوم ، ولم يذكرا سنة وفاته .

(١) البيتان في خلاصة الأثر ٣/٣٩٨ ، سلافة العصر ٢٧١ . (٢) تأتى ترجمته برقم ٣٢١ .

وهذا أيضاً في خلاصة الأثر ٣/٣٩٨ ، سلافة العصر ٢٧١ ، والمحبى في الكتابين ينقل عن السلافة

(٣) عجز البيت في السلافة : « من غير أن أخشى العتب » ، وهو ما سيأتى عجز بيت لابن معصوم .

كَيْـلا يُقال مُقَصِّرٌ فأكون فيه أنا السَّبَبْ

فقلتُ[1] وإنْ لم يبلُغِ الظَّالِعُ[2] شأْوَ الضَّلِيعِ[3]:

لِمَ لا أقـومُ لسيِّدِي مِن غيرِ أن أخْشَى العَتَبْ

وهـو الذي قامتْ له بثنائِها عَلْيـا الرُّتَبْ

وقلتُ[4] في المعنى، من بحر الخَبَب:

أقُومُ على الرَّأسِ مَهما بَدا جَمالُكَ لا لاجتنابِ العَتَبْ[5]

ولِمْ لا أقومُ وأنت الذي لِعَلْياهُ قامتْ كِرامُ الرُّتَبْ

ولبعضهم في المعنى[6]:

قِيامِي والعزيزِ لَدَيْكَ فَرْضٌ وتَرْكُ الفضلِ ما لا يستقيمُ[7]

فهل أحَدٌ له عَقْلٌ ولُبٌّ ومَعْرِفـةٌ يراك ولا يقُومُ

وما ألطف قولَ بعضهم معتذراً عن عدَمِ القيام[8]:

عِـلَّةٌ سُمِّيَتْ ثمانين عاماً منَعتْني للأصدقاءِ القِياما

فإذا عُمِّروا تمهَّد عُـذْرِي عندهم بالذي ذُكِرتُ وقاما

وللشِّهاب المَنْصُورِيِّ[9]:

---

(١) أي ابن معصوم. (٢) في الأصول: «الضالع»، والمثبت في الخلاصة، والسلافة. والظالع: المتهم، ومن به عيب.

(٣) في السلافة: «الظليع». (٤) أي المحبي، والبيتان في خلاصة الأثر ٣/٣٩٨.

(٥) في خلاصة الأثر: «لما بدا».

(٦) البيتان في: خلاصة الأثر ٣/٣٩٨، سلافة العصر ٢٧١. (٧) في الخلاصة: «على فرض»، وفي السلافة: «إليك فرض». (٨) خلاصة الأثر ٣/٣٩٨، سلافة العصر ٢٧١.

(٩) هو أحمد بن محمد بن علي، من ذرية العباس بن مرداس السلمي.

ولد بالمنصورة، سنة تسع وتسعين وسبعمائة، ورحل إلى القاهرة، وذاع صيته، وجمع لنفسه ديواناً وكانت وفاته سنة سبع وثمانين وثمانمائة.

الضوء اللامع ٢/١٥٠، نظم العقيان ٧٧.

والبيت في شفاء الغليل ١٨٨، والكلام الآتي منقول عنه.

وَمَن ذهبتْ بلُحْمتِه الليَالِي      أيُمْكِنُ أن يكون له قِيامُ

قِيامُ الثوب ، في كلام العامَّة : ما يُقابل لُحْمتَه .

وذكرتُ هنا[1] ، ماحكاه أربابُ السِّير ، عن الصَّاحب إسماعيل بن عبَّاد ، أنه لمَّا كان ببغداد ، قصد القاضيَ أبا السَّائب عُتْبة بن عُبَيد[2] لقضاء حقِّه ، فتثاقل في القيام ، "وتحفّزَ تحفُّزاً"[3] أراه به ضَعْفَ حركتِه ، وقُصُور نهْضَتِه ، فأخذ الصَّاحبُ بضَبْعِه ، وأقامه ، وقال : نُعِينُ القاضي على حقوق إخوانه .

فخجِل القاضي ، واعْتذر إليه .

***

وبخطِّ السيد محمد كبْريت : كتبت إلى سُدَّته العَلِيَّة ، يعني الخطيب[4] :

يا أيُّها المولى الذي فاق الورَى      ببيان مَنطِقه البديعِ الزَّينِ

هات افْتِنا في زيدٍ المخْفوضِ في      ماقامَ إلَّا زيدِ المسْكينِ

فكتب مُجيباً[5] :

يامَن بِشَمْسِ عُلومه زال الكَرَى      فغدا بمصْباحِ الهُدى كالعينِ

إنِّي أقولُ جوابُكم وبي الجوَى      في فَرْدِ بَيْتٍ زان في العَيْنَيْنِ

زيدٌ تُصُوِّرَ جرُّه بإضافةٍ      للآلِ وهو العهدُ للاثْنَيْنِ

حاكتْهُ أيادِي الوِداد بأناملِ الإخْلاص ، وسَبكتها في قوالبِ الاتِّحاد فما حاكتْه سبائكُ الخِلاص[6] .

---

(١) هذا نقل أيضاً عن السلافة ٢٧١ ، ٢٧٢ ، وهو في خلاصة الأثر ٣٩٨/٣ ، ٣٩٩ .

(٢) أبو السائب عتبة بن عبيد الله بن موسى الهمذاني الشافعي ، قاضي القضاة ببغداد ، المتوفى سنة خمسين وثلاثمائة .

انظر طبقات الشافعية الكبرى ٣٤٣/٣ .

(٣) في الأصول : « وتحفر تحفراً » ، وكذلك في الخلاصة ، وفي السلافة : « وتحفز تحفزاً » ولعل الصواب ما أثبته .

(٤) خلاصة الأثر ٣٩٩/٣ ، سلافة العصر ٢٧٢ .

(٥) الجواب كله في خلاصة الأثر ٣٩٩/٣ ، والشعر فحسب في سلافة العصر ٢٧٢ .

(٦) في ا : « الإخلاص » ، والمثبت في : ب ، ج ، خلاصة الأثر .

والخلاص : ما اتقى عنه الغش من الذهب والفضة .

إلى الحضرة التى يحقُّ لى أن أحِنَّ إليهـا وأشتاق ، ويليقُ بى أن أطيرَ مع حمائم البَطائق لأفِدَ عليها لو أن ذلك ممَّا يُطاق .

تهدَّلتْ أغصانُ دَوحةِ رياستِه ، وتهلَّلتْ جِباهُ[1] جلالتِه ونفاستِه .

حُبٌّ مَوْثوقٌ بالعُرَى ، وقلبٌ مَنْبوذٌ بالعَرَا .

أأتَّخِذُ العراقَ هوًى وداراً ومَن أهواهُ فى أرضِ الشَّـآمِ

بَيْدَ أن له[2] فى سَعَةِ الفضل رجا ، وفى اجتماع الشمل ما تَحار فيه عقولُ أُلِى الحِجَى .

ولا يزال يتذكَّر سُوَيْعاتٍ مرَّتْ ما كان أحـلاها ، وأُوَيقات ليس فى يده إلَّا أنه يتمنَّاها .

فياما كان أحسنه زماناً ويا ما كان أطيَبَه ويا ما

وبعد كلِّ حالٍ فسلامةُ المولَى هى مُنْتهى الطَّلب ، إذا كان فى صِحَّـةٍ فما أنا إلَّا فيها أتقلَّب .



---

(١) فى ا : « شباه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة . (٢) فى ب : « لى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

## ٣٢٠

## غَرْسُ الدين بن محمد الخليليّ*

إمامُ العصر برَوْضة النبيّ ، والمقدَّم فى حَلْبة البيان على رَغْم المخالف والأَبِيّ .

بلَغ من الوجاهة مَبْلغاً تفرَّد فيه ، وقالتْ له الأيامُ حَسْبُ أَملِك ويَكْفيه .

ماشئتَ من جِدٍّ يَعْجِز النَّجْمُ عن لَحاقِه ، وأدب لو بلَغه البدرُ ماشِين قَطُّ بمِحاقِه .

اقْتنص بشَرَكِ بديهتِهِ مُتمنِّعات الأوابِد الشَّوارِد ، وفَجَّر من بلاغتِه وبَراعتِه حِياضاً عَذْبةَ المناهِل والموارِد .

وله تآليف سلَك فيها الطَّريقة السَّوِيَّة ، وجَنَح برأْيه إلى أحسن الرَّوِيَّة .

***

وشعرُه إن لم يكن كقَدْرِه فى أعْلَى الدَّرَج ، فهو من خيرِ الأمور المأمونِ قائلُه من الحَرَج .

فمنه قوله فى مدح القهوة[١] :

دَعِ الصَّهباءَ واشربْ صِرْفَ قِشْرٍ مُشَعْشَعةً تدور بكفِّ بَدْرِ

وإن شئْتَ الشفا بادِرْ سَرِيعاً إلى حانٍ لها قد حان بَدْرِي

---

(*) غرس الدين بن محمد بن أحمد الخليلى المدنى الأنصارى الشافعى .

محدث ، فقيه ، أديب .

أخذ بالقدس عن محمد الدجانى ، ويحيى بن قاضى الصلت ، ورحل إلى القاهرة ، سنة سبع بعد الألف وحضر بها دروس أبى النجا سالم السنهورى ، وأخذ عن الأستاذ زين العابدين البكرى ، ثم رحل إلى الروم ، واجتمع بالوزير الأعظم ، فوجه له خطابة المدينة ، وعين له ما يكفيه ، فهاجر إلى المدينة ، وسكنها ، وتزوج بها ، وكانت له رحلة إلى دمشق ، سنة ثمان وأربعين وألف ، فأخذ عنه فضلاؤها .

ولغرس الدين مؤلفات كثيرة ؛ منها : « كشف الالتباس فيما خفى على كثير من الناس » فى الأحاديث الموضوعة ، وله أيضاً : « نظم الكنز » ، و « نظم مراتب الوجود » .

توفى سنة سبع وخمسين وألف .

خلاصة الأثر ٣/٢٤٦ — ٢٥٤ ، سلافة العصر ٣٩٩

(١) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/٢٤٩ ، ٢٥٠ .

فما الياقوتُ فى لونٍ نَضِيرٍ ... وما لَوْنُ النُّضارِ ولونُ تِبْرِ [1]

دَعِ الفاروقَ إن رُمْتَ التَّداوِى ... وخُذْها فهْى للأسْقامِ تُبْرِى

كأنَّ حَبابَها المَنْظومَ عِقْدٌ ... من الياقوت يُجْلَى فوق نَحْرِ

سأسْعَى نحوَ مَرْوَتِها أُلَبِّى ... ليصْفُو بالصَّفَا صَدْرِى ونَحْرِى

نَدِمتُ نَدامةَ الكُسَعِىِّ عليها ... لِما قد فاتَ من أيّامِ عُمْرِى [2]

سأُدْمِنُ شُرْبَها ما دمتُ حَيًّا ... ولا أُصْغِى إلى زَيدٍ وعمرِو

وأجْلُو عَيْنَ أغْيارِى وهَمِّى ... بصَافِيها سُحَيْرًا قبلَ فَجْرِ

هى الرَّاحُ المُرِيحُ لكلِّ رُوحٍ ... ولم تُمْزَج ولم تُوجَد بعَصْرِ

وكلُّ مُخالِفٍ فيها فإنِّى ... أُسَفِّهُ قولَه من أهلِ عَصْرِى

فقُلْ إن قال ساقِيها المُفَدَّى ... جَبًا يا مَرْحبًا واشْكُرْ لشُكْرِ [3]

وخُذْها من يديْهِ فى حُضورٍ ... مع السَّاقِ المَليحِ بغيرِ سُكْرِ

فلا غَوْلٌ ولا تأْثِيمَ فيها ... وليستْ مُرَّةً بل طعمَ تَمْرِ [4]

وإن غالَى المُحِبُّ وقال أشهد ... أُجِيبُ نَعَم إذا ما كان تمرِى [5]

ولولا مِدْحَتِى للبُنِّ قَبْلًا ... لَمُدْتُ له بهَجْوٍ ثم هُجْرِ

لِيُبْسِ طِباعِهِ وسَوادِ قلبٍ ... له فهو الحَرِىُّ بكلِّ هُجْرِ

***

---

(١) فى ا : « فما لون النضار » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .

(٢) يضرب المثل بالكسعى فى كل نادم على ما جنت يداه ، وهو محارب بن قيس ، كسر قوسه حين ظن أنها أخطأت مراميه ، فلما رأى أسهمه أصابت ندم ، وشد على إبهامه فقطعها . انظر ثمار القلوب ١٣٣ .

(٣) جبا : أى سقيا . (٤) غول : تغتال العقول وتذهب بها . غريب القرآن للسجستانى ١٨٨ .

(٥) فى الخلاصة : « وقال شهد » ، ولعله الصواب .

وفى ب : « إذا ما كان عمرى » ، والمثبت فى : ا ، ب والخلاصة .

ومن لطائفه قولُه مخاطباً الوزير الأعظم مصطفى باشا، يحثُّه على إزالة الخِصْيان من المسجد النبوى[(١)]:

يا مصطفى بالمصطفى العَدْنانِ ... وبآيِ قُرآنٍ عظيمِ الشّانِ

لا تجْعلَنَّ على المدينةِ أسْوداً ... شيخاً على حَرَمِ النبي العَدْنانى

وكذلك الحُبْشانُ أيضاً منهمُ ... فهُمُ همُ لا خيرَ فى الحُبْشانِ

بل جاء فى خبرٍ رواه بعضُهم ... ها لفظُهُ لا خيرَ فى السُّودانِ[(٢)]

قومٌ لهم طَبْعٌ شديدٌ زائدٌ ... لا يشبعون من الحُطامِ الفانِى[(٣)]

لولا المَخافةُ منكمُ لأتاكمُ ... شاكُونَ من همٍّ ومن أحزانِ[(٤)]

وإذا أرَدْتُم أنّكم تستيقِنُوا ... أحوالَهم من غيرِ ما بُهتانِ[(٥)]

فلْتسألوا حَنَفِى أفندى عنهمُ ... يُخْبِرْكُمُ عن خُلْسةِ الغِرْبانِ

ما كلُّ ما يُدْرَى يُقالُ وأنتمُ ... أدْرَى بطَيْشِ السادةِ الخِصْيانِ

يستنزِلون لأخْذِ ما قد جاء من ... صَدقاتِ خيرٍ للفقيرِ العانِى

فَيصيبُ أهلَ الفضلِ من صَدقاتكمْ ... ما ساءهم من أسْهُمِ الحِرْمانِ[(٦)]

فانْظُر لنا شَيْخاً نقِيباً صالحاً ... مُسْتَنْزِهاً عن ذَا الحُطامِ الفانِى[(٧)]

إن لم يجُزْ إلا خَصِيًّا أسْوداً ... فاخْصُوا لنا شَيْخاً من البِيضانِ

يا وَيْحَكم إن لم تُراعُوا حَقَّنا ... يومَ الحسابِ بحَضْرةِ الدَّيّانِ

يوماً تكونُوا مثْلَنا ما إنْ لكمْ ... فى الناسِ من أمرٍ ومن سلطانِ[(٨)]

هَذِى نصيحةُ غَرْسِكم فى رَوضةِ الْ ... هادِى إلى الإسلامِ والإيمانِ

---

(١) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/٢٤٧. (٢) فى الخلاصة: «لا خير فى الحبشان».

(٣) فى الخلاصة: «لهم طمع»، وهو المتفق مع السياق. (٤) فى الخلاصة: «لولا المخافة منهم».

(٥) فى الخلاصة: أنكم تتيقنوا. (٦) فى الخلاصة: «فيصيب أهل الفضل».

(٧) فى ب، والخلاصة: «شيخاً تقياً»، والمثبت فى: ا، ج.

(٨) هكذا فى الأصول، والخلاصة: «تكونوا».

يدعُو لسُلْطانِ الورى ولمصطفَى ... سيفِ الإلٰهِ وعاضِدِ السلطانِ

* * *

وذكر القاضي أحمد بن عيسى المُرْشِدِيّ[1]، في « تذكرته » : ورَد علينا في أثناء عام خمسٍ وأربعين وألف الشيخُ الأوحدُ الأكمل غَرْسُ الدِّين[2] المَقْدِسِيّ، الخطيب والإمام بالرَّوضة المُشرَّفة، على صاحبها الصلاةُ والسلام، ولم يُوافِقه[3] أهلُ مكة، فقال مُعرِّضًا[4] :

علماءُ مكةَ جاوَزُوا الأفلاكا ... عِزًّا وحُقَّ لهم لعَمْرِيَ ذاكا[5]

لولا الرِّياسةُ في رُءوسِ نُفوسِهِمْ ... كانوا وحقِّك كُلُّهم أمْلاكا

وقال أيضا[6] :

جِيرانُ مكةَ جيرانُ الإلٰهِ لِذَا ... لا يَعْبَأُون بمَن قد غاب أو حَضَرا[7]

لولا الطَّبِيعةُ عاقَتْهم لَكان لهم ... إسْراءُ رُوحٍ بِسِرِّ السِّرِّ قد ظَفِرا[8]

فقال[9] بعضُ السادة الأشراف، المُتَّصِلِ بمَحْتِدِهِم الزَّاكِي[10] بالمُغِيرة عبدِ مَناف[10]، نخرُ الشجرة التي أصلُها ثابت وفرعُها في السما، أكْرِمْ به نسَبا ومُنْتمَى، على طريق الجواب عن الأوَّلَيْن[11] :

للهِ دَرُّكَ من أديبٍ بارعٍ ... بذَكائِهِ ما يُعْجِزُ الإدْراكا

أحْسَنْتَ إذ أتْحَفْتَنا ببدائعٍ ... بَهَرَتْ وإن جادتْ فدون مَداكا[12]

---

(١) تقدمت ترجمته برقم ٢٧٦ .
والنقل أيضاً في خلاصة الأثر ٣/ ٢٥٠ .

(٢) في الخلاصة بعد هذا زيادة : « الأزهري » . (٣) في الخلاصة : « ولم يؤانسه » .

(٤) البيتان في خلاصة الأثر ٣/ ٢٥٠ ، وسلافة العصر ٤٠٠ . (٥) في السلافة : « لعمرك ذا كا » .

(٦) البيتان في خلاصة الأثر ٣/ ٢٥٠ ، سلافة العصر ٤٠٠ . (٧) في الأصول : « جيران الإله كذا » ، والمثبت في : الخلاصة والسلافة . (٨) في الأصول : « إسرار روح » ، والمثبت في : الخلاصة، والسلافة ، وهو المتفق مع الردود الآتية . (٩) هذا النقل في الخلاصة فحسب . (١٠) في الخلاصة « بالمغيرة بن عبد مناف » وهو خطأ ، فقد قيل إن اسم عبد مناف بن قصي المغيرة ، وإن عبد مناف لقب له . انظر طبقات ابن سعد ١/ ٥٥ . (١١) الأبيات في خلاصة الأثر ٣/ ٢٥٠ . (١٢) في خلاصة الأثر : « فدون ندا كا » .

فَيَجهَابِذُ البيتِ الحرامِ مُذِيعةٌ ... بِأَرِيجِ مَدْحٍ من بَدِيعِ ثَنَاكَا
وهمُ الجحاجِحُ والذين سَمَوْا بمَنْ ... خَرَمَ السَّمَا واستخْدم الأَمْلاكَا[1]
لا غَرْوَ أن جَازُوا الأَثِيرَ بفضْلِهِمْ ... وعَلَوا بحقٍّ جَوازِهِ الأَفْلاكَا[2]

وعن الثَّانِيَيْن[3] :

يامُغْلِقًا لم يزَلْ في كلِّ غامضةٍ ... يُبْدِي بِهــا فَلَقًا بالحقِّ قد ظَهَرَا
وبَحْرَ عِلْمٍ تحلَّى من فَرائِدِهِ ... جِيدُ البَلاغةِ عِقْدًا يفْضَحُ الدُّرَرَا
أتيْتَ حقًّا وعينُ الفضلِ شاهدةٌ ... وأنتَ إنسانُها الرَّائى بغير مِرَا[4]
لكنْ إليكَ اعتذارًا منهمُ فذَوُو الْ ... أفْضالِ يعْذِرِ مَن قد جاء مُعْتذِرَا
لم يتركُوك لإِهْمالٍ ومَنْقَصَةٍ ... لكنْ حَجَبْتَهم فالذنبُ منك يُرَى

وأجابه أيضا القاضى تاجُ الدِّين المالكىّ[5] ، بقوله[6] :

جيرانُ مكةَ غَرْسُ الدِّين أيْنَعَ فى ... قُلوبِهم باسِقًا يهْدِى الهُدَى ثَمَرَا
سَقَوْه من أنْهُرِ الإخْلاصِ صَافِيَها ... فاخْضَلَّ يُطْلِعُ من أكْمامِها زَهَرَا[7]
ومن يكُن رَوْضُ غَرْسِ الدِّين مُهْجتَهُ ... أسْرَى وفازَ بسِرِّ السِّرِّ حين سَرَى
به قد اتَّحَدُوا إذْ كان بينَهمُ ... تَواصُلٌ مَعْنَوِىٌّ مِن أَلَسْتُ جَرَى[8]
فحيثُ دارتْ كؤوسُ الاتِّحادِ على الْ ... أرْواحِ مَا اعتبرُوا الأشْباحَ والصُّوَرَا

---

(١) الجحجاح : المسرع إلى المكارم . (٢) فى خلاصة الأثر : « بحق جواره » . (٣) الأبيات فى خلاصة الأثر : ٣/٢٥٠ . (٤) فى خلاصة الأثر : « أثنيت حقا » . (٥) تقدمت ترجمته برقم ٢٧٨ .

(٦) الأبيات فى : « خلاصة الأثر ٣/٢٥٠ ، ٢٥١ ، سلافة العصر ٤٠٠ .

(٧) فى سلافة العصر : « من أكمامه زهرا » .

(٨) قوله : « من ألست جرى » يعنى منذ بداية خلقهم ، وهو ينظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ سورة الأعراف ١٧٢ .

فأجاب الغَرْسُ معتذِراً[١] :

يا شَهْمَ مكةَ يا تاجَ الرؤوسِ بها يا عُنْصُرَ الفضلِ قد بَكَّتَّ مَن عذَرا[٢]

يا حَبْرَ عِلمٍ يزيدُ الطالبين بها يا بحرَ فضلٍ به نَسْتخرِجُ الدُّرَرا[٣]

يا رَبَّ حِذْقٍ غدا رَبُّ البيانِ له عَبْدًا وألْقَى عَصا التَّسْليمِ مُفْتقِرَا

يا ألْمعيًّا أضاءتْ من لوامِعِهِ مَشارِقُ الذِّهْنِ بالذَّوْقِ الذى بَهَرا[٤]

يا لَوْذَعِيًّا بلا عِيٍّ يُمازِجُه أعْيَى وأفحَمَ كُلًّا قال أو شعَرَا[٥]

يا رَبَّ ظَرْفٍ ولُطْفٍ كَسَّرا خَطَأً أغْصانَ غَرْسِى على بُعْدٍ وما شَعَرَا

هل تَرْفِيَنَّ الذى أخْلَقْتَ من حُلَلِى أو تَقْبَلَنَّ الذى يأْتِيكَ مُعْتذِرَا[٦]

فأجابه القاضى بقوله[٧] :

كَلَّلْتَ إكْليلَ تاجِى بالثَّنا دُرَرَا لَمَّا بعثْتَ بِعِقْدِ المدحِ مُعْتذِرَا

مُضَمَّخًا طِيبَ شُكْرٍ عَرْفُ نَفْحتِهِ كَرَوْضِ غَرْسِكَ حَيَّتْه الصَّبا سَحَرَا

غَرْسٌ روَى حين روَّى الفضلُ مَنْبتَه للسَّمْعِ نُوَّارُه عن طِيبِه خبَرَا[٨]

غَرْسٌ من المَبْدإ الفَيَّاضِ قد سُقِيَتْ أعْراقُه فسَما يُهْدِى الهُدَى ثَمَرَا

إنِّى عَقَدْتُ وقد عَرَّضْتَ مُعْتَرِضًا لِعِرْضِ قومٍ ثناهُم لم يَزَلْ عَطِرَا[٩]

هذا إلى ما هُوَ الأحْرَى بنا وبه إذا اقْتَفَيْنا طريقَ القَوْمِ والأثَرَا[١٠]

---

(١) جواب غرس الدين فى : خلاصة الأثر ٣/٢٥١ ، سلافة العصر ٤٠٠ .

(٢) فى خلاصة الأثر : « ياشهم مكة قد بكت من عذرا » ، وفى سلافة العصر : « ياسهم بك قد بكت من عذرا » .

(٣) فى خلاصة الأثر : « يفيد الطالبين » ، وفيها وفى السلافة : « يابحر فهم » .

(٤) سقط هذا البيت من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٥) فى الأصول : « ياألمعيا بلا عى » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة ، وفى سلافة العصر : « وأفحم من قد قال » .

(٦) المعروف : رفا يرفو الثوب .

(٧) جواب القاضى تاج الدين فى : خلاصة الأثر ٣/٢٥١ ، سلافة العصر ٤٠٠ ، ٤٠١ .

(٨) بين هذا البيت والتالى له تقديم وتأخير فى سلافة العصر .

(٩) لم يرد هذا البيت فى سلافة العصر .

(١٠) فى سلافة العصر : « هدى إلى ما هو الأحرى » .

فخِرْقَةُ الفقرِ إن لم يُوفِ لَابِسُها بشَرْطِها نبذَتْه كاسِيًا بعرَا
عَوْدًا لبدْءٍ فمِمَّ الاعْتذارُ ولم تُقِرَّ إذْ قلتَ بكِّتْ الذى عذرَا
وقلتَ فى حَقِّ مَن جازَى وعرَّض لم يشعُرْ وأغصانُ غَرْسِي مُخطِيًا كَسَرَا[1]
قد حَصْحَصَ الحقُّ فاعلمْ أنَّما كُسِرتْ أغْصانُ غَرْسِ الذى أخْطَا وما شَعَرَا
أقْرِرْ بذنْبِك ثم اطْلُبْ تجاوُزَهم عنه يَجُدْك ذنبٌ غيرَ ما غَبَرَا[2]
قضى بما جرَتِ الأقْلامُ منك بما جَرَى به القلمُ المَختومُ حين جرَى[3]
يَكْبُو الجوادُ ومَن يَعْثرْ يقلْ كَرَمًا فنسألُ اللهَ غُفْرانًا لمن عثَرَا

***

وقال المُرْشِدِىُّ أيضا[4] : كان غَرْسُ الدِّين كتب إلى مولانا القاضى تاج الدِّين أبياتا ، ذكَرنى فيها مجرَّداً عن الناصِب والجازم ، بأن قال :

* وأحمدُ المُرْشِدِى فى ذاك قد حَضَرا *

ثم اعتذر منِّى ، فكتبتُ إليه سِتَّةَ أبيات ، وأردْتُ أُكْمِلها ، فأكْمَلَها السيد أحمد بن مسعود[5] سِتَّةً أخرى ، وبعثَها إليه ، وهى :

غَرَسْنا لغَرْسِ الدين فى قلبنا الوُدَّا فأطْلَع من أكْمامِ أفواهِنا الوَرْدَا
فعطَّر لمَّا أن جَنَتْه يدُ الوَفَا وضاعَ فأذْكَى عَرْفُه العَنْبَرَ الوَرْدَا
سَقَيْناه من عَذْبِ التَّصافِي زُلالَه وما كَدَّرتْ مِنَّا له جَفْوَةٌ وُدَّا
رعَى اللهُ مَن يَرْعَى أخاه إذا هَفَا ويُوسِعُه مِن أن يُقابِلَه حَمْدَا[6]
وذلك غَرْسُ الدِّين لا زال باسِقًا بِرَوْضةِ مَن يسْقِى غَرائِسَهُ المَيْدَا
ويذكُر عَهْداً أحْكَمتْ فى قُلوبِنا أَوَاخِيَه أيْدِى الوُدِّ أكْرِمْ به عَهْدَا[7]

---

(١) فى ب ، ج : « جازى وعرضى لم » ، والمثبت فى : ا ، والخلاصة ، والسلافة . (٢) فى الأصول : « يجدك ذنب » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة . (٣) فى سلافة العصر : « قضى بأن جرت الأقلام » .
(٤) هذا النقل والقصيدة بعده ، فى خلاصة الأثر ٣/٢٥٢ . (٥) تقدمت ترجمته برقم ٢٦٨ .
(٦) فى خلاصة الأثر : « عن أن يقابله » . (٧) الأخية : حبل يدفن طرفه ، ويربط بطرفه الآخر الدابة .

إمامٌ سَمَا فوق السِّماكِ بأَخْمَصٍ وجاوَزه حتى شَئَا الأيْنَ والحَدَّا
وناظِمُ أشْتاتِ العلوم بنَثْرِه فيَنْظِمه فى جِيدِ أهلِ الحِجَى عِقْدَا (١)
وكاشِفُ ليلِ الجَهْلِ من صُبْحِ عِلْمِه بشمسٍ فتكْسُوه أشِعَّتُها بُرْدَا
أتيتَ بفَضْلٍ فاسْتحقَّيْتَ شاهداً لأحمدَ فاستَوْلَيْتَ عنّى به مجدَا
وأظهرْتَ بالإفْضالِ ما كنت مُضمِراً فكنتَ به أحرَى وكنتَ به أجْدَى
ولا عَجَبٌ سَبْقُ الجِيادِ لأنها مُعوَّدةٌ بالسَّبْقِ إن كُلِّفَتْ شَدَّا

فأجابهما بقوله(٢) :

أقول وقد غَلَّبْتُ خيرَكما جَدَّا وقاعدةُ التغليبِ معروفةٌ جِدَّا
حَمِدْتُ إلٰهى أن غرَسْتَ لنا الوُدَّا أيا أحمدُ السَّامى سِماكَ السَّما حَمْدَا
فأينَعَ غرْسِى بعد ما كان ذاوِياً وأطلَع عن أكْمامِه الزَّهْرَ والوَرْدَا
وإن دامتِ السُّقْيا له مِن وِصالِكُمْ سيُثمِرُ فى رَوضِ الرَّسولِ لكم وُدَّا
هنيئاً لغَرْسٍ صار أحمدُ ساقياً له من عُيونِ الوُدِّ كأسَ الصَّفا وِرْدَا
فظَلَّ يُراعِى عهْدَه فى مَغيبِه ويَبْنِى له فى بيتِ مَحْتِدِه عَقْدَا (٣)
وذِكْرُه عَهْداً أواخِيه أحكمتْ يَدُ الوُدِّ فى أرْواحِنا العَقْدَ والشَّدَّا
فعُذْراً لأنِّى قادمٌ وتَراهُمُ يقُولون فى الأمْثالِ والحقُّ لا يُعْدَى
لِكلِّ غَرِيبٍ قادِمٍ دَهْشَةُ اللِّقا بها يَدْرَأُ الحُذَّاقُ عن رَبِّها الحَدَّا
وهَبْنا تجاوَزْنا الحدودَ ألَسْتُمُ تُقِيلون مَن أخْطَا ومَن قد جَنَى عَمْدَا
إذا لم تكونُوا هكذا فتخلَّقُوا بأخْلاقِ مَوْلًى يملِكُ الغَىَّ والرُّشْدَا

---

(١) فى ا : « أشتات العيون » ، والمثبت فى : ب ، ج والخلاصة .

(٢) جوابه غرس الدين فى خلاصة الأثر ٣/٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٣) فى خلاصة الأثر : « فى بيت مدحته » .

والعقد ، بالكسر : معروف ، وبالفتح ، ما عقدت من البناء .

لَعَمْرِيَ لو كنتُ البليغَ خِطابُهُ ... وأخْطَبَ مِن قُسِّ الإيادِيِّ من عُدَّا[1]

ورُمْتُ بأن أُحْصِي فضائل أحمد ... لما استوعبتْ نفسي فضائِلَه عَدَّا

هو ابنُ الرَّسولِ المُصطفَى وذوِي الصَّفَا ... بني حَسَنِ الحُسْنَى الذين سَمَوْا مَجْدَا

لهم حُرْمةٌ يَعْنُو لها كلُّ مُسْلِمٍ ... بها أَخَذَ المولى علينا لهم عَهْدَا[2]

فلِلّهِ آدابٌ بغيرِ تَطَبُّعٍ ... ولكنَّ مِن سِرِّ الرَّسولِ بها مُدَّا

و « أَدَّبَني ربي » له منه قِسْمَةٌ ... بفَرْضٍ وبالتَّعْصِيبِ من إرْثِهِ مدَّا

وللهِ شِعْرٌ جاوَزَ الشِّعرَ رِقَّةً ... وجاوَزَ للشِّعْرَى العَبُورِ بما أَبْدَى[3]

ولا عَجَبٌ من ذاك عندي وربِّهِ ... بعِزَّتِهِ قد جاوَزَ الأَيْنَ والحَدَّا

وناظِمُ عِقْدِ المَكْرُماتِ بكَفِّهِ ... ويَنثُرُه جُوداً فيُحْيِي به فَقْدَا

وقد كان منك الفضلُ قِدْماً ومَقْدَماً ... بسابِقَةٍ تَستوجِب السَّعْيَ والوُدَّا[4]

فأظْهَرْتُ بالأبياتِ ما كان مُدْغَماً ... ورُمْتُ بالإخفاء بيتاً حَوَى عَوْدَا

فشِمْتُ به تاجاً على الرأسِ مُشْرِقاً ... فعانَقْتُه حُبًّا وهِمْتُ به وجْدَا

وداخَلَنِي منه حياءٌ ودَهشةٌ ... لِما كان من وَهْمٍ فأوْرَثَنا حِقْدَا

وقابلْتُه بالرَّحْبِ والبِشْرِ فَرْحَةً ... ولم نَرَ منه حين حانَ اللِّقَا صَدَّا

ولا عَجَبٌ سَبْقُ الجِيادِ فإنها ... مُعَوَّدَةٌ بالسَّبْقِ ما كُلِّفَتْ شَدَّا

ولَسْتُ بحِمْصِيٍّ كما قال باهِتٌ ... ولكنْ خَلِيلِيٌّ تَمِيمِيٌّ استَهْدَى

وجَدِّيَ من الآباءِ فيما رَوَى أبو ... سعيدٍ هو الخُدْرِيُّ أَكْرِمْ به جَدَّا[5]

---

(١) في الأصول : « وأحظيت من قس » ، وفي خلاصة الأثر : « وأخطبت من قس » ، ولعل الصواب ما أثبته . (٢) مكان هذا البيت في خلاصة الأثر :

ملوكٌ ملوكُ الأرضِ رِقٌّ وَلائِهِمْ ... وحُبُّهُمُ أَنْجَى وبُغْضُهُمُ أَرْدَى

(٣) الشعرى العبور ، والشعرى الغميصاء : أختا سهيل . القاموس ( ش ع ر ) .

(٤) في خلاصة الأثر : « قدما مقدما . . . السعي والعودا » . (٥) في خلاصة الأثر : « وأكرم به جداً » .

وذاكَ من الأنْصارِ أنْصارِ جَدِّكُمْ    رسولٌ به نِلْنا عُلَا الجَدِّ والجِدَّا[1]

عليه صلاةُ اللهِ ثم سلامُه    وآلٍ وصَحْبٍ والمُحِبُّ لهم جِدَّا

أجِدَّكَ هذا القَدْحُ فيمَن يُحِبُّكمْ    ويَحْمَدُكم مَدْحًا ويَمْدَحُكم حَمْدَا[2]

وما أصْلَتَتْ كَفَّاكَ يا مُصْلِتًا على الْ    أعادِي سَيْفًا بَاتِرًا ماضِيًا حَدَّا[3]

فحَسْبِيَ عِلْمُ اللهِ واللهُ عُدَّتِي    وذِمَّةُ خَيْرِ الرُّسْلِ تَكْفِي مَن اسْتَعْدَى

***

ومن شِعره قولُه ، من أبيات كتبها في صَدْر رسالة ، إلى يوسف العُسَيْلِيّ[4] القُدْسِيّ :

يا مَن إليه تشَوُّقِي وتَشَوُّفِي    قلبي يُحَدِّثني بأنّك مُتْلِفِي[5]

هل قد عَرَفْتَ بأنّني لك مُصْطَفٍ    رُوحِي فِداكَ عَرَفْتَ أم لم تَعْرِفِ

ولقد أقول لِلَائِمِي في حُبِّكمْ    أيلامُ مَن يهوَى الجمالَ اليُوسُفِي

إن جئْتني مِصْرًا فقد أسعَفْتَني    يا خَيْبَةَ المَسْعَى إذا لم تُسْعِفِ

ما حَبَّنِي بالصِّدْقِ شَخْصٌ غيرُكم    حقًّا وكيف يُحِبُّ مَن لم يَعْرِفِ

أوْفُوا لوَعدِي سُرْعَةً من فضلِكمْ    كرمًا فإنّي ذلك الخِلُّ الوَفِي[6]

لو قد وَهبْتُ مُبَشِّرِي بقُدومِكمْ    رُوحِي وحَقِّ جَمالِكم لم أُنْصِفِ

ولقد كَلِفْتُ بحُبِّ أصْلِكمُ لِذَا    كَلَفِي بكم خُلُقٌ بغيرِ تَكَلُّفِ

***

(١) الجد ، بالفتح : الحظ ، وبالكسر : إتقان العمل والاجتهاد فيه . والألف فيه للإطلاق ، نصبت الدال لضرورة القافية . (٢) في القاموس ( ج د د ) : « وأجدك لا تفعل ، لا يقال إلا مضافا ، وإذا كسر استحلفه بحقيقته ، وإذا فتح استحلفه بجده » .

(٣) في خلاصة الأثر : « يا مطلقا على » . وفي ا : « ماضيا هدا » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) في ا : « العلى » ، وفي ب : « العسلى » ، والمثبت في : ج ، والخلاصة ، والأبيات فيها ٣/٢٤٨ . والمترجم يشطر في هذه الأبيات أبيات ابن الفارض المعروفة .

(٥) التشوف : التطلع إلى الشيء . (٦) في ا : « وافوا لوعدى » ، وفي خلاصة الأثر : أوفوا لما واعدتمونى سرعة » ، والمثبت في : ب ، ج .

ومن مُقطَّعاته قولُه :

مَن يطلُبِ الإنْصافَ في عصرِنا فذاكَ من حُمْقٍ به مُنْكَشِفْ
كيف وعَيْنُ الشرْعِ مَقْلُوعَةٌ وشَمْسُه في أُفْقِهِ تَنْكَسِفْ

***

مثله لعبد البَرّ الفَيّومِيّ [1] :

مَن رَام في ذا العصرِ إنْصافَهُ والشَّرْعِ من حُكَّامِه لم يُصِبْ
قُضَاتُه قد قلَعُوا عَيْنَهُ فشَرُّهم من نَقْصِهم مُنْتصِبْ

***

وقوله [2] :

إذا رأيتَ وَلِيًّا مُغْرًى بحِرْصٍ وبُخْلِ
فليس ذاكَ وَلِيًّا للرَّبِّ بل عَبْدُ جَهْلِ

***

وقوله [3] :

إني لأَعْجَبُ مِمَّا صار الزَّمانُ إليْهِ
إذْ ما بكَيْتُ لدهرٍ إلَّا بكَيْتُ عليْهِ

***

هذا كالاخْتصار لقول ابن المُعْتَزّ [4] :

عَجَبًا للزَّمانِ في حالَتَيْهِ وبَلاءٍ دُفِعْتُ منه إليْهِ
رُبَّ يَوْمٍ بَكَيْتُ منه فلمَّا صِرْتُ في غيرِه بَكَيْتُ عليْهِ

***

---

(١) تأتى ترجمته برقم ٣٣٩ .

(٢) البيتان في خلاصة الأثر ٣/٢٤٨ . (٣) خلاصة الأثر ٣/٢٤٧ .

(٤) كذا جاء في الأصول . والبيت الثاني في : التمثيل والمحاضرة ١٠٦ ، نهاية الأرب ٣/٩٨ منسو لابن بسام ، وهو في التمثيل أيضاً ٢٤٧ دون نسبة ، ولم أجد البيتين في ديوان ابن المعتز .

# ٣٢١

## السيد محمد بن عبد الله الشهير بِكِبْرِيت*

مُفْرَد قائمٌ بجَمْع ، وله خَبَرٌ حِلْيةُ فَمٍ وسَمْع .

أكْثَرَ من الرِّحْلة والانْتِقال ، وتحمَّل بِنِحْلةِ أهلِ الحالِ الأعْباءَ الثِّقال .

طالبا نَشِيدةَ حَقٍّ يعقِلُها ، وصَيْقَلًا[1] يفْتَح عن[2] مِرْآتِه الصَّدِئة ويصْقُلُها .

ثم رجَع إلى وطنِه وأقام بها مُعْتَزِلا ، وقد تبَوّأ من رياسةِ العلم مَحَلًّا ومَنْزِلا .

وألَّف تآليف أحْسَن فيها ما شَا ، وأتى فيها من الغَرائِب بما مازَج سُلافةَ طَرَبٍ وانْتِشا .

فتنَبَّهَ له حِزبٌ رَمَوْه بشَرَرِ الانتقاد ، وزعَمُوا أنه قد أساء الاعتقاد .

ونَسبُوا إليه كلماتٍ هو من اعتقادِ ظاهرِها بَرِيٌ ، وأنا ما أحَقِّقُه إلَّا من كلِّ سُوءٍ عَرِيّ .

ومِثْلُ هذا فيه لا يَقْدَح ، فما زالت الأشْرافُ تُهْجَى وتُمْدَح .

---

(*) السيد محمد بن عبد الله بن محمد الحسيني ، المعروف بكبريت .

ولد سنة اثنتي عشرة وألف بالمدينة ، وبها نشأ ، وحفظ القرآن ، واشتغل بالعلوم النقلية والعقلية ، وقرأ على جماعة منهم : عبد الملك العصامي ، وعبدالرحمن بن عيسى المرشدي ، وعبد الله بن ولي الحضرمي ، والأستاذ محمد بن زين العابدين البكري .

ورحل إلى الروم سنة تسع وثلاثين وألف ، ودخل دمشق ، ثم رحل إلى القاهرة ، ثم رجع إلى المدينة

وله مؤلفات كثيرة ؛ منها : « رحلة الشتاء والصيف » ، « نصر من الله وفتح قريب » .

توفي سنة سبعين وألف ، ودفن ببقيع الغرقد .

إيضاح المكنون ١/١٨٢ ، خلاصة الأثر ٤/٢٨ – ٣١ ، سلافة العصر ٢٥٦ – ٢٥٨ .

(١) في ا : « وصقيلا » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) في ب : « من » ، والمثبت في : ا ، ج .

وداعيةُ ذلك ما قاله ابنُ مَعْصوم ، من أنه لم يكن له فى سائرِ العلوم ، رُسوخَ قَدَم معلوم .

قال : وأخبرنى الوالدُ بسماعِه عنه ، أن أستاذَه خالَف فى تعليمه النِّظام ، فنقلَه من « الأجْرُومِيَّة » إلى « الكَشَّاف » ، وأبْدَله « النِّشاف » من « الارْتشاف » [1] .

انتهى .

* * *

قلتُ : وهو فى الأدب ممَّن سَلَّم له أهلُه ، وله شِعرٌ يُعْرَف منه مُنْطبِع القَوْل وسَهْلُه .

فمنه قوله [2] :

هُبُوا أنَّ ذاكَ الحسنَ عَنِّى مُحَجَّبٌ ... أليس برَيَّاهُ سَرَتْ نَسْمةُ الصَّبَا

إذا رُمْتَ أن تُبْدِى مَصُونات خِدْرِه ... فحدِّثْ بذاك الحىِّ عن ذلك الخِبَا

* * *

وقوله [3] :

أرى مُطالَعتى فى الكُتْبِ ما نَفَعتْ ... لعل وجهَك يُغْنِينِى عن الكُتُبِ

فمن رأى وَجْهَك الباهِى وطَلْعتَهُ ... فإنَّه فى غِنًى عن كلِّ مُكْتَسَبِ [4]

* * *

وقوله [5] :

وإذا جلستَ إلى الرجالِ وأشرقتْ ... فى جَوِّ باطِنِك المَعانى الشُّرَّدُ [6]

فاحْذَرْ مُناظَرةَ الجهُولِ فرُبَّما ... تَغْتاظُ أنت ويستفيد فيحسُدُ [7]

---

(١) ارتشاف الضرب لأبى حيان النحوى ، والنشاف : الماء القليل. (٢) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/٢٩

(٣) خلاصة الأثر ٤/٢٩ . (٤) فى خلاصة الأثر : « وجهك الباهى وبهجته » .

(٥) البيتان فى : خلاصة الأثر ٤/٣١ ، سلافة العصر ٢٥٨ .

(٦) فى خلاصة الأثر : « وإذا جلست مع الرجال » . (٧) فى سلافة العصر : « ويستفيد فيجحد » .

وقوله مُضَمِّناً(١) :

مالي ولِلْمَجْدِ والأيّامُ عابسةٌ ... والحظُّ والحظُّ طُولَ الدهرِ في عَتَبِ
ما أصْعَبَ الشَّيْءَ تَرْجُوه فَتَحْرِمُه ... لا سِيَّما بعد طولِ الجُهْدِ والتَّعَبِ

***

وقوله(١) :

يُنازِعني شَوْقٍ إلى الهندِ تارةً ... وأُخْرَى لأرْضِ الرُّومِ والشَّوْقُ لا يُجْدِي
وما الهندُ من قَصْدِي ولكنْ بِسُوحِها ... رأى قَصدَه فيها الفؤادُ من الوَجْدِ

***

وقوله(١) :

يا مَن يُؤَمِّل راحةً من دهرِه ... صَبْراً على ما رُمْتَ من أمرٍ عَسِرْ
فكُنِ اسْمَ فعلٍ لا يُؤثِّر عامِلٌ ... فيه وإلَّا فالضَّمِيرَ المُسْتَتِرْ

***

وقوله(٢) :

يا لائِمِي في حُبِّ مَنْ ... عَزَّتْ علَيَّ رُبُوعُهُ
خَفِّضْ عليكَ وخَلِّنِي ... أحْلَى الهوَى مَمْنُوعُهُ

***

وقوله(٣) :

كم من يَدٍ قَبَّلْتُها ... ولو اسْتطعتُ قطعْتُها

***

وهو من قَول الأوَّل(٤) :

---

(١) البيتان في سلافة العصر ٢٥٨ .
(٢) البيتان في خلاصة الأثر ٤/٢٩ .
(٣) البيت في سلافة العصر ٢٥٨ .
(٤) سلافة العصر ٢٥٨ .

وكم من يدٍ قَبَّلْتُها لِتَقِيَّةٍ ... وكان مُرادِي قَطْعَها لو أَمْكَنْ[1]

* * *

وقوله مُضَمِّناً[2] :

يا من يقول بأنَّ طَعْـ ... ـمَ لَمَى الحَبائبِ لم يَرُقْ

وغَدا يُعنِّفُ في الهوى ... دَعْ عنك تَعنِيفى وذُقْ

* * *

وقوله ، مُوَرِّياً في المولى عُشَّاقِ[3] :

قد قلتُ للمجدِ مَن تَهوى تُواصِلُه ... فكلُّنا لك ذو وَجْدٍ وأشْواقِ

فقال لى بلِسانٍ غيرِ مُعتذِرٍ ... لا أشْتَهِى أن أُوافِى غير عُشَّاقِ[4]

* * *

وقوله[5] :

ليست على الحُرِّ الكريم مَشقَّةٌ ... بأضرَّ من أن لا يرَى أمثالَهُ

ذاك الغريبُ وإن يكُنْ في أهلِهِ ... وارَحمتاهُ له لِمَا قد نالَهُ

* * *

وقوله[6]

مَن قال لا في حاجةٍ ... مَطلوبةٍ فما ظَلَمْ

وإنما الظالمُ مَن ... يقول لا بعد نَعَمْ

* * *

---

(١) في ا ، والسلافة : « لو أمكنا » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٢) البيتان في سلافة العصر ٢٥٨ . (٣) البيتان في : خلاصة الأثر ٤/٣١ ، سلافة العصر ٢٥٨ ، ٢٥٩ . وفيهما : « موريا في المولى عبد الرحمن العشاق » . (٤) في خلاصة الأثر : « بلسان غير مقتدر » .

(٥) البيتان في خلاصة الأثر ٤/٢٩ . (٦) البيتان في سلافة العصر ٢٥٨ .

وأنشد لنفسه فى « رحلته » مُضَمِّنا [1] :

فارقْتُ مكةَ والأشواقُ تَجْذِبُنِي ... لها ويَمَّمْتُ طه مَعْدِنَ الكَرَمِ

فهل دَرَى البَيْتُ أنِّى بعد فُرْقَتِهِ ... ما سِرْتُ من حَرَمٍ إلَّا إلى حَرَمِ [2]

* * *

وسبَقه إليه العِمادِىّ [3] ، فى قوله :

فارقتُ طَيْبَةَ مَشْغُوفًا بطَيِّبِها ... وجئتُ مكةَ فى وَجْدٍ وفى أَلَمِ [4]

فهل درَى البيتُ أنِّى بعدَ رُؤْيَتِه ... ما سِرْتُ من حَرَمٍ إلَّا إلى حَرَمِ

* * *

وله يفتخر [5] :

نشأْتُ بفضلِ اللهِ فى ظِلِّ دَوْحَةٍ ... سَمَتْ بنَبِىٍّ كنتُ من بعضِ عِتْرَتِهْ

فإن شئْتُ فى سَفْحِ العَوالِى وإن أشَا ... بدارِ الذى طابتْ وطالَتْ بهِجْرَتِهْ

فهاتيكَ دارٌ للحبيبِ وهذه ... بها مَنْزِهِى ياصاحِ من حول حُجْرَتِهْ

* * *

وقال فى تفضيل العَالية [6] :

أراكَ تُغالِى فى العَوالِى وفى قُبَا ... وأنت على وَهْمِ الخيالِ تُعَوِّلُ [7]

إلى كَمْ تُرَى تَهْوَى الذى أنت سائرٌ ... إلى غيرِه إذْ أنت عنه تحوَّلُ

فكُن سائرًا فى لَا مُقامَ فإنما ... تَقلُّب فى شأْنٍ لشأْنٍ وتَرْحَلُ

* * *

---

(١) البيتان فى سلافة العصر ٢٥٨ . (٢) هذا البيت المضمن فى ريحانة الألبا ١/ ٣٨٠ أيضاً .

(٣) لعله المولى عبد الرحمن بن محمد عماد الدين بن محمد العمادى الحنفى ، وتقدم ذكره .

(٤) فى ا : « مشغوفاً بطيبتها » ، وفى ج : « مشغوفاً لطيبتها » ، والمثبت فى : ب .

(٥) فى ب : « يفخر » ، والكلمة ساقطة من : ج ، والمثبت فى : ا ، والخلاصة ٤/ ٢٩ ، ٣٠ ، والشعر فيها .

(٦) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/ ٣٠ .

وسيعرف المؤلف بالعالية فيما بعد .

(٧) قبا : قرية على ميلين من المدينة ، على يسار القاصد إلى مكة . معجم البلدان ٤/ ٢٣ .

العَالِية : أرضٌ ذاتُ رياض فائقة .

قال فى « الوفا »(1) : هى من المدينة ما كان فى جهة قِبلتها من قُباء وغيرها ، على مِيل فأكثر ، وأقصاها عمارة على ثلاثة أميال وأربعة إلى ثمانية أو ستة ، على الخلاف فى ذلك . انتهى .

ووَجْهُ التَّسْمية جَلِىّ ؛ لأن السيولَ تنْحَدر من تلك النَّواحِى العالية ، إلى سَوافِل المدينة ، فعلى ذلك يُقال : نزلْنا من العَوالِى إلى المدينة ، وطلَعْنا إلى العوالى .

***

وله فى مَدْحها قِطَعٌ كثيرة غير هذه ، فمنها قولُه(2) :

فَضْـلُ العَوالِى بَيِّنٌ ولأهْلِها ... فضْـلٌ قديمٌ نُورُه يَتهلَّلُ
مَن لم يقُل إنَّ الفضيلةَ طَنَّبَتْ ... أرْضَ العَوالِى وهْو حَقٌّ يُقْبَلُ(3)
إنِّى قَضَيْتُ بفضْلِهـا وأقولُ فى ... وَادِى قُبـَا الفضلُ الذى لا يُجْهَلُ

***

وقوله(4) :

إذا كنتُ فى أرضِ العَوالِى تشوَّقَتْ ... لأرضِ قُبَا نَفْسِى وفيهـا المُؤَمَّلُ
ولو كنتُ فيها قالت النفسُ ليت لِى ... بأرض العَوالى ياخليلَىَّ مَـنْزِلُ
فياليتَ أنِّى كنتُ شَخْصيْن فيهما ... وماليْتَ فى التَّحْقِيق إلَّا تعَلُّلُ

***

وله من أبيات ، قالها بالرُّوم ، يتشوَّقُ(5) إلى مَعاهِدِه(6) :

ما أطْيَبَ الأيامَ فيها تَنْقضِى ... والعَيْنُ قد قرَّتْ بوصلِ حَبيبهـا

---

(1) الوفا ٤/١٢٦٠ ، ١٢٦١ بتصرف . (2) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/٣٠ .

(3) فى خلاصة الأثر : « إن الفضيلة طابت » ، وفى ا : « وهى حق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .

(4) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/٣٠ . (5) فى ا : « يتشوف » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .

(6) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/٣٠ .

ما العيشُ إلّا في حِماها ليت لي مأوًى ولو في سَفْحِها ورَحيبِها

***

وله في الشّام :

وما الشّامُ إلّا في البلادِ كشامةٍ وأقمارُ وادِيه الشّميمِ تمامُ

فحيّي مُحيّاها الإلهُ وزانَه ولا زالَ برْقُ الحسْنِ فيه يُشامُ

***

ومن روائعه قولُه(١) :

الحمـــدُ للهِ على ما أرى من ضَيْعتي ما بين هـذا الورَى

صـيّرني الدهرُ إلى حالةٍ يرْثِي لهــا الشّامتُ ممّا يرَى

بُدِّلتُ من بعد الرّخا شِـدّةً وبعـد خُبْزِ البيتِ خُبْزَ الشِّرا

وبعد سُـكنَى منزلٍ مُبْهجٍ سكنْتُ بيتًا من بيوتِ الكِرا

ولو تحقّقتُ الذي نالَـني لارتفــع الشّكُّ وزالَ المِرا

---

(١) الأبيات في خلاصة الأثر ٤/٣٠ .

# ٣٢٢

## أحمد بن عبدالله بن أبى اللُّطْف البَرِّىّ*

البَرُّ الوَصُول ، الزاكى الفُروع والأصول .

إذا قام على أَرِيكةِ مِنْبَر ، شهِد ببلاغتة العالم من فاجِرٍ ومن بَرّ .

فلو رآه سَحْبان لاسْتحْيِى من أن يقول أمّا بعد ، أو سمع ابن نُباتة خُطبَه قال :

هذا سَعْدٌ لم ينَلْه بنو سَعْد .

مع خطٍّ يحْسُن ويرُوق ، ولفظٍ تُومِض فى حِبْرِه للمعنى الأصيل بُرُوق .

وهو عالى الإسْناد ولا نَظِيرَ له فى العَوالِى ، وأدبُه ممَّا تحلَّتْ به المُصُر القريبةوخلَت عن مثله العُصُرُ الخوالِى .

* * *

وقد أوردتُ من شعرِه مايتأرَّج فى الآفاق شذَى طِيبُه ، وتجْتلَى فى ذِرْوة الثَّناء بلاغةُ خَطِيبِه .

فمنه قولُه من قصيدة أولها :

قامتْ ترِيكَ البدر إذ تخطُرُ　　　عذراء مَن هام بهـــا يُعْذَرُ

بديعةُ الأوصافِ عُـــذْرِيَّةٌ　　　يَغار منهـــا الظَّبْىُ والجُؤذُرُ

أخالُ ذاكَ الخال فى خَـدِّها　　　فَتِيتَ مِسْكٍ شابَه عَـــنْبَرُ

---

(*) أحمد بن عبد الله بن أبى اللطف البرى الحنفى المدنى الخطيب .

ولد سنة عشرة بعد الألف بطيبة ، وبها نشأ ، وقرأ القرآن بالروايات .

ورحل إلى مكة ، وأخذ عن علمائها ، وأجازوه .

وله أشعار حسان ، ونثر جيد .

وتوفى سنة اثنتين وتسعين وألف ، ودفن فى بقيع الغرقد .

حديقة الأفراح ٥٤ ، ٥٥ ، خلاصة الأثر ١/ ٢٣٠ ـ ٢٣٢ ، سلافة العصر ٢٥٨ ـ ٢٦٨ .

إذا تبدَّتْ وَدَّ بدرُ الدُّجَى　　لو كان بالسُّحْبِ إذاً يُستَرُ

عادت بها أعْيادُ عَصْرِ الصِّبا　　عَصْراً به تَفْتخِرُ الأعْصُرُ

أيَّامَ كان الأُنْسُ فى قَبْضتِى　　يُصْغِى لما أنْهَى وما آمُرُ

وكنتُ فى اللَّذَّاتِ مُسْتَرْسِلاً　　والعَيْشُ غَضٌّ غُصْنُه أخْضَرُ

أجُرُّ ذَيْلَ اللَّهْوِ لا أرْعَوِى　　ظَنًّا بأن الغُصْنَ لا يُهْصَرُ

فلم أُفِقْ مذ كنتُ فى عشْقِتى　　إنِّى على العُرْف بها المُنْكَرُ

حتى أناخَ الشَّيْبُ فى لِمَّتِى　　والشيبُ ضيفٌ صار يُسْتَنْكَرُ

فقلتُ للنفسِ ألا فارْعَوِى　　فقد أناخَ الصَّارِخُ المُنْذِرُ

* * *

وكان القاضى تاجُ الدِّين المالِكِىّ [1] ، تَوجَّه إلى المدينة ، فى سنة أربع وخمسين وألف ، فمدَح أهلَها بهذه الأبيات [2] :

ياساكِنِى طَيْبَةَ فَخْراً فقدْ　　طابتْ فروعٌ منكمُ والأصولْ

وآيَةُ الأنْصارِ فيكم سَرَتْ　　كأنما المقصودُ منها الشُّمُولْ

تُصْفُونَ مَحْضَ الوُدِّ مَن جاءكم　　فما عسى مادحُكم أن يقولْ

ولْيَهْنِكُمْ ماقد خُصِصْتُمْ به　　فيالَها خصيصةً لا تزُولْ [3]

جاوَرْتُمُ المختارَ خيرَ الوَرَى　　وفُزْتُمُ فى مُوحِه بالحلولْ

* * *

فأجابه البَرِّىّ بقوله [4] :

أعْظِمْ بأهل الرُّكْن مِن سادةٍ　　فى مَوْقِعِ العَلْياءِ جَرُّوا الذُّيولْ [5]

---

(١) تقدمت ترجمته برقم ٢٧٨ .　(٢) خلاصة الأثر ١/ ٢٣٠ ، ٢٣١ ، وفيه أن ذلك كان سنة خمس وأربعين وألف ، سلافة العصر ٢٦٦ ، ٢٦٧ .　(٣) فى السلافة : « فليهنكم » ، وهكذا فى الأصول ، والخلاصة ، والسلافة « خصيصة » .　(٤) جواب البرى فى : خلاصة الأثر ١/ ٢٣١ ، سلافة العصر ٢٦٧ .

(٥) فى خلاصة الأثر ، وسلافة العصر : « فى مفرق العلياء » .

جيرانِ بيتِ اللهِ مَن قَدْرُهمْ  تَحارُ فى دَرْكِ مَداه العُقـــولْ

بمــكَّةَ حَلُّوا فحلُّوا بهـــا  جِيدَ المَعالِى حِلْيَـــةً لا تزُولْ

مَن مِثْلُهم والفضلُ حقًّـا لهم  ومنهمُ التــاجُ إمامُ النُّقول(١)

رئيسُ هذا العصرِ مِن جِـلَّةٍ  سَمادِعٍ غُرٍّ كِرامٍ فحُولْ(٢)

أخْلاقُه كالرَّوْضِ مِن لُطْفِها  ولُطْفُها تَخجلُ منه الشَّمُولْ(٣)

أكْرِمْ به إذْ قال مِن أجْلِنا  طابَتْ فروعٌ منكمُ والأُصولْ

وآيةُ الأنْصارِ فيـكم مَرَتْ  لـكنَّنى بالإذْنِ منـــكم أقولْ

يا نُخْبَةَ الأنْصارِ منـكُم لنـا  حتى شهِدْتُم وَصْفَـكُم لا يحُولْ(٤)

وأنتمُ جِـيرانُ ذاكَ الحِمَى  والآن أنتُمْ فى جِوارِ الرَّسولْ

جمعتُمُ فضــلاً إلى فَضْلِـكمْ  فَسُدْتُمُ الناسَ وحَقَّ المَقولْ

فاللهُ ربُّ العرشِ سبحــانَه  يُولِيكُمُ الحُسْنَى وحُسْنَ القَبولْ

حتى تُوافُوا القَصْدَ فى نِعْمةٍ  تَتْرَى وعمرٍ فى سُرورٍ يَطُولْ

ودولةُ الأفضــالِ تَسْمُو بكم  وتزْدِهِى طَوْراً وطَوْراً تصُولْ

ماغَرَّدتْ وَرقاءُ فى روضــةٍ  غَنًّا وغنَّتْ حينَ طاب الدُّخول(٥)

***

ومن لطيف ماوقع(٦) له مع القاضى تاج الدِّين المذكور، أنه رأى فى المنام فى العام المذكور(٧)، الذى زار فيه تاجُ الدين، كأنه فى مجلسِ دَرْسِه بالرَّوضة الشريفة، وإذا بالتَّاجِ داخِل من باب السَّلام، وهو قاصدٌ الحضرةَ النَّبويَّة، فلمـا

---

(١) فى خلاصة الأثر: «والفضل حق لهم». (٢) فى السلافة: «من جلة». والسميدع: السيد الكريم الشريف السخى.

(٣) لم يرد هذا البيت فى خلاصة الأثر. (٤) فى السلافة: «منكم بنا».

(٥) فى خلاصة الأثر: «فى دوحة»، وفى السلافة: «حين طاب الوصول».

(٦) القصة فى: خلاصة الأثر ١/٢٣١، ٢٣٢. (٧) تقدم أنه كان عام أربع وخمسين وألف.

قضَى الوَطَر من التحية والزِّيارة ، جاء إلى المجلس وقعد ، فأنشد البَرِّىُّ بيْتَيْن بدِيهاً ، وهما :

أمَوْلاىَ تاجَ الدِّين لا زِلْتَ ذا عُـلًا على الْهامِ والأوْهامُ ليست لِذِى فِطَنْ[1]

إذا كنتُمُ فى مجلسٍ كان أهــلُه بأجْمَعِهم خُرْسـاً وأنت لك اللَّسَنْ

ثم انْتبه وقد حفِظهما ، ثم لم تكن إلا نحو[2] عشرة أيام من هذه الرؤيا ، حتى وصل التَّاجُ ، وكان دخولُه المسجدَ الشريف من باب السَّلام ، والبَرِّىُّ فى مجلسِ دَرْسِه ، على الصِّفَة التى كانت فى الرُّؤيا .

ثم لم يلبثْ أن جاء إلى المجلس ، فتلقَّاه ، وجلَس فى الموضِع الذى جلس فيه ، وأشار باستمْرارِ القراءة ، فأنْشده البَرِّىُّ البيتَيْن ، ثم أخبره بالرُّؤيا ، فقَضَى العجبَ ، واستبْشَر ، ثم بعدَ قِيامه من المجلس أنْشده مُعتذِرا ومُتشكِّرا :

لئن كان قَدْرِى مِثلَما قلتَ عنـدما تَواضَعْتَ إذ أطْبقْتَ كُتْبَكَ فى الوَسَنْ[3]

فقـد صحَّ بالأحْرَى اتِّصافُك بالذى وَصَفْتَ به المُمـلوكَ من ظَنِّك الحَسَنْ

لأنى وإنْ أحْرَزْتُ ذلك إننى لَدَيْكَ أخو صَمْتٍ وأنت لكَ اللَّسَنْ[4]

---

(١) فى خلاصة الأثر : « ليست بذى فطن » . (٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، الخلاصة ، والسلافة . (٣) فى الخلاصة ، والسلافة : « إذا طبقت كتبك » .

(٤) فى الخلاصة والسلافة : « ذاك فإنى » .

## ٣٢٣

# إبراهيم بن عبد الرحمن الخِيَارِيّ*

هو للفَضْل خَلِيل ، ومَقامُه كمَقامِ أبيه جَلِيل .

فهما من خِيار الخِيار ، وبهما باهَتْ مدينةُ النبيِّ المختار .

وكان أبوه[1] سقى اللهُ عَهْدَه ، ووَطَّأَ في الفِرْدَوْس مَهْدَه ، عَلَمَ عِلْمٍ وفضل ، ومَوْطِنَ رأيٍ أسَدَّ وقولٍ فَصْل .

فلم يختَرْ دارَ القَرار ، حتى وَافَاه تَوْفِيَةَ الصُّلَحاء الأبْرار .

فطلَع في جبهةِ[2] الدهر غُرَّة ، يملأ عينَ بني الفضل قُرَّة .

وقَعَد مَقْعَدَه بين كتاب الله يُتْلَى ، وحديثِ رسولِه يُرْوَى .

---

(*) إبراهيم بن عبد الرحمن بن علي الخياري المدني الشافعي .
ولد سنة سبع وثلاثين وألف .
واشتغل على والده ، وأخذ عنه ، وعن محمد بن علاء الدين البابلي ، وغيره .
رحل إلى دمشق ، والروم ، ومصر ، والقدس ، والخليل ، وغزة ، ثم عاد إلى المدينة المنورة .
وقد اشتغل بالتدريس بعد وفاة أبيه ، وله مؤلفات ؛ منها : « تحفة الأدباء وسلوة الغرباء » ، و « خلاصة الأبحاث والنقول في الكلام على قوله تعالى : « لقد جاءكم رسول » .
وكان مشهوراً بالبراعة في الحديث ، والمعارف ، وفنون الأدب ، والتاريخ .
توفي سنة ثلاث وثمانين وألف بالمدينة فجأة ، ودفن بالبقيع .
خلاصة الأثر ١/٢٥ ـ ٢٨ .

(١) هو عبد الرحمن بن علي بن موسى الخياري الشافعي .
نزيل المدينة المنورة ، وخطيبها ، ومحدثها ، الإمام الجليل .
أخذ عن علماء مصر ، مثل النور الزيادي ، وأبي بكر الشنواني ، وأحمد الغنيمي ، ومحمد الخفاجي وأجازوه ، وشهدوا له بالفضل ، وتصدر للاقراء بالجامع الأزهر .
ثم هاجر إلى المدينة المنورة ، وسكنها سنة تسع وعشرين وألف ، وانتفع به أهلها .
توفي سنة ست وخمسين وألف ، ودفن ببقيع الغرقد .
خلاصة الأثر ٢/٣٦٧ ، ريحانة الألبا ١/٤٤٥ .

(٢) كان دخوله دمشق أول مرة ، سنة ثمانين وألف . انظر خلاصة الأثر ١/٢٥ ، ٢٦ .

تُؤْثِرُه الرُّتَبُ على غيره ، وتتباهَى المَعالى بِحُسْنِ سِيَرِه .

ونُظَراؤه بنَباهتِه تعترِف ، وكأنه بحرٌ منه الألبابُ تغترِف .

ثم عمد لأمرٍ دَعاه إلى الرِّحلة ، فشَدَّ إلى جهةِ الرُّوم رَحْلَه .

ولا مَطْمَحَ إلَّا مِنَّةٌ من الله تَصُوب ، وعنايةٌ يسْتردُّ بها حَقٌّ مَغْصوب .

فورَد دِمَشْق ، وأقام بها قليلا ، ثم دخل الرُّوم فنال بها حَظًّا جليلا .

وأدرك أمَانِيه على العَجَل ، وبَرِئَ الدهرُ عنده ممَّا كان فيه من الوَجَل .

ثم قدِم دِمَشْق[1] فهوَتْ إليـه القلوبُ مُقْبِسةً من سَنـاه ، وتنافسَت الألسنة فى إحْرازِ مَدْحِه وثَناه .

وكنتُ ممَّن أسْرع إليه ، وأوْقفتُ أمَلِى فى الاسْتفادة عليه .

فلزِمتُه لُزومَ الظِّلِّ للشَّبَح ، وأخذتُ عنه طَرَفًا من الطُّرَف والسُّبَح .

سمِعتُ القولَ الذاهبَ مَذْهبَ الطَّيْفِ الوارِد ، وذُقْتُ الأرْىَ[2] الذَّائبَ خلالَ الجامد ، من بَرَد المُفْترِّ البارِد .

ثم رحَل على مصر إلى ديارِه ، وألقى بها بعد هُنَيْهَةٍ عصَا تَسْيارِه .

فى حَظٍّ قد اكْتَمَل ، واطِّلاعٍ على أخايِرِ الذَّخائر اشْتَمَل .

لـكنه لم يسْتدرِكْ ما فَاتَه ، حتى قدَّر اللهُ تعالى وَفاتَه .

فلا برِحت سحبُ الرحمةِ تُحَيِّي قبرَه وتجُودُه ، حتى تترَوَّى من ثَراه تهائمُه ونُجُودُه .

***

وقد أثْبَتُّ من شِعره بدائعَ تُقْتَفَى ، وروائعَ بها على حُسْنِ الأُسلوب يُحْتَفَى .

فمن ذلك قولُه من قصيدة ، أوَّلُها :

زارتْ على غَفْلةٍ من غيرِ مِيعادِ ... جَيْداء تسحبُ تِيهًا خيرَ أبْرادِ

كالشمسِ إن وضَحتْ والبدرِ إن لَمَحتْ ... والوَرْدِ إن سَمحتْ فى خَدِّها نَادِى

(١) يعنى قدمته الثانية بعد رجوعه من الروم .

(٢) الأرى : العسل .

حَوْراء ما حلَّتْ لى نَظْرةً حَرُمَتْ   لـكنْ أذابتْ بَحرِّ الهجرِ أكبادِي
يا وَيْحَ قلبي بها كم ذاق مِن حُرَقٍ   حتى لقد شَيَّبَتْ بالبُعْدِ أفوادِي
أبْـكِي وأكتُمُ دمعى كاتماً لِأَسَى   نِيرانُه فى الحَشَا آلَتْ لِإيقادِ
يا صاحِبَىَّ إذا ما رُمْتُما سَكَنِي   عُوجَا قليلًا كذا عن أيْمَنِ الوَادِي
أو رُمْتُما شَرْحَ حالِي فى الهوَى فلقد   غُذِيتُ دَرَّ الهوى من قبل مِيلادِي
وصَادِحُ البَيْنِ إن يَخْفَى فلا عَجَبٌ   صَوادِحُ البَيْنِ وَهْناً شَجْوُها بَادِي [1]
ياضَرَّةَ الشمسِ يا مَن لا شَبيه لها   حُبِّيكِ أعْذَبُ من عَذْبٍ إلى صَادِي
فإن يكنْ عَزَّ وَصْلٌ أو بَخِلْتِ به   فَعَلِّلِينا ولو طَيْفاً بِميعادِ

* * *

وقوله ، مُشَطِّرًا ومُعَجِّزاً قصيدة البهاء زُهَير ، المنسوبة لابن الفارض [2] :

غيرِى على السُّلوانِ قادِرْ   إن رام هِجْرانَ الجآذِرْ
وأنا الوَفِيُّ بعَهْـــدِهِ   وسِوايَ فى العُشّاقِ غادِرْ
لى فى الغَرامِ سَرِيرةٌ   أكْنَنْتُها وَسْطَ الضَّمائِرْ
ومحبَّـــةٌ أسْررتُهـــا   واللهُ أعلم بالسرائِرْ
ومُشَبَّهٍ بالغُصْنِ قَلَّ   تَصَبُّرِى إذْ قِيلَ نَافِرْ [3]
قَدِّى وقلبُك فى الهوى   بِى لا يزالُ عليه طائِرْ
حُلْوُ الحديثِ وإنهـــا   لَمَحاسِنٌ تَسْبِي النَّواظِرْ [4]

---

(١) الوهن : منتصف الليل أو بعده بقليل . (٢) القصيدة التى شطرها المترجم فى ديوان البهاء زهير ٦٤ ، ولم يرد لها ذكر فى شرح البوريني والنابلسى على ديوان ابن الفارض . (٣) بيت البهاء :

ومُشَبَّهٍ بالغصنِ قَلْـ   ـبِي لا يزَالُ عليهِ طائِرْ

فانظر كيف تصرف فيه المترجم ! وهو تصرف حسن .

(٤) بيت البهاء زهير :

أبداً حديثِي ليسَ بالْـ   ـمَنْسوخِ إلّا فى الدَّفاتِرْ

وانظر تعليق على هذا البيت فى ريحانة الألبا ١/٣٣ .

حالٍ يَمُرُّ وإنهـــا لحلاوةٌ شَفَّتْ مرائرْ
أشكو وأشكُر فِعلَهُ بُعدًا ولمّا يدْنُ زائرْ
حالان لى أرضاهما فاعْجَبْ لشاكٍ منه شاكرْ
لا تُنكِروا خفقانَ قلْـ بى إن بدا بدرُ الدَّياجرْ
كلّا ولا تشتيتَ لُبِّـ ى والحبيبُ لدىَّ حاضرْ
ما القلبُ إلّا دارُهُ فلذاك بالأشواقِ عامرْ
ورُبوعُه فلأجلِ ذا ضُرِبتْ له فيها البشائرْ
يا تاركى فى حُبِّه كهلالِ شكٍّ فى المناظرْ
ومُصيِّرى بين الورى مَثَلًا من الأمثالِ سائرْ
أبدًا حديثى ليس بالْـ مَترُوكِ عند ذوى البصائرْ
كلّا وشرْعى ليس بالْـ منسوخِ إلّا فى الدفاترْ
يا ليــلُ مالكَ آخرٌ فتظلُّ ترقُبُه النَّواظرْ
لا فيك وَصْلُ مُعذِّبى يُرْجى ولا للشوقِ آخرْ
يا ليــلُ طُلْ يا شوقُ دُمْ إنّى إلى المحبوبِ سائرْ
يا ليــلُ أقصِرْ أو فطُلْ إنّى على الحالَيْن صابرْ
لى فيك أجرُ مُجاهدٍ أضحى لجيشِ الحبِّ ناصرْ
وثوابُ غازٍ فاتكٍ إنْ صحَّ أنَّ الليـلَ كافرْ
طَرْفى وطَرْفُ النَّجمِ فى باهى جمالِك ظلَّ حائرْ (١)
والقلبُ والعَيْنانِ فيـ ـك كلاهما ساهٍ وساهرْ
يَهْنيك بَدْرُك حاضرٌ مالَتْ لبهجته الخواطرْ

---

(١) بيت البهاء زهير:

طَرْفى وَطَرْفُ النجمِ فيـ ـك كلاهما ساهٍ وساهرْ

قد لاح بَدْرُك مُشْرِقًا ... ياليتَ بَدْرِى كان حاضِرْ

حتى يَبِين لنــاظرى ... مَن منهمــا باهٍ وباهِرْ

ويشيمَ بين مَعاشِرى ... مَن منهمــا زاهٍ وزاهِرْ

بَدْرِى أرقُّ محاسِنـاً ... إذْ حُسْنُه للعقـلِ ساحِرْ

كالليلِ أرْسـلَ شَعْرَه ... والفَرْقُ مثل الصبحِ ظاهِرْ(١)

ملكَ الجمـالَ بأسْرِه ... كُلُّ المِـلاحِ له عَساكِرْ

سلطانُ حُسْنٍ قد سَما ... بحُسام ألحــاظٍ فَواتِرْ

لا السُّمْرُ تَذْكَر عِنْدَها ... كـلاَّ ولا البِيضُ البَواتِرْ

قد نُفِّذَتْ بين الورَى ... منـــه النَّواهِى والأوامِرْ

ما مَخْلَصٌ من فَتْكِهِ ... بظُبَـا اللَّواحِظِ والنَّواظِرْ

إلَّا امْتداحَ مُحَمَّــدٍ ... خـيرِ الأوائلِ والأواخِرِ

* * *

وله مُشطِّراً ومُعجِّزاً نُونيَّة ابن سَناء المُلْك(٢) :

من ذا الذى مِن مُقْلتيه يَقِينى ... فهى التى بِسهامِهـا تُضْمِينى

يامَن يظنُّ الشِّرْكَ فى حُبِّى له ... هذا الذى أخْلَصْتُ فيــه يقينِى

رِيمٌ له فِعلُ الرُّماةِ وإنما ... يُصْمِى فؤادَ المدنَفِ المحزُونِ(٣)

فى القلب مَوْقِـعُ سَهْمِه لـكنه ... يَرمِى بقَوْسَىْ حاجبٍ وعُيونِ(٤)

يَبْرِى نِبالًا من فُتور لِحاظِهِ ... ويرِيشُها بالهُدْبِ للتَّمْـكِينِ(٥)

---

(١) إلى هنا ينتهى ما جاء فى ديوان البهاء زهير .

(٢) نونية ابن سناء الملك فى ديوانه ٢/٨٥٧ ـ ٨٥٩ ، وبعض الأبيـات المشطرة ليست فى ديو ابن سناء الملك ، وسأشير إليها ، وترتيب أبيات القصيدة فى الديوان مختلف فى بعض الأبيات عن ما فى النة

(٣) فى ديوان ابن سناء الملك : « له خجل الرماة » .   (٤) فى ديوان ابن سناء الملك : « حاجب وجفون

(٥) مكان صدر هذا البيت وعجز الذى يليه فى ديوان ابن سناء الملك :

ظَبْىٌ ضعيفُ اللَّحْظِ إلَّا أنَّهُ ... فى الفَتْكِ بالعُشَّاقِ لَيْثُ عَرِينِ

ويُحيلُها بَارِى النفُوسِ بحُكْمِهِ … فى القلبِ حَالَةَ رَمْيِها تَبْرِينِى [1]

يمشى فيدعوه القَضِيبُ مَرَقْتَنى … قَدِّى فملْتَ ولا كَمَيْلِ غصُونِ

وإذا بَدَا فالبدرُ قال ظَلَمْتَنِى … وإذا رَنَا قال الغَزَالُ عيُونِى

ألِفُ ابنُ مُقْلَةَ فى الكتابةِ قَدُّهُ … حاشا فَمعادِلُه سَمَا بالّلين [2]

والثَّغْرُ مِيمٌ كلُّنا صَادٍ له … والصُّدْغُ مثلُ الواوِ فى التَّحْسِينِ [3]

وعلى الجَبِينِ بِشَعْرِهِ سِينٌ بَدَتْ … سلَبَ العُقولَ بطُرَّةٍ وجَبِينِ [4]

قد أَدْرَكتْ فى الحُسْنِ غايتَه لذا … حارَ ابنُ مُقْلَةَ عند تلكَ السِّينِ

والعَيْنُ مثلُ العَيْنِ لكنْ هذه … نجْلاءُ فاقتْ عَيْنَ حُورِ العِينِ

ولئن تبدَّتْ تلكَ مَن هى هذه … كُحِلَتْ بحُسْنٍ وَقاحةٍ ومُجُونِ

سبحانَ مَن خلَقَ العيونَ بقَوْلِ كُنْ … فبدَتْ لِسَلْبِ نُفوسِنا فى الحِينِ [5]

وتبادَرت أَمْرَ الإلهِ مُطيعةً … فتكوَّنتْ فى أحْسَنِ التَّكْوينِ

سُودٌ رُقُودٌ ما كُحِلْنَ ولا بها … وَسَنٌ فيَدْعوها لفِعْلِ سُكُونِ [6]

زُرْقٌ شُهِرْنَ وما ألَمَّ بِجَفْنِها … نَوْمٌ ولكنْ قَصْدُها تَسْبِينِى

يا للرِّجالِ ويا لَها مِن فِتْنةٍ … كم أَوْقَفَتْنِى فى مَواقِفَ هُونِ

حتى شَهِدْتُ بَدِيعَ حِكْمَةِ خالقٍ … فى وَضْعِ ذاكَ النَّقْطِ فوقَ النُّونِ [7]

---

(١) فى ا : « ويحيلها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) تقدم التعريف بابن مقلة ، وشهرته فى الكتابة .

وفى ديوان ابن سناء الملك : « ألف ابن مقلة فى الكتاب كقده » .

وفى ا : « حاشا فعاد له سما » ، وفى ج : « حاشا تعادله سما » .

(٣) الصاد : الحرف المعروف ، و « صاد » هنا بمعنى عطشان . (٤) صدر البيت فى ديوان ابن سناء الملك « وشعره لثغره سين بدت » . (٥) فى ديوان ابن سناء الملك : « سبحان من خلع العيون وقال كن » .

(٦) لم يرد صدر هذا البيت وعجز الذى يليه ، وهما بيت ابن سناء الملك ، فى ديوانه .

(٧) فى ديوان ابن سناء الملك : « وسط النون » .

في ثَغْرِهِ شُهْدٌ وتحت شِفاهِهِ ... بَرَدٌ أكادُ أُذِيبُه بأنيني[1]

وعلى الثَّنايا الدُّرُّ واشْغَفِي بها ... خَمْرٌ جرَتْ من لُؤلُؤٍ مَكْنُونِ

كم قيل إن شِئْتَ الدُّجى فغدائري ... فاقتْ على حَلَكِ اللّيالي الْجُونِ[1]

وإذا طلبْتَ البدرَ فانْظُر طَلْعتي ... وإذا أرَدْتَ الصُّبحَ فهو جَبيني

وإذا أرَدْتَ الرَّوْضَ فهو بوَجْنتي ... مُتنَضِّدٌ مُتناسِبُ التَّكْوينِ[1]

يَزْهُو بأبْيَضِه وأحْمَرِه لِذا ... كم فيه من وَرْدٍ ومن نَسْرِينِ[2]

أنا لا أُرِيدُ تَنَزُّها في روضةٍ ... حازتْ جميعَ الحُسْنِ بالتَّعْيينِ

بل إن بَدَا حِبِّي لِخالِي أنني ... نَظَرِي إلى وَجَناتِهِ يَكْفِيني

لاقَيْتُه يوماً فقال أما تَرَى ... ظَبْيَ الفَلاَ قد زاد في التَّفْنِينِ

والشَّمْسَ ظَلَّتْ أن تُحاكِي فاسْتَمِعْ ... ما قد جرى منهم لقد ظَلَمُوني

طمِعَ الغزالُ بأن يُعارِضَ مُقْلَتِي ... حاشا وكلّا أن يكون قَرِيني

والغُصْنُ ظَنَّ بأن قَدِّي مِثْلُه ... والبدرُ أيضا رامَ أن يَحْكِيني[3]

فأجَبْتُ إن فَعَلا فقد فَضِحا ولا ... يَصِلان منك لِظاهِرٍ وكَمِينِ[4]

كلّا فغَفْراً للذي فعَــلا فلا ... يُؤْذِيك فِعْلُهما ولا يُؤْذِيني

فافْتَرَّ مُبْتَسِما وأوْعَد باللِّقا ... وَهْناً فقَرَّتْ باللقاء عُيُوني

وثَنَى لنا عِطْفًا وجاد بوَصْلِهِ ... يوماً ولا ثِقةٌ بوَعْدِ ضَنِينِ[5]

اللهُ أكبرُ مِن قَساوةِ قلْبِه ... أنَّى يَميلُ لِمُذْنِبٍ مِسْكِينِ

---

(١) لم يرد صدر هذا البيت وعجز الذي يليه ، وهما بيت ابن سناء الملك ، في ديوانه

(٢) في ب ، ج : « يزهو بأحمره وأبيضه لذا » ، والمثبت في : ا .

(٣) في ديوان ابن سناء الملك : « والبدر أيضاً طامعاً يحكيني » .

(٤) من هنا إلى نهاية القصيدة ، لم أجد الأبيات التي شطرها المترجم ، في ديوان ابن سناء الملك .

(٥) في ج : « ولا ثقة بفعل ضنين » ، والمثبت في : ا ، ب .

يقسو فلا عطفٌ يميلُ غصونَهُ ... مع ما يُرى في عِطفِه مِن لِينِ (١)
علّمتُه بابَ المُضافِ تفاؤلاً ... بوصاله وطمِعتُ أن يُدنيني
فغدا يُعامِلني بضِدٍّ مُذْ بدا ... ورَقيبُه يُغريه بالتَّنوينِ

***

وله في الغزل :

تعطّفْ بِمُضْنَى عليلِ المَقالْ ... ودَعْ عنك هذا الجَفَا والمِطالْ
أما قد علِمْتَ بأني امْرُؤٌ ... أُحِبُّ الجميلَ وأهوَى الجمالْ
وأغشَى المَغاني إذا ما حوَتْ ... لَطِيفَ البَنانِ حَلِيفَ الدَّلالْ
بسهْمِ اللِّحاظِ إذا ما رَنَا ... أصاب فؤادِيَ دُونَ النِّصالْ
وورْدِيِّ خدٍّ إذا لاح لا ... همَى الطَّرْفُ منّي بمثْلِ اللآلْ
ووجهٍ يُبيدُ سَناهُ البدورَ ... إذا ما تبدّى بجُنْحِ اللّيالْ
فصُبْحُ الجبينِ وليلُ الشُّعورِ ... بهذا الهُدى وبهذا الضَّلالْ
وجسمٍ حكَى الماءَ في رِقّةٍ ... عليه من الثغرِ مثلُ الظِّلالْ
فخُذْ ما صفا لك مِن وُدِّهِ ... ولا تخشَ عاراً ولا أن يُقالْ
فما كُلُّ وقتٍ يُبيحُ الزّمانُ ... لِقدِّ عاطِلٍ هُوَ بالحُسْنِ حالْ (٢)
ولا الدهرُ في كلِّ ساعاتِه ... يُغيثُ الفقيرَ ببذْلِ النَّوالْ
وإن لاح فاجْتَلِ أنوارَهُ ... فما كلُّ يومٍ يلُوح الهِلالْ
ولا تُمْهِلَنْ لذّةً أمكنَتْ ... وباكِرْ صَبُوحَك قبلَ الزّوالْ

***

١) في الأصول : « يميل غصنه » ، ولعل الصواب ما أثبته ، وفي ا : « مع ما يرى من عطفه » ، بت في : ب ، ج . (٢) هكذا جاء عجز هذا البيت بالأصول ، وهو مضطرب الوزن .

ولهذا الشيخ ولدٌ اسمه :

## ٣٢٤

## أحمـــد

نَبيلٌ نَبيه ، قائمٌ فى وَقْتِنا مَقام جَدِّه وأبيه .

وكنتُ قبل دخولى الحِجاز سمعتُ بفضلِه ، وبُلوغِه فى المَعالى مرتبةَ أصْلِه .

فسجدتُ لله شكراً ، وما زلتُ أُجَدِّد له ذِكْراً .

وأنا أشْوَقُ إليــه من المُحِبِّ إلى حبيبه ، وأحَنُّ إليه من حَنين المَريض إلى طَبيبه .

حتى لَمَحْتُه بالمدينة لَمْحَةً كشُرْب الطائرِ الوَجِل ، أو قَبْسةِ القابِسِ العَجِل .

لم تَزُلْ بها عِلَّة ، ولا تروَّتْ بها غُلَّة .

وقد بلغنى أنه الآن هو المُشارُ إليه ثَمَّةَ بالبَنان ، الحائزُ قَصَبَ السَّبْقِ فى مَيْدان البَيان .

أشْرقتْ فى سماء المجدِ مَطالِعُه ، ولم تتهيَّأْ إلَّا لتحْصِيل الكمالِ مَطامِعُه .

فالله يُعيذُه من عَيْنِ كمالِه ، ويجعل أمامَه مَطاياه إلى آمالِه .

ولم يبلُغْنى له شِعْرٌ أُنَمِّقُ به الكتاب وأُوَشِّيه ، وإذا بلغنى لم آلُ من أنِّى أُذَهِّبُ به وأُحَشِّيه .

٭٭٭

## ٣٢٥

# إبراهيم بن محمد بن أبى الحرم*

فاضلٌ بلَغ من المَعالِى مُرْتقاها ، وله مَعارفُ تستقبِلُها النفوسُ بالقَبُولِ وتتلقاها .

فمَناطِقُ الشكرِ له فصيحةُ اللِّسان ، ومَواهِبُ اللهِ تعالى به مَعْهودةُ الإحْسان .

لم يزلْ فى عيشٍ مُوَشَّاةٍ حَواشِيه بسَوابِغ الكَرَم ، وهو فى ظِلالِ حُرْمةِ نَبِيِّه آمِنٌ من حرامِ الحُرَم .

إلى أن انتقل إلى الدار الآخرة ، فلا زالت تُحَيِّى قبرَه سحابةُ الرحمةِ الزَّاخرة .

* * *

وقد أوردتُ لمن دُرَرِه ما أُلِّفَ نَظْمُه بالشُّذُرِ فى عُنُقِ فتاةِ رُود ، فإذ نظرتَ رأيتَ أىَّ سَوالِفٍ وخُدود ، عَنَّتْ بين اللِّوَى فَزَرُود[1] .

فمن ذلك قولُه فيمن لبس بَياضاً[2] :

لَمَّا بَدَا مُبْيَضّــــا ... والقلبُ مُشْتاقاً إليْهِ[3]

ناديتُ هــــذا قاتِلِى ... والرَّايةُ البَيْضَا عليْهِ

* * *

---

(*) إبراهيم بن محمد بن محمد بن أبى الحرم بن أحمد الصبيبى المدنى .

ولد بالمدينة المنورة ، وأخذ عن والده ، وعن شيوخ عصره .

وكان واحد المدينة فى زمانه علما وبراعة ، وكان يعرف فنونا تفرد بها .

توفى سنة ست وخمسين وألف بالمدينة ، ودفن بالبقيع .

خلاصة الأثر ١/٤٢ ـ ٤٤ ، سلافة العصر ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(١) تقدم التعريف بزرود كثيرا . (٢) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٤٣ .

(٣) فى الخلاصة : « والقلب مشتاق إليه » . والنصب على أنه مفعول « بدا » أيضا .

وقوله (١) :

صادَفْتُه يجلُو فمَا حَشْوُهُ ... شُهْدٌ ودُرٌّ وعَقِيقُ المُدامْ (٢)

وقلتُ يا مولايَ هل مَشْرَبٌ ... مِن رِيقِك العَذْبِ لِحَرِّ الغَرامْ

فقال جَوْرٌ منك أنت الذى ... تُدْعَى بإبراهيمَ طولَ الدَّوامْ

والنارُ بَرْداً وسلاماً غَدَتْ ... عليك ماذا الحرُّ قلتُ السَّلامْ (٣)

* * *

وقوله (٤) :

جاء يسْعَى إلى الصلاةِ مَلِيحٌ ... يُخْجِلُ البدرَ فى لَيالِى السُّعُودِ

فتمنَّيْتُ أنَّ وَجْهِى أرْضٌ ... حين أوْمَا بوَجْهِه للسُّجودِ

* * *

قلتُ (٥) : ذكرتُ هنا ما يُحْكَى عن بعض الظُّرَفاء ، أنه مَرَّ بغلامٍ جميل ، فعثَرتْ فَرَسٌ فى طينٍ ، أصابَ وَجْهَ الغلام منه نَزْرٌ ، فقال الظريفُ : ﴿ يَالَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ (٦) ، فسمعه بعضُ المارِّين ، فقال للغلام : ما يقول هذا ؟

فقال : ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ (٦) .

* * *

وقال السيد محمد كبريت (٧) ، فى كتابه « نصر من الله وفتح قريب » ، فى مَعْرِض كلامٍ :

جرَتْ عادةُ الفَعَّال لما يُرِيد فى خَلْقِه ، أن كلَّ بلدةٍ فى الغالب تكون عوْ

---

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤٣/١ .

(٢) فى الأصول : « صدفته يجلو » ، والمثبت فى الخلاصة ، وفيها : « ودر وعتيق المدام » .

(٣) فى خلاصة الأثر : « يا ذا الحر » . (٤) البيتان فى خلاصة الأثر ٤٣/١ .

(٥) هذا القول أيضا فى خلاصة الأثر ٤٣/١ . (٦) الآية الأخيرة من سورة النبأ .

(٧) خلاصة الأثر ٤٣/١ ، ٤٤ ، سلافة العصر ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

لغَرِيبِها ، حتى على ساكِنها[١] ، وعلى الخصوص المدينة المُنوَّرَة .

وكان المرحومُ العلّامة الشيخُ إبراهيمُ بن أبى الحرم يقول : ليس من الرَّأْيِ تعظيمُ الوارِدِ إلى هذه الدار ، إلّا بحسَب ما يقتضيه الحال ، فإنه بتعْظِيمه يطَأُ غيْرَه ، ثم يتمرّد على مُعَظِّمه ، فيطَأُه كذلك ، وتكون إساءتُه عليه أكثرَ ، وعلى الخصوص مَن لفَظَتْه القُرَى ، وألِفَ النَّوال والقِرَى ، وقد اتَّفق لى[٢] شىءٌ من ذلك فكتبُ[٣] إلىَّ بعضُ أصحابى فى خُصوصِ هذا المعنى :

يا أهْلَ طَيْبَةَ لا زالتْ شمائلُكم ... بلُطْفِها فى الورَى مأْمونَةَ العتَبِ
لكنْ رِعايتُكم للغُرْبِ تحمِلُهمْ ... على تجاوُزِهمْ لِلحَدِّ فى الأدبِ[٤]

فكان الجوابُ عن ذلك بلسانِ الحال :

موْلاىَ إنَّ صُروفَ الدهرِ قد حَكَمتْ ... وأعْوَزَتْ أن يَذِلَّ الرأسُ للذَّنَبِ
كم مِن مُقَبِّلِ كَفٍّ لو تمكَّن مِن ... قَطْعٍ لها كان مِمّن فازَ بالأرَبِ

---

(١) فى السلافة : « سكانها » . (٢) تكملة من : الخلاصة ، والسلافة .

(٣) فى الأصول : « فكتبت » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .

(٤) فى الأصول : « للغرب تحملكم » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .

# ٣٢٦

## الأمير أبو بكر بن على الأحْسَائى*

أميرُ كلام ، وصاحب نفَثاتِ أقلام .

نما فى مَنْبِت النَّجابة ، ودعا الأمل فأجابه .

تحرُسه عَيْنٌ من الله وَاقِية ، وتحفظُه آثارٌ أبَدَ الآبادِ باقِية .

وله علمٌ وعقل ، وضَبْطٌ لشَوارِدِ الفنون ونَقْل .

إلى مَفْخرةٍ يتوشَّح بردائها ، ومَأْثُرةٍ يترشَّح لابْتدائِها .

وقد فاز من الأدب بأوْفَرِ حِصَّة ، وغَدَتْ سِمَتُه[1] به صفةً مُخْتصَّة .

***

وله شِعر تتأرَّج فى رَوْضِ المعارف زَهراتُه ، وتُجْتَنَى من أغصان السُّطورِ ثَمراتُه .

فمنه قولُه ، من قصيدة يمدح بها الشريفَ زيد بن محسن[2] :

عَزَّتْ بِعِزِّ مَقــامِكَ العَلْيَاءُ     وعليكَ فَضَّتْ عِقْدَها الجَوْزَاءُ[3]

فالبدرُ كأسٌ والشموسُ عُقارُها     فاشْرَبْ بكأسٍ شمسُه الصَّهْباءُ

---

(*) الأمير أبو بكر بن على الأحسائى ثم المدنى .

ولد بمدينة الأحساء ، فى حدود سنة ألف ، ونشأ على الاشتغال بالعلم .

ثم رحل صحبة والده إلى المدينة ، وتوطنها .

ذكر المحبى فى الخلاصة أنه أحد أسخياء العالم ، ونقل عن بعض التعاليق أنه كان ملازما للعبادة ، مواظبا لقيام الليل ، حتى إنه كان يجئ إلى المسجد النبوى فيقف ببابه نحو ساعة حتى يفتحه الخدام ، إلى أن أدركه أجله يوم عرفة بهـا ، وهو محرم ، فحمل فى محفـة إلى مكة ، ودفن بالمعلاة ، وذلك سنة ست وسبعين وألف .

خلاصة الأثر ١ / ٩٠ ـ ٩٢ .

(١) فى ا ، ب : « سيمته » ، والمثبت فى : ج .

(٢) تقدم التعريف بالشريف زيد بن محسن ، فى الجزء الثالث ، صفحة ٥٨٥ .

والقصيدة فى خلاصة الأثر ١ / ٩٠ ، ٩١ .

(٣) فى خلاصة الأثر : « زفت بعز مقامك . . . فضت راحها الجوزاء » .

وحَبابُها نُجُمُ السَّما فكأنَّها ... ذاتٌ وذاكَ بشكلِهِ الأسْماءُ[1]
وأتتْكَ بِكراً قبل فَضِّ خِتامِها ... يقتادُها رَاوُوقُها وذُكاءُ[2]
خضعتْ لعِزِّكَ فاسْتقِمْ في عَرْشِها ... ياظاهراً لا يعتريهِ خَفاءُ
وانْصُبْ لِواءَ الحمدِ مُنْتَشِرَ الثَّنَا ... قد ضُوِّعتْ بعبيرهِ الأرْجاءُ[3]
يسْعَى بظلِّ أمانِهِ بين الورَى ... ذُو البأسِ والأمْجادُ والضُّعَفاءُ
فالدهرُ سَيْفُكَ فاتَّخِذْهُ مُجرَّداً ... مُتوشِّحاً بالنصرِ وهْو رِداءُ
وعُلاكَ قد شهِدَ العَدُوُّ بفضْلِهِ ... والفضلُ ماشهدتْ به الأعْداءُ[4]
وحِماكَ أمْنُ الخائفين توُمُّه ... شُمُّ الأنوفِ القادةُ الأكْفاءُ
ولقد حَظِيتَ من الإلهِ بنَظْرةٍ ... أرْدَتْ مُريدَ الكَيْدِ وهْو هَباءُ[5]
وحُبِيتَ منه بما تقاعَسُ دُونَه ... هِمَمُ الملوكِ الصِّيدِ والعُظَماءُ
فاللهُ أظْهَرَ ذَا الجَنابَ بنَصِّه ... فالخلقُ أرضٌ والشريفُ سَماءُ[6]
لو قيل لي مَن ذا أرَدْتَ أجَبْتُهمْ ... أوَ غَيْرَ زيْدٍ تمْدَحُ الشُّعَراءُ[7]
وإذا أُدِيرَ حديثُه في مَحْفَلٍ ... فلِمَسْمَعِي مِن طِيبِ ذاكَ غِذاءُ
مَلِكٌ إذا وعدَ الجميلَ وَفَى به ... وإذا توَعَّدَ شأنُه الإغْضاءُ
فبِسَعْدِهِ أهْدَى الزمانُ إلى الورَى ... كأساً هَنِيًّا ليس فيه عَناءُ
فاللهُ يُبْقِي مُلْكَه السَّامِي الذي ... قد كَلَّلتْه بنُورِها الزَّهْراءُ

* * *

(١) في ج : « ذات وذاك بشكاله الأسماء » ، والمثبت في ا ، ب ، وخلاصة الأثر .
(٢) ذكاء : هي الشمس .
(٣) في خلاصة الأثر : « لواء العدل » . (٤) في خلاصة الأثر : « قد شهد الحسود بفضله » .
(٥) في خلاصة الأثر : « من الإله بنصرة * ردت مريد الكيد » . (٦) في خلاصة الأثر : « والجناب سماء » . (٧) في خلاصة الأثر : « هل غير زيد » .

وكتب إلى الشيخ الإمام عيسى بن محمد الجَعْفَرِىّ الثَّعَالِبِىّ[1] ، نزيل مكة ، مادحاً بقوله[2] :

يامَن سَما فوقَ السِّماكِ مَقامُهُ ... ولقد يَراكَ الكلُّ أنتَ إمامُهُ

حُزْتَ الفضائلَ والكمالَ بأسْرِهِ ... وعَلَوْتَ قَدْراً فيك تَمَّ نِظامُهُ

لو قيل مَن حازَ العلومَ جميعَها ... لأقول أنت المِسْكُ فيه خِتامُهُ[3]

كم صُنْتَ مِن بِكْرِ العلومِ خَرائداً ... عن غيرِ كُفْءٍ لم يجبْ إكْرامُهُ[4]

فاعلمْ بأنِّى غيرُ كُفْءٍ لائقٍ ... إن لم يكنْ ذا الفضلُ منك تَمامُهُ

ثم أتْبَعَه بنثرٍ ، صورتُه :

لَمَّا أضاء نورُ المحبّةِ فى قناديل القلوب ، صفَتْ مِرْآةُ الحقيقةِ فظهر المطلوب .

فاتَّضحت الرسومُ الطامِسة ، وبانت الطُّرُقُ الدّارِسة .

فاكتحلت عين القريحةِ[5] ، فسالت فى نهر المَنْطِق ، فأثْمرت بالمسطور ، وهو المقدور .

---

(١) عيسى بن محمد بن محمد الجعفرى الثعالبى الهاشمى المغربى .

نزيل المدينة المنورة ، ثم مكة المشرفة .

ولد بمدينة زواوة من أرض المغرب ، وبها نشأ ، وحفظ متونا فى العربية والفقه والمنطق والأصلين وغيرها ، ورحل إلى الجزائر ، فأخذ عن علمائها ، ثم رحل إلى تونس ، فأخذ عن مشايخها ، ثم وصل إلى مكة المشرفة وحج سنة اثنتين وستين وألف ، ثم رحل إلى مصر ، فأخذ عن جلة علمائها ، وإلى منية ابن خصيب ، فأخذ بها عن العارف بالله تعالى على المصرى ، ثم عاد إلى مكة .

وكان ورعا ، زاهدا ، مفننا ، لقب بإمام الحرمين ، وعالم المغربين والمشرقين .

وله مؤلفات ؛ منها : « مقاليد الأسانيد » فى ذكر شيوخه المالكيين .

توفى سنة ثمانين بعد الألف ، ودفن بالحجون .

خلاصة الأثر ٣/٢٤٠ ـ ٢٤٣ .

(٢) القصيدة والنثر بعدها فى خلاصة الأثر ١/٩١ .

(٣) فى الخلاصة : « فض ختامه » ، وهى رواية حسنة .

(٤) فى خلاصة الأثر : « كم صفت من بكر العلوم » .

(٥) فى ا : « الحقيقة » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

وأما المَقام فهو أعلى[1] من ذلك وأجلّ ، وليس يَدْرِى ذلك إلا من وَهَل[2]
وأما العبدُ فهو مُقِرٌّ أنه قد قصَّرتْ به الركائبُ عن بلوغِ ذلك ، وأعاقته عَقباتُ الأسباب عن سُلوك هذه المسالك .

لكنْ حيثُ إن ثيابَ السَّترِ من فضلِكم على أمثاله مَسْبُولة ، فيرجُو أن[3] يُهَيِّئَ اللهُ له[3] فى ضمن الامْتثال[4] مَطْلوبَهُ ومأمُولَه .

***

فأجابه بقوله[5] :

لِلّهِ دَرُّك يافريد محامِدٍ ... أربَى على البدرِ التّمامِ تمامُهُ[6]
قد صُغتَ من سرِّ البراعةِ مُفْرَدًا ... فاق الفرائدَ نَثْرُه ونظامُهُ
وكَسَوْتَه من جزْلِ لفظِك سابغاً ... وُشِيتْ بكلِّ لطيفةٍ أكْمامُهُ
وجلَوْتَه يختالُ تيهاً آمِناً ... مِن أن يُشابَهَ فى الوجودِ قَوامُهُ
أعْرَبْتَ فيه عن اعتقادٍ خالصٍ ... ومَكِينِ وُدٍّ أُحْكِمتْ أحْكامُهُ
وصَبَوْتَ ذا شُكْرٍ بِبَثِّ قصيدةٍ ... وبفَضِّ خاتَمِه العلَى أسوامُهُ[7]
أهْلاً به فَرْدا أتى من مُفْرَدٍ ... وحبًا به ضيفاً يجلُّ مقامُهُ
حَتْماً علىَّ ولازماً تبجيلُه ... فَوْرا وحقًّا واجباً إكْرامُهُ
لكنْ على قَدْرِى فلستُ بكُفءِ مَن ... وَطِئتْ على هامِ العلَى أقدامُهُ
وإليكَها عذْرا على مَهَلٍ أتتْ ... خَجْلَى لمحتدِك العزيزِ مَرامُهُ[8]

---

(١) فى خلاصة الأثر: «أبهى» .
(٢) وهل إلى الشىء : ذهب إليه وهمه .
(٣) فى خلاصة الأثر : « يدخل » .
(٤) فى خلاصة الأثر : « الأمثال » .
(٥) جواب الجعفرى فى خلاصة الأثر ١/٩١ ، ٩٢ .
(٦) فى خلاصة الأثر : « يا فريد محاسن » .
(٧) فى خلاصة الأثر : « العلا أسوامه » .
(٨) فى ب ، ج : «خجلا لمحتدك» ، وفى الخلاصة : « خجلا لمنزلك » ، والمثبت فى : ا .

فاصْفَحْ بفضلِك عن صَحِيفةِ نَقْصِها ... فالفضلُ مُؤتَمٌّ وأنت إمامُـهُ

واسْحَبْ رداءَ المجدِ غيرَ مُدافعٍ ... فلأَنتَ عُنْصُرُه وأنت خِتامُهُ

(١ ثم أتبعه بنثر ، صورته : هذه ١) ـ دام جَدُّك فى صُعود(٢) ، ومجدُك فى سعود(٣) ـ عَجْرفةٌ أبرزَها فاتِرُ الفِكْرِ الأعرَج ، وقاصرُ الذِّهْن البَهْرَج .

تتعثَّر فى مُرُوطِ الخَجَل والوَجَل ، وتتعارَض(٤) لما بها من الخطأ والخطَل .

أتَتْ سُوحَ حضرتك الرَّحْراحَـةِ(٥) الأرْجَا ، وأمَّلَتْ أن تفوز من كمالِ صَفْحِك عن زَيْفِها بتحقُّق الرَّجَا .

فقابِلْ إقبالَها(٦) بالقبول والإغضا ، وألحِظها غيرَ مأمورٍ بعيْنِ التَّقْريب والرِّضا .

فإنك مأْوَى الفضلِ ومُخيَّمه ، ومُفْتَتِحُهُ ومُخْتَتَمُهُ .

ولولا نافذُ أمرِك المُطاع ، وواجبُ تعظيمك المُتمكِّن فى الأفئدة والأسماع ؛ لما تراءى لِرَاءٍ عُجَرُها ولا بُجَرُها(٧) ، ولا بَانَ(٨) لسامِـعٍ خَبَرُها ولا مَخْبَرُها .

ولـكن عند الأكابر تُلْتمس وُجوهُ المعاذِر ، ولدَى أعيان الأفاضل يُرْتجى الصفحُ عن التَّقْصير .

والسلام .

٭

(١) تكملة من خلاصة الأثر. (٢) فى الخلاصة: «سعود» .

(٣) فى الخلاصة : « صعود » . (٤) فى الخلاصة : « وتتعارج » .

(٥) الرحراحة : الواسعة المنبسطة . (٦) فى ا : « إمهالها » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .

(٨) عجرها وبجرها : عيوبها وأحزانها ، وما أبدت وما أخفت . انظر القاموس ( ع ج ر ) .

(٨) فى خلاصة الأثر : «استبان» .

# ٣٢٧

## أحمد بن محمد مكّيّ

فاضلٌ توقّد ذَكاه، وتألّق شِهابُه وذُكاه.

فبزَغ واضحَ الغُرّة والجَبين، ورفَع عمودَ الصبحِ المُبين.

وكُسِيَ نصاحةَ الفصاحة، وتفتّق عن رَوْنَقِ البِشْر والصَّباحة.

فلله بَراعةٌ مَلَك، وطريقَ إجادةٍ سَلَك.

قرّتْ بها عيونُ أودّائه، ومُلِئتْ غيظًا صدورُ أعدائه.

وكان للقلوب فيه ظَنٌّ جميل، وللمعالى رجاءٌ وتأميل.

إلّا أن الأيامَ لم تُفسِح له مَدَى، فاقتطفتْ زهرةَ حياتِه فى باكُورتِها يدُ الرَّدَى.

***

وقد أثبتُّ من بواكِير طَبْعِه المطبوع، ما يدلُّ على نُبلِه دلالةَ الماء على نَظافةِ اليَنْبُوع.

فمن ذلك هذه الأبيات، كتب بها إلى الأستاذ زين العابدين الصِّدِّيقِيّ[1]:

لُؤْلُؤُ الثَّغْرِ المُنضَّدْ ... فيه جِرْيالٌ مُبرَّدْ[2]

بَسَمتْ عنه ثَنايَا ... رَشأٍ أحْوَى وأغْيَدْ

أم رياضٌ عِقْدُ دُرِّ الْـ ... ـمُزْنِ فيها قد تَبدَّدْ

أم نجومٌ مُزْهِراتٌ ... مِن سَناها النُّورُ يُوقَدْ

أم نَسِيمُ الصبحِ أبْدَى ... طَيِّبَ النَّشْرِ من الوَرْدْ

لا ولكنْ ذا قَرِيضٌ ... لإمامٍ قد تفرَّدْ

سيِّدٍ حَبْرٍ هُمامٍ ... أوْحَدٍ من نَسْلِ أوْحَدْ

(١) تأتى ترجمة زين العابدين فى الباب التالى، برقم ٣٣٢.

(٢) الجريال: الخمر أو لونها.

مَن له حَالٌ وقَالٌ بِهِما السادَاتُ تَشْهَدْ
وله فى المجـــدِ شَأْوٌ دونه النجمُ وفَرْقَدْ(١)
نَجْلُ أقطابٍ كِرامٍ لهمُ غاياتُ سُؤْدَدْ
كم كراماتٍ شَهِدْنَا مالَهـــا حَصْرٌ ولا عَدّ
يعجِزُ الواصفُ عنهـــا منهمُ جاءتْ بلا حَدّ
مَلأَتْ شرقًا وغربًا وبدَتْ فى كلِّ مَشْهَدْ
عَبِقَ الكونَ ثَناهُم كعَبيرِ المِسْكِ والنَّدّ

***

وحكى لى صاحبُنا الفاضل مصطفى بن فَتْح الله، قال:

كنتُ بالمدينة نظمتُ قصيدةً فى الغزَل، فَلامنِى عليها بعضُ الناس، وبلغ ابنَ مَكِّىّ ذلك، فأتى إلى منزلى لِيُرَوِّحنِى، فلم يجِدْنى، فكتب:

أتيتُك من شوقٍ إليك مُسَلِّمًا وقد صار قلبى فى وِدادِك ذا شُغْلِ
فمِن سُوءِ حَظِّى ما تَمَنَّيْتُ ساعةً بمرآكَ يا ربَّ الفصاحةِ والنُّبْلِ(٢)
فلا عَتْبَ لى إلَّا عليـــه فإنه على نَيْلِ ما أهْواه فى الدهرِ ذُو بُخْلِ
فيا مَن له طبعٌ أرَقُّ من الصَّبا لقد ساءنى ما قد لَقِيتَ من العَذْلِ
فلا تستمِعْ قولًا لِواشٍ وناصِحٍ ولا ترْعوِى عن حُبِّ ذِى الأعْيُنِ النُّجْلِ
فما أنتَ فى حُبِّ الجآذرِ أوَّلًا أشاعَ الهوى أسرارَه يا أخا الفَضْلِ
بذا قد قضى شرعُ الغرامِ بأهْلِه فنصْبِرُ فى حُكْمِ الغرامِ على القَتْلِ
إذا ما رنَا مَن يُشْبِهُ الظَّبىَ لَفتَةً ومَاسَ كغُصْنٍ فوقَ دِعْصٍ من الرَّمْلِ(٣)
وأظهر وَرْدًا فى شقائقِ خدِّه وسار يجُرُّ الذَّيْلَ تِيهًا على مَهْلِ(٤)

(١) الفرقد: «النجم الذى يهتدى به». (٢) فى ا: «ما تمنيت ساعة»، والمثبت فى: ب، ج.
(٣) الدعص: كثيب الرمل المجتمع. (٤) فى ا: «وصار يجر الذيل»، والمثبت فى: ب، ج.

وفاح شذا مسك على الخال عمّهُ    محاسنُ أوصافٍ تجلّ عن المِثْلِ
وأبسم عن دُرّ تنظّم فى طُلَى    ألذُّ وأحلى رشفُها من جنى النّحْلِ
فأىُّ فؤادٍ ليس يصبُو لحُسْنِه    ويشتاق من ذاك الغزال إلى الوَصْلِ
ألا أيُّها العُذّالُ إنّ بنِى الهوى    رأوا اللّوْمَ فى حُبّ الحسان من الجهلِ
ففى معرك الأحداقِ والمُهج انظُروا    ولُومُوا ولِجُّوا بعد ذلك فى العذْلِ
تبارك من حبّ الجمالَ وأهلَه    ومَن خلق الإنسانَ فى أحسن الشّكْلِ
إليك أخا الأفضالِ سارتْ شقائقٌ    مُداعِبةٌ تُزْوِيك بالجِدّ والهزْلِ
فكُن فاتحًا بابَ الرِّضَا لقبولها    وأصْلِحْ معانيها من القولِ والفعْلِ
ودُمْتَ قريرَ العيْنِ فى حفْظِ ربّنا    ونسْمعُ ما تَرْوِى ونكتُب ما تُمْلِى

***

فكتب إليه مجيبًا :

يا أحمدًا حاز المكارمَ كلَّها    ويا فاضلاً من دونه كُلُّ ذى فضْلِ
ويا ماجدًا يسمُو على كلّ ماجدٍ    ويا مَن غدا فى الفضْلِ مُمْتنِعَ المِثْلِ
ويا نجْلَ مكّىّ الهمامِ الذى له    فضائلُ إنْ أعددتُها فهى كالوبْلِ
على كلّ حالٍ لستُ أُحْصِى ثناكُما    ولكنّ بعضَ القولِ يكفى عن الكُلِّ
بنفسِى أفدّى منك لفظًا كلؤلُؤ    وشعْرًا رقيقًا صار ذِكراه لى نَقْلِى(1)
بعثتَ بخَوْدٍ يُخجل البدرَ حُسْنُها    عَقِيلةَ أترابٍ بها صِرْتُ ذا شُغْلِ(2)
سُلافيّةُ الألفاظِ شمسيّةُ السّنَا    مُداميّةُ الأُلْمَى لحالِ الشّجِى تُمْلِى
فأفرشْتُها خدّى وأوسدْتُها يدِى    وصيّرْتُها منّى بمنزلة الخِلِّ
وبِتُّ أعاطِيها ثنايَ مُعظّمًا    عليك وجادتْ عند ذلك بالوَصْلِ
وقبّلْتُها ألفًا وألفًا وضِعفَها    فحيّاك ربُّ العرشِ يا زاكِىَ الأصْلِ

(1) النقل : ما يتنقل به على الشراب .    (2) الخود : الحسنة الخلق الشابة الناعمة .

ذكرتُ بها عهدَ الصَّبابةِ والهوى … وكنتُ تناسيتُ المحبَّةَ بالفعلِ
زهتْ بك يا قُسَّ الفصاحةِ طَيْبَةٌ … فدُمْتُ قريرَ العينِ مُجتمِعَ الشَّملِ
وقد زُرْتَ عَبْدًا صادقًا في ودادِهِ … وشأنُ الموالي هكذا يا مُنَى السُّؤْلِ
ولكنْ على حَظِّي العتابُ فإنه … على جَمْعِ شَمْلِي بالأحبَّةِ ذُو بُخْلِ
وأعلَمَتْنِي أن قد شَفِقْتَ عليَّ مِن … مَقالةِ عُذَّالٍ وليسوا ذَوِي عَدْلِ
أُبثُّك حالِي يا أخا الوُدِّ والوفا … ودَهْرِيَ أشكو وهْو مِنِّيَ في حِلِّ
رَمانِي زمانِي بالصَّبابة والهوى … وذلك تقديرُ الذي جلَّ عن مِثْلِ
وقد كان ظنِّي الوصلُ مِن فاتنِي الذي … تحكَّم في بعضي هَواه وفي كُلِّي
فعامَلَنِي من غَيْرِ ذنبٍ بهَجْرِه … فيا سيِّدي هل يستحقُّ الجفا مِثْلِي
فمن أجْلِ ذا قد ضاق صَدْرِيَ منهمُ … ولم أتجرَّعْ بعدَ ذا غُصَصَ العَذْلِ
على أنني لا أرتضي الذُّلَّ في الهوى … وإن كان أوْلَى لي التحمُّلُ للذُّلِّ
ولكنْ أمرْتَ العبدَ بصبْرٍ للقضا … فصبْرًا على أحكامِ ذي الأعيُنِ النُّجْلِ
ودُمْ راقيًا أَوْجَ الفضائلِ باقيًا … وتخدُمكَ العَلْياء في الجِدِّ والهزْلِ

***

ومما وقفتُ عليه، مَعْزُوًّا إليه قولُه :

إيَّاكَ والبَغْيَ لا ترْضَى به أبدًا … واتْرُكْ هوَى النفسِ تنجُو مِن بَلا عادِ
وكُن بنفسِك مشغولًا تُهذِّبُها … فالنفسُ أعدَى عَدُوٍّ ذاتُ إفسادِ
ولا تكُنْ بمساوِي الناسِ مُشتغِلًا … وراقِبِ الناسَ في خافٍ وفي بادِي
قد قال واصفُهم حقًّا أخو فِطَنٍ … ممَّن يُجيدُ فَصيحَ النُّطْقِ بالضَّادِ
الناسُ أخلاقُهم شتَّى وإن جُبِلوا … على تَشابُهِ أرواحٍ وأجسادِ
للخيرِ والشَّرِّ أهلٌ وُكِّلُوا بهما … كلٌّ له مِن دَواعِي نفسِه هادِي

***

وقوله :

فى طَيْبَةَ كان لنا صاحبٌ تظنُّه النفسُ شَقِيقًا لَهـا
مَنَحْتُهُ صَفْوَةَ وُدِّ الإخَا وخِلْتُه يمنحُ أمْثالَهـا
فقابل الوُدَّ بهَجْرٍ بلا داعٍ له تُوجِب فَتْحَ اللَّهـا
وكم عُقُودٍ للْوفَا بيننـا أطاع شَانِيفًا وقد حلَّهـا
فقلتُ يا نفسُ دَعِيهِ فذَا مثلُ الذى نقضَتْ غزْلَهـا[1]





(١) مقتضى السياق ، والاقتباس من الآية ٩٢ من سورة النحل : « مثل التى » .

# ٣٢٨

## أحمد بن محمد على المدرِّس

لَقِيتُه بدِمشق فى خدمة قاضى القُدْس المولى خليل[1] أجلّ مَن وَلِىَ القضا، وأعظم مَن ينقضى الدهرُ وليس لمدْحِه انقِضا.

وله عنده المنزلة المُجلّاة بالإنْعام، والرُّتْبة المشمولةُ بالإكرام بين الخاصّ والعامّ

وكنتُ أعشق هذا الفاضل على السّماع، فصغّر الخبرُ الخبرَ به عند الاجْتماع

وطالما اقْتطفْتُ من أزاهِرِ[2] بُسْتانِه فاكهةً جَنِيّة، فتناولْتُ الآن من صَنْعةِ بنانِه تُحَفاً عن الإطْراء فى مَدحِها غنيّة.

وهو كما بلغنى قد بلَغ مَبْلَغ الرّجال، وهو فى سِنّ الأطْفال، وتميّز بين أقرانه بالمزية التى تَستدعى لها الاعْتناء والاحْتفال.

بجدٍّ لم يغادِرْ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحْصاها، وجُهْدٍ لم يُخْلِ دقيقة ولا جليلةً إلّا اسْتقْصاها.

وقد فرحتُ به فرحةً أنسْتْنى كلّ قرْحة، وباعدتْ بينى وبين كلّ مَساءة وترْحة.

ثم اجتمعتُ به فى القاهرة، فأشْرقَتْ علىّ بها فضائله الزّاهِرة

وتحققْتُ من وُدِّه حالاً لم يلحَقْها انتقال، ولم يَشِنْها اخْتلال، وتألَّفاهو الفعلُ لم يدخُلْه من شوائب النقص اعْتلال.

فالله يجعل تلك من الأحوالِ اللازمة، ويعصمُ هذا من الحروف الجازمة.

***

فما تناولتُ من شِعرِه قوله:

قرِّبى الراحَ من رِحانا ودُورِى ... بين غِيدٍ بها حِسانٍ بُدورِ

---

(١) لعله خليل بن عبد الرحيم السعسعانى، المتوفى سنة إحدى وثمانين وألف، وقد ترجمه المحبى. الخلاصة ١٣٣/٢، وذكر أنه أعطى رتبة قضاء القدس، وكان مهابا جليل القدر.

(٢) فى ا: «أزاهير»، والمثبت فى: ب، ج.

قَرِّبيها فهْي الدواءُ لِما قد حلَّ من دائها بجسمِ الأسيرِ
قَرِّبيها وخَلِّ عنك أُناساً حَرَّمُوها يامُهجةَ المسرورِ
قَرِّبيها كالتِّبْرِ صفراءَ لَوْناً كأسُها كالُّلجيْنِ من بِلُّورِ

منها :

خمرة تتركُ الشحيحَ جَواداً باحْتِساها كحاتِمِ المشهورِ

* * *

وقوله :

عَذِّب بما شئْتَ أيُّها القمرْ إلَّا الجفاء والصُّدودَ ياعُمَرْ
مَن قد حوَى الماءَ فى الخدودِ كذا نار بأحشاى حين تستعِرْ
رُمْتُ سَلْوى هواك يا أمَلِي من أينَ للقلبِ عنك مُصْطَبِرْ
أنت الذى كالسِّهامِ لَحْظُك قد رَمَى حشاىَ وما له وَتَرْ
بِنْتُ عن الرُّوح ياسِراجُ ضَنًى كأنني يامَليكُ مُحْتَضَرْ
نَهَى عن الحبِّ عاذِلِي سَفَهاً فقلتُ ذا العَذْلُ يافتى غَرَرْ[1]
إنَّ حبيبي كالغُصْنِ قامتُه له ثنايا كأنها دُرَرْ
بدرٌ كمثْلِ المُدامِ رِيقتُه والقلبُ قاسٍ كأنه حجَرْ[2]
يَسْبي البَرايا بنُورِ طَلْعتِه وليس للخَصْرِ يَلْتقِي أثَرْ
بَلْبَلَ قلبي دَلالُه أبداً وذاكَ شرطٌ فى العِشقِ مُعْتبَرْ
كلَّمني طَرْفُهُ ومُقلتُه لذاكَ أصْمَى الحَشا بها حَوَرْ[3]
له كعَيْنٍ عَيْنٌ وحاجبُه نُونٌ وَفاهُ مِيمٌ سَيَنْتَظِرْ
نعيمُ دُنْيايَ حُسْنُ صُورَتِهِ فوَصْفُها صاحِ ليس يَنْحَصِرْ

---

(١) الغرر : التعريض للهلاك (٢) فى ا ، ج : « كمثل المدام رقته » والمثبت فى : ب .
(٣) أصمى الصيد : رماه فقتله وهو يراه .

يَحارُ كُلٌّ في وَصْفِ خِلقتِــه وكم لَدَيْهِ محــاسِنٌ أُخَرْ

***

وقوله مُلتزِ ما وَاوَين في أول البيت وآخِره :

وَوادٍ به قد كان بالصَّحْبِ جَمْعُنــا ولكنَّهم للقلب بالبُعْدِ قد كَوَوْا

وَوَقْد نارِي هَجْرُهم وبِعـادُهم وللجسمِ منِّي ياخليـليَّ قد شـوَوْا

وَوَاحَسْرةَ العُــذَّالِ إِنِّي أعدُّهم كلابًا فهم لا أُبالِي إذا عَوَوْا

وَوَرْقاء دَوْحٍ قـد أثارتْ تَشَوُّقِي تقوم بأحْشـــايَ وقلبِيَ قد ثوَوْا

وَوَرْدِيَّةِ الخــدَّيْنِ مَعْسولةِ اللَّمى وعُشّاقُهــا للسُّقْمِ مِن صَدِّها حَوَوْا

وَوَسْناء طَرْفٍ كالغُصونِ اهْتِزازُها أسانيدُ عِلْمِ السِّحرِ عن طَرْفِها رَوَوْا

وَوَجْنتها يحْكِي دموعي احْمِرارُها ورَضْوَى مع الأرْدافِ منها قد اسْتَوَوْا[1]

وَاوات أصْــداغٍ لها كعقاربٍ وكم لَسعتْ قومًا على حُبِّهـــا انْطَوَوْا

وَوَالخصْرِ منهـــا ماتبدَّلتُ غيرها ولم أكُ من قومٍ لسُلْوانِهـــا نَوَوْا

وَوُدِّي لها من قبـــل آدم ثابتٌ ولستُ كأقْوام إلى غـــيرها هوَوْا

***

وقد اقْتفى أثر ابن زُقّاعة[2] ، في قوله :

وَوَرْدِيُّ خَدٍّ نَرْجِسيٍّ لَواحِظٍ مَشايخُ علم السِّحْرِ عن لَحْظِه رَوَوْا

وَوَاوات صُدْغَيْه حَكَيْنَ عقاربًا من المسكِ فوق الجُلَّنارِ قد الْتوَوْا

وَوَجْنتُه الحمرا تلوحُ كجمرةٍ عليها قلوبُ العاشِقين قد انكوَوْا

وَوُدِّي له باقٍ ولستُ بسامعٍ لقَوْلِ حَسُودٍ والعواذِلُ قد عوَوْا

وَوَاللهِ لا أسلو ولو صرْتُ رِمَّةً وكيف وأحْشايَ على حبِّه انطَوَوْا

---

(١) رضوى : جبل بالمدينة . تقدم ذكره كثيراً .

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن بهادر القرشي ، المعروف بابن زقاعة ، بضم الزاي ، وتشديد القاف .
ولد سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وتعانى الخياطة في مبدأ أمره ، ثم أخذ عن علماء عصره ، وتولع بالأدب
رحل من دمشق إلى القاهرة ، وتزهد في بعض أيامه ، وتخصص بالناصر فرج بن الظاهر برقوق
توفي سنة عشر وثمانمائة .
الضوء اللامع ١/ ١٣٠ — ١٣٤ .

# الباب السابع

# في غرائب نبهاء مصر


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب السابع

في غرائب نُبَهاء مصر ، لا زالتْ محروسةً عن طَوارِق كلِّ هَمٍّ وأصْر

وهى أمُّ الدنيا الوَلُود ، وكوكبُها السَّعْدُ الأكبر فلذا قوىَ بها طالِعُ المولود .
تبرَّجتْ تبرُّجَ العَقِيلة دون سائرٍ ، فأوْقفَت الناظرَ دون محاسنِها وهو باهِتٌ حائر .

فإن كان الهرَمان نَهْدَيْن فى صدرِها ، فإن الخليجَ والمهدُ به مَنْطِقة فى خَصْرِها .

كلُّ قُطْرٍ يشتاقُها فهو يتمنَّى لو صدَّق فيها الخبرَ العِيان ، وكم هواء صار لها رمالاً فهو إذا مرَّ خَطَّ فى رَمْل الكُثْبان .

وناهِيك ببلدةٍ فضَّلها اللهُ ورعَاها ، وأخْرَج منها ماءها ومرْعاها .
وأسْعَد مَطالِعَ أنْوائها ، فاهتزَّت وربَتْ مَساقِطُ أنْدائها .
إن بارَتْ تجارةٌ فإليها تُجْلَب ، أو عزَّتْ نفيسةٌ فمنها تُطْلَب .
فلذا ترغَبُ النفوسُ[1] فى جِوارِها ، وتنْفسِح الآراء بين أنْجادِها وأغْوارِها .
وقد جمعتْ ما وَلَد سام وحَام ، واشتدَّ بها الالْتحامُ والازدحام[2] .
واحْتوَت الآن على جُلِّ أبْناء يافِث ، مِن كلِّ صِنْدِيد فى عُقَدِ المُلِمَّات نافِث .
فهى كُرْسِىُّ الأمراء والأعيان ، وقَرارَةُ السادات الذين يَكِلُّ عن حَصْر معاليهم نِطاقُ البيان .

وخزانةُ كُتب العلوم ، والآثار المُنْبِئة عن أصالة الحُلوم .

(١) فى ا : « الناس » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

إلى الأَبْنيةِ المُحاذية للأَفلاك ، والمَراقِى التى كاد أهلُها يسمعون تسبيح الأمْلاك .

وفيها المقاصِر والقُصور ، والمقاعد التى عليها الحُسْنُ مقْصور .

ومن مَحاسِنها الزاهرة المناهِج ، البِرَكُ التى استوعبَتْ رَوْنَقَ المباهِج .

وخُصوصا إذا وفَّاها[1] النِّيلُ حقَّها ، ورأيت المناظرَ حولها وقدأَحْكمَتْ نَسَقَها .

فهناك تقول : ما أَبْهَجها ، ويقول القائل : ما أحقَّها .

انظُر إلى بِرَكٍ فى مصرٍ اتَّسَقَتْ ... بها المناظرُ كالأهْداب للبصَرِ

كأنما هى والأبصارُ ترْمُقُها ... كواكبٌ قد أداروها على القمرِ

وبالجملة فهى بالنِّيل[2] تجرُّ على البلاد الذَّيْلَ والرُّدْن ، ولها بذلك المَزِيَّةُ التى مانالها مدينةٌ مِن المُدُن .

وأحْسَنُ محاسنِه عشِيَّاتُه المُذْهَبات ، التى لم تزل لأحزانِ القلوب مُذْهِبات .

فمن رآه مال طَرَبًا من غير مُمِيل ، وعرف سِرَّ قوله : ومِمَّا يَزْدَهِينى ضَحِكُ البدرِ فى وَجْه النِّيل .

إلى غير ذلك من المعاهد والغيطان ، والفُرَج التى تُنْسِى الغريبَ الأوطان .

ومن عرَف مقادير الأشيا ، ونازَل الأطْلال والأحْيا ، عرَف أن هذه البلدة واحدة بَسِيط الأرض ، وحِسابُ خَيْراتها الدَّارَّة لا يَنْفَدُ إلى يوم الحساب والعَرْض .

وقدخرج منها واحدٌ بعد واحد ، شُهْرةُ فضلِه كالشمس لا تُنْكَر ولا تُجْحَد .

فكأنه النَّيِّر الأَظْهَر ، أو الجامعُ الأزْهر .

خلَّدت ذِكْرَهم[3] الدَّواوينُ المُسطَّرة ، وسرَتْ فى محامدِهم الأنفاسُ المعطَّرة .

❊

---

(١) فى ا : « وافاها » ، وفى ج : « وفا » ، والمثبت فى : ب .

(٢) فى ا : « على النيل » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

فمنهم :

## ٣٢٩

## شهاب الدِّين أحمد بن محمد الخَفَاجِيّ *

أوَّلُ مَن عَدَدْت ، وأجلّ مَن أعْدَدْت .

أقول فيه لا مُبالِغاً ، ولستُ لأداء بعضِ حَقِّه بالغا :

لأَنْ تَطَاوَل السماء وتفْرَع ، وتُشَبَّر البسيطةُ وتُذْرَع ، وتَزاحَم أفلاكُ الكواكب بالمَناكب ، ويُتعرَّض لإحْصاء القَطَرات الهوامِل ، بالأنامِل ، ويُدْرَك جوهرُ الشمسِ باللَّمْس ، وتُعارَض زَخْرةُ البحرِ ، بالنَّحْر ، أسْهَلُ من أن تُحْصَى صِفاتُه ، أو أن تَفْرَع لِفِكْرٍ[1] صَفاتُه[2] .

وهو الذى سار ذِكْرُه فى العالَم وانْتشَر ، وخَرَج فى[3] إحاطتِه بالعُلوم عن حَدِّ البَشَر

وناهِيك بمن لم يُخْلِ زماناً من فائدة ، ولا مكاناً من عائِدة .

وقد طال عُمْرُه ، وما خمدَ جَمْرُه .

---

(*) شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجى المصرى .

ولد سنة سبع وسبعين وتسعمائة ، ونشأ فى حجر أبيه ، وعليه تخرج فى كثير من الفنون ، ودرس على مشايخ عصره مثل : أبى بكر بن إسماعيل الشنوانى ، وشمس الدين محمد بن أحمد بن حمزة الرملى ، ونور الدين على بن يحيى الزيادى ، ونور الدين على بن محمد بن على ، ابن غانم المقدسى .

ورحل إلى الحرمين الشريفين ، والروم ، ودمشق ، وولى قضاء روم إيلى ، ثم سلانيك ، ثم قضاء مصر وهو صاحب كتاب « الريحانة » ، الذى يعد أصلا لهذا الكتاب ، وصاحب « الحاشية على تفسير البيضاوى » ، و « شرح الشفاء » .

توفى سنة تسع وستين وألف .

التعليقات السنية على الفوائد البهية ٢٤٢ ، حديقة الأفراح ٧٣ ، خلاصة الأثر ١/٣٣١ – ٣٤٣ ، ديوان الإسلام لوحة ٣٥ ب ، سلافة العصر ٤٢٠ – ٤٢٧ ، صفوة من انتشر ١٢٨ ، وترجم لنفسه فى الريحانة ، الجزء الثانى صفحة ٣٢٧ وما بعدها ، وانظر مقدمة التحقيق لـ « ريحانة الألبا » .

(١) فى ا : « بكل » ، والمثبت فى : ب ، ج.     (٢) الصفاة ( بفتح الصاد ) : الحجر الصلد .

(٣) فى ا : « من » والمثبت فى : ب ، ج .

فهو كلّما أسنّ ، شحذ مُرْهَفَ طَبْعِه وسَنّ .

مع سلامةِ نَفْسِه فى كلّ حالاته ، وتوفّر أمانيه من أسْباب التّحْصيل وآلاتِه .

وقد جمع من الكُتُب مالا يدخُل فى ديوانِ حاسِب ، مع الاسْتعداد الذّاتِيّ الذى يأبى أن يكون باكْتساب كاسِب .

فسَرَد آياتِ الفضائل وتَلاها ، وعن اقْتناصِ شَوارِد الفنون ما تلاها[1] .

وسلِمتْ مباحثُ فَضْلِه عن المُعارضة والجدَل ، وكان الثّناء له وحدَه فإن ذُكِر غيرُه فكالرّابِع المعهود فى البَدَل[2] .

وصنّف التّصانيف التى تشهد بكلّ فضل ، وحَسْبُك منها « عناية القاضى » فإنها خيرٌ من شاهِدَىْ عَدْل .

وأما الأدب فقد امْتزَج بلحمه ودَمِه ، وكان به وجودُه بعد أن أشْرف على عَدَمِه .

فهو بدونه كالجسد بلا رُوح ، واللفظِ دون مَشْروح .

أو كالرّوضِ لا يُجاد ، والعاتِق بلا نِجاد .

فإذا شمّرَ فى البلاغة ساعِدَه ، نَصَا عن ساقِه لخدمَتِه ابنُ ساعِدَة .

فأمّا مُنْشَآتُه فلا يُتصوّر عن الإتْقان خُرُوجها ، وأما أشعارُه فقد حُرِستْ بالشُّهُب بُروجُها .

فإن ألَمّ بها مارِدٌ فاسْترَق ، أتبعه طارِقٌ فاحْترَق .

وآثارُه كما عرَفتَ طويلةُ الذّيْل ، تعرِف مِقْدارَها شواهِدُ الليل .

صقَلتْها تلك الفِكرةُ المُطيعة ، وهى وإن كانت كثيرةً فصديقةٌ للطّبيعة .

فهو فى الإنْشاء فَعَلَ الأفاعيل ، وأهْمَل الصّادَيْن : إبراهيم ، وإسماعيل[3] .

وهما إماما الصّناعة ، وهُمامَا البَرَاعة واليَراعة .

---

(١) من اللهو .　(٢) وهو بدل الغلط .　(٣) يعنى أبا إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى ، والصاحب إسماعيل بن عباد .

بهما فَخَر مَن نطَق بالضَّاد ، وبسببهما حسَدت الحروفُ الصَّاد .

وله كتاب « الرَّيحانة » الذى ذَيَّلْتُ عليه ، واقتبسْتُ نورَ الهدى بتَوُجُّه رَغْبتِى إليه .

وما أنا بالنِّسْبة لِما أبْدَعه ، ولِمَا جئْتُ به ممَّا كان الأحْرَى بى أن لا أدَعَه ، إلَّا كمَن جارَى الحِصانَ بالأتَان ، ووَاجَهَ الغزالةَ[١] بالذُّبالة ، وقارَع الحُسام بالعَصا ، وبارَى الدُّرَّ بالحصا .

ذاك لا يستحسنُه الإدْراك ، حتى تُصادَ الشُّهُبُ بالشِّباك ، وتتقدَّمَ الفَكَّةُ[٢] على السِّماك .

ولقد وصَف كتابَه بما أغْنانى عن وَصْفِه ، وهذه حالى معه إذا أردتُ التَّطْرِية أتيْتُ ببدائع رَصْفِه[٣] :

فهذه ذخائرُ[٤] من « خَبايا الزَّوايا ، فيما فى الرجال من البَقايا » تنفَّس الدهرُ به[٥] عن نَفْحةٍ عَنْبَرِيَّة ، وهَبَّتْ بها[٦] أنفاسٌ[٧] نَدِيَّة[٨] نَدِيَّة ، تنفُّسَ الرَّوْضِ فى الأسْحار ، بأفْواهِ العَبيرِ عن ثُغورِ النَّوْرِ والأزْهار[٩] .

مِن كلِّ شَذْرةٍ تَهزَأ بـ « قلائد العِقْيان » ، وكلِّ زَهرةٍ لها من السطور أفْنان .

وكلِّ فَرِيدة يُقِرُّ لها بالنَّفاسةِ الجميعُ ، وكلِّ مَنْقَبةٍ إذا وَعَى ذِكْرَها السامعُ وعَبَق قيل :

* أمِنْ رَيْحانَةَ الدَّاعِى السَّمِيعُ[١٠] *

---

(١) الغزالة هنا : الشمس . (٢) الفكة : كواكب مستديرة خلف السماك الرامح ، تسميه الصبيان قصعة المساكين . القاموس ( ف ك ك ) . (٣) ريحانة الألبا ١/١١ ، ١٢ .

(٤) تكملة من الريحانة . (٥) فى الريحانة : « بها » . (٦) تكملة من الريحانة .

(٧) فى الريحانة : « أنفاسه » . (٨) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وفى الريحانة : « الندية » .

(٩) هذا آخر ما فى الريحانة ، ولعل ما جاء فيها بعد عن خبايا الزوايا .

(١٠) صدر بيت لعمرو بن معد يكرب ، وعجزه :

* يُؤَرِّقُنى وأصحابى هُجُوعُ *

الأصمعيات ١٧٢ .

ومما اقْتضانى أن أُثْبِتَه فى وَصْفِه ، ما قاله البُرْهان البَاعُونِىّ[1] الشّامِى ، فى حَقّ لِسان الدِّين بن الخطيب والتّنْويه بقَدْرِه السَّامِى ، وقد رأى كتابَه « الريحانة[2] » ، وهو به أشْبَه ، وما أظنُّ تقارُبَهما خَفِىَ أو اشْتَبَه :

صاحب كتاب « الريحانة » ، آيةٌ من آيات الله سبحانَه .

لِوَجْه أدبِه طَلاقة ، ولِلِسانه ذَلاقة ، وللقُلوبِ به عَلاقة ، وفى خَطِّه[3] غَلاقة .

قلتُ : وأىُّ غَلاقه يعرفها مَن عَرَف اصْطلاحَه بمُطالعتِه ، وينْفتِح له بابُ فَهْمِها بتَكْرِير مُراجعتِه .

فلْيتأمّل الناظرُ إليه ، والمُقبِلُ عليه ، ما فيه من الجواهر ، والنُّجُوم الزّواهِر ، بل الآياتِ البَواهِر .

ولْيُسَبِّح اللهَ تعجُّبًا من قُدْرَتِه جَلّ وعَلَا ، ومَذاهبِه التى عَذُب ماؤُها النَّمِيرُ[4] وحَلَا .

ولْيَقُل عند تأمُّل دُرِّه النَّظِيم ، ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ[5] ﴾ . انتهى .

وله « ديوان شِعر » وقفتُ عليه بخطِّه ، فأثبتُّه بخَطِّى ، ولم يُمْكِنّى على ما فِىَّ من المَلال التَّجافِى عنه والتَّخَطِّى[6] .

---

(١) برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن ناصر الباعونى .
ولد فى صفد ، سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، ورحل إلى دمشق ، ومصر ، وكان أديبا متمكنا .
توفى سنة سبعين وثمانمائة .
البدر الطالع ١/ ٨ ، الضوء اللامع ١/ ٢٦ ، نظم العقيان ١٣ .

(٢) يعنى ريحانة الكتاب للسان الدين بن الخطيب .
(٣) فى ب : « حظه » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .
(٥) سورة الحديد ٢١ .
(٦) يقتبس المحبى فى العبارة السابقة ، من ترجمة الباخرزى لأبى الفرج بن هندو ، فى دمية القصر ، الجزء الثانى ، ترجمة رقم ٢٥١ .

ويكفيك من شِعْرٍ لو سَمِعَه النَّابغةُ ما نَبَغ ، أو ابنُ صَفْوانَ[1] لم يَبْلُغ مِن صَفاءِ وَقْتِه ما بلَغ .

ولو جَاراه الجَعْدِيّ[2] لاعْتَرَف بالخَرَس ، أو الأسَدِيّ[3] لانْصَرف عن صِفَة الفَرَس .

***

وأنا الآن قد قصَرْتُ النَّظَر على آثارِه ، من نِظامِه ونِثارِه ، وحَسْبي ذلك من مِنْحة الحَظِّ وإيثارِه .

فما على مَن بلَغ من التَّمَلِّي بآدابِه أرَبا ، أن يُنْبِت جسمُه بعد أن يصيرَ تُرابًا أدَبا .

وأسألُ الله أن يجعـلَه ممَّن فاز بالنَّجاة ، ويُهيِّئَ له من خزائن فُيوضـاتِه رَحْمَتَه المُرْتجاة .

***

وهنا أُورِد من نَثْره العالى ما جَمَع الحُسْنَ أجمَع ، وأُتْبِعه من شِعْرِه الغالى بما لم تَرَ أجْوَدَ منه ولا تَسْمَع .

فمن فُصوله القِصار ، قولُه[4] :

إن ساعِداً زَيَّنْتَه بسِوار المَنائِح ، ، يُغْرِى لك ضُرُوعَ الثَّناء والمَدائِح .

---

(١) لعله يعنى خالد بن صفوان بن عبد الله التميمي المنقرى ، ابن الأهتم .
كان فصيحا ، من أقدر الناس على مدح الشيء وذمه ، عاش فى يسار فى البصرة ، ولم يتزوج .
توفى نحو سنة ثلاث وثلاثين ومائة .
أمالى المرتضى ٤/١٧٢ ، نـكت الهميان ١٤٨ .

(٢) يعنى أبا ليلى قيس بن عبد الله النابغة الجعدى .
صحابى ، معمر ، أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ، ثم نبغ فيه . وفى اسمه خلاف .
توفى نحو سنة خمسين .
أمالى المرتضى ١/١٩٠ ، أسد الغابة ٤/٢٢١ ، ٥/٢ ــ ٤ ، طبقات فحول الشعراء ١٠٣ .

(٣) لعله يعنى امرأ القيس بن حجر ، صاحب المعلقة المشهورة التى تضمنت وصفه للفرس .

(٤) عقد الخفاجى فى ريحانة الألبا ٢/٢٥٥ــ٣٦٢ بابا لفصوله القصار ، وأورد المحبى بعضها هنا بتصرف ، كما ذكر ابن معصوم طرفا منها فى السلافة ٤٢٢ ، ٤٢٣ .

ولك وَارِفُ ظلالٍ ، تَقِيل فيها الآمال .

بها الألْسُنُ تفِرّ ، والأعْيُنُ والقلوب تقَرّ .

كم مُوقدِ نارٍ بها احترق ، ومُحْسِنِ سَبْحِ اللُّجَج فيها غَرِق .

قال لى خَليع : قَبِيحٌ مُؤاجر ، أحْسَنُ من مليحٍ خَلْفَ السَّتائر .

شتّان بين دِرْهم النقْد ، ودِينار الوَعْد .

شجاعةُ الملوك صَبْرٌ وثبات ، وشجاعةُ الجُنْدِ إقْدامٌ وَثَبات .

الـكَيْسُ يفتح الـكِيس .

فى إغماضِ العَيْن وإغمادِ اللّسان عِقـابُ المُقلا ، وبلِسان السَّوْط والسيفِ عِقابُ السُّفها .

لـكل قلبٍ هوًى ، كما أن لـكل داء دوَا .

فما اعْتلالُ نَسِيم الصَّبا ، إلّا لُحبّ زهورِ الرُّبَى .

إذا خلَتْ[1] قلوبُ الأكْياس[2] ، خلتْ من السُّرور قلوبُ الأكْياس[3] .

لو همَّ الفَلَكُ الدّوّار برِفعةِ ماجدٍ فى الأبَد ، ما قدَّم الثَّوْر فى منازِله على الأسَد .

مَن باع الجَزَع بالاصْطِبار ، فله على الزّمن الخِيار .

ما سُمِىَّ الزّمنُ زَمناً ؛ إلّا لأنه يقول لك اُقْعُدْ[4] .

هَدايا الأنام تِجارة ، وقبولُها منهم خُسارة .

المعروفُ والصَّنيعة ، عند الحُرّ وَدِيعة .

ربمـا كان أمرّ من الدّا ، روائحُ العَقاقير وشربُ الدّوَا ، وطولُ جلوسِ العُوّادِ الثُّقلا[5] .

---

(١) فى ا : « أحلت » ، وفى ب : « حلت » ، والمثبت فى : ج ، والريحانة ٢/٣٥٨ .

(٢) الأكياس . جمع كيس النقود . (٣) الأكياس : جمع الـكيس ( بالتشديد ) من الناس .

(٤) يشير إلى معنى الزمانة . (٥) انظر ريحانة الألبا ٢/٣٦١ .

قومٌ بلا رُوح في الصُّوَر والملابس ، كالصُّوَر المَنقوشة في الكنائس .

قد يحتجب الحُرُّ لِقلَّة اليَسار ، كما احتجب البدرُ عند السِّرار .

إذا كان أعدَى عدُوِّك بين جَنبَيك ، فصبرُك عليه إحدَى شَجاعتَيك .

اللبيبُ أدَبُه ، فِضَّتُه وذَهَبُه .

إذا كانت الأراجِيفُ مَلاقِيحَ الفِتَن ، فانطلاقُ الألسُنِ نِتاجُ المِحَن .

لو كان هذا الوجودُ أصْلاً ما وُلِد العدَم ، ومن يُشابِهْ أبَهُ فما ظَلَم

الحُرُّ لا يُجازِي كلَّ من [(١)] أسَا ، والأسدُ لا يفترس النِّسَا .

الدنيا بإقبالها ، والدَّولَةَ بأقيالها .

ما كلُّ وقتٍ يُسْعِف بما تُحِبّ ، فإذا أرَدْتَ لَبُونَ [(٢)] فاحتلِبْ .

بين القوّادِ والرُّقَباء لاح بعضُ إحسان ، فعرفتُ أنَّ الشمسَ تطلعُ بين قَرْنَي الشيطان .

مَن أبطأ رَجاؤه ، أسرَع عَناؤه .

ومَنِ الخُلْفُ داؤه ، فالتَّرْكُ دَواؤه .

* * *

وكتب مُقرِّظا على كتاب مَدْيَن القُوصُونيّ [(٣)] في الطب ، الذي سَمَّاه

---

(١) تكملة لازمة ، ولم أجد هذا الفصل في الفصول القصار في الريحانة . (٢) اللبون : ذات اللبن .

(٣) في ا ، ج : « القيصوني » ، وفي ب : « القيصوي » والمثبت في خلاصته الأثر ٤/٣٣٣ .

وهو مدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري الطبيب .

أخذ العلوم عن الشهاب أحمد بن محمد المتبولي الشافعي ، وعبد الواحد البرجي ، وأخذ الطب عن الشيخ داود .

ولي مشيخة الطب بمصر بعد السري أحمد الشهير بابن الصائغ ، وله مؤلفات ، منها « قاموس الأطباء » في المفردات ، و « ريحان الألباب وريعان الشباب في مراتب الآداب » ، و « التاريخ » .

كان موجودا سنة أربع وأربعين وألف .

خلاصة الأثر ٤/٣٣٣ ، ٣٣٤ .

« قاموس الأطباء »(١) :

ما طُرِّزَت حُلَلُ الثَّنا ، ورُنِّقَتْ(٢) رِياضُ البراعة(٣) بثمراتِ غضَّةِ الجَنا ، إلَّا لتكون لباسًا لأبكار المَحامد ، ومَرْتعًا لأفكار شاكرٍ وحامِد .

فالحمدُ(٤ لمولَى الحمدِ ٤) على ما أنْعَم من اللُّغات والبَيان ، وأحْسَن بتَلْقينها لأطفالِ الأرْواح فى مكاتب الأبْدان .

وألْهَمها اسْتخراجَ دُرِّ(٥) المَعانى من أصْدافِ الحروف ، لتَنْتظم منها فى الصُّدور ، وتُعلَّق فى الآذان أبْهَى عُقودٍ وشُنُوف .

وأزْكى صلاةٍ وسلامٍ على أفْصح من نطَق بالضَّاد ، فروَى من عَيْنِ فَصاحته كل صَاد .

وشَفَى بطلَب هدايته مَريضَ كلِّ قلب ، وهدَى(٦ بمُفرداتِ حِكْمتِه ٦) كلَّ ذى جهل مُركَّب .

وعلى آلِه وأصحابِه مَدائنِ العلم والحِكَم ، ورؤساء أطِبَّاء الأبْدان والأديان من سائر الأُمَم .

لاسِيَّما الأربعة الذين تِرْياقُهم العَتِيق ، وفارُوقُهم حافظُ صِحَّةِ مِزاجِ الدِّين بِكُلِّ مَاضِي الشَّفْرتَين رَقِيق .

ما دامت الدنيا دارَ الشِّفا ، وصَحَّ مِزاجُ الدهرِ من الأمْراضِ واشْتَفَى .

هـذا ، وإن أخى شقيقَ الرُّوح وقُرَّةَ العَين ، وصَفْوة الحياة ومن كِفايةُ(٧ مَحبَّتِهِ علَى ٧) (٨ فَرْضُ عَينٍ ٨) ، لمَّا أتْحفَني فى قُدُومِي للقاهرة بكتابه « قاموس الأطبَّاء

---

(١) هذا التقريظ فى خلاصة الأثر ، الموضع السابق . (٢) فى خلاصة الأثر : « ووشيت » .

(٣) فى الخلاصة : « البلاغة » . (٤) فى الخلاصة : « للمولى » . (٥) فى الخلاصة : « درر » .

(٦) فى ا : « بتفرداته حكمته » وفى ج ، : « بمفرداته بحكمته » والمثبت فى : ب ، والخلاصة .

(٧) ساقط من الخلاصة . (٨) ساقط من : ج ، وفى ا : « قرض العين » والمثبت فى : ب ، والخلاصة

وجدتُه الدُّرَّة الفاخرة ، والرَّوضَة التي تفتَّحت فيها عيونُ أنوارِه الزَّاهِيَة الزَّاهِرة .

ظَنًّا منه أني[1] شُعَيب مدينَتِه ، وما أنا إلَّا سَلْمان بَيْتِه ، بل أشْعَبُ موائدِ كَرَمِه ومِنَّتِه .

فإذا هو بُرْدٌ مُحَبَّر ، ورَوضٌ[2] وعقدٌ كلُّه جَوْهر .

وكتابٌ جميعُه مُفْرَدات ، ولغةٌ لو رآها الْجَوهرِيّ قال : هَيْهات العَقِيق هَيْهات .

أو الخليلُ[3] بعَيْنِه ، فَداه بـ « عَيْنه »[4] .

أو جارُ الله[5] لقال هذا هو « الفائق » ، أو ابنُ البَيْطار وَدَّ لو طابَقَه مُطابقةَ النَّعْل بالنَّعْل لِما فيه من الدَّقائق .

أو صاحبُ « القاموس » لقال : هذا المجد[6] ، الذي [7]ارْتضَع دَرَّ[7] العربية مابين تِهامة ونَجْد .

فلله دَرُّ مُصنِّفه فقد أرانا في الرجال بقايا ، وفي الزَّوايا خَبايا .

وأنار فِكْرُه ظُلْمة الجهل وقد وَقَد ، ورَوَى ظَمْآن الفِكْر فيما ورَد ورَدّ ، رحقَّق ماقيل : مَن دَقَّ البابَ وَلَج ومَن جَدَّ وَجَد .

وقد قلتُ فيه ارتجالا :

| | |
|---|---|
| دهرٌ يجــودُ بمثْلِهِ | أنْعِم به دَهْراً وَفِي |
| رَوَّى بــكأسِ علومِه | وخِتامُه مِسْكٌ وفِي[8] |

---

(١) في ب : « بأني » والمثبت في : ا ، ج ، والخلاصة . (٢) ساقط من الخلاصة .

(٣) في الأصول : « والخليل » والمثبت في الخلاصة . (٤) يعني كتاب « العين » للخليل بن أحمد الفراهيدي .

(٥) يعني جار الله أبا القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، صاحب « الفائق » في غريب الحديث .

(٦) لقب صاحب القاموس مجد الدين . (٧) في الخلاصة : « ارتقى ذروة » .

(٨) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ . سورة المطففين ٢٦ .

وكتب إلى بعض إخوانه وقد توعك[١] :

كفاكَ اللهُ ماتخشَى وغطّى ... عليكَ بظلِّ نِعْمتِه الظليلِ

أعزَّ اللهُ أنصار [٢] فَيَّاضِ الكرم[٢] والحَسَب ، وحَمَى بعِزَّته مَعالِمَ العلوم والأدب .

وأبقاه محروساً من هجوم الخطوب ، محفوظاً بسور مَنيع[٣] من إحاطةِ القلوب .

وأصواتُ حَرَس[٤] الدُّعاء مرْفوعة ، وسُدَّتُه بحجاب الصَّنائع ممنوعة .

والدهرُ وإن كان ذا غِيَر ، ومن تفكّر اعتبَر ، فكيف يتسلط عليه بآلامِه ، وهو لا يتسلط على آيادى إكرامِه .

فإن همَّ به[٥] ونعمتُه مُتتابعة عليه ، صدَّق قولَهم : اتّقِ شرَّ من أحْسَنْتَ إليه .

أتُهْدِي له الأيامُ سُقْماً وإنما ... مَساعِيه فى أعْناقِهِنَّ قَلائِدُ

على أنه إن[٦] اعتَلَّ فقد اعتَلَّ المجدُ والكمال ، وإن مرِض فقد مرِضتْ الأمانى والآمال[٧] ، بل القلوبُ والأرْواح ، فإذا دَعوْنا له دعوْنا لأنفُسِنا بالصَّلاح .

ورُبَّ مريضٍ لا يُعاد ، وإن كان لا يُحْرَم الأجْرَ مريضُ الفُؤاد .

ولا أقول كما قِيل :

ياليت عِلَّتَه بى غيرَ أنَّ له ... أجْرَ العليلِ وأنِّى غيرُ مأجُورِ

ولا كما قيل :

وَفَيْناكَ لو نُعطَى الهوَى فيك والمُنَى ... لكانتْ بكَ الشَّكوى وكان لكَ الأجْرُ

---

(١) فى الريحانة ١/٣١٨ أنه كتب هذه الرسالة إلى محمد الفشتالى .

(٢) فى الريحانة : «الكرم الفياض» ، وقد تصرف المحبى كثيرا فى أساوب الخفاجى ، على ماورد فى الريحا

(٣) تكملة من الريحانة . (٤) انظر الريحانة . (٥) تكملة من الريحانة . (٦) تكملة لازمة وانظر الريحانة . (٧) من هنا الى نهاية ترجمة الشهاب الخفاجى ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، د

وقد سمعتُ بفَصْدِه للباسَلِيق[1] ، وأنه قد بكى دماً[2] عِرْقُه العَرِيق .

فهاكَ اعْتلالُكَ يبْـكِي دَماً وتَضْحكُ فى جِسْمِكَ العافيَه[3]

وكان قيل : عِرْقُ الصِّحَّة له فى كلِّ مَنْبتِ شَعْرةٍ عينٌ باكية ، تبكى بمَدامع العِرْق على فِراق العافية .

وإن ببكاء عِرْقِ الصِّحَّة أضْحَكَ اللهُ ثُغورَ مَسَرَّتِه ، كما ضَحِكتْ تَباشيرُ الهَنا بصِحَّتِه .

وهَنَّأَ اللهُ الوجود ، بسلامةِ الكَرَم والجُود .

فلا زال كوكبُ سَعْدِه طالعاً فى سماء الإقْبال ، فإن لِكلِّ زمانٍ غُرَّةٌ وهِلال .

***

ومن فصلٍ له كتبَه لبعض المَغاربة[4] يُداعبه ، وكان يقول بالظِّباء :

مَذْهبُ مولاىَ تقديمُ الذكور على الإناث ، وتَطْليقُ حُورِ الجِنان بالثَّلاث ؛ لأن الرجلَ خيرٌ من المرأة بالاتِّفاق ، فلذا تخلَّف عن الخِلاق[5] ، وتقدَّم حيث الشِّقاق .

كما قلتُ له أوّلا :

أديبٌ مالَ عن حُبِّ الغَواني وبالأحْداثِ أصبح ذا اكْتِراثِ
وقال اخْتارَ ذا أهلُ المَعاني فغلَّبتِ الذُّكورَ على الإناثِ[6]

وما سِواه على خلافِ القياس ، ولا يخْلُو مثلُه عن لُبْسٍ والْتباس .

---

(١) الباسليق : عرق فى الذراع . شفاء الغليل ٤٠ ، وانظر فقه اللغة ٩٢ . (٢) ساقط من : ا ، وهو فى ب ، والريحانة (٣) فى الريحانة : «وبات اعتلالك» . (٤) هو محمد بن إبراهيم ، بديع الزمان الفاسى ، والفصل فى الريحانة ١/٣٥٠ ، وقد تصرف فيه المحبى . (٥) فى الأصول : «الخلاف» ، والمثبت فى الريحانة ، وهو الموافق لما يأتى من السجع .

والخلاق : ضرب من الطيب ، أعظم أجزائه الزعفران .

(٦) فى الريحانة :

أقلْتَ برأْىِ أرْبابِ المعـانى فغلَّبْتَ الذكورَ على الإناثِ

ومما خالَفَ أهْلَ المعانى ، قولُ الأديب الأصْفَهانِي :

* وأيْرانِ تحت لِحافٍ خَطَرْ[1] *

والتَّغْليبُ بابٌ واسِعُ الموارد[2] فلْيَنْظُرِ الأديبُ فى مَوارِدِه ، ولْيَتَّسِعْ فى فى مَصائده وأوابِدِه .

***

وكتب إليه الأديب يُوسُف المَغْرِبِيّ[3] ، سؤالاً أدبيًّا ، وهو[4] :

أيُّها الأخُ الشَّفِيق الشَّقِيق ، والرَّفيق الرَّقِيق .

والإمام الهُمام ، الهادى لسائِلِ الأفْهام ، إذا اخْتلَّتْ فى مَهامِهِ الأوهام .

إنِّى أشْكلَ علىَّ قولُ أبى منصور الثَّعالِبىّ ، فى « اليتيمة[5] » : اتَّفق لى فى أيام الصِّبا معنًى بديع ، حسِبْتُ أنِّى لم أُسْبَق إليه ، وهو[6] :

قلبِيَ وَجْــــداً مُشْتعِلْ ... وبالهُمُومِ مُشْتغِــــلْ

---

(١) جاء هذا فى الريحانة بعد قوله « والتباس » الفائت ، وورد مكانه بيتان هما :

هاتِيكَ حبيبتِي ازْدهتْنِي طِيباً ... أوْسعْتُ بها ابنَ هانِيء تكذيبَا

لو أمْعنَتِ النُّحاةُ فيهــــا نَظَرًا ... لم تَدْعُ إلى المُذكَّرِ التَّغْليبَا

(٢) تكملة من الريحانة . (٣) يوسف بن زكريا المغربى ، نزيل مصر .

أديب ، شاعر ، أخذ بمصر عن : يحيى الأصيلى ، وبه تخرج ، والبدر القراق ، وأبى النجا سالم السنهورى ، والأستاذ محمد البكرى .

وتوفى بها ، سنة تسع عشرة بعد الألف .

خبايا الزوايا لوحة ١١٦ ا ، خلاصة الأثر ٤/٥٠١ ـ ٥٠٣ ، ريحانة الألبا ٢/٣٢ ـ ٣٧ .

(٤) هـذه الرسالة والرد عليها فى خلاصة الأثر ٤/٥٠٢ ، ٥٠٣ ، وبعض ما جاء فيها فى ريحانة الألبا ١/٢٥ ، ٢٦ . (٥) يتيمة الدهر ٣/٣٩٨ ، ٣٩٩ . (٦) الأبيات أيضا فى : تاج العروس ( أنس ) ٤/٩٩ ما عدا الأول ، تتمة اليتيمة ١/٩٥ ما عدا الأول والثانى ، خاص الخاص ١٧٩ ، ريحانة الألبا ١/٢٥ ، عنوان المرقصات والمطربات ٤٥ ما عدا الأول والثانى ، القاموس المحيط ( أ ن س ) ما عدا الأول ، قراضة الذهب ٤٤ ، الكشكول ١/٧٠ ، ٧١ ما عدا الأول ، من غاب عنه المطرب ٧٧ ، ٧٨ ما عدا الأول .

وقد كَسَتْنِي في الهوَى     مَلابِسَ الصَّبِّ الغَزِلْ
إنْســـــانةٌ فتّانةٌ     بدرُ الدُّجى منها خَجِلْ
إذا زَنَتْ عيْنِي بهـــا     فبالدُّموعِ تغتَســـلْ

هل استعارتُه لنظَرِ الحبيبِ الزِّنا ، مما يُعَدُّ في الأدب معنًى حسَنا ، أو هو مما تجاوَز الحَدَّ ، فاستحقَّ بالزِّنا الحدّ ؟

فـكتبتُ إليه مجيباً :

أيُّها الأخ ، قُرَّةَ العين ، وبدرَ هالةِ المجلس الذي هو لها زَيْن .

إنه من المَعاني القبيحة ، المُورِّثة للفضيحة .

وقد سبقَه إليه ابنُ هِنْدُو في قوله[1] :

يقولون لي ما بالُ عَيْنِك مُذ رأتْ     مَحاسِنَ هــذا الظَّبيِ أدْمُعُها هُطَّلُ
فقلتُ زَنَتْ عيني بطَلْعةِ وجهِــه     فـكان لها من صَوْبِ أدْمُعِها غُسْلُ

وهو معنًى قبيح ، واستعارةٌ بَشِعة ، ألا يرى ما قيل في الذَّمّ :

أيهـــا المُنْكِحُ بالعَيْــنِ جَوارِي الأصْدقاءِ[2]

وقول صرَّ دُرّ[3] ، في قصيدته المشهورة وإن كان معنًى آخَر[4] :

يا عينُ مِثْلُ قَذاكِ رُؤْيةُ مَعْشَرٍ     عارٌ على دُنْياهُمُ والدِّينِ
نَجَسُ العُيونِ فمذ رأتْهُمْ مُقْلتِي     طَهَّرْتُها فنزَحْتُ ماءَ عُيُونِي

---

١) البيتان في : تتمة اليتيمة ١/٩٥ ، خلاصة الأثر ٤/٥٠٢ ، ريحانة الألبا ١/٢٥ ، قراضة الذهب ، يتيمة الدهر ٣/٣٩٨ .     (٢) في خلاصة الأثر : « أيها الناكح . . » .

٣) أبو منصور علي بن الحسن بن علي ، المعروف بصردر ، وإنما قيل له ذلك لأن أباه كان يلقب صر بعر ؛ لشحه ، فلما نبغ ولده ، قيل له : « صردر » .

كان شاعرا نجيبا ، وكاتبا معروفا .

توفي سنة خمس وستين وأربعمائة . انظر مقدمة ديوانه .

٤) ديوانه ٥٤ .

وكيف يتأتَّى لهؤلاء ما قالوه ، بعد قول يزيد بن مُعاوية فى شعرِه المشهور [١] :

وكيف ترى ليلَى بعينٍ ترى بها ⁂ سِواها وما طهَّرْتَها بالمدامِعِ

أُجِلّكِ ياليلَى عن العَين إنما ⁂ أراكِ بقلبٍ خاشِعٍ لكِ خاضِعِ

ومنه أخذ العفيفُ التِّلمسانِيّ [٢] قوله :

قالوا أتبكى من بِقَلْبِك دارُهُ ⁂ جَهِل العواذِلُ دارُه بِجَمِيعى

لم أبْكِه لكنْ لِرُؤْيةِ وَجهِهِ ⁂ طَهَّرْتُ أجفانِى بفَيضِ دُموعِى [٣]

وقال ابنُ رَشيق ، فى كتابه « البدائع » [٤] : قال أبو على الفارسِيّ [٥] : ليس العجب من تَوارُد الثعالبيّ مع ابن هِنْدُو ، وإنما العجبُ من قوله : لم أقْدِر أنِّى سُبِقْتُ إليه ، وأبو الطيِّب يقول فى الحُمَّى [٦] :

إذا ما فارَقَتْنِي غَسَّلَتْنِي ⁂ كأنا عاكِفان على حَرامِ

وهل هذا إلَّا ذاك بعَينِه ، وأبو الطيِّب أحسنُ لفظًا ، وأصحُّ معنًى [٧] ؛ لِذِكْرِ ذكراً وأُنثَى يقع الزِّنا بينهما ، خلاف ما ذَكَراه .

وفى نَقْلِه تقرير تركْناه ، خوفَ المَلَلِ والسَّآمة .

وهذا ما سَنَح للخاطر ، والسلام .

قلتُ : ومن النقْد على الثَّعالِبيّ فى هذه الأبيات أيضا قوله : « إنْسانة » ؛ فإ عامِّيَّةٌ مُوَلَّدة ، وإن أورده صاحبُ « القاموس » وتشكَّك فيه [٨] ، والإنسانُ يقَ

---

(١) انظر الريحانة أيضا ١/٢٦ . (٢) تقدم التعريف به فى الجزء الأول صفحة ٥٠١ .

(٣) هذا آخر ما فى خلاصة الأثر من هذا الفصل . (٤) ورد هذا لابن رشيق فى كتابه ، قر الذهب ٤٤ ، ٤٥ ، وقد نقله الخفاجى فى الريحانة ١/٢٦ . (٥) لم ترد هذه النسبة فى قر الذهب ، وهى فى الريحانة . (٦) ديوان أبى الطيب ٤٧٧ . (٧) انظر قراضة الذهب ، تصرف المحبى فى عبارة ابن رشيق ، أوتبع الخفاجى فى تصرفه . (٨) تقـــدم فى صفحة ٦ ذكر موضع ذلك .

للذكر والأُنثى ، كذا قاله الشِّهابُ فى « حاشية[1] التفسير » .

وأما رَجُلَة فقد ورَد فى شعر العرب ، قال الشاعر :

كلُّ جارٍ ظَلَّ مُغْتبِطاً  غيرَ جيرانى بنى جَبَلَهْ

خرَّقُوا جَيْبَ فَتاتِهمُ  لم يُبالُوا حُرْمةَ الرَّجُلَهْ[2]

كذا فى « الكامل » .

* * *

وكتب إلى هذا المَغْرِبىّ[3] يستدْعيه :

ولما نزَلْنا منْزِلاً طَلَّه النَّدَى  أنيقًا وبُستانًا من النَّوْرِ حالِيَا

أجَدَّ لنا طِيبُ المكانِ وحُسْنُهُ  مُنًى فتمنَّيْنا فكنتَ الأمانِيَا

فيا غايةَ الأمانى ، وسَلْوةَ الحزينِ العانِى .

قد دعانَا الربيعُ بلسان النَّسيم ، وصاحت القَمارِىُّ[4] هلُمُّوا إلى النَّعيم المُقيم .

وعيونُ الأزْهار شاخِصةٌ إلى الطريق ، وقلوبُ الأغصان واقفةٌ لانْتظار الرَّفيق الرقيق[5] .

فباللهِ عليك إلَّا جعلْتَ يومَنا بك عِيدا ، وجدَّدْتَ لنا وللجَدِيدَيْن[6] بك سُرورًا جَدِيدا .

* * *

وكتب على قول الشاعر ، فى وَصْف حَمّام[7] :

للهِ يومٌ بحَمّامٍ نَعِمْتُ بهِ  والماءُ من حَوْضِه ما بَيْننا جارِ

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا .  (٢) فى الأصول : « لم ينالوا » ، والتصويب عن الكامل ١/ ٢٨٠ .  (٣) هكذا جاء فى النفحة ، وفى الريحانة أنه كتب بذلك إلى تقى الدين بن عبد القادر التميمى الغزى الحنفى ، صاحب « الطبقات السنية فى تراجم الحنفية » ، والمتوفى سنة خمس أو عشر وألف . انظر الريحانة ٢/ ٣١ .  (٤) فى الريحانة : « الطيور » .  (٥) ساقط من الريحانة .

(٦) هذا الفصل فى خلاصة الأثر ١/ ٣٣٦ .

كأنّه فوق مِسقَاةِ الرُّخَامِ ضُحًى ماءٌ يسيلُ على أثوابِ قَصَّارِ[1]

بأن قائلَه عِيبَ فيه ، حتى قال بعضُهم :

وشاعرٍ أُوقِدَ الطَّبعُ الذَّكِيُّ له فكاد يحرِقه مِن فَرْطِ لألاءِ

أقام يُعْمِلُ أيامًا رَوِيَّتَه وشبَّهَ الماءَ بعد الجَهْدِ بالماءِ

ثم قال : وقد يُوجَّه بأن هذا الشاعرَ شبَّه الرُّخامَ في الحمَّام بشُقَّة قصَّار بيضاء[2] ، جرى عليها الماء ، ولم يُرِد تَشبيهَ الماء ، ولكنْ ما ذكر في الطَّرفَيْن جاء بارِدًا ، فأشار الشاعرُ إلى بُرودته بما ذكر .

قلتُ : وقوله : « شبَّه الماء إلخ » قد تلاعبتْ به الشُّعراء ، [3]وتَظرَّفُوا فيه ، ونقلوه إلى مَعانٍ لطيفة ، فمنهم الشهاب الحجازيّ ، حيث[3] قال :

أقول شَبَّهْ لناجِيدَ الرَّشَا تَرَفًا يا مُعْمِلَ الفِكْرِ في نظمٍ وإنْشاءِ

فظَلَّ يُعمِل أيامًا قَرِيحتَهُ وشبَّهَ الماءَ بعد الجَهْدِ بالماءِ

ومنهم الصَّلاحُ الصَّفَدِيّ ، حيث قال :

أقول شَبِّهْ لنا كأسًا إذا مَزَجَ السَّ اقِي طِلاهَا اهتدَى في لَيلِهِ السَّارِي

فظَلَّ يُجْهِدُ أيامًا قَرِيحتَهُ وشبَّهَ النارَ بعد الجَهْدِ بالنَّارِ

وله :

أتى الحبيبُ بوجْهٍ جَلَّ خالقُهُ لَمَّا بَراه بلُطْفٍ فِتْنةَ الرَّائِي

فلاحَ شخصُ عَذولي فوقَ وَجْنَتِه فقلتُ شَبِّهْهُ لي في فَرْطِ لألاءِ

فظَلَّ يُجْهِد أيامًا قَرِيحتَهُ وفسَّر الماءَ بعد الجَهْدِ بالماءِ

* * *

ومن نوادِرِه ما ذكَرَه في آخر كتابه « الخبايا » ، قال[4] : واتَّفَق في عَهْدِنا ،

---

(١) في الخلاصة : « كأنه فوق شقات الرخام » . (٢) ساقط من : ب ، والخلاصة

(٣) ساقط من : ا ، وهو في : ب . (٤) هذا الفصل والشعر بعده أيضا في ريحانة الألبا ٢ / ٢٩٠ – ٢٩٢ ، مع اختلاف في إيراد بعض فقرات النثر .

أن قاضياً فى بلاد الرُّوم أخطأ فى ثُبوت شهر رمضان والعِيد ، خطأً ما مثلُه من مِثْلِه ببَعيد .

فضَجَّ الناسُ واستغاثُوا من حياتِه بمَماتِه ، ولم يستَرِحْ أحَدٌ فى ذلك الوقت غيرَ الملائكة الكاتبين لحسَناتِه .

إذْ كَسَر طَوْقَ الهِلال من جِيد الدهر ، ونقص من شَهْرٍ ما زاد فى شهر .

وسرَق العِيد ، واختلَس بُرْدَه الجديد .

* كأن العيدَ أموالُ اليتامى *

فقتل[1] جَبِينَ الهلال من غير غُرَّة[2] ، وسلَخ ذلك الشهرَ سلْخًا بلَعْنِ مَن غرَّه .

فلما اسْوَدَّت الشمسُ كَمَدًا بالكُسوف ، وتوارَى القمرُ خلفَ مِجَنِّها خوفَ الحُتوف ، قال العيد : اللهُ أكبر، على مَن طَغَى وتجبَّر .

وجاء شَوَّالُ باكيا ، ورفع رُقْعةَ المليك شاكيًا :

قِصَّتى قد أتتْ إماماً هُماماً تشتكى الظُّلْمَ حين صرتُ مُضاماً

رُقعــةٌ فى يدِ المَليك طَواها لِيَراها المليكُ فى العزِّ داماً

أنا شَوَّالُك الفقــيرُ الذى قد خُصَّ بالعِيدِ والصَّلاةِ دَواماً[3]

بعد شهرِ الصيامِ قد زُرْتُ قوماً جائماً أبتغِى بهم إكْراماً[4]

ولِىَ العِيــدُ حُلَّةٌ وهِلالِى لِىَ طَوقٌ من فوق جِيدٍ تَسامَى[5]

رمضانُ اعتــدَى علىَّ وأمسَى غاصِباً ذاك لا يخافُ مَلاماً

أختَشِى ذَبْحَــةً بنَصْلِ هِلالِى ثم سَلْخًا له وتَرْكِى المُقاماً[6]

لا تُضيِّعْ حقِّى بشاهدِ زُورٍ هو أعمَى بَصِــيرةٍ أو تعامَى

---

(١) فى ا : « فقيل » والمثبت فى : ب . (٢) الغرة : عبد أو أمة . المصباح المنير ( غ رر ) ٥٣٢ .

(٣) فى ريحانة الألبا : « أنا شوال الفقير ... والصلاة دواما » . (٤) فى الريحانة : « أبتغى لهم إكراما » .

(٥) فى الريحانة : « من فوق جيدى تسامى » . (٦) فى الريحانة : « أختشى ذبحه بنصل هلالى » .

جَبْهَةَ الشَّاهِدِ أَكْوِهَا فَهْوَ وَسْمٌ  لِكَذُوبٍ عن زُورِهِ ما تحامَى
إن كَيَّ الخسوفِ للشمسِ ظُلْمٌ  وكذا الدهرُ لم يزَلْ ظَلَّاما

* * *

وكتب لرئيسٍ كان يمزَح باليَد :

سيِّدى إن كان فيه دُعابَة ؛ فرايةُ مَجْدِهِ لم تُرَ إلَّا في يَمِينِ عُرابَة[1] .

وإن فرَط منه للمُحافظة باللِّطام ، فلَطْمُه لطمة ابنِ جُدْعان ويفتقِر لَطْمُ كَفٍّ يَفِيضُ بالإحْسانِ والإنْعام .

* * *

ابن جُدْعان، هو عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم[2] بن مُرَّة ، سيِّدُ قُرَيش فى الجاهليَّة ، وفى داره حِلْفُ الفُضُول المشهور فى السِّيَر .

وكان قد أسْرَف فى جوده لمَّا كَبِر، فأخذت بنو تَيْم على يدِه ، ومنَعُوه أن يُعْطِيَ من مالِه شيئا ، فكان يقول لمن أتاه : أُدْنُ منِّي . فإذا دنَا منه لَطَمَه ، ثم يقول : اذهبْ فاطلُبْ القِصاصَ منِّي أو يُرْضِيكَ رَهْطِى .

فتُرْضِيه بنو تَيْم بما يُرِيد ، وفى ذلك يقول عبد الله بن قَيْس الرُّقَيَّات[3] :

والذى إن أشار نحوكَ لَطْماً  تَبِعَ اللَّطْمَ نائلٌ وعطاء

ونحو هذا ما يُحكَى عن بعض الأسْخياء من الأمراء ، أنه أفْرط فى الجُود، فحجَر عليه أهلُه ، ومنعوه من أن يُعْطِيَ شيئاً ، فأنفذ إليه بعضُ الشعراء قصيدةً ، فكتب إليه أن اذهبْ إلى القاضِى ، وادَّعِ علَيَّ بعشرين ألف درهم من جِهة قَرْض ، فأعترف لك ، فإذا حُبِست وصلَتْك الدراهمُ من أهلِي ، فإنهم لا يدعونى أنامُ فى الحَبْس .

---

(١) تقدم التعريف بعرابة بن أوس .  (٢) فى الأصول هنا وفيما يلى «تميم» وهو خطأ فإنه من رهط أبى بكر الصديق رضى الله عنه . انظر المحبر ١٣٧ ، وسيرة ابن هشام ٢٦١/١ ، ٢٩١ ، ٦٨٢ .
(٣) ديوانه ٩٣ .

ففعل ذلك ، وأخذ الدراهمَ منهم .

***

ومن شعره المُنتخَب من « ديوانه » قولُه من مَقْصورته النَّبَوِيَّة ، التي مطلعُها :

أيا شقيقَ الرَّوْضِ حيَّاه الحَيَا     فاحْمَرَّ وردُ خَدِّه من الحَيَا

لأنتَ تِرْبُ الغصْنِ نَشْوانَ إذا     أدارت السُّحْبُ له خَمْرَ النَّدَى

وامْتلأتْ كاسُ الشَّقِيقِ سُحْرَةً     فاحْمَرَّ من خَجْلَتِه خَدُّ الطَّلَا

منها في الغزَل :

شِفاء وَجْدِى لَثْمُ خالِ خَدِّه     والحَبَّةُ السَّوْداء للدَّاء شِفَا

يتركني تَرْكَ الظَّلِيمِ ظَلْمُهُ     وهذه شِيمةُ آرامِ الفَلَا[(١)]

تعلَّمتْ منه الليالى غَدْرَها     فأنْجَزتْ باليأْسِ مِيعادَ الرَّجَا

ومن وصف السَّحاب في الرَّوض :

غمائمٌ لُعْسُ الشِّفاهِ ابْتَسَمتْ     عن ثَغْرِ بارقٍ إذا الثَّغْرُ بَكَا

تفُكُّ مِن مَحْلٍ وجَدْبٍ أسْرَهُ     وتنثُرُ الدُّرَّ على هامِ الرُّبَى

يسُوقها الرعدُ بصوتٍ مُذْهَبٍ     من بَرْقِه وهى بَطِيَّاتُ الخُطَا

ومن وَصْفِ المَهْمَهِ :

لا يَبلُغُ الطَّيْفُ إليه فَرَقًا     وفيه ليستْ تهتدى كُدْرُ القَطَا

بالتُّرْسِ تسْرِى الشمسُ فوق أُفْقِهِ     والصُّبْحُ يلْقاه بعَضْبٍ مُنْتضَى

ومن وصف المَجَرَّة :

مَجَرَّةٌ في شَفَقٍ كأنهـــا     والزهرُ فيها ذاتُ مَنْظرٍ زَهَا

نَهْرٌ به كَفُّ الشَّمالِ نثرتْ     وَرْدًا ونَسْرِينًا جَنِيًّا قُطِفَا

---

(١) الظليم : ذكر النعام ، والظلم ، بالفتح : ماء الأسنان وبريقها .

منها :

على أغَرَّ أدْهَمٍ قد طلَعتْ مِن وجهِه فى ظُلْمةِ الليل ذُكَا
غُرَّتُه من تحت هُـــدْبِ شَعْرِهِ طُرَّةُ صُبْحٍ تحت أذْيالِ الدُّجَا[1]

***

من قول ابن نُباتَة فى الغزل[2] :

قلتُ وقد أبْدَى جَبِيناً واضحاً وفوقه لَيْـــلَ دَلالٍ قد دَجَا
أفْدِى الذى جَبِينُه وشَعْرُهُ طُرَّةُ صُبْحٍ تحت أذْيالِ الدُّجَى[3]

***

أدْهَمَ قيْـدِ كُلِّ وَحْشٍ شارِدٍ قَبَّلَه الليـــلُ فكُلُّه لَمَى

***

مَعْنًى مُتداوَل ، قال المتنبى[4] :

نَيْلُ المُنَى وحُكْمُ نَفْسِ المُرْسِلِ[5]
وعَقْــلَةُ الظَّبْىِ وحَتْفُ المُتْفَلِ[6]
كأنه من عِلْمِـه بالمَقْتَـــــلِ

---

(١) ضمن عجز بيت ابن دريد ، وصدره :

* إمَّا تَرَىْ رأسِىَ حاكَى لونُهُ *

شرح مقصورة ابن دريد ٣ .

(٢) جاء البيت الثانى فى ديوان ابن نباتة المصرى ٩٦ ، وجاء بعد قوله :

ما لى به مع قُرْبِ دارى مُلْتقى فهـــل رأيتَ ثَغرَهُ المُفلَّجا

وجاء هذا التضمين أيضا فى بيتين لابن نباتة ، فى ديوانه ٩٥ هما :

جاء الطَّواشِىُّ بها نَصَفِيَّةً كأنهـــا الصبحُ إذا تبلَّجا
مَسْتورةً بذَيْلِه فحَبَّـــذا طُرَّةُ صُبْحٍ تحت أذْيال الدُّجى

(٣) فى ديوان ابن نباتة : « جبينه فى شعره » . (٤) ديوانه ١٢٢ . (٥) فى ا : « وحكم النفس مرسل » ، والمثبت فى : ب ، والديوان . (٦) فى الديوان : « وحتف التنفل » .

عَلَّمَــه بُقْراطُ فَصْدَ الأَكْحَلِ [1]

وقد أَلَمَّ المُتَنَبِّي فيه بقول الطَّائِيّ [2] :

كَوَاعِبُ أَتْرَابٌ لِغَيْدَاءَ أَصْبَحَتْ ... وليس لها في الحُسْنِ شِكْلٌ ولا تِرْبُ

لها مَنْطِقٌ قَيْدُ النَّوَاظِرِ لم يَزَلْ ... يَرُوحُ ويَغْدُو في خَفَارَتِهِ الحُبُّ [3]

وأَوَّلُ من اسْتَأْثَرَ هذا المعنى امْرُؤُ القَيْس في قوله [4] :

وقد أَغْتَدِي والطيرُ في وُكُنَاتِهَا ... بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ

* * *

منها :

نَجَائِبُ قد طَفِقَتْ أَخْفَافُهَــا ... في الرَّمْلِ تُبْدِي لي ضَمَائِرَ الثَّرَى

منها في المديح :

قد سَتَرَ الجمالُ حُسْنَ وَجْهِهِ ... صَوْنًا لأَبْكَارِ العُقولِ والنُّهَى

* * *

من قَوْلِ الرُّسْتُمِيِّ [5] :

بُدُورٌ زَهَتْهُنَّ المَحَاسِنُ أن يُرَى ... لَهُنَّ نِقَابٌ فالوُجوهُ سَوَافِرُ

والرُّسْتُمِيّ أَخَذَه من قَوْلِ عمر بن أبي رَبِيعة [6] :

ولما تَنَازَعْنَا الحديثَ وأَسْفَرَتْ ... وُجوهٌ زَهَاهَا الحُسْنُ أن تَتَقَنَّعَا [7]

---

(١) في الديوان :

* عَلَّمَ بُقْراطَ فِصادَ الأَكْحَلِ *

وانظر التعليق عليه في حاشية الديوان ، وانظر الوساطة ٤٧٢ .

(٢) ديوان أبي تمام ٣٠ . (٣) في الديوان : «لها منظر» . (٤) من معلقته في ديوانه ١٩ .

(٥) يعني أبا سعيد محمد بن محمد بن الحسن الرستمي ، من أبناء أصبهان ، وأهل بيوتاتها ، وهو من شعراء اليتيمة ، والبيت فيها ٣/٣٠٦ . (٦) البيت في ديوانه ١٧٩ ، ويتيمة الدهر ٣/٣٠٦ ، بدون نسبة . (٧) هذه الرواية توافق ما في اليتيمة ، وفي الديوان :

* فلمَّا تَوَاقَفْنَا وسَلَّمْتُ أَشْرَقَتْ *

وهذا أحدُ التَّوَاجِيه لبيت المَعَرِّىّ[١] :

ويا أَسِيرَةَ حِجْلَيْها أرى سَفَهاً حَمْلَ الحُلِىِّ بِمَن أعْيَى على النَّظَرِ[٢]

* * *

فوقَفَ الحُسْنُ عليه حائراً مُتيَّماً وَلْهانَ فى ذاك البَهَا

تَهْوَى الصَّبَا شمائلَ اللُّطْفِ به فلا تُداوِى سُقْمَها أيْدِى الأسَا

إلّا إذا ما لَمَسَتْ ضَرِيحَه فكم سَقامٍ من تُرابِهِ اشْتَفَى

سَرَى إلى السَّبْعِ الطِّباقِ جسمُه فى صُحْبَةِ الرُّوحِ الأمينِ ورَقَى

إن قطَعَ الأفْلاكَ سُرْعَةً فلا بُعْدَ فإنَّ ذاتَه شمسُ الضُّحَى

حَوافِرُ البُراقِ مِن آثارِها قد ظَهَرتْ فيه أهِلَّةُ السَّما

يُغْنِى عن المدحِ رَفِيعُ قَدْرِهِ فيُمْدَحُ المدحُ به وما دَرَى

كلُّ لِباسٍ للمديحِ قاصِرٌ عنه يَحُلّ رَحْلَه دون المَدَى

سال لُعابُ الشمسِ ممّا تشتَهِى لَذِيذَ هاتِيك المَعانِى إذْ حَلَا

* * *

وقد استعملَ ابنُ سَناء المُلْك هذا ، فى قوله يهجُو الشمس[٣] :

أنتِ عجُوزٌ لِمْ تَبَهْرَجْتِ لِى وقد بَدا منك لُعابٌ يَسِيلْ

* * *

فصاحةٌ ما الشِّعر منها بالغٌ ببَحْرِه قطرةَ وَصْفِ ذِى صَفَا

لذلك قد قَطَّعَه الناسُ وقد دارتْ به دَوائرُ القومِ الأُلَى

* * *

وما أحْسَنَ قولَه فى وصف المَقْصورة :

---

(١) شروح سقط الزند ١/١١٦ . (٢) فى شروح سقط الزند : « عن النظر » .

(٣) ديوانه ٢/٥٢٨ ، وفيه : « لم تبرجت لى » .

بين يَدَيْها ابنُ دُرَيدٍ حاجِبٌ وأَلِفاتُ شِعْرِه مِثْلُ الْعَصَا
ذَيْلُ الدُّجَى بِعَرْفِها مُمَسَّكٌ مُضَمَّخٌ خَلُوقُها بُرْدَ الضُّحَى

***

ومن هَمْزِيَّته النَّبَوِيَّة ، التي أولها :

ما سُلَيْمَى ما هندُ ما أسماءُ أنتَ مَعنًى وكلُّها أسماءُ
وهْو حِزْبِي ووِرْدُ كُلِّ لسانٍ ولَكَم أَخْصَبَتْ به الشَّهْباءُ
ذاكَ حِزْبُ البحر الذي لا يُلاقِي من يُدِمْ ذِكْرَه عَنًا وبَلاءُ

منها :

وجَدُوه دُرًّا يَتِيماً تَرَبَّى لم يُدَنِّسْهُ عُنْصُرٌ وهَبَاءُ

***

الهباء : الأجزاء التي تُؤلِّف منها العناصر ، كما في « الفُتوحات[1] » .

***

ذاكَ كَيْلا يكونَ مَنٌّ عَلَيْهِ لأُصولٍ له إليْها اعْتِزاءُ

***

في حديث الراهبِ بَحِيرَى[2] ، لمـا سأل أبا طالب : ما هذا منك ؟

قال : ابني .

قال : هذا لا ينبغِي أن يكون أبوه حيًّا .

فيـه إشارةٌ إلى أن اليُتْمَ كَمالٌ في حقِّه ، وقد بُيِّن بأن الحِكْمةَ فيـه أن لا يجب عليه طاعةٌ لغيرِ الله ، ولا يكون عليه ولايةٌ ولا مِنَّةٌ لغيرِه ، ولا يتوجَّه عليه حَقٌّ لمخلوق ، ولا يُنْسَب لقَطِيعةٍ ولا عُقوق .

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي ١/١٥٢ (٢) في الأصول « بحيرة » ، والمثبت في السيرة ١/١٨٠ ، والخبر الآتي فيها ١/١٨٢ .

كذا فى شرح « تائية السُّبْكِيّ » ، لابن الهَيْتَمِيّ[1] .

***

منها :

خُلُقٌ للصَّبَا شَقِيقٌ فمنها … نَصْرُه والعِدَى لها النَّكْباء[2]

مُذْ أظلَّ الزَّمانَ منه وُجودٌ … حسَدَتْه الأزْمانُ والآناء

وعليه إذا غارَ من عينِ شمسٍ … ظلَّلتْه سَحابةٌ وَطْفاء[3]

وبه زَهْرةُ الحياةِ رَبيعٌ … مُذ أظلَّت مَوْلُودَه الخضْراء

وغدَتْ أرضُه سماءً بفَخْرٍ … فهْى خَضْراءُ ثُمَّ لا غبْراء

وله الأرضُ مَسْجِدٌ لجميعُ … مَن عليها له به الاقْتِداء

وسُطورُ الصلاةِ حُجَّةُ دِينٍ … وبخَتْمِ النُّبوَّةِ الإمْضاء

وبه شُرِّفَتْ فكانت طَهُوراً … وتساوَى البُلْدانُ والصَّحْراء

منها :

وله الضَّبُّ ناطِقٌ باعْترافٍ … ومن السَّعْدِ تنطِقُ العَجْماء

مع ذَا سَفَّه النِّفاقُ أُناساً … ما لِضَبٍّ من حِقْدِهم نافِقاء[4]

ليس فيهم سِوَى أعِنَّةِ خَيْلٍ … وقَنَا الخطِّ فى الوغَى سُفَهاء

ومِراضُ القلوبِ قد قَصَدتْهم … سُمْرُه حين حَمَّتِ الهَيْجاء

ما سَقاهم إلَّا كئُوسَ المَنايَا … ربَّ داءٍ له المماتُ دَواء

---

(١) يعنى شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الهيتمى ، ابن حجر ، المتوفى سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة .
وقد ذكر الخفاجى بعض أبيات هذه التائية فى الريحانة ١/٥١ ، ٥٢ ، وذكر أنها منسوبة لابن السبكى ، وأنه نظم فيها معجزات النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن بعض المتأخرين شرحها .
وذكرت فى حاشية تلك الصفحة أن الأستاذ خير الدين الزركلى ذكر فى الأعلام ١٠/١٨٦ ، أن محمد بن أحمد ، ابن المحلى ، المتوفى سنة تسعين وثمانمائة شرح هذه التائية ، وهى مخطوطة بالمكتبة العربية بدمشق .

(٢) النكباء : ريح انحرفت ووقعت بين ريحين ، أو بين الصبا والشمال . القاموس ( ن ك ب ) .

(٣) سحابة وطفاء : متدلية من ثقل ما بها .

(٤) نافقاء الضب : جحره .

هُمْ ثِقالٌ إذا رَحَى الحربِ دارتْ ... وبنـــادِيهم هُمُ الأرْجاءُ[1]

تُغْمَدُ البِيضُ فى طُلاهمْ بفَتْكٍ ... مُضَرٌ لُقِّبَتْ به الحَمْراءُ

***

هذا من الأسرار العجيبة فى اللغة العربيَّة ، وهو الإشارةُ إلى حالِ اللَّفظ أو جهةِ وَصْفِه ، كقول ابن الرُّومِيِّ[2] :

غارتْ عليهنَّ الثُّدِيُّ م هناكَ مِنْ مسِّ الغَلائِلْ

وإذا لبِسْنَ خَـــلاخِلاً كَذَّبْنَ أسماءَ الخلاخِـــلْ

وقال الشريف الرَّضِيُّ[3] :

وغَيَّرَ ألْوانَ القَنَا طولُ طَعْنِهمْ ... فبالْحُمْرِ تُدْعَى اليومَ لا بالْقَنَا السُّمْرِ

وقال[4] :

سُمِّيَتِ الغَبْراءُ فى عَهْدِهِمْ ... حَمْراءَ من طُولِ قِطارِ الدَّمِ[5]

وقال الغَزِّيُّ[6] :

حيثُ القَناةُ تُرَى قَناةً كاسْمِها ... من نَضْحِ عَيْنِ الطَّعْنَةِ الرَّشَّاشِ

وقال ابنُ حازِمٍ[7] :

جعلُوا الْقَنا أقْلامَهم وطُرُوسَهمْ ... مُهَجَ العِدَى ومِدادَهنَّ دِماءَهَا

وأظُنُّ أن الأقْدَمِينَ لِذا رَأَوْا ... أن يَجْعلوا خَطِّيَّةً أسْمـــاءَهَا

وقال المُتنبِّي فى الدنيا[8] :

شِيَمُ الغانياتِ فيها فما أدْرِى ... لِذا أنَّثَ اسمَها النَّاسُ أوْ لا

---

(١) فى الأصول : « هم تنال إذا رحى الحرب دارت » ، ولعل الصواب ما أثبته . والثفال : ما وقيت الرحى من الأرض . (٢) لم يرد فيما طبع من ديوانه .

(٣) ديوانه ١/٣٨٩ . (٤) ديوانه أيضا ٢/٧٤٧ . (٥) القطار : جمع القطرة ، وهو يعنى لمر الدم . (٦) إبراهيم بن عثمان ، تقدم التعريف به فى الجزء الأول ، صفحة ٢١٨ .

(٧) هكذا جاء فى الأصول ، ولم أعرفه ، ولعله حازم القرطاجنى ، الذى تقدم التعريف به ، فى الجزء نى ، صفحة ٦٢ . (٨) ديوانه ١ / ٤٠١ .

وقال الشّابّ الظّريف[1] :

أدُورُ لتقبيلِ الثّنايا ولم أزلْ … أجُودُ بنفسي للنّدامى وأنفاسي

وأكسُو أكُفَّ الشُّهبِ ثوباً مُذهّباً … فمِن أجلِ هذا لقبُونِي بالكاسِ

وقال الخفاجيّ :

ما السرُّ سِرٌّ إذا أظهرْتَه لِفتًى … سِواكَ والسِّرُّ لِلإخفاءِ قد صُنِعا

* * *

منها تتمّة :

قد محاهمُ وطهّرَ الأرضَ منها … ومع السّيلِ لا يقرُّ الغثاء

وبُطونُ الطّيرِ أمستْ قُبوراً … لِلعدى إذ تمزّق الأشلاء

ما سمِعْنا بالقبْرِ سار اشتياقاً … لِيُوارِي سَوْآتِ مَن قد أساءوا

رُبّ من كان زِئبقاً فرّاراً … صار عَبْداً لِرِقّه استمساء[2]

لم يقِلْ والظّلالُ صارتْ مِهاداً … فوْقَه الآلُ بُرْدَةٌ سِيراء[3]

منها :

هو نورٌ فما لَه قطُّ ظِلٌّ … لاحَ لولا بُرودُه والرّداء

إن نفَى ظُلمةَ عياه جمالٌ … فبِظِلٍّ له يعِزُّ البقاء

صِينَ عن أن يجرّ في التُّربِ ذيلٌ … مِن ظِلالٍ له كما الأفياء

فرَشَ الناسُ ظِلّهم واحتذوْه … عند ما قام للنّهارِ استِواء

كيف يبدُو ظِلٌّ لِشمسٍ تعالَتْ … واستوَى الإستواء والإرتقاء

أتُراه يُصانُ عن حرّ جوٍّ … إذْ أظلّتْه سُحْبُه والعماء

---

(١) تقدم التعريف به ، فى الجزء الأول ، صفحة ٣٨ .
والبيتان فى ديوانه ٤٢ ، قالها على لسان الكاس .

(١) كذا بالأصول ، ولعلها : « استغساء » من غسا الليل بمعنى أظلم .   (٢) بردة سيراء : مخطط

أمْ عليه تَغارُ مِن عَيْنِ شَمْسٍ    مُدَّ مِن دونها عليه الغِطاء
لم تَرَ العَيْنُ مِثْــــلَه فلهذا    يَنْمَحِي ظِلُّه إذا الناسُ فاءوا
لَبِسَ الظِّلُّ مِن نَواهُ حِداداً    فظِلالُ الورَى لِذَا سَوْداء

* * *

مِن هذا يُعْلَم قُدرتُه على الكلام وتَصرُّفه ، وبالجملة فلم أرَ أحداً مثلَه أطاعتْه ألفاظُ الكلام وأحْرُفُه .

وقد استعملَ الظِّلَّ فى معنًى غيرِ ما نظمه هنا من رُباعيَّة له[1] :

ماجُرَّ لِظلِّ أحمــدَ أذيالُ    فى الأرضِ كَرامةً كما قد قالُوا
هَــذا عَجَبٌ ويالَه مِن عَجَبٍ    والناسُ بظِلِّه جميعاً قالُوا[2]

* * *

لَيلةٌ أنجبتْ وقد حَمَلتْــــه    وبِــذا ما أنجبتْ سَوْداء
جَنَّةٌ كلُّ بُقْعةٍ حَلَّ فيها    ليس فيها لَغْوٌ ولا شَحْنــــاءُ
وأهالِى الجِنانِ ليس يَنامُو    نَ لذا كانَ نَوْمَه الإغفاءُ
يَقِظُ القلبِ فالجفونُ هُجودٌ    ومَحارِيبُ حاجِبَيْه قُبــــاءُ
فُوهُ لم يَنْفتِحْ بغيرِ سَدادٍ    لا تَمَطٍّ له ولا تَوْباءُ

* * *

التَّوْباء : التَّثاؤُب .

قال ابنُ حَجَر فى « شرح الهَمْزيّة » : جاء أن النبيَّ صلَّى الله عليــه وسلم حُفِظ من التَّثاؤُب ، بل جاء أن كلَّ نَبِيٍّ كذلك .

---

(١) الرباعية فى ريحانة الألبا ١/٥١ ، نسيم الرياض ٣/٣١٩ .

(٢) فى الريحانة : « هذا عجب وكم له من عجب » .

و « قالوا » الأولى : من القول ، والثانية : من القيلولة .

وذكر المترجَم ، في « شرحه على الشّفاء » ، عند قوله[١] :

ومن دلائل نُبُوّتِه أنّ الذبابَ كان لا يقعُ على ماظهرَ من جسدِه الشريف ، ولا يقعُ على ثيابهِ ، ماملخَّصه : وهذا مما قاله ابنُ سبع أيضا ، إلّا أنهم قالوا : لا يُعلَم مَن روَى هذا .

وهذا ممّا أكرمه الله تعالى به ؛ لأنّه طهّره من جميع الأقْذار .

وقد نظم[٢] هذا في رباعيّة ، وهى :

مِن أكْرَم مُرْسَل عظيم جَلّا لم تَدْنُ ذُبابةٌ إذا ماحَلّا[٣]

هذا عَجَبٌ ولم يذُق ذو نَظَرٍ في الموجُوداتِ مِن حُلاه أحْلَى

قال[٤] : وتظرّف بعضُ الأعاجِم ـ ومُرادُه به المُلّاجامِي[٥] ـ فقال : محمد رسولُ الله ليس فيه حرْفٌ مَنْقوط ؛ لأن النَّقْطَ يُشْبِـهُ الذبابَ ، فَصِينَ اسْمُـه ونَعْتُه عن النَّقْط .

ونظمه فقال :

لقد ذُبَّ الذُّبابُ فليس يَعْلُو رسولَ اللهِ محموداً مُحَمَّدْ

ونَقْطُ الحَرْفِ يُشْبِهُهُ بشَكْلٍ لذاكَ الخطُّ عنه قد تجرَّدْ[٦]

* * *

صَمَّمُوا آراءَهم على الفَتْك فيهِ فتوارَتْ نَخْــوُفِه الآراءُ

---

(١) شرح الشفاء ٣١٩/٣ ، والفصل أيضا في خلاصة الأثر ٣٣٥/١ .

(٢) أي الخفاجي ، وهي في : خلاصة الأثر ٣٣٥/١ ، نسيم الرياض ٣١٩/٣ ، ٣٢٠ .

(٣) في نسيم الرياض : « عظيم حــلا » .

(٤) هذا أيضا في : الخلاصة ٣٣٥/٣ ، ونسيم الرياض ٣٢٠/٣ .

(٥) عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الجامي .
مفسر ، متصوف ، فاضل ، ضليع في علوم اللسان .
توفي سنة ثمان وتسعين وثمانمائة .
شذرات الذهب ٣٦٠/٧ ، الشقائق النعمانية ٣٨٩/١ ـ ٣٩٢ ، الفوائد البهية ٨٦ ـ ٨٨ .

(٦) في خلاصة الأثر ، ونسيم الرياض : « ونقط الحرف يحكيه » .

ورأَوا نفْيَه لِحَيٍّ سِــــواهُمْ ولــكم أثبتَ المِراءَ انتِفــــاءُ

لم يُصِبْ نَصْبُهم مَــكائدَ شرٍّ وتَساوى التَّحْذيرُ والإغْراءُ

نَبحُ كلبٍ بلَيْلةِ التِّمِّ بَدْراً لم يُفِدْه إلّا العَــنا والعُواءُ

منها :

ولِغَيظٍ على سُراقةَ عَضَّتْ سُوقَ نَهْدٍ من تحتِه الدَّهْناءُ (١)

وعلى أمِّ مَعْبَدٍ نالَ حتى بِعُلاها تحــــدَّث الأحْياءُ

ورَفيعَ العِمادِ أصْبَح لمَّـا أنْ حوَى قَدْرَه الرَّفيعَ الجُفاءُ

وبيُمْنٍ منه له الشَّاةُ درَّتْ وهْي للهِ دَرُّها عَجْفــــاءُ

وطَعَــامٌ لجابرٍ إذْ أتاه وبخَفْضِ الإضــافةِ النَّعْماءُ

كطعامِ الجِنانِ من غيرِ قَطْعٍ لجميعِ الأنامِ فيه اكْتِفاءُ

* * *

وله فى وَصْف تلك الذَّات ، التى وَصْفُها أشْهَى اللَّذَّات ، من قصيدة طويلة :

تَملَّكَ حبَّاتِ القلوبِ لأجل ذا دَعاهُ حَبيباً كلُّ صَبٍّ مُتَيَّمِ

ويوسُفُ لم يظْفَرْ بمَسْحةِ حُسْنِه على أنه ربُّ الجمالِ المُكرَّمِ

* * *

يُقال : عليه مَسْحةٌ من كذا ، أى أثر . قال (٢) :

* على وَجْهِ مَيٍّ مَسْحةٌ مِن مَلاحةٍ *

---

(١) فى ا : « ولقيظ على سراقة » والكلمة غير واضحة فى : ب ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) أى ذو الرمة ، وهو صدر بيت له فى ديوانه ٦٧٥ ، وعجزه :

* وتحت الثِّيابِ الخِزْىُ إن كانَ بادِيا *

وفى الحديث : « عَلَيْهِ مَسْحةٌ مِنْ مَلَكٍ »(١) ، وهى تعبيرٌ بليغ ، وهو خاصٌّ بالمدح .

***

فأينَ النِّساءُ القاطِعاتُ أَكُفَّهــا     وشَقُّ ابن مُزْنٍ صَـدْرَه شَقَّ مُغْرَمِ

ودُرٌّ يَتِيمٌ لم يُهَذِّبْه كافِـــلٌ     وآدابُه ليست إلى النـاس تَنْتمِى

يقول أنا الأُمِّىُّ فى اللَّوحِ ناظِرٌ     وفى مَـكْتَبِ الأرْواحِ رَبِّى مُعَلِّمِى

منها :

إذا لاح فى مَوْضُونَةِ السَّرْدِ خِلْتَهُ     خِضَمًّا تَرَدَّى بالغَدِيرِ المُنَسَّمِ(٢)

أأعْــــداؤه خُشْبٌ مُسَنَّدَةٌ ولم     تَحِنَّ حَنِينَ الجِذْعِ حين التَّأَلُّمِ

أم الصَّخْرُ إنَّ الصَّخْرَ سَلَّمَ إذْ بَدا     وما سَلَّمتْ تَسْليمَ أخْرسَ أعْجَمِ

منها :

فَسَلْ يوم بَدْر حين لاحتْ نُجُومُه     وشمسٌ بغَــيْرِ النَّقْعِ لم تتَلَثَّمِ

بكُلِّ كَمِىٍّ كان فى بَطْنِ أُمِّــه     تعلَّمَ أن يُغْذَى ويُرْوَى من الدَّمِ

***

لم أسمعْ فى هذا المعنى أبْدَع من قَوْلِ أبى بكر الإشْبِيلىّ المعروف بالأبْيَض(٣) ، فى تهنئة بمولود(٤) :

أصاخَتِ الخيلُ آذانًا لِصَرْخَتِهِ     واهتَزَّ كلُّ هِزَبْرٍ عندما عَطَسا(٥)

---

(١) فى النهاية ٣٢٨/٤ ، ٣٥٩ : « عليه مسحة ملك » ، والضمير عائد على جرير بن عبد الله .

(٢) الموضونة : الدرع المقاربة النسج .
وفى ا : « بالغدير المسنم » ، والمثبت فى : ب .

(٣) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الأنصارى الإشبيلى ، المعروف بالأبيض .
كان من فحول شعراء المغرب المذكورين بالسبق فى الشعر والأدب .
توفى بعد سنة خمس وعشرين وخمسمائة .
المطرب من أشعار أهل المغرب ٧٦ ، المغرب فى حلى المغرب ١٢٧/٢ .

(٤) الأبيات فى : المطرب ٧٦ ، والمغرب ١٢٨/٢ .    (٥) فى المغرب : « وارتاع كل هزبر » .

تعشَّقَ الدِّرْعَ مُذْ شُدَّتْ لفائفُهُ وأبغضَ المهْدَ لمّا أبصرَ الفرَسا[1]
تعلّمَ الرَّكْضَ أيّامَ المخاضِ بِهِ فما امْتطَى الخَيْلَ إلّا وهْوَ قد فرَسا

***

وله من أخرى مُسْتهلها :

يالَيْتَنِي ثانٍ لِحادٍ حَداكْ ورابعُ الكَهْفِ لِكَهْفٍ حَواكْ
وليت نَوْءَ الطَّرْفِ في رَوْضةٍ أنتَ بها رَغْمًا لِنَوْءِ السِّماكِ
أسْقِي بِها مَثْواكَ يامُنْيتِي هل تُسْكَبُ العَبَراتُ إلا هُناكْ
يا ابْنَ الذبيحَيْنِ وقد فُدِّيا ليت جميعَ الخلْقِ كانوا فِداكْ[2]
فما استحقَّ العنبرُ الرَّطبُ أن يُحرَقَ إلا حين حاكى ثَراكْ
ليت وُجوهًا لأعادِيكَ لو أمسَتْ نِعالاً حاجِباها شِراكْ
لم تحكِكَ السُّحْبُ ولا البحرُ في جُودٍ ولا فاز بما في لُهاكْ
فالبَرْقُ لم يَلْمعْ ولكنّه يَضْحَكُ من وابِلِ غَيْثٍ حَكاكْ

***

وله :

أيُغْلَبُ من له الأمْلاكُ جُنْدٌ وربُّ العرْشِ قد أمْسَى مُعِينا
وقَبْلَ جُيوشِه هُزِمتْ قلوبٌ برُعْبٍ خِلْتَه سبَقَ المَنُونا
ولو ثَبَتُوا لَفَرَّ الهامُ منهمْ وأرْواحٌ لهم كانتْ كَمِينا

***

وله :

لِرَسُولِ الإلهِ أعْلَى مَقامٍ ليس يَدْرِي به جميعُ الكَلامِ

---

(١) في المغرب : « إذ شدت . . . وأنكر المهد لما عاين الفرسا » ، وفي الأصول : « لما أبغض الفرسا » وهو خطأ ، صوابه في : المطرب . (٢) يعني بالذبيحين إسماعيل عليه السلام ، وعبد الله ابن عبد المطلب والد النبي صلى الله عليه وسلم .

وله هِمَّــــةٌ وعَزْمٌ رفيعٌ     جَلَّ عن أن يُرْتَضَى بِمِلْكِ الْحُطامِ

فــــلذا لم يكُنْ له مِيراثٌ     غيرَ شَرْعٍ وغيرَ عِلْمٍ سامِي

لو تـكون الدُّنْيا له مِيراثًا     مِثْلَ ما كان فى جميعِ الْأَنامِ

ما حَواهَا الصِّدِّيقُ فى عَصَباتٍ     وذَوِى الفَرْضِ من أُلِى الأَرْحامِ

وهْو حَىٌّ فى قَبْرِه ورسولٌ     لم يُوَرِّثْ حيًّا ذَوُو الأَحْلامِ

فَدَكٌ قد قضَتْ علينا بهـــذا     وحديثُ العبَّاسِ والأَعْلامِ(١)

فَادْرِ هذا فإنه جَوْهَرٌ قد     حَفِظتْه خَزائِنُ الأَفْهـــامِ

لا يَغُرَّنَّكَ الذى قال قومٌ     حين ضَلُّوا فى مَهْمَهِ الأَوْهامِ

***

ومن أخرى :

فالجِذْعُ حَنَّ وأَنَّ مِن جَزَعٍ     لِفراقِ طٰهٰ بعْدَما خَطَبَا

وغَدا غِراسًا فى الجِنانِ له     ثَمَرٌ يَطِيبُ بِمَنْهَلٍ عَذُبَا

والمُشرِكون قَسَتْ قلوبُهمُ     فطَغَوْا ولم يُصْغُوا لخيرِ نَبَا

فغَدَوْا وهم خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ     ستَراهمُ لِجَهَنَّمٍ حَطَبــــا

***

وله(٢) :

لِوَالِدَىْ طٰهٰ مَقــــامٌ عَلَا     فى جَنَّةِ الْخُلْدِ ودارِ الثَّوابْ

وقَطْرَةٌ من فَضَلاتٍ له     فى الجَوْفِ تُنْجِي مِن أَلِيمِ العِقابْ(٣)

---

(١) فدك : قرية بالحجاز ، بينها وبين المدينة يومان ، وقيل : ثلاثة ، أفاءها الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، فى سنة سبع صلحا . معجم البلدان ٣/٨٥٥ .

وانظر حديث فدك ، وميراث فاطمة والعباس رضى الله عنهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحيح مسلم ٣/١٣٧٨ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٣ (باب حكم الفىء ، من كتاب الجهاد والسير) .

(٢) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٣٣٣ .     (٣) فى خلاصة الأثر : « فقطرة من فضلات له » .

فكيف أزحامٌ له قد غدَتْ حاملةً تَصْلَى بنـــارِ العـــذابْ

* * *

وله :

رُواةُ حَديثِ المصطفَى قد دعَا لهمْ بنَضْرةِ وَجْهٍ فى المَسرَّةِ لا تُحَدّ
وإنِّىَ قِدْمًا خادمٌ لحـــديثِهِ يَرَاعِي بمِحرابِ الطُّرُوسِ له سَجَدْ
فحَاشَاهُ أن يَرْضَى بذِلَّةِ عَبْدِهِ ويهْدِمَ بُنيانًا عليـــه قد اعْتَمَدْ
إليه اسْتِنادِى فى جميعِ مَقاصِدِى وما خابَ مَن كان الرسولُ له سَنَدْ

* * *

وله فى قِصَّةِ عامرٍ مع النَّبيِّ صَلَّى الله عليه وسلم وأرْبَدَ[1] :

يا خُلَّبَ البَرْقِ الذى كالنَّصْلِ قد قطَعَ العَلائِقْ
وافَيْتَ أرْبَدَ بالرَّدَى للهِ دَرُّكَ أىَّ بارِقْ
ما ذاكَ أوّلَ شائِمٍ للبَرْقِ أرْدَتْهُ الصَّواعِقْ

* * *

وله :

بِمَسِّ أقْدامِ النَّبِيِّ قد حوَتْ طَيْبَةُ فخراً حَلَّ فى أرْجائِها
أخالُهـــا مذ فُتِنَتْ بحُبِّهِ صَانَتْهُ للغَيْرةِ فى أحْشائِها

* * *

وله مُضَمِّنًا :

وقالوا حَلَتْ بئرٌ بِرِيقِ مُحمَّدٍ وكم عاد صَخْرٌ بعدما مَسَّه رَطْبَا

---

(١) يعنى عامر بن الطفيل وأربد بن قيس ، وقد قدما على رسول الله صلى الله عليه وسـلم يريدان الغدر به ، فنجاه الله ، وقتل عامر بالطاعون فى عنقه ، وأربد بصاعقة أحرقته .
انظر الخبر فى السيرة ٢/٥٦٨ ، ٥٦٩ .

ولو نالَ ماءُ البحرِ من فِيهِ قَطْرةً ... لأصْبَحَ ماءُ البحرِ مِن رِيقِهِ عَذْبَا

* * *

لمجنون ليلى[1] :

ولو تفلَتْ فى البحرِ والبحرُ مالِحٌ ... لأصبحَ ماءُ البحرِ مِن رِيقِها عَذْبَا

* * *

وله :

ما زَلْزَلَةٌ لهــا سقوطُ الإيوانْ ... إذْ حانَ قُدُومُ فَخْرِ نوعِ الإنْسانْ[2]

إلّا لِمَسَرَّةٍ تَهُزُّ الأكْوانْ ... إذْ بَشَّرها به اخْتِلاجُ الأعْيانْ

* * *

وله[3] :

طَهَ كَمُلَتْ صِفاتُه والخُلُقُ ... مُذْ زُيِّنَ فى الوجودِ له النَّسَقُ

بحرٌ عَذُبَتْ مَوارِدُ الشُّرْبِ به ... لولاه لَمَا اسْتُخْرِج منه العَلَقُ

* * *

وله :

نِيرانُ فارسَ انْطَفَتْ لمّا بَدَتْ ... بُشْرَى النُّبُوَّةِ ساطِعاً بُرْهانُها

سَجَدتْ لِنيرانِ المَجُوسِ عِصابةٌ ... سجَدتْ لأنْوارِ الهُدَى نِيرانُها

* * *

وله :

لَعَمْرُكَ جَبْهَةُ خيرِ الورَى ... جِراحَتُهــــا آيةٌ للبشَرْ

أرانا لهــا اللهُ حتى نَرَى ... بها كيف كان انْشِقاقُ القمَرْ[4]

* * *

(١) لم أجد البيت فى ديوانه المطبوع .

(٢) فى الأصول : « مازلزلت . . » ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٣) تفردت ا بإيراد هذين البيتين .

(٤) فى ا : « أرانا له الله » ، والمثبت فى : ب .

وله :

قَصَرْتُ مَدائِحِي والقَصْرُ مِنِّي     على طَهَ وما لِلْقَصْرِ مَدُّ

إذا كان الثَّناءُ له جميــــلًا     هو الحَمْدُ الذى فى العُرْفِ حَدُّوا[1]

ولم يُرَ منـــه أجْمَلُ طَرْفِ عَيْنٍ     فليس بِلائِقٍ لِسِوَاه حَمْــدُ

***

وله :

خَلِيلَىَّ مُرَّا بِى على طَيْبَةَ التى     بها مَضْجَعُ المُخْتارِ طَهَ المُقَرَّبُ

يفُوق ذَكِىَّ المِسْكِ عَرْفُ تُرابِها     فَمَن شَمَّه نَادَاكَ صَلِّ عَلَى النَّبِى[2]

أَلَمْ تَرَ أَنِّى كُلَّما جِئْتُ طارِقًا     وَجَدْتُ بها طِيباً وإن لم تَطَيَّبِ

***

وله :

لَعَمْرُكَ ما قلبُ النَّبِىِّ غَفَا ولَا     عيونٌ له فى ظُلْمَةِ الليلِ رَاقِدَهْ

تَهَجَّدتِ الأجْفانُ فى ظُلْمَةِ الدُّجَى     فباتتْ بمِحْرابِ الحَواجِبِ ساجِدَهْ

***

وله فى وَصْفِ الصَّحابة مُضمِّناً[3] :

يُـكَبِّرُون إذا خاضُوا بُحُورَ رَدًى     وما لَهُمْ عن حِياضِ المَوْتِ تَهْلِيلُ

***

[4] حِياضُ : جمع حَوض ، وحياضُ الموت : المَنِيَّة ، استعارة منه[4] ، والتَّهْلِيلُ : الانْهِزام والتَّـكْذِيب ، قال :

أَمْضَى وأَغْنَى فى اللِّقَــاءِ لَقِيتَهُ     وأَقَلُّ تَهْلِيلا إذا ما أَحْجَما

---

(١) فى الأصول : « له جبل » .     (٢) قوله : « صل على النبى » أسلوب تعجب . انظر ريحانة الألبا ١ / ٤٥٣ ـ ٤٥٥ .     (٣) ضمن عجز بيت كعب بن زهير الذى يقول فيه :

لا يَقَعُ الطَّعْنُ إلَّا فى نُحُورِهِمُ     ما إن لهم عن حِياضِ الموتِ تَهْلِيلُ

ديوانه ٢٥ .

(٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب .

ومن لطائف المتأخِّرين :

هَلُمَّ لوَصْلِ حَمّــامٍ بديعٍ يفُوق رُخامُه زَهْرَ الرِّياضِ
لِبُعْدِك ماؤه ما طاب قَلْباً وأمْسَى من فِراقِك فى الحِياضِ

***

ومن تفاريق قصائده قولُه :

على النَّهْرِ دِرْعٌ من نَسيمٍ حَبابُهُ له حَلَقٌ لمّـا رَمَى وَبْـلُه نَبْلَا
تَـكِلُّ سيوفُ الهندِ فى لَحْظِ مُنْيَتِى فتعْذُب والتَّعْذِيبُ فى السيفِ إن كَلَّا

منها :

إذا طالبَتْنِي بالحُتوفِ عزائِمِى أُماطِلُها حتى أُلاقِيَ لهـــــا أهْلَا
فيقْضِي اصْطِبارِى كلَّ دَيْنٍ على المُنَى قضاءَ مَلِيٍّ لم يكنْ يعرفُ المَطْلَا
وإن صِرْتُ حِلْسَ الدّارِ رِزْقِى يزُورُنى فأصْطاد ما تهْوَى الأمانِى من المِقْلَا[1]

***

وقوله من قصيدة أوَّلُها :

بِتُّ أرْعَى النجومَ والإلْفُ رَاقِدْ هل سميرُ الشِّهابِ غيرُ الفَراقِدْ

منها :

كلُّ زَرْعٍ زَرَعْتُه فى شبابِى فله مِنجَلُ انْحِنائِيَ حاصِدْ
أنا فى الأرْضِ ضارِبٌ كلَّ كَسْبٍ مِثْلَ ضَرْبٍ لِواحدٍ فى وَاحِدْ[2]

منها :

وبجِيدِ الأيامِ عند تَصابٍ ليس غير الـكُؤُوسِ فيها قَرائِدْ[3]

***

---

(١) فى ب : « رزقى يزورنى ... من القلا » . (٢) فى ب : « دون كسب » .
(٣) فى ب : « فيه فرائد » .

وقوله :

وسَفْرٍ مُنًى جازتْ بعَزْمِي ومالَهــــا قناطرُ إلّا العِيسَ فى أبْحُرِ الآلِ
عَبَرْتُ بها دارًا مُحِيلًا رُسُومُه أَلَحَّ عليـــه كُلُّ أسْحَمَ هَطَّالِ
إلى كعبــةٍ أمْسَتْ تُزارُ ولم تَزُرْ يطُوف رجائى حولَها مُنْذُ أحْوالِ (١)
أقُولُ لهـــا لمّا تبدَّى لناظِرِى تَمِيسُ عُلاهُ فى مَلابِسِ إجْـلالِ
أتيتُكَ من كلِّ الوســائِلِ مُحْرِمًا وألْبَسْتُ وَجْهَ الأرضِ سابِغَ أذيالِ

***

وقوله :

وخِدْنٍ يرُوق الطَّرْفَ وَضَّاحُ وَجْهِهِ وقد تَرْجَمتْ باليُمْنِ عنه قوابِـلُهْ
إذا غَصَّ بالسُّؤالِ نادٍ يحُلُّه يَسُوغُ بماءِ الجُودِ يصْفُو مُسائِلُهْ
وإن مَحَلَتْ أقْلامُــه لاشْتِياقِها إليه حَنَتْ منه عليها أنامِلُهْ (٢)
ويُزْهِر وَجْــهُ الشمسِ غِبَّ لقائِه وتَصْفَرُّ من خوفِ الفِراقِ أصائِلُهْ
فإن صَدَّنِى عنكَ الزمانُ لحادثٍ فأيْنَ من الفَرْقانِ فى البحرِ ساحِلُهْ
فإنك شمسٌ لا تُرَى السُّحْبُ عندها فلا تُنْكِرَنْ إن لم يَلُحْ ثَمَّ آفِلُهْ

***

وقوله :

خَدُّ الربيعِ من الحَيــاءِ تَوَرَّدَا خَجَلًا لِمَا أهْدَى إليه من النَّدَى
وبَنفْسَجُ الكُثْبانِ أطْرقَ رأْسَــه لمّا رأى صُدْغَ الحبيبِ تَجَعَّدَا
ورأى الخريفَ اشْتَمَّ أنْفاسَ الشِّتَا فاصْفَرَّ منه خِيفَةً لمّا بدَا
ورأى جيوشَ سُيُولِهِ قد أقْبلَتْ وعليه حُلّةُ سُنْدُسٍ فتجَرَّدَا

---

(١) فى ا : «يطوف رجاء» ، والمثبت فى : ب . (٢) فى ا : «إليه جنت منه» ، والمثبت فى : ب .

والسُّحْبُ تَنْثُرُ لُؤلُؤاً وغُصونُه ... بأَكُفِّ أوراقٍ تُفرِّقُ عَسْجَدَا
والنَّجمُ كَحَّلَه الظَّـــلامُ بإثْمِدٍ ... مُذْ خالَه فى الجوِّ طَرْفاً أَرْمَدَا
رَوضٌ تبَسَّمَ للوُفُـــودِ بمَبْسَمٍ ... للرَّوضِ عَذْبِ المُجْتَنَى والمُجْتَدَى[1]
ما ذاقَ فيـــه السُّهْدَ إلَّا ناظِرٌ ... للنَّرْجِسِ الغَضِّ الشَّهِيِّ تَسَهَّدَا

***

وقوله من غزليَّة :

مُذْ سَبانِي بدرٌ بقلبي مُقِـــيمٌ ... صار جِسْمِي كَخَصْرِه فى المِحَاقِ
حاكِمٌ جُنْدُه المِلاحُ جميعاً ... ذُو لِواءٍ من شَعْرِه الخفَّاقِ
جامعٌ رِقَّةَ الحِجـــازِ وسِحْرَ الشَّـ ... ـامِ حُسْناً فى سِلْكِ لُطْفِ العِراقِ
سرَقَ الغُصْنُ لِينَهُ فلهـــذا ... لَزِمَتْهُ جِنـــايَةُ السُّرَّاقِ
قام فى جَنَّـــةِ الرِّياضِ بكأسٍ ... فأباح المُـــدامَ بين الرِّفاقِ
بثلاثٍ مِنهُنَّ طَلَّقَ هَمِّى ... دونَ ما رَجْعَةٍ لذاكَ الطَّلاقِ
فى مجـــالٍ كالخصْرِ فيه اخْتِصارٌ ... دارَ فيه النُّدْمانُ مِثْلَ النِّطاقِ
ذُو عيونٍ لأجْلِها النَّرْجِسُ الغَضُّ ... مُ أَصْفَرَ وأمْسَى من جُمْـــلةِ العُشَّاقِ
ما رَثَتْ فى الهوى لِسائلِ دَمْعِي ... تحسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فى المَآقِ[2]

***

وقوله :

قامتْ تجُرُّ ذُيولَ التِّيهِ والجَـدَلِ ... ووَجْنَةُ الشَّفَقِ احْمَرَّتْ من الخجَلِ

---

(١) فى ا : « عذب المجنى والمجتدى » ، والمثبت فى : ب .

(٢) ضمن عجز بيت المتنبى ، فى قوله :

أتُرَاها لِكَثْرةِ العُشَّاقِ ... تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فى المَآقِي

ديوان أبى الطيب ٢٢٤ .

خَميلةٌ بثمارِ الحَلْيِ مُثْقَلَةٌ ... زُهورُها ما جَنَتْها راحةُ الأَمَلِ
تَسيرُ رُسْلُ الصَّبا تَرْتادُها سَحَراً ... فى الحَيِّ تَعْثُرُ بين البِيضِ والأَسَلِ
صَبًّا على سُقْمِها يُشْفَى السَّقامُ بها ... ورُبما صَحَّتِ الأجْسامُ بالعِلَلِ (١)
تخافُ تجرحُ وَجناتِ الحبيبِ لِذَا ... تخُوض مِن عَرَقِ الأنْداءِ فى بَلَلِ

***

وقوله :

أتاركُ قلبي فى لَظَى الوَجْدِ مِجْمَرَا ... وطِيبَ ثَناه فوقه فَاحَ عَنْبَرَا (٢)
ترفَّقْ فما ابْيَضَّتْ دموعِي بعدَكُمْ ... ولكنَّها شابَتْ وصبرِي تعذَّرَا
فيَوْمِي كأيَّامِ القيامةِ طُولُه ... وأرْضِي أمْسَتْ للأعادِي مَحْشَرَا

منها :

وغُصْنِ قَوامٍ كلُّ غُصْنٍ لِحُسْنِه ... بأوْراقِه من خَجْلةٍ قد تَسَتَّرا
وعَيْنٍ له قد أهْدَتِ السُّقْمَ والهوى ... فأهْدَى إلى أجْفانِها طَرَفَ الكَرَى

من مَديحِها :

إذا طَرَّزَ القِرْطاسَ وَشْيُ بنانِهِ ... تعشَّقَ منه الطَّرْفُ خَدًّا مُعَذَّرَا
وما كان لَوْنُ التِّبْرِ أصْفَرَ إنَّما ... لِخَوْفِ نَداهُ بالنَّدَى صار أصْفَرَا

***

وقوله :

مَسيلُ الصبحِ طَمَّ على الكواكبْ ... وقد ظَمِئتْ إلى السَّيْرِ النَّجائبْ

---

(١) ضمن فى عجز هذا البيت عجز بيت المتنبي أيضا ، صدره :

* لعلَّ عَتْبَكَ محمودٌ عَواقِبُهُ *

ديوان أبي الطيب ٣٣١ .

(٢) فى ا : « لاح عنبرا » ، والمثبت فى : ب .

تقلّص ذَيْلُ عَزْمِك فى مَسِيرٍ ... له طَيْفُ العُلَى خِدْنٌ مُصاحِبْ[1]

بِوَرْدِيٍ أعْوجِيٍّ قَبَّلَتْهُ ... بغُرَّتِهِ الأهِلَّةُ والكواكبْ[2]

جَرَتْ مِن خَلْفِهِ النَّسماتُ حتى ... سَرَتْ مُعْتلةً فيه الجنائبْ

عليه مِن لَيالِ الوصلِ بُرْدٌ ... وقد أهْدَتْ له الغِيدُ الذَّوائبْ

إذا ماخَبَّ خِلْتَ الطَّيْفَ وافَى ... لِجُنْحِ الليلِ مِن خَوْفِ المُراقِبْ[3]

مَعارِفُهُ كأهْدابٍ تبدَّتْ ... لِوَجْهِ الأرْضِ تَدْنُو كالمَراقِبْ

عَلاهُ مُحدَّثٌ قد جَلَّ عنه ... لِجارِيه تمائمُ فى التَّرائبْ

بعَزْمٍ يَفْرَقُ الهِنْدِيُّ منه ... مَضاءً قَصَّرتْ عنه القَواضِبْ

ورأْيٍ زَفَّ بِكْرَ الفِكْرِ يَزْهُو ... لِتَخْطُبَها المَعالِي والمراتِبْ

***

وقوله :

وباسِلٍ نارِ عَزْمِه تَقِدُ ... كأنما هُمْ خَوْفَه الأسَدُ

أخْلاقُه لِلنَّدِيمِ ضامِنَةٌ ... أن يُنْجِزَ الجُودَ قبلَ مايَعِدُ

تَنْقُلُ عنه الكِرامُ مأْثُرَةً ... حَدِيثُ عَلْيائِه لها سَنَدُ

***

وقوله :

زاد خَطُّ العِذارِ فى الخَدِّ حُسْناً ... فهْوَ حَرْفٌ قد جاء فيه لِمَعْنَى

كلَّ حِينٍ داعِي الغرام يُنادِي ... رَحِمَ اللهُ كلَّ قلبٍ مُعَنَّى

---

(١) فى ا : « تقلص سير عزمك » ، والمثبت فى : ب . (٢) فى ب : « بوردى أعوجى » والمثبت فى : ا ، ولعل الصواب : « بورد أعوجى » ، وأعوجى : نسبة إلى أعوج ، فحل عرف بالنجابة والعرا

(٣) فى ا : « خلت الطيف أوفى » ، والمثبت فى : ب .

والخبب : ضرب من عدو الفرس .

قُمْ خَلِيلِي نَبْكِي الديارَ سُحَيْراً لا يكونُ الحمامُ أطربَ مِنَّا
لا تَلُمْنِي إن ساء فيك ظُنونِي كُلُّ مَن ضَنَّ بالأحِبَّةِ ظَنَّا
كم حَبيبٍ إذا أردْتُ سُلُوًّا عنه قال الدَّلالُ مَهْلًا تأنَّى
وبَناتُ القلوب مُعْتذِراتٌ شافِعاتٌ له إذا الليلُ جَنَّا
مُذْنِبٌ ليس يقْبَل العُذْرَ مِنِّي وإذا ماجَنَى علَيَّ تجَنَّى
كلُّ صَدٍّ إن لم يكنْ عن مَلالٍ فهْو وَصْلٌ به الرَّقيبُ تَعنَّى
إنما القلبُ دَارُه وهَواهُ دَاخِلٌ فيه ليس يطلُب إذْنَا
عَلِموا حَظِّيَ الصُّدودَ فوَلَّى واختفَيْنَا فالهَجْرُ يسألُ عنَّا
لم نَذُقْ قَطْرةً من الوصلِ حِيناً وشَرِبْنَا الوِصالَ دَنًّا فدَنَّا
مِن قَضيبٍ يَميسُ في الرَّوْضِ تِيهاً لِيُرِي الغُصْنَ كَيْفَما يَتَثنَّى
أسْمَرُ القَدِّ منه ينهزِمُ اللَّوْمُ إذا جاد في الصَّبابةِ طَعْنَا
وأرى المَنْزِلَ الخرابَ إذا ما حَلَّ فيه الأحبابُ رَوْضاً أغَنَّا

***

وله ، وهو معنًى بديع ، في دعوة ضَيْفٍ كريم :

مَوْلايَ دارِي والذي قد حَوَتْ نَبْتٌ زَهَا من صَوْبِ أمْطارِهْ
وإنَّني عَبْدٌ له حارسٌ بشُكْرِه رَوْضةَ آثارِهْ
إذا دَعَوْناه لأجْلِ القِرَى وأشْرَقَتْ داري بأنْوارِهْ
قالُوا طُفَيْلِيًّا عجِبْنَا له يُضيفُ رَبَّ الدارِ في دَارِهْ

***

قال : وكنتُ قلتُه لمَّا أعْجبني قولُ إبراهيم بن المُدبِّر[1] ، الذي أنشده

---

(١) إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر .
وزير المعتمد العباسي ، ومتقلد ديوان الضياع للمعتضد .
كاتب شاعر ، توفى سنة تسع وسبعين ومائتين .
الأغاني ١٩/١١٤ ( طبعة الساسي ) ، معجم الأدباء ١/٢٢٦-٢٣٢ ، الوزراء والكتاب ١٠٢ .

له فى « الأغانى » :

سَيِّــــدى كلُّ نِعمةٍ هى عندى فهْى بعضٌ مِن فَيْضِ تلك الأيادِى
فإذا زُرْتَنِي فإنِّى ضَيْفٌ ساكِنٌ مِن ذَرَاكَ أكْرَمَ نَادِى
فيَظُنُّونَنِى الطُّفَيْــــلِيَّ لَوْلَا إرْثُ دَارِى مِن سالِفِ الأجْـدادِ

* * *

وله فى معنى قول كُثَيِّر عزّة(١) :

لَئِنْ ساءَنى أن نِلْتِنِي بِمَسَبَّــــةٍ لقد سَرَّنِي أنِّى خَطَرْتُ ببالِكِ

:

يَسُرُّنِى شَتْمُك إذْ كنتُ قَـد خَطَرْتُ فى بالِكَ دون اشْتِباه(٢)
يحــلُوا لِيَ الشَّتْمُ إذْ مَرَّ لِي اسمٌ على عَذْبِ اللَّمَى والشِّفَاهْ
إن ذَكَرَ اسْمِي لَذَّ لى ذِكْرُه كأنَّنى قَبَّلتُ بالوَهْمِ فَاهْ

* * *

فيه لُطف؛ لأنه يُمكن أن يُخرَّج على أنَّ فى اسْمِه حرفاً شَفَوِيًّا ، وكذا فى لَقَبِه .

وقد استعمله ابنُ جَرِير ، وكان اسمُه محمدا ، حيث قال :

أنا فى غَيْرةٍ عليك من اسْمِي إنَّه دائِمًا يُقَبِّــــل فاكَا

* * *

وله فى قَوْلِ بعضِ مُعْتزِلة النُّحاة : « عَدْلُ عُمَرَ تقْديرِىّ » ، يريد غيرَ مُحقَّق

بنُورِ المعانى أشْرَق اللفظُ فاكْتَسَى بثَوْبَيْه من حُسْنٍ بَدِيعٍ بلازُورِ
فَفِى عُمَرٍ من عالمِ الذَّرِّ عَـدْلُه إلى اسْمٍ سَرَى من أجْلِ ذا قيل تَقْدِيرِى
ومَن قال ذا التَّقْدِيرَ غَـيْرُ مُحَقَّقٍ فقد سار فى ظَلْماءِ جهــلٍ بلا نُورِ

* * *

---

(١) هذا البيت لابن الدمينة فى ديوانه ١٧ ، وانظر الكلام على تخريجه فى ٢١٨ .

(٢) عجز هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا .

وله :

زمانُ السوء إن وافى بريبٍ صديقك والقريبُ له يذِلُّ
شكت رُسْلَ المنايا لي طيورٌ جوارحُ للسماء تظلُّ تعلو
فقلتُ سَلُوا القوادِمَ والخوافي فلولا ريشُها ما طال نبلُ

* * *

هذا كقول الأرّجاني[1] :

يُعطِينَ قتلاها النسورَ جوائزاً إذْ كُنَّ طِرْنَ بما كستهُ الأنسُرُ[2]

* * *

وله :

أتدرِي السوَّاقِي ماتقولُ وقدغدتْ تدورُ وتَسقِي حين تعلو وتنزلُ
تقول لك المملوء يعلو وكلُّ ما تضرّع تلقاه مدى الدهر يسفلُ
تُريدُ الورى تهوى الغنيَّ ولم تزلْ تُعادي فقيراً ما عليه مُعوّلُ
فلا تُظهِرَنَّ الفقرَ مادُمْتَ بينهم وأظهِرْ غنى عنهم فذلك أجملُ

* * *

وله :

قد رأينا الملوكَ إن سار جيشٌ كتّبُوا الكُتْبَ في الفلا المطروقِ
فإذا سَتَّمُوا الترابَ على مَن مات رَمْزاً لِفَهْمِ معنًى دقيقِ
إن جيشَ الخطوب سار وهذي سُلْبُه فاسلكُوا سواءَ الطريقِ

* * *

(١) ديوانه ١٨١ .   (٢) في الديوان :

* يُطعِمنَ قتلاها النسورَ جواريا *

وله :

مُذ فُتِحَتْ أبوابُ نادى العُلَى فَتْحَ المُـلاقِ لمعالِيـهِ (١)

ماصَرَّت الأبوابُ بل رَحَّبتْ على مُرَجِّ لأيادِيهِ

كذلك الأقلامُ فى طِرْسِهِ صَرِيرُها شـــــكرُ أيادِيه

والمـــاء يشكو بخريرٍ له فِراقَه رَوْضَــةَ نَادِيهِ

***

وله :

ياحبّذا نادٍ لنــا حُفَّ بأُنْسٍ وطَرَبْ

وخمرةٌ فى كأسِهـا يلعبُ بالنَّرْدِ الحَبَبْ

فُصوص ألمــاسٍ على بِساطِ خَزٍّ وذَهَبْ

***

وله :

سَبَح الحبيبُ ببِرْكةٍ والقلبُ من وَلَهٍ يطيرُ

فخشيتُ من ماءِ اللَّطا فةِ فيــه يشربُهُ الغديرُ

وتَشابهُ المـــــاء الرقيـ قِ وجسمِه التَّرفِ النَّضِيرِ

لولا الذَّوائبُ لم يكنْ للنَّاظرين به شُعورُ

وله :

ما أقصَرَ الليــلَ الذى كحَّل أنوارَ الحَدَقْ (٢)

عانقتُ فيـــه غُصُنًا مِن حُلَلٍ فيـــه وَرَقْ

إذْ هَمَّ ثغرُ الصبحِ أنْ يُقَبِّلَن خَدَّ الشَّفَقْ (٣)

---

(١) فى ب : « مذفتحنا » ، والمثبت فى : ا .

(٢) فى ا : « كحل أنواره الحدق » ، والمثبت فى : ب .  (٣) فى ا : « يقبلن خده الشفق » والمثبت فى : ب .

ومما لا ينْقضِى منه الإعْجاب ، قولُه من قصيدة :

مَرَرْتُ على رَبْعِ الأحِبّةِ دارِساً … ففَاح به عَرْفُ الحديثِ المُتَمَّمِ
وذَكَّرنا عهدَ الصَّبابةِ والصِّبا … هَدِيلُ حَمَامٍ فى الرُّبَى مُتَرنِّمِ
فقلتُ لِخِلِّى عُجْ بنا ساعةً عسى … يُحدِّثنا رَسْمُ الهوى المُتقدِّمِ
فعُجْنَا له عَطْفاً على موضعٍ به … هَوانافكانَ العَطْفُ عطفَ تَوَهُّمِ (١)

* * *

وعطفُ التَّوَهُّم معروفٌ عند النُّحاة ، وهو أن يجرىَ فى موضعٍ إعْرابان ، فيُعْرب بأحدِهما ، ويُعْطَف عليه باعْتبار الآخَر ، كما فى قول الأحْوَص الرِّياحِىّ (٢) :

بدَا لِىَ أنِّى لَسْتُ مُدْرِكَ ما مَضَى … ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جَائياً (٣)

فإن « لستُ » يُجَرُّ خبرُها بالباء الزائدة كثيراً ، فإذا نُصِب قد يُعْطَف عليه مجرور نظراً إلى حالتِه الأخرى .

وأما عطفُ المنصوبِ على المجرور ، فهو العطفُ على الموضع ، وإيَّاه عَنَى مَحاسِنُ

---

(١) فى ب : « عطف التوهم » والمثبت فى : ا .

(٢) هو زيد بن عمرو بن قيس الرياحي ، المعروف بالأحوص .
شاعر إسلامى ، وفارس مشهور ، توفى نحو سنة خمسين للهجرة .
انظر الأعلام ٣/ ١٠٠ .

وليس هذا البيت له ، وإنما هو لزهير بن أبى سلمى ، وإنما اختلط الأمر على المؤلف ، وهو ينقل عن الكتاب لسيبويه ، ذلك أن سيبويه استشهد : ببيت زهير ، وببيت عقيبه للأحوص الرياحى ، فخلطت عين المؤلف بين البيتين ، فنسب بيت زهير إلى الأحوص .

والبيت لزهير فى : ديوانه ٢٨٧ ، الكتاب ( هارون ) ١/ ١٦٥ ، مغنى اللبيب ٢/ ٩٦ . ونسب إلى صرمة الأنصارى ، فى الكتاب ( هارون ) ١/ ٣٠٦ .

(٣) فى ا : « إذا كنت خائبا » وفى ب : « إذا كان خائبا » والتصحيح عن المراجع السابقة .
ورواية أصل ديوان زهير : « ولا سابق شىء » ، وفى الهامش إشارة إلى رواية فى نسخة تتفق م ما هنا ، وفى الكتاب الموضع الأول : « ولا سابقا شيئا » وهو فى الموضع الثانى متفق مع ما هنا .

الشَّوَّاء[١] ، فى قوله[٢] :

هَاتِيكَ يا صاحِ رُبَا لَعْلَعِ        نَاشَدْتُكَ اللهَ فَعَرِّجْ مَعِى
وانْزِلْ بنا بين بُيوتِ النَّقَا        فإنها آهِـــلَةُ المَرْبَعِ[٣]
حتى نُطِيلَ اليوم وَقْفًا على السَّـ        ـاكِنِ أو عَطْفًا على المَوْضِعِ

***

وهذه مُقَطَّعات له ، على حروف المعجم :

مَدْحٌ بوَجْـــهِ كُذْبَةٍ        فيها كَمِينٌ للرَّجـــاءِ
مِثْلُ المُرَقْرِقِ فى الصَّبُو        حِ يُسِرُّ حَسْوًا فى ارْتغاءِ[٤]

***

فيه مَثَلَان قديمان[٥] .



***

وله :

يشتكى الخصْرُ رِدْفَه كلَّ حِينٍ        وأَنِينِى يشكو من الرُّقَباءِ

---

(١) يوسف بن إسماعيل بن على ، الشواء .
شاعر حلبى وأصله من الكوفة ، توفى سنة خمس وثلاثين وستمائة .
وفيات الأعيان ٦/ ٢٣٠ ـ ٢٣٥ .

(٢) الأبيات فى الغيث المنسجم ١/ ٢٢٢ ، وفيات الأعيان ٦/ ٢٣٠ .
وليس فى الأبيات شاهد نحوى كما قد يوهم كلام المؤلف ، وإنما فيها الإشارة إلى ما يعرف عند النحاة بالعطف على الموضع ، وهو يرتكب للضرورة .

(٣) فى الغيث ، والوفيات : « فقد غدت آهلة المربع » . (٤) كذا فى الأصول : « مثل المرقرق » ؛ وانظر ما يأتى . (٥) هما قولهم : « أعن صبوح ترقق » ، وقولهم : « يسرحسوا فى ارتغاء » .
والأول قاله رجل لضيف له غبقه فرقق الضيف كلامه ليصبحه . اللسان ( رقق ) ١٠/ ١٢٥ .
والثانى يضرب لمن يريك أنه يعينك ، وإنما يجر النفع إلى نفسه ، والارتغاء : شرب الرغوة ، وذلك أن الرجل يؤتى باللبن فيظهر أنه يريد الرغوة خاصة ، ولا يريد غيرها ، فيشربها وهو فى ذلك ينال من اللبن . مجمع الأمثال ٢/ ٢٥١ .

فَكِلانَا فى حالتَيْه مُعَنَّى     ذا عَياء يَشْكُو من الثُّقَلاءِ

***

وله :

لَئِن نَكَسَ الدهرُ حَظِّى فلِى     لطائفُ فى الغَيْبِ تُحْيِي الرَّجاءْ
فرُبَّ شِهابٍ إذا نَكَّسُوه     يَزِيدُ اشْتِعالاً ويَعْلُو سَنَاءْ

***

وله :

قال لى الأَيْرُ لا أُهَنِّيك إن     زارَكَ مَن قد هَوِيتَ فى الظَّلْماءِ
وأنا منكَ لا يُهَنِّئُ عضْوٌ     بالمَسَرَّاتِ سائِرَ الأعْضاءِ

***

وله :

لايكذبُ العاقلُ ما     أمكنَهُ صِدْقٌ يجبْ
فنى المَعارِيضِ له     مَنْدُوحةٌ عن الكَذِبْ

***

وله :

وبلدةٍ سُكّانُها فى لَظَى     فى الصَّيْفِ من حَرٍّ لها ناصِبِ
ترى بها الماشى بُعَيْدَ الضُّحَى     مُنْتَعِلاً نَعْلَ أبِي طالبِ

***

يُشِير إلى ما ذَكَر أهلُ السِّيَر ، من أنَّ أبا طالبٍ لم يَهْتَدِ للإيمان ، لأن رسولَ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم كان فى جِوارِه ، ولو أسلَم لم يَقْبَلُوا جِوارَه .

ولمَّا قالوا له : إن أبا طالبٍ كان يُحِبُّك ويُحْبِيك[1] فهل ينفعه ذلك ؟

(١) فى ا : « ويجبيك » ، والمثبت فى : ب . والذى فى صحيح مسلم ، ( باب شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم لأبى طالب والتخفيف عنه بسببه ) ١٩٥/١ : « فإنه كان يحوطك ويغضب لك » ، وفى رواية : « كان يحوطك وينصرك » .

قال : « يُخَفَّفُ عنه فيجعل له نَعْلٌ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ » .

رواه مسلم[1] .

***

وله :

إذا شاب شَعْرُ المَرْءِ قَلَّ سُرورُه ‏ ‏ وزارته مِن وَفْدِ الهموم المَصائبُ

وشَابَ قَذَى الأكْدارِ صَفْوَ حياتِهِ ‏ ‏ فمِن أجْلِ هذا قِيل للمرْءِ شائبُ[2]

***

وله :

قد تسْتوِي في الحَرَكَاتِ الوَرَى ‏ ‏ لكنْ لَدَى السَّبْقِ تَبِينُ الرُّتَبْ

كم طار صَقْرٌ وغُرابٌ مَعاً ‏ ‏ لكنَّ ذا صَادَ وهذا هَرَبْ

***

وله :

قد خاب مَن كان في مُنْيــاهُ ‏ ‏ مُقصِّرَ الجِــدِّ في الطِّلابِ

فلا يَلُمْ غـيرَ نَفْسِه مَن ‏ ‏ قد أرْسَل البازَ في ضَبابِ

***

وله[3] :

ظَنَنْتُ الصَّبا لَمَّا على النهرِ قد جرَتْ ‏ ‏ وعَكْسُ ذُكاءٍ لاح فيه لِمُرْتَقِبْ

شِباكاً بها صــار النَّسيمِ غَزالةً ‏ ‏ ألَسْتَ تَراها دائما فيه تضْطَرِبْ

***

(١) رواية مسلم ، في صحيحه ، الباب السابق ١/١٩٦ :

« أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً أَبُو طَالِبٍ ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ » .

(٢) في ا : « وشاب من الأكدار » ، والمثبت في : ب .

(٣) البيتان في ريحانة الألبا ١/١٠٩ .

وله[1] :

على خدِّه مُذْ لاح نَبْتُ عِـــذارِهِ  جرَتْ أدْمُعِي فى الخدِّ ذاتَ صَبِيبِ
إذا ما اسْتدارتْ دَارَةُ البَدْرِ حوْلَه  فإنَّ وُقوعَ القَطْرِ غــيرُ عَجِيبِ

***

وله :

لَحَى اللهُ أيّاماً تُعادِي أُولِي النُّهَى  وتُسْعِفُ لُؤْماً كلَّ غُفْلِ المَناقِبِ
تُقَــدِّم فيهنَّ الصِّغارَ كأنهم  إذا ذُكِروا عَقْدَ الْبَنانِ لِحَاسِبِ

***

وله :

إنما هــذه الحياةُ مَنامٌ  والأمانِي حُلْمٌ بها الْمَرْءُ صَبُّ
فلهذا تأْتِي على العــكسِ مِمَّا  كَرِهَ النَّاسُ دائماً وأحَبُّوا

***

وله :

كُنِ ابنَ وَقْتٍ حاضرٍ تجْنِي هنا  ولا تفَــكَّرْ فى غدٍ وما ذَهَبْ
وإن وجدتَ سُكَّراً فانْعَمْ به  ولا تَسَلْ عمَّا جرَى على القَصَبْ

***

وله :

إذا ما غاب مَن أهْواهُ عَنِّي  فإنَّ لِقاءَه عندى كِتابُ
سَوادٌ فى بياضٍ مِثْل عَيْنِي  به أَلْقَى الأحِبَّةَ حين غَابُوا

***

وله :

لَمَّا بَدَا فى صُدْغِه خَالُه  أذابَ قلبَ الصَّبِّ بالْحُبِّ

---

(١) ريحانة الألبا ١/٣٣٧ .

فانْظُرْ إلى الحَبِّ على فَخِّه ... ولا تَسَلْ عن طائرِ القَلْبِ

* * *

وله :

رَوضُ المُنَى أيْدِي الأمانى به ... كم قد جرَتْ لى ثمراً مُسْتَطابْ

ما لَذَّةُ الدنيا إذا لم أكُن ... أخْطِرِ فيها برِداءِ الشَّبابْ

* * *

وله :

مُذ رأى النَّهرُ برْقَهُ سَلَّ سَيْفاً ... مُرْهَفَ الحَدِّ من قِرابِ السَّحابِ

نَسَجتْ فوقه الرِّياحُ دُرُعاً ... سابغاتٍ قد سُمِّرَتْ بالحَبابِ

* * *

وله فى الرّدّ على ابنِ القَيِّم [1] :

قالوا جَهَنَّمُ دارُ الخلدِ ساكنُها ... إذا تطاوَلَ دهرٌ أخْمَدَ اللَّهبَا

أمالِكٌ صار مِن عجزٍ لِذِى يَدِهِ ... لا يستطيعُ لفقرٍ يشترِى الحَطبَا [2]

* * *

وله :

سُكّانُ مِصْرَ كالنِّيل ما عَرَفُوا ... قَدْرَ شُيوخِ العلمِ والطَّلَبَهْ

فَجَيِّدٌ فيـــه والرَّدِئُ سَوَا ... كما اسْتَوَى الماءُ ثَمَّ والخَشَبَهْ [3]

* * *

(١) يرد على أبى عبد الله محمد بن أبى بكر ، ابن قيم الجوزية ، المتوفى سنة إحدى خمسين وسبعمائة ، رأيه فى خمود نار جهنم .

(٢) فى ب : « لذى يده » ، والمثبت فى : ا .

(٣) يشير إلى شاهد النحاة لواو المعية فى باب المفعول معه .

وله :

كم أُناسٍ من الكرام تولَّوْا ... فى نعيمٍ وطيبِ عيْش مُواتِى
قطَفُوا وَردةَ الحياةِ سُروراً ... ورَمُوا الشَّوْكَ فى طريقِ الآتى

* * *

وله :

وبُحَيْرةٍ بفِنائِها سَمَرُوا ... واللَّهْوُ بالأحزانِ قد شَمِتَا (١)
وكأنما عَكْسُ الشُّموعِ بها ... بَحْرٌ به المَرْجانُ قد نَبَتَا

* * *

وله :

أنا أصْبُو والتَّصابِى حِلْيَةٌ ... لكريمِ العِرْضِ فى صَبْوَتِهِ
بعَفيفِ الجَيْبِ لَدْنٍ ناعمٍ ... لم يُعانِقْهُ سِوَى حُلَّتِهِ

* * *

وله :

لحديثِ النَّبيِّ بعـد كلامِ اللّـ ... ـهِ طِيبٌ يَحُثُّ شَوْقِى حَثِيثا
مُسْتَجِدٌّ على مُرورِ الجديدَيْـ ... ـنِ لِذَا سُمِّىَ الحديثُ حَدِيثا

* * *

وله :

غاب الحبيبُ وفؤادِى خافِقٌ ... مُنْتَظِرٌ لذلك المَعْنَى البَهِجْ
والنَّرْجِسُ الغَضُّ يُنادِى فى الرُّبَى ... أبْشِرْ بما سَرَّ بعيْنِى تختلِجْ

* * *

وله :

ذُؤابتُـه قد اشْتَقَتْ ... مِن فَرَجٍ بلا حَرَجْ

(١) فى ب : « بفنائها سمر » ، والمثبت فى : ا .

بابُ أُسْتِهِ لِصَـبْرِه فاز بِمِفْتـاحِ الْفَرَجْ

***

وله :

وساحِرِ المَنْطِقِ أظْهر الطِّلَا في مَجْلِسٍ يَسْعَى لِرُؤْياهُ الْفَرَحْ
رَتَّبَ شَكْلًا للسُّرورِ مُنْتِجاً الْجَرَّةَ الكُبْرى وصُغْراه الْقَدَحْ

***

وله :

إلى اللهِ أشْكُو الزَّمان الذى يُرَيِّشُ حَالِي بِنَتْفِ الجَنَاحْ
إذا سُمْتُهُ الصُّلْحَ قال اتَّئِدْ فبيْنى وبينك سُوقُ السِّلاحْ

***

وله :

إذا رُمْتَ أمْرًا فكُنْ طالِبًا بِرِفْقٍ ففى الرِّفْقِ نَيْلُ الصَّلاحْ
ففى الرِّفْقِ والصبرِ للمُرْتَجِى لِقاحَ الصَّلاحِ جَناحُ النَّجاحْ

***

وله :

وزَانٍ بِحُبِّ الزِّنا مُغْرَمٍ أماطَ رِداءَ الحَيَا واطَّرَحْ
يُقَبِّلُ أولادهُنَّ الصِّغارَ ومَن عَشِقَ الدَّنَّ باسَ الْقَدَحْ[1]

***

وله :

إن الصديقَ مَن إذا دَعَوْتَهُ لَبَّى الرَّجا بِمَباشِيرِ الْفَرَحْ
وإن تنحْنَحَ الذى دَعَوْتَه لِحاجَةٍ مُلِمَّةٍ فقـد تَنَحْ[2]

***

(١) ذكر الخفاجي ، في شفاء الغليل ٤٦ ، أن باس بمعنى قَبَّلَ مولدة عامية ، تكلموا بها وصرفوها .

(٢) يعني « فقد تنحى » أي ابتعد وترك الشيء .

وله :

كم من قريبٍ كِيلَ لِي شَرُّهُ ... وخيرُه إن جاء أحْباب فخّ [1]

وكم أخٍ يملأُ لى صدْرَه ... نَفْثةَ مَصْدُورٍ إذا قلتُ أخْ

* * *

وله :

إذا رُمْتَ إكْسِيرَ نَصْرٍ فقُمْ ... بسيْفِك واضْرِبْ رقابَ العِدَى [2]

تصُبُّ عليهم حديدَ النِّصالِ ... وتأخُذها فى دَمٍ عَسْجَدَا

* * *

قال بعضُهم : قولُ ابنُ نَباتةَ السَّعْدِيّ لم يُسْبَق إليه [3] :

أبَوْا أن يُطِيعُوا السَّمْهَرِيّةَ غِيرَةً ... فصُبّتْ عليهم كالُّلجَيْنِ الْقواضِبُ [4]

فعادتْ إلينا عَسْجَدًا مِن دِمائِهِمْ ... ألا هكذا فليَكْسِبِ المجدَ كاسِبُ [5]

ومنه أخذ الأَبِيوَرْدِيّ قولَه [6] :

ولله دَرُّ السيفِ يجلُو بياضُهُ ... غَياهِبَ يومٍ قاتِمِ الجوِّ أرْبَدَا [7]

بمُعْتَرَكٍ تَلْقَى به الموتَ بُجَّـــةً ... تَسِيلُ لُجَيْنًا ثم تُغْمَدُ عَسْجَدَا

قال [8] : قلتُ : انْظُر هذا مع قولِى أوّلا .

* * *

(١) أحباب الفخ : ما يوضع عليه من الحب ، وهو قليل ، وهو يشير أيضاً إلى معنى الاصطياد (٢) فى ا : « إذا رمت الكثير نصرا فقم » ، والمثبت فى : ب . (٣) البيتان فى مختارات البارودي ٢/١٦٨ .

(٤) فى مختارات البارودى : « أن يطيعوا السمهرية عزة » ، وهو أولى .

(٥) فى المختارات : « وعادت علينا » . (٦) لم أجد البيتين فى ديوانه المطبوع ، وقد ورد فيه معنى البيت الثانى ، فى قوله :

لَأدَّرِعَنّ النَّقْعَ والسيفُ يُنْتَضَى ... لُجَيْناً ونُؤْوِيهِ إلى الغِمْدِ عَسْجَدَا

ديوانه ١٠٥ .

(٧) أربدا : هكذا بالنصب . (٨) أى الشهاب الخفاجي .

وله :

رأيتُك طَوْدًا قد لَجَأْتُ لظِلِّهِ فلى مَعْقِلٌ منه إذا دهرِىَ اعْتَدَى
إذا قُمْتُ فى نَادِيه أُنْشِدُ مِدْحَةً أنا الطائرُ المَحْكِىُّ والآخَرُ الصَّدَى

***

وله :

رُقَى الفقْرِ اسْمُه يدْعُوهُ دَاعٍ ورُؤْيةُ وجهِه سَعْدُ السُّعود
دَعانَا نحْو سُدَّتِه نَداهُ خَرِيرُ المـــاء يدعُو للوُرودِ

***

وله :

ويومٍ غدَا بارِدًا جَوُّهُ بَدَا رَعْدُه من هَوًا يَبْرُدُ
ترى لَهَبَ النارِ من بَرْدِهِ بكَانُونِهِ أَبَدًا ترْعُدُ

***

من بدائع الصَّلاح الصَّفَدِىّ ، قولُه من رسالة :

لو ترى أحدَنا وقد أخذَه النَّافِض (١) ، ونحاه القرُّ بعامِلِه الرّافع والزَّمْهرِير الخافِض ، لرأيتَ شخصًا قد رُكِّبتْ أعضاؤه من الزِّئبَق فما تستقِرّ ، وجفَّت لَهواتُه يُبْسًا فما تستدِرّ .

لا يَمُدُّ كَفَّه ولو بايَعَه الناس على الخلافة ، ولا يُخرِج يدَه ولو كان فقيرًا إلى كِيس ذهب أو نَدِيمًا إلى كأس سُلافة .

يكاد لذلك البرد حتى الكلامُ يتجسَّد ، ويتمنَّى الإنسانُ لو أنه تحت رُخام الحَمَّام يتوسَّد .

***

وله فى مَثَلٍ معروف :

أَهْوِنْ بسيِّد فِتْيَةٍ نال الغِنَى بدَناءَةٍ منَعَتْهُ فيهم رُشْدَهُ

---

(١) النافض : حمى الرعدة .

وعليه جُلْجُلُ سَبَّةٍ ولآمَةٍ سَتَشُدُّهُ لكن هل يُرَى من شَدَّهُ

***

وله :

كم جِئْتُه لحاجَــةٍ وماله عنــدى يَدُ
فقــال لى إلى غَدٍ والدهرُ كلُّه غَــدُ

***

وله :

أيِسْنَا من هُدَى الهادِى وإسْعــافٍ وإسْعادِ
وصار زمانُنــا أعْمَى يُقــدِّم كلَّ قوَّادِ

***

وله :

قلتُ لِمْ تشترى الغلامَ كبيرًا وصِغارُ الغِلْمانِ لِلّهْوِ عُدَّهْ
قال إنَّا لم نأخُذِ اليومَ إلَّا مَن وجَدْنا متاعَنا اليومَ عِنْدَه

***

وله :

شيخٌ بسَعْدٍ وبِنَحْسٍ له كم قادَ أوْبَاشًا من السَّادَهْ
مَتاعُ زُهْدٍ وَسْطَ سُوقِ الرِّيَا يُباعُ فى حانوتِ سَجَّادَهْ

***

وله :

قد قلتُ إذ حَسَدُوا وما فى العَيْشِ إذْ حسَدوا رَغَدْ
خَسَّ الزَّمانُ وأهلُه وطِباعُهم حــتى الحَسَدْ

***

وله :

ما نعمةٌ تخْــلُو من الحسدِ الذى مِنْه تَـكَدَّرَ كلُّ وِرْدٍ قد وُرِدْ

وأرى الخمولَ مع التَّواضُعِ نِعْمةً    قد صانَها الرحمنُ من كَدَرِ الحَسَدْ

***

وله ؛ فى قول العوَامّ : « الوَرْدُ من عَرَقِ النَّبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم » :

ناضرُ الوردِ قيل مِن عَرَقِ المُختَا    رِ قد لاحَ فى حَدائقِ خَدِّ

وَرْدُ خَدَّيْهِ قبلَ ذلك زاهٍ    هل سمعتُم بالوَرْدِ من ماءِ وَرْدِ

***

وله :

فتّح الوَردُ فى الرِّياضِ صَباحاً    عندما قبَّل النسيمُ خُدودَهْ

بُلِّغَ الزَّعْفرانُ فهْو لهـــذا    ضاحِكٌ شَقَّ من سُرُورٍ بُرودَهْ

***

وله ، فى قول أرْباب الفِلاحة : « إن الحيَّات والهوامَّ تهرُب من شجر الرُّمّان ، ولذا يجْعَل بعضُ الطيور أوْكارَها فيه » :

إذا هَبَّتْ صَبا الأسْحارِ يوماً    وحرَّكَتِ الذَّوائبَ فى الخُدودِ

تَخيَّلتُ الذَّوائبَ فى اضْطِرابٍ    وقد شَعَرتْ برُمَّانِ النُّهودِ

***

وله :

يسْمُو بخُلْقٍ ولِسانٍ حَلا    مَن بِلِبانِ المجد قِدْماً غُذِى

فأَدْوأُ الدَّاءِ كما قد رَوَوْا    خُلْقٌ دَنِىٌّ ولسانٌ بَذِى

***

وله :

بَقيَّةُ عُمْرِ حُرٍّ مُدَّ فيهـــا    يَتِمُّ بها المَسَرَّةُ والفَخارُ

ألسْتَ ترى الرَّبيعَ يَرُوقُ مَرْأًى    وتأْتِى فى الخريفِ له الثِّمارُ

***

وله :

رَوضةٌ جادَها الحَيا بلآلٍ    قلَّدتْه جواهرَ الأزْهارِ

ضاحِكاتٌ أطْفالُ أنْهارِها إذْ إذْ وَعدتْها نَسائمُ الأسْحارِ (١)

***

قال : وقلتُ لمَّا سمعتُ قَوْلَ أبى بكر رضى الله عنه : « مَن امْتطَى التَّغافُلَ ملَكَ زِمامَ المُروءة » :

تَغافَلْ إذا رُمْتَ وُدَّ الورَى يدُوم فتُصْبِحُ للْعِزِّ جارَا
زِمامُ المُروءةِ فى كَفِّ مَن تَغافُلَه يَمتطِى حيثُ سارَا

***

وله :

وَلَّى الشَّبابُ حَميدًا حين وَرَّثَنِى مَجْدًا وشِعْرًا يُحاكِى زاهِىَ الحِبَرِ (٢)
إن جاد طَبْعِى بشِعْرٍ راقَ رائقُهُ لا تُنْكِرُوا رِقَّةً فى نَسْمَةِ السَّحَرِ

***

وله :

أوْصافُ مولانا سَقَتْ ظَمْآنَ سَمْعِى كَوْثَرَا
كجَنَّـــةٍ مَعْشوقةٍ للناسِ قبـــلَ أن تُرَى

***

وله :

لى سيِّدٌ مُتواضِعٌ لِغُلامِهِ وعلى سِواهُ مُسْرِفٌ فى كِبْرِهِ
ينْقادُ للغِلْمانِ فى خَلَواتِهِ مِثْلَ السَّفِينِ زِمامُه فى دُبْرِهِ

***

وله :

وسارقٍ يسْرِقُ شِعْرَ الورَى ويُتْبِــعُ المَنْظومَ بالنَّثْرِ
ما اقْتبَسَ الآياتِ إلَّا لِمَا يأْلفُه من سرِقَةِ الشِّعْرِ

***

---

(١) فى ا : « إن وعدتها » ، والمثبت فى : ب . (٢) فى ا : « زاهى السحر » ، والمثبت فى : ب .

وله :

قالُوا لِشاعِرِكَ الذى أهْدَى مَدِيحاً حَطَّ قَدْرَكْ
جَدِّد وُضوءكَ بعـــدَ ذا إنْ كان هذا الشِّعْرُ شِعْرَكْ

***

وله :

كلُّ الأمورِ لم تزَلْ تكْبُر من بَعْدِ صِغَرْ
إلّا مصائبَ الورَى تصغُر من بَعْدِ كِبَرْ

***

وله :

ومُباحثٍ فى العِلْمِ [ من ] نَفَرٍ لا يُدْرِكون مَباحِثَ النَّظَرِ (١)
أعْرَضْتُ عنه كأنه عَلَمٌ وتركْتُهُ بمَباحِثِ البَقَرِ

***

العرب تقول : « تركتُه بمَباحِث البقر »، إذا لم يعرف مكانَه ، وتقول : « تركتُه بمَلاحِسِ البقر » ، إذا تُرِك بمكانٍ لا أنيس به ، ومَلاحِسُ البقر : المَواضع التى تلْحَس فيها بقرُ الوَحْشِ أولادَها .

***

وله :

فى دَوْلةِ وَصْلِ مُنيَتِي والهجْرِ قد حُقَّ لذا وحَقِّ رَبِّ شُكْرِي
فى الوصلِ حَلَتْ حياةُ نَفْسٍ وصَفَتْ والهجرُ به يُطِيلُ رَبِّي عُمْرِي

***

ولى أنا من هذا :

رمضانُ جاء فمَرْحباً بقُدومِهِ شهرٌ بلغتُ بفضْلِهِ المَأْمُولا
وأجلُّ مِنّتهِ علىَّ بأن أرَى عُمْرِى النَّفِيسَ يزِيدُ فيه طولا

***

(١) ما بين المعقوفتين تكملة يتم بها الوزن والسياق .

وله :

إن يكنْ أخلَقَ الشَّبابُ ورثَّتْ جِدَّتى والنَّشاطُ فى كلِّ أمرِ
كم لبِسْتُ الشبابَ غَضًّا جديدًا ساحِبَ الذَّيْلِ فى مَواسِمِ عُمْرِى

***

وله :

مَعْلُومِىَ المعلومُ يا سيِّدى يحفظُه الدِّيوانُ والدَّفْتَرُ
كأنه هَمْزَةُ وَصْــــــلٍ بهِ يُرْسَمُ فى الخطِّ ولا يُذْكَرُ

***

وله :

قد كنتُ فى كَنَفِ الخمولِ مُنَعَّماً والآن أتْعَبنِى العَنَا لمَّا حَضَرْ
كالحَرْفِ فَرَّ من الْتقاءِ السَّاكنَيْـ نِ لعُسْرِ نُطْقٍ فى التَّلفُّظِ فانْكَسَرْ

***

وله :

أصبحتُ مَن يُبْصِرُنى طَرْفُهُ بكلِّ ما أمْلِكُه يَدْرِى
كسُلَحْفَاةٍ من مِياهٍ بَدَتْ بَيْتِى وما أحْوِى على ظَهْرِى

***

وله :

رأيتُك تُعْطِينا الهِباتِ كتاركٍ لَدَى أهْلِهِ مُسْتَوْدَعاتِ الذَّخائرِ
ودائعُ فى حِرْزٍ من الدهرِ سالمٍ وماضاعَ جُودٌ مُودَعٌ عند شاكرِ

***

وله :

يقولون إنَّ المَدَّ فى أثَرِ الجزْرِ لِنُورِ بَدْرِ العصرِ فى ساحلِ البَحْرِ (١)
فما بَالُ بَحْرِ الدَّمْعِ يَزْدادُ مَدُّهُ إذا غاب بَدْرُ الحُسْنِ فى ظُلْمةِ الهجْرِ

***

(١) هكذا جاء عجز هذا البيت فى الأصول .

وله :

صَرَفَ اللِّحاظَ عن الوُشا ةِ إلى الكئيب وما يسرُّهْ
أبداً يَميــلُ إليهمُ مَيْلَ المريضِ لِمَا يضُرُّهْ

***

وله :

وطُوفانِ ليلٍ مُذْ طَفَا فيه مَوْجُهُ طَفَا زَبَدُ الدهرِ المُزَيِّنِ للخَضْرَا
تفجّرَ سَيْلُ الصبحِ من سَدِّ شَرْقِهِ فمِنْ أجْلِ ذا يُدْعَى الصباحُ به فَجْرَا

***

وله :

غَطَّتْ بســاعِدِ كاءِ يجْرِي وَجْهاً يفُوق الوَرْدَ رِبَّ القَطْرِ
كبدرِ تمٍّ عند نصفِ شَهْرٍ غاب وقد لاحَ عمودُ الفجْرِ

***

وله :

قُلْ لِرقيبٍ قد أتَى لِصِبْيَةٍ أرَقَّ مَعْنًى من نَسِيمِ السَّحَرِ
باللهِ قُمْ لا تقْطعَنْ حديثَهمْ وتعْترِضْ بين الصَّبا والزَّهْرِ

***

وله :

بكَرَ النَّدامَى للصَّبُوحِ ونَبَّهُوا أوْتارَهم تدْعُو لهم ضِعْفَ السُّرورْ
فتمطَّتِ الأغْصانُ من نَفَسِ الصَّبا وتثاءبَتْ فى الأرضِ أفواهُ الزُّهورْ

***

وله :

مُذ زار مَن أهْواه فى رَوضَةٍ أرْشَفَنِي ثَغراً هــو الخمْرُ
قالت لِي الأرْدافُ مِن خَلْفِه : اليومَ خَمْراً وغــداً أمْرُ

***

وله :

سرق المَنــــام بطرْفهِ الْ فتّانِ ذو الحُسْنِ الغَزيرِ[1]
طِـــرازُ حُسْنٍ حاذقٍ طَرّ القلوبَ من الصُّدورِ

***

وله :

وحَقِّكُمُ مَديحِي في عُلاكمْ له نَشْرٌ ببُرْدِ الدهرِ عاطِرْ
وعَرْفُ العُودِ يُخْبِرُ مَن رآهُ بطِيبٍ فيه تنْقُله المَجامِرْ

***

وله :

رَقَّ مِسْكِيُّ حُلَّةٍ فوقَ جسمٍ رَقَّ حتى لَكاد باللُّطفِ يجْرِى
فيه طَرْفِى مُنَزَّهٌ حين أبْدَى بُرْدَ ظِلٍّ على مَعاطِفِ نَهْرِ

***

وله :

رعَى اللهُ عصْراً غاب عنِّي عَواذِلى به فسرقْتُ الوصْلَ في غفْلةِ الدهرِ
أصائلُ وَصْلٍ برَّدتْ بنَسيمِها من الكَبِدِ الملهوفِ هاجِرَةَ الهَجْرِ

***

وله :

تعلَّق قلبي في الغرام بصُدْغِهِ فمَعطِفُهُ ذاكَ الصُّدْغِ وَقْفَةُ خاطِرِ
تعلَّق قلبي ليس يدْرِى قَرارَهُ كأنّ فؤادِى في مَخالِبِ طائِرِ

***

وله :

كيف سُلْوِّى إذا تبــدَّى بوَجْهِ مَعشوقَ العِــذارُ
والحسْنُ في وَجنتيهِ غضٌّ ما اختلَف الليــلُ والنهارُ

***

---

(١) في ب : « ذو الحسن الغرير » ، والمثبت في : ا .

وله :

دَعَوْتُكَ يا خليـــلِي للحضُورِ          فلا تبْخَل بتعْجيلِ السُّرورِ
فعُمْرُ الالْتِقاءِ غدا قصـــيراً          فطَوِّلْهُ بأوقاتِ البُكورِ

***

وله :

يا صـــاحِ والشوقُ استَعَرْ          إنْ فَتَقَ الجفْنَ السَّهَرْ
رَفَّاهُ خَيْــطُ مَدْمَعٍ          له من الهُدْبِ إبَرْ

***

وله :

ويَمْنعُنِي تقْبيلَ خَدَّيْه أنني          أخافُ إذا ما أبْصرتْه النَّواظِرُ
فعلِّمَنِي تقبيلَ رِجْليْه إذْ مَشَى          وقد قبَّلتْ أقْدامَهُنَّ الضَّفائِرُ

***

وله :

فَرَشَ الرَّبيعُ لنا خمائلَ سُنْدُسٍ          مِن حولها غُدْرانُهُنَّ فَراوِزُ (1)
ومَشَى بها سارِى الصَّبا مُتَمَلِّلاً          وعليه أعْيُنُ نُورِه تتَغامَزُ (2)

***

وله :

مَحَا اللهُ أقْطاراً من الجُودِ أمْحلَتْ          وكم قادرٍ فيها عَن الحمْدِ عاجِزُ
وعاقِرَ أرْضٍ ليس يُولَدُ نَبْتُها          وكم وَلَدتْ فيها المَنايَا المَفاوِزُ

---

(1) فى شفاء الغليل ١٦٨ : « ثوب مفروز : له تطاريف ، وإفريز الحائط : طنفه . معرب ، كذا فى الصحاح » ، وفى الصحاح ( ف رز ) ٢/٨٨٧ : « وأما إفريز الحائط : فمعرب . ومنه ثوب مفروز » ، وفيه أيضا ( ط ن ف ) ٤/١٣٩٦ : « والطنف أيضا : إفريز الحائط ، وكذلك السقيفة تشرع فوق باب الدار ، والطنف أيضا : السيور » .

(2) فى ا : « سارى الصبا متهللا » ، والمثبت فى : ب .

وله :

وكم ناسٍ بموتِ أصولِهم قد ... رقَوْا رُتَباً لها شرفٌ وعِزّهْ
كدُودِ القزِّ أمسَى فى قبورٍ ... لصاحبِها بها حُلَلٌ وبِزّهْ

***

وله :

مَلَكْتُ من القنعِ كنزَ الغِنَى ... وقال اصطباريَ مَن عزّ بزّ
فإن عزّ ذو الجاهِ من كِبْرِه ... فجاهُ القناعةِ عندى أعزّ

***

وله :

حسدتُ كتابى حين لاقَى أحبّتِى ... بعارضِ خطٍّ دبّ فى خدّ قِرْطاسِ
فقال على الأقدامِ تسعى وتبتغِى ... مَقامِى وقد أمسيتُ أسعَى على راسِ

***

وله :

الخلقُ سفْرٌ والزمانُ مراحلٌ ... خطواتُه فى سيْرِه الأنفاسُ
والمَقصِدُ الأسنَى لهم دارُ البقا ... دخلتْه من بابِ الفناءِ الناسُ

***

وله :

مَن يبغِ طُولَ العمرِ لم يضْجَرْ بما ... ساق الزمانُ له فكدّر حسْنَهُ
مَن كان يختار الحياةَ وطُولَها ... فعلى النّوائِبِ فليُوطِنْ نفسَهُ

***

وله :

إن غاب مَن أهوَى فلى مُسامِرٌ ... مِن الأمانى لم يَغِبْ عن مجلسِى
نِعْمَ الرّفيقُ أملِى إن لم يجُدْ ... بنفعِه فهْو لعَمْرِى مُؤنِسِى

***

وله :

لأشعارِ مصر بالتّوارِى سَخافَةٌ ... وكم لاح تجْنيسٌ بها وهْو تنْجِيسُ
يقولون فى الألفاظِ مِنَّا حلاوةٌ ... فقلتُ ولكن ذاكَ حَشْوٌ وتلْبِيسُ

***

وله :

أفئـــدةُ الخلقِ على حُكْمِهِ ... له رَعايَا والسَّريرُ الحَشا
مَلَّكه الحسْنُ قلوبَ الورَى ... واللهُ يُؤْتِى مُلْكَه من يشا (١)

***

وله :

أيُّها اللّائمُ دَعْنِى واسْتَرِحْ ... مِن خليعٍ هو للنُّصْحِ عَصَى
لا تلُمْ فى اللهْوِ والسِّنُّ عَلا ... واقرَعِ العُودَ ودَعْ قَرْعَ عَصا (٢)

***

وله :

ياصاحِ توَقَّ من فواتِ الفُرَصِ ... لا تهْنأُ عِيشَةُ امْرِىءٍ ذِى غصَصِ
فالوُرْقُ وإن غدَتْ بعَيْشٍ رَغَدٍ ... تبْكى وتنوحُ دائمًا فى القَفَصِ

***

وله :

دهرُ سُوءٍ فيه ارْتفاعُ لئيمٍ ... وبَنانٌ من المَكارِمِ تُنْفَضْ
فيَدِى قد غسلْتُها من نَداهُ ... وفمُ الجفْنِ بالدُّموعِ تمَضْمَضْ

***

---

(١) اقتباس من قوله تعالى : ﴿وَاللهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ سورة البقرة ٢٤٧

(٢) فى ب : « ودع قرع العصا » ، والمثبت فى : ا .

وهو يشير إلى قولهم : « إن العصا قرعت لذى الحلم » ، وهى تقرع للكبير فى السن حتى لا يخلط فى كلامه ؛ تذكرة له .

وله :

وَمَوْلًى له بالمُرْدِ قلبٌ مُوَلَّعٌ يُصَرِّح طَوْراً بالهوى ويُعَرِّضُ
ومُذ قال إن الحبَّ عندىَ آفةٌ خَشِيتُ عليه أن يَمَلَّ فيُحْمِضُ(١)

***

وله :

رعَى اللهُ عوّاداً إذا زار نادياً غدا لجموحِ اللّهوِ فى الحالِ رائضاً
رأى طَرَبَ النَّدْمانِ أسْقَمه الهوَى فجَسَّ له نبْضاً من العُودِ نابِضاً

***

وله :

وقوم لِئام ليس لى فيهمُ رِضاً وما فيهمُ شىءٌ على قُبْحِه يُرْضِى
أُسائِل عنهم كلَّ مَن قد لَقِيتُه سُؤالَ طَبِيبٍ ليس يعلمُ بالنَّبْضِ

إنما يسأل عن القارورة والبراز ، فهو كنايةٌ بديعة .

***

وله :

نَثِيرُ الياسَمِينِ من فوق بَدْرٍ لِمُحِبِّيه بالخلاعةِ باسِطْ(٢)
فحَسِبْناه شَمْـــــةً أوْقَدُوها وعليها فَراشُ لَيْلٍ تَساقَطْ

***

وله :

لله ما أَلْطَفَه من زامرٍ يَنْشَق من عَبَقِ الْانْبساطْ
كأنَّ إسْرافيــــلَ قد وكَّلَه لِيَبْعثَ الأرْواحَ من فَرْطِ النَّشاطْ

***

وله :

قلتُ لمّا عَذَّبوه فَغَـــدا مَثَلاً يُسْرِعُ فى خَيطِ اخْتلاطْ(٣)

---

(١) الإحماض : أن تأكل الإبل الحمض حين تمل المرعى ، وهو فى الجماع العدول عن قبل المرأة إلى دبرها أو العدول عن النساء إلى المرد من الغلمان .

(٢) فى ب : « نثر الياسمين » ، والفعل فيها مبنى للمجهول ، والمثبت فى : ب .

(٣) فى ب : « مثلا يسرح » ، والمثبت فى : ا .

عُـــذْرُ مَولاىَ الذى جاء به ... مِثْلُ ضَمٍّ الإِسْتِ من بعدِ الضُّراطْ

***

وله :

كم هِمَّـــةٍ عاليةٍ ... فى الجِدِّ لم تُفَرِّطِ

لا تَرْتَضِى بوَسَطٍ ... فالدُّونُ جارُ الوَسَطِ

***

وله :

كتب الربيعُ على طُرُوسِ رِياضِهِ ... صُحُفاً من التَّوحيدِ ما فيها غَلَطْ

وحَدَا السحابُ إلى الحدائقِ قُدْرَةً ... نَقَّاشُهافى الرَّوْضِ نَقَّطَ ثم خَطّ(١)

***

وله :

ومَوْلًى أمْطَرتْ كَفَّاه غَيْثاً ... لَدَى الأزَماتِ فهْو على اشْتِراطِ

ومَن يُحْسِنْ وقد فات احْتِياجٌ ... كَمَن يقْضِى الصَّلاةَ على الصِّراطِ

***

وله :

قيـــل فلانٌ يَدَّعِى كَرَماً ... ورِفْعةً والزمانُ فيه غَلَطْ

فقلتُ مات الكِرامُ فهْو كمَنْ ... وَجَــد البيتَ خالِياً فضَرَطْ

***

وله :

أمَوْلاىَ كم من دُعاء إلى ... نَداكَ دُعاء مُلِحٍّ مُلِظٍّ(٢)

تَخِذْتُك كَهْفاً لِمَا أرْتَجِى ... فما نِلْتُ منك سِوى يوم حَظِّى

***

---

(١) فى ا : « وغدا السحاب » ، والمثبت فى : ب ، وفى الأصول : « إلى الحدائق قدره » ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) مُلِظّ : مُلِحّ أيضا .

وله :

وسحابٍ فيه بَرْقٌ بعُيونِ النَّوْرِ تُلْحَظْ
خِلتُهُ لمَّـــا تبدَّى حَبَشِيّاً يتلمَّظْ

***

وله :

المَدُّ بعـــد الجزْرِ قالوا إنه يأْتى من البـــدرِ المُنيرِ الطَّالِـعِ
صَدَقُوا فبدْرِى فى مَطالِـعِ حُسْنِهِ قد أَوْرَثَ الأَجْفانَ مَدَّ مدامِعِى

***

وله :

إذا لم أَلْقَ فى أمرِى شَفِيعاً فتَرْكِى ما أُرِيدُ أَجلُّ شافِعْ
أَأَخْشَى ضِيقَ صَدْرٍ من لَئِيمٍ وصَدْرُ البِيدِ والطُّرُقاتِ واسعْ

***

وله :

لَعَمْرُكَ ما طال الوُقوفُ على الحِمَى لِحيرةِ فكرى من دُرُوسِ المَرابِعِ
ولكنْ تمشَّتْ فى ذَراهُ عُيونُنـــا تجرُّ على الأطْلالِ ذَيْلَ المَدامِـعِ

***

وله :

تَواضَعْ تكنْ مِمَّا يَشِينُكَ سالِماً فكم جرَّ نفعاً لِلَّبِيبِ التَّواضُعُ
وللإِسْمِ بالتَّصغيرِ جَمْعُ سَلامةٍ وإن كان فيه قبلَ ذاك مَوانِـعُ

***

وله :

أَذْهَبَ نَقْدَ العمرِ حتى انْحَنَى يطلُبُ فى التُّرْبِ لِمَا ضَيَّعا
كأَنما نَكَّسَ رَأْساً له يُعاقِبُ القلبَ الذى ما وَعَى

***

وله :

قد انْحَنَى الشيخُ لعُظْمِ الذى　　حُمِّلَ مِن ذَنْبٍ له قد سَعَى

كأنمـــا سلَّم من فَرْحةٍ　　على رسولِ الموتِ إذ وَدَّعَا

***

وله :

مِيعادُك الفارغُ إن ساعَدَهُ　　قولهمُ مَن أجْدَبَ المَرْعَى انْتجَعْ[1]

أشْفِقْ عليـــه كم كذا تجُرُّهُ　　ما بين يَأْسٍ زاجِرٍ لى وطَمَعْ

***

وله :

قالُوا المَنَـــامُ لم يَزَلْ　　بكلِّ تأْويلٍ يَقَـــعْ

على جَنَـــاحِ طائرٍ　　فهْو إذا قُصَّ وَقَـــعْ

***

وله :

أصْبَحْتُ فى خَلَفٍ كجلْدٍ أجْرَبٍ　　وبِمُهْجتِى داءٌ دوائى ما ابْتَغَى

حَلِمَ الأدِيمُ فليس يُجْدِى دَبْغُهُ　　حتى يعودَ القارِظان فيُدْبَغَا[2]

***

وله :

لَمَّا رأى القلبُ أهْوالَ الزمانِ وما　　فى اليأْسِ مِن راحةٍ بعد العَنَا فَرَغَا

لم تُجْدِ شَكْوَاىَ إلاَّ ذِلَّةً وعَنَا　　وليس أوَّلُ فَحْلٍ أثْقَلُوا فَرَغَا

***

وله :

لا أطمعُ اليومَ وقد أصبحتْ　　للهِ عنـــدى نِعَمٌ سَابِغَهْ

---

(١) انتجع : أى طلب النجعة ، أى ترك الجديب ليطلب الخصيب .　　(٢) حلم الأديم : وقع فيه الحلم ، وهى دودة تقع فى الجلد فتأكله ، فإذا دبغ وهى موضع الأكل . القاموس ( ح ل م ) .
ويضرب المثل بعودة القارظين فيالا أمل فى عوده ، وتقدم ذكر ذلك .

لِرَأْسِ أطْماعِي تَبيتُ الْمُنَى تَدْهُنُ من قارورةٍ فارِغَهْ

***

وله :

فَدَيتُكَ إن النفسَ تأنَفُ أن تَرَى رجائِيَ في باب امْرِئٍ مُتَكَفِّفَا

وليس يتمُّ الجودُ للحُرِّ مُوسِرًا إذا لم يكنْ في عُسْرِه مُتَعَفِّفَا

***

وله :

أقول لِلَّهْوِ والصَّهباء قد مَنَعتْ صَفْوًا على رَغْمِ أنْفِ للخَليعِ عَفَا

أغاب إبْلِيسُ مِن هذا المُصابِ لنا ما ذاكَ إلّا لِطُولِ العمر قد خَرِفَا

***

وله :

أيْرٌ كَكَلْبِ الدارِ لَمَّا جَنَى وصار في فِعْلِ الخَنَا ذا شَغَفْ

يقُوم للطَّارِي عليـــه ولا يقومُ للإلْفِ الذي قد عَرَفْ

***

وله :

سقى اللهُ رَوضاً قد نَعِمْنا بظِلِّهِ ولا جارَ إلّا نَهْرُه المُتدفِّقُ

إذا ما تغنَّتْ وُرْقُهُ وطيورُه غدتْ طَرَبًا أيْدِي المِياهِ تُصفِّقُ

***

وله :

قد شِبْتُ وعُمْرُ صَبْوتِي عن طَوْقِ ما شَبَّ وطِفْلُه بمَهْدِ الشَّوْقِ

في غُصْنِ نقًا إذا بدا عُنصُرُه في ماء مَشارِبِي حَلا في ذَوْقِ

***

وله :

مِن تحت هَمْزَةِ صُدْغِه ألِفٌ مِن عارِضَيْهِ تملَّكَتْ رِقِّي

عابُوه فى حَلْقِ لهـــا عَبَثًا    مع أنَّها من أحْرُفِ الحَلْقِ

***

وله :

هذه الدنيـــا مَمَرٌّ    فيـــه للداخلِ طُرْقُ
ليس بيْن الموتِ فى الأوْ    طانِ والغُرْبةِ فَرْقُ

***

وله :

شُجاعٌ إذا قام فى مَعْرَكٍ    يزيدُ اشْتعالًا لَدَيْه العِراكُ
فكم دارِعٍ صادَه فى الوَغَى    كأنّ الدُّرُوعَ عليه شِباكُ

***

وله :

أعيدُ الزمانِ وعُرْسُ الفَلَكْ    زمانُ كِرامٍ أضاءَ الحَلَكْ
وإن زَمانًا به قد وَلِيتَ    لما تَمَّ دهرٌ بِبَخْسِ الفَلَكْ

***

وله :

إذا لُحْتَ قالتْ عيونُ الوَرَى    أذا مَلِكٌ طالِعٌ أم مَلَكْ
أرى زمنًا كنتَ فيـــه العَميـ    ـدَ عِرْسَ الكِرامِ وعيدَ الفَلَكْ[1]

***

وله :

كِلَا جانِبَىْ هَرْشَى طَريقٌ لسالِكٍ    إذا لم يكن يَرْضَ مُقامًا على ذُلِّ[2]

---

(١) فى ا : « وعيد الفلك » وفى ب : « وعبد الملك » ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) هرشى : ثنية فى طريق مكة ، قريبة من الجحفة ، يرى منها البحر ، ولها طريقان فكل من سلك واحدا منهما أفضى منه إلى موضع واحد ، ولذلك قال الشاعر :

خُذَا أنْفَ هَرْشَى أو قَفَاها فإنما    كلا جانِبَىْ هرشى لهنّ طريقُ

معجم البلدان ٤/٩٦٠ .

فإن كنتما كولًا فكن خير آكلٍ ولا تنتهبني نهبة الذئب للسَّخْلِ (١)

***

وله :

فديتُ ديارًا للأحبة لم تزلْ على القلب للقلب المتيَّم منزلا
فليت ترابًا مسّها قدمٌ لهم أراه بأفواه الجفون مُقبَّلا

***

وله :

أملي مُذ سعى لِطُرْقِ المعالى وله الحِرْصُ والعَناء دليلُ
قال يأسي له استَرِحْ فهي طُرْقٌ ما على المُحْسِنين فيها سبيلُ

***

وله :

يُعْلي مقامَ المرء خِفَّةُ ظِلِّهِ وترى الثَّقيلَ مُحَقَّراً مملولا
أوَ ما ترى الميزانَ يُرْفَع كلّما قد خَفَّ فاحذَرْ أن تكون ثقيلا

***

وله :

رأى في طريقِ الرُّشْد شَبَّتْ بها مَتِي فأوْقد فوق الرأسِ منّي مَشاعِلَا
يُحُطُّ به راءٍ لدَى كلِّ شَعْرةٍ تنفَّر عني كلَّ مَن كان واصِلَا

***

وله :

ناديتُ وقد هجرتُمُ ياليلى مُذْ طُلْتِ هدَدْتِ بالتَّجافي حَيْلي
والدَّمْعُ بمُقْلتي لِنَوْمي أفْنى والذَّنْبُ لنائمٍ بطَرْفِ السَّيْلِ

***

(١) السخل : الضعيف ، وهو يعني ولد الشاة .

وله :

بجُودِهِ تغرق الآمالُ حــين ترَى ... مَوْجَ النَّدى سال فى النَّادِى لِمن سَأَلا

له مَوائِدُ إحْســانٍ إذَا بُسِطتْ ... تدْعُو الثناء إليها دَعْوة الجَفَــلى

***

دعوة الجَفَلَى هى الدعوةُ العامَّة ، يَجْفَلون إليها ، والنَّقَرَى : خِلافها ، قال طَرَفة [1] :

نحنُ فى المَشْتاةِ نَدْعُو الجَفَلَى ... لا ترَى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ

***

وله :

أرى كلَّ ذى عَيْبٍ ونَقْصٍ لقد عَلَا ... على كلِّ حُرٍ بالفضـــائلِ كُمِّلا

كذلك عاداتُ الزمانِ لأجْــلِ ذا ... صفاتُ عُيوبِ الخلقِ فى الوَزْنِ أفْعَلا

***

وله :

ما فتح الوردَ بنانُ النَّدَى ... ولا نَسِــيمٌ سَحَراً ناسِمُ

قراضةَ التِّبْرِ بِفِيهِ أخْفَى ... فهو لذا فَرِحٌ باسِمُ

***

وله :

قيل فى اسْمِ السَّلام رُقْيَةُ رَاقٍ ... للأفاعِى قد حَرَّمتها الأنامُ

وأنا قد رأيتُ رُقْيةَ فَقْرِى ... حين ألقاكَ أن أقولَ السَّلامُ

***

وله :

إنِّى إذا ما الهَمُّ وَافَى إلىَّ ... مَضاجِعِ شَرَّدَ عنها المَنامْ

خادعْتُ أيَّامِى بشُربِ الطِّلا ... لِخِدْعَةِ الأيامِ شُرْبُ المُدامْ

---

(١) ديوانه ٧٩ .

وله :

مَن كان فى الدهرِ له مَكْسَبٌ     فليَجْعلِ العقْلَ بَرِيدَ المَرامْ
لكلِّ شىءٍ صَنْعةٌ أُحْكِمتْ     وصنْعةُ العقلِ اختيارُ الكرامْ

***

وله :

كُن لِمَا لا ترجُو أشدَّ رجاءٍ     وارْجُ رَبّاً للعالمين كريما
إن مُوسَى راح يقْبِسُ ناراً     كلَّمَ اللهَ رَبَّه تكْلِيما

***

وله :

قالوا الزمانُ غدا قصيراً هل مضَتْ     بَرَكاتُه أوْ زادتِ الآلامُ
ما ذاكَ إلّا أنه قد فَرَّ مِن     خَوفٍ وقد جارَتْ به الأحْكامُ

***

وله :

يتَبادَلان بِلَا رِبًا إذْ أحْكَمَا     عِنْدَ المَحبَّة أيَّمَا إحْكامِ
قُبَلٌ فمًا لِفَمٍ وصَبٌّ دائمٌ     ما بَيْنَ ذَيْنِ كفرْدَتَىْ بنْكامِ (١)

***

وله :

ومُولَعٍ بالدَّبِّ كَىْ يسْرِقَ لَيْلاً خاتِمَا
وقد حَكَى الطَّيْفَ فما يَزُورُ إلّا نائما

***

وله :

أُغْلِقُ الجَفْنَ حين زار خَيالٌ     منك كى لا يَفِرَّ من أجْفانِي

---

(١) لعل الصواب : « قبلا » على أنه مفعول « يتبادلان » .
والبنكام : ما يقدر به الساعة النجومية من الرمل ، وهو معرب عن اليونانية . شفاء الغليل ٥١ .

فيظنُّ العذولُ أنَّ مَنامِي زارَنى والمنـــامُ ليس يرانِي

***

وله :

صَبرتُ لخطْبِ زمانٍ دَهانِي وأفْنَى اللآلِي شَيْدُ والِي المَبانِى
فشَالَتْ نَعامتُهم بالرَّدَى وفَرَّخَ رُوعِي بوَكْرِ الجَنانِ (١)

***

وله :

وكم فتيةٍ نجّيْتُ من نار فتنةٍ وأنقذْتُهم من ظُلْمةِ الحدَثانِ
أضاعُوا حُقوقِى ثم غرُّوا بذِلّتِي كأنِّى لديْهم خالدُ بن سِنانِ (٢)

***

وله :

ولم أنْسَ إذْ أهدَى النَّسِيمُ تحيَّةً رقصَتْ لها طرَباً غصونُ البانِ
والسُّحْبُ قد نسجت رِداءً أدْكَناً والبرْقُ مَكْفُوكٌ من العِقْيانِ

***

وله (٣) :

مُذْ هجَرْتُم هجَر الطَّيْفُ ولِى ناظِرٌ لم يدْرِ ما طَعْمُ الوَسَنْ
فى هَواكم ألِفَ الحزْنَ فلو لم يجِدْه مات من فَرْطِ الحَزَنْ

***

وله :

أيها السَّائِلي عن النومِ إنِّى لم أذُقْه من بعد ساعةِ بَيْنِي

---

(١) شالت نعامتهم : خفت منازلهم منهم .
والروع : القلب ، وفرخ روعى : زال عنى ما أرتاع له وأخاف .
(٢) يعنى خالد بن سنان بن غيث العبسى ، الذى ذكره النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « نبي ضيعه قومه »
انظر أسد الغابة ٢ / ٨٤ .
وفى الأصول : « كأن لديهم » ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٣) البيتان فى ريحانة الألبا ١ / ١١٤ .

أَتَظُنُّ المَنَـــامَ يدخُل جَفْنِي كيف هذا وحَشْنُه ملءُ عَيْنِي

***

وله فى معنى قول الحسن : من ركب الليلَ والنهار فإنه يُسار به وإن كان مُقيماً :

لا تَظُنَّنَّ ذَا حيـــاةٍ مُقيماً وهْو فى رِحْـــلةٍ له بيَقِينِ
مَن مَطاياهُ ليـــلُه ونهارٌ سائرٌ للفناء فى كلِّ حِينِ

***

وله :

إذا غبتَ ياشمسَ المكارمِ والنَّدى وأظْلَمَ من أُفْقِ التَّواصُلِ هِجْرانُ
ففى كلِّ طَرْفٍ من خَيالِكَ صُورةٌ وفى كلِّ عَيْنٍ مثلَما قيل إنْسانُ

***

وله :

العينُ تَوَدُّ فى جميعِ الأزْمانْ لو تبصِر طَرْفَه المريض الفتّانْ
تشْكو سُهْدَ النَّاعِساتِ الأجْفانْ فالنَّومُ كما يقال حقًّا سُلْطانْ

***

وله :

قالوا لِيَ اصْبِرْ لفادحِ الأحْزانِ فالحُزنُ وما يَسُرُّ كلٌّ فانِى
فارْقُبْ فَرَجاً فقُلتُ إنِّى أخْشَى يأْتى الفَرَجُ إلىَّ لا يلْقانِى

***

وله :

زارَنا الوَرْدُ فى أسَرِّ زَمانٍ فقَرَيْناه بابْنةِ الزَّرْجُونِ
وبُعَيْدَ الرَّبيعِ أطْفالُ نَوْرٍ لَعِبت والخيولُ قُضْبُ غُصونِ

***

وله مُضمِّنا ، فيمن علَّق على جَبِينه باقَةَ نَرْجِس :

على وَجْه من أحْبَبْتُ أبصرْتُ نَرْجِساً غدا باهِتاً يرْنُو له بعُيونه
فيــــا حبَّذا بدرٌ بقلبِيَ نازلٌ كأنَّ الثُّريَّا عُلِّقتْ فى جَبِينه[1]

***

وله :

يا حابِسَ الكأْسِ فى يَدَيْهِ أنْعِمْ بَرِدٍ لِشارِبِيهَا
فَحَبْسُها فى يَديْك ظُلْمٌ شَيَّبَ رأسَ الحبابِ فِيهَا

***

وله :

حُسْنُ لِباسِ الفتى يدُلُّ على مُروءةٍ طَبْعُه بهــــا زَاهِى
فَبِزَّةُ المرءِ فى تَجمُّلِهِ عليْـــه عُنْوانُ نِعمةِ اللهِ

***

وله :

تَوَقَّ السُّؤالَ إذا ما حَجَجْتَ وفى جامعٍ تَعْبدُ اللهَ فِيهِ
فَمَن يسْألِ الناسَ عند الكريمِ سواءٌ لَدَيْه ومَن يشْتكِيهِ

***

وله :

لَمَّــا رأيتُ الوزيرَ بالدُّنْيَا أجْمعِها قام وهْو حَاوِيهَا
عَرفتُ أن الدنيـــا تقومُ على قَرْنِ لِثَوْرٍ بإذْنِ بَارِيهَا[2]

***

وله :

مَدحْتُه يوماً فنِلْتُ الغِنَى بالوعدِ والإحْسانِ مِن فِيهِ

---

(١) فى ب : «علقت بجبينه» ، والمثبت فى : ا .    (٢) فى ب : «بأمر باريها» ، والمثبت فى : ا .

فقـــال لى لمَّا تقاضَيْتُه    كِذْبٌ بكِذْبٍ لا رِبًا فِيهِ

***

وله :

مَنْزِلٌ ضَيِّقٌ ولا حُسْنَ فيه    غيرُ تَهْوِينِ ضِيقِ قَبْرٍ كَرِيهِ
مثل حَبْسِ الأرْحامِ مَن يَنْجُ منه    ما رأيْناه قطُّ يدخلُ فِيهِ

***

وله :

قدَّر اللهُ أن أعِيشَ فريداً    فى ديارٍ أُساقُ كَرْهاً إليْهَا
وبقلْبِي مُخَدَّراتُ معانٍ    أُنْزِلَتْ آيةُ الحجابِ عليْهَا

***

وله :

كلُّ الورى جُرْدٌ سَلُوقيَّةٌ    لِصَيْدِ رِزْقٍ أبداً تنْوِى[1]
ووَثْبةُ الأرْنَبِ كم خَلَّفَتْ    كَلْباً على حِرْمانِه يعْوِى

***

وله :

مَوْلًى إذا ما جئْتُ أبْوابَهُ    وفَضْلُه أصْبح لى داعِياً
ظَلَّ أميرُ الشَّوْقِ لى آمِرًا    وحاجبُ الهيْبةِ لى ناهِياً

***

وله :

أتيْتُك يا مَوْلاىَ أبْغِى زيارةً    تسُرُّ على رَغْمِ الأعادِى الأمانِيَا
فإن كنتَ لم تُصْبِحْ لِىَ اليومَ آذِناً    فقد أذِنَتْ لى هِمَّتِي بارْتحالِيَا

***

---

(١) فى ا : « جلد سلوقية » ، والمثبت فى : ب .
والسلوقية : نوع من الكلاب عرفت بالبراعة فى الصيد .

وله :

دَارِ الْبَرِيَّةَ إن تُرِدْ شَرَفًا ودَعْ عنك الْحَيَا
إن الرِّيَاسةَ كاسْمِهَا فاسْمَــعْ أوائِلَهَا رِيَا

***

ومن مُفْرَدَاتِهِ التى أجْراها مَجْرَى الأمثال :

دَارِ الأنامَ صغيرَهم وكبيرَهم مَن لم يُدارِ المُشْطَ يَنْتِفْ لِحْيَتَهْ

***

أرْسِلْ إذا أرْسلْتَ خِلًّا حاذِقًا إنَّ الرسولَ تُرْجُمانُ العَقْلِ

***

يَطِيبُ عَيْشُ المرءِ فى حَيِّهِ إن ترك التَّدْبيرَ والإخْتيارَا

***

مَن يَتَّبِـعْ رَأْىَ الأمانِى لم يَنْجُ مِن مَطْلِ التَّوانِى

***

كَفَى نَاظِرًا للعَبْدِ أنَّ عَدُوَّهُ يكونُ على حالٍ بها يَغْضَبُ الرَّبُّ

***

مَن يَزْنِ فى حُلْمٍ يكُنْ جَزاؤُه فى حُكْمِ أهلِ الشَّرْعِ يُجْلَدْ ظِلُّهُ

***

كلُّ الورى صائِدٌ ولـكنْ يختلفُ الفَخُّ والشِّبَاكُ

***

البَيْعُ بالنَّقْدِ خـــيرٌ وأوَّلُ السَّوْمِ رِبْحُ

***

كم ناصحٍ وصَفَ الطريقَ لِمُدْلِجٍ ويَنامُ عن سَنَنِ الطَّريقِ الواضِحِ

***

ومن يقعُدْ على طُرُقِ القَوافِي    تَمُرُّ عليـــــه قافيةُ الهجاء

***

لا تـكُن مُمْسِـكاً حَبابَ رَجاه    فالأمانِي بَضَائِـعُ الحُمْقِ

***

ولا خيرَ في مُلْكٍ بغيرِ مُدَبِّرٍ    تفرَّقتِ الأغنامُ إذْ ذَهَبَ الرَّاعِي

***

تَسْبيحُ عِلْقٍ زارَهُ لائِطٌ    أَبْرَدُ أم سَجَّادةُ الزَّانِيَهْ

***

كلُّ مَن قَصَّرَ عَمَّـــا    نالَه النَّاسُ يَعِيبُهْ (١)

***

ما يطلُبُ المرءُ بغيرِ حاجةٍ    تَدعُو إليها الحالُ فَقْرٌ حاضِرُ

***

بلُحومِ الأنامِ مَن يتغَذَّى    ذاقَ جُوعاً من النَّدَى والمَعالِي

***

إذا ما اتَّسعَ الخَرْقُ    فأَعْطِ الثَّوبَ رَافِيهِ

***

يَروغُ في مِشْيةٍ ثَعْلَبٌ    ولو مَشَى في رَبَضٍ خَالِي

***

إن لم يكُنْ في منزِلٍ مُؤْنِسٌ    ما الفَرْقُ بين البيتِ والقَبْرِ

***

أيُّهـــا النَّافِخُ يَبْغِي أنَّه    يُطْفِئُ الشمسَ لقد أتعبْتَ فَا كَا

***

لسانُ كلِّ عاقلٍ في قلبِه    وقلبُ كلِّ جاهلٍ في فِيهِ

***

---

(١) في ا : « تاله الناس يصيبه » ، والصواب في : ب .

إن نصحتَ الصديقَ فانْصَحْهُ سِرًّا    كلُّ نُصْحٍ بين الملا تقريعُ

***

يامَن سقى مِن حَنْظَل عَسلاً    أرقْتَ في غيرِ طائلٍ عسلَكْ

***

مَن صحِبَ الدهرَ طُولَ عُمْرِهْ    لم يَخْلُ من خَيْرِه وشَرِّهْ

***

إذا كنتَ في بَلْدةٍ لم تُرِدْ    مُقامَك فيها فأنتَ الأسيرُ

***

مَن لا له حَبِيبُ    فإنّه غَريبُ

***

خيرُ السِّلاح ماوَقَى    إن الرشادَ في التُّقى

***

إنما أشْتَهى لقاءَ حَبِيبٍ    أو لبيبٍ يشْفي الفؤادَ كلامُهْ

***

قيل لا جُهْدَ بلاءٍ نازلٍ    مثلُ جارِ السُّوءِ في دارِ المُقامَهْ

***

مَن يُهْدِ للناسِ ثمارَ الغِنَى    أهْدَوْا إليه ثَمَرَ الشكرِ

***

إنّ رِضَا المرءِ على نفسِهِ    دليلُ سُخْطِ الخَلْقِ والخالقِ

***

وإذا ما كنتَ يوما مُخطِئاً    فاعْتِرافٌ بالخَطا عَيْنُ الرِّضَا

***

ربما كان سارقانِ على المالِ    حَفِيظانِ مثلَ رَبِّ المالِ

***

مِن أفضلِ التَّصدُّقاتِ بِرًّا    جُهْدُ مُقلٍّ لفقيرٍ سرًّا

***

لقد قيل إن الكِبْر والعُجْبَ محنةٌ ... وذاكَ بلاءٌ ليس يرحمُ صاحِبَهْ

***

إذا جاد للقوم ربُّ الطعام ... فماذا يكونُ امتنانُ الطُّفَيْــلِي

***

قل لِمَن فى الخير أبدى جُهدَهُ ... الضِّمارُ اليومَ والسَّبْقُ غدَا

***

إن لم يكنْ بين القلوبِ تجاوُرٌ ... كان الجوارُ قرابةَ الحِيطــانِ

***

لا تَصْحبنْ إلَّا امْرَءًا عاقلاً ... ينفع فى الدنيــا وفى الآخِرهْ

***

رحم الله صاحباً لِىَ أهْدَى ... عَيْبَ نفْسى قد كنتُ لستُ أراهُ

***

ومن نوادرِه منظومتُه فى الأمثال، سماها «رَيْحانة النُّدْمان».

منها:

مَن ينتسِبْ إلى العظيمِ عظُمَا ... فالْجأْ إلى اللهِ تكُن مُكَرَّمَا

تُصانُ عن كَسْرٍ وعن إمالَهْ ... مُجاوِراً سَعْداً وخيرَ حالَهْ

ورُبّما يُكْسَرُ للجوارِ ... ويُؤْخَذُ الجارُ بظُلْمِ الجارِ

فى زمن فيه الفحولُ صَرْعَى ... اسْتَنَّتِ الفِصالُ حَتَّى القَرْعَى(١)

خُذْ عِظَةً من الزمانِ كم وَعَظْ ... إنّ السعيدَ مَنْ بغيرِه اتّعظْ

ليس الغِنى إلّا إذا صفَا الكَدَرْ ... هل ينظُر الغَرِيقُ فى البحرِ الدُّرَرْ

فامْدُدْ على قَدْرِ الكِساءِ رِجْلَكَا ... واقْطَعْ على طُولِ القَوامِ ثَوْبَكَا

قد مات أمْسِ وتقضَّى أمَدُهْ ... واليومُ فى النَّزْعِ ولم يُولَدْ غدُهْ

---

(١) القرعى: جمع قريع، وهو الذى به قرع.
والمثل يضربه للذى يتكلم مع من لاينبغى أن يتكلم بين يديه لجلالة قدره. مجمع الأمثال ١/٢٢٥.

اتْرُكْ فتًى أخلاقُه أخْلاقُ ... دَواء مالا تشْتهى الفِراقُ

كم آلِفٍ مَن لم يكُنْ قَرِينَهْ ... ضَرورةً كصُحْبَةِ السَّفِينَهْ

مَن خطب الشَّرَّ تزوَّج النَّدَمْ ... ويستوى منه الوجودُ والْعَدَمْ

مَن يزْرعِ العِتابَ يَحْصُدِ الفِراقْ ... وغيرةُ الْحمقاء مِفْتاحُ الطَّلاقْ

كم زارعٍ لراقدٍ قد أكَلَا ... ومُوقدٍ ناراً وغيرُه اصْطلَى

مَنْ مَوْتُه عِتْقٌ من الآفاتِ ... فلْيُؤْثِرِ الموتَ على الحياةِ

ما الخطْبُ إلّا للجَليلِ طارِقُ ... مِن الأعالى تنزلُ الصَّواعِقُ

مَن لا يَقِيكَ غائباً أذْناهُ ... ليس تَراكَ شاهداً عيْناهُ

وَسِّعْ عليكَ كلَّ شىءٍ يتَّسِعْ ... فإنه مَن صارَعَ الدنيا صُرِعَ

قد يُنبِئُ اللفظُ عن الضَّميرِ ... واللَّحْظُ عن لَفْظٍ بلا تَعْبيرِ

مَن نَفْسُه لِذِلَّةٍ تُسْلِمُهْ ... لا أكْرَم الرحمنُ مَن يُكْرِمُهْ

رِضَا الأنامِ غايةٌ لا تُدْرَكُ ... أرْضِ الإلهَ للسَّدادِ تَمْلِكُ

إنَّ اقْتناءَ المجدِ والمَناقِبِ ... تكونُ فى الصبرِ على العَواقِبِ

إنَّ المِزاحَ مُلْقِحُ الأضْغانِ ... وكاسِفٌ مَهابَةَ الإنْسانِ

فَضْلُ الأيادِى فى النَّدَى قُروضُ ... ووُدُّها فى شَرْعِه فُروض

لا يعدمُ الكريمُ أن لا يُحْسَدَا ... والمالُ مكذوبٌ عليه أبَدَا

إذا تلاقَى الخطْبُ والأقْدارُ ... يصْطلِحُ الغَريقُ والتَّيّارُ

يَتْعبُ مَن يُجاوِرُ الأعْلَى المَحَلّ ... أمَا تَرَى الخصْرَ النَّحيلَ والكَفَلْ[1]

ورُبَّ شِرِّيرٍ لِقَوْمٍ يُصْلِحُ ... إنَّ الحديدَ بالحديدِ يُفْلَحُ

إنَّ الجبانَ حَتْفُه مِن فوقِه ... والثَّوْرُ يحمى أنفَه بِرَوْقِه

---

(١) فى ا : « من يحاور الأعلى » ، وفى ب : «يجاوز الأعلى» ، وما أثبته يتفق مع ما فى عجز البيت .

لا يَتْرُكُ الحَزْمَ اللبيبُ الأكْيَسُ     أن تَرِدَ الماءَ بماءٍ أكْيَسُ

والحِرْصُ فى كلِّ زمانٍ عانِى     والحِرْصُ والحِرْمانُ تَوْءمانِ

شَيْبُ الشُّعورِ زُهْرُ النُّجومِ     تُنْبِتُه غمـــــائمُ الهُمُومِ

إن لم يَجُدْ بوَصْلِهِ الحبيبُ     اصْطَلَح العاشِقُ والرَّقيبُ

أعْطِ أخاك إن قَدَرْتَ تَمْرَهْ     فإن أبى قبولَهـــا فجَمْرَهْ

تُؤَدَّب الأشْرافُ بالهجْرانِ     ولم تُؤَدَّبْ قطُّ بالحِرْمانِ

لا تَصْحبِ المجْدُودَ بعد اليأسِ     فرُبَّما أعْـــداك بالإفْلاسِ

☆☆☆



## السادات البَكْرِيّة

سادات الوُجود، وأولياء النِّعَم الذين عُرِفوا بالكرم والجود.

بيتٌ كعبةُ العَتيق يزوره مَن لَبّى وأحرم، ومن نال لَثْمَ عَتَبَةِ بابه فقد ظَفِر بالحجر المكرَّم.

ثبتتْ أوتادُه وأطْنابُه، ووُصِلت بأسْباب السماء أسْبابُه.

لا زِحافَ فيه إلّا فى بُيوتِ حُسّادِه، ولا يَطأ إلّا على رقاب أضْدادِه.

حَرَمٌ آمِن ليس للحوادثِ عليه هُجوم، ولا لشياطين البَغْى فيه استِراقٌ فلذا تستريحُ شُهُبُه من الرُّجوم.

فهم نورُ الكَوْن قبل أن يُخْلَق النَّيِّران، وقُطْبُ الدائرة قبل أن تؤمَر الأفلاكُ بالدَّوَران.

خالِصةُ الله من عبادِه أهلِ الصلاح، وترابُ نعالِهم كُحْلٌ لعيون أهل[1] الفَلاح.

مامنهم إلّا فَتًى لثَوْب العِزِّ ساحِب، وللوقار مِن[2] الصِّبا مُصاحِب، فإذا استَوَى على كُرْسِيِّه فَمَلَكٌ عليه من المهابة قبل الحاجِب حاجِب.

بحارٌ طَمَتْ وعلت القُلَل مُتَمَهِّدةً صوب المِهاد، فتوارتِ البحارُ خَجلاً منها فى مُنْخفِض الوِهاد.

فَفِى جِيدِ الدهر مِن مَدائحِهم عُقودٌ وقلائد، ليس إلّا كَلِماتُها شَذَرات وقوافيها فوائد.

---

(١) ساقط من : ب، وهو فى : ا، ج. (٢) فى ب، ج : « مع »، والمثبت فى : ا.

فمنهم :

## ٣٣٠

## أحمد بن زَيْن العابدين*

شهابُ أُفقِهم الثَّاقِب ، الكثيرُ المآثِر والمناقب .

رَاياتُ مَشاهِدِه على الآفاق مَجْلُوّة ، وآياتُ مَحامِدِه بألْسِنة الإطْلاق مَتْلُوّة .

فما فَتحت المحابِرُ أفْواهَها إلَّا لتنطِق ألْسِنةُ الأقْلام بما مَدَحتْه به الأنام ، ولاحَبَّر الحِبْرُ بياضَ الطُّروس بسَوادِ السُّطور إلَّا ليُشير إلى أنَّ مِن جُمْلةِ خَدَمِه الليالى والأيّام .

إذا بَدَا للعيون أدْهَشَها عن التَّمَلِّى حِجابُه المَنِيع ، وإذا قابلَه الوَرْدُ احْمرّتْ خدودُه إذ أخْجل الرَّوضَ منه الصَّنِيع .

وقد عَوّدَتْه بَسْطَ الكَفِّ فَواضِلُه ، فلو أراد قَبْضَها لم تُجِبْه أنامِلُه .

مَحاسنُ شِيمَهِ خَلْفَها المَعالى تَسِير ، ومَواطِئ هِمَمِه كَفُّ الثُّرَيَّا إليها تُشِير .

وإذا رقَى نَجْدَ المعالِي وَاطِئاً ... ثَهْلان مَجْدٍ فى ذَرَاه فارِعَا

لم يَحْكِه شَرَفاً ولا ظِلٌّ له ... فلذا يُعفِّر منه خَدًّا ضَارِعَا

---

(*) أحمد بن زين العابدين بن محمد البكرى الصديق المصرى الشافعى .

ولد بمصر ، وبها نشأ ، وقرأ على عمه أبى المواهب ، وعلى أبيه ، وغيرهما .

واشتغل بفنون عدة ، وتصدر للاقراء بالجامع الأزهر ، وعقد مجلس التفسير فى بيته بالأزبكية ، وجمع فيه علماء العصر ، وأذعنوا له ، وحج مرارا ، وكانت إليه النهاية فى علوم الطريق .

وكان فيه سخاء وتلطف ، جعل الشعراء تقصده من كل ناحية .

وله « ديوان شعر » ، وكتاب « روضة المشتاق وبهجة المشاق » .

توفى سنة ثمان وأربعين وألف .

بيت الصديق ١٨٠ـ١٨٣ ، حديقة الأفراح ٧٤ ، ٧٥ ، خلاصة الأثر ١/ ٢٠١ ـ ٢٠٣ ، سلافة العصر ٤١١ ، ٤١٢ .

وكان يَسيرُ سيرَ الملوك ، ويُقلِّد من التَّرفُّهِ بأزْهَى السُّلوك .

فى عِزَّةٍ أشهرَ مِن مَثَل ، وعن المُلوكِ فلا تَسَل .

وقد وَلِيَ قضاء مكّةَ فانضَمَّ إلى كعبتِها كَعْبَة ، وبَسَط يدَه فى المَواهِب حتى صَيَّر كَعْباً[1] لا يبلُغ فى الجود كَعْبَه .

فلا ينْتهى من مَحْمَدَةٍ حتى تَكِلَّ الخواطر ، ولا يرجِعُ عن مَأثُرةٍ حتى تنْقطع عن السَّيْرِ المَطِىُّ الخواطِر[2] .

***

وهو فى الأدب روض توَشَّى ببُرْدِهِ الأخْضَر مِن نباتِه ، ونَظَم النُّوَّار قلائدَه من جِيد الجداوِل فى لَبَّاتِه .

وله أشعارٌ أنْسَقُ من لُؤلُؤِ المُزْنِ فى فَمِ الأقاح ، وأعْبَقُ من عَبِيرِ وَرْدِ الخُدُودِ والتُّفَّاح .

فدونك منها مايَسْحَبُ به الأدبُ ذُيولا ، وتأْمَن زَهراتُ رَوْنقِه تغَيُّراً وذُبولا .

فمنه قوله :

| | |
|---|---|
| صَبٌّ جَفاهُ هجُوعُه | والآنَ زاد وُلُوعُهُ |
| كتَمَ الهوَى عن قَوْمِهِ | فوَشَتْ عليه دُموعُهُ |
| قالوا الحبيبُ مُمَنَّعٌ | أحْلَى الهوى مَمْنُوعُهُ |
| لو ذاق رَضْوَى بعضَ ما | يَلْقَى لَذابَ جميعُهُ[3] |
| فهو القتيلُ بحُبِّه | مُلْقَى الغرامِ صَرِيعُهُ |
| شيخُ الهوى بل كَهْلُه | بل طِفْلُه ورَضِيعُهُ |

***

(١) يعنى كعب بن مامة الإيادى ، الجواد الجاهلى المشهور . (٢) أى التى تخطر فى مشيتها.

(٣) فى الأصول: «لو ذاق رضوى بعدما» ، ولعل الصواب ماأثبته.

وقوله[1] :

وحَقِّ حُمْرةِ خَدٍّ تُثير بالقلب جَمْرَهْ
تُطْفِى لخَمْرةِ ثَغْرٍ بيضاءَ فى الكأسِ حُمْرَهْ[2]
تَجْلى لخَمْرةِ فضلٍ تُزِيلُ بالشُّرْبِ خَمْرَهْ[3]

***

ومن ألغازه[4] :

غَزالةٌ فى بُرْدِها رافِلَهْ تقتنِصُ الأُسْدَ مِن القافِلَهْ
فى حَرَمِ الأمْنِ وقد خِلْتُها قائمةً بالفَرْضِ وبالنّافِلَهْ
قلتُ لها : رِقِّى ، فقالت لِمَنْ كأنها عن مَطْلَبِى غافِلَهْ
ثم انْثَنَتْ تُلْغِزُ لى باسْمِها لُغْزًا به أفكارُنا كافِلَهْ
ما اسمٌ خُماسِىٌّ وتصْحِيفُه شِبْهُ بُدورٍ لم تكنْ آفِلَهْ
فى سُنَّةِ المُختارِ خيرِ الورى بيانُه وهْى له شامِلَهْ
فى سِنَةٍ نَبِّهْ مُسْتيقِظاً وإن تَشا فى سَنَةٍ كامِلَهْ[5]

***

ومن نثره جوابُ لُغزٍ فى حَوْراء[6] :

أجَدْتَ أيها الجِهْبِذُ الهمام ، وحلَّيْتَ بجواهِرِ زَواهِرِ الدُّرَرِ أجْيادَ الكرام . واستجْلَيْتَ على مِنصَّةِ فِكْرتِك حَوْراءَ الجِنان ، واستخْلَيْتَ بها فى المَقاصِير[7] الحِسان . فافْتَرَّ ثَغْرُ حَسَكِها[8] لِلقْياك ، ورَوَتْ لك روايةَ بِشْرٍ عن الضَّحّاك .

---

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢٠٣/١ . (٢) فى خلاصة الأثر : « تطفى لجمرة ثغر » .
(٣) فى خلاصة الأثر : « تزيد بالشرب خمره » . (٤) اللغز فى خلاصة الأثر ٢٠٣/١ .
(٥) فى ا : « فى سنة بينة » ، وفى ب ، ج : « فى سنة بينه » ، والمثبت فى الخلاصة .
(٦) خلاصة الأثر ٢٠٣/١ ، وفيه أنه كتب به إلى الوارثى المصرى ، وهو يعنى أحمد الوارثى الصديق ، وتأتى ترجمته برقم ٣٣٣ . (٧) فى خلاصة الأثر . « مقاصير » .
(٨) فى خلاصة الأثر : « حسنها » .

فصابَحَ اللهُ صَباحةَ وجهِك بوَجْهِها الحسَن، ولا زالتْ تخدمك المعالي بأنْضرِ فَنَن .

***

وله في أشهب، كتبه إلى ابنِ عَمّه الوَارِثي ، وكان مَالِكيًّا [1] :

ما علَمٌ مُفْرَد مُركَّب ، وُضِع لحيوانٍ يُرْكَب ؟

إن رفَعْتَ رأسَ زِمامِه ، دَلَّ على اسمِ جَمْعٍ نارِيٍّ في الْتِزامه .

وإن أتيْتَ برأسِه إلى أقْدامِه [2] ، فاسْتَعِذْ باللهِ من سِهامِه .

مع أنه على حقيقةِ الانفِراد ، إمامٌ تَزِيد فيه اعْتقاد .

وتقْتدِي بأمْرِه ونَهْيِه وعَدْلِه ، وقد أقَرَّ العلماء بفضْلِه .

خُصوصاً أهلُ مذهبِكم الشَّرِيف ، ولا يحْتاج إلى تعْرِيف .

***

وله جواب لُغزٍ أرْسلَه إليه الوَارِثي :

بَقِيتَ أيها العلَّامةُ المَصُونُ بلفْظِ الخالقِ ، تَكْتَحِل بإثْمِدِ مِدادِك المَكْنون عيونُ الحقائق .

وتَسْعَى لَدَيْك جَوارِيها جارِيةً ولو جازَتْ قَصَباتِ السَّبْق ، مُطِيعةً لأمْرِك في حالِها وماضِيها ومُضارِعها لاسْتِقْبال الحقّ .

ينْتظِمُ مَنْثُورُها لَدَيْك انْتظامَ العُقود ، ويتشَعَّب أرِيضُها تشَعُّبَ المُغايَرة في مَنْهَلِها المَوْرُود .

لأنك الفَرْدُ الذي زاد اللهُ شَرَفَه ، ورَقَى في مَراقِي الكمال شَرَفَه [3] .

***

وكتب إليه :

ما قولُكم في حَرامٍ ورَد بالنَّصِّ ، وهو حلالٌ لكلِّ شخص .

---

(١) هذا الفصل أيضا في خلاصة الأثر ١/ ٢٠٣ .    (٢) في خلاصة الأثر : « قدامه » .

(٣) الشرف : المكان العالي .

ومن أعجب العُجاب ، أن تفتخر به أُولو الألباب .
نزلتْ في شأنه آياتٌ بيِّنات ، وأُقيم بوجهِ الحُرْمة فيه دلائلُ واضحات .
ولا حدَّ على مَن قال بحِلِّه ، مع أنَّ حدَّه ثابتٌ بصحيحِ نقلِه .
شهدتْ بتحريمِهِ علماء المِلَل ، واعترفُوا بالحِلِّ ولا زَلَل .
إن حذفتَ آخِرَه تراه مِن الأوتاد ، ويطلبه الزُّهَّاد والعُبَّاد .

***

فأجابه بقوله :

دُمْتَ مولاىَ بالمعارفِ تُولِي صَحْبَكَ الفضلَ في بديعِ الكلامِ
وعجيبٌ في النَّصِّ شيءٌ حرامٌ وهو حِلٌّ وواجبٌ في الحرامِ
وهو في الحدِّ قائمٌ حيث يَحْمِي كلَّ مَن جاءه لِحفظِ الذِّمامِ
هو بالنَّصِّ جائزٌ وحرامٌ بل وحاوٍ لسائرِ الأحكامِ
وهو أيضاً حقيقةٌ ومجازٌ وطريقٌ لنيلِ كلِّ مرامِ
فيه أيضاً ثوابُ ساعٍ إليهِ بل وفيه وسيلةُ الإسلامِ
هَبْكَ بالقلبِ تُخلِصُ الوُدَّ فيه هو نَزْرٌ فيما له من مُقامِ

*

أخوه :

# ٣٣١

## الأستاذ محمــــد*

صاحبُ الحْالِ والْقالِ ، ومَن أعْجزَ بوَصْفِه فُصَحاءَ المَقال .

فهو مَعْدِن الفَضْـل الذى خَلُص عِيارُه ، وبحرُ العِـلم الذى لا يُقْتَحم بسُفُن الأفْـكار تيَّارُه .

خُلِق كما أرادتْه مَعاليه ، وتمَنَّتْه أيّامُه ولَياليه .

فلو صوَّر نَفْسَه فى الوجود ، لم يَزِدْها على ما فيه من الـكرمِ والْجود .

فاشْتهرَ شُهْرَةَ الفجرِ الصـادِق فى الظلام ، وجَدِّه أبى بـكر الصِّدِّيق فى أهلِ الإسلام .

وهو خليفةُ الذى أسْرعَ الأجْوادُ لِمُخالفتِه ، ولم يستقِمْ أمرُ خلافتِه مع مُخالفتِه .

فما انقطعت الأقلامُ فى خِدْمةِ بارِيها إلا طَمَعاً فى جَنّات مَدْحه فواظبَت على الخمس ، ولا رأى الهلالُ ما فى نفسِه من العِوَجِ إلّا قال اعتذاراً له مِن أين لِي وُصولٌ إلى مَطْلَعِ الشَّمْس .

---

(*) أبو الحسن محمد بن زين العابدين بن محمد البكرى الصديق المصرى .

ولد بمصر ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن ، وتأدب ، واشتغل بطلب العلوم وأتقنها ، وبرع فى كثير من الفنون ، سيما علم التفسير والحديث ، وكان له فى علوم القوم وأصول التصوف قدم راسخ .

درس بالجامع الأزهر ، ولما كبر استقل بالإفادة فى بيته .

له « ديوان » مجموع ، ومؤلف فى ذكر النيل .

وتوفى سنة سبع وثمانين وألف ، ودفن بالقرافة الكبرى .

خلاصة الأثر ٣/ ٤٦٥ ــ ٤٦٨ .

على أنَّ رأسَ الشمس شابَ لانتظارِه ، والأنجُمَ كلَّها مُقَلٌ مُنتظِرةٌ لَمحةً مِن أنظارِه .

وكان له نَوادٍ غاصَّة ، ومجالسُ عامَّة وخاصَّة .

يستخلِص فيها مَن رقَّتْ طِباعُه ، وامتدَّ فيما يَليقُ بمُكالَمته باعُه .

فيُصفِّي ألبابَهم بحصول خَيْرِه ، ويُسكِّن قلوبَهم بيُمْنِ طَيْرِه ، ويُغنيهم ما عاشُوا عن مُخالطةِ غيرِه .

فى حضرةٍ تستنطِق محاسِنُها الخُرْس ، ونازلُها مُتهيٍّ لا من مَوْسمٍ إلى عُرْسٍ .

يتنسَّم فى الطُّلوع والعُبور عن عَبير ، ويَثْني المَعاطِفَ من الحُبورِ فى حَبير .

الرَّوضُ ما قد قِيلَ فى أيّامِه لا أنَّه وَرْدٌ ولا نَسْرِينُ

والمِسْكُ ما نَمَّ الثَّرَى مِن ذِكْرِه لا أنَّ كلَّ قَرارةٍ دارِينُ[1]

فامتلأتْ أرجاءُ الوجود بأرَجِ صِفاتِه المَلَكيَّة ، وخضعت الصَّنادِيدُ الصِّيدُ لعَتَبةِ عِزِّه المَلَكيَّة .

وشدَّتْ فُحولُ الرِّجال ، نحو سُدَّته الرِّحال ، وكحلتْ بثَراه أعيُنَها بلامِئَةِ الكُحْل والكَحَّال .

وأصبح لِلآمالِ رُكْنا رَكِينا ، وكَهفا تَأْوِي إليه العُفاةُ مَكِينا

فى خِلْعةِ الزّاهِي لِمَن شامَهُ صَحِيفةٌ عُنوانُهـــا البِشْرُ

بطَلْعةٍ تَمْتَـلِى العَيْنُ مِن إجْلالِها والقلبُ والصدرُ[2]

***

وكان فى الأدب ممَّن سُلِّم له المَقاد ، وله شِعرٌ سَلِم من النَّقْد فإنَّ قائلَه أنقدُ النقَّاد .

---

(١) دارين : فرضة بالبحرين ، يجلب إليها المسك من الهند ، وتقدم ذكرها .

(٢) فى ب : « بطلعة تتملى » والمثبت فى : ا ، ج .

إذا ما قال شِعْرًا تاهَ عُجْباً    به بين الخليقةِ كلُّ شِعْرِ
ولِلأقلامِ كم قَصَباتِ سَبْقٍ    حَواها فى الرِّهانِ بيومِ فَخْرِ
فلم تُدْرِكْهُ غُباراً منه عَيْنٌ    ولم تَلْحَقْ به خَطَواتُ فِكْرِ

***

فمن شِعْره قولُه ، من قصيدة أرسلَها إلى شيخ الإسلام يحيى المِنْقارِىّ [١] ، أوّلُها [٢] :

أمِسْكيّةُ الأنفاسِ أم عَبْقةُ النَّدِّ    وناسِمةُ الأزهارِ أم نَفْحةُ الوَرْدِ
ونَشْوانةُ الألحاظِ أم رِئْمُ حاجِرٍ    وثَغْرُ القَوافِى الزُّهْرِ أم لُؤْلُؤُ العِقْدِ
ومائِسَةُ الأعطافِ أم خُوطُ بانَةٍ    ووَجْهُ الذى أهْواهُ أم قَمَرُ السَّعْدِ [٣]
أعَزُّ بنى العَلْياءِ قَدْراً ورِفْعةً    ومَن فرَعَ الشَّمّاءَ مِن رُتْبةِ المَجْدِ
ومُقْتَعِدٌ مِن صَهْوةِ المجدِ سابِقاً    إذا ما دَنا حَدُّ المُطَهَّمةِ الجُرْدِ
ومُعْتَقِلٌ لِلعِزِّ صَعْدَةَ عَزْمةٍ    أنابيبُها رَعّافةٌ بِدَمِ الأُسْدِ
ومُرْسِلُ أرْسالِ العطايا مُبارِياً    بأيْسَرِها وُطْفَ الغَمائمِ فى الرِّفْدِ [٤]
أيا مُفْتِىَ السُّلْطانِ إنّك واحدٌ    كما الوهذا لستُ أشْهدُه وَحْدِى
وأنت ومَن يَهْواك فى ذِرْوةِ العُلَى    بفَخْرٍ ومن يَشْناك فى وَهْدةِ الطَّرْدِ

---

(١) شيخ الإسلام يحيى بن عمر المنقارى الرومى .
أخذ بالروم فنون العلم عن أكابر علمائها ، ولازم على دأبهم بمدارس قسطنطينية ، وولى قضاء مصر ، ثم قضاء مكة ، ودرس فيها بالمدرسة السليمانية ، ثم ولى قضاء قسطنطينية وقضاء العسكر بروم ايلى ، ثم نال منصب الفتوى سنة ثلاث وسبعين وألف .
وله « حاشية على تفسير البيضاوى » ، ورسالة « الإتباع فى مسألة الاستماع » .
توفى سنة ثمان وثمانين وألف ، ودفن بأسكدار .
خلاصة الأثر ٤/٤٧٧ ، ٤٧٨ .
(٢) فى خلاصة الأثر من هذه القصيدة الأبيات : الأول ، والثامن ، ومن السادس عشر إلى آخرها .
(٣) خوط البانة : غصنها الناعم .
(٤) الغمائم الوطف : المثقلة بالماء .

وإنّك والرحمنِ حِلْفَةَ صادقٍ | لأمْثَلُ مَن أهْدِى له دُرَرَ الْحَمْدِ
فلا زال أهْلُ العلمِ يَحْيا بفَرْعِكُمْ | بفضلِ إلٰهٍ فَيْضُهُ زادَ عن حَدِّ[1]
رعَى اللهُ أيّاماً مَضَيْنَ كأنّنا | بها قد غَنِمْنا العَيْشَ فى جَنّةِ الْخُلْدِ
تولَّيْتَ فيها مصرَ تُوسِعُ أهْلَها | نَوالاً يفُوقُ النِّيلَ فى وَاسِعِ المَدِّ
وعَزَّزْتَ فيها الشَّرْعَ آيَةَ عِزّةٍ | بحَدِّ حُسامٍ سُلَّ بالعِزِّ عن حَدِّ
فيا مَن له وُدِّى من الناسِ كُلِّهم | وَمن هو لى من بَيْنِهم غايةُ القَصْدِ
ومَن صِرْتُ فى مَدْحِى عُلاهُ كأنّنى | حَمامةُ جَرْعَا فَوق مَيّالةِ المُلْدِ
على أنّنى ما فُهْتُ يوماً لِماجِدٍ | سِواهُ بشِعْرٍ لا بقُرْبٍ ولا بُعْدِ
ولٰكنْ دَعانِى الشَّوقُ أبَيْتُ داعياً | وهذا وما أُخْفِيه بعضُ الذى أبْدِى[2]
أليّةَ مَحْنِىِّ الضُّلوعِ على الأَسَى | تَحارُ الأُسَا فيما يَراه مِن الوَجْدِ[3]
له زَفَراتٌ من فؤادٍ تضرَّمَتْ | بها نارُ شَوْقٍ دُونَها النارُ فى الوَقْدِ
لأنتَ الذى ما حَلَّ فى القلبِ غيرُه | ولا حالَ حالِى فيه عن ذلك العَهْدِ[4]
ولم تَرَ عَيْنِى مثلَه بَعْدَه وهل | يَمِيلُ إلى عَوْرٍ فتًى عاشَ فى نَجْدِ

وأعقبها بنثرٍ ، صورتُه[5] :

اللّهمّ إنى أسألُك بأسْرارِ التَّنْزيل التى فاقَت البَحْر والنَّهْر ، ويسَّرت بمَعالم تنزيلها المَدارِكَ لتَسْهيل السَّبِيل كلَّ سُؤْدُد وفَخْر .

وقضَيْتَ بكشفِ مَعارِفها عن كَشّاف عَوارِفها لِمن أصبحَ عادلاً وابنَ عادِل ، فما أفْتَى مُفْتٍ إلّا وانْفهَق من[6] من قلبه يَنْبُوعُ الحياة وحصَل منه الكَمالُ بكَمالِ الفضائل .

---

(١) فى ج : « فضله زاد عن حد » ، والمثبت فى ا ، ب .
(٢) فى خلاصة الأثر : « لبيت مسرعا » . (٣) فى خلاصة الأثر : « بما براه » .
(٤) فى خلاصة الأثر : « من ذلك العهد » . (٥) تضمن هذا النثر ذكر كتب كثيرة ، ورّى بها المترجم . (٦) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

وما أغرَب عمّا أغرب بباسقات تبيانه إلّا وكان الدُّرّ المنثور ، وما أطنَب بكلّ كلام أطيَب إلّا بفتح الرحمن الكفيل له بتيسير الأمور .

أن تمدّ حضرة مولانا شيخ الإسلام ، الذى أحيَى اللهُ تعالى بوجوده مآثِرَ العلماء الأعلام .

نخبة أرباب العلوم ، والمحلّى لجيد الدهر بقلائد المنثور والمنظوم .

صاحب المقامات الحسنة فى ترغيبه وترهيبه من فعله الحسَن ، بادى الإرشاد بتنبيه الغافلين فيما ظهر وبطن .

فالدُّرَر المنيرة من مواهبه اللّدُنيّة ، المتّفق عند الثقاة على دلائله منهاج التوضيح من فتح ربّ البريّة .

ما اختلف فى فضله اثنان ، بل ائتلف على حبّه كلّ إنسان .

مرسَلُ أوصافه مسلسَلٌ بكلّ كمال ، وحديثُ أفضاله متّصِلٌ بالخبر فى الغُدُوّ والآصال .

ضياء مشكاة أفكاره مشارقُ الأنوار ، ومصابيح آرائه مضيئةٌ بالعشيّ والإبكار ، بتنوير الأبصار والبصائر ، المختار من خلاصة أهل العناية فلا أشباه له ولا نظائر .

فالدُّرَر والغُرَر من كنز بحر علمه الرائق ، الجامع المحيط بما يقصُر عنه نهرُ الحقائق .

الحائزُ من البداية أسرار الهداية ، صدرُ الشريعة منشرحٌ بنقاية الوقاية وغاية النهاية .

تنقيحُ عباراته يبدى دُرَرَ بحاره ، وتوضيحُ تلويح إشاراته يهدى إلى الإسعاف بملتقى اللطائف .

مجمعُ بحرَي العلم والعمل ، ورمزُ الحقائق الموصّلُ إلى خزانة الفقه بفيض الأزل .

الجامعُ الفتاوى يضىء من جوهرة لُبّه المنير ، وفتاوى ابن نجيم من بيانه برسم بنانه الكاشف عن غرّة التحرير .

مَنـارُ الدِّين وصاحبُ الاستقصاء لفُصُول البَدائع ، بَحْرُ الأُصول فى المَعْقول والمَنقول بل جَمْع الجوامِـع .

مِنْهاجُه قَويم ، ونَهْجه مُسْتقيم .

وكيف لا وهو العَضُدُ وحاوِى التَّحْرير ، أبـكارُ أفـكارِه المُستقصر من لُبِّ اللباب عند كلِّ خَبير .

فالنُّقُود والرُّدُود مِن أبحاثِه حاصِلَه ، ومِرْقاةُ الوُصول لِذِى الأُصول واصِلَة .

صاحبُ التَّمْهيد والتَّجْريد بالهداية إلى مَواقِف المَقاصِد ، والمقامات العَلِيَّة فى آداب البَحْثِ لذَوى العَقائد .

فـكم له من مُحاوراتٍ يحصُل بهـا الشِّفا ، لِبيانِ حِـكْمة العَيْن مِمَّن كان فى غُموضِها على شفَا .

قَوِىُّ الطالِـع سامِى العِماد ، سَيِّدٌ فى مَطالِـع السَّعْد على أُولِى الطَّوالِـع الأمْجاد .

له المحاكَمات الشَّمْسِيَّة فى تهذيب جَميل الفَرائِد ، المُنتظِمة فى سِلْكِ تَقْرِير المُلخَّص للفَوائد .

ذِى المَناهِج الوَافِيـة بتُحْفةِ المَوْدُود ، وطالِـع نِظام السَّعْد الذى هو أَسْنَى المَطالِب فى تحـقِيق المَقْصود .

عباراتُه الشَّافية مَراحُ الأرْواح ، المُشْرِقة بِسَناء الإيجاز التَّعْريفَ الفائض لِلْمِصْباح عِزُّ المَوالى فالمَنْسُوب إليه عَزِىُّ الأفاضِل ، الآتى بما لم تأْتِ به الأوائِل .

لا غَرْوَ أنه مُغْنِى اللَّبِيب ، وتُحْفة الغَرِيب .

أَلْفاظُه الـكافِيَـة فى تَسْهِيل الصَّلاة والعوائِد ، ومَوارِدُه الصَّافِيـةُ لـكلِّ وارِد لتحْصِيل خَلاصةِ القَواعِد .

ما قَطْر النَّدَى إلَّا من بحرِ عِلْمِه البَسِيط ، وجَمْعُ جَوامِـع فوائِده وَافٍ مُحِيط .

المَنْهَل العَذْبُ لِوَارِدِيه ، والـكافِى الشَّافِى لِمُرِيدِى الارْتشاف وطالِبِيه .

عِصام الدُّنْيا والدِّين ، فوائدُه الضِّيائيَّةُ عُمْدةُ أهل التَّمْـكِين .

مُجِيبُ النِّدا لِراجِي هَمْعِ عَوارِفِهِ ، ومُجْلِي ظُلُماتِ الرَّدَى بإشْراقِ نَجْمِهِ السعيد في سَماءِ مَعارِفِهِ .

عَيْنُ أُنْمُوذَجِ الكَمالات ، فكم أبْدَى كُلَّ مُلْحَةٍ من عُبابِ فِكْرِهِ الجامعِ لأشْتاتِ المكْرُمات .

عرائسُ أبكارِ مَعانِيه مُتحلِّيَة بشُذور الذَّهب الخالص ، المُفصَّل بالدُّرِّ النَّفِيس الذي هو بعضُ ما فيه من الخصائِص .

فما عقودُ الجُمان لعَرُوس الأفْراح إلا كالمَثَل السَّائِر ، وما مِصْباحُ الإصْباحِ على زَهْر الرَّبيع إلّا دون أسْرارِ بَلاغتِهِ[1] في الضِّياء لكلِّ ناظِر .

فكل مُطوَّلٍ أو أطْول في بَيان فضائلِه مُختَصر ، ودلائل شَمائِلِه لائحةٌ لكلِّ مُنْشٍ أراد الإطْنابَ في مَدْحِهِ البَدِيع فاقْتَصَر .

فما كلُّ فصيحٍ وإن نَطَق بلِسان العرب ، وارْتَقى بمَحاسنِ الصِّفات وتهْذيب الأسْماء واللُّغاتِ أعْلَى مَراتِب الأدَب ، إلّا قَطْرةٌ من[2] عُبابِها الذي ليس له نِهاية ، وشَذْرةٌ من عِقْد صِحاحِها الجَوْهَرِيِّ اللّامِع سَناؤُه لأبْصارِ ذوِي الفَضْل والدِّراية .

ومُجْمَل القَوْلِ فيه أنَّه عينُ أرْبابِ الفضائل ، وتاجُ مَصادِر العرفان وصَدْرُ الأفاضل .

لا زال صاحبَ الحَماسة والسَّماحة ، وقولُه المُغرِبُ في نَقْد الشِّعْر المُطْرِب مَرْجِعاً لأهْل [3] البلاغة و [3] الفصاحة .

أما بعد ؛

فإنَّ الله تعالى عَزَّ وجل لمَّا علِم ما وهَبكم من الكَمالات السَّنِيَّة ، واخْتار لكم من المَقامات الزَّكِيَّة ، خالَطَ أرْواحَ العُلَماء بمَحبَّتِكم ، وجعل قِوامَ أمْزِجَتِها مَزِيدَ

---

(١) في ب : « البلاغة » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ب : « في » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

مَوَدَّتِكم ، حتى لقد كادت أشباحُهم تُسابِقُ النُّسور إلى أعتاب عِزَّتكم .

خِدْمةً ومحبةً ، وتوجُّهات قلوبهم لم تزلْ مُلازمةً لأبْواب سعادتِكم شَغَفاً ورَغْبة.

وعند المُحِبِّ بما يعلم اللهُ تعالى من الشَّوق ، ما هو فَوْق الطَّوْق .

ما هبَّتْ شمَالٌ وصَبَا ، إلَّا مال إليها وصَبا [1] .

على أنَّ مِلاكَ هذا الأمرِ كُلِّه سِرُّ التَّوالُفِ بالعوارِف المُؤكَّدة ، المُشار إليها بقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ : « الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ » .





---

(١) من الصبوة .

## ٣٣٢

## ولده زين العابدين*

هذا الأستاذُ في العِباد، كمِصْرَ حَرَسَها اللهُ تعالَى في البلاد[1] .

فكما هي مُحْتوِيةٌ على العالَم الأكْثر، فهو وله الفضلُ مُنْطَوٍ على العالمِ الأكبر

وإذا حقَّقْتَ فما هي إلَّا عبارةٌ عن نادِيه، وما أصابعُ نِيلِها إلَّا مِن فضل أيادِيه .

مَحامِدُه تُخلِّدُها أقلامُ الأقدار، بمدادِ الليلِ في قِرْطاس النهار .

وتَرْسُمها[2] حُداةُ القِطار، في مَسالِك الأقْطار، وبتذْهيب الأسْفار .

وزمانُه هَدِيَّةُ الفَلَك، ولُطفُه يُنْبِئُ عن خُلُق المَلَك .

ونادِيه فائدةُ كلِّ فؤاد، وجارُه أمْنعُ من جار أبي دُؤاد[3] .

ألْسِنةُ الثَّناء بفضلِه مُنْطلِقة، وأيْدِي الرَّجاء بحبْلِه مُعْتلِقة .

وأياديه لا تزال تُنْشِيء غَضَّ الأملِ المُقْتبَل، وأيادِيه عاليةٌ على الأيْدِي فلم يَعْلُها من شيء إلَّا القُبَل .

فما قبَّلت له الأفْواهُ كَفّاً، إلَّا لرُؤْيتها بحْراً تطلبُ منه رَشْفا .

سقَى اللهُ بَحْراً منه بالنَّيْل لم يزَلْ ... يَفِيضُ لِراجِيه نَدًى ورَغائِبا

---

(*) هو صاحب المحبي الذي استقدمه من الشام إلى مصر، وأقام في رحابه في ظل النعمة والفضل، وأعانه ذلك على إخراج هذا الكتاب .

وكانت وفاة الأستاذ زين العابدين سنة سبع ومائة وألف، ذكر ذلك المرادي، في سلك الدرر ١٥١/١، في ترجمة أحمد بن كمال الدين البكري .

(١) اقتبس المؤلف عبارته من الصاحب بن عباد، حين سأله ابن العميد عن بغداد عند منصرفه عنها، فقال: بغداد في البلاد، كالأستاذ في العباد . انظر يتيمة الدهر ١٥٨/٣

(٢) في ج: « وتوسمها »، والمثبت في: ا، ب .

(٣) هو الإيادي، ويضرب به المثل في منعة الجار، وتقدم بيان ذلك، وانظر ثمار القلوب ١٢٧ .

وحَيّ زماناً فيه غرَّةُ وَجْهِه تحيةَ صَوْبِ المُزْنِ يرْوِى السَّحائبا

***

وكان قبل أن يُشرِّف الشام بحلول قدَمِه ، ويُحْيِيها بيُمْنِ طالِعِه الذى أضحَتْ سُعودُ الفلكِ مِن جُمْلةِ خدَمِه .

لم تزلْ أخبارُه حظَّ القلوبِ والمَسامع ، وآثارُه حِليةَ الأفْواه ورَوْنَق المَجامِع .

فتشْتاق النفوسُ إليه شوقَه لإسْداء الجميل ، وتشْتهِى لِقاه شَهْوتَه سَبْقَ عطائِه التَّأميل .

إلى أن عزَم على زِيارة القُدْس الشَّريف ، وحَلَّها فكَسا بِقاعَها حُلَّةَ الابْتِهاج والتَّشْريف .

ثم عَنَّ له النُّهوض إلى دِمَشْق لِرُؤْيةِ مَعاهدِها ، والتَّملِّى حِيناً بمُشاهدة مَشاهدِها .

فجرَّتْ بهذا العَزْمِ ذيلَ الفرح ، وتسرْبلَتْ برداءِ الجذَل والمرَح .

وودَّتْ أن يركَبَ النَّجْمَ السيَّار ، ويمْتطِى الفلكَ الدوَّار .

لتقْرُب حركتُه ، وتعودَ عليها وعلى أهلِها برَكتُه .

فابْتدرت الفُصَحاء من أهاليها ، تخطُبه بفرائد الآثار من لآلِيها .

وكنتُ ممَّن تطفَّل باسْتدْعائِه ، وفِكْرُه مصروفٌ إلى ثنائه ودُعائه .

فكتبتُ إليه ، أسْبغَ اللهُ نِعمَهُ عليه :

أوْرَتْ يدُ البَرْقِ فى الرُّبَى زَنْدَا فمِجْمَرُ النَّوْرِ ضوَّع النَّدَّا

ونام مِن نَبْتِها رَضيعُ نَدًى تهزُّ أيْدِى الصَّبَا له مَهْدَا

والطَّلُّ فى زَهْرةٍ يُضاحِكُها لآلِئٌ ضِمْنَ مُدْهُنٍ يَنْدَى

وجدولُ الماءِ فى مُفاضَتِه قد سَردتْ دِرْعَه الصَّبا سَرْدَا

وما أرتْنا الجِنانُ حُلَّتَها حتى أرتْنا فى جِيدِها عِقْدَا

فحبَّذا طَلْعةُ الربيع وقد ألْبَست الأرضَ وَشْيَها بُرْدَا

وحبذا الشامُ أرضَ مؤتلفٍ    تُنبتُ حُبَّ القلوب والوُدّا
إن أهدتِ الوردَ زاهياً خدَّا    أطلعتِ البانَ مائساً قدّا
من كلِّ قيدِ العيونِ ممتلِئٍ    لُطفاً عن النِّدِّ حُسنُه ندّا
ترتع منه الأحداقُ فى نزهٍ    لا يبلغُ الوصفُ ضبطَها عدّا
فانتهزِ العيشَ يا نديمُ فقد    وفتْ لك الشامُ بالمُنى وعدا
انظرْ ترى الوقتَ صافياً وعلى    تتمةِ الحظِّ آخذاً عهدا
ففى التباشيرِ أن يزيّنها    زينُ العبادِ الذى حوى المجدا
أجلُّ مَن ينطِق اللسانُ به    شكراً وأولى كلِّ الورى حمدا
قد استرقَّ النُّهى بأنعمِه    فكلُّ حرٍّ أضحى له عبدا
ما حلَّ إلّا حلَّ النَّدى معه    وأمرِ الدهرُ بالمُنى سعدا
مُذ قيلَ ينوِى للشامِ مُرتحلاً    كادتْ إليهِ تسعَى بنا وجدا
وهيّأتْ فى الثرى لِمواطِئِه الـ    أعيُنُ فرشاً ومرّغتْ خدّا
فكلُّنا رامقُ البشيرِ لكىْ    نبذلَ أرواحنا له نقدا

***

النُّور وهو مُنير ، والماء وهو نمير .
والرَّوضُ وهو ناضِر ، والسحابُ وهو ماطِر .
والمرادُ وهو مَريع ، والزمانُ وهو ربيع .
أمثالٌ أوردت وأشباه ، والمقصودُ أنت بلا ريْبٍ واشتباه .

أنتَ المرادُ ولا مُرادَ سِواكا    فجميعُ ما نهوَى يكون فِداكا

فأما النُّور فنور وَجهِك المُضيء ، وأما الماء فماء رَونَقِك الوَضيء .
وأما الرَّوض فروضُ شِيَمِك وأخلاقِك ، وأما السحابُ فسحاب إنعامِك وإغداقِك .
وأما المَراد فَمرادُ جَبرِك الذى تنعطِفُ إليه القلوب ، وأما الزَّمانُ فزمانُ خَيرِك الذى يتمُّ به المَطلوب .

وإذا كنت والمُنَى فيك فما حاجةُ الورَى للأماني

وقد بلغنا خبرُ الحركة ، المقرونةِ باليُمْن والبَركة ، فمرحباً بالأمانى والأمان ، وسقياً ورَعياً لهذا الزمان .

وذلك بمُجرّد بِشارة ، ومَحْضِ عبارةٍ فى إشارة .

وأما خبرُ الوصـول والحصول ، فمُوجِبُ الذُّهولِ للعقول ، فلا نَدْرِى عنده ما نقول .

وبالجملة فحسْبُنا منك لحظة ، ودعْنا نُوجِم فلا نلفظ بلفظة .

فاللهُ تعالى لا يحرِمُنا منها ، ويصرفُ جميعَ العوائقِ والموانع عنها .

فلعمْرِى إنها النِّعْمةُ التى لا نقوم بشُكرها ، وما زِلنا مِن حين التّرعرُع فى طِيبِ ذِكرِها .

والدعاء .

***

ثم ورَدَ دِمَشْق فدخلها فى يومٍ أخذَ زِينتَه بزينهِ ، ولم يبْقَ ذُو جسمٍ إلّا والبُشْرَى مِلْءُ قلبِه والمَهابة مِلْءُ عَيْنه .

فأشرقت بنُورِه أرْجاؤها ، وامتدّ به أمَلُها ورَجاؤها .

وهُرِعتْ إليه أبناؤها من وُجوهِ ناسِها ، يَرِدُون حضْرةً احتوتْ مِن المَحاسِنِ على أنواعِها وأجناسِها .

فيتفاءلون بتلك الطَّلْعةِ التى تُقْرَأ منها نُسْخةُ الحُسْن ، وتلمَع فى أسارِيرها أشِعَّةُ النَّجاح واليُمن .

فيُبشِّرهم بابْتسامه ، قبلَ أن يُبَشِّرهم بكلامِه .

ويُحَيِّيهم بالنُّجْح بإشارته ، قبل أن يُترْجِم لهم بعبارته .

فيُشاهدون حَظّاً أقبَلَ فى مَعْرِض الكمال ، وطَالِعَ سَعْدٍ قد طلَع عليهم بنَيْلِ الآمال .

وكنتُ أنا ممّن سارَع إليه ، أسْرَعَ من الكَرَم لِطَرَفَيْه .

فاسْتخْلَصنِي لوَلائِه اللّازمِ واللّازب ، ورَبطَنِي بإحْسانِه المُتراكِم المُتراكِب .

فما تَوانَتْ لى فى قَصْدِه مُدَّةَ الإقامةِ قدَم ، ولم يُعطِّل لى مُذْ شاهَدْتُه فى ثَنائِه قلَم .

وهو ، حجَب اللهُ تعالى العُيونَ عن كماله ، وجعَل اتِّفاقَ اليُمْن مَقروناً بيمينه وانْتظامَ الشَّمْل معْقوداً بِشِماله .

سَقانا به اللهُ وَبْلَ الحَيَا فإنّا إذا ما دَعَيْنا سُقِينا

ثم انْصرفَ والأهْواء معه ، والثَّناء يَملأُ سَمْعَه .

والأبصارُ على مَرْآهُ تزْدحِم ، والأفْواهُ على تقبيل يدَيْه تقْتحِم .

فاللهُ يَعْضُده بِتوْفيقهِ ، ويجعل السَّعْدَ حِزْبَه ورَفِيقَه .

***

وقد وصلتْنى منه نُسْخةُ كتابٍ إثْر وصوله ، تقْضِينى الوُفودَ عليه ، والمُثولَ لَديْه ، وها هى :

هل تناسَى عَهْدَ المَوَدَّةِ أهْلُهْ أو حَلِيفُ الجوَى تجافاه خِلُّهْ

والهوَى الكامِنُ الذى مَلَكَ اللُّبَّ م وما حالَ عن فؤادِي مَحَلُّهْ

أتُراه يرْعَى وتُقْضَى حقوقٌ والمَشُوقُ العَميد يُجْمَع شَمْلُهْ

يا رَعَى اللهُ طِيبَ عَهْدِ لَيالٍ بحَبيبٍ يُجِلُّنــــا ونُجِلُّهْ

ما أراها إلّا كطَيْفِ خَيالٍ مَرَّ بى مُسْرِعاً وما شِيمَ مِثْلُهْ

إن أبْهَى ما نطَق به لِسانُ اليَراع ، وأشْهَى ما تشنَّفتْ بدُرَرِه الأسْماع ، سلامٌ يُخْجِل الرُّبَى فى أُوَيْقات البُكور ، ويُزْرِى بما تحمَّلَتْه الصَّبا من نَشْر الزُّهور .

أرَقُّ مِن دَمْعةِ المُشْتاق ، وأصْفَى من الصَّهباء بما تضمَّنه من مَكارِمِ الأخْلاق .
وأشْجَى مِن لَوْعةِ العُشّاق[1] ، رَبمّا تَطاولتِ الأعْناقُ لِلْمِناق .
وتحيَّاتٌ زَكيَّةٌ ، ومحبَّةٌ صادِقةٌ صِدِّيقيَّة .
أُتحِفُ بها تَرْجُمانَ أهلِ الأدب ، والبالغَ أقْصَى غاياتِ الكمالات فى كلِّ ما دأب .
المِنْطِيق الذى أعجزَت فصاحتُه كلَّ لَسِن ، ذا التَّحْقيق الذى هو بكلِّ بَراعةٍ قَمِن .
والذى يُهْدِى برائعِ عِبارتِه طِيبَ الوَصْل بعد الهِجْران ، ويُلْفَى مِن بَراعاتِه روضًا أيْنعَتْ منه الأزاهِر بفَيْنان وأفنان .
كأنّما مَخانِقُ الدُّرَر خَلُصتْ من تَرائبِ الآرام فأُلقِيَتْ فى حدائقِ مُحاوراتِه ، والحُورُ العِينُ برَزتْ فى غُرَرِ تلميحاتِه بتَمْليحاتِ مُطارَحاتِه .
لَوْذَعِىُّ الفِكرةِ الوَقّادة ، ألْمَعِىُّ الفِطْنةِ المُسْتجادة .
مَن فاق قُسًّا وأعجز المُتَنَبِّى ، حَبِيبُنا السيِّدُ أمينُ المُحِبِّى .
كان الله له ظَهِيرا ، وفى كلِّ الأُمورِ نَصِيرا .
وبعد :
فإنّا لِلّهِ الحمد والثَّنا ، فى صِحَّةٍ وعافية وأرْغَدِ عَيْشٍ وأهْنا .
غيرَ أنّا مُلَوَّعُوا الجوانح ، مُتعلِّقةٌ آمالُنا بالمَطامِع والمَطامِح .
لِوُرودِكم لهذه الدِّيار ، والتَّملِّى بطَلْعتِكم الحميدةِ المَرْأى والآثار .
فنرجُو مِن فَيْض فضلِ الله العزيز[2] ، أن يُهيِّئَ لكم التَّأهُّبَ لهذه الدِّيار إنه على كلِّ شيءٍ قدير .

***

---

(١) فى ا : « المشتاق » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ب : « العزيز » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فكتبتُ إلى جنابه :

كيف يَنسَى عَهْدَ المودَّةِ خِلُّهْ ... وهْو عن كلِّ ما سِوى اللهِ شُغْلُهْ

يَرْتجِي به الرِّضا وحَقِيقٌ ... بانْتِماه إليه يَنْجحُ سُؤْلُهْ

يارعَى اللهُ مَن بمَهْدِ هَواهُ ... لِيَ منه الإسعادُ والعِزُّ كُلُّهْ

بُغْيتِي منه أن أُمرِّغَ خَدِّى ... بثَرَى نَعْلِه الرفيعِ مَحَلُّهْ

فإذا أسعفتْ حُظوظِي فمِثْلِي ... مَن يُباهِي الأيّامَ بالفَضْلِ مِثْلُهْ

حضرة الأستاذ الذى حَياتِي بعهْدِه مُرْتبِطة ، ونَفْسِي بما يشْتهيه مُغْتبِطة .

إن لم أكُنْ عندَه ، فقد استخْلَصنِي عَبْدَه .

فأنا أينما كنت ، ما نقضْتُ عهْدَه ولا خُنْت .

نعَم كان الواجبُ مِن رَعْي ذِمَّتِه ، أن أكونَ فى بابِه حَليفَ خِدْمَتِه .

فأسْعَى إلى سُدَّتِه حَبْواً على القَدَم ، وأستنْهِض فى خِطابِه اللِّسانَ عِوَضاً عن القَلَم .

ثم لا أرْضَى له بباعِي القَصِير ، وعبارتِي الموْسومةِ بالعَجْزِ والتقْصِير .

حتى أكونَ استعَرْتُ ألْسِنةً تنْطِق حَمْداً وشُكْراً ، واستنْجدْتُ أفئِدةً تُوسِع ثَناء وذِكْرا .

فكأنَّ القوْلَ ذو سعَة ، والمُغالاةَ هنا سُنَّة مُتَّبَعة .

وقد كان فى حُكْم ما أوْلانيه الأستاذ مِن اعْتنائه بشانِي ، واستِدْنائِه لمكانِي .

تبَصُّراً منه بصلَتِه ، ورَغْبةً فى مُراعاةِ وُصْلتِه ، أن أدَعَ جميعَ المآرِب جانِبا ، وأكون لجميع المَشاهد سِوَى مُشاهدتِه مُجانِبا .

لكنْ عدَمُ الإمكان ثبَّطنِي عن هذا الغَرَض ، وعاقَنِي عن أداء هذا الواجب المُفْترَض .

فأقمتُ مُعتكِفاً على دُعاء أتّخِذُه فى أوقاتى وِرْدا ، ولا أخلُو من أمانِى لقاء الأستاذ التى أُسْقَى بها على ظمأٍ بَرْدَا .

مقبِّلا بِشفاهِ الأجْفان مَواطِئ نِعالِه ، ذاكراً ما أسْداه لى من كرائِمِ خِصالِه وجمائِل فِعالِه .

وإذا لاحظتُ شَخْصَه المُمَثَّل ، وتصوّرْتُ وُدَّه المُؤَمَّل ، أسْتقِيم وأنْحنِي ، وأذْكُر أيّام الحِمَى ثم أنْثَنِي .

وكانت لى حاجةٌ فى ذِمّةِ زمانى ، ومَأْرَبةٌ بَقِيَتْ فى عُهْدةِ الأمانى .

وهو وُرودُ كتابٍ من الأستاذ يحُلُّ عُقْدةَ لِسانى فى بَيانِ ما أجِدُ لبُعْدِه ، ويتلافَى فِيَّ بعضَ رَمَقٍ ما كنتُ أحْسَبُه يَبْقَى من بَعْدِه .

حتى طلَعَ كتابُه فكان غَيْثاً كَفَى صَيِّبُه دَعْوةَ المُسْتَسْقِي ، وماءً زُلالًا روَى بورُودِه ظمأَ المُسْتقِي .

فكان أحْسَنَ من طُلوع السَّعْد ، وأحْلَى من إنْجازِ الوَعْد .

فاتّخذْتُه مَرْتَعَ نَاظِرِى ، ومُنْتَعَشَ خاطِرِى .

ونَقْلِى إذا شربْت ، ودَاعِيِى إذا طرِبت ، ومُحدِّثى إذا خَلَوْت ، وعَرُوسِى إذا جَلَوْت .

بل كان لى حَظَّ الأمانِى من الزّمان ، وتَوْقيعَ النّجاةِ من اليأس والحِرْمان .

فالله تعالى يُبْقِي يداً وَشّتْه وحَشّتْه ، ويُدِيم رَاحةً مَسّتْه وجَسّتْه .

ثم فكّرتُ فى الجواب ، وأنا مُتحرٍّ جادّةَ الصّواب ، فرأيتُ إن لم أُجِب ، فا دَيْتُ ما يَجِب .

فأقْدمْتُ إقْدامَ مَذْعور ، وقَدّمْتُ مُقدِّمةَ معذور .

قائلا : هذا ما انتهى إليه فى العِبارةِ جِدِّى ، وأنا على يقينٍ بأن هذا الشَّرطَ س مِن حَدِّى .

على أننى لو أُوتيتُ جوامعَ الكَلِم ، لستُ ممّن تخيّل حصرَ كِرامِ أوصافِ الأستاذِ أو عَلِم .

ولا ممّن قال له اليَمُّ المُلتهم ، أنا مِدادُك المُلتطِم ، وقال مَكنونُه أنا دُرُّك المُنتظِم .

وأرجو من الأستاذ الصَّفحَ عن هذه الفَرْطة ، والعفوَ عن الجِنَاية التى ورّطتنى هذه الوَرْطة .

فمِثلُه مَن يقْبَل الأعْذار ، ويقُوم بوُجودِه عن ذَنْب الزمان الاعْتِذار .

وأمّا مُثُولِى بيْن يدَيْه ، ووُصولى بعد هذه المُدّةِ لَديْه ، فبيْنى وبينه شَهرُ الصَّبْر[1] ، وأعْزِم لأُحصّل بمَشيئة الله مَوْسِمَ الجَبْر .

وقد نوَيْتَ أنّى لا أُفارِق تلك الحضرة ، أو يُفارِق الآسَ الخُضْرة .

حقّق اللهُ سبحانه رَجائِى ، وأمَدّنِى بإمْدادات الأُستاذ فى عَلانِيَتِى ونَجْوائِى .

وفلان أحسَن الله بقاه ، وحفِظَه من كلّ سُوء ووَقاه ، شَوّقنِى بخَبرِه إلى نَظَرِه ، وبِسلامِه إلى كلامِه .

فأنا أُهْدِى إلى جَنابِه سلاماً كسلامِ أصحاب اليَمِين ، وأُودِعه القلبَ على الثّقةِ مِن أمِين ، إنه أمِين ، وعن الوُدِّ لا يَمِين .

***

ولما تعلّقَتْ إرادةُ الله تعالى بَمسِيرِى إلى القاهرة المُعِزِّيّة ، كان أوّلَ مَن اجْتلَيْتُ بها طَلْعَته الزّاهِيَة الزّهِيّة .

فأنخْتُ الرّاحلةَ فى حِماه ، واقتصرْتُ مِن أهالِيها على التّوسُّل برُحْماه .

فنزلتُ من النِّيل وساكِنِيه بمَجْمَع البَحْرَيْن ، ونظرتُ إلى وجْهِهِ وإلى البدر فرأيتُ القمرَيْن .

---

(١) يعنى شهر رمضان المكرم .

وفاتحته بقولى :

حَسْبُ مصرٍ فَخْراً على البُلْدانِ     وهْى أمُّ الدنيا بشَيْخِ الزّمانِ
سيِّدٌ أشْتَفِي بتُرْبَةِ نَعْلَيْـ     ـهِ إذا ما تقرّحتْ أجْفانِى

وألحقتها بهذه القصيدة :

نُجْلُ العيونِ من الكواعِبْ     أوْقَعْنَ قلبى فى المَتاعِبْ
بأبِى غَوانٍ للنهَى     تُدْعَى السّوالِبَ والنّواهِبْ
الغارِسـاتُ البانِ فى     خَلَلِ الرّوادِفِ والتّرائِبْ
والمُطْلِعاتُ البَـدْرِ ما     بيْنَ السّوالِفِ والحَواجِبْ
هُنَّ القَواضِي بالرّدَى     لمّا يُجرِّدْنَ القَواضِبْ
من كلِّ رُودٍ إن بَدَتْ     تَخْفَى لطَلْعَتِها الكواكبْ
تختالُ فى مَرَحِ الصِّبا     رَبّا المَسارِبِ والمَساحِبْ
وتـكادُ مِن لُطْفِ الأدِيـ     ـمِ تَسِيلُ مِن كلِّ الجوانبْ
ما أنْـكَرتْ عهد الهوى     لـكنْ تُسامِحُ فى الرّغائِبْ
وإذا أرادتْ طُول لَهْـ     ـفِ الصَّبِّ أرسلَتِ الذّوائِبْ
أبُثَيْنُ هل من عَطْفةٍ     لِمُولَّهٍ قَلِقِ الرّكائبْ
حَمّلْتِهِ ما لا يقُـو     مُ بحَمْلِهِ الصُّمُّ الرّواسِبْ
وأبَحْتِهِ لِعِنَا التّغَرُّ     بِ فاغتدَى إحْدَى الغرائبْ
رِفْقاً أيا قلـبى بِقلْـ     بِى فى مَ إغضاءُ المُجانِبْ
هَـلّا أذِنْتِ بزَوْرَةٍ     لِلطّيفِ فى جُنْحِ الغَياهِبْ
فيزورُ مُضْنًى أقْلقَتْ     فيه فَلا البِيدِ النّوادِبْ
ولقد رَعَيْتِ وما وَعَيْـ     ـتِ عُهودَ هاتِيكَ المَلاعِبْ
أيّامَ لم يَجْنِ الدّلا     لُ على الهوى غَلَطَ المُعاتِبْ

والعيشُ وَضَّاحُ السَّنا … والدهرُ سَمْحٌ بالمطالِبْ

حتى استحالَ وكُدِّرتْ … تلكَ المَوارِدُ والمشارِبْ

ونأيتُ عنكَ ولِي حَشاً … لم يَدْرِ مامَضَضُ النَّوائِبْ

أَسْرِي وحُبِّي سائِقِي … أَيَّانَ شاءَ مِن المَذاهِبْ

وأَحُطُّ نُونَاتِ المُنَى … بِمَناسِمِ الغُرِّ النَّجائِبْ

ورَجاءُ زَيْنِ العابدِيـ … ـنَ وَسِيلَتِي لِجَنَى المَآرِبْ

ذاكَ الهُمامُ أَجَلُّ مَن … تَسْعَى لِسُدَّتِهِ الرَّكائِبْ

شَهْمٌ أَحاطَ بِكُلِّ مَنْـ … ـقَبةٍ بِها تَسْمُو المَناقِبْ

مُتَناسِقُ الأَخْلاقِ بَا … دِي البِشْرِ فَيَّاضُ المَواهِبْ

كم رَغْبَةٍ عَرَضَتْ بِهِ … ما أَعْرَضَتْ عنها الرَّغائِبْ

فترُوضُ رَوْضَ فَضائِلٍ … بالجُودِ مُخْضَرِّ الجَوانِبْ

يَحْبُوكَ مِن ثَمَرِ المُنَى … غَضَّ الجَنَى دانِي الأَطايِبْ

وشَمائِلاً عَطِرْنَ أَرْ … دِيَةَ الشَّمائِلِ والجَنائِبْ

كالغَيْثِ بَرَّاقُ المَخَا … ئِلِ وهْوَ مُنْهَمِرُ الصَّوائِبْ

نِعَمٌ بها يُنْشِي النَّدَى … والرَّوْضُ تُنْشِيهِ السَّحائِبْ

ولَكَمْ لهُ مِن نائِلٍ … شَمِلَ الأَقارِبَ والأَجانِبْ

كالشَّمْسِ فِي كَبِدِ السَّما … تَغْشَى المَشارِقَ والمَغارِبْ

مَوْلايَ أنتَ وأنتَ أَنْـ … ـتَ نِتاجُ مَفْخَرَةِ الحَقائِبْ

يانَجْلَ صِدِّيقِ النَّبِيِّـ … ـمِ وفَرْعَ زَهْراءِ المَناسِبْ[1]

لكَ مِن أُصولِكَ رُتْبَةٌ … فَخَرَتْ على كُلِّ المَراتِبْ

---

(١) في ا : « زهرات المناسب » ، والمثبت في : ب ، ج .

وهمُ الذين تبوَّءوا ... فى المجدِ هاماتِ الثَّواقِبْ

نَطق الكتابُ بِمَدْحِهِمْ ... واستَفتحتْ بهمِ الكتائبْ

فمدائحُ الأقوامِ غَيْـ ... ـرِهمُ تُعَدُّ مِنَ المثالِبْ

وعَلَى عِـداهُم فى الورَى ... رَصَدانِ للقَدَرِ المُحارِبْ[1]

ما استَيْقظُوا إلّا رَمَا ... هُم بالمتاعبِ والمصاعِبْ

وإذا غَفَوْا أمرَ الحلو ... مَ فَجَرَّدتْ لهمُ القواضِبْ

مولاىَ يامَن أرْتَجِيـ ... ـه إذا تعسَّرَتِ المَطالِبْ

طَوَّقْتنِي نِعَماً بها ... أثقلْتَ ظَهرِى والمَناكِبْ

فلأشْكُرَنَّكَ شُكْرَ مَن ... جَعَلَ الثَّنا أسْنَى الرَّواتِبْ

وإليكَ غانيةً تَهَا ... دَى فى مُصَنْدَلة الجلائبْ[2]

فاسْتَجْلِ منها حُسْنَ مُنْـ ... ـعَطَفٍ لأسرابِ السَّرائِبْ

واسْلَمْ كما سَلِمَتْ صِفا ... تُ عُلاكَ من كُلِّ المعائبْ[3]

تزهُو بِمِدْحَتِكَ الورَى ... بينَ الأعاجمِ والأعارِبْ

ولكَ الأمانِى غَضَّـةً ... والدهرُ مأمونُ العواقِبْ

***

وكنت فى أثناء الإقامة سافرتُ إلى رَشِيد[4] ، ثم عُدتُ إليه بالرَّغبة ،وماعدَلْتُ عنه للرَّهْبَة .

عَوْدَ مَن عَرف فضلَه ، واستطاب ظِلَّه ، ولم يَحْمَد مُبايَنَته ، ولا استَوْفَق مجانبَته .

---

(١) يشير فى هذا البيت والبيتين التاليين له إلى قول أشجع السلمى :

وعلى عدُوِّكَ يا ابنَ عَمِّ محمدٍ ... رَصَدان ضوءُ الصُّبْحِ والإظْلامُ

فإذا تنبَّهَ رُعْتَهُ وإذا هَدَا ... سَلَّتْ عليه سيُوفَكَ الأحْلامُ

انظر التمثيل والمحاضرة ٤٨ .

(٢) مصندلة : معطرة بالصندل . (٣) فى ا : « فى كل المعائب » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) رشيد : مدينة على ساحل النيل فى نهاية فرعه الغربى نحو الإسكندرية ، وانظر معجم البلدان ٢ / ٧٨١ .

فطاب العَوْدُ والإبْدا ، ورَجَوْتُ أن يَرْوِي تلك النَّوادِي الأنْدا .

فإنه إذا كان أوّلَ مَن عرف تعبُّدِي فجُودُه لِعنانِ ثَنائي ثانى ، وإذا كان لى مِن ذَراهُ مَرابِعُ فلى من خِطابه مَثالِثُ ومَثانِي .

فرأيتُه فى الثّانية كالأُولَى[1] ، وحالُه على أجْملِ ما عوّدَه اللهُ وأوْلَى .

فالله يُجْرِيه على عادتِه الحُسْنَى التى هى جِبِلّةٌ نَفِيسة فى نفسِه ، ويجعلُ كلَّ يوم من أيّامِه مُبَشِّراً[2] بالخير عن[3] غَدِه وزائداً فيه على أمْسِه .

فخاطبْتُه مُرْتجلا بقولى :

يامَن هواهُم آخِـذٌ بأعِنّتِي ... وهمُ لقلبِي فى الوَرَى المَطْلوبُ

ذَنبُ الفِراقِ وقدظفِرْتُ بقُرْبِكم ... فعلَى يَدَيْهِ من الزمانِ أتوبُ

وأخْلِقْ بمَن جنَح إلى الاعْتِراف والإقْرار ، ونزَع عن التّمادِي والإصْرار ، أن تكون توْبتُه مقبولة ، وإنابتُه صحيحة غيرُ مَعْلولة .

وشتّان بيْن المُتورِّط الناصِر لوَرْطته ، وبين النّازِع الرّاجِع عن غَلْطتِه .

وقد اسْتطار إلى المعالِى مُدْرِكاً ... مَن أنْهضَتْه لنَحْوِه العَلْياءُ

طلَب النَّباهةَ فى ذَراهُ فما لَهُ ... إلّا لَدَيْه تأمُّلٌ ورَجاءُ

فكَسانِى حُلّةَ فَخارٍ وتجمُّل ، وحمّلنى من آلائِه مالم يَبْقَ لى معه تحمُّل .

واحْتاز فؤادى أجْمَعَه ، بأن لم يجعلْ لأحدٍ علَىّ يَدًا معَه .

فأنا عارِفٌ بأنّ صَرْفَ الفِكْرِ لغيرِه عَبَثٌ ولَهْو ، فإذا سجَد يَراعِي لمَدْح سِواه فسَجْدتُه سَجْدةُ سَهْو .

* * *

وقد أخذتُ عنه مِن فَضْلِ يَراعِه المُوشّى للأوْراق ، ومَحاسِنِ بَدائعه التى تَخْفَى

---

(١) فى ا : « كأولى » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٢) فى ا : « مشيرا » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) فى ا : « من » ، والمثبت فى : ب ، ج .

خَجَلًا منها الشموسُ عند الإشراق ، مايضيقُ عن إحاطةِ وَصْفِه نِطاقُ الأرْقام ، وتنضَب عنده لِيقةُ[1] المحابرِ وتحفَى أقدامُ الأقْلام .

فمن ذلك كِتابٌ كتَبه إلى رئيس المنجِّمين ، نادرةِ الفَلَكِ الدَّوَّار ، وقُطْبِ فلَكِ التَّحْقيق الذى عليه المَـدار ، المَوْلَى أحمد بن لُطْفِى ، حرَس الله مُهْجتَه ، وأدام رَوْنَقَه ، وبَهْجتَه :

الحمدُ لله أسْمَى الأسْماء ، العالِم بمواقِع النُّجُوم والأنْواء ، الرحمنُ المتفضِّل بجلائِل الْآلاء ، الرَّحيم بدقائِق الإمْدادات مِن الدَّرجات العُلَى .

والصلاةُ والسلامُ والتحيَّةُ والثَّنا ، على مَرْكَزِ دوائرِ الاهتِـدا ، المُنزَّلِ عليه : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾[2] صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وأصحابه ماطَلَع نجْمٌ وما رَكْبٌ سَرَى .

والدعاء للدولة العثمانيَّة ، والسِّيرة العُمَريَّة ، مُواظَبٌ مِن السُّلالة الصِّدِّيقيَّة ، والحضْرة الزَّيْنيَّة ، على تَرادُفِ الآنَا .

وبعد :

فقد اعتبرتُ كِيوانَ فى مَراقِى الاعْتِلا[3] ، وتوسَّمتُ بِرْجِيسَ[4] فى إشْراقِ السَّناء وعُلُوِّ السَّنا ، وبَهْرامَ فى سَلْطَنَةِ قَهْرِه المَنيعِ الذُّرَى ، والنَّيِّرَ الشمسىَّ عند خط الاسْتواء ، وعَرُوسَ الدَّوَران الزُّهَرةَ الزَّهْرا ، والقمرَ المُنزَّلَ لتقْديرِ الاهْتدا ، فرأيتُ جميعَها مُمتثِلا أمْرَ ربِّه الأعْلَى ، مُسخَّرةً لخدْمةِ هذا الرئيس فُرادَى وثُنا ، مُذْعِنةً له يُصرِّفُ سُعودَها ويُصرِّفُ نُحوسَها كيف يَشا .

فتثْليثُ سَعْدِها ينظرُ إليه من ترْبيع ، وتَسْديسُ طالِعِها يُطالِعه مِن تَسْديس .

فلن تحُول الدَّوائرُ الكَثيفة ، ولم تحْجب ذوِى الظِّلال الوَريفة ، بينه والعُلَى كيف شاء وارْتضَى ، فهو أوْلَى بأن يُنْشِد ويُقصِّد :

---

(١) لِيقة الدواة : صوفتها ، أو إذا بلت . (٢) سورة النجم ، الآية الأولى . (٣) كيوان : زحل .
(٤) برجيس : المشترى .

وقد عرفتك فما بالها ... تراها تراك ولا تنزلُ

ولو بتما عند قدريكما ... لبتّا وأعلاكما الأسفلُ(١)

وإذا فتح الله على هذا العالم الأصغر بإلهام الفِراسة ، وفتق له رَتْق الخاطر من الكياسة ، لم ينطِق عن الهوى ، وكأنما هو وحْىٌ يُوحَى .

ولمّا قدّر الله تعالى بالقِران السَّعيد ، واستقام سَيْرُ هذا الرئيس على سَمْتِ سَيْرِنا ونظرنا إلى طابع هذا الرئيس مِن تسديس ، ولحظ مقامنا الرَّفيع من تربيع ، نظرنا له خصائصَ سلك فيها طُرقا ، وإن لم يأتِ بها غيرُه تخلُّقا أتى بها هو خُلُقا .

ونظرنا عِلْمه الذى يُطالِع الغيبَ من وراءِ سِترٍ رقيق ، ويُطْلِع على الضمائر من مكان لا سَحِيق .

فيرى بفضْلِ حِسِّه وقياسِه ، ما لا يَراه حاذقٌ بإحْساسِه .

فقلنا : سُبُّوح قُدُّوس من شمسٍ تُخجِل شمسَ السَّنا ، وتضاءلُ لها تَضاؤُل الإِمَا ، وتعلم أنْ ليس لها إلّا المُشاركةُ فى الأسْما .

وقد رأينا به العالَمَ فى واحِد ، وعلِمْنا أن الدهرَ للناسِ ناقِد .

وأنه قد سعَى أحمدَ سَعْى ، وخدَمه الجَدُّ ثم عاد إلى المَحلِّ الأعظم ، والسُّدَّةِ العُليا والمَقامِ الأعْصم .

فوصَل وُصولَ حبيبٍ غائب ، ووقَع وُقوعَ غَيْثٍ صائب .

فاسْتقبلَتْه دولةٌ كان فارقَها ولم تُفارِقه ، ولم نَقُل إنه وافقها ولم تُوافِقه .

وقد علِم أنّ المَحبّة التفاتاتٌ إلى مُتوجِّهه ، وتشوُّقا إلى وُرُودِ أنباء تُنْبِي عن مُسكتِمِه .

فمنها ما يُفيد تجديدَ العُهود السَّالفة ، وما يُفيد المَودّاتِ المُستقبلةَ الآنفة .

وقد علِم الدّانِى والقاصِى ، والطائعُ والعاصِى ، فَضْلَ جدِّنا الأعلى ، ومَجْدِنا الأسْمَى ، وتمسُّكَ الماضِين مِن سَلاطين بنى عثمان بولائنا واعتقادِنا .

---

(١) كذا فى الأصول : « لبتا » .

فشاع ذلك وذَاع ، وملأ الرُّبوع والرِّباع ، وعلِمته الملوكُ والرَّعاع .

وخصوصاً هو ، فإنه ملأ باعْتقادنا صَدْرَه ، وعلِم خُبْرَ مَدَدِنا وخَبَرَه .

ثم إن سُلطانَنا الآنَ قَانَ الدَّوران ، وشَهنْشاه الزَّمان .

مَن حاز فَضِيلتَي العلمِ والعمل ، وبلغ مِن مَزايا الدنيا والآخرة أقْصَى ما يمتدُّ إليه الأمَل .

ومما صَحَّ عنه بتواتُر النَّقل ، وشواهِد العقل ، محبَّةُ العلماء والفضلا ، وإيثارُ النُّبهاء والنُّبلا .

وله فؤادٌ أنتم جَنانُه ، ولِسانٌ أنتم تَرْجُمانُه ، ورأْيٌ وأنتم قَهْرَمانُه ، ومجلسٌ خاصٌّ وأنتم حاضرتُه[1] وقُطّانُه .

والمَلِك يشتغل أحيانا فى أن يَنُصّ ، فيُعْذَر أن لا يَعُمّ أو يَخُصّ .

والرئيسُ قد تمكَّن من المكانة حتى صار شمسَ مَطالِعه ، ومنْتَهى مَطامِعه .

ولنا والحالةُ هذه بِهِ وُصْلةٌ تأكَّدت أسبابُها ، وتوثَّقت أطْنابُها .

تبعثُه على نَجازِ مُتعلِّقاتِ أغراضنا من ذلك المَقام الأشَمّ من مُذكِّرات ، تُفضى إلى مُكاتبات ، ومَودَّات تُسْفِرُ عن إمْدادات .

ولم نُنبِّهْكم أننا تَنبَّهْنا غافِلا ، ولا استطْلَعْنا آفِلا .

لكنَّها الذِّكْرى تنفع المؤمنين ، لا كمَن لَبِثَ بِضْعَ سِنين .

وهذه طَلِبةٌ لم نؤهِّلْ سِواكم لأمْثالِها ، ولا أطْلَعْناه على مِثالِها .

بل ثِقتُنا بكم حمَلتْنا على أن نُطْلِعكم على تلك السَّرِيرة ، فالأسْرارُ عند الأخيار ذخيرة .

ولما بلغتْنا مبالغُكم العليَّة ، قُلْنا نُهنِّيكم بالدرجاتِ السَّنِيَّة :

أُعْطِيَتِ القوسُ مَن بَراهَا ... وبُوِّئَ الدارَ مَن بَناهَا

أَلْقَتْ عَصاها ثم استقرَّتْ ... مِن بعدِ ما أبعدَتْ نَواهَا

---

(١) فى ا : « حاضره » ، والمثبت فى : ب ، ج .

مِنَصَّةٌ ما رَقَى عليهـا     مَن نال أمثالَهـا شِفاهَا

فمـا لهـا كافئٌ سِواهُ     ومالَه كافئٌ سِواهَا

يا مَن دَعَتْه العُـلَى فلَبَّى     وما تَوانَى وما تَلاهَا

هُنِّيتَ بالقَـدْرِ والمَزايَا     وما سِواهَا وما وَراهَا

***

ومن شِعره هذه المقصورة :

أساء فأحْسَن فيما أسَا     لأنّى أرى حالتيْه سَوَا

وواصَلنِي هَجْرُه والسُّهادُ     وهاجَرنى وَصْلُه والكَرَى

وأنَّى تُسِيءُ حِسانُ الوُجوهِ     حِسانُ القُدُودِ حِسانُ الرُّوَا

ومَن يَكُ مِثْلِي قصيرَ اللِّسانِ     فلِمْ لا يكون طويلَ الأسَى

وهيْهات أذكُر إلّا الجميلَ     وكيف أقولُ اسْتحال الضِّيَا

وهل يُحْسِن الفعلَ إلّا المَليحُ     وهَلْ يُذهِب الداءَ إلّا الدَّوَا

كَلِفْتُ به عَرَبِيَّ اللِّسا     نِ والوَجْهِ والأدبِ المُنْتقَى

ولكنَّه جَرْكَسِيُّ النِّجارِ     له ألفُ خالٍ بأرضِ الكفَا

إذا قال نَظَّمَ عِقْدَ البَيانِ     وإنْ جال فَتَّتَ صُمَّ الصَّفَا

وإنْ صالَ سُلَّتْ مُتونُ الظُّبَا     وإن خال كَلَّتْ جُفونُ الظِّبَا

وإن مَالَ قلتُ بُخُوطِ النَّقَا     إليكَ فلَسْتَ بخُوطِ النَّقَا

ألسْتَ تَرَى صَعَداتِ الرُّبَى     تَخِرُّ له سُجَّدًا وهْى لا

تُحرِّكُ أنت بِهبَّ الهَوَا     وذاكَ يُحرِّكُ مِنِّى الهَوَى

ويهْتزُّ عن ثَمَراتِ الجَفَا     وتهْتزُّ عن ثَمَراتِ المُنَى (1)

---

(1) سقط عجز هذا البيت من : ا ، ب ، وجاء فيهما على أنه عجز البيت التالى ، ورتبت الأبيات على ذلك النحو ، فجاء قوله « فرائد من لثمه أوتنا » الآتى على أنه شطر مستقل ، وذلك خطأ واضطراب ، صوابه واعتداله ما جاء فى : ج ، وهو ما أثبته .

وأنتَ تَميدُ بريحِ الصَّبا        وذاكَ يَميلُ بروحِ الصِّبا

وذلك يُورِقُ سُودَ الشُّعُورِ        وأوراقُ مِثْلِكَ جَزْلُ الغَضا

وهيْهاتَ هيْهاتَ منك الجَفا        وهيهاتَ هيهاتَ منه الوَفا(1)

ويَبْعُدُ أنْ يجتليكَ العِيانُ        تَوَلَّدُ منــه صُنوفُ الصَّفا

ويا مَن رأى طَيْفَهُ في المَنامِ        وإن كان زُورًا كمَنْ لا يَرَى

ويا سَعْدَ مَن باتَ في صَدْرِهِ        إلى الصُّبْحِ من أولياتِ العِشا

يُغازِلُ منـــه عُيونَ المَها        مُتَرْجِمَـــةً بحديثِ الهَوَى

ويَجْنِي بِفِيهِ تُفاحَ الخُدُودِ        وإنْ رامَ غيرَ جَناها جَنَى(2)

يُقبِّلُه مِائَتَيْ قُبْـــلَةٍ        دُونَ اللِّثـــامِ وفوقَ اللِّثَى

ويَرْشُفُ من ثَغْرِهِ قَرْقَفًا        يُسمُّونَ ضَرَّتَها بالسُّلا(3)

ويَنْظِمُ في الجِيـــدِ تِقْصارَةً        فرائدَ من لَثْمِهِ أو ثَنـــا(4)

يُعانِقُ منـــه قَضِيبَ القَوامِ        ويَرشُفُ منـــه زُلالَ اللَّمَى

يُبلُّ بماءِ الشَّتِيتِ الشَّنِيبِ        ظَما كَبِدٍ أبدًا في ظَما

فطَوْرًا يمصُّ كمَصِّ الكُؤوسِ        وطَوْرًا بِرَشْفٍ كرَشْفِ الطِّلا

يُباشِرُه مِن وراءِ القَمِيصِ        مُباشَرةً مِثْلَ طَيْفِ الخَبا

إذا ما وَلِي جِسْمُه جِسْمَهُ        فقد قابلَتْ بَرْدَ طُوبَى لَظَى(5)

ويَهْصِرُه مِعْطَفًا مِعْطَفًا        لِذاتِ اليَمينِ وذاتِ الشَّمَا(6)

ويُفْرِشُه زَنْدَ يُمْنَى يَدَيْهِ        ويَجْعَلُ يُسْراه مِثْلَ الغِطَا

فَما لِفَمٍ مثلَ زَقِّ الحَمامِ        وهيْهاتَ يُشْبِه زَقَّ الحَما(7)

---

(1) في الأصول جاء في عجز البيت : « منك الوفا » ، ولعل الصواب ما أثبته .

(2) خفف تشديد الفاء في : « تفاح » للوزن .        (3) لعله يعني «بالسلا» مختصر « السلافة » .

(4) التقصارة : قلادة .        (5) في ب « إذا ما ونى » ، والمثبت في : ا ، ج .        (6) يعني : « وذات الشمال » .        (7) يعني : « زق الحمام » .

وصَدْرًا لِصَدْرٍ ومن هَا هُنا ... يَلَذُّ العِناقُ إلى هٰهُنَا

فثَمَّ احْتدامُ وَطِيسِ الغَرامِ ... وثَمَّ مُثارُ لَهِيبِ الحَشَا

وثَمَّ اغْتنامُ لذيذِ الوصالِ ... وثَمَّ تَشاكِي أليمِ الجَفَا

وبالصُّعَداء ووَضْعِ اليَدَيْنِ ... على الكَبِدَيْنِ ترى الاشْتِكَا

وبِالعَضُدَيْنِ يَطِيبُ العِناقُ ... وبالشَّفَتَيْنِ يُبَثُّ الجَوَى

وبالقَمَرَيْنِ فَرَعْنا الظَّلامَ ... وبالعُمَرَيْنِ عَرَفْنَا الهُدَى

وبالحَسَنَيْن وتلك البَتُولِ ... وحَيْدرةٍ ثُمَّ أَهْلِ العَبَا

أولئك ما مَفْخَرٌ في الدُّنَا ... ولم يَبْلغوهُ ولا مُعْتلَى

أولئكمُ قد رَقَوْا مُرْتَقًى ... تعالَى فما بعدَهُ مُرْتقَى

أولئك آباؤُنا الأقْدَمُونَ ... وأَخوالُنا وأُولاكَ الأُلَى

نُجومُ الجِبالِ وزُهْرُ النُّجومِ ... مُتونُ الظُّبَا ورَواسِي الرُّبَى

بَنُوهم بَنُو بِنْتِ أبنائِهم ... ونحن كذا أو بَنُونَا كذا

وهل تَلِدُ النُّجْبُ إلَّا النَّجِيبَ ... وهل تُنْتِجُ اللَّيْثَ إلَّا اللُّبَا

أولئكمُ آلُ بَيْتِ النَّبِيِّ ... نَبِيِّ الهُدى وإمامِ التُّقَى

أولئكمُ نَسْلُ خَيْرِ الأنامِ ... رئيسِ النَّبِيِّينَ والمُصْطفَى

منها:

وكيف تقول انْتَهى في الرُّقِيِّ ... ولا حَدَّ ثَمَّ ولا مُنْتَهَى

ولكنه بلَغَ المُسْتوَى ... ولم أَدْرِ ما بلَغَ المُسْتوَى

وكَلَّمَه وكَلامُ الإلٰهِ ... كصَلْصَلةِ الماءِ فوقَ الصَّفَا

وأَوْحَى إليه وأَوْحَى إليه ... يُفِيدُ السِّرارَ وما مِن مَدَى

وثَمَّ أمورٌ تُشِيب الوَلِيدَ ... وتَرْجِع بالأَشْيَبِ القَهْقَرَى

ولا تَقْفُ ما ثَمَّ لا تَمْشِ في ... ولا تَعْدُوَنْ عن وصابِرْ عَلَى

ومَهْما أمَرْنا امْتثِلْ أمْرَنَا    وغُضَّ جُفونَكَ عن أمْرِنَا
فتلكَ شَناشِنُ أهلِ النُّهَى    فقُم بشَناشِنِ أهلِ النُّهَى (١)
ولا تَعْدُ شُكْرَكَ إن كنتَ لا    تقومُ بحَمْدِكَ حَدَّ الكَفَا (٢)
وعن بابِنَا وإلى بابِنَا    وفى بابِنَا وإلى بابِنَا
فنحن العِيانُ ونحن الكِيانُ    ونحن الأنامُ ونحن الوَرَى
عَلَا جَدُّنا من عُلا جَدِّنَا    فيا سَعْدَنا ثم يا سَعْدَنَا

***

ومن غزلياته قوله :

أبدًا إليك يَحِنُّ قلبي    فعلى مَ تُؤذيني بعتْبِ
يا قاسِيَ القلبِ الذى    فيه أذبْتُ صميمَ لُبِّي
أمْ أىُّ أمرٍ فيك أوْ    جَبَ طُولَ إعراضِي وسَلْبِي
لا سامَحَ اللهُ الهوَى    فلَكَمْ يُصَوِّبنى ويُصْبِي
يدعُو القلوبَ إلى هَوا    هُ فأىُّ قلبٍ لا يُلَبِّي
يا أيها التَّيَّاهُ فى    زَهْوِ الهوى رِفْقًا بِصَبِّ
يُذرِي الدُّموعَ ولا دُمو    عَ تسيلُ غيرَ مُذابِ قلبِي
يا جسمَ ناسُوتِي ويا    رُوحِي ويا دائِي وطِبِّي
أغْراكَ وَاشِيكَ الرَّقِيـ    ـبُ بطُولِ إعراضِي وحَرْبِي
لا كانَ مَن أغراكَ يا    مَوْلاىَ فى قتْلِ المُحِبِّ
فارْفُقْ بقلبٍ فيك يَهْـ    ـلِبُه الهوَى جَنْبًا لجَنْبِ
وابْقِ على رَمَقِي فما    يَدْرِي بحالى غير رَبِّي

---

(١) سقط عجز هذا البيت من : ب ، وهو فى : ا ، ج .
والشناشن : جمع الشنشنة ، وهى الطبيعة .

(٢) فى ب : « تقوم بحمدك » ، وفى ج : « تقوم بأمرك » ، والمثبت فى : ا .

أنا والهـــوى فرسا رِها ... نٍ فيك والأشواقُ تُذْبي

تاللهِ ما قال العِـــدَى ... يا مُنيتي بُهتانُ كِذْبِ

لم يَجْرِ مِنّي غـــير دَمْـ ... ـعٍ فاض مِن عَيْنِي بِسَكْبِ

يا أُمّةً للحُسْنِ فِيـ ... ـهَا وَجْهُك الوَضّاحُ نَبي

إن دام هـــذا الهجرُ والْـ ... ـإعراضُ عنـــه والتّأبّي

فى ذِمّةِ اللهِ التّقـــا ... ضِي منك يومَ العَرْضِ حَسْبِي

***

وقوله :

أما وانعطافِ الغُصْنِ مِن هَيَفِ القَدّ ... وماءِ الحَيَا والروضِ من جَنّةِ الخُلْدِ (١)

وأقْداحِ أحْداقٍ تُدارُ بخَمْرةٍ ... مُنزّهةٍ وَصْفًا عن الرّسْمِ والحَدّ

أما والهوَى العُذْرِيّ والصّدقِ والوفا ... وما كان قبلَ الجَدّ آدمَ مِن عهْدِ

أَلِيّةَ بَرّ أقسمَ الصّدْقَ إنّهُ ... مُقيمٌ على تلك الصّبابةِ والوَجْدِ

بأنّ غرامِي والعفافَ تَخلّفا ... بلفْتِهما قبلَ السُّكونِ إلى المَهْدِ

وأنّي أيا ذاتَ الجمــالِ تعبُّدِي ... بدِينِ الهوى التّحقيقُ مُعتَقدٌ عندِي

ومِن حَضْرةِ الإطْلاقِ كنتُ فتًى على ... يَقِينٍ بأنّي مُطْلَقُ الحبّ فى القَصْدِ

فَنائِي به عَيْنُ البقـــاءِ وغَيْبتِي ... حُضورِي وغَيّي فى عَوالِمِهِ رُشْدِي

وذُلّي به عِزٌّ وأوْجُ سيادتي ... إذا ما دَعانِي مَن هَوِيتُ بيا عبْدِي

فلا تعْتَرِضْ مَن هامَ فى الحبّ وافْتَرِضْ ... عليك له التّسْليمَ تَسْلَمْ مِن الطّرْدِ

وإنّيَ زَيْنُ العابدين ووالدِي ... محمّدُ نَجْلُ الزَّيْنِ والصادقُ الوَعْدِ

بصِدّيقِ خيرِ المُرْسَلِين وسِبْطِه ... بلَغْنا من الأنْسابِ واسِطةَ العِقْدِ

ببابِ عَرِيضِ الجاهِ أعظمِ شافعٍ ... وأكرمِ مَن أعْطَى وجادَ بما يُجْدِي

---

(١) فى ب : « من أهيف القد » ، والمثبت فى : ا ج .

مَرَدُّ جميعِ الكائناتِ بأسْرِها … ومَعْنَى كمالِ الفضلِ من ذِرْوَةِ المجدِ (1)

مَدَى الدهرِ ما شمسُ المعارفِ أشرقتْ … مع الآلِ والصَّحْبِ الأئمةِ للرُّشْدِ

وما أقسمَ الصَّبُّ المَشُوقُ بقولِهِ … أما وانعِطافِ الغُصْنِ من هَيَفِ القَدِّ (2)

***

وقوله :

شَرَدْتَ من مُقْلَتِي رُقادِي … كحَّلْتَنِي مِرْوَدَ السُّهادِ

باتَتْ عِداكَ اللِّئامُ مِثْلِي … ليس بِبَالٍ على مُرادِي

بِتُّ كما تشْتهِي الأعادِي … وُقِيتَ ما تشْتهِي الأعادِي

بِتُّ ويُسْراىَ تحت خَدِّي … وأخْتُها مِن على فؤادِي

كأنهم مَهَّدُوا فِراشِي … على كَوادِي شَوْكِ القَتادِ (3)

كأنَّنِي عند وَضْعِ جَنْبِي … بِتُّ على نِيَّةِ الجِهادِ

أبْكِي بما يُخْلِفُ الغَوادِي … إن قَشَّمَتْ سُحْبُها الغَوادِي

***



وقوله من خمرية :

ورَوْضٍ حَلَلْنا سُوحَه ساعةَ الفَجْرِ … وريحُ الصَّبا في صَوْبِ صَيِّبِه تَسْرِي

وأضْحَتْ عيونُ المُزْنِ تبكي فأضْحكتْ … زُهورَ الرُّبَى منه فأهْدتْ شَذَا العِطْرِ

وصار شَقِيقُ الأُقْحُوانِ بِمِجْمَرٍ … فأوْقَدَ نَدًّا فَوْحُـه طَيِّبُ النَّشْرِ

وأصْبَح صَوْتُ العَنْدَلِيبِ مُخَبِّراً … هَلُمُّوا إلى داعِ الصَّبُوحِ بلا عُذْرِ

ودُوروا مع النُّدْمانِ في حانِ دُورِهِم … إذا جُلِيَتْ بِنْتُ المُدامِ من الخِدْرِ

---

(1) في ا : « من قدوة المجد » ، والمثبت في : ب ، ج . (2) في ب : « من أهيف القد » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتقدم في أول القصيدة . (3) كوادى : جمع كودة ، وهي ما جمع من شوك القتاد .

وفُضُّوا خِتامَ الدَّنِّ عنها لكى يُرَى ... على ساقِها مِن كأسِها عَنْدَمٌ يجْرِى (١)

قديمةُ عَصْرٍ وهْى عَذْراءُ إذْ بَدَتْ ... تُخَبِّرُ عمَّا كانَ فى سالِفِ الدَّهْرِ

لقد أعْجزتْ عن وَصْفِها كلُّ ناطقٍ ... لِسِرٍّ بها قد قام بِسِرِّى من السِّرِّ

فنُورٌ ولا نارٌ وكأسٌ ولا طِلاً ... شُئونٌ بها هامَ الكَليمُ مع الخِضْرِ

فمِن طِبِّها عيسى بنُ مريمَ قد شَفَى ... لِمَن شَفَّه داءُ السَّقامِ بلا نُكْرِ (٢)

وأهْدَى لنا هادِى الْهُدَى من سَنائِها ... فهامَ بها السَّاداتُ نَسْلُ أبى بكرِ

فصارُوا جميعاً مِن ألَسْتُ بِرَبِّكم ... نَشاوَى سُكارَى هائِمين إلى الحَشْرِ (٣)

فخُذْ وَصْفَها مِنِّى وعَنِّى فإنَّنى ... خبيرٌ بأوْصافِ الْمُعتَّقةِ البِكْرِ (٤)

فمَرْيَحُها فى زُهْرةِ الكأسِ إذْ بَدَتْ ... يُرِيكَ ضياءَ الشمسِ كالكوكبِ الدُّرِّى

ودَوْرُ هلالِ البدرِ يُشْبِهُ جامَها ... وفيها حَبابُ الدُّرِّ كالأنْجُمِ الزُّهْرِ

فهاكَ بها صِرْفاً وإن شئتَ مَزْجَها ... فمِن رِيقِ ساقٍ فهْو للسُّقْمِ قد يُبْرِى

فدُونَكَها واقْبَلْ مَقالةَ صادقٍ ... ومَن جَدُّه الصِّدِّيقُ فى الغارِ للطُّهْرِ

تَسَمَّى بزَيْنِ العابدين وسِبْطُ مَن ... هو الشافعُ المَقْبولُ للناسِ فى الحَشْرِ

عليه صلاةُ اللهِ ثم سلامُه ... كذا الآلُ والأصحابُ مَن هم أولُوا الفَخْرِ

***

وله :

نحن قومٌ تُبِيدُنا الأعْيُنُ السُّـ ... ـودُ على أنَّنا نُبِيدُ الاسُودَا

---

(١) العندم صبغ أحمر يتخذ من خشب نبات ، ويقال له : دم الأخوين ، أو البقم .

(٢) شفه الداء : نحل جسمه . (٣) يشير إلى الإشهاد الذى جاء فى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ الآية ١٧٢ من سورة الأعراف . (٤) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

تتقِّى بأسنا الصَّناديدُ الصِّـ ... يدُ وتخشى من الحسانِ الصُّدودا
ولنا رتبةُ السيادةِ لكنْ ... صيَّرتْنا لها انقياداً عبيدا
إن نثرْنا تساقطَ اللؤلؤُ الرَّطْـ ... ـبُ فنظَّمْنه لهنَّ عقودا
أو نظمْنا أوصافهنَّ أنا ... شيدَ أعدْنا بها لبيداً بليدا
ما عرفْنا التَّقليدَ مُنذُ رأيْنا ... هنَّ يمنحنَ دُرَّنا التَّقليدا
خُطباء مصاقعٌ فإذا قُلْـ ... ـنَ أملْنا لهنَّ أذْناً وجيدا
ثم نعيَى فلا نعيدُ ولا نُبْـ ... ـدِى وقاراً لهنَّ قولاً مفيدا
تتحانى لنا الظُّهورُ فإنْ نُحْـ ... ـنَ غدا ذلك الرُّكوعُ سجودا
شحذتْ مُرهفاتِنا الأعينُ النُّجْـ ... ـلُ فصيَّرنَهُنَّ بيضاً وسودا[(1)]
وتمايلْنَ والرِّماحُ بأيْدِيـ ... ـنا فقصَّدْنهنَّ عوداً عودا[(2)]
وتلاينَّ في الحريرِ فأدمَيْـ ... ـنَ قلوباً لنا تُلينُ الحديدا
وتهادَيْنَ بالدَّلالِ فكم شِمْـ ... ـتُ بإدْلالهنَّ صيداً صيدا
وتمايلْنَ مثلَ ما انعطفَ المُرَّا ... نُ لكنَّهنَّ أحلى قدودا[(3)]
وتبرَّجْنَ فاجتليْتُ حُلا ... هنَّ وميَّزْتهنَّ روداً رودا[(4)]
ثم أهوَيْتُ نحوَ واسطةِ العقْـ ... ـدِ فقالتْ أرى قِراناً سعيدا[(5)]
فترشَّفْتُ ثغرَها القرقفَ الخنْـ ... ـدَ وعانقْتُ قدَّها الأملودا[(6)]
وبلغْتُ الذي على مثلهِ أعْـ ... ـذرُ من حُسَّدِي اللسانَ الحسودا

---

(١) في ا: «أشحذت مرهفاتنا»، والمثبت في: ب، ج. (٢) في ا، ج: «وتعالين»، والمثبت في: ب. وقصده، بالتشديد: كسره.

(٣) المران: الرماح اللدنة الصلبة. (٤) في ا: «فاجتليت حلاهن»، والمثبت في: ب، ج. والرود: الفتاة الناعمة.

(٥) في الأصول: «ثم أهديت»، ولعل الصواب ما أثبته.

(٦) القرقف: الخمر. والأملود: الناعم.

وأنا ابنُ الصِّدِّيقِ جَدِّى ثانىَ اثْـ ... نَيْنِ فى الغارِ فالُجدودَ الْجُدُودَا
فالرِّضَا عنهمُ ومنهمْ وفيهمْ ... وعليهمْ لهمْ بهمْ تأْكيدَا

***

وله :

قُمْ فإنَّ الصَّباحَ للتَّنْفِيسِ ... ودَوَاعِيهِ قد سَرَتْ فى النفوسِ
ونسيمُ الصَّبا رسولٌ إلى الرَّوْ ... ضِ بِطَلٍّ كَلُؤْلُؤٍ مَغْرُوسِ
والشَّحاريرُ كالمَزاميرِ تشْدُو ... كقُسُوسٍ تَدُقُّ بالنَّاقوسِ
فاجْتَلِ الرَّاحَ للنَّدامَى سُحَيْراً ... لترَى البدرَ طالعاً بشُموسِ [(1)]
وأدِرْها بدُورَ حانِ التَّصابى ... من مُدامٍ عَتِيقَةٍ خَنْدَرِيسِ
عانسٌ وهْىَ فى الحقيقةِ عَذْرا ... ءُ عجوزٌ حديثُها فى رَسيسِ [(2)]
تتلظَّى غَيْظاً فتُنتِجُ بِشْراً ... حين أضْحَتْ تَلوحُ ضِمْنَ كُؤُوسِ
هى داءُ الهمومِ فاعْجَبْ لداءٍ ... جالبِ الرِّىِّ مُذْهِبٍ لِلْبُوسِ [(3)]
حدَّثَتْنا من قبلِ أنْ يُخْلَقَ الكَرْ ... مُ حديثَ التَّنويعِ والتَّجْنيسِ
نارُ أُنْسِ الكَلِيمِ فاخْلَعْ نِعالاً ... فى حِماها مَعْ كلِّ مَوْلًى رئيسِ
فاز قومٌ بنُورِها وهُداها ... وعن النُّورِ ضَلَّ رَأْىُ المَجُوسِ
كَسِناها يهْدِى شَذَاها إلى الحا ... نِ مُشيراً لا عِطْرَ بعدَ عَرُوسِ [(4)]
عاطِنيها ياقُوتةً بعدَ وَقْدٍ ... كضِياءِ المرِّيخِ فى الحِنْدِسِ [(5)]
وهْىَ مِرْآةٌ وَجْنتَيْكَ لهذا ... شَفَقُ الخدِّ ظاهرٌ فى الكُؤوسِ

---

(١) فى الأصول : « طالع بشموس » . (٢) الرسيس : ابتداء الحب . (٣) فى الأصول « منهبا للبوس » . (٤) ضمن المثل القائل : « لا عطر بعد عروس » ، يضرب فى الشىء لايخبأ بعد فوات أوانه . (٥) فى ا : « كضياء الدرع فى الحندريس » ، والمثبت فى : ب ، ج .
والحندس : الليل الشديد الظلمة .

هاتِهــا بين فِتْيةٍ كبُدورٍ  كهلالِ البَنــانِ كى يجلَ بُوسِى

خمرةٌ شأنُها تحــلُّ بمَغنا  ها خَبايا كنوزِ ما فى النُّفوسِ

بالنَعتْ فى صفاتِهــا القومُ ماضا  ق اتِّساقًا به مَجالُ الدُّروسِ

بمَعانٍ تُشِــير كالحَدَقِ النُّجْـ  لِ بيانًا بسِحرِ رَمْزِ الطُّروسِ

فاقتَفَيْنا آثارَهم مَعْ قُصــورٍ  وانتَظمْنا فى سِلْكِ كلِّ رئيسِ

فهْى بِكْرُ البَكْرِىِّ زَيْنُ عِبا  دِ سِبْطُ مُخْتارِ صفوةِ القُدُّوسِ

فعليه الصلاةُ ما ســار رَكْبٌ  لِحِماهُ من فوقِ بُزّلِ عِيسِ (١)

وعلى آلِه الكرامِ وصَحْبٍ  قد تعــالَوا به رئيسَ الرُّءوسِ

***

وله :

بينما أذكُر القَــا  سِى وما منــه أُقاسِى

عَنَّ لى أن أشْربَ الرَّا  حَ وأن أجْلُوَ كاسِى (٢)

فتَماشيتُ إلى الدَّيْـ  رِ بريْحانٍ وآسِ

وبشَمّاسٍ يُدِير الْـ  كاسَ من غيرِ شِماسِ (٣)

ونَدِيمٍ يذكُر النَّا  سَ به العهدَ النَّواسِى

ومُغَنٍّ يُذهِل الخَا  سِى عن الخَمْسِ الحواسِ

قَرَنَ الخَمْسَ إلى تِسْـ  عٍ سُداسِى وخُماسِى

صُورةٌ جَمَّلَهــا اللَّـ  ـهُ على كلِّ الأناسِى

صُورةٌ جاءتْ من الحُسْـ  نِ على غــيرِ قِياسِ

وإذا احْتال النِّطاسِىُّ  م لها كَلَّ النِّطاسِى (٤)

---

(١) البازل من الإبل : ما كان فى تاسع سنيه . (٢) سقط هذا البيت والذى يليه من : ب ، هو فى : ا ، ج . (٣) الشماس من رءوس النصارى : الذى يحلق وسط رأسه لازما للبيعة . الشماس : النفور . (٤) النطاسى : البارع من الأطباء .

أَحْمَرُ الخدِّ كَحِيلُ الطَّ رْفِ وَرْدِيُّ اللِّباسِ

فاتِرُ الطَّرْفِ وقد ينْـ ـعَسُ من غـــيرِ نُعاسِ

غُصْنُ بَانٍ خَنِثُ الْـ أَعْطافِ مَيَّاسٌ مُواسِ

يجـــبُرُ اللهُ به كَسْـ ـرَ الأَسَى من غيرِ بأْسِ[1]

يتلاقَى البائِسَ المعـــا نِى به من غيرِ بَاسِ

يَمْلأُ الجاماتِ من إسْفَنْطِه مَلْءَ العِساسِ[2]

فسبَأْتُ الخمرَ مِن دَ يَّارِهَا أبْلينـــآسِ[3]

وبذَلْتُ العقلَ فى الرَّا حِ له رأسًا بِراسِ

فَبِىَ استَوْثِقْ ولا تُلْـ ـقِ حِبالِى ومَراسِى[4]

ثم لا تَنْوِ مُنـــاوَا تِى ولا تقصِدْ مِراسِى

فأنا الفَرْعُ الذى وُطِّـ ـدَ جِذْمِى وأَساسِى[5]

وأنا الغُصْنُ الذى طَا بَ نبَاتِى وغِراسِى

وأنا الناسُ وما كُلُّ م أُناسٍ بأُنــــاسِى

أنا لَيِّنٌ حُسْــنُوٌ هَيْـ ـنٌ بَعيدُ الغَوْرِ حَاسِى

أنا لا قَاسٍ ولٰـ ـكِنِّى إذا خُوشِنْتُ قاسِ

رفعـــونى فأنا رَأْ سِى كذاك الطَّوْدِ رَاسِ

وعلى الجُودِىِّ فى السَّا لِفِ ما تُلْقَى المَراسِى

---

(١) من معانى البأس : العذاب والشدة فى الحرب ، وشدة الحاجة . (٢) الإسفنط : الخمر والعساس : جمع العس ، بالضم ، وهو القدح العظيم . (٣) فى ب : « من درها » ، والمثبت فى : ا ، ج وأبليناس : اسم الديار .

(٤) مراسى : جمع مرسى ، وهو مكان رسو السفن. (٥) فى ب : « وطد جسمى وأساسى » وفى ج : « وطد حزمى » ، والمثبت فى : ا .

والجذم : الأصل والمنبت .

وَلِجَدِّى يُذْعِنِ الْقَا سِى مِنْ شُمِّ الرَّوَاسِى
أَنَا زَيْنُ الْعَابِدِينَ بْ نُ أَبِي بَكْرٍ الْمُواسِى

***

ومن مُوشَّحاته البديعة ، قولُه مُعارِضاً ابنَ سَناء المُلك ، فى مُوَشَّح له[1] :

انْظُروا تَعْدِيلَ قاماتِ الغُصونِ هـذه بَانَهْ وهٰذِى خَيْزُرانَهْ
وَحِّدُوا الرحمنَ ذا العرشِ المجيدِ
وأَمِيطُوا اللَّبْسَ من خَلْقٍ جَدِيدِ
وانْظُروا تَوْرِيدَ تُفَّاحِ الْخُدودِ
واعْجَبُوا مِن حُسْنِ تَلْوِينِ العُيونِ تِلْكُمُ حَانَهْ وهاتيكم كِنانَهْ
بأبى مُرُّ الجفَا بالدُّرِّ حَالِى
قَدْرُه قد حَطَّ مِن قَدْرِ العَوالِى
مَطْلَبِى مِن ثَغْرِه كَنْزُ اللَّآلِى
رَصَّعَ المَرْجانَ بالدُّرِّ المَصُونِ كلَّ مَرْجَانَهْ بأغـلاها جُمَانَهْ
حَبَّذا مَن خَلْقُه الغُصْنُ الوَضِىُّ
حبَّذا مَن خُلْقُه الغَضُّ الرَّضِىُّ
حَبَّذا مَن جِسْمُه الْبَضُّ الطَّرِىُّ
حَبَّذا منـه وُعُودٌ مِن جُفُونِ غيرِ خَوَّانَهْ مُوَدَّاتِ الأمانَهْ
أَيُّها اللَّاحِى أما لِلْعَذْلِ عُذْرُ
سَلِّمِ الأمرَ فإنَّ الأمرَ أمْرُ
ودَعِ الإنْكارَ فالإنكارُ نُكْرُ
كيف تلحانِى على زَاهِى جَبِينِ قَدُّه زَانَهْ وفُـوهُ أُقْحُوانَهْ

(١) لم يرد ذكر الموشحات فى ديوان ابن سناء الملك المطبوع .

كيف تَلْحَى فيه زَيْنَ العابدينا

كيف تَلْحَى فيه كَنْزَ الطَّالبينا

كيف تَلْحَى فيـــه نَجْلَ الصَّادقينا

إنمـــا عَذْلُكَ قلبي فى شُجُونِ مِثْلُ صَفْوانَهْ هَوَتْ من أُسْطُوَانَهْ

أنا لى مَجْدٌ ولى جَدٌّ عَتيقُ

ابنُ صِدِّيقٍ صَدُوقٌ وصَدِيقُ

ورَقيقٌ أنا والشِّعْرُ رَقِيقُ

وجَوَارِى قُصَّـدِى قُبُّ البُطونِ كلُّ خَمْصانَهْ بِألْفَى بَهْرَمانَهْ[1]

وصلاةُ اللهِ والتَّسْليمُ تَتْرَى

لِلنَّبِيِّ المُجتبَى كَنْزًا وذُخْرَا

والرِّضَا عن صَحْبِه دُنْيَا وأُخْرَى

مَن له اللهُ بجـــبريلَ الأمينِ زاد سُلطانَهْ وقَوى عُنْفُوَانَهْ

***

ومن مَقاطِيعه قولُه :

لا تسألِ النـاسَ مُعادَاتِهِمْ إن كنتَ لا تَرْضَى مُعادَاتِهِمْ[2]

وعِفَّ عن شُرْبِ شَرَاباتِهِمْ مَن يسألِ الناسَ شَرابًا تُهِمْ[3]

***

وله :

ولى حِلْمُ مَيَّالٍ عن البَطْشِ قادرٍ على العَفْوِ لم يَخطُر سِواه ببالِهِ

إذا سَمَحتْ بالمـــالِ يوماً يَمينُه أَمَرَّ عَطايَا جُودِهِ عن شِمالِهِ

***

(١) قب البطون : ضوامرها . ولم أجد «بهرمانه» فى كتب اللغة ، والذى فيها : البهرمان : العصفر ، وفى شفاء الغليل ٤٢ : بهرمان : لون أحمر ، معرب . (٢) معاداتهم الأولى ، بمعنى عوائدهم ، والثانية من العداوة . (٣) شراباتهم الأولى ، جمع شراب جمع مؤنث سالم ، والثانية مؤلفة من «شرابا» وهو ما يشرب ، و« تهم » من التهمة .

وقوله :

هى الألحـــاظُ فاحذَرْها وإلّا دَهَتْك بَوابِلِ النّبْلِ الْهتُونِ
إذا قلتُ ارْحَمِيـــنِى قال قلبى وهل فى العِشْقِ يا أُمِّى ارْحمِينِى

***

ومن أبياته المُفْرَدة :

النّاسُ خوفَ الذُّلِّ فى ذِلَّةٍ وخَشْيَةَ أن يَتْعبُوا فى تَعَبِ

***

وله :

النّاسُ مثـــلُ النّاسِ لكنّهم طِبـــاعُهم تُنْكِرها النَّاسُ



# ٣٣٣

## أحمد الوارِثِىّ الصِّدِّيقِىّ*

رأسُ حَمَلة الحديث والفُرْقان ، وشهابُ المِلّة الذى لا يُمْكِن أن يرى الفلكُ نَظِيرَه فى ألف قِران .

اشْتهرت أحاديثُ فضائِله فأصبحت رَوْنَقَ السِّيَر والأسْمار ، وظَهرتْ أعلامُ عِلْمِه فلا تخْفَى إلاّ على أكْمَهَ لا يعرفُ الشُّمُوس والأقْمار .

فكان له فى الشُّهرة الفضلُ المُقدَّم ، وأقرّ له مع التأخُّر السّابِق الأقْدَم .

فرجع العلماء إليه رجوعَ الحديث إلى قَتادة[1] ، وصدَّق الحُبْرُ الخَبَرَ فيما ألِفَه من الخيرِ المَحْضِ واعْتادَه .

فلو تقدَّم عصرُه نزلتْ آىُ القرآنِ شَواهِدَ بفضلِه وآثارِه ، أو لِحَق الصِّدِّيق الأكبر لقالَ : هذا وَارِثِى بصدْقِه وإيثارِه .

***

وهو من الأدب فى مَرْتبةِ سِنامِه وكاهِلِه ، تحُوم الآراء حولَ مُرادِه فترْتَوِى من مَناهِلِه .

وله نظمٌ ونثر كما انْتظمت الأنْوار ، بعدما انْتثرتْ عليها الأمطار ، أوكما انْتظمت الأطْوار ، بعد ما انتثرتْ من تشتُّتِ المآرب والأوْطار .

---

(*) أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الوارثى المصرى المالكى الصديقى .
إمام ، مفسر ، محدث ، كانت له اليد الطولى فى غالب العلوم .
وله تحريرات كثيرة ؛ منها « الأجوبة عن الأسئلة لابن عبد السلام » فى التفسير .
توفى سنة خمس وأربعين وألف .
بيت الصديق ١٨٣ – ١٨٥ ، خلاصة الأثر ١/٢٣٤ – ٢٣٦ .

(١) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسى ، المفسر المعروف ، المحدث ، العالم بالعربية .
توفى سنة ثمان عشرة ومائة .
وفيات الأعيان ٣/٢٤٨ ، ٢٤٩ .

فمن ذلك قوله[١] :

ماذا تقولين فيمَن شفَّـــه سَقَمٌ  مِن فَرْطِ حبِّك حتى صار حَيْرانَا

قد لَاذَ فى الحبِّ حتى صار مُكْتئباً  والعشقُ أضْرَم فيه اليومَ نِيرانَا

هل يشتفى منك بالثَّغْرِ الرَّحِيق إذاً  أو تَتْركيه على الأَدْنانِ نَدْمانَا[٢]

***

وقوله[٣] :

وإنِّى لَصَبٌّ بالقوافِى ومَدْحِها  ويبلُغ بى حَدَّ السرورِ بَليغُها[٤]

وأطْيَبُ أوْقاتى من الدهرِ ليلةٌ  تُرِيع القوافِى خاطرِى وأُرِيعُها[٥]

وكم بلَغتْ بى هِمَّتِى بُعْدَ غايةٍ  يَعِزُّ على الشِّعْرَى الْعَبُورِ بُلوغُها

فــا سَرَّنى إلَّا كلامٌ أسِيغُه  بِمَسْمَعِ واعٍ أو مَعانٍ أصُوغُها

***

وكتب إلى بعضِ وُزَراء مصر[٦] :

يا أيُّهـــا المَوْلَى الوزيرُ ومَن له  مِنَنٌ حَلَلْنَ من الزَّمانِ وَثاقِى

مَن شاكِرٌ عنِّى يدَيْك فإنَّنِى  مِن عُظْمِ ما أوْلَيْتَ ضاق نِطاقِى

مِنَنٌ تَخِفُّ على يدَيْك وإنمــــا  ثَقُلتْ مَواهِبُها على الأعْناقِ

***

وله فيمن اسمُه بدر[٧] :

سَمَّوه بَدْرًا وذاك لَمَّا  أن فاقَ فى حُسْنِه وتَمَّا

وأجمعَ الناسُ مذ رَأَوْهُ  بأنه اسمٌ على مُسَمَّى

***

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢٣٥/١ .    (٢) فى ا : « بالريق الرحيق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .

وفى الأصول : « أو تتركيه » ، والمثبت فى الخلاصة .

(٣) خلاصة الأثر ٢٣٥/١ .    (٤) فى الخلاصة : « فى القوافى ومدحها » .    (٥) فى الخلاصة : « تريغ القواف خاطرى وأريغهـا » .    (٦) الأبيـات فى خلاصة الأثر ٢٣٥/١ .

(٧) خلاصة الأثر ٢٣٥/١ ، ٢٣٦ .

وله[1] :

وكم لله مِن نِعَمٍ يعمُّ الكونَ ماطِرُها
تُذكِّرُنا أوائلُها بما تُولِي أواخِرُها

***

وله[2] :

رُمْتُ حالَ الوَصْلِ أنِّي لا أرى للوصلِ آخِرْ
فحُرِمْتُ الوصلَ رَأْسًا زاد بي الوجدُ مخاذِرْ

***



(١) البيتان في خلاصة الأثر ٢٣٦/١ . (٢) خلاصة الأثر ٢٣٦/١ .

ولده :

## ٣٣٤

## محمـــد

إيامِيُّ الرَّكَن ، عَرِيٌّ عن العِيِّ واللَّكَن .
رَحُب ذَرْعُه ، ودلَّ على كرمِ أصْلِه فَرْعُه .
فهو قَرِيعُ فَخامةٍ وجَلالة ، ووارِثُ الفضلِ لا عن كَلالَة .
ويرجِع مع[1] الأصْلِ الأصِيل ، إلى أدبٍ لِوَصْفِه فى فَنِّ الفضائل تَفْرِيع وتأْصِيل .

***

وقد وقفتُ على ديوانه ، الذى سماه « نزهة الأبصار ، وروض الأزهار » ، فجرَّدْتُ من أحاسِنِ أبياتِه ، ماستحْسَنْتُه لِتوْشيةِ الطُّروس بإثْباتِه .
فمن ذلك قولُه :

حبيبى فى التَّلطُّفِ بى يُحـاكِى ... مُطاوَعة الأَراكَةِ للنَّسِـيمِ
نديمٌ قد تملَّكنى رَقِيقاً ... وإنِّى عبدُ رِقٍّ للنَّدِيمِ
يُماطِينى الحديثَ وخَمْرَ ثَغْرٍ ... فأَسْكَر بالحديثِ وبالْقديمِ
وإن رام السُّلُوَّ فإنَّ قلبى ... صحيحُ الوُدِّ فى جَسَدٍ سقيمِ
أقمتُ بحُبِّه ومَضَى عَـذُولى ... فلا اجْتَمع المُسافِرُ بالمُقِـيمِ

***

وقوله فى الغزل :

أُفَدِّى غزالى الذى غَزَا لِى ... بسَيْفِ لَحْظٍ ومارَثَى لِى[2]

(١) فى ا : « عن » ، والمثبت فى : ب ، ج.
(٢) فى ا : « بسيف اللحظ » ، والمثبت فى : ب ، ج.

هَزَّتْه ريحُ الصَّبا سُحَيراً    فَمَاسَ كالغُصْنِ فى دَلالِ
وقام يجْلُو شمسَ الْحُمَيَّا    من ريقِ فِيه شُهْدِى حَلا لِى
وجاء يهْتَزُّ مثــلَ غُصْنٍ    وقد سَقـــانى وقد مَلا لِى
فصرتُ أشكُو النَّوَى إليه    وما نَوَى لى من المَـــلالِ
وقلتُ باللهِ يا حبيـــبى    انْظُرْ لِحالِى قد صار حَالِى(١)
يا بدرَ تمٍّ بأُفْقِ سَعْدٍ    يا مُشْتَرِى القلبِ بالوِصالِ
حَمَّلتنى فى هـــواك ما لا    أفْدِيك خِلِّى بكُلِّ مَالِى
ومُرْسَلُ الدمعِ سال فَيْضاً    والقلبُ واللهِ ليس سالِى(٢)
ومَقْصِدِى أن أراك يوماً    ماذا على الدهرِ لوصَفَا لِى
ياقامةَ الغُصْنِ فى اعتدالِ    يا طَلْعَةَ البدرِ فى الكمالِ
لا عِشْتُ إن لم أكُنْ مُحِبَّاً    أحفَظُ وُدِّى ولا أُبالِى
وأرْتضِى فى هَواك هَتْكِى    وأُنْفِقُ الرُّوحَ ثم مَالِى

***

وله :

رُبَّ ساقٍ خَمْرَةٌ مِن ثَغْرِهِ    وثَناياهُ كدُرٍّ أو حَبَبْ
أوْرَثَ العقلَ خَبالًا عندما    أن تبدَّى لى بكأسٍ مِن ذَهَبْ
مَذْهبِى فيه طِرازٌ مُذْهَبٌ    واصْطبارِى فى هَواه قد ذَهَبْ
لَيِّنُ الأعْطافِ قاسٍ قلبُه    واللَّمَى يحْكِى ضَرِيباً أوضَرَبْ(٣)
عارِضـــاهُ أنْبَتا آساً وفى    وَجْنَتَيهِ أصبح الوَرْدُ عجَبْ

***

(١) أصله : « قد صار حاليا » ، وجاء هكذا لضرورة القافية .    (٢) القول فى هذا كالقول فى الحاشية السابقة .    (٣) الضريب : الثلج ، والضرب : العسل الأبيض الغليظ ، يصفه بالبرودة والحلاوة .

وقوله :

أَلِفُ الْقَوامِ ولامُ عارضِ مَن سَبَا عقلى ومِيمُ الثَّغرِ مَعْ صـــادِ الْمُقَلْ
إن جُمِّعُوا وغَـــدَوْا نَصِيبى مَرَّةً من فيـــه ذاكَ شِفاء قلبى مِن عِلَلْ

***

فيه تَوْليدٌ لطيف ، وهذا النوع مِمَّا تظرَّف فيه الأدباء ، ومنه قولُ بعضهم :

كأنَّ مُقلتَه صـــادٌ وحاجبَه نونٌ وموضِعَ تقْبِيـــلى له مِيمُ
فصِرْتُ أعْشَقُ من عِشْقى له صَنَماً وعاشِقُ الصَّنَمِ الإنْسِىِّ مَرْحُومُ[1]

***

قال الزَّكِىُّ بنُ أبِى الإصْبَع ، فى « تحرير التحبير[2] » : إن أغربَ ما سمعتُ فى التَّوْليد :

كأنَّ عِذارَهُ فى الخدِّ لامٌ ومَبْسِمَه الشَّهِىَّ العَذْبَ صادُ
وطُرَّةَ شَعْرِه ليـــلٌ بَهِيمٌ فلا عَجَبٌ إذا سُرِق الرُّقادُ

فإنَّه وَلَّد من [3] تشْبيه العِذار باللَّام ، و[3] تشْبيه الفَم بالصَّاد ، لَفْظَة « لِصّ » ، [4] وَوَلَّد مِن مَعْناها تَشْبيه الطُّرَّة بالليـــل وذكر سَرِقَةَ النَّوم [4] ، فحصَل تَوْليدٌ وإغرابٌ وإدْماج[5] .

وأستحسِن أنا فيه قولَ بعضهم :

تاللهِ ما لِمُعَذِّبى فى حُسْنِه شَبَهٌ فأىُّ حَشاً عليه لم يَهِمْ
لَامُ العِذارِ وميمُ مَبْسِمه على ما أدَّعِى من حُسْنِه بُرْهانُ لَمْ

---

(١) فى ب : « وعاشق الصنم الإنسى محروم » ، والمثبت فى : ب ، ج (٢) تحرير التحبير ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ونسب البيتين إلى بعض العجم . (٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وتحرير التحبير .
(٤) فى تحرير التحبير : « وولد من معناها ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر سرقة النوم » .
(٥) هذا آخر كلام ابن أبى الإصبع .

ولابن جابرٍ الأندلسيّ[١] ، مُعتذراً عمّن لم يُسَلِّم :

لا تعتِبَنَّ على تركِ السّلامِ فقد    جاءتكَ أحرُفُه كتْباً بلا قَلَمِ
فالسِّينُ مِن طُرّتي واللّامُ معْ ألِفٍ    مِن عارضَيَّ وهذا الميمُ مِيمُ فَمِي

***

وللوارثيّ :

أقبَـــلَ المحبوبُ يومًا    خاطِـــراً نحوَ المُعَنَّى
مُفرداً في الحُسْنِ فاعْجَبْ    منه فرْداً يتثنّـــى

***

[٢] غَصَبه من قولِ ابنِ نُباتَة :

فريدٌ وهْوَ فتّـــانُ التّثنّي    فيالله من فرْدٍ تثنّى[٢]

ومِثلُه لابن العفيف[٣] :

هو لا شكَّ واحدُ النّاسِ في الحُسْـ    ـنِ وإن كان قَدُّه يتثنّى

***

وله :

بأبي أفـــدِي غزالًا    مُكثِراً للهجْرِ والبَيْنِ[٤]
عارِضـــاهُ صيّرانِي    هِمْتُ من وَجدِي بلا مَيْنِ[٥]

***

من قول البدرِ الدّمامينيّ[٦] :

لاما عِذارَيْكَ هما أوْقعَا    قلبَ المحبِّ الصّبِّ في الحَيْنْ
فجُدْ له بالوَصْـــلِ واسْمَحْ له    ففيكَ قد هـــامَ بِلامَيْنِ

***

(١) تقدم التعريف به في هذا الجزء ، صفحة ١١٩ .    (٢) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .
والبيت في ديوان ابن نباتة المصري ٥٢٨ .
(٣) لم أجد البيت في ديوانه المطبوع .    (٤) في ا ، ج : « مكثر الهجر » ، والمثبت في : ب .
(٥) بلامين : مثنى اللام ، والمين : الكذب أيضا .    (٦) تقدم التعريف به في الجزء الأول ، صفحة ٥٠٢ .

# ٣٣٥
## أبو الإسْعاد يُوسُف الوَفَائى *

أحدُ السَّادات بَنِي وَفَا ، الذين أرْبَى قَدْرُهم على أهلِ الدنيا وأوْفَى .

تَميَّزُوا فى الأولياء تَميُّزَ الملوكِ فى الأجْناد ، وجرَّدوا عَزْمَهم فكان فِرِنْدُه النَّقِيُّ وغِمْدُه تَبْسِيمَ الأجْياد .

سقَى عُهودَهم بالماءِ الطَّاهِر ، وتَحلَّوْا بحِلْيَتَي الباطن والظَّاهر .

فإذا اقْتُسِم الفضلُ وشَرَفُ الخِصال ، فلِلنَّاس منهما الأسْماء ولهم الأفعال .

وإن ذُكِر المدحُ والثَّنا ، فكلُّهم يُعْرَفون فى الوصف الجميل بالكُنَى .

فليت شِعْرِي بأيِّ وصفٍ أصِفُهم ، ولو جمعتُ جيوشَ البلاغة لم أكُنْ أنْصِفُهم :

ولولا أنَّ فى الأشياء مالَا يُنالُ بكَدِّ نَفْسٍ واجْتهادِ
كتبتُ ثَناءَهم بسَوادِ عَيْنِي مَخافَةَ أن يُدَنَّسَ بالمِدادِ

***

وأبو الإسْعاد هذا رَوْنَقُ مُنْتَسَبِهم العالِي ، وبَهْجَةُ مُنْتَدَاهم الذى أطْلَع ثَمرَ المَعالِي .

جمالُ عصرِه ، ويُوسُف مِصْرِه .

---

(*) يوسف بن عبد الرزاق أبو الإسعاد الوفائى المالكى المصرى .

أخذ العلوم عن أبى النجاء السنهورى ، وأبى بكر الشنوانى ، والدنوشرى ، وقايد الأزهرى ، والأجهورى .

وتلقى طريقة الوفائية الشاذلية عن عمه الأستاذ محمد ، ولبس الخرقة ، وكانت له رحلة إلى بيت المقدس .

ودرس وأملى الكثير ، وله شهرة فى التحقيق ، يقول الشعر الحسن والنثر البليغ .

توفى فى مرجعه من الحج ، سنة إحدى وخمسين وألف ، ودفن فى زاوية السادات الوفائية .

بيت السادات الوفائية ٣٧ ، ٣٨ ، خبايا الزوايا لوحة ١٦٢ ب ، خلاصة الأثر ٤/٥٠٣ ـ ٥٠٥ ، ريحانة الألبا ٢/٢١٣ .

عِطْفُ سَماحِه ميَّاس ، ونَيلُ كَفِّه جارٍ بغير مِقْياس .

فهو فى الرَّوْض إذا ذَوَى ناضِرُ العُود ، ولدَى الحَوض وإن خوَى أسْعَدُ السُّعود .

ولِعَيْن الرَّجاءِ نُزْهةٌ فى رَوْض مَساعِيه الخَصِيبة الرِّحاب ، ولِآثارِه عَلَيْه ثَناءٌ كثَناءِ الرِّياض على غُرِّ السَّحابِ .

فتتشوَّق النُّفوسُ إلى تلك الشِّيَم ، تَشوُّق الجَدْبِ إلى فَيْضِ الدِّيَم .

والجود حُسْنُ السادةِ الكِرام ، كالحُسْن يدْعُو الناسَ إلى الغَرام .

فلله ما وَهبَه العِزُّ من تجمُّلِه به وتحلِّيه ، وتبرُّجِه بآرائه وتجلِّيه .

بوَجْهٍ لا يُحاسِنُه شَىءٌ فى الإشْراق ، ومَعالٍ مَن ادَّعاها لَزِمتْه جِنايَةُ السُّرَّاق .

فهو يُشِير بِشِيَم الألْطَف ، ويُخِيلُ بالدِّيَم الوُطْف[1] .

ويهْتزُّ للأدب عِطْفُ بانِه ، ويضْطرب لِمُجْتديه كأنما نَادَمه ابنُ بَانَة[2] .

***

وله من رائِق النِّظام ، ما هو كالثُّرَيَّا فى الانْتِظام .

فمنه قوله :

| | |
|---|---|
| لِحَىِّ أهلِ الوَفَاءِ سِرْ بِى | فإن فيه غَزَالَ سِرْبِ |
| مِلْ بى إلى نحْوهم وعُجْ بِى | سَلِمْتَ من فِتْنةٍ وعُجْبِ |
| قومٌ بهم ما حَيِيتُ دَائِى | وهم دَوائِى وعَيْنُ طِبِّى |
| وهم شُموسُ العُلَى افْتخارًا | بفَيْضِ كَسْبٍ وفَيْضِ وَهْبِ |
| وهم سحَابُ الرَّجا مَطِيرًا | إذا اشْتكَى الدَّهرُ عَهْدَ جَدْبِ |

---

(١) الوطف : القريبة من الأرض لثقل مابها من الماء .

(٢) هو عمرو بن محمد بن سليمان الثقفى ، مغن مشهور مجيد ، وكان خصيصا بالمتوكل على الله ينادمه .

وبانة اسم أمه ، وهى بانة بنت روح .

توفى ابن بانة سنة ثمان وسبعين ومائتين .

وفيات الأعيان ٣/١٤٨ ، ١٤٩ .

وَلَاحَ سِرُّ الوفاء منهم عَوْناً إذا سامَ دَفْعَ كَرْبِ
فهم عِيَاذِي وهم مَلاذِي لِكلِّ هَوْلٍ وكلِّ خَطْبِ
وليس لى عنهمُ غَناءٌ وهكذا حالةُ الْمُحِبِّ
وقد رَضُوا لى سَلْبِي سِواهُمْ فاشْهَدْ مَقامَ الرِّضا وسَلْ بِي
لا نِلْتُ مِن قُرْبِكم وِصالاً إن لم أمُتْ فيكمُ بحُبِّي[1]
عَمَرْتُمونِي بكلِّ فَضْلٍ وقد عَمَرْتُم رُبوعَ قلبِي
وهكذا تفعلُ الْمَوالِي إذا رَعَوْا ذِمَّةً لِصَبِّ

***

وقوله[2] :

قَسَماً بكم يا سادتى وغَرامِي ما حُلْتُ عن عهدِي لكم وذِمامِي
وأنا الْمُقيمُ لكم على عَهْدِ الوفَا وعلى هَواكُم تنقضِى أيَّامِي
غيرى يُغيِّرُه الجفاءُ عن الهوى فيَميلُ نحوَ مَلامةِ اللُّوَّامِ
وأنا الذى لو مُتُّ فيكم لم أحُلْ عنكم ولا يَثْنِي الْمَلامُ زِمامِي
يا سادتِي عَطْفاً على عَبْدٍ لكم فعَساكُمُ تحْنُوا على الْخُدَّامِ
فالقلبُ فى نِيرانِ تَبْرِيحِ الجوَى يَصْلَى وجَفْنِي مِن جَفاكُمْ دَامِي
أرْضَعْتُمونى دائماً ثَدْيَ الرِّضَا ويَشُقُّ من بَعْدِ الرِّضاعِ فِطامِي
فعلى مَ أظْهَرْتُم إهانَةَ عَبْدِكم مِن بَعْدِ ذاك العِزِّ والإكْرامِ
ما زَلَّ بى قَدَمٌ وإن زَلَّتْ فكَمْ غُفِرتْ لَدَيْكم زَلَّةُ الأقْدامِ
قَسَماً بفَضْلِكُمُ علَيَّ وإنه لِذَوِى الْمَعارِفِ أعظمُ الأقْسامِ
بِسِواكُمُ ما لِلْفُؤادِ تَعلُّقٌ أنتم مَرامِي دونَ كُلِّ مَرامِ[3]

---

(١) فى ب : «فيكم بحب» ، والمثبت فى : ا، ج . (٢) الأبيات الستة الأولى فى خلاصة الأثر ٤/٥٠٤ .
(٣) فى ب : «دون كل مرامى» ، والمثبت فى : ا ، ج .

يا عَاذِلِى ذَرْنِى فإنى كُلَّمـــا زِدْتَ الْمَلامَ علىَّ زادَ هُيـــامِى
كيف التَّسَلِّى عن هَواهُم بَعْدَمَا سَكَنَ الهوى فى مُهْجَتِى وعِظامِى
مَن رامَ فَضْلًا بِأُبْهِمْ مُتأدِّبًا يَحْظَى بهم ويفوزُ بالإكْرامِ
إنِّى لَأطْرَبُ من مَدِيحِ صِفاتِهِمْ فأمِيلُ نَشْوانًا بغير مُدامِ[1]
إنْ أعْرضُوا فأنا الصَّبُورُ وإن أبَوْا فأنا الشَّكُورُ بِخُلْقِى وغَرامِى
شُرِّفْتُ حين غَدَوْتُ مِن خُدَّامِهِمْ ورَقِيتُ فى الإسْعادِ خيرَ مَقامِ

***

ومن مُطَوَّلاتِهِ قوله[2] :

حَيِّهِمْ إن جِئْتَهم يا سَعْدُ حَىّ فهمُ أهلُ الوفَا فى كلِّ حَىّ
عِشْ بهمْ صَبًّا ومُتْ فى حُبِّهِمْ مَن يَمُتْ فى حُبِّ حَىٍّ فهْو حَىّ[3]
هُم مُلوكُ الأرضِ سَاداتُ الوَرَى فَازْوِ عنهم واطْوِ ذِكْرَ الغَيْرِ طَىّ[4]
لم يزَلْ إحْسانُهم يغمرُنا مُطْلَقًا بالفَيْضِ فى نَشْرٍ وطَىّ
كم كذا ألْطافُهم تأتِى عَبـــا فيـــه لِلْقلْبِ شِفـــاءٌ ودَوِىّ
لَفْظُهم والجودُ ذَا فيـــه شِفَا لِذَوِى السُّقْمِ وذا فيـــه رَوِىّ
مِن كِلَا هذين لا أبْرَحُ لى سَكْرَةٌ فازْوِ لِمَ عن سَكْرَتَىّ
أنا منهمْ لم أزَلْ مُكْتسِبًا كُلَّ ما يُنْسَبُ فى الخيرِ إلَىّ
فسَناهُم لَامِعٌ فى فِكْرَتِى ونَداهُم هَامِعٌ فى رَاحَتَىّ
طَرَقَتْنِى نَفْحة مِن سِرِّهِم فكَسَا ضَوْءُ سَناهَا أصْغَرَىّ[5]
صَيَّرَتْنِى مُنْشِئـــًا مُرْتجِلًا كلُّ ما أطلبُـــه فى قَبْضَتَىّ

(١) صرف « نشوان » لضرورة الوزن . (٢) الأبيات الأربعة الأولى ، ومن البيت الرابع عشر إلى السابع عشر ، فى خلاصة الأثر ٤/٥٠٤ ، ٥٠٥ . (٣) فى الأصول : « من يمت فى حى حى فهو حى » ، والمثبت فى خلاصة الأثر . (٤) فى خلاصة الأثر : « واطو ذكر الغير طى » .
(٥) الأصغران : القلب واللسان .

أسعدَ اللهُ بهم فِكرى فلا يعترينى قِصَرٌ فى ساعِدَىّ
وَاجِبٌ عندىَ أنْ أسعَى على بَصَرى حقًّا لهم لا قَدَمَىّ
يا لِسانِى أدِمِ المَدْحَ لهم دائمَ الدهرِ ويا فكرى تهَىّ
أنا واللهِ مُحِبٌّ لكمُ صَدِّقُونى ليس بعدَ اللهِ شَىّ
مُخْتفٍ حُبُّكمُ فى مُهجتِى عن جميعِ الخلْقِ إلّا ملَكَىّ

***

لا يخفَى أنه أراد المُعارضةَ لابْنِ الفارِض ، ولكنَّه بحُكمِ عارِضِ المَحبَّة بَقِىَ تحت ذَيْلِ العارض[1] ، وبيت القَارِضِىّ[2] :

كان لولا أدْمُعِى أستغفرُ اللّـ ـهَ يَخْفَى حُبُّكم عن ملَكَىّ

***

مُذ مَنحتُم بوَفًا دون جَفًا فلِذا أنسيتمونى أبوَىّ
وسَقانِى كَفُّكم كأسَ ندًى مِن رَحِيقٍ بَرْدُه وَسْطَ حَشَىّ
دام مِنِّى المَدْحُ يأتِيكُم على سائقِ الأظْعانِ يطْوِى البِيدَ طَىّ[3]

⁂

---

(١) دفن ابن الفارض فى القرافة بسفح المقطم عند مجرى السيل تحت مسجد يعرف بالعارض ، وهو فى أعلى الجبل المذكور . انظر شرح ديوانه ١ / ٥ ، ٦ ، ١٣ .

(٢) فى ا : « الفارض » ، والمثبت فى : ب ، ج .
والبيت فى ديوانه ( بشرح البورينى والنابلسى ) ٦٦/١٢ .

(٣) ضمن صدر بيت ابن الفارض ، وعجزه :

* مُنْعِماً عرِّجْ على كُثْبانِ طَىّ *

شرح ديوانه ١٦/١ .

# ٣٣٦
## عبد الرحيم الشَّعْرَانِيّ*

خُلاصةُ جِيلِه ، الواجبُ أمْرُ تعْظِيمه وتبْجِيلِه .

وآلُ بيته الأخيار ، رَوْنَقُ السِّيَر وطِلاوةُ الأخْبار .

لهم نفوسٌ بالأسْرار الرُّوحانيَّـة عارِفات ، إذا كان لغيرِهم منها عارِفةٌ فلهم منهم عارِفات .

فما زالوا يُطْلِعون من أخلافِهم ، ما يَبْقَى به ذِكْرُ أسْلافِهم .

وهذا الحَبْرُ العالِم ، زَيَّنَ اللهُ به منهم المَعاهِدَ والمَعالم .

فنال حَفْلا به السَّعْدُ اكْتمَل ، وابْتسَم بمَرْآه ثَغْرُ المُنَى وامْتدَّ خَطْوُ الأمَل .

وهاجَر إلى الرُّوم لأمْرٍ دَعاه ، فحُمِد عند أهلِ المُشاهدة مَسْعاه .

فأقام بها راتِعاً من الجَلالة فى نَضْرِها ولَدْنِها ، إلى أن انْتقل مِن ظَهْرِها إلى بَطْنِها .

يمْلأُ الصدورَ انْشراحا ، ويعُمُّ الأرْجاء أفراحا .

ولا يَأْلُو وَلِيُّه شُكْرَ مَنِّه الجسِيم ، كما شكَر عارِفةَ الرَّوْضِ لِسانُ النَّسِيم

بوَقارٍ كما تشْتهِيه العُيون ، ونُصْحٍ(١) كما تقْتضيه الظُّنون .

---

(*) عبد الرحيم بن عبد المحسن بن عبد الرحمن الشعرانى المصرى .

ولد بمصر ، وحفظ بها القرآن ، وحصل ، ومن أشياخه : الشيخ عبد الوهاب الشعرانى ، وصحب الأستاذ محمد البكرى .

رحل إلى الروم وتوطنها ، وولى قضاء الحرمين ، ثم تقاعد بمدرسة السلطان أحمد .

وله تآليف ، منها رسالته التى سماها : « إيقاظ الوسنان من سنته ، فى بيان أل الموصول وصلته » .

توفى بقسطنطينية ، سنة ثمان وأربعين وألف .

خلاصة الأثر ٢/٤١٠ ، ٤١١ .

والشعرانى : نسبة إلى قرية أبى شعرا بمصر ، هكذا ذكر المحبى فى ترجمة ولده الآتى فى خلاصة الأثر .

(١) ا ، ب : « وفصح » ، وفى ج : « ونضح » ، ولعل الصواب ما أثبته .

(١) يُلهِب الوَجْدَ الذى خَمَد ، ويُذيب الدَّمعَ الذى جَمَد (١) .

ووَعْظٍ يُقيمُ الحُرَج ، على الشيخ أبى الفَرَج (٢) .

***

وله أشعارٌ مشتملة على حِكَم ووَعْظ ، يتمتَّع بها القلبُ قبلَ اللفظ .

فمنها قولُه فى عَقْد كلامٍ يُنقَل عن كِسْرَى ، كاتَبَ به قيصرَ جواباً عن مكاتبة (٣) :

كاتَبَ فى السَّابِق كسرى قيْصَرُ ... بمـــا استقامَ مُلْكُكُم والظَّفَرُ

فقال قد دامَ لنـــا الوِلاءْ ... بخَمْسةٍ طاب بهـــا الهَناءْ

إن استَشَرْنا فَذَوِى العُقولِ ... وإن نُوَلِّ فذوِى الأُصولِ

وليس فى وَعْدٍ ولا وَعِيـــدِ ... نُخالِفُ القولَ على التَّأْبيدِ

وإن نُعاقِبْ فعـــلى قَدْرِ السَّبَبْ ... مِن الذُّنوبِ لا على قَدْرِ الغَضَبْ

ولا نُقَدِّمُ الشبابَ مُطْلَقَا ... على الشيوخِ فى وَلاءٍ أُطْلِقَا

***

وله فى التوسُّل (٤) :

يا سيِّدَ الرُّسْلِ ومَن جُودُهُ ... لكلِّ خَلْقِ اللهِ مُسْتَرسِلُ

أنتَ الذى خَصَّك رَبِّى بمـــا ... لم يُحْصِه المِزْبَرُ والمِقْوَلُ (٥)

وإنَّنى عبـــدُك مَنْ جُرْمُهُ ... لِفِكْرِ ذى اللُّبِّ غَدَا يُذْهِلُ (٦)

قد جئتُ أبْغِى توبةً يَنمَحِى ... عنِّى بهـــا الوِزْرُ الذى يُثْقِلُ

---

(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . (٢) يعنى أبا الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى المتوفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وقد عرف بالوعظ وغلب عليه وشهر به . (٣) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٤١٠ ، وقدم لها المحبى هناك بقوله : « ورأيت بخط السيد محمد بن على القدسى الدمشقى ، قال : أنشدنى العلامة عبد الرحيم الشعرانى هذه الأبيات ، ولست أدرى أهى له أم لغيره ؟ ، وهى : » .

(٤) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٤١٠ . (٥) فى خلاصة الأثر : « لم يحصر المزبر والمقول » . والمزبر : القلم .

(٦) فى خلاصة الأثر : « لفكر ذى اللب الذكى يذهل » .

والسِّتْرَ فى دِينى وأهْلِي ومَن ... يَحْوِيه يَبْنِى أو بِهِ يَنْزِلُ

فأنتَ بابُ اللهِ أىُّ امْرِئٍ ... أتاه مِن غيرِكَ لا يَدْخُلُ

***

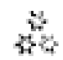
هذا البيتُ مُضَمَّن من قصيدة الشمس البَكْرِى[(١)] ، التى أوَّلُها[(٢)] :

ما أرْسَلَ الرحمنُ أو يُرْسِلُ ... مِن رحمةٍ تَصْعَدُ أو تَنْزِلُ

فى مَلَكوتِ اللهِ أو مُلْكِهِ ... مِن كلِّ ما يَخْتَصُّ أو يَشْمَلُ

إلّا وطٰهٰ المصطفَى عبدُه ... نَبِيُّه مُخْتارُه المُرْسَلُ

واسِطةٌ فيها وأصْلٌ لها ... يَعْلَمُ هذا كلُّ مَن يعقِلُ[(٣)]





(١) يعنى الأستاذ محمد بن أبي الحسن محمد بن محمد البكرى الصديق الشافعى المصرى .
ولد سنة ثلاثين وتسعمائة ، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، ثم أخذ فى حفظ المتون ، والتلقى على علماء عصره .
وكان آية من آيات الله فى الدرس والإملاء ، جلس مكان والده فى الجامع الأزهر للتدريس بعد وفاته ، وعمره إحدى وعشرون سنة .
وله مصنفات ، منها : « شرح على مختصر أبى شجاع » فى الفقه ، ورسائل متعددة ، وديوان كبير .
توفى سنة ثلاث وتسعين أو أربع وتسعين وتسعمائة .
بيت الصديق ٨١ ـ ٨٧ ، خبايا الزوايا لوحة ١٠٢ ا ـ ١١١ ا ، ريحانة الألبا ٢/ ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ـ ٢٤٤ ، شذرات الذهب ٨/ ٤٣١ ـ ٤٣٣ ، النور السافر ٤١٤ ـ ٤٤٠ .

(٢) القصيدة كلها فى : ريحانة الألبا ٢/ ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، النور السافر ٤١٩ ، ٤٢٠ ؛ والأبيات الأربعة الأولى فى شذرات الذهب ٨/ ٤٣٢ ، والبيت الأول فى خلاصة الأثر ٢/ ٤١٠ .

(٣) فى شذرات الذهب : « يفهم هذا » .

وله :

## ٣٣٧

## أبو السعود*

هذا سَعْدُ السُّعود ، الذى لو مَسَّ عُوداً يابِساً لَعاد الماء فى العُود ، حتى يُنَوِّر خَضِرا ، ويُثمِرَ غَضًّا نَضِرا .

وُلِد فى طالِع السَّخا ، وغُذِىَ فى بَحْبُوحة الرَّخا .

ومارَس المَعارف مُمارسةً كشفتْ له عن وُجوهِ الحقائق ، وأظْفَرَتْه بفوائدها[1] الجلائل ، وفرائدها[2] الدَّقائق .

فَقدَمُه فى العِلم راسِخة عالية ، والمَسامِع بمَحامِده مُقَرَّطةٌ حالِية .

وكانت أوقاتُه مُقسَّمةً بين عارِفةٍ يُنيلُها ، ومُلِمَّةٍ يُزيلها ، وفائدةٍ يُبْدِيها ، وصَنيعةٍ يُسْدِيها .

ومجلسُه أوَّله ثناء جميل ، وآخرُه دعاء جَزِيل ، وبينهما ترحيبٌ وتأهيل .

ففخرُه يتقلَّده جِيدُ الدهر ولِيتُه[3] ، وذِكْرُه يأرَجُ له مَسْرَى النَّسيم وهَبَّتُه .

* * *

[4] وله أدبٌ يُتنافَسُ فيه بلا تَطْرِيَة مادِح ، وشِعرٌ[5] وَرَى فيه زَنْدُه ولم يَقدَح فيه قادِح[4] .

فمنه قوله مُخَمِّساً[6] :

---

(*) أبو السعود بن عبد الرحيم بن عبد المحسن الشعرانى المصرى ، قاضى القضاة .
أحد أفراد الدهر فى المعارف الإلهية .
ولد بمصر ، ودخل الروم مع والده ، وهو صغير ، وأخذ عن الشمس الرملى ، والنور الزيادى ، ولازم من شيخ الإسلام صنع الله بن جعفر المفتى .
ودرس بمدارس قسطنطينية إلى أن وصل الى إحدى مدارس السلطان سليمان ، وولى منها قضاء القضاة بالشام ، ثم عزل ، ثم ولى قضاء بروسة ، وأدرنة ، وقسطنطينية ، ثم أعطى قضاء العسكر بأناطولى .
وكانت وفاته بقسطنطينية ، سنة ثمان وثمانين وألف .
خلاصة الأثر ١/ ١٢٠ ــ ١٢٢ .

(١) فى ا : « بفوائد » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « بفرائد » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) الليت : صفحة العنق . (٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٥) فى ، ا : « شعره » ، والمثبت فى : ج . (٦) التخميس فى : خلاصة الأثر ١/ ١٢١ ، ١٢٢ .

يا حادِيَ العِيسِ إن حَفَّتْ بك الكُرَبُ الحقْ هُدِيتَ بِرَكْبٍ ساقَهُ الطَّرَبُ
وقُلْ لِصَبٍّ غدا بالشوقِ ينتحِبُ لِمَهْبِطِ الوَحْيِ حقًّا ترحَلُ النُّجُبُ[1]
وعندَ هذا المُرَجَّى يَنْتَهِي الطَّلَبُ

أعْنِي الرسولَ الذي قد شرَّفَ الأُمَمَا ونال سائِلُهُ فوقَ الوَرَى قِسَمَا[2]
يَلْقَى العُفاةَ بمـا يَرْجُون مُبْتسِمَا به تحُطُّ رِحالُ السَّائلين فما
لِسائِلِ الدَّمْعِ ما يَقْضِيهِ ما يَجِبُ

إنْ رُمْتَ كشفَ العَنَا والحُوبِ والحُوَبِ كذا الخلاصَ مِنَ الأكْدارِ والنَّصَبِ[3]
وأن تكونَ سعيداً غيرَ مُكتئِبِ قِفْ وِقْفَةَ الذُّلِّ والإطْراقِ ذا أدبِ[4]
فعندَ حَضْرتِهِ يُسْتَلْزَمُ الأدبُ[5]

يا مَن بِهِمَّتِهِ قد صار مُنطلِقَا وسَكَّن الرُّوحَ منه بعدَ ما فَرَقَا
ذاكَ الحبيبُ الذي مِن صَفْوةٍ خُلِقَا له الملاحةُ خَلْقاً والنَّدَى خُلُقَا
والثغرُ مُبْتَسِمٌ والكفُّ مُنسكِبُ

إنْ أزمةٌ أوْهَنَتْ قلبي كذا جسدِي أو كُرْبةٌ فرَّقَتْ جُنْدِي كذا جَلَدِي
فليس لي ناصِرٌ إلاَّكَ يا سَنَدِي يا سيِّدي يا رسولَ اللهِ خُذْ بيدِي
فأنتَ حَسْبِي ومنكم يُعْرَفُ الحَسَبُ

❁

(١) في خلاصة الأثر : « بالشوق يلتهب » . (٢) في خلاصة الأثر : « فوق السماء قسما » .
(٣) الحوب : الحزن والوحشة . (٤) في خلاصة الأثر : « وكنت حقا سعيدا » .
(٥) هذا آخر ما جاء في الخلاصة .

# ٣٣٨

## سَرِيُّ الدين محمد الدَّرُوريّ

## المعروف

## بابن الصَّائغ*

ماجدٌ سَرِيّ ، وفاضلٌ بكلِّ مدحٍ حَرِيّ .

قد ضربت البَراعةُ رُواقَها بناديه ، ولم يزلْ داعِي البلاغة مِن كَثَبٍ يُناديه .

مَضَى حيث يرتدُّ العَضْبُ الصَّقيل وهو كَهام (1) ، وبلَغت هِمَمُه حيث تقصُر عن مَدارِكها خُطَا الأوْهام .

فقعد حيث كِيوانُ بإزائه ، وعقَد له الفَلَكُ ذوائبَ جوْزائه .

إنَّ السَّرِيَّ إذا سَرَى فبنفسِه ... وابنُ السَّرِيِّ إذا سَرَى أسْرَاهُمَا

فهو ظَرْفُ عِلم ، ووِعاء حِلم ، ومَن عَرف حاله من الإيثار عَرف الحُلَى كيف يُصاغ ، والسُّلافَ الرَّائقَ فى الأفواهِ كيف يُساغ .

هو امْرؤٌ لا يَصُوغُ الحُلَى تعمُّلَه ... كَفَّاهُ لـكنَّ فَاهُ صائغُ الـكَلِمِ

---

(*) سرى الدين محمد بن إبراهيم الدروري المصرى الحنفى ، المعروف بابن الصائغ .

كان والده من أكابر التجار المياسير ، فخلف له أموالا كثيرة ، واشتغل بقراءة العلوم على أبى بكر الشنوانى ، ثم لزم المولى حسين المعروف بباشا زاده نزيل مصر ، واختص به ، وكانت له معرفة تامة باللغتين الفارسية والتركية .

درس بمصر فى المدرسة السليمانية ، والمدرسة الصرغتمشية ، وسافر إلى الروم ، والقدس ، ووجه إليه رتبة قضاء القدس .

وكان من الفضل والتحقيق فى أسمى منزلة ، وله مؤلفات ، منها : « حاشية على شرح الهداية للأكمل » ، و « حاشية على البيضاوى » .

توفى سنة ست وستين وألف ، ودفن فى مقبرة المجاورين .

خلاصة الأثر ٣/٣١٦ ـ ٣١٨ .

(1) سيف كهام : لم يقطع .

وقد أُوتِيَ مِن حَلاوةِ الأخلاق والبيان ، ما يزرع حَبَّ الحُبِّ فى الصَّميم من الجنان .

فنَظْمُه جارٍ فى بَداعةِ الأُسلوب على غير مِثال ، ونَثْرُه حَقُّه أن يجعل كلَّ فقرةٍ منه مَثَلاً مِن الأمثال .

جميعُ الأمثال منه تطْرَب ، ولِكَوْنِها لا تلحقُه تُضْرَب .

***

فمن نظمه قولُه من قصيدةٍ ، أوّلها[1] :

رَعَى اللهُ عَهْداً بالغَرامِ تقدَّمَا ... أراه بثَوْبِ الدهرِ وَشْياً مُنَمْنَمَا[2]

وحَيَّى الحَيَا مِنِّى دِيارَ أحِبَّتِى ... وإن كان رَبْعُ الوُدِّ منهم تَهَدَّمَا

وإن كان وُدًّا فى الحقيقةِ غيرَ أنْ ... عَشِقْتُ وأوْهَمْتُ الحِجَى فتوَهَّمَا[3]

إلى كم أُضِيعُ العمرَ فى أيْنَ هم غَدَوْا ... وحَتَّى مَ يُسْلِينِى لعَلَّ وأيْنَمَا

أُطالِبُ دهرِى أن يجُودَ بقُرْبِهم ... فما زادَ بالبُطْلانِ إلَّا تَبَرُّمَا

وناشَدْتُه إلَّا مُقاسمةَ الأذَى ... وصَفْوَ الليالى فاسْتقالَ وأقْسَمَا

وماضَرَّهم لو أنّ برْقَ الْتِقائِهمْ ... أضاءَ إذا لَيْلُ القَطِيعةِ أظْلَمَا

تبدَّتْ لِيَ الأيّامُ فى زِيِّ بأْسِهِمْ ... وسَلَّتْ بِكَفِّ الغَدْرِ للقَتْلِ مِخْذَمَا[4]

وضحك مَشِيبِى أنَّ عصرَ شَبِيبتِى ... يُوَدِّع جسماً ما أراه مُسَلِّمَا

هَبَطْتُ إلى أرضِ المَذَلَّةِ بالذى ... تَخِذْتُ لِصَرْحِ العِزِّ مَرْقًى وسُلَّمَا

***

(١) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/٣١٧ ، ٣١٨ .

(٢) فى خلاصة الأثر : « وشيا منمما » .

(٣) فى ا : « وإن كان ود » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، على أن « إن » بمعنى ما .

(٤) المخذم : السيف القاطع .

ممَّا يتناسَب معه قولُ الفاضل :

وقيل اهْبِطُوا مِصْرَ وأيُّ فَضِيلةٍ ... لِمِصْرَ وبَاغِي الرِّزْقِ في مصرَ يَهْبِطُ

***

وممَّا دَهانِي أنْ بَليتُ بأغْيَدٍ ... إذا شاء إسْكارَ العقولِ تَبَسَّمَا

وإمَّا رَنَا واهْتزَّ غُصْنُ قَوامِهِ ... فوَيْلُ الْمَهَا منه وتَعْساً على الدُّمَى

تمَايَلَ وَسْنانَ الْجُفونِ وما احْتَسَى ... مُداماً وأصْماناً وما راشَ أسْهُمَا

ووَلَّاه سُلطانُ الجمالِ نُفوسَنا ... ألستَ ترَى دِيباجَ خَدَّيْهِ مُعْلَمَا[1]

وما هو إلَّا لَانَ عِطْفَيْه جانباً ... فيَسْمَحُ لي في زَوْرَةٍ ثم يَنْدَمَا[2]

زَرعتُ بلَحْظِي الوردَ في رَوْضِ خَدِّهِ ... أما آنَ أن يُجْنَى بِفِيَّ أمَا أمَا

وهَبْهُ حَمَى وَرْدِيَّهُ بِعِذَارِهِ ... فمَنْعُ فَمِ الْعُشَّاقِ ذاكَ اللَّمَى لِمَا

***

اللمى ، مُثلَّثة اللام : سُمْرةٌ في الشَّفَةِ ، لَمِيَ ، كرَضِيَ : اسْوَدَّتْ شفتُه ، وهوألْمَى ، وهي لَمْياء . هذه عبارةُ « القاموس »[3] .

وأكثرُ ما يستعملُه الشعراء ، خصوصا المُوَلَّدون ، في معنى الرِّيق ، وممَّا ينْبغي أن يُنَبَّهَ عليه ، أنه إذا وقَع مع « لِمَ » يستوجِب أن يُختار منه المكسور اللّام ، لِقصْدِ المُوازنة ، كما وقع هنا ، وكما وقَع في البيت الفارِضيّ[4] :

* صَدَّ حَمَى ظَمَئِي لِمَاكَ لِمَاذَا *

فإن المُوازنةَ بين الكلمات أمرٌ مُسْتحسَن عند النُّقّاد البَصِيرين بمَوارد الكلام ،

---

(١) في ا : « ديباج خطيه » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٢) في خلاصة الأثر : « وما هو إلا أن تعطفه الحجى » . (٣) القاموس ٤/٣٧٩ .

(٤) هذا صدر بيت ابن الفارض ، وعجزه :

* وهَوَاكَ قلبي صار منه جُذاذَا *

شرح ديوانه ١/٨٤ .

فقد ذكر ابنُ جنّى ، عند الكلام على قول المُتنبّى[1] :

بَليتُ بِلَى الأطلالِ إن لم أقِفْ بها وُقوفَ شَحِيحٍ ضاع فى التُّرْبِ خاتَمُهْ

أنه قرأ البيتَ على المُتنبّى ، ونطَق بالتاء مفتوحة ، فقال له المتنبّى : اكْسِرِ التاء .

فقال له أبو الفتح : أليس الفتحُ أفْصَحَ ؟

فقال : ألا تنظُرُ إلى حركاتِ ما قبل المِيم – يعنى فى القصيدة – كيف تجدُ الجميعَ مكسورا .

فعلم مُرادَ المُتنبّى ، وأثنَى عليه .

وأدلُّ دليلٍ على الْتزام المُوازنة قضيةُ الازْدِواج المذكور ، مع أنَّ فيه عُدُولا عن الأصل لأجلِ المُوازنة ، كقولِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم للنِّساء المتبرِّجات فى العِيد[2] : « ارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُوراتٍ » ، وقولِه فى عَوْذَتِه للحسن والحسين[3] : « أُعِيذُكُمَا[4] بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ ، مِنْ كلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ ، وَمِنْ شَرِّ[5] كلِّ كلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ[6] » ، والأصلُ فى « مأزورات » موزورات ، لاشْتقاقِه من الوِزْر ، كما أن الأصلَ فى « لامّة » مُلِمَّة ، لأنها فاعل من أَلَمَّتْ .

وقالت العربُ : الغَدَايا والْعَشايا . والأصل فى الغدايا : الغَدَوات ، وقالوا : هَنَّانى الشىء ومَرَّانِى . والأصلُ فى مَرَّانى : أمْرانى . وليس تغييرُ مَبانِيها إلّا للقصْد المذكور ، ولهذا إذا استعملتَ شيئاً من هذه الألفاظ مُفردة رَدَدْتَها إلى أُصولِها .

***

ومن مُنْشآته قولُه من كتاب :

---

(١) ديوان أبى الطيب ٢٤٤ ، وانظر حاشيته . (٢) أخرجــه ابن ماجه فى سننه ( باب ما جاء فى اتباع النساء الجنائز ، من كتاب الجنائز ) ١/٥٠٢ ، ٥٠٣ .

(٣) أخرجه ابن ماجه أيضا فى سننه ( باب ما عوّذ به النبى صلى الله عليه وسلم وما عُوِّذ به ، من كتاب الطب ، ٢/١١٦٤ ، ١١٦٥ . (٤) فى سنن ابن ماجه : « أعوذ » .

(٥) لم ترد هذه الكلمة فى سنن ابن ماجه . (٦) أى ذات لمم ، وانظر النهاية ٤/٢٧٢ .

سيِّدى الذى سكَن فُؤادى ، وسلب رُقادِي ، واسْتأثر بودَادِي ، وقصَر على محبَّته والنُّزوع إلى رؤيته سُوَيْداىَ وسَوادِي .

فيامَن مَلَكَ زِمامَ العلوم ، من كلِّ منطوقٍ ومفهوم ، وساعده التوفيق ، على أن جَمَع بين التَّحقيق والتَّدقيق .

وإذا هُما اجْتمعا لنفسٍ مَرَّةً بلَغتْ مِن العَلْياء كلَّ مَكانِ

أُعِيذُ طَبْعَكَ ذلك الغَوّاصَ المَوّاج ، وصدرَكَ ذلك البحرَ الثَّجّاج ، وفَهْمَكَ ذلك السِّراجَ الوَهّاج ، من أن ترْضَى بأن أصْبِرَ على الظَّمَا ، وأن أبْقَى فى ظُلْمة الهَجْرِ والنَّوَى .

ولم تُغِثْ مَسْرَح بَصِيرتى بنَوْء ، ومَطْمَحَ نَظَرِى ببعض ضَوْء .

وهو ـ حَفِظه الله تعالى ـ يعلم أنَّ مِن مِداده أمْدادِى ، ومِن سَنا طَبْعِه الوَقّادِ هِدايتى ورَشادِى .

وعِلْمُه مُحِيطٌ بما فى احْتباس القَطْرِ من ضَجَرِ النفوس ، وبما فى خَفاء الشمسِ من الوَحْشة والعُبُوس .

(١ وأنا أشكو تعطُّشِى إليه ، وأعْرِضُ حالَ وَحْشَتِى من بُعْدِه عليه ١) .

(٢ فهو ـ حفظه اللهُ تعالى ـ إذا شاء أثْلَجَ بخطابه الأحْشا ، وأنا بكتابِه ناظرٌ صُبْحٍ لِغَيْبَتِه أعْشَى ٢) .

***

ومِمَّا يُنْسَب إليه ، فى توْجيه بيتٍ لأبى تمّام ، وهو[٣] :

زارَ الخَيالُ له لا بَلْ أزارَكَهُ فِكْرٌ إذا قامَ فِكْرُ الخلْقِ لم يَنَمِ[٤]

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٣) ديوان أبى تمام ٢٦٨ ، طيف الخيال ٧ ، الموازنة ٢/١٦٧ . (٤) فى الديوان : « زار الخيال . . . » ، وكذلك فى الطيف والموازنة ، وفى الموازنة : « فكر الناس » .

قال : عاب الآمِدِيُّ هذا ، فقال[1] : وإذا زارَه بالفِكْر وقد زار فلا مَعْنَى للاسْتدراك ، وحاصلُ ما اعْتذَر به أنَّ الاسْتدراكَ صحيح ؛ لأنه إذا قال : « زار الخيال له لا بل أزار » ، احْتَمل زِيادةَ الاخْتيار من غير بَعْث باعِثٍ ، واحْتمل وُقوعَ الزِّيارة عن حَمْل حامِلٍ ، فأزال هذا الإبْهام بقوله : « لا بل أزاركه فكر » .

وقوله : « لم ينم » لم يُرِد حقيقةَ النوم ، بل كما يقال : فلان لم ينم عن هذا الأمر .

وقال : « إذا نام فكر الخلق » ، يعنى آخرَ الليل ، ولم يقل : أوله ؛ لأنه[2] إنما أنه يَسْهره[2] ، وإنما يقوم فى آخره تَهْويماً بِطَرْقِه .

وقِيلَ : وَجْهُ احْترازِه أنَّ الخيالَ لا يطرُق فى العادةِ إلَّا مع وُجودِ النوم ، وهذا إنما يكون فى آخِرِ الليل ، مع استمرار النَّوم وطُولِ زَمانه .

وقال أبو الطَّيِّب[3] :

لا الُحلْمُ جادَ به ولا بمثاله ... لولا ادِّكارُ وَداعِه وزِيالِه

إنَّ الُمعِيدَ لنا الَمنــــامُ خَيالَه ... كانتْ إعادتُه خَيالَ خَيالِه

يقول : الُمتمثِّلُ والُمتخيَّلُ له فى اليقظة إعادة خيالِه فى الَمنام ، كأنَّ الخيالَ الذى فى النَّوم خيالُ الخيالِ الذى تصوَّر فى الْيقظة .

وأظْهَرُ مِن هــذا قولُ أبي تَمّام الُمتقدِّم[4] ، وإنما أَخَذَه من قول

---

(١) الموازنة ٢/١٦٧ ، ١٦٨ . (٢) كذا بالأصول ، وعبارة الآمدى : « وأنه يسهره »

(٣) ديوانه ٢٧٤ . (٤) هكذا جاء فى الأصول ، والذى فى الموازنة ٢/١٦٨ أن قول جران العود الآتى مأخوذ من قول أبى تمام :

عادَكَ الزَّورُ ليلةَ الرَّمْلِ مِن رَمْ ... لَةَ بين الِحمَى وبين الَمطَالِي

ثمّ فما زارَكَ الَخيالُ ولــكنْ ... نَكَ بالفِكْرِ زُرْتَ طَيفَ الخيالِ

جِرَانِ الْعَوْدِ [1] :

حَيَّيْتُ طَيْفَكَ مِنْ زَوْرٍ أَلَمَّ بِهِ حَدِيثُ نَفْسِكَ عنه وهْو مَشْغُولُ [2]

فقوله : « وهو مشغول » ، أى لم يَزُرْكَ [3] على الحقيقة ، [4] فبنى من قوله [4] : « ما زارك طيف الخيال » وقولِه : « حديث نفسِك » قولَه : « ولكنَّك الفكرُ أزارَكَه » .

وقال الكُمَيت [5] :

ولمَّا انْتَهيتُ وَجَدْتُ الخيالَ أَمَانِيَّ نَفْسى وأفْكارَها [6]

☆☆



(١) جران العود ، هو عامر بن الحارث النميرى ، وقيل اسمه المستورد العقيلى .
شاعر إسلامى ، كما ذكر ابن الأثير ، يجيد الوصف ، وسمى جران العود ببيت قاله ، وجران العود : مقدم عنق البعير المسن .
خزانة الأدب ٤/١٩٧ ـ ١٩٩ ، الشعر والشعراء ٢/٧١٨ ـ ٧٢٢ ، اللباب ١/٢١٨ ، لطائف المعارف ٣٠ ، مقدمة ديوانه .
والبيت فى : ديوانه ٥٥ ، حماسة ابن الشجرى ١٧٤ ، ١٧٧ ، زهر الآداب ٢/٧٠١ ، ونسب فيه خطأ لجميل ، طيف الخيال ١٤ ، الموازنة ٢/١٦٨ .
(٢) فى الديوان، وحماسة ابن الشجرى: «سقيا لزورك» ، وفى طيف الخيال ، والموازنة : «أهلا بطيفك» ، ورواية زهر الآداب تتفق من وجه مع ماهنا ، فقد جاء فيه : «حييت طيفك من طيف ألم به * حدثت ...»
(٣) فى الأصول « يجر » ، والمثبت من الموازنة . (٤) فى الأصول مكان هذا : « فهو » وهو اضطراب فيها ، والمثبت من الموازنة . (٥) بيت الكميت فى : طيف الخيال ١٥ ، الموازنة ٢/١٦٩ .
(٦) فى الطيف والموازنة : « فلما انتبهت وجدت الخيال » .

## ٣٣٩

# عبدُ البَرِّ الفَيُّومِيّ *

جَوَّابُ أقاليم ، ومُبْدِى صُوَرِ تعاليم .

زاحَمَ العلماء بالرُّكَب ، وانتضَى إليهم كلَّ مَرْكَب .

ينْتجِعُ الأفكار ، ويَعتمِد التَّذْكار .

ويباحث ويُناظِر ، ويتأبَّطه اليَراعُ والمَحابِر .

ويحتفِل بتحصيل الذَّخائر ويعتنِى ، وسَعْيه البَرّ لا يفْتُر عن مَطابِ ولا يَنِى .

فبذَل الطَّرِيف والتِّلَاد ، وتقلَّب فى أعْطاف البلاد .

حتى اسْتقرَّ بالروم فاخضرَّت أكْنافُه ، وتجمَّلت أنواعُ بِرِّه وأصْنافُه .

فبلَغ من الفضل مَوارِدَه ، وجمَع أوابِدَه وشَوارِدَه .

والْتقط نَفائسَ دُرِّه ، وارْتضع حَلائبَ دَرِّه .

وبها كانت رحلتُه إلى دار البَقا ، وصحيفة عُمْره بادية الجَلاء والنَّقا .

وهو رَوضةٌ بالفضل أنِيقة ، كتب الدهرُ له بتمْليك الأدب وَثِيقة .

---

(*) عبد البر بن عبد القادر بن محمد الفيومى العوفى الحنفى .

أحد الأدباء المتفوقين ، والشعراء المطبوعين .

أخذ العلم عن جماعة كثيرة من العلماء ، منهم : أحمد الوارثى الصديقى ، محمد الحموى ، عبد الرحمن اليمنى ، وابن علان الصديقى ، والنجم الحلفاوى الأنصارى ، ولزم الشهاب الخفاجى .

ورحل إلى مكة للحج ، ودخل دمشق ، والقدس ، ونال بهما منصب الإفتاء للشافعية ، ودخل الروم فأقام بها ، وانتظم فى سلك الموالى .

وله تآليف حسنة ، من أشهرها : « منتزه العيون والألباب ، فى بعض المتأخرين من أهل الآداب » جعله على طريقة « الريحانة » ، ورتبه على حروف المعجم ، وجمع فيه بين شعراء الريحانة وشعراء المدائح الذى ألفه التقى الفارسكورى ، وزاد من عنده بعض المتقدمين وبعض المصريين .

توفى بقسطنطينية ، سنة إحدى وسبعين وألف .

تاريخ الفيوم ٤٩ ، الخطط التوفيقية ١٤/٩٦ ، خلاصة الأثر ٢/٢٩١ – ٢٩٨ .

وله من حُسْنِ البَداهة والبَيان ، ما يسْحَب على سَحْبانَ ذَيْلَ النِّسْيان .

***

وقد أوردتُ من شِعره ما تستغنى به عن مُجاجة الرِّيق ، وتسْتكفِى به عن صِرْف الرَّحِيق ، الذى شغل الزُّجاجة والإبْرِيق .

فمنه قوله[1] :

حبيبٌ له جسمى وقلبِىَ رَاغِبٌ ... ولى منه هَجْرٌ وهْو للوَصْلِ رَاهِبُ

له مِن غرامى فى فؤادِىَ أعْيُنٌ ... ولى مِن جَفاه والتَّباعُدِ حاجِبُ

نَزِيلُ الحَشَا لم يَرْعَ مَثْوًى به نَشَا ... وكيف انْتِشاَ والوَجْدُ للصَّبِّ نَاصِبُ

ولِمْ طَبْعُهُ لم يكسب الخفضَ بُرْهَةً ... مِن الجَفْنِ والوَلْهانُ للكسرِ كاسِبُ

له فى عُيونى مِن رَقِيبِىَ حارسٌ ... ومن خاطِرِى خِلٌّ وَفِىٌّ وصاحِبُ

***

قوله : « له من غرامى » أحسنُ منه قولُ الخَفاجِى[2] :

تنازَع فيه الشوقَ قلبِى وناظِرِى ... فأثَّر فيه الطَّرْفُ والقلبُ ناصِبُ

وتنْظُره من قلبِىَ الصَّبِّ أعْيُنٌ ... عليها لِمَخْفِىِّ الضُّلوعِ حوَاجِبُ[3]

***

ومن تشبيهاته قولُه[4] :

رأيتُ يوماً عَجَباً ... فياله مِن عَجَبِ

النُّورَ مُبْيَضًّا على ... مُحْمَرِّ لَوْنِ القُضُبِ

كخَيْمَةٍ مِن فِضَّةٍ ... على عَمُودِ ذَهَبِ

***

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٢٩٥ .

(٢) البيت الثانى فى ريحانة الألبا ١/٢٦٦ .

(٣) فى الريحانة : « فى قلبى الصب » .

(٤) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٢٩٣ .

ومنه قولُه أيضا[١] :

انْظُرْ إلى الزَّهرِ النَّضيرِ المَسْجَدِ ... يدعُو إلى لَهْوٍ كوَجْـهِ الأغْيَدِ

فالوردُ في الرَّوضـاتِ مُحْمَرٌّ على ... أغْصانِه الخُضْرِ الحِسـانِ المُيَّدِ

مُلاءَةٌ مِن ذَهَبٍ مَنْشورَةٌ ... من تحتِها قوائمُ الزَّبَرْجَـدِ

***

ومن غَزَلِيَّاتِه قولُه :

قام يرْنُو بطَرْفِهِ حَوَرُ ... منه كلُّ الأنامِ قد سُحِرُوا

قام مِن نَوْمِه على كَسَلٍ ... جَفْنُه بالنُّعاسِ مُنْكَسِرُ

كَسَّرَ الجسمَ والفُـؤادَ فهل ... لِلْقتيلِ المُهانِ مُنْتَصِرُ

أطْلَعَ مِن جَيْبِه لِعاشِقِه ... هالَةَ البَدْرِ ثَوْبُه العِطْرُ

سلَبَ العقْلَ مِن فَتًى دَنِفٍ ... مالَه مُذْ رآهُ مُصْطَـبَرُ

حائرٌ مُغْرَمٌ به قَلِقٌ ... لم يطِبْ بعْـدَه له عُمُرُ

خَصْرُه طَبْعُه فإن بَلِيَ الثَّوْ ... بُ عليـه فضِمْنُه قَمَرُ

***

أصلُ هذا قولُ الأمير أبي المُطاع بن ناصر الدَّولة[٢] :

تَرَى الثِّيابَ مِن الكَتَّانِ يَلْمَحُها ... نُورٌ من البَدْرِ أحْياناً فيُبْلِيها[٣]

---

(١) خلاصة الأثر ٢/٢٩٣ .

(٢) أبو المطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن عبد الله التغلبي ، ابن حمدان .
من شعراء اليتيمة ، ولي إمرة دمشق سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ، ثم عزل ، وولي الإسكندرية وأعمالها سنة أربع عشرة وأربعمائة ، وتوفي بدمشق سنة ثمان وعشرين وأربعمائة .
معجم الأدباء ١١/١١٩ ـ ١٢١ ، وفيات الأعيان ٢/٤٤ ، ٤٥ ، وهـو فيها : « أبو المطاع ذو القرنين بن أبي المظفر حمدان بن ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن عبد الله » ، يتيمة الدهر ١/١٠٦، ١٠٧ .
والبيتان في يتيمة الدهر ١/١٠٧ ، ومعاهد التنصيص ١/١٨٠ .

(٣) في اليتيمة : « أرى الثياب . . . ضوء من البدر » .

فكيف تُنْكِر أن تبْلَى مَعاجِرُهُ   والبدرُ فى كلِّ وقتٍ طالعٌ فيها (١)

وقد أخذَه من قول ابنِ طَبَاطَبا (٢) :

لا تَعجَبُوا من بِلَى غِلالتِهِ   قد زَرَّ أزرارَه على القَمرِ (٣)

وأخذه الرَّضِيُّ المُوسَوِيّ ، فقال من قصيدة (٤) :

كيف لا تبْلَى غِلالَتُهُ   وهو بَدْرٌ وهْى كَتّانُ (٥)

وللقمر خاصِّيَّةٌ فى قَرْض الكَتّان ؛ ولذلك قال مَن ذكر عيوبَ القمر : يهدِم العُمْرَ ، ويُحِلُّ الدَّين ، ويُوجِب أُجرةَ المنزل ، ويُسخِّن الماء ، ويُفْسِد اللحم ، ويُشْحِب اللَّون ، ويقرِض الكَتّان ، ويُضِلُّ السّارى ، لأنه يُخْفِى الكواكب ، ويُعِين السارق ، ويفضَح العاشقَ الطارِق .

***

ومما يحسُن له قولُه :

أَلْقَى ذُؤابتَه فكانتْ حَيَّةً   تَسْعَى إلى إضعافِ رِدْفٍ خارِجِى

وحَمَى مِن اللَّثْمِ الخُدَيْدَ بعقربٍ   مَلْوِيَّةٍ من فوق جَمْرةِ مارِجِ

***

أخَذ الأوّلَ من قول العُسَيْلِىّ (٦) :

(١) فى اليتيمة : « فكيف تنكر أن تبلى معاجرها » .
والمعجر ، كمنبر: ثوب تعتجر به المرأة ، أى تلفه عليها .

(٢) هو أبو الحسن محمد بن محمد بن محمد الحسنى ، ابن طباطبا .
مولده بأصبهان ، وهو شاعر مفلق ، وعالم محقق ، وهو صاحب « عيار الشعر » .
توفى بأصبهان سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة .
معاهد التنصيص ١/ ١٧٩ ، ١٨٠ .
والبيت فيه ١/ ١٧٩ .

(٣) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب .   (٤) ديوان الشريف الرضى ٢/ ٩١٤ ، معاهد التنصيص ١/ ١٨٠ .   (٥) فى الديوان ، والمعاهد : « لا تبلى غلائله » .

(٦) يعنى نور الدين على بن محمد العسيلى المصرى الشافعى ، المتوفى سنة أربع وتسعين وتسعمائة .
انظر ترجمته فى : خبايا الزوايا لوحة ١١١ أ ، ريحانة الألبا ٢/ ١٩٧ - ٢٠٧ ، شذرات الذهب ٨/ ٤٣٤ .
والبيتان فى ريحانة الألبا ٢/ ٢٠٠ .

دَبَّتْ له ذُؤابـــةٌ كحيَّةٍ مِن خَلْفِهِ

تَحْمِي ضَعِيفَ خَصْرِهِ مِن خَارِجِيِّ رِدْفِهِ

واسْتعمله الفَيُّومِيّ في أبياتٍ أُخَر ، ومَحَلُّ الشاهد منها :

ويحْمِي خَارِجِيَّ الرِّدْفِ منه بحيَّاتٍ له ذاتِ اعْوِجاجِ

قلتُ : والنِّسْبة في خارِجيّ للمبالغة كدُوَّادِيّ .

قال ابنُ جِنِّي ، في « سر الصناعة » : وسَمَّوا كلَّ ما فاق حُسْنُه ، وفاوَق نَظائِرَه خارِجيًّا ، قال طُفَيْل[1] :

وعارضْتُها رَهْوًا على مُتتابِعٍ شَدِيدِ القُصَيْرَى خَارِجِيٍّ مُحَنَّبِ[2]

انتهى .

وبهذا يتمُّ حُسْنُ قولِ ابن النَّبِيه[3] :

خُذُوا حِذْرَكم مِن خَارِجِيِّ عِذارِهِ فقد جاء زَحْفًا في كتيبته الخضْرَا[4]

***

وله ، وفيه الْتِزام لطيف :

---

(١) طفيل بن عوف الغنوى ، شاعر جاهلى ، من أوصف الناس للخيل ، كان يقال له المحبر ؛ لحسن شعره . الأغانى ١٥/٣٤٩ – ٣٥٧ ، الاقتضاب ٣٢٧ ، خزانة الأدب ٣/٦٤٢ ، ٦٤٣ ، سمط اللآلى ١/٢١٠ ، الشعر والشعراء ١/٤٥٣ ، ٤٥٤ ، المؤتلف والمختلف ٢١٧ ، ٢١٨ .
والبيت فى الاقتضاب ٣٢٧ ، اللسان ( خ ر ج ) ٢/٢٥٠ .

(٢) ورد البيت فى الأصول مضطربا مصحفا محرفا هكذا :

عرضتها دهرا على متتابع شد القصيرى خارجى مخبب

والمثبت فى المصادر السابقة ، وفى اللسان : « خارجى مجنب » ، وهو خطأ .
وقد فسر ابن السيد غريب البيت فقال : « والرهو : السير السهل ، والمتتابع : الذى تتابع خلقه فى الجودة ، أى اتسق واطرد ، فليس فيه عضو يستقبح ويخالف غيره ، والقصيرى : الضلع التى فى آخر الأضلاع ، وأراد هاهنا الخاصرة كلها ، والخارجى : الذى خرج بنفسه وشرف بها » .
وفرس محنب : بعد مابين رجليه من غير فحج ، انظر اللسان ( ح ن ب ) ١/٣٣٥ .

(٣) ديوان ابن النبيه ٤٩ .

(٤) كذا فى الأصول ، والديوان : « كتيبته » بالتاء ، ولعل الصواب بالثاء .

مِن عالَمِ الذَّرِّ لى إلفٌ ومعرفةٌ به فهل جائزٌ فى الُحبِّ يُنْكِرِنى[1]
أبيتُ أذْكُرُه جُنْحَ الظَّلام فهلْ فى ساعةٍ من ليالِى الدهر يذْكُرِنى
صَبْراً فأىُّ فَتًى أرْضَى بحُكْم رَشاً يَذُمُّنِى فى الهوى يوماً ويشكرنِى
كما رَضِيتُ بوَصْلٍ منه لى وقِلًى والُحبُّ والوَجْدُ يُضْحِينِى ويُسْكِرنِى

***

وله[2]:

تَبدَّى مَليكُ الُحسْنِ فى مَجْلِس البَسْطِ بِقَدٍّ كغُصْنِ البانِ أو ألِفِ الَخطِّ
وأبْدَى على شَرْطِ المَحبَّةِ حُجَّةً مُسلَّمَةً أحكامُها قَطُّ ما تُخْطِى
ومِن شَرْطِه فى الخدِّ قُبْلةُ عاشقٍ فكان مِدادُ الُحسْنِ فى ذلك الشَّرْطِ

***

اخْتلَسه من قول ابنِ حِجَّة، فى قصيدة قالها فى مَدْح حَماة[3]:

وقد جاء شَرْطُ البَيْنِ أنِّى أَغِيبُ عن حِماهَا فقد أدْمَى فُؤادِىَ بالشَّرْطِ[4]

***

وله:

بدرٌ من التُّرْكِ فى ثوبٍ من الشَّفَقِ قد حَلَّ من رَوضةِ الأزْهارِ فى أُفُقِ
عجِبتُ من أبيضٍ فى أسودٍ حَلَكٍ ولا عجيبَ لُحسْنُ البدرِ فى الغسَقِ
يدُورُ بالرَّاحِ كالتِّبْرِ المُذابةِ فى كأسٍ كدُرٍّ نَضيرٍ أبيضٍ يَقَقِ[5]
فبات يَشْفِى ويَسْقِى من مُدامتِه إلى الصباحِ فأحْيَتْ ميِّتَ الرَّمَقِ
وقد بَدا سيفُ فَجْرِ الصبحِ مُرْتقِياً أفْعَى الدَّياجِى ففَرَّتْ عنه مِن فَرَقِ

***

(١) فى ا: «فى الحب يتركنى»، والمثبت فى: ب، ج. (٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٢٩٣.
(٣) بيت ابن حجة فى خلاصة الأثر أيضا ٢/٢٩٣. (٤) فى خلاصة الأثر: «لقد أدمى».
(٥) أبيض يقق: شديد البياض.

وله :

نَكْهَةٌ قد شَمَمتُ من ذاتِ حُسْنٍ تلك مِسْكِيَّةٌ وذِي تُرْكِيَّهْ

وَجَنــــةٌ عُطِّرَتْ بنُقْطةِ خَالٍ تلك وَرْدِيَّةٌ وذى مِسْكِيَّهْ

شاكَلَتْ مُقْلتــــاهُ قامةَ خَدٍّ تلك قَتَّالَةٌ وذِى فَتْكِيَّهْ

***

مِثْلُ قولِ ابن شمسِ الدين البَصِير[1] ، نَزِيلِ الخانقاه السِّرْياقُوسِيَّة[2] :

قلتُ لمَّا أدارَ مِسْكاً وخَمْرًا ذُو دَلالٍ وأعْيُنٍ سَحَّارَهْ

لكَ واللهِ نَكْهَةٌ ورُضابٌ تلك عَطَّارَةٌ وذِى خَمَّــــارَهْ

***

ورأى فى بروسة[3] الحَمَّامَ الخَلْقِيّ ، الذى يُقال له : قبلجه ، وهو ماء حارٌّ يخرُج من تحت جبلٍ عالٍ ، فقال :

وماء له طَبْعُ الحرارةِ خِلْقَةً مِن الجبلِ الصَّلْدِ العظيمِ لقد سَلَكْ

إلى كلِّ حَوضٍ مُستديرٍ مُوَسَّعٍ تراه مَدارَ الماءِ مَلْعبةَ السَّمَكْ

تدُور به الوِلْدانُ طالعــــةً وقد تغيبُ كشأنِ النَّيِّراتِ من الفَلَكْ[4]

***

وقال ، وهو معنًى حسَن[5] :

وحَوضٍ كبيرٍ مستديرٍ وماؤه حَرارتُه بالطَّبْعِ للبردِ دافِعَهْ[6]

أحاطتْ به الأقمارُ مِن كلِّ جانبٍ ومِن أُفْقِه شمسُ المَحاسنِ طالِعَهْ

***

(١) ترجمه الخفاجى فى خبايا الزوايا لوحة ١٥٣ ا ، ريحانة الألبا ٢/٨٢ ـ ٨٤ . (٢) سرياقوس : بليدة فى نواحى القاهرة بمصر . معجم البلدان ٣/٨٨ ، وانظر الخطط التوفيقية ١٢/٢٠ .
والبيتان فى ريحانة الألبا ٢/٨٣ .

(٣) فى الأصول : « بورسه » ، والمثبت فى الخلاصة ، والخبر والشعر فيها ٢/٢٩٤ .

(٤) فى خلاصة الأثر : « كشأن النيرين من الفلك » . (٥) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٢٩٤ .

(٦) فى ب : « وحوض كبير » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

ومن لَطائِفه قولُه[1] :

وَلي حبيبٌ قد سالَمـاهُ　　عذبًا وطَرْفَاهُ سَالمـاهُ[2]

فيا خليلي عُذْرًا لِصَبٍّ　　جُودًا وإلَّا فَسالِماهُ

فالطَّرْفُ هَامٍ من التَّجافِي　　طُولَ الليالي قد سالَ مَاهُ

وسَاكِنُ القلبِ مُذْ رَآهُ　　يَهِيمُ بالوَجْدِ سالَ مَاهُو

الأول: سَاء[3]، بالهمزةِ مقصورٌ للشِّعر، ولَمَاه : رِيقُه ، فاعِلُه، وإساءتُه: مَنْعُه لِوارِدِه .

والثاني : ماضٍ ، والألف للتَّثنية .

والثالث : أمرٌ لِاثْنَيْن .

والرابع : مِن الإسالة ، والماء قُصِر للضرورة .

والخامس : من السُّؤال ، سُهِّلت الهمزةُ ضرورةً و « ما » سؤالٌ على سبيل تَجاهُلِ العارِف .

***

وقد عارَض[4] بهـذه الأبيـاتَ أبيـاتَ أحمد السَّنَقِيّ[5] ، المعروف بقَعُود وزاد عليه التَّصْريع .

---

(١) الأبيات وتفسيرها في خلاصة الأثر ٢/٢٩٤ .　　(٢) في خلاصة الأثر : « لي حبيب » .

(٣) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج ، والخلاصة .　　(٤) هذا الفصل في خلاصة الأثر ٢/٢٩٤ ، ٢٩٥ .　　(٥) في الأصول ، والخلاصة : « النسقي » ، وهو خطأ ، يصححه ما ورد من شعر للأصيلي فيه في ريحانة الألبا ٢/١٣٤ .

وهو أحمد بن أبي بكر السنقي الخزرجي المالكي ، الشهير بقعود .

إمام بارع ، ماهر في كثير من الفنون ، حسن النظم والنثر .

أخذ عن النجم الغيطي ، والناصر اللقاني ، ومن في طبقتهما .

وأخذ عنه جماعة من العلماء ، منهم ولده أبو بكر ، والشهاب الخفاجي .

وله مؤلفات ؛ منها : « منظومة في النحو » ، « وتذكرة » جمع فيها من لقيه من الشيوخ ، ومن عاصره ، وكثيرا من نظمه .

توفي سنة سبع بعد الألف .

خبايا الزوايا لوحة ١٤٧ ا ، خلاصة الأثر ١/١٥٩ ـ ١٦١ ، ريحانة الألبا ٢/١٣٣ ـ ١٣٦ .

وأبياتُ السَّنَفِيّ[1] :

يا صاحبيّ اتركا معنًى أو فاعذلاهُ وعارضاهُ
فما تطيقانِ رُشْدَ غاوٍ بما يُلاقِي وَعَى رِضاهُ
سَبَى حَشاهُ والعقلَ منه عينا غزالٍ وعارضاهُ
يا جمعَ مَن صيّرَ التصابِي في الحسنِ عارًا بالعارِ ضاهُوا[2]

***

ومن مَقاطيعِه قولُه :

لقد كرّم الرحمن وَجْهَ مُعَذِّبِي بِعَشّاقةِ حُسْنٍ وهي زينةُ خَدِّهِ[3]
فتجذبُ حبّاتِ القلوبِ لحُبِّه بحبّةِ مِسْكٍ أذفرٍ عند صَدِّهِ[4]

***

وله :

لمّا بدا حولَ وَرْدِ الخدِّ آسُ رُبًا نباتُه في رياضِ الحسنِ قد طلَعا
لم يَرْضَ تقبيلَه يومًا ولا عجبٌ فما خَراجٌ على غيرِ الذي زرعا

***

وقوله[5] :

فِكْرِي وعقـــلي عندكم وبكُمْ قد صِرتُ في شُغْلٍ وفي سُكْرِ
فاعْجَبْ لمَن كتبتْ أنامِلُه خطًّا بلا عَقْـــلٍ ولا فِكْرِ

***

وقوله في معناه[6] :

قد قِيلَ إنّ المالَ عقلُ الفتى به له التّصريفُ في النّقْلِ
فقلتُ لا تعجَبْ فكم في الورَى مِن عاقلٍ أضحى بلا عَقْلِ

***

(١) الأبيات في : خلاصة الأثر ١/١٦٠ أيضا ، وريحانة الألبا ٢/١٣٤ . (٢) في الريحانة، والخلاصة ١/١٦٠ : « من صيروا التصابي » . (٣) في الأصول : « بعشاقه » ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٤) مسك أذفر : جيد إلى الغاية . (٥) البيتان في خلاصة الأثر ٢/٢٩٥ .
(٦) خلاصة الأثر ٢/٢٩٧ .

وقوله(١) :

وَمُذْ رامَ الهلالُ وقد تعدَّى ... مُشابَهةً له من غيرِ قابِلْ

أجابَ قُلامَةٌ مِن ظُفْرِي شَبِيهاً ... له وطَرَحْتُهُ فوقَ المَزابِلْ(٢)

***

تناوَلَه من قول التَّقِيّ الفارسكورِى(٣) :

وما فى البدرِ مَعْنًى منه إلَّا ... قُلامة ظُفْرِه مِثْل الهِلالِ

والتَّقِيُّ أخذَه من قول ابن المُعْتَزّ(٤) :

ولاحَ ضَوْءُ هِلالٍ كاد يفضحُنا ... مثل القُلامةِ قد قُدَّتْ من الظُّفُرِ(٥)

وابن المُعْتَزّ أخذَه من قَولِ بعضِ العرب(٦) :

كأنَّ ابنَ لَيْلَتِها جانِحاً ... فَسِيطٌ لَدَى الأُفْقِ مِن خِنْصَرِ

وابنُ اللَّيلة الهلالُ(٧) ، والفَسِيط ، بفتح الفاء وكسر السِّين المُهملَة : قُلامةُ الظفر.

---

(١) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/٨٩ . (٢) فى خلاصة الأثر : «ورميته فوق المزابل» .

(٣) تقى الدين محمد بن عمر بن محمد الفارسكورى المصرى ، قاضى القضاة .

كان من الأدب ، والبلاغة ، والشعر ، وصحة التخيل ، والانطباع ، فى الذروة العليا ، وكان عارفا بكثير من الفنون ، كثير الاطلاع .

اتصل ، وهو بمصر ، بخدمة قاضيها شيخ الإسلام يحيى بن زكريا ، وتوجه بخدمته إلى الديار الرومية ، وأقام بها .

واشتغل بالتدريس والقضاء ، وجمع مدائح أستاذه يحيى بن زكريا ، التى مدح بها فى بلاد العرب أيام قضائه ، بحلب ، ودمشق ، ومصر .

توفى بدمشق وهو مار إلى القدس ، سنة سبع وخمسين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خبايا الزوايا لوحة ١٤٥ ا ، الخطط التوفيقية ١٤/٦٥ ، ٦٦ ، خلاصة الأثر ٤/٨٢ – ٨٩ ، ريحانة الألبا ٢/٧٠ – ٧٣ .

والبيت له فى خلاصة الأثر ٤/٨٩ ، وذكر المحبى أن فيه حسن الإتباع .

(٤) البيت فى : ثمار القلوب ٢٦٤ ، جمهرة الأمثال ١/٢٤ ، خلاصة الأثر ٤/٨٨ ، المثل السائر ٢٥٠ ، ولم أجد البيت فى ديوانه المطبوع ، وفى الجزء الرابع منه ، صفحة ٨٩ قوله :

أَعْمَلْتُها والبدرُ مُؤْتَنِفٌ ... حتى انْكَفا كقُلامةِ الظُّفُرِ

(٥) فى جمهرة الأمثال : «كاد يفضحه .. قد قصت من الظفر» ، وفى المثل السائر : «ولاح ضوء قمر» .

(٦) هو عمرو بن قميئة ، كما فى اللسان ( ف س ط ) ٧/٣٧١ ، والبيت فى : ديوانه ١٩٣ ، وانظر التخريج فيه ، وهو أيضا فى خلاصة الأثر ٤/٨٩ . (٧) هذا نقل عن ثمار القلوب ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(١ ويُرْوَى : « كأنَّ ابنَ مُزْنَتِها[٢] » ، ومعناه حين انقشعت عنه السحابةُ بَدَا كقُلامةِ الظُّفر ١) .

وهنا فائدة ، ذكرها ابنُ الأثير ، فى « المثل السائر[٣] » ، قال : واعْلَمْ أنَّ من التَّشبيه ضَرْبًا يُسمَّى الطَّرْدَ والعَكْس ، وهو : أن يُجْعَل المُشبَّه به مُشبَّهًا ، والمُشبَّه مُشَبَّهًا به ، وبعضُهم يُسمِّيه غَلَبةَ الفُروعِ على الأصول ، ولا تجِد شيئًا من ذلك إلَّا والغَرَضُ به المُبالغة ، فمما جاء من ذلك قولُ عبد الله بن المُعتز ـ وأنشد البيت ـ ألا ترى إليه كيف جعَل الأصْل فرْعًا ، والفرْعَ أصْلًا[٤] ، وذلك أنَّ العادَة أن تُشبَّه القُلامةُ بالهِلال ، وإنَّما فعَل ذلك مُبالَغة وإيذانًا بأنَّه لما صار ذلك مشهورا مُتعارفا حسُن عَكْسُ القضيَّة فيه .

قلتُ : فبيتُ التَّقِيّ والفَيُّومِيّ جارِيان على الأصل ، والثَّانيان على العَكْس .

***

وله :

جاء المَليحُ بأسودٍ فى أبيضٍ ... مِن قَهْوةٍ تَرْوِى عن المِسْكِ الذَّكِي

فنظَرْتُها ونظرتُ حُسْنَ عُيونِه ... والفَرْقُ فيه اختار ذو عقل ذَكِي

***

كأنَّه نظَر إلى قول الجمال العِصامِيّ[٥] :

فِنْجانُ قَهْوةِ ذا المَليحِ وعَيْنُه الْ ... ـكَحْلاءُ حارَتْ فيهما الألْبابُ

فسوَادُها كسوَادِها وبياضُها ... كبَياضِها ودُخانُها الأهْدابُ[٦]

***

(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، ثمار القلوب . (٢) وهى رواية أكثر المصادر ، وروايتنا فى : الجمهرة ٣/٢٦ ، وثمار القلوب ٢٦٣ ، وخلاصة الأثر ٤/٨٩ ، وفى الصناعتين ٢٢٣ : « كأن ابن ليلته » . (٣) المثل السائر ٢٤٩ ، ٢٥٠ . (٤) حكى المؤلف هنا معنى قول ابن الأثير ولم يحك لفظه . (٥) هو العلامة جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين الإسفراينى العصامى ، وقد ترجمة الخفاجى فى الريحانة ١/٤١٧ ـ ٤٢٤ .

والبيتان فى الريحانة ١/٤١٧ .

(٦) فى الأصول : « كسوادها وبياضه » ، والمثبت فى الريحانة .

وله فى الدُّولاب [1] :

إنما الدُّولابُ فى دَوْرِهِ ... يَهُمُّ من شَوْقٍ وأشجانِ
ينوحُ حُزْناً ويُرَى باكِياً ... بأعْيُنٍ تَهْمِى على البَانِ

***

قريبٌ من قول ابن عبد السلام المِصْرِىّ [2] :

ورَوْضة دُولابُهــا دائرٌ ... مُوَلَّهٌ مِن فَرْطِ أشْجانِهْ
فكلُّه مِن وَجْدِه أعْيُنٌ ... تبْكِى على فُرْقةِ أغْصانِهْ

وهذا المعنى كثير ، وقد تقدَّم ما يُغْنِى عن ذِكْرِه .

***

وله فى دولاب العيد [3] :

دولابُ عِيدٍ دار بالمُنْحنَى ... لِطَلْعــةٍ قامتُها ناضِرَهْ
يَرْوِى لنا عن فَلَكٍ ناضِرٍ ... والشمسُ مازالتْ به دائِرهْ [4]

***

وله :

شَبَّابَةٌ قامتْ بمَوْصُولِها ... وعَيْنُها جارِيةٌ باكِيهْ
تُشِيرُ بالعَيْنِ إلى ذِى جوًى ... بأنَّها مِن وَجْدِها شاكِيهْ

***

مِثْلُه لابن الأزهرِىّ [5] :

---

(١) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٢٩٣ .

(٢) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٢٩٣ لأحمد بن عبد السلام المصرى ، وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد ، شهاب الدين ابن عبد السلام ، قاضى منوف ، المتوفى سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة .
الأعلام ١/٢٢١ ، ٢٢٢ ، وانظر مصادره .

(٣) خلاصة الأثر ٢/٢٩٤ .

(٤) فى خلاصة الأثر : « عن فلك دائر » .

(٥) هو بدر الدين بن الأزهرى ، شاعر مصرى معاصر للخفاجى ، وقد ترجمه فى : خبايا الزوايا لوحة ١٤١ أ ، ريحانة الألبا ٢/١٢٥ ــ ١٢٧ .
والبيتان فى ريحانة الألبا ٢/١٢٦ .

يا حُسْنَها شَبَّابة لم يَنْقَطِعْ مَوْصولُها عِندى وذاكَ تَرَنُّمُ[(١)]

بالرَّمْزِ تُفهِمنى إشاراتِ الورَى أوَمَا تَرَاهَا بالعُيونِ تَكَلَّمُ[(٢)]

شَبَّابَة ، بالتَّشديد : قَصَبةُ الزَّمْر المعروفة ، مُولَّدة[(٣)] .

قال المُشِدّ[(٤)] :

ومُطْرِبٍ قد رأيْنا فى أنامِلِهِ شَبَّابَةً لِسُرورِ النفسِ أهَّلَهَا

كأنه عاشِقٌ وَافَتْ حبيبتُه فضَمَّها بيَدَيْه ثم قَبَّلَهَا

والشافِع[(٥)] :

شَغَفَتْنَا شَبَّـــــابةٌ بِهواهَا كلّ مايُنْسَبُ الكئيبُ إلَيْهَا[(٦)]

كيف والمُحْسِنُ المُقَوِّلُ فيهـــا آخِذٌ أمْرَها بِكِلْتا يَدَيْهَا[(٧)]

والمُقَوِّل : الزَّامِر ، والعجم تقول له : قَوَّال .

***

(١) عجز البيت فى الريحانة : « موصولها لما غدت تترنم » . (٢) فى الريحانة : « إشارات الهوى » .

(٣) هـــذا قول الخفاجي ، فى شفاء الغليل ١٢٩ . (٤) تقدم التعريف بسيف الدين المشد ، فى الجزء الثانى صفحة ٦٢٠ .

والبيتان فى شفاء الغليل ١٢٩ .

(٥) شافع بن على بن عباس العسقلانى المصرى .

كان المباشر لديوان الإنشاء بمصر زمنا ، وهو شاعر مؤرخ ، جامع للكتب .

أصابه سهم فى صدغه فى وقعة حمص ، سنة ثمانين وستمائة ، فعمى ، وكانت وفاته سنة ثلاثين وسبعمائة .

الدرر الكامنة ٢/٢٨١ ـ ٢٨٣ فوات الوفيات ١/٣٧٦ ـ ٣٧٨ ، النجوم الزاهرة ٩/٢٨٤ ، ٢٨٥ ، نكت الهميان ١٦٣ ـ ١٦٧ .

والبيتان فى الدرر الكامنة ٢/٢٨٢ ، شفاء الغليل ١٢٩ ، النجـــوم الزاهرة ٩/٢٨٥ ، نكت الهميان ١٦٦ .

(٦) فى ا : « شغفتها شبابة » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى الدرر ، والنجوم ، ونكت الهميان : « سلبتنا شبابة بهواها » ، وفى شفاء الغليل : « شوقتنا شبابة تهواها » .

وفى الدرر ، والنجوم ، ونكت الهميان : « ينسب اللبيب إليه » .

(٧) فى الدرر ، والنجوم ، ونكت الهميان : « كيف لا والمحسن القول ... بكلتا يديه » .

و « المقول » هكذا بالتشديد ، وسيشرحه نقلا عن شفاء الغليل ١٢٩ .

وله :

لَيلُ هجرٍ مكانه سَنَةٌ ... أو مَسيرٌ نأتْ مراحِلُهُ

صُبْحُه كالمَدِين ماطَلَهُ ... رَبُّ دَيْنٍ غدا يُماطِلُهُ[1]

***

أحسنُ منه قولُ ابن الجَزَرِيّ[2] :

وليلٍ كأنَّ الصُّبحَ فيه مآرِبٌ ... نُؤمِّلُ أن تُقضَى وخِلٌّ نُصادِقُهْ

***

وله فى بعض المُحتجِبين[3] :

أتيتُ بابَ كبيرٍ عند نائبةٍ ... وجدْتُه مُغلَقًا قلتُ الفتَى فَطِنُ

فقال لى صاحبِي ما الرَّأْيُ قلتُ له ... رَأْيُ ابنِ عَبْدُوسَ رَأْيٌ كامِلٌ حَسَنُ

***

رَأْيُ ابن عَبْدُوس قولُه[4]

لنا قاضٍ له خُلُقٌ ... أقلُّ صِفاتِه الفَرَقُ[5]

إذا جئْناه يَحْجُبنا ... فَنلعنُه ونفْترقُ

وقد اقتدت الأدباء بهذا الرأى كثيرا ، فمنهم ابن الخِصَال[6] فى قوله[7] :

جئناكَ للحاجةِ المَمْطولِ صاحبُها ... وأنت تنْعَمُ والإخوانُ فى بُوسِ

---

(١) فى ا : « كالمدين ماصله » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) حسين بن أحمد بن حسين الحلبى ، المعروف بابن الجزرى .

نشأ بحلب ، ورحل إلى الشام والعراق ، ودخل الروم .

وله مدائح فى بنى سيفا أمراء طرابلس ، وقد جمع من شعره « ديوانا » .

واختلف فى وفاته ، فقيل : سنة ثلاث وثلاثين وألف ، وقيل : سنة أربعين وألف ، وقيل : سنة اثنتين وثلاثين وألف .

إعلام النبلاء ٦/٢١٤ ، خبايا الزوايا لوحة ٣٧ ب ، خلاصة الأثر ٢/٨١ ، ريحانة الألبا ١/١١٣ـ ١٢٥ ، سلافة العصر ٣٩٣ .

والبيت فى : خلاصة الأثر ٢/٨٣ ، ريحانة الألبا ١/١١٦ .

(٣) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٢٩٧ . (٤) البيتان فى خلاصة الأثر أيضا ٢/٢٩٧ .

(٥) فى الخلاصة : «أقل ذميمه النزق» ، وهى رواية حسنة . (٦) هكذا فى الأصول ، والمعروف : «ابن أبى الخصال» ، وهو محمد بن مسعود الغافقى ، الوزير الأندلسى ، المتوفى سنة أربعين وخمسمائة . قلائد العقيان ١٧٤ـ١٨٠ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ١٨٧ـ١٨٩ . (٧) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٢٩٧ .

وقد وقفنا طويلًا عند بابكم ... ثم انصرفنا على رأي ابن عبدوس

ولمحمد بن بدر الدين القوصوني[1] مثله من فصل[2] : الرأيُ الصَّواب ، في المُتوارِي[3] بالحِجاب ، رأيُ ابنِ عَبْدُوس ، وما سِواه رأيٌ مَنْحوس ، بل عَذابٌ وبُوس .

***

وله في الخضوع[4] :

يا مَن له مُهجتِي رِقٌّ ولِي شَرَفٌ ... بأنَّني عبدُه جَهْرِي وإسْرارِي

عَتَقْت قلبيَ من زَيْغٍ ومن زَلَلٍ ... وعِتْقُ ذِي سَفَهٍ فِيما بَقِي سارِي

مَنَنْتَ باللُّطْفِ في الأُولَى ولا عَجَبٌ ... أن تُعتِقَ الجسمَ في الأُخرى من النارِ

***

منه قولُ البدرِ القَرافِي[5] :

مَلَّكْتنِي الرِّقَّ فضلًا منك لي سارِي[6] ... منك البَداءةُ بالإحْسانِ حاصِلةً

فاخْتِمْ بخيرٍ به عِتْقِي من النارِ ... أَلْهَمْتنِي بعدَه عِتْقًا لِتُكْرِمَنِي

---

(١) في ا : « القوصني » ، والمثبت في : ب ، ج .
وقد ترجمه الخفاجي في : خبايا الزوايا لوحة ١٤٦ ب ، وريحانة الألبا ٢ / ١٢٠ ، ٢١١ ، ونعته بالطبيب ، وانظر الكواكب السائرة ١ / ٨٢ .

(٢) الفصل في خلاصة الأثر ٢ / ٢٩٧ .    (٣) في الخلاصة : « التوارى » .

(٤) الأبيات في خلاصة الأثر ٢ / ٢٩٧ .   (٥) بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القرافي المصري المالكي القاضي .
ولد سنة تسع وثلاثين وتسعمائة .
وأخذ فقه المالكية عن والده ، وشيوخ المالكية في عصره ، وسمع الحديث من الجمال يوسف بن زكريا ، والنجم الغيطي ، والصالح أبي عبد الله بن أبي البقاء البكري الحنفي .
ثم ولي قضاء المالكية ، وصار شيخهم .
وله تآليف كثيرة ، منها : « شرح ابن الحاجب » ، و « ذيل الديباج لابن فرحون » ، و « شرح الموطأ » ، و « شرح التهذيب » .
توفي سنة ثمان بعد الألف .
خبايا الزوايا لوحة ١٣٠ ب ، خلاصة الأثر ٤ / ٢٥٨ — ٢٦٢ ، ريحانة الألبا ٢ / ١٠٤ — ١٠٦ ، الكواكب السائرة ١ / ١٣ .
والبيتان في : خلاصة الأثر ٢ / ٢٩٨ ، ريحانة الألبا ٢ / ١٠٥ .

(٦) في الأصول : « منك المبداوة » ، والمثبت في : الخلاصة ، والريحانة .

والحافظ ابن حَجَر(1) :

يا رَبِّ أعْضاء السُّجُودِ عتقْتَها من فضلك الوافِي وأنتَ الوَاقِي
والعِتقُ يَسْرِي في الغِنَى يا ذا الغِنَى فامْنُنْ على الفانِي بِعِتْقِ الباقِي(2)

والأصلُ فيه قولُ ذِي الرُّمّة ، قال الشَّرِيشي(3) : وهو آخِرُ(4) شعرٍ قاله(5) :

يا رَبِّ قد أسْرَفَتْ نَفْسِي وقد عَلِمَتْ عِلْمــاً يَقِيناً لقد أحْصَيْتَ آثارِي(6)
يا مُخْرِجَ الرُّوحِ من نفسِي إذا احْتُضِرتْ وفارِجَ الكَرْبِ زَحْزِحْنِي عن النارِ(7)

***

وله من فصل في مَعْرِض شِكاية(8) من الزمن(9) :

قد كان الفضلُ في المَرَاقِي ، من نَصْل عُيونِ الدهرِ هو الرَّاقِي ، والتَّرقِّي في الأدب بِهِ التَّوقِّي من النَّصَب والوَصَب ، وكل هذا ذَهَب ، وانْحَصر الدواء في الفِضَّة والذَّهب .

فالمُفْلِحون بخَبايا(10) النُّقود قُعود ، والمُفْلِسون في زَوايا الخُمول رُقُود .

فدَعْ فَضْلَ العِلم والنَّسَب(11) ، واسْعَ أن يكون لك من المالِ خيرُ نَشَب .

فقد كان الأدبُ وَدِيعةً واسْتَرَدّ ، وصار الدرهمُ مَرْهَماً ولِبُرْءِ ساعةٍ اسْتَعَدّ .

***

ومن هذا القَبِيل قول زين الدين الجَزَرِي(12) من مَقامةٍ له :

قد كان شرابُ الأُصولِ يُداوِي العليل ، والآن ليس في غيرِ الدِّينار شِفاء الغَليل(13) .

ألم تسْمَعْ أن الدراهم ، لجُروحِ العُدْم مَراهم !

وقد اسْتَردّت الأيّام ، ودائعَ المَكارمِ والكِرام !

***

(1) البيتان في : خلاصة الأثر ٢/٢٩٨ ، ريحانة الألبا ٢/١٠٦ .

(2) في الريحانة : « يسري بالغنى » ، وفي الخلاصة : « يسري في الفتى » .
وانظر تحرير هذا الأمر في حاشية الريحانة ٢/١٠٦ .

(3) شرح المقامات الحريرية ١/٢٠ .  (4) في شرح المقامات : « أحسن » .

(5) ديوان ذي الرمة ٦٦٧ ، فيما نسب إليه ، وشرح المقامات ، الموضع السابق .  (6) في الديوان : « أشرفت نفسي » .  (7) في الديوان : « يا مخرج الروح من جسمي » .  (8) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .  (9) هذا الفصل في خلاصة الأثر ٢/٢٩٥ .  (10) في الخلاصة : « في خبايا » .

(11) في الخلاصة : « والحسب » .  (12) خلاصة الأثر ٢/٢٩٥ ، وفيه : « زين الدين بن الجزري » .

(13) في ب ، ج : « الفليل » ، والمثبت في : ا ، والخلاصة .

## ٣٤٠

## يس الحمصي العليمي*

### نزيل القاهرة

مُنْتَهى بِدَعِ الفُنون ، ومُنْتَدَى نُزَهِ العُيون .

الذي بَعث نَفَسًا عاطِراً إلى الإحْسان ، وأثبتَه عِقْداً نفيسا في جِيدِ الكواعِب الحسان .

يتناول المَعانى والألفاظ مِن مَدًى قريب ، وإن مَدّ باعَه فمِن سَحابٍ وإن اغْترَف فمِن قَلِيب .

وحَواشِيه حَواشِي خُدود ، لا حَواشِي بُرُود ، وتخْريجاتُ أصْداغٍ على وَجَنات ، أو سَوالِفُ على خُدودِ غانِيات .

***

وله أشْعار تُحَلُّ لها عُقَدُ الحُبَى ، وتهْتَزُّ لها النفوسُ كما يهْتَزُّ تحت القَطْرِ الرُّبَى .

وكان عهدُه قد جمع نَضارةَ الوردِ إلى بقاء الآس ، وافْتَرّ عن رِقَّةِ المُدامةِ في نَقاء الكاس .

وهو يرجِع إلى شِيَمٍ دَمِثَة ، وهِمَمٍ على الخيْر مُنْبعِثة .

---

(*) يس بن زين الدين بن أبي بكر العليمي الحمصي الشافعي .

شيخ العربية ، وقدوة أرباب البيان .

ولد بحمص ، ورحل مع والده إلى مصر ، ونشأ بها ، وقرأ على منصور السطوحي ، والشهاب الغنيمي ، والشمس الشوبري .

وتصدر في الأزهر لإقراء العلوم ، وشاع ذكره ، وبعد صيته .

وله حواش كثيرة ، منها : « حاشية على المطول » ، و « حاشية على شرح القطر للفاكهي » .

توفي سنة إحدى وستين وألف .

خلاصة الأثر ٤٩١/١ ، ٤٩٢ .

طالما هبّت منه على طَلَبتِه نَسْمةُ المُنَى[1] ، فنبّهت من أفواهِهم زهرةَ الثَّنا .
وقد أثبتُّ له ما إذا تُلِيَ وَصَفَ نفسَه ، وأطْلَع نهارُ طِرْسِه شَمْسَه .
فمنه قوله[2] :

في لَحْظِه سِحْرٌ فلم أرَ صارِماً ... في غِمْدِه يَفْرِي سِواهُ فمن يَرَى[3]

عَجَباً لغُصْنِ البانِ مَن أعْطافِه ... فوقَ الكثيبِ لبَدْرِ تِمٍّ أثْمَرَا

صَبَرتْ عنه القلبَ فهو بصَبْرِه ... مَيْتٌ عسى يَرْثِي لِمَيْتٍ صُبِّرَا[4]

وحديثُ دمعِي مُرسَلٌ لمَّا غدَا ... منه الصُّدودُ مُسَلْسَلاً ياما جرَى

فالرأسُ مُشْتعِلٌ بشَيْبِ صُدودِهِ ... والعَظْمُ أضحَى وَاهِياً وقد انبَرَى

والقلبُ من مُوسَى لِحاظٍ قد غدَتْ ... مَرْضَى كَلِيمٍ وهْو لن يتغيَّرَا[5]

إن رَامَ مَرْأى من بَدِيع جمالِهِ ... جعَل الجوابَ له وحَقِّي لن تَرَى[6]

واللَّحْظُ مِنِّى حين أبصرَ خدَّهُ ... فيه الربيعُ جرَى عليه جَعْفَرَا[7]

ياذا الذي قد زَارَ طيفُ خيالِهِ ... وأتَى بَخِيلاً ما تأهَّل لِلْقِرَى

بالطَّيْفِ قد مُنِّيتُ لكنْ بالأذَى ... أتبعْتَه فسلَلْتَ من عينِي الكَرَى

ما زار إلَّا كى يُعاتِبَنِى على ... نَوْمِي فيُفْنِيه ويَجْنَحُ للسُّرَى

ولَرُبَّ ليلٍ طال حتى إنَّنِى ... قد قلتُ لو كان الصباحُ لأسْفَرَا

لكنْ ذكرتُ بطُولِه وسَوادِهِ ... شَعْرَ الحِسانِ فطاب لى أن أسْهَرَا

***

(١) ذكر المحبى فى خلاصة الأثر أن المترجم كان مغرما بالطيب ، وإذا دخل الجامع الأزهر يشم من بصدره رائحة المسك والعنبر والغالية ، فيعلم أهل الجامع بقدومه .

(٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ٤/٤٩٢ . (٣) فى الأصول : « فى غمده يغرى » ، والمثبت فى الخلاصة ، ويشهد له ما يأتى فى تعقيب المؤلف . (٤) فى الخلاصة : « فهو بهجره » .

(٥) يشير إلى موسى الكليم عليه السلام . (٦) يشير إلى قول ابن الفارض :

وإذا سألتُك أن أراكَ حقيقةً ... فاسْمَحْ ولا تجعلْ جَوابِى لن تَرَى

شرح ديوانه ١/١٨٤ .

(٧) من معانى الجعفر : النهر الصغير والكبير والملآن .

قوله : « فى لحظه » صدَرَ الأبياتَ من قولِ بعضهم :

كلُّ السيوفِ قواطعٌ إن جُرِّدتْ ‏ ‏ وحُسامُ لَحظِك قاطعٌ فى غِمْدِهِ

وقوله : « ياذا الذى » إلى آخر الأبيات الثلاثة ، هو معنى بَيْتَى صَرَّدُر[1] :

زار الخيالُ بَخيلاً مثل مُرْسِلِهِ ‏ ‏ فما شَفانِىَ منه الضَّمُّ والقُبَلُ

مازارنى قطُّ إلَّا كىْ يُعاتِبنى ‏ ‏ عَلَى الرُّقادِ فيُفْنِيه ويَرْتحِلُ

وهو مسبوقٌ إليه أيضا ، فى قولِ بعضهم :

طيفُ خَيالٍ هاجِرِى ‏ ‏ ألَمَّ بى فما وَقَفْ

عاتَبنِى على الكَرَى ‏ ‏ ثُمَّ نَفاهُ وانصَرَفْ

قلت : وهو إن تجارَى مع غيره فى مَيْدان تلك التَّحاسِين ، فـ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ شريفة وليست من رجال ﴿ يٰسٓ ﴾ .



(١) لم أجد البيتين فى ديوانه المطبوع .

# ٣٤١

## محمد الحَمَوِىّ*

نزيل القاهرة

هو بين العلماء صاحبُ وَجاهة ، تستعير(١) أولو الأخطار لَدَى الأزمةِ همّته وجاهَه.

لَيّن المُهْتَصَر والعُود ، أملَسُ العِرض مَصْقول شَبَا الوُعُود .

تصدَّر تَصَدُّر الجِهْبِذ النِّحْرير ، وأغنَى الطُّلَّاب بما أبْدَاه على « المغنى » من التَّقرير والتَّحرير ، فأصْبح السكل(٢) من أهلِ الإفادة ، يتقرَّبون إليه بالتَّلمذ والاستفادَة .

وكان فَرْدَ العِلْم فى عصره ، لا بل العَلَمَ الفَرْدَ بين مَشايخ مِصْرِه .

مع ذَاتٍ بَهِيَّة مطبوعة ، وأداة فواكهُها الحَمَوِيَّة غيرُ مقطوعة ولا ممنوعة .

***

وقد أوردتُ له ما يَبْتهِج ابتهاجَ الربيع ببُرْدِه ، ويَرُوق رَوْقَ الرِّيق فى حَلاوتِه وبَرْدِه .

فمنه قوله ، من قصيدة أولها(٣) :

أوُجُوهُ غِيدٍ أم حِسانُ رُبوعِ ... وعيونُ آرامٍ تَزِيدُ وُلوعِى

أم نَشْرُ زَهْرٍ ضاعَ فامْتلأ الرُّبَى ... عِطْرًا عَبِيرًا أم رياضُ ربيعِ(٤)

---

(*) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحموى الحنفى .

نزيل مصر .

كان إماما عالما بالفقه ، والتفسير ، والحديث ، والقراءات ، والأصول ، والنحو .

أخذ عن النور الزيادى ، والشمس محمد الخفاجى ، ومحمد الوسيمى ، وغيرهم .

وله مؤلفات ؛ منها : « حاشية على المغنى » ، و « حاشية على شرح القواعد الهشامية للشيخ خالد » .

توفى بمصر ، سنة سبع عشرة بعد الألف .

خلاصة الأثر ٣/٤٨٩ ، ٤٩٠ .

(١) فى ج : « تستعين » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٢) فى ب : « السكل » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/٤٨٩ ، ٤٩٠ ، وهى هناك أوفى من هنا.

(٤) فى ا ، ب : « أم رياض عبير » ، وهو خطأ صوابه فى : ج ، والخلاصة.

والمـــاءُ قد صَقَلَ النَّسِيمُ مُتُونَهُ ... أم في جَداوِلِه مُتونُ دُروعِ
والطَّلُّ قد زانَ الشَّقِيقَ بلُؤْلُؤٍ ... أم وَجْنَـــةٌ مَطْلولةٌ بدُموعِ
والقُضْبُ مِن لُطْفِ النسيمِ تَمايَلَتْ ... خَجَلاً فأبْدَتْ ذِلَّتِي وخُضوعِي
والبدرُ أشرقَ في ثَنِيَّاتِ الدُّجَى ... سَحَرًا وبُرْدُ الليلِ في تَوْشِيعِ [١]
سَفَرَ اللِّثــامَ فلاح في وَجَناتِه ... وَرْدُ الخدودِ فحارَ فيه بَدِيعِي
ساجِي اللَّواحِظِ فاتِكٌ بجُفونِه ... ذو خِبْرَةٍ في صَنْعَةِ التَّقْطِيعِ [٢]
ما نَمَّ مِسْكُ عِذارِه في خَدِّه ... إلَّا لِيُظْهِر عُذْرَ كلِّ خَلِيعِ [٣]
والثَّغْرُ قد حازَ المُذَيْبَ وبارِقًا ... وجَواهِرًا للدُّرِّ غيرَ مُضِيعِ [٤]
يا قلبُ خَلِّ هوَى الحِسانِ وخَلِّنِي ... مِن ذِكْرِ أحْبابٍ وذِكْرِ رُبوعِ [٥]
واقْطَعْ أقاوِيلَ الوُشاةِ فقَطْعُها ... سَبَبٌ لِوُصْلَةِ حَبْلِنـــا المَقْطوعِ

***

ومن دُرِّه المَكْنون، بَدِيعِيَّةٌ على قافية النون، مستهلُّها [٦]:

هَجْرِي علىَّ ولِي وَصْلٌ بأحْيانِي ... أماتنِي الهجْرُ جاء الوَصْلُ أحْيانِي

***

قوله: «أماتنى» من قَوْلِ ابنِ الفَصِيح [٧]، صاحب «السِّراجيَّة» في الفرائض [٨]:

زارَ الحبيبُ فحَيَّى ... بحُسْنِ ذاكَ المُحَيَّا [٩]
مِن صَدِّه كنتُ مَيْتًا ... مِن وَصْلِه عُدْتُ حَيًّا

***

(١) التوشيع: إعلام الثوب. (٢) في ا: «فاتر بجفونه»، والمثبت في: ب، ج، والخلاصة.
(٣) في الخلاصة: «ماتم مسك عذاره». (٤) في ا، ج: «وجواهر للمر»، والمثبت في: ب، والخلاصة. (٥) في ب: «وذكر ربوعى»، والمثبت في: ا، ج، والخلاصة. (٦) مستهل البديعية في خلاصة الأثر ٣/٨٩ أيضا. (٧) أحمد بن على بن أحمد الكوفى البغدادى، المعروف بابن الفصيح.
فقيه حنفى، تصدر للإفتاء والتدريس بدمشق.
وتوفى سنة خمس وخمسين وسبعمائة.
الجواهر المضية ١/٧٩، الدرر الكامنة ١/٢١٧ - ٢١٩، الطبقات السنية، ترجمة رقم ٢٤٨، النجوم الزاهرة ١٠/٢٩٧، ٢٩٨.
(٨) البيتان في النجوم الزاهرة ١٠/٢٩٨. (٩) في النجوم: «باحسن».

# ٣٤٢

## السيد أحمد الحَموِىّ

جميعُ السَّادة منه فى المنزلة ، منزلةُ الكِتابِ من البَسْمَلَة .

وهو فى المَجد مُتعادِل الوَصْفَيْن ، وفى السُّؤْدَد مُتكافِئ الطَّرَفَيْن .

صحيح المُنْتَسَب مِن القِدَم ، فضلٌ كلُّه من الفَرْق إلى القَدَم .

فأصله عَرِيقٌ وطبعُه شريف ، وروضُه وَرِيقٌ وظِلُّه وَرِيف .

تَملَّا من لُطفِه ، وسال الوَقارُ على عِطْفِه .

فكأنما أخلاقُه رَضَعت دَرَّ النَّعِيم ، فجاءتْ والحمدُ لله كالصِّحَّة فى جسم السَّقِيم .

فتدرَّج على دَرَج النُّجْح بأَرْجاء الرَّجا، وابتهج بمَطْلِعه السَّعْدُ المُتألِّق بلألاء اللَّألا .

مَطْوِيًّا على نَشْرِ الكرم الفائِق المُستفِيض ، مُتبلِّجًا بأضواء المَكارم الغُرِّ وأنوارِ الأيادِي البِيض .

فألسِنةُ الثَّناء بفضلِه مُنطلِقه ، وأيْدِى الرَّجاء بحَبْله مُعْتلِقَة .

وهو فى ظِلٍّ من الأَمْنِ مَدِيد ، ورأْيٍ بحَلِّ المُشْكلات سَدِيد .

فكم من فضلٍ أفاد ، وأدَبٍ أحْياه وقد باد .

وله فى الأدب ومُضافاتِه ، رُتْبةٌ يُعرَف مِقدارُها من مُؤلَّفاتِه فيه ومُصنَّفاتِه .

***

وشِعْرُه كمَسْئُولِ الأمانى فى شَباب الزمان ، ومُعْتنَقِ قُدودِ الغوانِى فى ظِلِّ الأَمْنِ والأَمان .

أوردتُ منه ما يُعطِّر أنْفاسَ النَّسائِم فى الهُبوب ، فهو إن لم يكن كشَمائله العَطِر فكنَفَسِ[1] المَحْبوب .

(١) فى ب : « فكتنفس » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فمنه قوله من قصيدة :

وَرَقِيقِ خَصْرٍ بالنُّحولِ مُمَنْطَقٍ     قد رُيِّشَتْ بالهُدْبِ لى أجفانُهُ

غُصْنٌ على دِعْصٍ يميـــلُ مع الصَّبا     سَكْرانُ من خَمْرِ الصِّبا نَشْوانُهُ (١)

مَكْحُولُ أطْرافِ الجفونِ غَضِيضُها     قد خُضِّبَتْ بدمِ القـــلوبِ بَنانُهُ

ما السِّحْرُ إلَّا ما حَوَتْهُ جُفونُهُ     والطِّيبُ إلَّا ما حَــوَتْ أرْدانُهُ

ما الوردُ إلَّا ما حوَتْه خُــدُودُه     وعِــذارُه رَيْحانُه سُوسَانُهُ

ما الصَّعْدَةُ السَّمْراءُ تُشْبِــــهُ قَدَّهُ     كلَّا ولا غُصن النَّقا فَيْنانُهُ

سلطانُ حُسْنٍ بالجمـــالِ مُتَوَّجٌ     شاكِى السِّـــلاحِ سِهامُه أجْفانُهُ

قد حجَّبُـــوه بالأسِنَّةِ والظُّبا     كالبدرِ حُجِّب بالغَـــمامِ عِيانُهُ

فهو العزيزُ ومِصْرُه قلبُ الشَّجِى     وسَوادُ ناظِـــرِه به إيوانُهُ

مَبْذولُ ما فوقَ اللِّثـــامِ لناظِرٍ     ممنوعُ ما تحت الإزارِ مُصــانُهُ

قد زارَنِى والليـــلُ قَلَّص ذَيْلَه     والصبحُ قد طعَن الظلامَ سِنانُهُ

والوُرْقُ تبْكِيه وتنْدُب فقْدَهُ     والدِّيكُ صاح وقد علَتْ أحْزانُهُ

فى منزلٍ عَمَّ السرورُ رِحابَهُ     والعُودُ يُفْصِــح بالسرورِ لِسانُهُ

والوَرْدُ والمَنْثورُ يَعْبَقُ نَشْرُه     والنَّدُّ يسْطَع إذْ عَــلاهُ دُخانُهُ

وحَدِيثُنا قِطَعُ الرِّياضِ لِظِلِّهِـــا     أنْدا الرَّبيع وما أطَلَّ زَمانُهُ

جاذَبْتُه هُذْبَ الحديثِ مُوَرِّيًا     عن فَرْطِ شَوقٍ قد زكَتْ نيرانُهُ

فأتاحَ ما تحتَ اللِّثـــامِ لناظِرِى     وأباحَنِى الثَّغْرَ النَّضِيدَ جُمانُهُ (٢)

فلَثَمْتُه ورَشَفتُ رِيقَـــةَ ثَغْرِهِ     وسَقَيْتُ قلباً شَفَّــنِى خَفَقانُهُ

---

(١) الدعص : كثيب الرمل المجتمع .     (٢) فى ج : « فأباح ما تحت » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وفى ا : « ما تحت الظلام » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وضَمِمْتُه وهَصَرْتُ بَانَةَ قَدِّهِ     وعَفَفْتُ عَمَّــا ضَمَّهُ هِمْيانُهُ(١)
وغَفَرْتُ ذَنْبَ الدهرِ مِمَّا قد جَنَى     وشَكَرْتُ قَوْلًا عَمِّنِي إحْسانُهُ

***

ومن بدائعه قولُه في مُعذِّر :

لاح العِــذارُ بِخَدِّ نَحْوِيٍّ لنا     كاللَّامِ أكَّدتِ الغرامَ وَفاءَا
فسألتُ ما هذا السَّوادُ أجابَنِي     حَرْفٌ لِمَنْ بالمَحاسِنِ جاءَا

***

وأحْسَنُ منه قولُ الشِّهاب :

بلامِ عِــــذارِه قد زا     دَهُ رَبُّ الورَى حُسْنَا
وعادتُهــــــم إذا ما زِيـ     ـدَ حَرْفٌ زادَ في المعــــنَى

***

ولامُ التأكيد وقعتْ في قول ابنِ نُباتَةَ(٢) :

لامُ العِذَارِ أطالتْ فيك تَسْهِيدِي     كأنَّهــا لِغَرامِي لامُ تَوْكِيدِ

ومثلُها لامُ التَّعْليل ، كما في قول ابنِ الحِنائِي الرُّومِيِّ(٣) :

ولائمٍ لامَ في حُبِّي لِذِي غَنَجٍ     لمَّا رأى في حَواشِي خَدِّه لامَا

---

(١) يعني ماتحت إزاره ، فالهميان كيس توضع فيه النقود يشد على الوسط ، أى على أعلى الإزار .

(٢) ديوان ابن نباتة المصرى ١٢٦ ، ريحانة الألبا ٢/٢٥١ .     (٣) فى ا : « ابن الحناوى » ، وهو موافق لنا فى العقد المنظوم ٢/٣٧٥ ، والمثبت فى : ب ، ج ، وهو موافق لما فى الريحانة ٢/٢٤٩ ، وخبايا الزوايا لوحة ١٩٠ ب ، وسماه الخفاجى فى الريحانة : « على بن الحنائى بن أمر الله الحميدى » ، وفى الخبايا : « على بن عبد الله الحناى الحميدى » ، وجاء اسمه فى العقد المنظوم : « المولى علاء الدين على المشتهر بحناوى زاده » ، وقال : إنه ولد سنة ثمان عشرة وتسعمائة فى قصبة اسبارسة ، من لواء حميد ، وقرأ على علماء الروم فى عصره .

وتقلد المدرسة الجامية بأدرنة ، ثم مدرسة الأمير حمزة فى بروسة ، وظل يترقى حتى وصل إلى إحدى المدارس الثمان ، ثم إحدى مدرستى السلطان سليمان ، ثم تقلد قضاء دمشق ، ثم بروسة ، ثم أدرنة ، ثم قسطنطينية ، ثم صار قاضى العساكر فى ولاية أناطولى ، وتوفى سنة تسع وسبعين وتسعمائة .

والبيتان فى ريحانة الألبا ٢/٢٥١ .

فقلتُ ذِى لامُ تَعليلٍ بوَجْنتهِ تُبِين عِلَّةَ مَن فى حُبِّه هَامَا

ولامُ الاستغاثة ، كما فى قول ابنِ رَشِيق[1] :

خَطُّ العِـــذَارُ له لَامًا بِعارِضِهِ مِن أجْلِها تستغيثُ الناسُ باللَّامِ[2]

واللَّامُ المُوطِّئةُ للقسم كما فى قول الخَفاجِيّ :

غَزالٌ نَقَدْتُ له طاعـــتِى وعَجَّلْتُ للوَصْلِ ذاكَ السَّلَمْ

وأقسمتُ لا بُدَّ مِن وَصْـــلِهِ وبالهَجْرِ والوَصْلِ يأْتِى القَسَمْ

ولامُ العِــذَارِ على خَدِّهِ لَعَمْرِى مُوَطِّئَةٌ لِلقَسَمْ

واللَّامُ الجَارَّة كما فى قول ابن الجابى وقد تقدَّم :

فى خَـــدِّه لامٌ تَجُرُّ إلى الهوَى فالقلبُ مَجْرورٌ بتلك اللَّامِ

ولَامُ الابتداء ، كما فى قول أبى الحسن على بن الحسن الأندلُسِىّ :

قال العَذُولُ التَحَى فقلتُ له حُسْنٌ جَدِيدٌ قَضَى بتجديدِ

أما تَرَى عارِضَيْه فوقَهما لَامُ ابْتداء ولامُ توكِيدِ

ولامُ كَىْ ، فى قول ابنِ نُباتَة[3] :

ومُسْتَتِرٍ من سَنَا وَجْهِهِ بشَمْسٍ لها ذلك الصُّدْغُ فَىْ

كَوَى القَلْبَ مِنِّى بلَامِ العِذَارِ فعرَّفنى أنَّهـــا لامُ كَىْ

والبيت الأوّل كثيراً ما يُشْكِل فهمُه ، وتبْيِينُه أنه أراد بسَناء الوجه البياضَ ، وبالشمس الحُمْرةَ .

---

(١) ديوان ابن رشيق القيروانى ١٦٣ ، ريحانة الألبا ٢/٢٥٢ . (٢) فى ا : « لاما بوجنته » ، وفى الديوان : «لاما بصفحته» ، والمثبت فى : ب ، ج ، والريحانة .

(٣) لم أجد هذين البيتين فى ديوانه المطبوع ، وقد نسبها الصفدى فى شرح لامية العجم ١/١٩٧ إلى الشاب الظريف ، وهما فى ديوانه ٧٨ .

وعكس ابنُ غالبٍ[1] وأبْعَدَ وأبْدَعَ فى ذمِّ العِذار ، فقال :

سأصْنَعُ فى ذمِّ العِذارِ بَدائعاً ... فمن شاء بقضِي بالدَّليلِ كما أقْضِى

ألا إنَّه كاللَّامِ واللامُ شأنُها ... إذا التصقَتْ بالإسمِ آلَ إلى الخفْضِ

فاجْعَلْه مُحتملا لما شئْتَ من الذَّمِّ إن وجَّهْتَ الخفضَ بانْخفاضِه للعملِ المطلوب منه ، وإن شئْتَ انْخفاضَه انْخفاضَ حالِه .

وقد رَدَّ عليه شرفُ الدِّين المُناوِى[2] ، بقوله :

بَلَى إنها لامُ ابْتداءِ مَحَبَّةٍ ... أو اللامُ للتأْكيدِ ليستْ بذِى الخفْضِ

فلو أبْصَرَتْ عيناكَ ذاكَ الذى بَدَا ... على خَدِّه الوَرْدِيِّ كنتَ إذاً تقْضِى

***

وللسيِّد المُترجَم :

تَبدَّى ذا العِذارُ شَبِيهَ لَامٍ ... على وَرْدٍ بِهِ زَهَتِ الخدودُ

غَدَتْ كلُّ البَرايَا فيه سَكْرَى ... لَدَى لامِيَّةِ الوَرْدِى شُهودُ

***

مثلُه لبعضهم :

هَوَيْتُه عَجَمِيًّا فوق وَجْنَتِهِ ... لاميَّةٌ عَوَّذَتْها أحْرُفُ القَسَمِ

فى وَصْفِه أَلْسُنُ الأقْلام قد نطَقتْ ... وطال شَرْحِى فى لاميَّةِ العَجَمِ

***

وله :

بأبِى وغيرِ أبِى عِــذارٌ سائلٌ ... كالمِسْكِ سالَ على بَياضِ العَاجِ

---

(١) محمد بن غالب الرفاء الرصافى ، شاعر أندلسى .
كان يرفأ الثياب ترفعا عن التكسب بالشعر .
توفى بمالقة ، سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة .
المعجب ٢٨٦ ـ ٢٩٢ ، وفيات الأعيان ٥٩/٤ ، ٦٠ .

(٢) شرف الدين يحيى بن محمد بن محمد المناوى المصرى الشافعى . فقيه ، محدث ، إخبارى ، توفى سنة إحدى وسبعين وثمانمائة . الضوء اللامع ٢٥٥/١٠ .

أبداً أدِينُ بحُبِّهِ وبمدْحِهِ ... فليَلْحَنِى اللَّاحى ويهْجُو الْهَاجِى

***

وله فى غلام يشرب الدُّخان :

وبديعِ حُسْنٍ بالدُّخانِ مُولَّعٍ ... ومِن الغَداةِ إلى العَشِيَّةِ يشْرَبُهْ

يُبْدِى الدُّخانُ بوجْهه سِتْراً لنا ... فتخَالُ بَدْراً والغَمامُ يُحجِّبُهْ

مثله لابن الجزَرِىّ :

كأنما دُخانُ غلْيُونِهِ ... لمَّا بَدَا من ثَغْرِه الدُّرِّى

غَيْمٌ نَشَا من شَفَقٍ أحْمَرٍ ... مُحْتَجِبٍ غطَّى سَنَا الْبَدْرِ

***

وكتب لشخصٍ من أهالى مكة ، فى صَدْر كتاب :

سلامٌ كنَشْرِ الرَّوْضِ أو نَفحةِ المِسْك ... تَسِيرُ به أيْدِى الصَّبَا فى دُجَى الْحُلْكِ

بَلِيلة أذْيالٍ بدَمْعِ تَشَوُّقٍ ... إلى خيرةِ البيتِ المُعظَّمِ بالنُّسْكِ

يخُصُّ حبيباً أبعَدَتْهُ يدُ النَّوَى ... وكان قريباً قُرْبَ جِيدٍ إلى السِّلْكِ

***

وكتب إلى الأستاذ زيْن العابدين البكْرِىّ [1] وقد [2] انقَطَع عن مجلسه أياماً بسبب كَثْرةِ الأوْحال من المطر :

لقد مَنع المَسِيرَ إلى حِماكُمْ ... توَالِى الغيْثِ من ثَدْيِ السَّحابِ

وأوْحالٌ بها الطُّرقاتُ سُدَّتْ ... فما أستطيعُ مَشْياً لِلذَّهابِ

وقالوا رحمةٌ للنَّاسِ عَمَّتْ ... ولكنْ لى بها قَرْطُ العذابِ

فيارَبَّاهُ حتى الغيْثُ خَصْمِى ... يُمانِعُنِى دُنُوِّى واقْترابِى

---

(١) تقدمت ترجمته فى هذا الجزء برقم ٣٣٢ .

(٢) فى ب : « وكان قد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فعَجِّلْ بانْحِباسِ الغَيْثِ كَيْما   أرَى ذاكَ الجمالَ بلاحِجـــاَبِ

***

من الأمثال[١] « مَطَرُ مِصر » يُضرَب للشيء النافع ، يُتضرَّر به ؛ لأنَّ من عُيوب مصر أنها لا تُمْطِر ، فإذا أمطَرتْ كرِهتْ أهلُها ذلك أشدَّ كراهةٍ ؛ لما يقعُ فيها من الأوْحال ، قال اللهُ تعالى : ﴿وَهوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يدَيْ رَحْمَتِه﴾[٢] يعنى المطرَ ، فهذه رحمةٌ مُجلِّلةٌ لهذا الخلق ، وهم لها كارهون ، وهى لهم غيرُ مُوافِقة ، ولا تزكُو عليها ثمارُهم .

قال بعضُ الشُّعَراء[٣] :

وما خيرُ قومٍ تُجْدِبُ الأرضُ عندهم   بما فيه خِصْبُ العالَمِين من القَطْرِ[٤]

إذا بُشِّرُوا بالغَيْثِ رِيعَتْ قلوبُهم   كما رِيعَ فى الظَّلْماء سِرْبُ القَطَا الكُدْرِ

ومما يحسُن موْقِعُه فى مَنْعِ المطرِ عن الزِّيارة قولُ الشِّهاب مُضمِّناً :

أقولُ لِوابلٍ عن دارِ حِبِّى   أعاقَ وقد بدَا منه انْسِجامُ

سلامُ اللهِ يامطَرٌ عليها   وليس عليك يامطرُ السّلامُ[٥]

وكتب جَحْظةُ إلى ابن المُعْتَز : كنتُ على المسيرِ إلى الأمير ، فانقطع شِرْيانُ الغَمام ، فقطَعنى عن خِدْمته .

فكتب إليه : لئن فاتَنِى السرورُ بك لم يَفُتْنِى بكلامك .

وقوله : « شِرْيان الغَمام » ، من أحسن الكلام .

***

(١) هذا نقل عن ثمار القلوب ٦٥٥ .   (٢) سورة الأعراف ٥٧ .   (٣) البيتان ضمن أبيات فى ثمار القلوب ٦٥٦ .   (٤) فى الأصول : « وماخير أرض » والتصويب من ثمار القلوب .

(٥) ضمن بيت الأحوص ، وهو من أبيات الكتاب (هارون) ٢٠٢/٢ ، والتخريج فى حاشيته .

ورأى[1] تاريخ المَقّرِيّ ، المُسَمَّى : « نَفْـح الطيب من غُصن الأندلس الرَّطيب » ، فـكتب إليه :

مِن الغُصْنِ الرَّطِيبِ هَصَرْتَ غُصْناً ... ومن أثمـــارِه أصبَحْتَ جَانِي[2]

كَسَاهُ اللهُ من ورقٍ بُرُوداً ... مُطرَّزة بأزهـــارِ الجِنانِ

***

وكتب لبعضِ إخوانه يطلُب منه كتاب « قلائد العِقْيان » :

ياسيِّداً حاز خَصْلَ الفضلِ من كُتُبٍ ... بجدِّ عَزْمٍ وجَدٍّ طاهر النَّسَبِ[3]

مِن القَلائدِ جِيدِي عا ِــــلٌ أبداً ... فابعَثْ بها كي تُحَلِّي جِيدَ ذِي أدبِ

قَصْدِي المرورُ عليها مُسْرِعاً عَجِلاً ... كما يمُرُّ نسيمُ الرَّوضِ بالعَذَبِ[4]

***

وله يعتذر عن تَرْك التَّغزُّل :

وقائلةٍ لِمْ لا تَغزَّلُ في الظِّبَا ... وطَبْعُك مِن ماءِ اللَّطافةِ قد رَوِي

فقلتُ لها قَدْرِي تَسامَى عن الذي ... تَرُومِي لِشُغْلِي بالعلومِ وما رُوِي

***

وله في الشَّباب والشَّيب :

ليلُ الشبابِ نجومُ الشَّيْبِ فيه بَدَتْ ... فأحرقتْ مِن شَياطِينِ الهوَى زُمَرا

بدَتْ وأدْهَمُ لَهْوِي جَـدَّ في مَرَحٍ ... فقيَّدتْهُ بعِقْدٍ يُشْبِـــهُ الدُّرَرَا

***

معنى الأوّل أَلَمَّ فيه بقوْل أبي طالب بن يَعْمُر .

نجومُ شَيْبِيَ في ليلِ الشبـابِ بَدَتْ ... فبَصَّرتْ عينَ قلبي مَنهجَ الدِّينِ

فصِرْنَ راجِمـةً شَيْطَانَ مَعْصِيَتِي ... إنَّ النُّجُومَ رُجُومٌ للشَّيـــاطينِ

***

(١) أي المترجم . (٢) أصله « جانيا » ، وترك النصب للقافية . (٣) الخصل : الخطر الذي يخاطر عليه في النضال . (٤) العذب : أغصان الشجر .

ومن فوائده ما كتبه على البيت المشهور :

فَرَّقْن بين مَحَاجِرٍ ومَعَـاجِرٍ    وجَمَعْنَ بين بَنَفْسَجٍ وشَقَائِقِ[1]

قال : أجاب عنه البدرُ الدَّمامِينى[2] ، وصاحب « التِّبْيان »[3] ، والبيت ثالثُ بيتين قبلَه ، وهما :

أنا الفِداء لظَبْيَةٍ أحْـداقُها    مَوصُولةٌ مِن حُسْنِها بحدائِقِ

لَمَّا الْتقَيْنا للوَداعِ وأعْربتْ    عَبَراتُنـا عنَّا بدَمْعٍ ناطقِ

فرَّقْن . . . . إلخ

وقد وجدتُ البدرَ أتى البيوتَ من أبوابها وأزال بنُور قَرِيحتِه ما أظْلَم من غَيْهَبِ رِحابِها

أما صاحبُ « التِّبْيان » وإن كان من أئمَّةِ البيَان ، المُشارِ إليهم بالبنان ، فقد وقف من وراءِ البُيوت ، وهو من الحُزْن كَظِيم ، وتأخَّرعنهـا وهو مِن الحياء سَقِيم ، وراش سهامَ قَرِيحتهِ فأبْعَدَ المَرْمَى ، ولم يُصِبْ لحمًا ولا عظْما .

ولله دَرُّ القائل[4] :

نَزَلُوا بمكة فى قبائلِ مُكْثِرٍ    ونزلت بالبَيْداءِ أبْعَدَ مَنْزِلِ[5]

فأتى بمعانٍ لا يخطُبُها خاطِب ، بل مما يحْطِبها فى ليلِ سُطورِها الحاطِب ، وجهَّز بَناتِ فِكْره بما لا يُستَرْوَح لنَشْرِه ؛ وليت شِعْرِى ما كان أغناه عن هذا الجواب وقَصْدِه ، وما أكثر ما يَهُزُّ المعاطِفَ ولكنْ بِبَرْدِه .

---

(١) المعجر : ثوب تعتجر به المرأة ، أى تلفه على رأسها.    (٢) تقدم التعريف به فى الجزء الأول ، صفحة ٥٠٢ .    (٣) صاحب « التبيان فى المعانى والبيان » هو الطيبى الآتى ذكره .

وهو شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبى .

عالم بالحديث والتفسير والبيان ، آية فى استخراج الدقائق من الكتاب الكريم .

توفى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

البدر الطالع ١/٢٢٩ ، الدرر الكامنة ٢/١٥٦ ، ١٥٧ .

(٤) البيت فى طبقات الشافعية الكبرى ٤/٦٤ دون نسبة .    (٥) فى الطبقات : « فى قبائل نوفل » .

وها نحن نذكُر نَصَّ الجوابَيْن ، ليظهر لك ماقلناه بغير مَيْن ، ونذكر ماظهر لنامن الجواب ، الذى هو أمَسُّ رَحِمًا بضَوء من الآداب .

قال البدرُ :

الظّاهر أن الشاعر قصد أن عبَراته فى حالِ الوَداع حَجبتْ نظرَه عن رؤية الظّبْية الموصوفة ، وحالت بينهما ، فحصل بذلك تفريقُ العَبَرات المذكورة بين محاجرِه التى كان ينظر منها ، وبين المعاجرِ التى كان ينظُر إليها .

وقد وصف بعضُ الشعراء الدمع بكَوْنه حائلاً بين العيْن والرُّؤيه ، كقوْلِ بعضهم :

وحالتْ دموعُ العَيْن بينى وبينه  كأن دموعَ العين تَعْشَقه مَعِى

وقال ابنُ مِنْهال ، أحدُ شعراء إفْرِيقيَّة :

إذا بَدَا حَالَ دَمْعِى دون رُؤْيته  يَغارُ منِّى عليه فهو يُرْقِعهُ

وقول أبى الحسين بن سقر ، شاعر المَرِيَّة[1] ، فى دولة بنى عبد المؤمن :

وقَفَتْ وَقْفَةَ الوَداعِ وقالتْ  ليت شِعْرِى متى يكون الرُّجوعُ

فبكَيْنا خوفَ الفِراقِ فحالَتْ  بيْننا قبلَ أن تَبِينَ الدُّموعُ[2]

وأما دمعُها هى ، فإنه إذا اخْتلَط بكُحْلِ عينها ، أشْبَهَ البنفْسَج من حيث اللون ؛ وباعتبار جَرَيانِهِ على الوَجَنات حَصَل الجمعُ بين البَنفْسَج وهو الدمعُ المذكور ، وبين الشَّقائق وهى الخدود .

وقد شبَّه بعضُ الأدباء البَنفْسَج بالكُحْل المُمْتزِج بالدَّمع ، حيث قال :

بَنفْسَجٌ حُمِيَتْ أزْهارُه فحكَى  كُحْلًا تشرَّب دَمْعًا يومَ تَشْتِيتِ[3]

فلا بِدْعَ إذن فى تشْبيه الدمعِ ، الذى هذه حالتُه بالبَنفْسَج ، ووَجْهُ الشَّبَه ما قُلناه .

---

(١) المرية : مدينة كبيرة من كورة البيرة ، من أعمال الأندلس . معجم البلدان ٤/٥١٧ .

(٢) فى ب ، ج : « أن تبين » ، والمثبت فى : ا .  (٣) فى ا : « حيث أزهارها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

والملخَّص أن العَبَراتِ التي جرتْ من هذين في حالةِ التَّوديع ، أوْجبتْ حالةً اختُصَّ بهـا القائلُ ، وهى التَّفْريقُ المذكور ، وحالةً تختَصُّ بالمَقول ، وهى الجمعُ على الصِّفةِ المذكورة ، وهذا كلُّه ظاهِرٌ ، مُتَّجِهٌ ، لا يَرِدُ عليه شىء ، إلَّا أنَّ الشاعرَ لم يُصرِّحْ في نَظْمِه بأنَّ المُتغزَّل فيها كانت مَكْحولةً ، حتى يُشَبِّهَ دمعَها المُمتزِجَ مع الكُحْل بالبَنَفْسَج .

وجوابُه أن يُقـال : أحالَ الأمْرَ في ذلك على ما يقْتضِيه الذَّوقُ السليم ، وأشار إلى ذلك بالتَّشْبيه المذكور ، فيُتلطَّف له فى هذا القدْر .

هذا كلامه ، وأما الطِّيبىُّ فإنه قال :

يَحتمِل أن المُرادَ بالبَنَفْسَجِ والشَّقائق عارِضُ الرجل وخَدُّ المرأة ، ويَحتمِل أنها حين الوَداع مَزَّقتْ جِلْدَها ، ولطَمتْ خَدَّها ، أى جمعتْ بين أثرِ اللَّطْم ، وهو شَبيهٌ بالبَنَفْسَج ، وبين لَوْنِ الخدِّ ، وهو شَبيهٌ بالشَّقائق ، لكن الثانى أوْلَى ؛ لأن العارضَ إنَّما يُشَبَّهُ بالبَنَفْسَج عند طَرَيانِ الخُضْرةِ ، وليس فى الشِّعْر ما يدلُّ على شَبابِ الخُضْرة . انتهى .

قال الدَّمامِينىُّ : قلتُ : إنمـا أنشَد فى « التبيان » البيتيْن الأخيرين ، ولم يتكلَّم على معنَى التَّفْريق بين المَحاجِر والمعاجِر فى الاحْتمال الأوَّل ، ولم يتقدَّم فى هذه الأبيات الثلاثة ما يصلُح أن يكونَ مَعادَ الضَّمير فى « فرَّقْن » ، و « جمَّعْن » غير العبرات ، وعليه فلا معنَى لشىء من الاحْتمالَيْن اللَّذيْن أبْداهُما الطِّيبىُّ ، وإنما غرَّهُ فى جَعْلِ الضمير للنِّسوةِ المُودَّعات كَوْنُه لم يظفَرْ بالبيت الأوَّل ، وإلَّا فلو وقَف عليه لَتبيَّن أن العبَراتِ هى مرجعُ الضمير قطعـا ؛ فإنه لا وَجْهَ بعـد ذلك لِنسْبة التَّفْريق والجَمْعِ للنِّسْوة التى لم يَجْرِ لهنَّ ذِكْرٌ .

إلى هنا كلامُه ؛ فإنَّك تَراهُ كيف بيَّن جِهاتِ الخلَلِ فى كلام صاحب « التِّبْيان » ، بما لا يَمْتري فيه مِن ذَوِى الفِطْرةِ إنسان .

وهذا ما ظهَر لنا من الجواب ، الجارِى على مَنْهج الصَّواب ، فنقول :

إن المُفْلِقين من الشعراء ، والمَصاقِعَ من البلغاء ، قد تغالَوْا فى وصفِ الدَّمعِ بما تبتهِج به النفوس ، ويرُوقُ السَّمْع ، فأخرجُوه عمّا هو معهود ومأْهُول،[(1)] وجعلوه مُتَّصِلَ الجَرْيِ دائمَ الهُمول ، من غير فَتْرةٍ فى وقتٍ دون وقت[(1)] ، وادَّعَوا فيه أنه كالمَطَرِ حتى سَقَوْا به الديارَ الآنِسَة ، والأطْلال الدَّارِسَة ، إلى غير ذلك من المُبالَغات الشِّعْرية ، التى لا تنخرِط فى سِلْك التحقيق ، وادَّعَوا أيضا أن الدموعَ تبدَّلتْ بالدَّم ، ومنه قول أبى تمّام[(2)] :

وأجْرَى لها الإشْفاقُ دَمْعاً مُوَرَّداً ... مِن الدَّمِ يجْرِى فوقَ خَدٍّ مُوَرَّدِ[(3)]

ومن هذا اتَّضح بابُ تَشْبيه الدَّمْعِ بالعَقِيقِ والمَرْجان والياقوت، بمُجرَّد حُمْرةِ اللَّون ولمّا غلَب استعمالُ الشُّعَراء للدمع بالدَّم ، وتداوَلَت الأسْماعُ وُرُودَه عليها، وألِفَتْ وُقوعَه فيها ، صار حَقِيقةً عُرْفِيَّةً عند الخاصِّ والعامّ ، وصار هو الأصلُ والدمعُ فرْعاً عليه ، حتى ادَّعَى الشاعرُ أن المحبوبةَ أنكرتْ دَمعَه ، وطالبتْه بالحُجّة والعُذر عن بَياضِه ، فقال :

وقائلةٍ ما بالُ دَمْعِك أبيَضاً ... فقلتُ لها يا عزُّ هذا الذى بَقِي

ألَمْ تعْلمى أن البُكا طال عُمْرُهُ ... فشابتْ دُموعِي مثْلَما شابَ مَفرِقِي

وقال الآخر :

قالُوا ودَمْعِي قد صَفَا لِفراقِهِمْ ... إنّا عَهِدنا منك دَمْعاً أحمـرا

فأجَبْتُهم إن الصَّبابَةَ عُمِّرتْ ... فيكم وشابَ الدَّمْعُ لَمّا عُمِّرَا

وقال بعضُهم فى الدمع الأسود :

وقائلةٍ مابالُ دمعِك أسْوداً ... وجسمُك مُصفرًّا وأنتَ نَحيلُ

فقلتُ لها أفْنَى جَفاكِ مدامِعِي ... وهذا سَوادُ المُقْلتَيْنِ يَسِيلُ

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٢) ديوانه ١٠٠ . (٣) فى الديوان : « فأجرى لها » .

وقال الآخَر فى الدمع الأخضر :

وقائلةٍ مابالُ دمعِك أخضَرا فقلتُ لها هل تفهمين إشارَتِى

ألم تعلمِى أن الدُّموعَ تجففَّتْ فأجرَيْتُها يامُنْيَتِى من مَرَارَتِى[1]

وقال الآخَرُ فى الدمع الأصفر :

وقائلةٍ مابالُ دمعِك أصفرا فقلتُ لها ماحالَ عن أصْلِ مائِه

ولكنَّ خَدِّى اصفرّ من سَقَمِ الهوَى فسالَ به واللونُ لَوْنُ إنائِه

إذا تقرّر هذا ، فنقول : الظاهرُ أن هذا الشاعرَ قصد أن عبرَاتِه هو اتّصفتْ فى حالةِ التَّوديعِ ، وذلك المَهيعِ[2] الفَظِيع ، المُوجِب لنحُولِ الجسد ، وحُلولِ الكَمَد ، وكُسوفِ البال ، وتغيُّرِ الحال ، وتَرادُف الزَّفرات ، وتتابُع العَبَرات ، واضْطرابِ القلبِ ، واضطِرام الصَّدر ، وانْتِهاب الصَّبْر ، بوَصْفين :

أحدهما : أنها لفَرْطِ انْصِبابِهـا ، وتلاحُق تَسـاكُبِهـا ، صارت حِجاباً مانِعا ، وسِتْراً حائلا بينه وبين رُؤْيَة ماهو بمَرْأَى ومَسْمَع منه ، فبهذا الاعْتبار صَحَّ الحُكْمُ عليها بأنها فرّقتْ بين مَحاجِرِه التى كان ينظر[3] منها ، ومَحاجِر المحبوبة التى ينظر[3] إليها ، وهذا وصفٌ مُمْكِن .

والثانى : أن عَبَراتِه اتّصفتْ بلَوْنين مُتقابلَيْن ، وذلك أنه لفَرْطِ بكائِه ، وحُزْنِه وعَنائِه ، فى تلك الحالة الطويلة ، التى تخْدَع العقلَ وتسْحَرُه ، وتملك اللُّبَّ وتقْهرُه ، وتغلِب القلبَ وتبْهَرُه ، فاضتْ عَبَراتُه تارةً دماً أحمَر ، يُشْبِه الشَّقائق فى لونها ، وهذا قريبٌ من الإمْكان ، على ماقِيل : إن أصلَ الدُّموع الدَّمُ ، وتارةً دماً مُشْرَباً بزُرْقة يُشْبِه البَنَفْسَج فى لونه ؛ وهذا بعيدٌ من الإمكان عادةً ، لأن مادّة البُكاء إنما تكون من فُضولٍ تصعّدتْ إلى الدِّماغ من الرُّطُوبات المُنفصلةِ عن هذا الجسم ، وليس فى لونها

(١) فى ا : « أن الجفون تجففت » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) المهيع : الطريق الواسع .

(٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

زُرْقة ، ولكنّ هذا من المُبالغات الشّعْرية ، التي لا تنخرط في سِلْك التّحْقيق ؛ لكونها مقبولةً عندهم ، بل كلّما زاد الشاعرُ في ادّعاء غيرِ المُمكِن كان الشعرُ مُستحسَنا ، حتّى قيل : لو صدَق الشعرُ لَمَا استُحْسِن .

غيرَ أن هذا وإن كان بعيداً عن الإمكان ، يُقرّبُه أنّ حالةَ التّوْديع تُوجِب تَغيُّراً[1] في سِحْنةِ الوَجْهِ ، بحيث يتراءى أنّ فيه زُرْقةً ، فإذا فاضتْ عليه العَبَرات ، تلوّنتْ بلَوْنِه ؛ لكونِه جوهراً شَفّافاً ، يتلوّن بلَوْنِ إنائه .

وهذا له مَساسٌ بمقاصدِ الشُّعراء[2] وتخيُّلات البلغاء ، خصوصاً والدمعُ قد تَغالوا فيه ، حتى أخرجوه عن سَعَةِ دائرةِ الإمكان ، [3] إلى أوْسَع مَكان[3] ، ألا ترَى إلى ما تخيَّلَه بعضُ الشُّعَراء[2] ، في وَصْفِه بالزُّرْقةِ حيث قال مُخبِّراً عن محبوبته :

قالتْ وقد نظَرتْ لزُرْقةِ أدْمُعِي ... أكَذَا يكون بكاء صَبٍّ شَيِّقِ

فأجبْتُها قدماتُ في جَفْنِي الكَرَى ... فجرَتْ دُموعِي في الحِدادِ الأزْرَقِ

إذا تقرّر هذا ، ظهَر لك صِحّةُ الحُكْم على عبارته بأنها جَمعتْ بين البَنَفْسج ، وهو الدمعُ الموصوفُ بما ذُكِر ، والشّقائق ، وهى الدمعُ الذى استحال دماً ، فأشْبَهَ الشقائقَ في لونِها ، من غيرِ نَظَرٍ إلى عَبَراتِ المحبوبة التى لم يكن في سِياقِ الأبيات ما يدُلُّ على أنها كانت مَكْحولةً ، كما اعترف هو به ، وتكلَّف لها جواباً لا يُسْمِن ولا يُغْنِى من جُوعٍ .

على أن الدمعَ المُشْرَبَ بالكُحْلِ لا يحسُن أن يُشبَّه بالبَنَفْسَج ، كما هو ظاهر ، فإن البنفسج ، إنما يُشْبِه ما فيه زُرْقةٌ لا سَواد .

وهذا وَجْهٌ جميل ، له من اللّطافة ماترَى ، وأنت إذا تابعْتَ النّظرَ يُوشِك أن يلُوحَ لك وَجْهٌ آخَر .

⁂

---

(١) في ا : « تغيرا » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) ساقط من : ج ، وهو في : ا ، ب .

(٣) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، وحدها .

# ٣٤٣

## تاج العارفين بن عبد المال*

تاجُ مَفْرِق عَصْرِه ، وغُرَّةُ جَبِين مِصْرِه .

من بيتٍ عِلمُهُ مُنْسَجِمِ الغَمائم ، عَمَّ نَفْعُهم العالَم ، من منذ تتوَّجُوا بالعَمائم .

وقد نبَغ هو كما شاءتْ مَعاليه ، فازدانتْ به أيَّامُه ولَيالِيه .

مَهابَة تقدُم[1] لَحْظَتَه ، وبَراعة تتَّقِدُ[2] لَفْظَتَه ، ولُطفاً مُلِئَ به جِسْمُهُ ، وصَفاء قام به وَسْمُه .

فمَناقِبُه غُرَرٌ على أوْجُهِ الأيام تَسِيل ، وشَرَفُه لا يلْحَقه السابِقُ ولا الرَّسِيل[3] .

***

وله شِعْرٌ وإنْشاء رائِقان ، وفى مَعارِجِ اللَّطافة إلى فَلَكِ القَبُول راقِيان .

وقد جِئْتُك منهما بما تشْتَمُّ به نَفَساً يُنْسِي السَّوْسَنَ المَبْلُول ، وتَنْفَح منه نفَحاً يُهْدِي لك نَوْرَ الرُّبَى المَطْلُول .

فمن ذلك ما كتبه إلى عبد الرحمن المُرْشِدِيّ[4] ، مُفْتِي مكَّة[5] :

أذَكرْتَ رَبْعاً من أُمَيْمةَ أقفَرَا فأسَلْتَ دمعاً ذا شُعاعٍ أحْمَرَا

---

(*) تاج العارفين بن أحمد بن أمين الدين بن عبد المال الحنفى المصرى .

روى عن والده عن جده ، وقد روى والد جده عن الحافظ بن حجر العسقلانى ، وأجازه شيوخ عصره بالإفتاء والتدريس .

وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر ، وأفاد الطلبة ، وله مؤلفات عديدة ورسائل شهيرة فى فقه الحنفية ، وألف رسالة وسماها « الزلف والقربة » فى تعمير ماسقط من الكعبة » ، وذلك حينما سقطت جوانب البيت الحرام .

توفى فى حدود الأربعين وألف .

خلاصة الأثر ١ / ٤٧٠ — ٤٧٣ .

(١) فى الأصول : « تقديم » ، ولعل الصواب ما أثبته . (٢) فى ا : « تقدم » ، وفى ب : « تتقدم » ، والمثبت فى : ج . (٣) الرسيل : الفرس الذى يرسل مع آخر فى السباق .

(٤) تقدمت ترجمته فى هذا الجزء ، برقم ٢٧٥ . (٥) القصيدة فى خلاصة الأثر ١ / ٤٧١ ، ٤٧٢ ، وهى هناك أتم وأطول .

أم شاقَكَ الغادُون عنكَ بسُحْرَةٍ ... لَمّا سَرَوا وتَيَمَّمُوا أُمَّ القُرَى

زَمُّوا المَطِيَّ وأعْنَقُوا فى سَيْرِهم ... لِلّهِ دمعِى خَلْفَهم ياما جَرَى[1]

ما قُطِّرَتْ فى السَّيْرِ أجمالٌ لهم ... إلّا ودمعى فى الرِّكابِ تقطَّرَا[2]

فكأنَّ ظَهْرَ البِيدِ بَطْنُ صَحِيفةٍ ... وقِطارُها فيه يُحاكِى الأسْطُرَا

وكأنّهـــا بهوادِجٍ قد رُفِّعتْ ... سُفُنٌ ودمعُ الصَّبِّ يحكى الأبْحُرَا

رحَلُوا وما عادُوا على مُضْناهمُ ... وَاهاً لحظِّى ليت كنتُ مُؤَخَّرَا

إن كان جسمى فى الدِّيارِ مُخَلَّفاً ... فالقلبُ منهم حيث قالُوا أهْجَرَا[3]

أظْهرْتُ صبرِى عنهمُ مُتجلِّدًا ... وكتَمْتُ وَجْدِى فيهمُ مُتستِّرَا

وغدا العَذُولُ يقول لى من بعدِهم ... بَادٍ هواكَ صَبَرْتَ أم لم تَصْبِرَا

أقسمتُ إن جادَ الزمانُ بمطْلَبِى ... وسلكْتُ رَبْعاً بالمَناسِكِ عُمِّرَا

وشهِدتُ بَدْرَ الحيِّ بعــد أُفُولِهِ ... مُذْ لاح مِن أُفْقِ السعادةِ مُقْمِرَا

أدَّيْتُ خدمةَ سيِّدٍ سَنَدٍ غدَا ... مُفْتِى الأنامِ ورِاثةً بين الوَرَى

***

وكتبت إليه أيضاً[4] :

مَلَكتْ سَوْرَةُ الرَّحِيلِ عِنانِى ... وأهاجتْ سَواكِنَ الأشْجانِ

آتمَنّى أسْرى وهل يملِك السَّيْـ ... ـرَ طَرِيحُ النَّدَا أسيرُ التَّدانِى[5]

يا خليـــلَىَّ وَقْفـــةً بالمُصَلَّى ... تُجْدِ حَمْدَ السُّرَى ودَرْكَ الأمانِى[6]

فاعْطِفا وانْزِلا وبُثّا سَلامِى ... لِوَجِيهِ العُـــلَى فريدِ المَعانِى

أنا بيْن لَوْعةٍ عَلِمَ اللّـ ... ـهُ وشَوْقٍ له بِطُولِ الزَّمانِ

---

(١) أعنق فى سيره : سار سيرا سريعا. (٢) فى الخلاصة : « ماقطرت للسير » . (٣) أهجر : سار فى الهاجرة . (٤) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٧٣ ، وذكر أنه كتب بها إليه سنة ثلاثين وألف .
(٥) فى الخلاصة : « أسير الندى » . (٦) فى الخلاصة : « عند حمد السرى » .

أَيْنَ مِنِّى الحَنِينُ من ذاتِ طَوْقٍ سَلَبَتْهَا النَّوَى غُصونَ البَانِ[١]

لو تُطِيقُ النِّيَاقُ شوقِى لمـــا حَنَّـ ـتْ خُضوعاً مِن تُرْبِها أجْفانِى[٢]

وبقلـــبِى من الوَجِيبِ إليـــهِ مِثْلَمَا بالنِّيَاقِ مِن دَمَلانِ[٣]

فَوَعَيْشِ الصِّبا وحَيِّ التَّصابِى ولَيالِى الرِّضَا وأُنْسِ التَّدانِى[٤]

إنَّ قَصْدِى لُقْياكَ لكِنْ قِيادِى بِيَدٍ لِيس لى بها مِن يَدانِ

***

فأجابه بقوله[٥] :

يا خليلىَّ بالصَّفا أسْعِدَانِى وبوَصْلٍ من الإياسِ عِدانِى[٦]

واحْمِلَا بعضَ ما أُلاقِى وبُثَّا حالَ صَبٍّ مُتيَّمِ القلبِ عانِى

جسمُه فى جِيادَ والقلبُ منـــه فى قُرَى مصرَ دائمُ الخَفَقانِ[٧]

لم يَزَلْ شَيِّقًا وَلُوعًا دَواماً شاخِصَ الطَّرْفِ ساهِرَ الأجْفانِ

يرقُبُ النَّجمَ ليْــلَه وإذا أصْـ ـبحَ أضحَى مُناشِدَ الرُّكْبانِ

هل رأيتُم أو هل سمعتُم حَدِيثاً عن قديمِ الإخَا عظيمِ المعانِى

هو تاجٌ لِلعارفين الذى قد نالَ إرْثاً عَوارِفَ العِرْفانِ[٨]

خُصَّ بالعِلْمِ والرِّياسةِ والوُدِّ ، وهَذِى مَواهِبُ الرحمنِ

فهو كَنزٌ ومَجْمَعٌ لعُلوم قد حَواها بغايةِ الإتْقانِ[٩]

وهو صَدْرُ الشريعةِ المَشْرَعُ العَذْ بُ البَسِيطُ المُحِيطُ والبُرْهانِ[١٠]

---

(١) لم يرد هذا البيت فى الخلاصة . (٢) فى الخلاصة : « لما جفت خضوعا » . (٣) فى الخلاصة : « بالنياق من ثهلان » .

والدملان : إصلاح الأرض بالدمال ، والدمال : ما وطئته الدواب من البعر والتراب .

(٤) فى الخلاصة : « وعهد التصابى » . (٥) الجواب فى خلاصة الأثر ١/٤٧٣ .

(٦) ا : « وبوصلة من الإياس » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، وفى ج : « من الإياس مدانى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة . (٧) جياد : هى التى يقال لهـــا أجياد، وتقدم التعريف بها .

(٨) فى الأصول والخلاصة : هكذا « للعارفين » . (٩) فى الخلاصة : « وجامع لعلوم » .

(١٠) يشير إلى صدر الشريعة من أئمة الحنفية ، وإلى بعض كتب الفقه لديهم .

دام فينـــا مُبلِّغاً ما يُرجَّى من مُرادٍ ورِفعةٍ وأمانِي
ما تغنَّى على الرِّياضِ هَزارٌ رَقَّص الغُصْنَ فى رُبَا البُسْتانِ[1]

***

وكتب إليه أيضاً[2] :

اليومُ مثلُ العامِ حتى أرَى وَجْهكَ والساعةُ كالشَّهرِ

إن أبْهَى ما تجمَّلتْ به السُّطور والطُّروس ، وأشهى ما استعْذَبتْه الأنفُسُ وتطلَّبتْه النُّفوس ، دعاء على مَرِّ الدهور لا ينقضِى ، وابتهالٌ بأكُفّ الضَّراعةِ للإجابة مُقتضِى ، أن يُديمَ على صفحاتِ الوُجوه شامةَ دهرِها ، وواحدَ وقتِها ، وعالِم عصرِها .

المُستجمعَ لمكارمِ الأخلاقِ والشِّيَم ، والمُنفردَ بمَزاياها عند الخَلْقِ والأُمَم .

المُشتهَرَ عند العرب والعجم بأنه ملَكَ من العِلْمِ زِمامَه ، وجعَل المُكوفَ عليه لِزامَه .

فانْقادَ إليه انقِيادَ الجواد ، وجرَى فى مَيْدانِه بحُسْنِ السَّبْقِ والفِكرِ الوَقَّاد .

عالِمُ الغرب والشرق ، ومُزيلُ ما تعارَض من المسائلِ بحُسْنِ الجَمْعِ والفَرْق .

الجامع بين رياسَتَيِ العِلمِ والعمل ، والمانعُ بإخْلاصِ السَّريرة من لُحوقِ عَوارِضِ العِلَل .

كنزُ العلوم والكَشْف ، بحرُ الهداية الذى ارْتَوِىَ منه بالعَبِّ والرَّشْف .

صدرُ الشريعةِ الغرَّا ، وشيخُ حَرَمِ اللهِ بالإفتاء والإقْرا .

مَن لا[3] يُمكِن حَصْرُ وصفِه بالتَّفصيل ، فإنَّ الإطْنابَ فيه طويل ، وإنما أُحِيل على ما قِيل :

أنت الذى وَقَفَ الثَّناء بسُوقِهِ وجرَى النَّدَى بعُروقِه قبلَ الدَّمِ

☆☆☆

---

(١) جاء عجز البيت فى الخلاصة هكذا :

* وأجابته إلْفُهُ بالأغانى *

(٢) هذا الفصل فى خلاصة الأثر ١/٤٧٢ ، وفيه أن ذلك كان سنة ثلاثين وألف .

(٣) فى ج : « لم » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة .

## ٣٤٤
## عبد الجوّاد بن شُعَيب الخوانكيّ*

شاعرٌ مُتَّسِع الباع ، مُعتدِل الطِّباع فى الانْطِباع .

فهو ليس بالنَّاسِك البارد ، ولا الفاتِك المارِد .

ولا بالمُتَعَفِّر[1] المُتقشِّف ، ولا بالخليعِ المُتكشِّف .

يشُوبُ الحصافةَ بالفصَاحة ، ويَزِينُ اللَّباقة باللِّياقة .

ويجمعُ بين الجِدِّ المقبول والهزْل المطلوب ، ويستشِفّ عما يُقِرُّ العيونَ ويَسُرُّ القلوب .

***

وقد أوردتُ له ما محلّه الخلَد ، وإذا نقدْتَه علمتَ أن قائلَه من نقْد البَلَد .

فمن ذلك قولُه :

وَيْلاهُ يهجُرنى عَمْداً بلا سببٍ ... وفى محبّتهِ الأمثالُ تُضْرَبُ بِى

ليت الصَّبابةَ ما كانتْ ولاخُلِقتْ ... فإن آخرَها يُفْضِى إلى العَطَبِ

شهراً ثلاثين يوماً لا أراكَ ولا ... عَيْنِى رأتْك فقلبى زائدُ الوَصَبِ

ولا تخطُّ كتاباً منك تُخْبِرُنى ... أعَنْ رِضًى كان هذا الصَّدُّ أم غضبِ

---

(*) عبد الجواد بن شعيب بن أحمد الخوانكى المصرى الشافعى القاضى .
أخذ عن النور الزيادى ، ومن فى طبقته ، وأخذ عنه جماعة .
وكان صوفى المشرب ، ذا تقوى ظاهرة ، كثير الحفظ للأشعار ، ذا نظر فى العلم دقيق .
وله مؤلفات ؛ منها رسالة سماها : « القهوة المدارة فى تقسيم الاستعارة » ، و« النسيم العاطر فى تقسيم الخاطر » .
قدم مكة حاجا ، وجاور بها سنة ثلاث وستين وألف ، وأخذ عنه كثير من فضلائها ، ورجع إلى بلده ، واستمر بها إلى أن توفى سنة ثلاث وسبعين وألف .
الخطط التوفيقية ١٢٤/١٤ ، خلاصة الأثر ٣٠١/٢ ـ ٣٠٣ .

(١) فى ب : « بالمقتصر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

ولا يمرُّ خيالٌ منك فى حُلُمِى فأطمئنُّ وهذا غايةُ العَجَبِ
وكيف يسرِى خيالٌ والكَرى منعتْ بناتُ نعْشٍ به فى أعيُنِ الشُّهُبِ
كأنه كان جِنِّيًا يُسارِقُنِى فأحْرقتْه فما أبقتْ سِوى اللَّهَبِ

***

وقوله :

سِربُ جِنانٍ فى جِنانٍ وبِى يمْشى مع الغِزْلانِ فى رَبْرَبِ
يرْتَعُ فى النَّرْجِسِ أو يرْتقِى حَبَّةَ قلبِى بَدَلَ الزَّرْنَبِ[1]
ترْفُـــل بالسُّنْدُسِ أعطافُه أعطافُ غُصْنِ البانةِ المُخْضَبِ
فى صَنْعةِ السِّحْرِ لأجْفانِه أشياءُ عن هاروتَ لم تُكْتَبِ
قد عقَدَ النَّوْمَ وغلَّ الكَرى مِنِّى ولا تسلْ ما حَلَّ بى
حُلْوُ الجَنَــى مُرُّ الجَفَا قُرْطُه عرَّفنِى مَنْزِلةَ الكَوْكَبِ
وَرْدُ الرُّبَى يقْطَفُ من خَدِّه والشُّهْدُ من معْسولِه الأشْنَبِ
أسكَرنِى منه عُذَيْبُ اللَّمَى لو لم يكنْ ذا بارِقٍ خُلَّبِ
أطمَعنِى فى وَصْـــلِه مرَّةً وقال يا أطْمَعُ من أشْعَبِ

***

قوله : « والشهد » مُبتدأ خبرُه الجملة ، فلا يرِد أن القَطْفَ فى العسل غيرُ لُغوِىّ ، على أنه يُمْكِن فيه ارْتـكابُ التجوُّزِ ، فيُسْتَعْمَل فيه كما اسْتُعْمِل فى قَطْف الزَّهْر ، وأصلُه من قَطْف الكَرْم .

***

ومن صَنائِعه قوله :

ومن عَجَبٍ سَفْكُ الجفونِ دماءَنا وعَهْدِىَ أن السيفَ يقطَعُ لا الغِمْدُ
وأعْجَبُ من هـــذا تُشَقُّ قلوبُنا ولا أوْضَحتْ عظماً ولا خَدَشَ الجِلْدُ

(١) الزرنب : نبات طيب الرائحة ، أو هو الزعفران .

وأعْجَبُ من هذين تجنِّي تعمُّداً ... ويُقْضَى لها أن لا قِصاصَ ولا حَدُّ
وأعْجَبُ من تلك العجائبِ أنَّنِي ... بقَتْلِيَ رَاضٍ وهْو يغضبُ من بَعْدُ
وأعجَبُ منها مرَّتَيْن شِكايتِي ... وهل يملِكُ الشَّكْوَى من السَّيِّدِ العَبْدُ
وأعْجَبُ منها مرَّتيْن ومَـــرَّةً ... يَصُدُّ فيدْعُونِى لِطاعتِه الصَّدُّ
وأعْجَبُ من أضْعافِها قَوْلُ عَاذِلِي ... تَسَلَّ ألَا لو كان فى عَاذِلٍ رُشْدُ
وأعْجَبُ شيء مُطْلقاً أنه اجترَى ... ولم يَدْرِ مَن أهْوَى أزينبُ أم دَعْدُ
أما والذى أبْكَى وأضْحَك لم يكُنْ ... لِيَخْلَقَ لولا خَدُّه الآسُ والوَرْدُ

***

ومن شِعْره قولُه من قصيدة، أولها:

يا رَبَّةَ الخَلْخَـــالِ والقُرْطِ ... والمِطْرَفِ المَوْشِيِّ والمِرْطِ
عَطفاً فإنِّى لم أحِـدْ يوماً ... عن حِفْظِ ذاك العهدِ والشَّرْطِ
قِفِى انْظُرِى ما حَـلَّ بى إنِّى ... قد ضُرِبَ الأمْثالَ بى رَهْطِى
وغادةٍ بَيْضَـــاءَ مِعْناقٍ ... قَوامُها كالأسْمَرِ الخَطِّى[1]
لهـا رُضابٌ ولهــا ظَلْمٌ ... كالشُّهْدِ مَمْزُوجاً بإسْفَنْطِ[2]
رأيتُها فى رَوْضَـــةٍ يَوْماً ... تَخْتالُ بين الأثْلِ والخَمْطِ[3]
فقلتُ نَاشَدْتُكِ إلَّا ما ... عَجِلْتِ لى من وَصْلِهِ قِسْطِى[4]
فوجَّهتْ وَجْهَ الرِّضَا نَحْوِى ... وأعْرَضتْ عن وِجهةِ السُّخْطِ

***

وقوله[5]:

ما اصْطَفَى قلبِيَ إلَّا مُصْطفَى ... هُوَ حَسْبِى من حبيبٍ وكَفَى
أسْعَدَ اللهُ تعـــالى طالِعاً ... حَلَّ فيه وأراه الشَّرَفَا

---

(١) صدر هذا البيت وبعض الأبيات الأخرى مضطرب الوزن كما ترى. (٢) الإسفنط: الخمر.
(٣) الخمط: الشجر لاشوك له. (٤) فى ا، ب: «من وصلة تسطى»، والمثبت فى ج.
(٥) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢ / ٣٠٢.

ما عليه لو سقاني ريقَــهُ إنه الشُّهْدُ وفى الشُّهْدِ شِفَا
إنْ وَفَى الدهرُ به فى ليــلةٍ فهوْ عندى دائماً أهلُ الْوَفَا

***

وكتب إلى صديق له :

قُلْ للذى أنا ثابتٌ فى حُبِّــه وهَواهُ وهْو مُبَدِّلٌ مِيثاقِى
إنّى لأرْضَى أن تُنَوِّه بى ولو فى آخِرِ القِرْطاسِ بالإلحاقِ (1)

***

وله فى الدُّخان :

هل آيةٌ جاءتْ بتحْرِيمِه أو هل حديثٌ نبَوِيٌّ وَرَدْ
فقُمْ إلى الْغابَةِ وانْهَضْ لها لا يقْرَبُ الْغابةَ إلّا أسَدْ



---

(1) فى ا : « فى آخر الميثاق » ، والمثبت فى : ب ، ج .

## ٣٤٥

## عبد الباقي الإسحاقي*

شاعرٌ تجاوَزَ في الرِّقَّة الحدّ ، فكأنما تكوَّن من سِحْر الجَفْن ورِقَّة الخدّ .

فشِعْرُه عليه رَوْنقٌ باهرٌ من الحُسْن ، وهو أفْعَلُ في القلوب من التَّفْتيرِ في الجُفون الوُسْن .

باخْتراع المعاني ذو صَبابة ، يَرْمِي الغَرضَ البعيدَ عن قَوْس الإصابة .

وقد جاء في هذه الخُطَّةِ أُمَّـةً وَحْـدَه ، فلم يجْهَلْ أحدٌ من أهـلِ العصرِ رَسْمَه وحَدَّه .

فابنُ نُباتةَ لم ينَلْ حلاوةَ معانيه ، وابنُ سُكَّرة[1] عزُبَتْ عنه عُذوبةُ مبانيه .

***

وقد أوردتُ له ما تتَغايرُ على رَوْنَقِه دَرارِيُّ البُحور ، وتمايَلُ له طَرباً أغصانُ القُدود المُثمِرة بِثِمارِ النُّحور .

فمن ذلك قوله[2] :

تمشَّتْ لنا تُخْجِلُ الكَوْكَبَا     فناديتُها مَرْحَباً مَرْحَبـــا

---

(*) عبد الباقي الإسحاقي المنوفي .

أديب فائق ، وشاعر فاضل .

قرأ ببلده منوف على شيوخ كثيرين ، وتردد إلى القاهرة ، وأخذ بها عن أكابر علمائها .

وكان قاضيا فاضلا ، عالما ، مؤرخا ، له نظم لطيف ، ألف « تاريخا » ، ورسائل كثيرة .

توفي بمنوف ، سنة نيف وستين وألف .

خلاصة الأثر ٢/٢٨٩ ـ ٢٩١ .

(١) محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمي ، المعروف بابن سكرة .

من شعراء اليتيمة ، وهو شاعر فائق في الملح والطرف .

توفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة .

تاريخ بغداد ٥/٤٦٥ ، وفيات الأعيان ٤/٤٠ ، يتيمة الدهر ٣/٣ .

(٢) القصيدة في خلاصة الأثر ٢/٢٨٩ ، ٢٩٠ .

غزالةُ إنسٍ لها طَلْعَـةٌ   إذا خالَها الصَّبُّ حقًّا صَبَا
أدارتْ بحضرتنـا قهوةً   وطافتْ بكأسِ الطِّلا مُذْهَبَا
رَنَتْ ورَمَتْنِي بألحاظِهـا   وقد أذْكرتْنِي عهدَ الصِّبَا
فلو أنَّ نَظْرتَها كالظُّبـا   لَهَانَ ولكنْ كحدِّ الظُّبَا
وغنَّتْ لنا فطربْنَا لها   فياحُسْنَ ذاكَ الذى أطْرَبَا
غَزاليَّةٌ آنَسَتْ صَبَّها   وأنستْ محبَّتُها زَيْنَبَـا
فَهِمْنَا فَهِمْنَا غَراماً بهـا   وعن حالتى حُبُّها أعْرَبَا[1]
وصبَّرتُ قلباً غدَا هائمـاً   وقد كاد فى الحبِّ أن يَذْهَبَا
ففيها مَديحى عَذْباً يُرَى   وفى غيرِها المدحُ لن يَعْذُبَا
سأجمـلُ فى وَصْفِها نُبْذَةً   وأركبُ فى حُبِّها أشْهَبَا
مدحتُ فقصَّر قلبى المديحَ   وكان مُرادِىَ أستَوْعِبـا
وإنِّىَ فى وَصْلِهـا سيِّدى   تَرانِىَ بين الورَى أشْعَبَا
فباللهِ يانَسْمةَ البـانِ إنْ   حففتِ على حَىِّ ذاكَ الرُّبى
وجُزْتِ رِياضاً بها غادتى   فهاتِ لنا عن حُلاها نَبَا
أيا عاذِلِى فى هَواها اتَّئِدْ   حديثُك عندىَ مثلُ الْهَبَا
سقى اللهُ رَوْضاً به سادتى   من الوَبْلِ غَيثاً به صَيِّبَا
لأنِّىَ باقٍ على عهـدِهمْ   أرَى حُبَّهم مَذْهَباً مُذْهَبَا

***

وقوله[2] :

أذَكَرْتِ أيَّتُها الحمامـةُ غِيدَا   ومَعاهِـداً سلَفتْ لنا وعُهودَا

---

(١) « فهمنا » الأولى من الفهم ، والثانية من الهيمان .

(٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢ / ٢٩١ .

وصَدَحْتِ فوق أراكةٍ فصَدَعْتِ قلْ ... ب شَجٍ وحين صمَدْتِ ذا الأُمْلودَا [1]
ذكَّرْتِ أشجانًا لنــــا ومَعاهِدًا ... وصفًا تقضَّى طارِفًا وتَليدَا [2]
هــذا على أن الغرامَ إذا زكَا ... طَــلَّ الشَّجِى يتوقَّعُ التَّغْرِيدَا
لله أيامٌ نعِمتُ بهــــا وقد ... عقَد الغَمامُ على الغصونِ بنودَا
حيث الشَّجِي طَوْرًا يُحَمِّشُ كاعِبًا ... ومن الجوَى طوْرًا يُحَمِّشُ رُودَا [3]
حيثُ الشَّمالُ يُحرِّكُ العَذَباتِ إذْ ... يخْطُو ويخطِر فى الرِّياضِ وبِيدَا
حيثُ المَثانِي والمَثالثُ هــذه ... ترْنُو وذِى تُشْجِي تُحرِّكُ عُــودَا
هذا ومَعْ أنَّا ولو طفَحَت كُؤو ... سُ الرَّاحِ واشْتعل المُدامُ وَقُودَا
ما حرَّكتْ مِنَّا الشَّمُولُ سِوَى الرُّؤو ... سِ كذا الشَّمالُ تُحرِّكُ الأُمْلُودَا [4]
أتُرُوبُ هاتِيك اللُّوَيلاتُ التى ... فيها نظَمْتُ لآلِئًا وعُقــودا
ولَرُبَّ خِلٍّ حاز أنواعَ الذَّكا ... ولِذَا غدَا فى المَكْرُماتِ فريدَا
سامَرْتُه وجنَوْتُ من ألفاظِه ... ما يُخْجِلُ الصَّهْباءَ والمَنْقودَا [5]
وجَلا علىَّ عَرائِسًا من فِكْرِه ... حَسُنَتْ طُلًا ومَعاطِفًا وقُدودَا
وأفادَنِي وأفَدْتُه والخِــلُّ يحـ ... مَدُ أن يُفــادَ مَعانِيًا ويُفِيدَا
فالعقلُ نامٍ والعَفافُ بحــالِه ... ومُجِيدُ فِكْرتِنا اسْتمرَّ مُجِيدَا
يا عبدُ فابْقِ على اصْطِباحِك واغْتبا ... قِك واصْحَبَنَّ العَهْدَ والمَعْهودَا

***

ومن مُطرِباته قوله :

رقص المجلسُ أُنْسًا فاجعلِ الجرَّةَ كأْسًا

---

(١) فى الخلاصة : «فوق أراكة فتصدعت * قلبا وحين . . » .
والأملود : الغصن الناعم .

(٢) فى الخلاصة : « أذكرت أشجانا » . (٣) فى الخلاصة : « يحمش رودا » .

(٤) فى الخلاصة : « ما حركت منا المدام » . (٥) هكذا فى الأصول : « وجنوت » .

واسْقِنِي بالزِّقِّ والطَّا ... سِ فإنِّي رِبْتُ نَفَسَا

وأقِمْ للّهْوِ واللَّـذَّا ... تِ في حانِيَ عِرْسَا

قد غرسْنا زَهْرَ حُبٍّ ... فَجَنَيْنَا منه غَرْسَا

فأمْلَ لِي حتى ترى الأعْـ ... ـرابَ في المَنْطِقِ خُرْسَا[١]

لا ولا تقْنَعْ بذا حتَّـ ... ـى ترى النُّدْمانَ خُرْسَا

ما بهم قَطُّ حَـراكٌ ... لا ولا تَسْمَعُ هَمْسَا

حَبَّذا بِكْرٌ عَرُوسٌ ... قد حَكَتْ في اللَّوْنِ وَرْسَا

هي عَـذْراء عجوزٌ ... لم تكُنْ تَنْفُضُ لَمْسَا

وعجيبٌ لعَرُوسٍ ... أدْرَكَتْ قُسًّا ورَسَّا[٢]

وهي لِي سِتٌّ ولكنْ ... ملكتْ مِنِّيَ خَمْسَا

***

قولهم: «ستي» بمعنى «سيدتي» خطأ[٣]، وهي عامِّيَّة مُبْتَذَلَة، ذكره ابنُ الأعْرابيّ، وتأوَّله ابنُ الأنْباريّ فقال: يريدون يا سِتَّ جِهاتِي. وتبعه في القاموس، فقال: وسِتِّي للمرأة، أي يا سِتَّ جِهاتِي[٤]؛ كِناية عن تملُّكِها له، ولا يَخْفَى أنه تكلُّفٌ وتمحُّل.

وإليه أشار بَهاء الدِّين زُهَيْر[٥]:

بِرُوحِي مَن أُسَمِّيها بِسِتِّي ... فتنْظُرُني النُّحاةُ بعَيْنِ مَقْتِ

يرَوْنَ بأنَّني قد قلتُ لَحْنًا ... وكيف وإنَّني لَزُهَيْرُ وَقْتِي

---

(١) في ب: «في المنطق فرسا»، والمثبت في: ب، ج.

(٢) يصفها بالعتق، فهي قد أدركت قس بن ساعدة الإيادي، وأدركت قوم الرس، من الأمم البائدة.

(٣) هذا نقل عن شفاء الغليل ١٢٢، ١٢٣. (٤) هذا آخر ما نقل عن القاموس، وبعده فيه: «أو لحن، والصواب ياسيدتي». (٥) الأبيات في: ديوانه ٢١، شفاء الغليل ١٢٣.

ولكنْ غادةٌ ملَكتْ جِهاتِي فلا لَحْنٌ إذا ما قلتُ سِتِّي

***

كيف لا وتُرِينِي في دُجا الظَّلْماءِ شَمْسَا
وتُقِيمُ المَيْتَ حيًّا بعدَ ما جاوَرَ رَمْسَا
فاتَّخذْناها إلى الخلْوةِ في المجلسِ عِرْسَا
واصْطَفَيْناها إلى جَيْشِ هُمومِ القلبِ تُرْسَا
واتَّقينا بظُباهَا في الْوَغَى جِنًّا وإنْسَا
هاتِها من يدِ ظَبْيٍ يُكْسِبُ النُّدْمانَ أُنْسَا
وإذا عزَّتْ سَقَى مِن لَحْظِهِ الأَدْعَجِ نَطْسَا (١)
فيه أضْحَى القلبُ مُغْرًى مِثْلَما أصبح أمْسَى
فإلى اللَّذَّاتِ أشْكُو زمَنًا لِلَّهْوِ أنْسَى
صار فيه القلبُ صَخْراً وغدا المَضْجَعُ حَبْسَا
ولقد عَمَّ معالِيَم الذَّكا نَوْعًا وجِنْسَا
ما ابنُ إسْحاقَ بأزْكَى منك أنفاساً ونَفْسَا
إن تأسَّيْتَ تَسَلَّيْتَ فخَبِّرْ من تأسَّى (٢)

***

وله في الغزل :

يُحرِّكُني إليك هوًى مُطاعُ فأحمِلُ فيك ما لا يُستطاعُ
وأركبُ مَرْكَبًا في الحبِّ صَعْبًا تضيقُ به الأماكنُ والبِقاعُ

(١) في ا : « لحظها الأدعج » ، والمثبت في : ب ، ج .
والنطس : العالم بالشيء ، وفي المادة معنى المبالغة في الشيء . انظر اللسان ( ن ط س ) ٦/٢٣٢ .
(٢) في ا : « تخبر من تأسى » ، والمثبت في : ب ، ج .

فلِلْعَبَراتِ فى الخدِّ انْدِفاقٌ ... ولِلزَّفَراتِ فى الصَّدْرِ انْدِفاعُ

وفى هذِى رُمِيتُ بكلِّ بَلْوَى ... تدَاوَلَ ذِكْرَها الرَّهَجُ الرَّعاعُ[1]

وبَلْوَى الدهرِ تنزِل كلَّ يومٍ ... بكلِّ فتًى له فى السَّبْقِ بَاعُ

تطاوَلَ فى المَكارِمِ منه طَوْلاً ... له فى عالَمِ الغيبِ اطِّلاعُ

فما ذَنْبِي سوى أنِّى مُحِبٌّ ... وفى كَبِدِى من الحبِّ انْصِدَاعُ

ولى فضلُ التَّقدُّمِ فى انقطاعٍ ... إليك وليس لى عنك انقِطاعُ

أضَعْتَ مَودَّتِى ونسِيتَ عهدِى ... وعهدِى فى المَحبَّةِ لا يُباعُ

وكنتُ قنِعْتُ بالكِتْمانِ فيكم ... فأمَّا اليوم فانْكَشف القِناعُ

وكنتُ إذا سمِعتُ لكم حديثاً ... يُحرِّكُنى من الوَجْدِ السَّماعُ

فإن تَعطِفْ على عبدٍ مُضاعٍ ... فإنِّى ذلك العبدُ المُضاعُ

وقد طلَّقْتُ سَلْوتَكم ثلاثاً ... طلاقاً ليس لى فيه ارْتجاعُ

على أنى سأُنْشِد عند بيْعِى ... أضاعُونى وأىَّ فتًى أضاعُوا[2]

***

ومن مُطْرِباته قوله[3] :

امْلَ لى الكاسَ تَماماً ... واسْقِنِى جاماً فجاماً

واجْعَلِ الدُّرَّةَ كأساً ... وخُذِ التِّبْرَ مُداماً

تَمِّمِ الكأسَ فإنَّ الْ ... كاسَ ما كان تَماماً

واتَّخِذْها سُلَّماً لِلْ‍ ... ‍لَهْوِ يسْمُو أن يُسامَى

وتوهَّمْ أنها الحِلُّ ... م وإن كانتْ حَراماً

---

(١) يعنى سفلة الناس وغوغاءهم . (٢) ضمن صدر بيت العرجى المشهور ، وعجزه :

* ليوم كَرِيهةٍ وسَدادِ ثَغْرِ *

الأغانى ١/٤١٣ ، زهر الآداب ٥٥٩ .

(٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٢٩٠ ، ٢٩١ .

ثم أزهى موضعٍ في الرَّ　وضِ فاخْتَرْه مُقاما
وإذا ما شئتَ أنْ تسْـ　كرَ فاسْتَدْعِ النَّدامى
ولْيكُنْ خمْرُك عَا　دِيًّا وساقِيك غُلاما (١)
يمْلأُ الكاساتِ والأقْـ　حانَ بُرْءا وسَقاما
يملأُ القلبَ سروراً　وانبساطاً وغَـــراما
عابثاً بالغُصْنِ أعطا　فًا وبالزَّهْرِ ابتساما
ومُحَـــلًّى بالطِّلا جِيـ　داً وبالعارِضِ لاما
وترى منـــه القَوامَ الْـ　غُصْنَ والغُصْنَ الْقواما
وترى الأغصانَ إجْـ　لالًا له هِيباً قِياما
اسْقِني بالكُوبِ والكا　سِ فُرادَى وتُوَاما
ثم بالطّاسِ إلى أنْ　تتراءى الهامُ هَاما
ثم بالجَرَّةِ فالجـــرّ　ةِ حـــتَّى أترامى
اسْقِـــنى حينَئِذٍ بالزِّ　قِّ حـــتى لا كَلاما
ثم بالدَّنِّ فتلك الْـ　غايةُ القُصْوَى تمـــاما
ثم خُذْ عـــنِّيَ ما شِئْـ　تَ ولا تَخْشَ أثاما
والْتَقِطْ مِنِّي الجمانَ الْـ　فَرْدَ نَثْراً ونِظاما
وإذا لم يكُنِ الطَّا　فِحُ بالكأسِ هُماما
فاغْدُ واعْذِرْ وإذا را　مَ خِطاباً قُلْ سَلاما

☆☆☆

(١) أمله يعني بـ « عاديا » معتقة من عهد عاد.

# ٣٤٦

## أبو السرور الهُوِّىّ*

رَوضُ أدبٍ أزهارُه لا تعرف ذَوًا ، وله شِعْرٌ لطيف لِمرض الشُّجون دَوًا .

سلَك من شِعاب الفضل أقْوَمَ سبيل ، وكَرَع مِن حِياضِه أعْذبَ سَلْسَبيل .

فأطْلَعَ شِعْرَه أبْهَى من السرور ، وألْطَف من الزُّلَالِ على الكبدِ المَحْرُور .

وكان فى عُنْفُوانِ شبابِه ، ورُواءِ أخْدانِه وأحْبابِه ، حليفَ هَوًى ولَهْو ، وأليفَ وَجْدٍ وزَهْو .

بين نُدْمانٍ طلَعُوا فى أُفُقِ الحُسْن شُمُوسًا،وذلُّوا مِن مَطايا الطَّرَب حَرُونا وشَمُوسا.

ولما رأى تلك الشموسَ هَوَت ، ونُجُومَ الآمالِ قد خَوَت ، أعرضَ عن هَواه ، وداوَى داءَ عِشْقِه بدَواه .

وتحقَّق بالانقِياد لِمَنْهَج الصواب ، ونادَى مُنادِي الغَيْب فسمِع الجواب .

ولم يزَلْ مُوَفَّقًا لإحْرازِ مَراضِيه ، وحالُ مُسْتقْبَلِه خيرٌ من مَاضِيه .

إلى أن انْتقلَ إلى رحمةِ عَلَّامِ الغيُوب ، بَرِيءَ السَّاحةِ من دَرَنِ العيُوب .

***

فمن شِعْرِه ، قولُه من نبويَّة ، مُسْتهلُّها :

حتَّى مَ يُقْصِينِي بِعادِي ... عن حَيِّ حَيٍّ حِمَى سُعادِ

وإلى متى يَثْنِي عَزَا ... مَ هِمَّتِي طولُ التَّمادِي

(*) ضبطت « الهوى » فى ا ، ب ضبط قلم ، بضم الهاء وفتح الواو وتشديد الياء .

وهو ، بالضم ثم السكون ، على حرفين ، هو الحمراء ، بليدة أزلية على تل بالصعيد ، بالجانب الغربى ، دون قوص ، تضاف إليها كورة . معجم البلدان ٤/٩٩٦ ، القاموس ٤/٤٠٦ .

وذكر الخفاجي فى ريحانة الألبا ٢/٩٢ ، أن هوّ : بلدة بالصعيد ، لم يخرج منها نجيب ولا سعيد .

وفى الخطط التوفيقية ١٧/٢٥ : « هوّ : بلدة بالصعيد الأعلى ، عرفت زمن اليونان بطيبة الصغرى ، وكانت تعرف أيضا باسم هم ، وكانت قاعــدة إقليم ، وهى الآن واقعة على كيمان البلدة القديمة ، فى طوق الجبل الغربى »

وعلى مَ ذا شَرٌّ يَرُو ج وكلٌّ خيرٍ فى كَسادِ
ولَج النَّهـارُ الأبيـلَ فى فَوْدِى وفى ظُلَمِ الفوادِى
ما آن إمساكٌ بَدَا خَيْطُ البياضِ من السَّوادِ
ما آن للسَّفَرِ الطويـ لِ من التُّقَى تحصيلُ زادِ
ما آن يا ذاتَ الجِهـا تِ السِّتِّ لى جَمْع انفِرادِ
رَفْعُ النِّقَابِ لينْجَـلِى مرأى وُجودِى عن مُرادِى
ما آن أن تتذكَّرِى الْ مهدَ القـديمَ من الوِدادِ
ما آن أن تتعرَّفِى طالَ التفكُّرُ فى بِعادِى
أوَّاهُ قد كُشِفَ الحجـا بُ وخاب فى نَظَرِى سَوادِى
والرَّكْبُ سار على الجِيـا دِ بمن تزَوَّد خـيرَ زادِ
وقطعْتُ عُمْـرِى فى المَسِيـ رِ ولا بَرِحْتُ ببطْنِ وَادِ
ولقـد ضَلِلْتُ وليس لى إلَّا دليـلُ الخيرِ هادِى
ذُو الجـاهِ والباعِ الطويـ لِ إذا تقاصَرتِ الأيادِى
المُصْطَفَى اُخْتـارُ صَفْـ وةَ مجتبيهِ من العبادِ
ماحِى الضَّلالةِ بالبنـا نِ وبالبيانِ وبالفؤادِ
شمسُ النُّبُوَّةِ فى الشُّرو قِ وفى الغروبِ وذا اعتقادِى
يا أحمـدُ المحمودُ فى التَّـ نْزِيـلِ يا عالِى العِمادِ
العجْزُ عن إدْراكِ دَرْ كِك غايةٌ فى الاعْتِقادِ
يا واحدًا جمَـعَ المَحا سِنَ كُلَّهُنَّ على انفِرادِ
يا كنزَ إكْسِيرِ الودا دِ لقلبِ أعيـانِ الأعادِى
بذُنوبِ أهلِ الأرضِ جِئْـ تُك مُسْلِمًا ولك انقيادِى
وبك استغثْتُ وأنتَ أكْـ رمُ أن يَرُدَّ نداكَ صادِى[1]

(١) فى الأصول : « بنداك صادى » ، ولعل الصواب ماأثبته ، واضطر إلى ترك النصب للقافية .

والعفوُ أوسعُ من ذنُو بى والرَّجا مَحْضُ اعتقادِى

يا سَيِّــــداه ويا نَبِيَّ اهُ ويا غَوْثَ المُنادِى

زَنْدُ الرَّجا والخوفِ أَوْ دعَ مُهجتى وَرْىَ الزِّنادِ

إنِّى أنا المُضطَرُّ والْ مُضْطَرُّ مقبولُ الجِيــادِ

إنْ النَّوائبَ شتَّتَتْ شَمْــلِى بأهوالٍ شِدادِ

إنِّى إلى المعروفِ أشْ وَقُ فى الوَفا مِن طِيبِ زادِ

وإذا بسَطْتَ الكَفَّ جُو دًا كَفَّ من عُدْمِ الأعادِى

مَهْــدًا تبيَّنْت السُّرو رَ وفى الصِّبا حُزْنُ الفؤادِ

أجِــزِ الجوائزَ بالقَبُو لِ فإنه أقصَى مُرادِى

فعليْك ما ضَجَّ الحَجِي جُ وسار بالرُّكبانِ حادِى

أزكَى الصلاةِ مع السلا مِ مِن السَّلامِ بلا نَفادِ

والآلِ والصَّحْبِ الذِين قَضَوا جِهاداً فى الجِهــادِ

ما أحْسَنَ اللهُ الختاَ مَ لُحسْنِ إصْلاحِ المَبادِى

***

ومن مُقطَّعاتِه قولُه :

رَامَ رِئْمُ الحِمَى يُقبِّلُ ظَبْياً فتلقَّى وُقوعَهــا فى فِيهِ

فانثنَى نافِرًا وألفَتَ جِيدًا وعجيبٌ نِفارُه مِن أخِيهِ

***

وقوله :

إخوانُ هــذا الزمانِ لمَّا تفرَّقتْ منهمُ القلوبُ

توهَّمُوا أنهــمُ أصابُوا وما دَرَوا أنهمُ أُصِيبُوا

☆

# ٣٤٧

## محمد بن حجازى الرَّقَبَاوِىّ*

شاعر مِكْثار ، إلّا أنه مأمونُ كَبْوةٍ وعِثار .

دخل الحجازَ واليمن ، واتّصل بُولَاتِهما الذين ابْتَهج بهم الزمن .

فأطال فى مَدْحِهِم وأطاب ، ومَلأ ذخائرِ أنْعُمِهم الجمّةِ الوِطاب .

ولله تعالى بَقايا من عبادِه فى بلادِه ، خلقَهم لِيُنعشَ بهم العاثِرَ ، ويُحْيِيَ بمكارمِهم المَعالى والمآثِر .

***

فمن مدائحه فى الشريف زيد[1] ، صاحبِ مكةَ ، قولُه من حائيّة عارض بها الفتحَ بن النَّحّاس[2] ، مطلعُها[3] :

كلُّ صَبٍّ مالَه فى الخَـــدِّ سَفْحُ    لم يَرُقْ فى عينِه نَجْدٌ وسَفْحُ

ومتى يعلُو بشأنٍ فى الهـــوَى    وله شأنٌ به فيه يَشِـــحُّ

إنّمـا الدمعُ دليـــلٌ ظاهرٌ    إن يكنْ للحبِّ مَتْنٌ فهْو شَرْحُ

---

(*) محمد بن حجازى بن أحمد الرقباوى الإنبابى المصرى .

ولد بإنبابة ، ونشأ بمصر ، واشتغل بعلوم الأدب حتى فاق أقرانه .

ورحل إلى الحرمين ، وتوطنها مدة ، ومدح الشريف زيد بن محسن بمدائح كثيرة ، فجعل له فى كل سنة راتبا ومعلوما ، ثم توجه إلى اليمن ، فمدح الأئمة بنى القاسم ، فانثالت عليه جوائزهم ، وكان له اختصاص بمحمد بن الحسن من بينهم .

وتوفى بمدينة أبى عريش من اليمن ، سنة ثمان وسبعين وألف .

والإنبابى : نسبة إلى إنبابة ، قرية من بحرى جيزة مصر على شاطئ النيل [تقع الآن غربى القاهرة الكبرى] .
خلاصة الأثر ٣/٤١٥ـ٤١٨ .

(١) تقدم التعريف به ، فى الجزء الثالث ، صفحة ٥٨٥ .

(٢) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الثانى ، صفحة ٥٠٧ ، والحائية فى ديوانه ٢٥ ـ ٢٨ ، وبعضها فى النفحة ٢/٥٢١ ، ٥٢٢ .

(٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/٤١٥ ـ ٤١٨ .

والذى يصبُو لأغصانِ النَّقا ... لم يكُنْ عنها بغيرِ الطَّرْفِ يَصْحُو

يستحي من أن يُوافيها الحَيا ... وهو أوْفى مِنَّةً والغيمُ يَمْحُو

كيف يستسقي لها ماءَ السَّما ... وله جَفْنٌ متى شاءَ يسحْ

رَوضةٌ لِلغِيدِ كانتْ مَلعباً ... وهي في لَبَّةِ جيدِ الشرقِ وَضْحٌ(١)

كلَّما نَقَّطها قَطْرُ النَّدى ... رَشَفَ الطَّلَّ بها رَنْدٌ وطَلْحُ

وإذا مَرَّتْ بها رِيحُ الصَّبا ... سَحَراً أرَّجَها بالمِسْكِ نَفْحُ

وتغنَّتْ فوقها وُرْقُ الحِمَى ... ولِداعِي بُلْبُلِ الأشواقِ صَدْحُ

رُبَّ خَوْدٍ ذاتِ لَحْظٍ فاتنٍ ... فاتكٍ بالكَسْرِ والسُّقْمِ يَصِحُّ(٢)

بَضَّةٍ قد غُمِسَتْ في حُسْنِها ... ولها في لُجَجِ الإحسانِ سَبْحُ(٣)

أتُراها استعذبَتْ يومَ النَّوى ... لِمَذاقي كأسَ بَيْنٍ وهو مِلْحُ

مالَها لا عَتَبَ الدهرُ بها ... لا تَرى الهِجْرانَ يكْفِي وهو ذَبْحُ(٤)

كنتُ أشكُو صَدَّها مِن قبلِ أن ... تنتوي والآنَ عندي فيه شُحُّ

يا نَوارُ اصْطنعِيني باللِّقا ... فلَكَمْ قاليْتُ مَن في العشقِ يَلْحُو

إنْ تكُونِي شِمْتِ في ليلِ الصِّبا ... بارِقاً فهْو لِرَوْضِ الحِلْمِ فَتْحُ

كم جلَيْتِ الشمسَ في غُرَّبيَّةٍ ... وسَمَحْتِ وجَناحُ الفَوْدِ جُنْحُ(٥)

فاجْعَلِيهِ شافِعاً فيما بَدا ... أيُّ ليلٍ مالَهُ يابدرُ صُبحُ

ولقد أعلمُ حقًّا لم يكُنْ ... منكِ عن ذَنْبِ ظُهورِ الشَّيْبِ صَفْحُ

---

(١) الوضح : الغرة . (٢) في خلاصة الأثر: «رب ريم» . (٣) مكان هذا البيت في خلاصة الأثر:

كَنَسَتْ في ظِلِّ ذَيَّاكَ النَّقا ... وأذابتْ كُلَّ قلبٍ فيه جُرْحُ

طَنَّبَتْ في مُهْجتي واستحكَمَتْ ... فيَّ قَطْعاً ليتها بالوَصْلِ تنمُو

(٤) في خلاصة الأثر : «لاترى الهجران كاف» . (٥) في الخلاصة : «في غربيه» .

كم أُداري فيك عُذّالِي وكم ساءني فيك على التّبْريحِ كَشْحُ

وإذا فعل الغواني هكذا كلُّ ذي سُكْرٍ بهم لاشكَّ يصحُو (١)

سأذُودَنَّ فؤادِي راغِباً عن هوى مَن جِدُّه بالصِّدْقِ مَزْحُ

يا خليليَّ اعذرانِي إنَّ لي نارَ وَجْدٍ مالها بالعشق لَفْحُ

خَلِّيانِي والذي ألقاهُ مِن زَنْدِ شوقٍ ماله بالغيدِ قَدْحُ

أنا عن ألحاظِهم في مَعْزِلٍ وحَديثي ظاهرٌ وهْو الأصَحُّ

قد نَسِينا ما حفِظْنا منهمُ ورأينا أن بعضَ العَذْلِ نُصْحُ

لا أرى العَيْشَ صفَا مالم أعِشْ وفؤادِي من حُروفِ اللَّهْوِ تمحُو (٢)

وعن التّشبيبِ ما أغنَى ولي في عُلَا زيدِ العُلَى شكرٌ ومَدْحُ

قامِعُ الأقرانِ في يومِ الوَغَى تحت ظِلِّ السُّمْرِ والحربُ تَفِحُّ

أبيضُ الوَجْهِ إذا النّقْعُ دجا واضِحُ البِشْرِ إذا الفرسانُ كُلْحُ

كم له يومَ فَخارٍ مُنتمَى ولوقْعِ البِيضِ بالْهاماتِ رَضْحُ (٣)

صبّح الإقبالِ حرباً ولكم شرّقتْ من خَيْلِه حربٌ وصُبْحُ

يومَ أرْوَى بقَدِيحِ المُصطلى قَدْحَ زَنْدٍ وَرْيُه بالفوْزِ قِدْحُ (٤)

وعلى العُمْرةِ أرْبتْ يَدُهُ وله في يومِها عَفْوٌ وصَفْحُ

أذْكَر الصَّفَّيْنِ إذْ ذاك بها يَوم صِفِّينَ وللْخَيْلَيْن ضَبْحُ (٥)

---

(١) في ا : «كل ذي سكرلهم» ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة . (٢) في ا : «من حروف اللهو يمحو» ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة . (٣) في ا ، ج : «بالهامات وضح» ، والمثبت في : ب ، والخلاصة .

والرضح : الكسر .

(٤) في الأصول : «بقديع المصطفى» ، والمثبت في الخلاصة . (٥) في الخلاصة : «أذكر الصنفين» ، وفي ا ، ج : «وللخيلين صبح» ، والمثبت في : ب ، والخلاصة .

وضبحت الخيل : أسمعت من أفواهها صوتا ليس بصهيل ولا حمحمة . القاموس (ض ب ح) .

وهو يشير إلى وقعة صفين بين علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ومعاوية والي الشام .

ولَغَا عنى ضَـــلالًا بعدما ... طاشَ من تَصْحيفه فى فِيهِ صَفْحُ[1]

ولَـكَمْ سارَعَ بالخيلِ على ... حَرَمِ اللهِ وللأعْمـارِ دَلْحُ[2]

مانعُ الجارِ فـلو لاذَ الدُّجى ... بعَواليــه لما جَلَّاه صُبْحُ

ولو أنَّ الشمسَ تحكِى نُورَه ... ماعَلاها فى ظلامِ الليـلِ جُنْحُ

وَاهِبُ الأرْواحِ فى يومِ الوَغَى ... لِأعادِيهِ الأُلَى بالمـالِ شَحُّوا

ولقـد كانَ أبوه هـكذا ... ولِمَاءِ الوَرْدِ بعـدَ الوردِ نَضْحُ

أشْغَلَتْ هَيْبتُه فِكْرَ العِـدَى ... فهمُ فى غَمْرةِ الإشْفـاقِ طَرْحُ

لو رَأَوْه فى الـكَرى لانْتبهُوا ... ولهم من خَوْفهِ بالرُّعْبِ قَزْحُ[3]

وإذا شَامُـوا بُرُوقًا أيْقنُوا ... أنَّ أعناقَهمْ بالبِيضِ مُسْحُ

وإنِ انقضَّتْ نجومٌ فى الهـوَا ... زَعمُوا أن مُطارَ الشُّهْبِ رَزْحُ[4]

بأبِى أفْديك يا بحرَ النَّدَى ... يا مُضِيءَ الرَّأْيِ إن أظلَمَ قَـدْحُ

يا عَقِيدَ الخيــلِ يومَ المُلْتَقَى ... يا سَديدَ البَأْسِ والأقْرانُ طَلْحُ[5]

يا عَرِيضَ الجاهِ يا حامِى الحِمَى ... يا مَلاذَ الـكونِ إن لم يُغْنِ كَدْحُ

يا جَمِيمَ الفضــلِ والسَّيفُ له ... بِقَدادِينِ الطُّلَا حَصْدٌ ومَسْحُ[6]

خُـذْ حَدِيثِى واستَمِعْ قَوْلِى فما ... كلُّ مَن قال قَرِيضًا فيه صُحُّ

هـاكَ نَظْمَ الدُّرِّ من مَعْدِنِهِ ... رائقَ المعنَى له بالمدحِ مَدْحُ[7]

واجْتَلِ الأبْكارَ فى نُورِ الوفَا ... واخْتَبِرْها فهْى بالعِرْفانِ فُصْحُ[8]

ضَمِنَ الدهرُ لها التَّخْليدَ فى ... صفَحاتِ الـكَوْنِ والأيَّامُ فُسْحُ

---

(١) فى خلاصة الأثر: « ولغا عنى ضلال ... فى فيه صمح ». (٢) دلح الرجل: مشى بحمله منقبض الخطو لثقله. (٣) القزح هنا بمعنى القفز، وأصله مأخوذ من: قزح الكلب ببوله، أرسله دفعا. انظر القاموس (قزح). (٤) رزحت الناقة: سقطت إعياء. (٥) فى الخلاصة: « ياعتيد الخيل ». (٦) فى خلاصة الأثر: « بقداديد الطــلا ». (٧) فى الخلاصة: « بالمدح مزح ». (٥) فى الخلاصة: « واجمــل الأبكار ».

وهى كالجُرْدِ السَّلاهيبِ لهـــا ... بمجالِ الشُّكْرِ فى علياكَ مَرَحْ [١]

حاصرتْ ما شاد فتحٌ قبلهـــا ... وتلتْ نصرٌ مِن اللهِ وفتحْ [٢]

أحرزَ السَّبْقَ ولكن فتَّهُ ... بك يا ابنَ الطُّهْرِ والآياتُ وُضُحْ [٣]

لا يرُوقُ المَدْحُ إلَّا فى الأُلَى ... لهمُ الأنسابُ كالأحسابِ رُجُحْ

أين مَن جدَّاهُ طهَ المُصطفَى ... وعَلِىٌّ المُرتضَى مِمَّن يُزَحْ [٤]

بَرز القالُ لهـــا من منطِقٍ ... لك بالإيرادِ والإسْعادِ سُنُحْ [٥]

وأنا منك أيا خَـــيْرَ الورَى ... لم يكُنْ صَوْتِى كما قيل أَبَحْ [٦]

ولقـــد أغنيْتَنِى عن مَطْلَبِى ... منك بَدْءًا ونَظِيرِى لا يُلِحْ

لو درَى النَّحَّاسُ أنِّى بعـــدَه ... أصنَعُ الإبْرِيزَ لم يَمْسَسْه قَرَحُ [٧]

أشكُرُ الأيامَ قد رَوَّبْتَنِى ... وبِنَابِيعِى بأفضـــالِك طُفُحْ

لا أرَى الغُرْبَةَ ألْوَتْ ساعِدى ... وبِباعِى بنَـــداك الجَمِّ سَبْحُ

طَالِعِى بالسَّعْدِ وَضَّاحُ الحِجَى ... بكَ فى بُرْجِ الهَنا والرَّجْوُ ضِحْ [٨]

ولقـــد بلَّغْتَنِى كلَّ المُـــنَى ... بأحاديثَ لهـــا فى النفسِ سَرَحُ

نِعْمـــةٌ منك علينا لم تَزَلْ ... يقتفِى آثارَها فَوْزٌ ورِبْحُ

دُمْتَ يا شمسَ الهُدَى ما ابتسمتْ ... بك أفواهُ الدجى وافتَرَّ صُبْحُ

ما همَتْ عَيْنُ الغَوادِى وبَدَا ... بك فى وَجْهِ الزمانِ الغَضِّ رَشْحُ

❋

(١) السلهب من الخيل : ما عظم وطال عظامه . (٢) يشير إلى حائية الفتح بن النحاس .

(٣) فى الخلاصة : « ولكن فقته » . (٤) زحه : نحاه . (٥) فى أ ، ب : « برز القال » ، والمثبت فى : ج ، والخلاصة ، وفى : أ : « والإسعاد سبح » ، وفى ب : « والإسعاد سح » ، والمثبت فى : ج ، والخلاصة . (٦) فى ب : « ياغيث الورى » ، وفى الخلاصة : « ياغوث الورى » ، والمثبت فى : ج . (٧) تقدم فى ترجمة الفتح بن النحاس ٢ / ٥٠٧ ، أنه كان فى حداثته من أحسن الناس منظرا ، ثم تبدلت محاسنه ، وانفض عنه أهل الغرام ، فاندرج فى مقولة الكيف ، وتزيا بزى الزهاد ؛ حدادا على ذهاب حسنه . (٨) الضح ، بالكسر : الشمس وضوؤها .

# ٣٤٨

## محمد الطَّيْلُونىّ*

بعيدُ غَوْرِ المَدْح ، وَارِى زِنادِ القَدْح .

مكانتهُ فى البَداهة لا تُزْحَم ، وحُجَّته البالغةُ لا تُدْحَض ولا تُفحَم .

فاز بِمَقَادِ الانْقِياد ، وأمسك عنان الافْتِنان ، فما كَلَّتْ له شَفْرةُ كَلام ، ولا بَرِئتْ صحائفُه مِن وَقِيعةِ أقْلام .

ولا صَفَا له ضمير ، ولا بات ليلةً[1] إلّا وله المَكْروه سَمِير .

والطبعُ كالزَّرع ، لا يَزْكُو حتى يُصادِف ثَرًى طَيِّبا ، ومن التَّوفيق مَطَرًا صَيِّبا .

ومن الأخلاق آفاقًا صافية ، ومن المكارم أبْرادًا ضَافِية .

فإذا لم يَرَ إلّا المَكارِه ، حادَ عن انْطباعِه وهو كارِه .

فيَتَّخِذُ الذَّمَّ عادة ، ويراه أشهى من حَياة مُعادة[2] .

وكان يُعادِي القاضى عمرَ المَغْرِبِىّ ويُهاجِيه ، وكلٌّ منهما يُسامِر بَرِيدَ خيالِه فى ذَمِّ الآخَر ويُناجِيه .

والقاضى هذا شيخُ بن أهْرام الزمان ، أعْمَرُ من نَصْر بن دُهْمان[3] .

مُعَمَّــــرٌ كأنه ... صالَح صَرْفَ النُّوَب

قد انْقَضَى الدهرُ وما ... كان به من عَجَب

---

(*) هذا الضبط من : ب ، ضبط قلم .

(١) فى ب : « ليله » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب ، ج : «معاده» ، والمثبت فى : ا .

(٣) نصر بن دهمان بن بصار الغطفانى ، من قيس عيلان

يقال : إنه عاش مائة وتسعين سنة ، حتى سقطت أسنانه وابيض رأسه ، فحزب قومه أمر احتاجوا فيه إلى عقله ورأيه ، فدعوا الله أن يرد عليه عقله وشبابه ، فرد الله عليه عقله وشبابه وفهمه ، واسود شعره .

المعمرون ٨٠ .

والأبيات التالية فى ريحانة الألبا ٢/٣٣٧ .

والناسُ جسمٌ واحدٌ وذاكَ عجْبُ الذَّنبِ [1]

ارْتَشَفَ الكِبْرَ وارْتَضَع ، حتى إذا قيل استحكَم اتَّضَع .

ولبِسَ خِلْعةَ العُجْبِ والمآثِم ، فهو كالنَّعْشِ لم يلبَسْ خِلْعةً إلّا وفى الحىّ نوائحُ ومآتِم .

فما وقفتُ عليه ممّا دار بينهما ، هذه الرسالة ، كتبها إليه الطَّيْلونىّ :

سَلامِى على مَن استعار الليلُ من سَوادِ خِلقتِه ، واستفاد طُوَيس [2] الشُّؤمَ من صُورته ، واكْتَسَبَ النَّحْسان من نُحوسَتِه ، وانكدرَتِ النجومُ من عُبوستِه .

لا زال مكتسياً تفاصيلَ الخِزْىِ والخِذْلان ، مُتَرَدِّيا أرْدِيةَ الذِّلّة والصَّغار والهَوان .

ما نَبَحتْ كلابُ المَغْرب ، واستهانت عند من يهجو ويضرب .

وبعد ، فإن [3] سألتَ [4] عنى أيها الخامل ، الذى لو قَدِر على حَمْـــل الذُّكور لكنتَ أوّلَ حامل .

فإنِّى بحمد الله من العِزّة والعافية فى أعْلَى رُواق ، ممدوحٌ بألسِنة الوُزَراء فمَن دونهم بالاتّفاق .

فى عيشةٍ راضية مَرْضيّة ، ونِعمةٍ سابغةٍ سَنِيّة .

لا أرْقَعُ قَمِيصا ، ولا أبِيت خَمِيصا [5] ، ولا أستعمل خَبِيصا [6] .

ولا رهَنْتُ منذ عمرى جُوخةً ولا صُوفا ، ولا تطفَّلْتُ على خُوان أنتظر [7] فيه لَحْمةً أو رَغِيفا .

---

(١) فى الريحانة : « وأنت عجب الذنب » .

والعجب بالفتح والضم : أصـــل الذنب المغروز فى مؤخر العجز ، وروى : « كل ابن آدم يبلى إلا العجب » ، وفى رواية : « إلا عجب الذنب » . تاج العروس ١/٣٦٧ ، وانظر الفائق ٢ / ١٢٠ ، النهاية ٣ / ١٨٤ .

(٢) تقدم التعريف به . (٣) فى ج : « إن » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٤) فى ب : « سئلت » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) الخميص : ضامر البطن من الجوع . (٦) الخبيص : طعام يعمل من تمر وسمن . (٧) فى ا : « أنظن » ، وفى ج : « الظن » ، والمثبت فى : ب .

وإنى بخيرٍ كما لا تُحبُّون ، وأرجو مِن اللهِ مالا تَرْجُون .

وأسأل اللهَ تعالى أن لا تكونوا كذلك ، وأن يُوقعك فى أضيَقِ المَسالك والمَهالك .

ومما أقْرَعُ به سَمْعَك أعارَهُ اللهُ الصَّمَم ، وألَمَّ بعينيك وفِيكَ العَمَى والبَكَم .

أنى كنتُ أضربتُ عن هَجْوك صَفْحا ، وطَوَيْتُ على إشْهار مَثالِبك كَشْحا .

ورَمَيتُك وراءى ظِهْرِيًّا ، وجعلتُك نِسْيًا مَنْسِيًّا ، وإن كنتَ جئتَ شيئًا فَرِيًّا .

وقد سمعتُ أنه بلَغَك من الحسدِ والجهالة ، أن لفَّقْت من هَذَيانك وسَرِقاتك رِسالة .

وتعرَّضْتَ فيها لذِكْرِ مَن لستَ له على بَال ، ولا تَجُول بِخَلَدِه إلَّا إذا تغوَّطَ أو بَال .

وتوصَّلْتَ ببعض المَعاتيه ، الغارقين فى بَحْرِ الهُيام والتِّيه .

ليُوَصِّلَها لصاحب الدولة ، أدام اللهُ له العِزَّة والصَّوْلة .

فحين رمقها مَزَّقها كُلَّ مُمَزَّق ، وتحقَّق أنك أكْذَبُ من المُخَرِّق [1] .

وكانتْ سببًا لسُقوط نَحْسِك ، وازْديادِ عَكْسِك وبَخْسِك .

فكنتَ كما قيل : كالجادع بيدِه مارِنَ أنفِه ، والباحثِ على حَتْفِه بظِلْفِه .

ولَعَمْرِى قد تحكَّكت العقربُ بالأفْعَى ، واستَنَّتِ الفِصالُ حتى القَرْعَى [2] .

وإذا حان أجلُ البَعِير ، حام حولَ البِير .

يا سالكًا بين الأسِنَّةِ والظُّبا ... إنى أشُمُّ عليك رائحةَ الدَّمِ [3]

وحيث أبَيْتَ إلَّا الإصْرار ، وأوْقعتَ نفسك كالفَراش فى النار .

وعَبَسْتَ وبَسَرْتَ [4] ، وأدْبَرْتَ واسْتَكْبرت .

حينئذٍ أرسلتُ لك فى هذا الكتاب بعضَ جوابك ، وتعلمُ أنه ينزِلُ الألم والجوَى بك .

فصَواعقُه لك مُحْرِقة خَوارِق ، وزَواجرُه على رأسك ياسِنْدالُ [5] كالمَطارق .

---

(١) التخريق : كثرة الكذب . (٢) هذا مثل يضرب للذى يتكلم مع من لاينبغى أن يتكلم بين يديه . انظر مجمع الأمثال ١/٢٢٥ ، والتمثيل والمحاضرة ٣٣٥ ، وتقدم شرح هذا المثل .

(٣) البيت فى ريحانة الألبا ٢/٢٢٨ . (٤) بسر : قطب وجهه . (٥) فى ب : «ياسندالا» والمثبت فى : ا ، ج .

ارتجالئ الاختراع ، مُرَبَّع الأسْجاع .

مُرتَّب على حروف المُعْجَم ، فاسمعْ ياخاملَ الذِّكْر وافهم .

ياخَطَّ البَهائى(١) ، ياحِزام النَّشائى ، يا إفلاسَ البيائى ، ياتُهمة التبائى .

ياخَرُوفَ أبى الطَّيِّب ، يايوم الزَّمْهَرير والصَّيِّب ، ياخَجْلة العَرُوس الثَّيِّب ، ياضَرْطة الغَنِىِّ المُتهيِّب .

يا أضحوكةَ الغانيات ، ياحاملَ رِزْمة(٢) المُغنِّيات ، يا ثابتَ السِّجِلَّات ، خُذْ ما أتى واستمِدَّ لما هو آت .

يامَن لِباسُه رَثّ ، وحديثُه غَثّ ، وتطفيلُه وجرُّه بالكَدِّ والحثّ ، ودأبُه الانكِبابُ(٣) فى الأرض للبَحْث .

يا ظُلمة الليل إذا سَجَى ، يامن لايُهابُ ولا يُرْتَجى ، يافاقِدَ اللُّبِّ والحِجى ، لا بلغتْ بك النُّوقُ النَّجا .

يا كثيرَ النُّباح ، يا خائباً فى الغُدُوِّ والرَّواح ، كأنك ثورٌ دائرٌ فى الطَّواح ، ملأتَ الجهاتِ من البُكا والنُّواح .

يا أسود سالِخ(٤) ، ياعُفونةَ المَسالِخ ، ياعُصارةَ الكامَخ(٥) ، ياغَضاضةَ الرامِخ(٦) .

يا زَلَعة(٧) القَبيح والذَّود ، يا كثيرَ الآباء والجُدود ، يا قُدار(٨) فى ثَمود ، يا عاقِرَ ناقةِ أخى هُود(٩) .

ياحانةَ النَّبَّاذ ، يا خَنْدَق بَغْداذ ، يامَن يضُمُّ الأفخاذ ، على الغُرْمُول(١٠) من الالْتِذاذ .

---

(١) فى ا : «البهاء» ، وكذلك وردت الكلمات التالية بدون ياء النسبة ، والمثبت فى : ب ، ج ، ولم أهتد لمعانيها . (٢) الرزمة : ماشد فى ثوب واحد ، يعنى أنه يحمل حوائجهم . وانظر شفاء الغليل ١٠٨ .

(٣) فى ا ، ج : « الانكبات » ، والمثبت فى : ب . (٤) الأسود السالخ : نوع من الحيات خبيث ، ينسلخ من جلده كل عام . (٥) الكامخ : مخلل يشهى الطعام . شفاء الغليل ١٩٣ .

(٦) الرامخ : البلح الأخضر . المحكم فى أصول الكلمات العامية ٩١ . (٧) الزلعة فى عرف أهل مصر ، يقال لخابية الماء . انظر المحكم فى أصول الكلمات العامية ١٠٣ . (٨) قدار بن سالف : عاقر الناقة .

(٩) هذا تكرار لمعنى الفقرة السابقة . (١٠) الغرمول : الذكر ، أو الضخم الرخو قبل أن تقطع غرلته .

يا مَرْتَعَ الأُيور ، يامَنْبَع الفساد والفُجور ، يا يوم المُفْلِس المَهْجور ، يا خِزانة الإفْك والزُّور .

يا أُمْتَ القَزَّاز ، يا فَرْوة الأجْذَم النَّزَّاز ، يا نُقاعة الخَرَّاز ، يا حَبَّة الصَّيْف على الخَبَّاز .

يا أقْرَع الرَّاس ، يا نَتِن الأنْفاس ، يا حِمارَ التَّرَّاس [1] ، يابَغْلَ ابن قُلْقاس .

يا دستمان الفراش ، ياثَوْبَ النَّبَّاش ، ياجُوخَة قِرْوَاش ، يا عمامة خطيب بهواش .

يا صِنَّة [2] اللُّصوص ، يا مُبْغَض يا مَنْقُوص ، يا مَن جَحَد النُّصوص ، وأنكر ما في الفُصوص [3] .

يا تارك السُّنَّة والفَرْض ، يا مَن سعَى بالفساد في الأرض ، وتعرَّض للأعْراضِ بالقَرْض ، وتفرَّغ من العِرْض وامْتلأ من العَرَض .

يا مِنْديل اللِّواط ، يابيْت الوَطْواط ، يا سائل اللُّعاب والمُخاط ، يا مِكْواة الخَيَّاط .

يا عيْن الجاحظ ، يا تَتِمة اللَّافظ ، يا سَليب الحَدْس والمَلاحِظ [4] .

يا بَخَر السَّبْع ، يا كَشْر الضَّبْع ، يا ثامِنَ السَّبْع [5] ، يامرحاضَ الرَّبْع .

ياخَليج المَدابغ ، ياأشيخان [6] المَصابغ ، يامِيلغَة [7] الوالِغ ، ياماء الحَوْراء [8] ورابغ [9] .

يا عَريضَ القفا والأكْتاف ، يا زِنْبيل [10] المَلَّاف ، ياخُرْج شوعة [11] الصَّرَّاف ، يامَن لم يُحْسِن الفرقَ بين المُنجِّم والعَرَّاف .

---

(١) التراس : صانع الترس . (٢) في ا : « صنعة » ، والمثبت في : ب ، ج . والصنة : ذفر الإبط .

(٣) لعله يعني « فصوص الحكم » لمحيي الدين بن عربي . (٤) أخل المترجم بشرطه هنا في تربيع السجع .

(٥) ثامن السبع : هو كلب أهل الكهف . (٦) في ج : « أشخان » ، والمثبت في : ا ، ب ، ولم أعرفه .

(٧) الميلغة : الإناء يلغ فيه الوالغ . (٨) الحوراء : مرفأ سفن مصر إلى المدينة ، وقد ذكر ياقوت أن أحد من رآها خبره أنها ماءة ملحة . معجم البلدان ٢/٣٥٦ . (٩) رابغ واد يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة دون عزور . معجم البلدان ٢/٧٢٧ .

ورابغ هي ميقات الحاج المصري ؛ فلعله أوردها بعد الحوراء على سبيل الإتباع .

(١٠) الزنبيل : وعاء من خوص . (١١) كذا في الأصول . والشوع : شجر البان أو ثمره ولا معنى له هنا .

يا ساعةَ الفِراق ، يا أوْسَع مِن العِراق ، يا شيبة[1] بُولاق ، يا حَليفَ الشّقا والشّقاق .

يا دُكّانَ السَّماك ، يا ثقّالة الأراك ، سَعِد مَن لا يَراك ، وخاب مَن قرّبك وأدْناك .

يا عِشّ القُمَّل[2] ، يا خَشْكَلِيشة[3] الدُّمَّل ، يا ماء الشّتاء المُسيَّل ، يا جامعَ ابنِ غُراب المُعطَّل .

يا قَفّة[4] المَجْذوم ، يا عَرَق المَحموم ، يا صباحَ القِرْدِ والبُوم ، أنت بعَيْنِه الفاسقُ المَحروم .

يا بَوْلَ الخِصْيان ، يا رَجيعَ الرُّهْبان ، يا مائدةَ العُمْيان ، يا مَخزنَ الصَّديد والصِّنان .

يا مَهْبِط الدَّواهي ، يا مَن خالَف الأوامِر والنَّواهي ، وجدّ في التَّلاهي ، وتبِع الغَيّ والمَلاهي .

يا سَميرَ البَلْوَى ، يا كثيرَ الشكوى ، يا أثقلَ من رَضْوَى ، إلى كم تَسْقِي جُحْرَك ولا يَرْوَى .

يا صَريعَ الدِّلا ، يا مَن هو لا إلى هؤلاء ولا إلى ، أينما تَتوجّه لا[5] ، ولم تزَلْ مُكِبًّا عليّ .

يا خِدْنَ البَغْيِ والغَيّ ، يا جِلْدة الجُرْح والكَيّ ، يا زُغْمة[6] القَيّ ، يا باقِلَ الفَهاهة والعِيّ ، فلا أنت مَيْتٌ ولا حَيّ .

وها قد نفِدت الحُروف ، ولم تنفَد مَعايبُك يا خَرُوف .

***

(١) في ب : « شتقية » ، وفي ج : « شتوية » ، والمثبت في : ا . (٢) القمل : دواب صغار كالقردان تركب البعير عند الهزال. (٣) في المحكم في أصول الكلمات العامية ٧٦ : « خشكريشه : لفظ لا يعرفه إلا الأطباء ، وهي القشرة التي تعلو الجرح بعد اندماله ، وهي كلمة يونانية » .

(٤) القفة : رعدة وقشعريرة تأخذ من الحمى . (٥) يشير إلى قوله تعالى في سورة النحل ٧٦ : ﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾ . (٦) في ج : « زخة » ، والمثبت في : ا ، ب .

وتزغم الجمل : ردد رغاءه في لهازمه.

وقد حَذَا فيها حَذْوَ أبي بكر الُخوارَزْمِيِّ ، فى رسالته التى كتبها إلى البَدِيهِيِّ[1]

ومن جُمْلتها[2] :

يا غَدَاةَ الفِراق ، وكِتابَ الطَّلاق .

يا موتَ الحبيب ، وطَلْعةَ الرَّقِيب .

يا يومَ الأربعاء فى آخر صَفَر ، ويا لِقاءَ الكابوس فى وقت السَّحَر .

يا خَرَاجاً بلا غَلَّة ، ودواء بلا عِلَّة .

يا أثقَل من المكتب على الصِّبيان ، ومن كِرَا الدَّارِ على السُّكَّان .

يا أبْغَضَ من لِمَ ولا ، ومن لا بعد نَعَم .

يا بغلةَ أبى دُلامَة[3] ، وحمارَ طَيَّاب[4] ، وطَيْلَسان ابن حَرْب[5] ، وضَرْطةَ وَهْب[6] .

يا نَظْرةَ الذَّلِّ[7] إلى البَغيض ، يا شُرْب الخمْر على الكَشَف ، يا وَكْف[8] البيتِ الشَّتْوِيّ فى كانُون .

يا ليلة[9] الغُرْبة ، وجوابَ الغَلْطة .

---

(١) أبو الحسن على بن محمد البديهى.
شاعر من الطارئين على الصاحب بن عباد من الآفاق ، وعرف بالبديهى لسرعة بديهته فى نظم الشعر ، وكان أبو بكر الخوارزمى ينكر عليه ذلك ، لعداوة بينهما .
ويقدر الأستاذ الزركلى وفاته بنحو سنة ثمانين وثلاثمائة .
الأعلام ٥/١٤٣ ، اللباب ١/١٠٤ ، يتيمة الدهر ٣/٣٤٣ .

(٢) رسائل أبي بكر الخوارزمى ١٩٩ ــ ٢٠١ .

(٣) يضرب المثل ببغلة أبى دلامة فى كثرة العيوب ، وقد قال فيها قصيدة طويلة يذكر عيوبها . انظر ثمار القلوب ٣٦١ ــ ٣٦٣ .

(٤) كان لطياب السقاء حمار قديم الصحبة ، ضعيف الحملة ، شديد الهزال ، وكان عرضة لشعر أبى غلالة المخزومى ، وتجد خبره فى ثمار القلوب ٣٦٦ .

(٥) أهدى محمد بن حرب إلى الحمدونى طيلسانا خلقا ، فقال فيه قرابة مائتى مقطوعة ، لا تخلو واحدة منها من معنى بديع . انظر ثمار القلوب ٦٠١ ــ ٦٠٤ .

(٦) فى الأصول : «ضرطة بن وهب» ، والتصويب من ثمار القلوب ٢٠٦ ورسائل أبى بكر الخوارزمى ، وهو وهب بن سليمان بن وهب ، صاحب بريد الحضرة ، أفلتت منه ضرطة فى مجلس الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان : وهو غاص بأهله ، فطار خبرها فى الآفاق ، ووقع فى ألسن الشعراء ، حتى صارت مثلا فى الشهرة .

(٧) فى الأصول : « الذليل » ، والمثبت فى رسائل أبى بكر الخوارزمى .

(٨) وكف البيت : قطر سقفه .

(٩) فى رسائل بكر الخوارزمى : « ليل » .

يا كَمَدَ المَغموم ، ودَهْشة المَصْبور[١] .

يا نَظْرَةَ الْعِنِّينِ إلى البِكْر وقد عجز عنها ، واستَشْعر مخائل الغضب منها .

يا قَرْعَ الغَرِيمِ الْباب ، ومعه جَرِيدةُ الحساب .

يا وَجْهَ المانع وقَفَا المَحْروم ، يا شَخْصَ الظَّالم فى عَيْنِ المَظْلوم .

يا أَلْأَمَ من اللُّؤْم ، وأشْأَمَ من الشُّؤْم ، وأقلَّ من المَعْدوم .

يا غَمَّ الدَّيْن ، ووَجَعَ العَيْن ، ويَوْمَ البَيْن .

يا أوْحَشَ مِن زَوالِ النِّعْمة بعد كُفْرِها ، وأقبحَ من ارْتجاعِ الصَّنِيعة بعد شُكْرِها .

يا أثقلَ من مُنادَمةِ الطُّفَيْلىّ[٢] على النُّدَما ، مُقْتَرِح فى الغَداء[٣] مُتَشبِّهٌ فى العَشا[٣] .

مُحَمِّشٌ[٤] للسَّاقِ ، [٥] مُناظِرٌ للباقِ[٥] .

يا أثقلَ من الحقِّ عليك ، يا طُولَ[٦] الحِجاب ، وعُبُوسَ البوَّاب .

يا مُهاجَرَة الصَّدِيق ، ويا سوءَ الْقَضا ، وجَهْدَ الْبَلَا ، ودَرْكَ الشَّقا ، وشَماتَةَ الأَعْدا .

وحسد الأقرباء ، وطَوارقَ الأرض والسَّماء .

وملازمة الغُرَمَا ، وعَرْبدَةَ الْجُلَسا ، وخِيانةَ الشُّرَكا .

وغِشَّ الأصدقاء ، ومُلاحظةَ الثقلاء ، ومَسْألةَ البُخَلاء ، ومُحادثةَ البُغَضاء ، ومُشاتمة السُّفهاء ، ونُصْرةَ الضُّعفاء ، وعَداوةَ الأُمَراء ، ومُزاحمةَ السُّعداء ، يا كَرْبَ الدَّواء .

يا من لو كان اللُّؤْمَ يَلِدُ كان أباه ، ولو كان يُولَدُ كان أخاه ، ولو شارَكَ شَرِيكا لَمَا عَداه .

يا بَيْعَ المَتاعِ الكاسد ، وجِوارَ الجارِ الحاسد .

يا ليلة المُسافِر ، فى كانون الآخِر .

يا خَيْبةَ مَن رأى السَّرابَ فظنَّه شَرابا ، ونَدامةَ مَن نَظَر إلى الخطأِ فتوهَّمه صَوابا .

---

(١) فى الأصول : « المبصور » ، والمثبت فى الرسائل . (٢) فى الرسائل : « طفيلى » .

(٣) فى الرسائل : « والعشاء » . (٤) فى ا : « مجش » ، وفى ب : « مجس » ، وفى الرسائل : « محش » ، والمثبت فى : ج . (٥) فى الرسائل : « قاطع على المغنى » . (٦) فى الرسائل : « جواب » .

يا مَن هو دليلٌ على أن الله تعالى جوادٌ حين أطعم مِثْلَه،(١) وحين رزقه مِن بِرِّه فَضْلَه(١) .
يا من هو حُجَّةُ المُلحِد على المُوحِّد، فى قوله: ﴿ ٱلَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ ﴾(٢) .
يا من احْتِمالُه أصعَبُ مِن عَدِّ الرَّمْل، ومن عَدَدِ النَّمْل، والصبرُ عليه أشقُّ من الصعود إلى السَّما، والنَّظَرُ إليه أبْشَعُ من النَّظَرِ إلى نَبَّاشِ(٣) قُبورِ الشُّهَدا .

***

وهذا البابُ طَوِيل الذَّيْل، وقد بالغ فيه الأدباء وكَثَّرُوا، ولم أرَ أجْمَع ولا أبلغَ من قولِ الشِّهاب الخفاجِىّ :

يا سُخْرَةَ الشيخِ بلا أُجْرَهْ ... وفَـوْرَةَ المَبْطونِ فى السُّحْرَهْ
ويا كِرا الدارِ على مُفْلِسٍ ... وسَاْحةَ المَطْرودِ فى وَعْرَهْ
وضَرْطَةَ السلطانِ فى مَوْكِبٍ ... به وُفودٌ تطلُب النُّصْرَهْ
وضَيْعةَ الهِمْيانِ من عائلٍ ... قُبَيْل عِيدٍ أعْوَزَ الفِطْرَهْ
ونَظْرَةَ المَخْمورِ عَبْدًا له ... قد كَسَّر الأقْداحَ والجُرَّهْ
وحَسْرَةَ العِلْقِ إذا أقْبَلَتْ ... لِحْيتُه فى آخِرِ الشَّعْرَهْ
وحَكَّةَ المَقْطوعِ كَفًّا له ... ودُمَّلًا يخرُج فى الشَّعْرَهْ
ونَظْرَةَ الخِنْزِيرِ من خارِئٍ ... يَرْمِيه لَمَّا جاع بالصَّخْرَهْ
ويا قَفَا المَهْزومِ من فارسٍ ... أدْرَكَه فى ساحةٍ قَفْرَهْ
وبَهْتَةَ السَّكْرانِ من هاجِمٍ ... فى ليـلةٍ مُظْلِمةٍ قِرَّهْ
ويا نَعِيًّا جاء عن واحِدٍ ... إلى عَجُوزٍ مالَهـا أُسْرَهْ(٤)
ووَحْدَةَ الحُرَّةِ فى ليـلةٍ ... مات بها الزَّوْجُ لَدَى الضَّرَّهْ
وحُجَّـةَ المُعْتزِلِىِّ الذى ... يَسْمعُ نَصًّا ناقِضًا أمْرَهْ

---

(١) مكان هذا فى الرسائل : « ورزقه » . (٢) سورة السجدة ٧ . (٣) تصرف المؤلف بعض التصرف فى عبارة الخوارزمى . انظر الرسائل ٢٠١ . (٤) فى ا : « ويا ناعيا جاء من واحد » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وطَلْعةَ الزِّنْديقِ فى مَسْجدٍ يخافُ مِن جيرانِه هُجْرَهْ
ووَجْهَ تِمْساحٍ لَدَى ساحلٍ أتاه غَرْقانُ رأى بَرَّهْ
وعُرَّةً قد خَرِيتْ فوقَه ذُبابةُ الذُّلِّ غدا غُرَّهْ(١)
ومَن غدا فى النَّظَرِ ابنَ الألَى فى عَيْنِ إبْليسَ بهم قُرَّهْ
كم تَدَّعِى الفضلَ ولا تَرْعوِى تُعيد ما قال ذَوُو الخِبْرَهْ
فهْو على تكْريرِ أقْوالِهم كالجمَلِ المَشْغولِ بالجِرَّهْ(٢)
يا أيهــا الفَخّار من أجْلِ ما طَوَّلَ رَبٌّ خالِقٌ عُمْرَهْ
هَل تصدُق الأمْثالُ فى قوْلِها ما كُلُّ يومٍ تَسْلَمُ الجَرَّهْ
يا جُعَلَ الجهلِ إلى كم تُرَى مُدَحْرِجاً فى طَرَفِ البَعْرهْ

***

وقد خرجتُ عن الصَّدَدِ فى شهوةٍ أطعَمْتها، وصرفتُ حِصَّةَ عُمْرٍ للاشْتغال بما لا يَعْنِي استَبْدلتُ بها السُّخْفَ لَمَّا بِعْتُها.

إذْ ليس من شَرْطِ كتابى بَذاءه، وأخْشَى من الذَّمِّ أن أقِفَ حِذاءه.

فإنى كالدَّواء أستخْرِج الأذَى، إذا كان غيرِى كالكأسِ يستَبْقِى القَذَى.

وأسأله سبحانَه وطالمَا بلَّغ السائلَ منه سُؤالًا ومأمُولًا، مَتابًا صادقًا على موْضِعِ النَّدَمِ مَحْمُولًا.

⁂

(١) العرة: ذرق الطير، والبعر. (٢) الجرة: مايخرجه البعير من بطنه ليجتره ثم يزدرده.

# ٣٤٩

## عثمان التّلاوىّ

هَضَبةُ فضلٍ يُقصِّر عنها المُتطاوِل ، وذِرْوةُ مَعالٍ لا تنالُها الثُّرَيّا بيدِ المُتناوِل .

تصدَّر لإفادة العلوم ، وصيَّر المجهولَ منها فى مَرْتبةِ المعلوم .

فأطاعَه أبِيُّها وشامِسُها ، وانجلَى بنُورِ فَهْمِهِ غامِضُها وطامِسُها .

***

وله أدبٌ كالبحر الزّاخِر ، وشِعرٌ كالحَلْيِ الفاخر .

فمنه قوله (١)من قصيدة(١) فى الغزل ، أولها :

مَن مُنْجِدِى من غزالٍ فَرَّ من كَلَلِ ... وأسْلَمَ الفكرَ بعد الوصلِ للأمَلِ

إذا انثنَى فغُصونُ البانِ مُطْرِقةٌ ... وإنْ رَنا فظِباءُ البَرِّ فى شُغُلِ

يفْتَرُّ عن جَوْهَرَىْ عِقْدٍ وعن بَرَدٍ ... فالبدرُ فى وَجَلٍ والشمسُ فى خَجَلِ

ما إن رأيْنا لهذا الظَّبْيِ من شَبَهٍ ... إلّا هِلالًا أرابَ الشمسَ فى الحَمَلِ

يسْطُو شُجاعاً فمنه الصَّبُّ فى خَبَلٍ ... يرْنُو غزالًا فمنه القلبُ فى جَذَلِ

سِلْماً وحَرْباً أرانا من شَمائلِه ... يامَا أُمَيْلِحَ ما منـه علَىَّ ولِى

***

وقوله من أخرى ، مستهلها :

أبَتْ هِمّتِى إلّا التّزايُدَ فى الوُدِّ ... مَدَى الدهرِ للأحْبابِ فى القُرْبِ والبُعْدِ

ألامُ على فَرْطِ المَحبّةِ فى الهوى ... وأُعْذَلُ أن كانت حُتوفِى فى وَجْدِى

سَرَتْ بى دَواعِى الحُبِّ سَيْراً لَوَ انَّه ... تـكلَّفَه شُمُّ الشَّوامِخِ والصُّلْدِ

---

(١) ساقط من : ا ، وهو : ب ، ج .

لَشقَّ من التَّبْريح طَوْد رعاده ... وأَلْقَى مَقالِيدَ المَحبةِ والوُدِّ [1]

فـلى شِيمةٌ لم يُبْرزِ الدهرُ مِثْلَها ... إذا ما اعْتراها العَذْلُ يَكْبُو ولا يُجْدِى

***

وله :

ألا ليت أُمِّى لم تلِدْنى ولم أكُنْ ... تُرابًا ولا شيئًا مع الخلْقِ أُذْكَرُ

فلا عُمْرَ مَصْروفٌ بخيرٍ وطاعةٍ ... ولا عِرْضَ مُبْيَضٌّ به المرء يُشْكَرُ

ولا رَبُّ أحْسانٍ يُصَانُ بلا أذَى ... ولا فِعْلُ معروفٍ مع الناسِ يُثْمِرُ [2]



(١) كذا بالأصول : « رعاده » ، ولعل الصواب : « رعانه » والرعن : أنف الجبل .

(٢) فى ا : « مع الناس يشكر » ، والمثبت فى : ب ، ج .

## ٣٥٠

## الأمير

## عثمان المَنْفَلُوطِيّ *

أميرٌ باهرُ السَّنا، أهلُ المدحِ والثَّنا.

رقيقُ شَمْلةِ الشَّمائل، طويلُ نِجادِ السيف رَحْبُ الحمائل.

يَمْضِي مَضاء المَشْرَفِيّ بيَمِينِه، وتَرِفُّ له البُشْرَى في مَسْعاتِه رَفِيفَ البِشْرِ في جَبِينِه.

جَمع من المَعالي كُلَّ تَلِيد وطارِف، وهو إلى إسْداء المعروف أحَنُّ من شارِف [(١)]

فينْوِي [(٢)] كما طَشَّ عارِضٌ حَنَّان، ويُطْرِب كما حَنَّ صادِحٌ مِرْنان.

فهو إنْسانٌ مَنْظورٌ إليه بإحْسانِه، له مَوْقِعٌ من الناظِرِ في جَوْف إنْسانِه.

فلو قيل قَدْرُه من الطَّوْدِ أجَلّ، نادى الصَّدَى من شَوامِخِه أجَلْ.

وَقُورٌ إذا فاضتْ أيادِيه للورَى كطَوْدٍ تَسامَى واحْتَبَى بالجَداولِ

فألْقَى عَصا التَّسْيار إذْ بلَغ الْعُلَى وما قُرِعتْ تلك العَصا في مَحافِلِ

***

وهو مَمْدوحُ الفتح بن النحّاس [(٣)]، الذي يقول فيه من قصيدة [(٤)] :

هو والفضائلُ دِيمَةٌ وحديقةٌ والناسُ عَــيْنٌ نَحْوه ونِيامُ

---

(*) نسبة إلى منفلوط: بلدة في الصعيد في غربي النيل. معجم البلدان ٤/٦٦٩.

(١) في ب: «مشارف»، والمثبت في: ا، ج.

والشارف من النوق: المسنة الهرمة.

(٢) في ا: «فيبضى»، والمثبت في: ب، ج. (٣) تقدمت ترجمته، في الجزء الثاني، صفحة ٥٠٧

(٤) ديوان الفتح بن النحاس ٨٢، وفيه أن عثمان بك هذا كان سنجق منفلوط.

والحِلْمُ رَوْضٌ خُلْقُهُ أنْوارُه ... والآخَرُونَ الرِّمْثُ والقُلَّامُ [1]

والجودُ بحرٌ وهْوَ دُرٌّ يتيمِهِ ... والمجدُ بيْتٌ وهْوَ فيهِ قِوامُ

***

وله من الكلام ما يَزين صُفوفَ الطُّروس بحُسْن رُوائِهِ ، ويدعُو بلِسانِ الحال إلى أن تكونَ أمراءُ الشِّعْرِ تحت لِوائِهِ .

فمنه قولُه ، من قصيدة في الغزل :

ما القلبُ يارَبَّةَ الخلْخالِ والخالِ ... مِن الصَّبابةِ لو طال المَدَى خالِي

طاوَعْتُ فيك الهوَى حتى عصَيْتُ أبِي ... ولا رَكَنْتُ إلى عَمٍّ ولا خالِ

يا ظَبْيةً ما رَعَتْ عهدَ الوفا ورَعَتْ ... حُشاشةَ القلبِ إنِّي زاد بَلْبالِي

لِمْ تَرْفَعي خبَرًا في الحُبِّ مُبْتدأً ... ولِمْ تجُرِّي القِلَى نَصْبًا على الحالِ [2]

يا صاحِبي إنَّها في مُهجتِي حكَمتْ ... فلا أمِيلُ إلى أقوالِ عُذَّالِي



---

(١) في الديوان : « خلقه نواره » .

والرمث : مرعى للابل من الحمض ، وشجر يشبه الغضا . القاموس ( رمث ) .

والقلام : القاقلى ، وهو نبات كنبات الأشنان مالح ، وقد ترعاه الإبل . القاموس ( قلم ، قوقل ) .

(٢) في ا : « لم تعرف خبرا » ، والمثبت في : ب ، ج .

# ٣٥١

## السيد أحمد بن القاضى

### شمس الدين المَنصُورِىّ

سيّدٌ له الفضلُ نَسَب ، إلّا أنه صَدْيانُ جَدْوَى ونَشَب .

فزَحْزَحه الدهرُ عن بَلَدِه ، وأبانَه عن معاهدِ سَبَدِه ولَبَدِه[١] .

فطار بين سَمْع الأرضِ وبَصَرِها ، لا يدْرِى ما يَطَأُ من حَجَرِها ومَدَرِها .

إلى أن استقرّ آخِراً بمرْكز التّخْتِ العُثْمانى[٢] ، مؤملا أن ينالَ من بابِ المُراد كلّ الأمانى .

فما أمّ وِجْهة ، إلّا قابلَتْ بالحِرْمان وَجْهَه .

حتى فَلّ مالَه[٣] ، وقَلّ مَنالُه .

وتقلّصتْ لُهاه ، وتقلّصَت لهاه .

وبَقِىَ فى الغُرْبة إلى أن تخلّصتْ منه الظُّنون ، ومن مات فى قَبْضةِ الذلّ فقد أحسنتْ إليه المَنُون .

***

وكان أنْشأ سَبْعَ مَقاماتٍ أطْنَب فيها وأطْرب، وحاوَل طريقةَ مَن تقدّمه فأعجب وأغْرَب.

وذَكَر فيها مُبْتدأَ حالِه ، وما لَقِيَه من النَّصَب فى إقامتِه وترْحالِه .

بعباراتٍ تعْطِف القلوبَ القاسِية ، وتُزَعْزِع[٤] الجبالَ الرّاسية .

وعرَضَها على أقوامٍ يكاد ينْدَى من أياديهم السحاب الجَهَام[٥]، فمنعه[٤] سوء بَخْتِه عن رَشاشةٍ يبلّ بها صَدَأ الأوْهام .

فمما انتخبْتُه من مَقامتِه السادسة :

---

(١) يقال: ماله سبد ولا لبد. أى لا شعر ولا صوف. (٢) يعنى قسطنطينية. (٣) فل ماله: ذهب.

(٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٥) سحاب جهام : لاماء فيه .

قال أبو الحسن المِصْرِىّ : إنّى نشأتُ بمصر السعيدة ، حامداً ربّى على أيامِها الحميدة .
قريرَ العين ، كثير العَيْن[1] .
ليس لى حِرْفة ولا حِيلَة ، إلّا تتبُّع آثارِ ذوِى الصّنائع الجليلة .
فجدَّيْتُ فى الطَّلب ، وما أخطأت الأدب .
حتى علَوتُ ذِرْوَة كلِّ صناعة ، وحوَيتُ رأسَ مالِ كلِّ بضاعة .
فما رأيتُ من كل ذلك إلّا النُّقصان ، وما استفدْتُ من المَتاجِر إلّا الخسْران .
وكان من جُملةِ ما خدمْتُ أسَاتِيذه ، وتتبّعْتُ دلائِلَه وأسانِيده .
الفنونُ الأدبيّة ، والعلومُ الفِقْهِية .
حتى صار لى مَلَكةٌ فى الأخْذِ من الأسانِيد والدّلائِل ، وقُدْرةٌ على كَتْب الحواشِى وتَحرِير الرّسائل .
خُصوصا فَنّ الكتابة والإنشا ، إذ بهما يكون المرءُ ما يَشا .
ثم خلَج فى خَلَدِى الرّحْلَةُ إلى بلاد الرُّوم ، لأتَمِّمَ بها طلبَ العلوم .
فلما منَّ اللهُ تعالى علىّ بدُخولِها ، واجتمعتُ بعلمائها وفُحولِها .
فإذا هم غارقون فى بُحورِ النِّعَم ، معروفون بالجود والكَرَم .
وكنتُ فى بعض الأيام ، أتردَّد على صُدورِها العِظام .
تارةً بما استطَعْتُ من قصيدةٍ نَظْمُها بَدِيع ، وأُخْرَى برسالةٍ عُقود تَرتيبِها مُرصّعة بالدُّرِّ الصَّنِيع .
وكان دأْبِى تتبُّع آثارِ المُتقدّمين ، لأن ما قدّموه لا يُتْهِم ككلامِ المُتأخِّرين .
ومن العادة ، أن أهل كلِّ صناعة ، يُكرِمون القادمَ عليهم من أهلِها بحسَب الاستطاعة .
فأكرمونى بحسَب استطاعتهم ، وجادُوا علىَّ بقدْرِ مُرُوءتهم .
فأعطونى مدرسة ، كانتْ عاقبتُها علىّ فقْرا ومَنْحَسة .
فكنتُ أكثرَ الأيام ، لا أذُوق الطَّعام .

---

(١) العين : الذهب .

وغالبَ الأوقات ، أحْرَمَ الأقْوات .

حتى نَفِد مالِي ، وتبدَّد حالِي .

وجار عليّ الزمان ، بالذُّلِّ والهوان .

فبِعْتُ كُتُبِي ، وأنفقْتُ ذَهَبِي .

كلَّما عرَّفْتُ حالِي تنكر ، وعند ابتداءِ خُروجي من عندهم لم يَبْقَ عندهم مِنِّي خَبَر .

ففي يوم من الأيام كنتُ أُكابِدُ الجوع ، وأُصَبِّر قلبيَ المِسْكين المَوْجوع .

إذ مَرَرْتُ بباب بعضِ الأكابر ، وكان يعرفُني من مصر وأنا أَبيع الجواهر .

فنادانى : ألَسْتَ الجوْهَرِيّ ؟

قلت : نعم ، أنا الحسنيُّ المِصْريّ .

فقال : يا من حضَر ، الحَذَر ، كُلّ الحَذَر ، مِن حوادِث الدهرِ فإنه ليس مَأْمون الخطَر .

يُعِزُّ الذَّليل ، ويُذِلُّ العزيز ، ويحُطُّ الجليل .

يخفض المَرْفوع ، ويُغيِّر الموضوع .

ثم الْتفتَ إليّ الْتفاتَ الشَّفيق ، وقال : إن كلامَ الشاعر بالتَّصْديق حقِيق .

فيما ذكر من الأبيات ، في شأنِ بعضِ الحكايات .

رِواية عن تاجر ، أنّه الْتقط شيئاً من الجواهر .

وانْتخَب منها دُرّة ، تُساوي بَدْرَة [1] .

فبينما هو سائرٌ في بعضِ القُرَى ، إذ سقطتْ الدُّرّةُ في الثَّرَى .

ومكثَتْ سَنةً مُكمَّلة ، في تلك المَزْبلة .

فالْتقطَها أحدُ الأكّارين [2] ، وباعها بدِرْهمين .

فلما بلغ خبرُها إلى الشاعر ، الأديب الماهر .

(١) البدرة : عشرة آلاف درهم .      (٢) الأكار : الحراث .

أنشد وقال ، هذا المقال :

رأيتُ بسُوقٍ دُرَّةً ذاتَ قيمةٍ يُنادَى عليها بين قَوْمٍ أخِسَّةِ
أبِيعتْ بِبَخْسِ السِّعْرِ من غيرِ أهْلِها فأصْبحتُ من غَيْظِى بِهَمٍّ وحَسْرةِ
عجِبْتُ لِمَا شاهدْتُه من عجائبٍ وقلتُ لهم بَيْتاً به خَـــيرُ حِـكمةِ
أيا دُرَّةً بين المَزابِل ألقِيتْ وجَوْهرةً بِيعتْ بأرْخصِ قِيمةِ

فلما سمِـع الحاضرون كلامه ، أظهروا الملامة ، ووقفوا أمامه .

وقالوا : لقد بالغْتَ في وَصْفِه ، وأطْنَبْتَ في نَعْتِ حالِه ورَصْفِه .

فقال : مَن كان أديباً فلْيُساجِلْه ، ويُناقِشْه ويُعامِلْه .

فما منهم إلَّا سأل وأجبْتُه ، وخاطبْته الخِطابَ الوسَط وما رَهِبْتُه .

فلما سمع منِّي صاحبُ الدَّار ، أجوبتِي الحاضرة عن أسئلةِ أولئك الحُضَّار .

وعَدنِي بوَعْدٍ حَسَن ، وأنا في انْتظارِه إلى هذا الزمن .

فخرجتُ مُحْتاجاً إلى ذَرَّةٍ من دِرْهمٍ في صرَّه ، أو لُقْمة من برِّه .

فعجِبَ القومُ من مَدْحٍ يُوجِبُ الإحْسان ، وحِرْمانٍ يقْتضِي ذَمَّ ذلك الإنسان .

⁂

# ٣٥٢

## محمد خفاجي الزّيّات

غُرّةٌ فى ناصيةِ الدُّهور ، وابتِسام فى فَمِ الزُّهور .

له أخلاق من لُبِّ الّلُباب ، كما تبسّم فَمُ الكأسِ عن الحَباب .

فالرّاح بِسَلْسَلِها مَمْزُوجة ، والرّياضُ على مِنْوالها مَنْسُوجة .

وقد خَلَص كلامُه من التّهْجين ، كما تَسُلُّ الشَّعرَ من العَجِين .

***

أثبَتُّ له ما تَظَلُّ الأفكارُ لحلاوةِ تَعْبيراتِه شائِقة ، كالشُّهْد لأجْلِ حلاوةٍ رغبتْ إليه كل ذائقة .

فمنه قولُه فى الغزل :

هامَ الفُــؤادُ وقد صَبا بغزالِ ... فضَح الغزالةَ والغرامُ غزا لى

سحَر العُيونَ ففِيمَ عذّبَ خاطِرِى ... وسَبا القلوبَ ففِيمَ غيّر حالى

رفَع السَّقامُ لخصْرِه بعضَ الذى ... يلْقى فقابَــلَه بنصْبِ الخالِ

ما لِلْعَذُولِ إذا جفَا بدرُ الدجى ... أو مَاسَ بالقَدِّ القويمِ ومَالِى

أفْدِيه وهْو أجلُّ شيءٍ يُفْتدَى ... بالرُّوحِ منِّى لا أقول بمَالِى

يا تارِكى بصُدودِه غرَضَ الضّنَى ... هلّا رثَيْتَ لجسمِ صَبٍّ بَالِى

يرْضى ولو بالطّيْفِ تُرْسِلُه له ... فى غَفْلةِ الرُّقَباء جُنْحَ ليالِى

***

وقولُه ، من قصيدة أوّلُها :

رأى ناظِرى وَجهاً يرقُّ أديمُهُ ... فأجْرى به دَمْعاً وقال أديمُهُ

وشاهَدَه فى صفحةِ الخدِّ لُؤْلُؤاً ... تخالَط منه بالعقيقِ يتيمُهُ

وأبدَى حديثاً من قديمٍ مُعلَّلاً ... فصَحَّ وبالأسقامِ راح كَليمُهُ

رَواه عن الزُّهْرِىِّ نُعمانُ خَدِّه ... وحَسَّنه من عارِضَيه نَمِيمُهُ

وبى لَوْعةٌ من صَدِّه ونِفارِهِ ... يَوَدُّ لها طُولَ الزمانِ سَليمُهُ

لعلَّ له فى مَوْقفِ الحشرِ والجَزا ... يطُول به المُضنَى المُعنَّى لُزُومُهُ

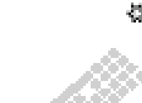
وهيهات ضاع الصبرُ عند لِقائه ... وضاع به فى الحىِّ عِطراً شَميمُهُ(١)

ووَيْلاه من قَدٍّ إذا هزَّ عِطفَه ... فما عَطفُهُ يُرْجَى وأنَّى عَديمُهُ

إذا رُحتُ أشكو فالصَّدَى يشتكى معى ... مُحالٌ لما أبدِى كأنى غَرِيمُهُ

كأنَّ النَّوَى لمَّا تخيَّل خَيبتى ... عَن شَفَقِى هاجتْ إلىَّ جَحِيمُهُ

إذا راح دَمْعِى يُشْبِهُ الدُّرَّ نَثْرُه ... شَجانِىَ مِن ثَغرِ الحبيبِ نَظِيمُهُ





(١) فى الأصول : «عطر شميمه» ولعل الصواب ما أثبته .

# ٣٥٣

## يحيى الشّاميّ

أريبٌ جلّتْ مزاياه ، فكم من خبايا معانٍ فى زواياه .

ذِكْرُه كالزّهْر مُفْتَرُّ الكِمامة ، وخُلُقه كالرّوض جادته الغمامة .

وكان مع طبْعِه المنقاد ، ولُطفِه الذى يهبُ العينَ الرُّقاد .

مُنفرِداً انفِرادَ البدر ، مُتوحِّداً كليلة القَدْر .

كأنه سهمٌ رَشَق عن قوْسِ القضا ، يضيق فى عيْنِ تصوُّرِه رحْبُ الفضا .

***

وله شِعرٌ رَقِيقُ المَعانى ، أثبتُّ منه ما تتأنّق برونقه المَعانِى .

فمنه قولُه ، من قصيدة مُسْتهِلُّها :

أما لأسيرِ الحبِّ فادٍ من الأسْرِ ... لِيربَح فى المِسْكينِ شيئاً من الأجرِ

أما للهوى شرعٌ وللحبِّ حاكمٌ ... فيسألَ عن حالِى وينظُرَ فى أمْرِى

رهينٌ فؤادِى فى يدَىْ مَن أُحِبُّه ... على غيرِ دَيْنٍ فى الهوى مُفْلِس الصّبْرِ

وباع الكَرَى إنسانُ عيْنِى بنظْرةٍ ... فما رَبِحَ المغرورُ بل عاد بالخُسْرِ

يُطالِبُنى العذّالُ بالعُذْرِ والهوى ... ولاعُذْرَ لى إلّا الهوى والهوى عُذْرِى

وأبْكِى عن من يُشْبِهُ الصّخْرَ قلبُه ... كما كانتِ الخنْساءُ تبْكِى على صَخْرِ

فلا نظرتْ عينى خِلافَ حبيبِها ... وإن زاد فى الإعْراضِ والصَّدِّ والهجْرِ

وبالقلبِ منّى والجوارحِ كلِّها ... مليحٌ يفوق البدرَ فى ليلة البَدْرِ

بديعُ جمالٍ قد تطابقَ حُسْنُه ... حوَى ثِقَلَ الأرْدافِ مع خِفّةِ الخصْرِ

إذا التفَّ فى بُرْدٍ وفاح عَبيرُه ... فما شئْتَ قلْ فى اللّفِّ منه وفى النّشْرِ

أحانةُ خمرٍ أم سهامٌ رواشقُ ... قلوبَ البرايا أم ضروبٌ من السحرِ
ولمّا عرتني سكرةٌ من لحاظهِ ... وصرتُ صريعاً لا أفيقُ من السُكْرِ
تداويتُ من ألحاظهِ برُضابهِ ... كما يتداوى شاربُ الخمرِ بالخمرِ
وسكّن ناري ضمُّهُ لجوانحي ... وأجفانه أعدتْ فؤاديَ بالسُكْرِ
وكان الهوى حلواً لذيذاً بوصلهِ ... فغيّرَ ذاكَ الحلوَ طعمُ النوى المرُّ

☆☆☆



## ٣٥٤

## شهاب الدين الدَّيْرَبِيّ المالِكيّ

أحدُ السيَّارة فى فلك الفضل ، المُوفِى على أقرانِه وله القَوْل الفَصْل .

قد ظهرتْ دلائلُ نُبْلِه[1] ، ورمَى عن قَوْسِه فأصاب لُبَّ الصواب بِنَبْلِه[1] .

فأصبحت مآثِرُه مُدوَّنة ، وصحائفُه بعُنْوان الخير مُعَنْوَنة .

والفضْل فى مِدْحتِه قائلٌ هذا العَمْرِى قد غدا مالِكى

***

فمن شِعْره قولُه من قصيدة يمدح بها المُفْتِى يحيى بن زكريَّا[2] ، وهو قاضٍ بمصر ، وأولها :

أوُرْقُ الرَّوْضِ تصْدَحُ أم تَغَنَّى هَزَارُ الأُنْسِ بالإقْبالِ هَنَّا

على قُضْبانِ بَانَاتٍ ووَرْدٍ بألْحانٍ فُرادَى ثم مَثْنَى

أم الوَرْدُ البَهِىُّ زَهَا بنَوْرٍ سَنَاهُ عن سَنَا الأقمارِ أغْنَى

أم ابْتَسم الزمانُ فلاحَ بَرْقٌ فأبْكَى فى رَوَابِى الأرضِ مُزْنَا

وصفَّقتِ الرياحُ على أكُفٍّ من الأوْراقِ حتى قد دَهِشْنَا

وشُحْرورُ الرِّياضِ بها يُناغِى بأنْواعِ الغِناء به سُرِرْنَا

وقام على الغُصونِ خطيبُ أُنْسٍ يُذكِّرُنا بما كُنَّا سَمِعْنَا

ويَرْوِى من أحاديثٍ صِحاحٍ حَدِيثاً صَحَّ إسْناداً ومَتْنَا

بأن الحَبْر يحيى قام يُحْيِى رُسوماً للشَّريعةِ كُنَّ مُتْناً[3]

***

قلتُ : هذا الشاعر إن لم يكن من العَوالِى ، فربَّما ينظِم السَّبَجَ[4] مع اللآلِى .

على أنه قد يُذْكَر فى البَيْن[5] ، من يُجْمَل عُوذَةً تقِى شَرَّ العَيْن .

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٢) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الثالث ، صفحة ٦٢ .

(٣) الألف فى « متنا » للاطلاق . (٥) السبج : الخرز الأسود . (٥) فى ا : « العين » ، والمثبت فى : ب ، ج .

## ٣٥٥

## أبو بكر بن شهاب الدين قَمُّود*

ماجدٌ قامتْ له البراعةُ على قَدَم ، وبنَى بصائبِ فِكْرِه من رَسْمِ البلاغة ما انْهدَم عُجِنتْ طِينتُه بماء عَوارِف المعارف ، فأضحَى يجُرُّ على أبْناء عصرِه أرْدِيةَ الفخرِ سابِغةَ المطارِف .

وقد تأدَّب وفاق ، ولم يحْتَجْ في تَرْويجِ حظِّه إلى حُروفٍ وأوْفاق .

***

وله شِعْرٌ كأنه بُنْيانٌ مَرْصُوص ، وهو بمَزِيَّة الوصفِ في حُسْنِ السَّبْك عامٌّ مخْصوص .

فمنه قوله :

إذا النفسُ سادَتْ في المعالِي طَرِيقَها ... وليس عَظِيمُ الخطْبِ عنهــا يعُوقُها
فلَهْفــاً على نَفْسٍ إذا رُمْتُ عِزَّةً ... لها ذَلَّ عن حَوْزِ المطالِب سُوقُهــا
رَمَتْ حظَّها الأيامُ بالأسْهُمِ التي ... مُحالٌ لعَمْرِي أن يعيشَ رَشِيقُها(١)
لقد قدَّم الجَهْلُ الليــالى وإنَّه ... لَمِن أعْظم البَلْوَى التي لا نُطِيقُها
ولٰكنَّ حَسْبَ الحُرِّ أنَّ عُلومَه ... تلُوحُ بآفاقِ الكمالِ بُرُوقُهــا

*
**

(*) سقطت « بن » من : ب ، وهى في : ا ، ج .

وهو أبو بكر بن أحمد قمود السنفى المصرى الحنفى .

المنجم المشهور ، وصاحب الأوفاق والأعمال العجيبة .

ولد بمصر ، وبها نشأ ، وقرأ على والده ، وعلى الشمس الرملى ، والنور الزيادى ، وعلى بن غانم المقدسى ، ومن في طبقتهم .

وجاور بالحرمين ثمانية وعشرين سنة ، ثم رجع إلى مصر ، وأقام بها ، وقدم إلى بيت المقدس ، ودخل دمشق مرات .

توفى سنة اثنتين وستين وألف ، ودفن بمقابر المجاورين .

خلاصة الأثر ١/٧٨ ، ٧٩ ، وفيه خطأ : « النسفى » ، وانظر ترجمة والده في ريحانة الألبا ٢/١٣٣ ، وهناك سبب تسميته بقمود .

(١) في ا : « أن يعيش شقيها » ، والمثبت في : ب ، ج .

## ٣٥٦

### سليم الشاعر

رجلٌ سليمُ الضمير ، ذو باطنٍ أصفَى من الماءِ النَّمير .

جَمُّ الفائدة والآثار ، طافِحُ الشِّعْر والنِّثار .

كَيْلُه هَيْل ، ونَهْزُه(١) سَيْل .

يجمعُ الغثَّ والسَّمين ، ويخْلِط الوَرْد بالياسَمين .

***

وقد جئتُك من مُنتخباتِه الِّطاف ، بقطعةٍ كباكُورة الثمار جَنِيَّة القِطاف .

وهى قوله :

سَبَى مُهجتى ظَبْىٌ كَحيلُ النَّواظِرِ ... بديعُ جمالٍ حازَ حُسْنَ النَّواضِرِ

فيامُهجتى حاكِى السَّعيرِ وشابِهى ... بجسمِى ضَنًى خَيْطَ الرَّبابِ وناظِرِى

ويا كبدِى هَوْلَ الغرامِ تجاسَرِى ... عليه كَقلبِى فى هَواه وخاطِرِى

برُوحِىَ مَن ناهِىَّ أصبحَ آمِرِى ... به وبِغَىِّ عاذلى فيه عاذِرِى(٢)

وبى لِلْمَــــاهُ أولَمَامِ دُنُوِّهِ ... تلهُّفُ حَيْرانٍ ولَفْتةُ حائِرِ

يجُور على ضَعْفِى كما يحكُم الهوى ... بعادلِ قَدٍّ منه فى الحكْمِ جائِرِ(٣)

غرامِى صحيحٌ والرَّجا منه مُعضِلٌ ... ومُرْسَلُ دمعِى منه جُرْحُ مَحاجِرِى

فقُرَّةُ عينِى عنه عن حَسَنٍ رَوَتْ ... وعن صِلَةٍ لم ترْوِ قطُّ وجابِرِ(٤)

---

(١) فى ا : « وزره » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى ا : « عاذل فيه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ا : « فى الحكم جائرى » ، وفى ج : « وفى الحكم جابرى » ، والمثبت فى : ب .

(٤) فى ا : « عن حسنه روت » ، والمثبت فى : ب ، ج .

يَبيتُ ومنه الطَّرْفُ غافٍ وغافلٌ وما الجفْنُ منّي غيرَ ساهٍ وساهِرِ
نَفَى النومَ عنّي حين أعرَض نافِراً فبِي منه أوْدَى صُنْعُ نافٍ ونافِرِ
غدا جازِماً بالهجْرِ للنَّومِ رافعاً وناصبَ صَدٍّ كاسِراً منه خاطِرِي
مَديدٌ تَجَنّيهِ سريعٌ صُدودُه طويلُ جَفاً من صَدّه المُتواتِرِ
تَهتَّكْتُ فيه والهوى لم يزَلْ به ولو تُعْظِم الأحْجاء هَتْكَ السَّرائِرِ
متى يَنْمَحِي منّي وأُصْبِحُ تارِكاً مَخافاتِ لَهْوٍ عُمْرُه غيرُ عامِرِ





# ٣٥٧
## سليمان الدّلجيّ

صاحبُ طَبْعٍ فيّاض، وشِعْرٍ كأنوارِ الرياض.
تتنافس بهاء آدابه، والشعْرُ طريقته المُثْلَى ودابه.

***

فمن شعره قوله:

حَسْبُ المُتيّمِ مايلقاه من ألمِ ... وما يقاسيه من وَجْدٍ ومن سَقَمِ
مُسلسِلًا دمْعَه يرْويه مُنسكِبًا ... مابين مُختلِفٍ منه ومُلْتئِمِ
ودأبُه حَمْلُ أعباءِ المَلامِ على ... دِينِ الغرامِ ولو أشْفَى على العدَمِ
فى كلّ وقتٍ له وَاشٍ يُروّعه ... وكاشِحٌ عاذِلٌ عند الطريق عَمِى
لا أَلْهو عن قامةٍ أو مُقْلةٍ سَحرتْ ... منها رِماحٌ وأسيافٌ تُرِيقُ دَمِى
أخْشَى عليها وإنّى خائفٌ وَجِلٌ ... من العداةِ ومن تزْوِيرِ قولِهم
بالقلبِ مَسْكنه لكنّما جزَعِى ... إعْراضُه عن مُحِبٍّ ثابتِ القَدَمِ
فذُو الصَّبابةِ لا يُصْغِى لِعاذِلِه ... إن المُحِبّ عن العُذّالِ فى صَمَمِ
فحَسْبُه الله لا يبْرحْ أسيرَ هوًى ... ومُدّةَ الدهرِ والأيامِ لم تَنَمِ

❊

# ٣٥٨

## علىّ الصّوفىّ *

فتى تورُّعٍ وتصوُّف ، لم يكن له إلى غير الخوْفِ تشوُّف .
فهو صادق العزْمة ، مُستغاثٌ به فى الأزْمَةِ .
بعيدُ القدَم ، من مخاضات الندَم .
أُوتِىَ بَسْطةً فى العِلمِ ، ورسا طوْداً فى ساحةِ الحِلْمِ .
وله كلماتٌ فى الحِكَم باهرةُ اللّمعان ، بِمثلها تُحلّ أضغان وتُرْحَل أظعان .

***

وشِعرُه آخِذٌ بأطراف المعارف ، ماحٍ بأنوار البراهين شُبَهَ الزّخارف .
أثبتُّ منه قطعةً تُنوِّر القلب وتشرحُ الصّدْر ، وتدلُّ على أن قائلها فى المعرفة علِىُّ الهِمّةِ والقدْر .

وهى قوله :

ومِن عجَبِى أن الذين أُحِبُّهمْ ... أراهم بعَيْن القلبِ طُولَ المدَى معِى
وتنْظُرهم عيْنى وهم فى سَوادِها ... ويشْتاقهم قلبى وهُم بين أضْلُعِى
جعلتُ لهم حتى الدّوام حُشاشتِى ... وعن غيرِهم أصْلًا قطعتُ مَطامِعِى
شكَوْتُ لقاضِى الحُبِّ جوْرَ أحِبّتِى ... جَفَوْنِى وقالوا أنت فى الحُبِّ مُدّعِى
فخُذْ قِصّتِى واحكُمْ علىّ ومنهمُ ... فإنِّى عليهم خائفٌ كيف أدّعِى
وعندى شُهودٌ أربعٌ يشْهدون لى ... سَقامِى ووَجْدِى واشْتياقِى وأدْمُعِى
وإن طلبُوا منِّى حُقوقَ هَواهمُ ... أقول فقِيرٌ لا علىّ ولا معِى
وإن سجَنُونِى فى سُجونِ هَواهمُ ... دخلتُ عليهم بالنّبِىّ المُشفَّعِ

✲

# ٣٥٩

## محمد بن سلطان الحافظ الرّشيديّ

الأُفق الفاتح عن ضَوْء النهار ، والرّوض النّافح عن أرَجِ الأزهار .
استقلّ بالفائدة الجديدة ، واستبدل بالآراء السّديدة .
فله فى الجِدّ هِمّةٌ لا تَنِى ، وعزيمةٌ إذا انْدَمت الجبالُ لا تَنْثَنِى .
أُمِنَتْ بحمدِ الله غوائِلُه ، وحَدَّثَتْ عن حُسْنِ أواخِره أوائِلُه .

***

وله فى القَرِيض ، باعٌ طويل عريض ، ورَوْض بلاغته مُخْصِب أريض .
فمن شِعْره قولُه ، فى نَظْم أسماء الأنبياء ، المُصَرّح بهم فى الكتاب العزيز :

أتى فى كتابِ الله أسمـاء جُمْلةٍ ... من الأنبيـاء المُتّقِين ذَوِى الفَخْرِ
فأبدَيْتُ إحصـاء بنظْمٍ لعدّهم ... بأسمائهم أحْلَى مَذاقاً من القَطْرِ
ولم أرَ قبْلى مَن أتى بنِظامِهم ... فهاكَ عَرُوساً أُبْرِزتْ لكَ من خِدْرِ
ولم ألْتزِمْ تَرْتيبَهم فى وُجُـودِهم ... فقدّمْتُ خيرَ الخلقِ أحمدَ فى الذِّكْرِ
فقلتُ وإنّى سائلٌ مُتوسِّـلٌ ... إلى اللهِ فى أن يرفعَ الوِزْرَ عن ظَهْرِى
محمدٌ المُهْدَى إلى الناسِ رَحمـةً ... وآدمُ إدْرِيسٌ ونُوحٌ على الإثْرِ
وهودٌ أخو عادٍ وصـالحٌ الذى ... أتَى بالهُدَى من ربِّه لِذَوِى الحِجْرِ
كذلك إبراهيمُ ذُو الصُّحُفِ الذى ... عليـه ثناه اللهِ فى مُحْكَمِ الذِّكْرِ
ولُوطٌ وإسْماعِيلُ إسْحاقُ بعـدَه ... أتى نَجْلُه يعقوبُ كالكوكبِ الدُّرِّى
شُعَيبٌ ومُوسَى ثم هـارونُ صِنْوُهُ ... عليهم سلامُ اللهِ فى السِّرِّ والجَهْرِ
ويونُس إلْياسٌ وذُو الكِفْلِ كلُّهم ... من المُخْلَصِين الدّائبين على الشُّكْرِ

وداوُدُ ذُو الأيْدِ سُلَيمان بَعْدَه ... وأيُّوبُ مَن قد فاقَ بالأجْرِ والصَّبْرِ
ويوسُف لكنّ المُسَمّى بغافرٍ ... به الخلفُ تحكيه الرُّواةُ بلا نُكْرِ
فقيل ابنُ يعقوبٍ وقد قيل غيرُه ... من الأنبياء المُرْسَلِين ذَوِى الإصْرِ
كذا زكريّاء المُبشّر بالنّدا ... ويحيى وعيسى فاعْتَبِرْ يا أخا الفِكْرِ
كذا يَسَعٌ ثم العُزَيْرُ بتَوْبةٍ ... فسَلْ تَوبةً من مالِكِ الخلقِ والأمْرِ[1]
وذُو الكِفْل أيضا فى نُبُوَّتِه جرَى ... خِلافٌ وأبْدَاه المحَلِّىُّ ذُو البِشْرِ
كذلك إسماعيلُ فيه الخلافُ قد ... أتاك بأنْعامٍ فكُن سالمَ الصَّدْرِ
فقيل ابنُ إبراهيمَ أو هُوَ غيرُه ... من الأنبياء الطاهِرين أُولِى الصَّبْرِ
فهذا الذى فى الذِّكْرِ جاء مُصرَّحاً ... به دُمْتَ مَسْعوداً إلى آخرِ الدَّهْرِ
فجُمْلتُهم يا صاحِ عشرون ثم زِدْ ... ثمانيةً نِلْتَ الشَّفاعةَ فى الحَشْرِ
به أرْتَجِى عَفْواً لِذَنْبٍ جَنَيْتُه ... عسى العُسْرُ يأتى بعدَه أجملُ اليُسْرِ
وتنفَكُّ أقْفالُ القُيودِ بأسْرِها ... وتُفتَح أبوابُ القَبُولِ بلا قَسْرِ
عليهم صلاةُ اللهِ ثم سلامُه ... يَدُومانِ أحْقاباً إلى أمَدِ الدَّهْرِ

***

قوله : « ويوسف به الخلف » فى « الخميس » نقلاً عن « الكامل[2] » ، قيل : موسى هو موسى بن عمران بن يصهر[3] بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم .

وأم موسى يوخانذ[4] .

واسم امرأته صَفورا ابنة شُعَيب النبىّ .

وكان فِرْعونُ مصرَ فى أيّامه قابُوس بن مُصْعَب بن مُعاوية ، صاحب يوسف الثانى .

---

(١) فى ا : « كذا اليسع » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) انظر الكامل لابن الأثير ١/٨٢ .
(٣) فى الكامل زيادة : « بن قاهث » . (٤) فى الكامل : « يوحانذ » .

وكانت امرأتُه آسِية بنت مُزاحِم بن عبيد بن الرَّيَّان بن الوليد فِرْعونِ يوسُفَ الأوّل . انتهى

وقال فى مَحَلٍّ آخر : وقيل : كان المَلِكُ فى أيام يوسف فِرْعونَ موسى وهو مُصْعَب ابن الرَّيَّان ، أو ابن الوليد ، بن مُصْعَب .

عاش أربعمائة سنة ، وبَقِيَ إلى زمان موسى ، بدليل قوله تعالى[1] : ﴿ وَلَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بالْبَيِّنَاتِ ﴾ .

والمشهور أن فِرْعونَ موسى من أولادِ فرعونِ يوسُف ، من بَقايا عاد ، والآية من قَبِيلِ الخطاب للأبْناء بأحْوال الآباء .

وقوله « وذو الكِفْل فى نُبُوَّته خلاف » ، قال البَيْضاوِىّ[2] : فى سورة ص : ذُو الكفل[3] ابن عمِّ يسع[3] أو بِشر[4] بن أيُّوب ، واخْتُلِف فى نُبُوَّتِه . انتهى

ولم يَحْكِ هذا فى سورة الأنبياء ، بل قال[5] : إلياس أو يُوشَع أو زكريّا[6] .

وحِكْمةُ تأخيرِه على القولِ بأنه زكريا ؛ لأن اللهَ تعالى ذَكَره بعد ذِى النُّون ، بقوله تعالى[7] : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ ﴾ ، فهذا يُبْعِد القولَ بأنه زكريّا .

وقال الجلالُ المَحَلِّىّ ، فى سورة ص[8] : اُخْتُلِف نُبُوّتِه ، قيل : كفَل مائة نَبِيّ فَرّتْ[9] إليه من القَتْل . انتهى

ويدلُّك على أن القولَ بنُبُوَّتِه ضعيف ، قولُ الجلالِ المَحَلِّىّ أيضا ، فى سورة الأنبياء[10] : وسُمِّى ذا الكِفْلِ ، لأنه تكَفَّل بصيام جميع نَهارِه ، وقِيام جميع ليلِه ،

---

(١) سورة غافر ٣٤ . (٢) تفسير البيضاوى ٢/٣٤٨ . (٣) فى الأصول مكان هذا : «اليسع» ، والمثبت فى تفسير البيضاوى. (٤) فى الأصول : «مبشر» ، والمثبت فى تفسير البيضاوى.
(٥) تفسير البيضاوى ٢/٨٩ . (٦) هذا آخر قول البيضاوى . (٧) سورة الأنبياء ٨٩ .
(٨) تفسير الجلالين ٢/٣٢٢ . (٩) فى تفسير الجلالين : « فروا» . (١٠) تفسير الجلالين ٢/٧٦.

وأن يقضِيَ بين الناس ولا يغضب ، فوَفَّى [١] بجميع ذلك [١] ، وقيل : لم يكن نبيًّا . انتهى .

وإيرادُه له بقيل ، مع تأخيره إشارة إلى الضعف .

وفى « تاريخ ابن الشِّحْنة » [٢] : وبعث اللهُ تعالى ولدَ أيُّوبَ بِشراً ، وسمّاه ذَا الكِفْل ، وكان مُقامُه بالشّام . انتهى .

فهو والمؤيَّدُ ، صاحبُ حَماة [٣] ، جازِمان بأن ذا الكِفْل ابنُ أيُّوب ، بعثه اللهُ بعد أبيه .

وقوله : « كذلك إسماعيل فيه الخلاف المذكور فى الأنام » : قيل غيرُ ابنِ إبراهيم ، والصحيحُ أنه ابنُه ؛ وإنما أخّر فى الذِّكر لأنه أبو العرَب ، ولم يكن أبًا لبنى إسرائيل ، وإنما كان إسحاق بن إبراهيم ، فلما ذكر إسحاق عدَّ الأنبياء من أولادِه ، ثم عاد إلى ذِكرِ إسماعيل .

وفى « تفسير اللُّباب » : إشماويل [٤] بالعربية : إسماعيل ، وهو متأخِّر عن أولاد إبراهيم بزمان طويل ، وهو الذى أظهر داود وبقِى [٥] إلى زمان [٥] شُعَيب بن [٦] غيفا ، صاحِب مَدْيَن الذى تزوّج موسى بنتَه ، وشُعَيب بن [٦] ذى مهدم ، وإليه الإشارةُ بقوله عزَّ وجلَّ [٧] : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ ، أى بقتلِهم شُعيبًا هذا .

☆☆☆

---

(١) فى تفسير الجلالين : « بذلك » . (٢) روض المناظر بهامش الكامل ١١/ ١٧

(٣) فى تاريخه المختصر فى أخبار البشر ١/ ١٧ (٤) فى ج : « إشمويل » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٥) تكملة يتم بها السياق . (٦) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٧) سورة الأنبياء ١١ .

## ٣٦٠

# محمد بن موسى الحسينيّ الجمَّازيّ*

مَعدودٌ من سُراة الجحافل، مَرْموقٌ في السادة الذين زيَّنُوا المحافل.

تتعطَّر أوْدِيةُ الشَّرف من ريَّاه، وتتقطَّر مياهُ التَّرف من مُحيَّاه.

فيُبدِي عن ماءِ النَّعيم رُواؤه، ويُزِيل الصَّدَى عن الأكبادِ الهِيم إرْواؤه.

***

وله شعر كنَسَبِه عالِي، محلُّه الغُرَّةُ من جَبْهة المعالى.

فمنه قوله لِتِمْثال النَّعْل الشريف:

لِتِمْثالِ النِّعالِ بلا ارْتِيابِ  فضائلُ أدْهشتْ أهلَ الحسابِ

فيا شوقِي لِما وَطِئتْه رِجْلٌ  علتْ فوقَ العُلَى ودنَتْ كقَابِ[1]

تُشرِّفُ لاثِمِيها ثم تَشْفِي  من الأوْصابِ بالقَصْدِ الصَّوابِ

تُخِذْها عُدَّةً من كلِّ هَوْلٍ  تَراه لم يكن لك في حِسابِ

وتبْقَى ما حَيِيتَ عظيمَ جاهٍ  وعِزٍّ في أمانٍ مُسْتطابِ

حَمِدْتُ اللهَ إذْ نظَرتْ عُيونى  لها أشْكالَ حُسْنٍ وانْتِخابِ

---

(*) محمد بن موسى بن محمد الجمازي الحسيني المالكي المصري.
أحد الفضلاء الأعيان، وأحد أئمة البيان.
أخذ عن: محمد بن محمد الغزي الحنفي، وعبد الواحد الرشيدي، ومرعي الحنبلي، والنور الأجهوري.
وكانت له بمصر منزلة، وقدر، وشرف، وولي القضاء بمحكمة ابن طولون.
وله مؤلفات؛ منها: «شرح الأندلسية» في العروض، و«نظم أم البراهين» للسنوسي.
وكانت وفاته بمصر، سنة خمس وستين وألف.
والجمازي: نسبة إلى الأمير عز الدين جماز بن شيحة.
خلاصة الأثر ٤ / ٢٣٤، ٢٣٥، سلافة العصر ٤٠٧، ٤٠٨ وفيه: «السيد محمد بن موسى الجوادي الحسني».

(١) يشير إلى قوله تعالى، في سورة النجم ٩: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾

وَمَزْجِهَا مع التَّكْرارِ فَرْدٌ ... إذا خَفَقْتَ مع كَشْفِ النِّقابِ

فجَازَى اللهُ مُهْدِيها إلينا ... جزاءَ الخيرِ مع حُسْنِ المآبِ

***

وقوله فيه أيضا :

لمَّا رأيتُ مِثالَ نَعْلِ المُصطفَى ... المُسْنَدَ الوَضْعِ الصَّحِيحَ مُعَرَّفَا

مِن حَضْرةِ الأعلامِ زاد تشوُّقِي ... وتَشوُّفِي فازْدَدْتُ منـه تَرَشُّفَا

مُذ باشَرتْ قَدَمَ الحبيبِ تشرَّفتْ ... فانْحُ الشِّفاءَ بلَثْمِها تجدِ الشفَا

يا طَالَمـا مَرَّ اللُّغُوبُ من الأذَى ... وأضَرَّ بالجسمِ الضَّعِيفِ تعسُّفَا[1]

وأصابنى داءُ الشَّقيقةِ مُؤلِماً ... وبقِيتُ ممَّا نالنى مُتَخوِّفَا[2]

فمسحتُ وَجْهِى بالمِثالِ تبرُّكا ... فشُفِيتُ مِن وَقْتِى وكنتُ على شَفَا

وظفِرتُ بالمطلوبِ من بَرَكاتِه ... ووجدتُ فيه ما أُرِيدُ مع الصَّفَا

لِمْ لا وصاحبُه أتانا رحمـةً ... الهاشمِىُّ الأبطَحِىُّ المُقْتَفَى

صلَّى عليـه اللهُ جلَّ جلالُه ... مع آلِه الغُرِّ الكرامِ ذوِى الوفَا

***

أحْسَنُ ما قيل فى هذا المَعْرِض قولُ بعضهم[3] :

مُذ شاهدتْ عَيْناى شكلَ نِعالِهِ ... خطَرتْ علىَّ خوَاطِرٌ بمِثالِهِ

فغدَوْتُ مشغولَ الفؤادِ مُفكِّراً ... مُتمنِّياً أنِّى شِراكُ نِعالِهِ

حتى أُلامِسَ أخْمَصَيْهِ مُلاطِفاً ... قَدَماً لمن كشَفَ الدُّجى بجَمالِهِ

يا عَيْنُ إن شَطَّ الحبيبُ ولم أجِدْ ... سَبَباً إلى تَقْرِيبِـه ووِصالِهِ

فلقـد قنِعتُ برُؤْيَتِى آثارَهُ ... فأمَرِّغُ الخدَّيْنِ فى أطْلالِهِ

---

(١) اللغوب : التعب والإعياء . (٢) الشقيقة : وجع يأخذ نصف الرأس والوجه .

(٣) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢٣٥/٤ ، وفيه أنها للمترجم ، وكذلك فى السلافة ٤٠٧ .

وأصلُ هذا قولُ علاء الدين بن سلام[١] :

يا عينُ إنْ بَعُدَ الحبيبُ ودارُهُ  وَنأتْ مَرابِعُه وشَطَّ مَزارُهُ
فلقد ظفرْتِ من الزَّمانِ بطائلٍ  إن لم تَرَيْهُ فهــذه آثارُهُ

ومثلُه قولُ لسان الدِّين بن الخطِيب التِّلِمْسانيّ[٢] :

إن بانَ مَنْزِلُه وشَطَّ مَزارُهُ  قامتْ مَقامَ عِيانِه أخْبارُهُ
قَسِّمْ زمانَك عَبْرَةً أو عِبْرَةً  هــذا تَراهُ وهذه آثارُهُ[٣]

ولهذا الشاعر مُعاصِرٌ اسمُه محمد بن ضيف الله ، ويُعْرَف بالتُّرابِيّ ، رَشِيدِيُّ التُّرْبة، له في وصف التِّمْثال الشريف :

لِمَنْ قد مَسَّ شكلَ نِعالِ طَه  جَزِيلُ الخيرِ في يومِ الثوابِ
وفي الدنيا يكونُ بخــير عَيْشٍ  وعِزٍّ بالهنــاء بلا ارْتيابِ
فبادِرْ والْثِمِ الآثارَ منهــا  لقَصْدِ الفَوْزِ في يومِ الحسابِ
فنِعمَ القَصْدُ أشْرفُ شَكْلِ نَعْلٍ  لقد وُضِعتْ على وَجْهِ التُّرابِ[٤]

والذي جرَى في مَيْدان هذا التِّمْثال فلم يُلْحَق الشهابُ الخفاجيّ ، حيث قال :

لَعَمْرُكَ نَعْلُ المصطفى بَرَكاتُهــا  يُشاهِدُها كلُّ امْرِىءٍ كان ذا عقلِ
ولو أن في وُسْعِي زِمامَ تصرُّفِي  جعلتُ لهــا جَفْني مِثالاً بلا مِثْلِ
وكان أَدِيمُ الوَجْهِ فوق أدِيمِها  يَقِيها غُباراً من تُرابٍ ومن رَمْلِ

---

(١) البيتان في : خلاصة الأثر ٤/٢٣٥ ، سلافة ٤٠٧ ، وفيه أنهما من قول الشيخ علاء الدين بن سلام بن الشيخ جلال الدين ابن خطيب داريا ، وقد مر في جماعة من أصحابه بمزار السيدة زينب بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

وترجمة جده جــلال الدين محمد بن أحمد بن سليمان الأنصاري الدمشقي ، ابن خطيب داريا ، المتوفى سنة عشر وثمانمائة ، في : بغية الوعاة ١/٢٥ ، الضوء اللامع ٦/٣١٠ .

(٢) خلاصة الأثر ٤/٢٣٥ ، وسلافة العصر ٤٠٧ . (٣) في خلاصة الأثر : « عبرة أو عسرة » ، وفي السلافة : « عبرة أو غيرة » . (٤) في ب : « أشرف كل نعل » ، والمثبت في : ا ، ج .

أُفَصِّلُ مِنْ دِيبَاجَتِيهِ وِقَايَةً ... تُمَدُّ عَلَيْهَا حَذْوُكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ (١)

وقال :

وحَقِّكَ تِمْثَالُ النِّعَالِ مُكَرَّمٌ ... بِهِ اعْتَرَفَ العَقْلُ المُدَقِّقُ والفَضْلُ

ونَعْلٌ لأَقْدَامٍ يَلِينُ لَهَا الصَّفَا ... أَيَقْسُو عَلَيْهَا القَلْبُ مِمَّنْ لَهُ عَقْلُ

تَفَاءَلْتُ مِنْ تَقْبِيلِهَا أَنَّنَا بِهَا ... عَلَى كُلِّ ذِي قَدْرٍ رَفِيعٍ غَداً نَعْلُو

٭٭٭



(١) فى ا : « حذوها النعل بالنعل » ، والمثبت فى : ب ، ج .

## ٣٦١
## موسى القَلِيبيّ الأزهَريّ

كاملٌ فى صَنْعةِ التَّأديب ، لَفْظُه الأزْهَرِيُّ تَهْذِيبُ التَّهْذيب .
أحْسَن ماشاء فى النَّظم والإنشا ، وأفاض قَلِيبُه فملا الدَّلْوَ وبَلّ الرِّشا .
يُنادِى الأدبَ إلى طاعتِه فلا يتوقَّف ، ويُلقِى عَصا سِحْرِه المِصْرِيّ فتتلقَّف .

***

فمما اخْترتُه من شِعْرِه المعْسول ، هذه القطعة من مُوَشَّح قاله فى التَّوسُّل بجاه الرسول .

وقد كان أصابه رَمَد ، فزال عنه بلُطْفِ القادر الصَّمَد :

يا إلهى بكريمِ الــــكُرمَا طاهرِ الأنفاسْ
ألطفِ الخلقِ رحيمِ الرُّحَمَا سيِّدِ الأكْياسْ

***

عَبْدُكَ المختار من أمِّ القُرَى لقِيامِ الدِّينْ
الحبيبُ المُجتَبَى عالِى الذُّرَى صاحبُ التَّمكينْ
عَرْشُ سِرِّ الله مابين الوَرَى شامِخُ العِرْنِينْ

***

رافعُ الخطب إذا مادَهَمَا دَافِعُ الأدناسْ
أعلمُ الناسِ بما قد قَدِما قبل عصرِ اليَاسْ

***

نُقْطةُ التَّفضيلِ فى الدَّوْرِ القَديمْ مَظْهرُ اللّاهُوتْ[1]
ظاهرُ التفْضيل مِن قَبْلِ الكَليمْ باطنُ النَّاسُوتْ

(١) فى كليات أبى البقاء ٥٧٩ : « اللاهوت : الخالق ، والناسوت . المخلوق ، وربما يطلق الأول على الروح ، والثانى على البدن ، وربما يطلق الأول أيضا على العالم العلوى ، والثانى على العالم السفلى ، وعلى السبب والمسبب ، وعلى الجن والإنس » .

مُفْصِحُ التَّعبيرِ عن أهلِ الرَّقِيمْ     قامِعُ الطَّاغُوتْ[1]

***

تَرْجُمانُ الطِّلَّسْمِ الغَيْبِيِّ ما     قال ربُّ النَّاسْ[2]

جاء جبريلُ به ممَّن سَمَا     لجلاءِ البَاسْ

***

الرسولُ المُقتفَى ممَّن مَضَى     مَهْبِطُ الأسرارْ

الصِّراطُ المُستقِيمُ المُرْتَضَى     صاحبُ المِقْدارْ

شاهِرُ السيفِ القويمِ المُنْتضَى     ماحِقُ الأغيارْ

***

كالِئُ الإسلامِ حتى أن سَمَا     كاسِرُ الأرْجاسْ

شافِعُ الخلقِ إذا اشتدَّ الظَّمَا     صافِعُ الوَسْواسْ

***

قد توسَّلْتُ به أرْجُو الفَرَجْ     فامْـسَحْ آثامِي

وأزِلْ عنِّي عَنائِي والحَرَجْ     واجْلُ إجْرامِي

وبلُطْفٍ منك بَرِّدْ ماوَهَجْ     واشْفِ أسْقامِي

***

وتلطَّفْ يا إلٰهِي كَرَمًا     بضَعِيفِ الرَّاسْ

وأغِثْنِي وأعِـــذْنِي كلَّما     وَسْوَسَ الخنَّاسْ

***

صلواتٌ واصِلاتٌ كلَّمـا     دارتِ الأفلاكْ

وسَـلامٌ ورِضـاً قَدْرُ ما     سبَّحتْ أمْلاكْ[3]

لحبيبٍ ونَبِيٍّ قـد حَمَى     مِن عَمَى الإشراكْ

***

وعلى آلٍ وصَحْبٍ رحمـا     عِـتْرةِ العبَّاسْ

ماغُصَيْنٌ في رياضٍ قد سَمَـا     وبلُطْفٍ مـاسْ

---

(١) الرقيم: لوح كتب فيه خبر أصحاب الكهف، ونصب على باب الكهف. غريب القران لابن عزيز ١٢٣. (٢) الطلسم، بكسر الطاء وتشديد اللام وسكون السين، كما في شفاء الغليل ١٠٠ وقد خفف الشاعر اللام ونقل حركة الفتح إلى السين كما ترى (٣) في ا: «سبحت أفلاك»، والمثبت في: ب، ج.

( نفحة الريحانة ٤١/٤ )

## ٣٦٢

## محمد المنُوفىّ القاضى

أديبٌ جيِّدُ التعبير ، مُتقِنُ التَّوْشِيةِ والتَّحْبير .

والقاهرةُ أُفُقُه الذى به استَهل ، وَمَحَلُّ عَيْشِه الذى شَبَّ فيه وا كْتَهل .

ثم وَلِىَ القضاء مِراراً عِدَّة ، وتردَّد فى نَصَبِ المَناصِب إلى أن استوْفَى المدَّة .

***

وله شعر أطْرَبتْ به قَصَبُ اليَراعة ، وابتهجتْ بِرَوْنَقِه رياض البَراعة .

فمنه قولُه من قصيدة فى المدح ، أولها :

لئن ضاق ذَرْعِى أو تغيَّرَ حالى ... وعطَّل منِّى الدهرُ ماهو حالِى

وأفردنى صِفْرَ اليدين وناشنى ... بمِخْلَبِه الإشْفَى وفرّق بالِى(١)

نخيرُ الورَى ذُخرِى وكَهْفِى ورُدَّتِى ... يُخلِّصُنِى منه بغيرِ سُــؤالِ

فهِمّتُه زُهْرُ الكواكِبِ دُونَها ... ومجلسُه السَّامِى مَحطُّ رِحالِى

منها :

إذا خطّ فى طِرْسٍ رأيتَ جواهراً ... تنظَّمُ فى سِمْطَىْ حياً وجمالِ

وإن قال لم يترُك مَقالاً لقائلٍ ... وإن صال جالَ القِرْنُ كلَّ مَجالِ

ولا عجبٌ من سَيْبِ سُحْبِ نَوالِه ... ومَبْسِمِه الأسْنَى وحُسْنِ فِعالِ

ولكنْ عجيبٌ لاترَى بك وَحْشةً ... وأنتَ بدُنْيــانا عديمُ مِثالِ

***

وكتب يهنِّيه بعيد النَّحْر :

تهَنَّ بعيد النَّحْرِ ياواحدَ الدَّهْرِ ... ودُمْ فى الهنا والعزِّ والمجدِ والنصرِ

---

(١) الإشفى : المثقب .

تُقلِّدنا فيــــه قلائدَ أنْعُمٍ   وأحسنُ ماتبدُو القلائدُ فى النَّحْرِ

فهذا زمانُ الأمْنِ واليُمْنِ والمُنَى   وهذا زمانُ المدحِ والحمدِ والشكرِ

ولمَّا حَطَطْتُ الرَّحْلَ دونَ عِراصِه   أخذتُ أمانَ الدهرِ من نُوَبِ الدهرِ

وما عَتْبُــه إلَّا بأنى وَصفتُه   وشَبَّهتُه بالبدرِ والليثِ والبحرِ

ومن يكُنِ الرحمنُ خَلَّدَ مُلْكَه   وأثنَى عليه اللهُ فى مُحْكَمِ الذِّكْرِ

يَحِقُّ له أن يبسُط الكَفَّ بالعطَا   وينصُرَ مكسوراً من الفقرِ بالجَبْرِ

***

قوله : « (١) تقلِّدنا فيه قلائد (١) » البيت ، لمَّا رأيتُه منسوباً إليه ، استكثرتُ معناه البديعَ عليه .

ثم ظفِرْتُ به فى أشْعارِ بَلَدِيِّه ابنِ نُباتة ، فعرفتُ أن التَّضْمين مافاته .

ولابن نُباتة بيتٌ قبلَه ، وهو (٢) :

تَهَنَّ بعيدِ النحرِ وابْقَ مُمتَّعــاً   بأمثالِه سامِى العلى نافِذَ الأمْرِ

وأصلُه قولُ زَكِيِّ الدين بنِ أبى الإصْبَع ، وفيه الاستِتْباع (٣) ،

تخيَّــلَ أن القِرْنَ وَافاهُ سائلاً   فقابَــلَه طَلْقَ الأسِرَّةِ ذا بِشْرِ

ونادَى فِرِنْدَ السيفِ دُونَك نَحْرَهُ   فأحْسَنُ ماتُهْدَى اللآلِي إلى النَّحرِ

وفى مُنشَآت ابنِ نُباتة : وصَلَ المِثالُ الأعظم فقبَّل الملوكُ الارضَ أمامَه مِرارا ، واسْتَرْسَل سماء النِّعْمة مِدرارا .

وعارَض بِقطَرات مَدْحه البحر ، وتقلَّد فى هـذا العيد قِلادة الكَرَمِ وأحسنُ ما كانت القِلادةُ فى النَّحْر .

***

(١) زيادة من : ج ، على ماق : ا ، ب .

(٢) البيتان فى ديوانه ٢٤٤ .   (٣) البيتان فى تحرير التحبير ٤٤٦ وسمى ابن أبى الإصبع هذا اللون التعليق .

## ٣٦٣
## محمد بن معتوق المنوفىّ القاضى

فاضلٌ قال(١) من الفضْل بظلٍّ وَريف، وكاملٌ حلّ من الكمال بين خِصْب وريف. حسّنَ اللفظ وجوّده، وبيّض وَجْهَ البلاغة بما سوّده.

***

وله شعر ألذُّ من غمزات الألحاظ المِراض، وأشهى من تلفُّتِ الظِّباء بعد الإعْراض.

أنشدنى له بعضُ المِصريِّين قوله:

رمى رِيمُ النّقا من أرْض رَامَهْ بلَحْظٍ فى الحشايُذْكِى ضِرامَهْ

فمـــا ثُعَلٌ براميةٍ نِبالاً إذا ما استلّ من لحْظٍ حُسامَهْ(٢)

شُعورِى ضَلّ فى داجِى شُعورٍ تُظالُ وَجهَه من فوقِ هامَهْ

ألا فاعجَب لظِلٍّ فوق شَمْسٍ وبدرٍ قد أظلّته غمامــــهْ

وخِشْفٍ بالشّمائل والمَزايَا تراه يَصيدُ مِن غابٍ أُسامَهْ

يمرُّ مُسلِّماً صبٌّ عليـــه فلا يَرضَى لعاشقِه سَلامَهْ

ويقتُل مَن يَهيمُ به مَلُوماً وليس عليه فى قتْلٍ مَلامَهْ

منها:

أخا الغِزْلانِ رِفقاً بالمعنَّى فمِن مَعْناك قد حَلَّى نظامَهْ

يُسامِى فكرُه العَيُّوقَ حتّى يُسامِرَه ويُسمِعه كلامَهْ(٣)

⁂

---

(١) من القيلولة. (٢) بنو ثعل: قوم عرفوا بجودة الرمى، وتقدم ذكرهم.

(٣) العيوق: نجم أحمر مضىء فى طرف المجرة الأيمن، يتلو الثريا لا يتقدمها. القاموس (ع و ق).

# ٣٦٤

## على بن موسى الأبيَض

قَمَرُ ذَكاه يلَذُّ على طَلْعتِه السَّمَر ، وربيعُ فضلٍ يَطِيب منه النَّور والثَّمر .
رأيتُه بمكة فرأيت شخصاً بحِلْيةِ التُّقى متحلِّيا ، ومن هُجْنةِ الرِّياء مُتخلِّيا .
وهو ذو بيْضاء نقِيّة ، فيه من نزْقة الشباب بقِيّة .

***

وله شعر أعُدُّه من وَساوِس فكرِه ، إلّا أنِّى لم أر بُدًّا من ذِكْرِه .

فمنه قوله ، من قصيدة فى الغزل :

سَبَتْنى بحُسْنِ البَهــا والكَحَلْ ... إلى أن بدَا الشيبُ عندى وحَلّ
وفتّشْتُ قلــبِى وجسمى فلمْ ... أجِدْ فيهمــا لِسواها مَحَلّ
وحالفتُ مُسْهِدِىَ جُنْحَ الدُّجَى ... وخالفتُ يا صاحِ نَوْمَ المُقَلْ
أيا عاذِلِى دَعْ مَلامِى ولا ... تَسَلْ عن غرامِى بها لا تَسَلْ
أنا الوالِهُ الصَّبُّ لا غَرْوَ أن ... لبِستُ ثيابَ التَّصابِى حُلَلْ
رعَى اللهُ دهراً بهــا قد مَضَى ... بوَصْلٍ ومنهــا سُقِيتُ العَلَلْ[1]
وفيهــا صَفَا باللِّقــا خاطِرِى ... وزالتْ كُروبِى بهــا والمِلَلْ
وماسَتْ بأعْطافِهـــا وانْثَنَتْ ... دَلالًا بقَــدٍّ يفُوق الأسَلْ
وطافتْ بكأسِ الطِّلا فى الدُّجَى ... كبــدرٍ ببُرجِ السُّعودِ اكْتَمل
وقالتْ ألا أيهـــا المُجْتَبَى ... تَهَىَّ إلى الوَصْـــلِ وانْفِ المَلَلْ
سكِرتُ سكِرْتُ ووَقْتِى صَفــا ... ونجْمِى بسَعْدِ السُّعودِ اتَّصَلْ
ونِلْتُ المُــنَى حين وَاصَلْتُها ... ومَصَّيْتُ ثغرًا يحاكِى العسَلْ
ونزّهْتُ طَرْفِى فى وَجْنَــةٍ ... غدا الوردُ مِن حُسْنِها فى خَجَلْ

---

(١) العلل : الشرب بعد الشرب .

وهِمْتُ بأقداحِ أحداقِهـــا وتَيَّمنِى غَزْوُها والغَزَلْ
فللــهِ من أعْيُنٍ جرّدتْ سِهاماً وكم جنْدَلتْ من بَطَــل
رَنَتْ لى بهـــا بعدما أنشدَتْ على عُودِها نَغْمَةً مِن رَمَلْ[1]
وأطْيـــارُ أُنْسِىَ قد غَرّدتْ بمُغْرِبِ لَحْنٍ غريبِ المَثَلْ
وَإِمْتُ بهـــا وخلعتُ السّوَى وسَمْسَمَنِى رِدْفُهـــا والكَفَلْ[2]
فوُقّيت فى الحبِّ شرَّ العِـــدَى وفى كلِّ حالٍ بلَغْت الأمَلْ





(١) فى ا: « نفحة من رسل »، والمثبت فى: ب، ج. (٢) سمسم الرجل: مشى مشيا رفيقا.

## ٣٦٥
## محمد بن عمر الحوانكيّ

أديبٌ خبرُه مُتمتِّعُ الأسْماع ، وعِشْرتُه سَلْوَى الأماني وحَظُّ الأطْماع .

لقِيتُه بالرُّوم والحالُ حَالِي ، والعَيْشُ من كَدَرِ الأيام خالِي .

وأنا وإيَّاهُ حَلِيفا صِبا ، وأليفا شَمُولٍ وصَبا .

لم يُشَبْ مِسْكُ عارِضَيْنا بعَارِض ، ولم يَذُرْ كافُور التَّجارِبِ مِنَّا فى عارِض .

فكنتُ أتمتَّعُ من لفظِه بمـا يُنعِش كلَّ خافٍ خافِت ، ومن معناه بمـا يُحرِّك كلَّ هافٍ هافِت .

حتى غار القضا فأغَار ، واسْترَدَّ منى ما كان أعار .

فانفصَمَ ذلك العِقْدُ الثمين ، وتفرَّقْنا ذاتَ الشِّمال وذاتَ اليَمين .

***

ثم رأيتُـه بدمشق فى سنةِ مائةٍ وألف ، وقد عرَض البَياضُ لعارِضِه ، كما صرَّح لى بعد مُعارَضَة .

وصِرْنا فى بُرْدٍ من الشَّيْب مُنْهَج[1] ، بعد أن كُنَّا فى بُرْدٍ من العيش مُبْهِـج .

فما استَتمَّ السُّؤال عن كيْفيَّة الحال ، حتى خاطَبْتُه على سبيل الارْتجال :

لا تَعِيبَنَّ صُفْرَةَ اللَّونِ مـــنِّى ... واحْمِرارَ الدموعِ فى أجْفانِى

فبياضُ المَشِيبِ يُنبِئُ أنِّى ... غَيَّرتْنِى تلوُّناتُ الزمانِ

فأمْلَى علىَّ من فُصوله القِصار ، قولَه :

الموتُ الأحمر فى الخطِّ الأسود ، والعَدُوُّ الأزرق فى بنى الأصْفر ، والشَّيبُ الأبيض فى عَدَمِ العيش الأخْضَر .

***

(١) برد منهج : أسرع فيه البلى .

وهذا كما تراه يُعارِض قولَ الحريرىّ فى المقامة الثالثة عشرة[1] :

« فمُذ اغبرّ العيشُ الأخضر ، وازورّ المحبوب الأصفر ، اسودّ يومى الأبيض ، وابيضّ فَوْدِي الأسود ، حتى رثَى لى العدوُّ الأزرق ، فحبّذا الموتُ الأحمر » .

وقوله : « العدو الأزرق » يعنى الشديد العَداوة ، أو الأزرق العيْن ، يريد الرُّوم ؛ لأن أكثرَهم زُرْقُ[2] العيون ، فبنُو الأصفر على الأوّل بَنُو الذهب ؛ وهم الدّنانير ، وعلى الثانى الرُّوم .

ومن الأوّل تعرف أن الحريرىّ عبّر بالمحبوب ، فلَحظ جانبَ مَدْحِه ، كما فعل فى المَقامة الدِّيناريّة ، حيث مدحه فقال[3] :

* أكْرِمْ به أصْفَرَ راقتْ صُفْرتُهْ *

إلى أن قال :

* وحُبِّبَتْ إلى القلوبِ غُرّتُهْ *

وأما هو فعبّر بالعَدُوّ ، ولاحظَ جانبَ ذَمّه تبَعًا للحَرِيرىّ ، حيث ذمّه ، فقال[4] :

تبًّا له من خادِعٍ مُماذِقِ أصفرَ ذى وَجْهَيْن كالمُنافِقِ

والموتُ الأحمر هو موتُ الفُجاءة ، وقيل : هو الموتُ الشديد ، وهو القتل بالسيف ، وذلك لِما يحدُث عن[5] القتل من الدّم ، وقد يُكْنَى عن الأمر المُستصعَب بالموت الأحمر ، ويقال : سنةٌ حمراء ، أى شديدة ، وقيل : الموتُ الأحمر الفقر .

وفى « الحواشى الفَنَاريّة على المُطوّل[6] » : الموتُ الأحمر يُرْوَى بالتّوصيف وبالإضافة ، فالأحمز[7] على الثانى بالزاى المعجمة ، قيل : هو حيوان بَحْرِىّ يشُقّ موتُه ، والظاهر أنه

(١) مقامات الحريرى ٨٩ ، ٩٠ . (٢) فى ا : « من زرق » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) مقامات الحريرى ٢١ . (٤) فى المقامة الدينارية أيضا ، صفحة ٢٢ .

(٥) فى ج : « من » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٦) « المطول » لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى ، المتوفى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ، وهو شرح على « تلخيص المفتاح » للقزوينى .

(٧) فى ب ، ج : « الأحمر » ، والمثبت فى : ا ، وانظر ما يأتى .

على الثانى، وعلى الأول بها أيضا من الحازة ، وهى الشدّة ، وقيل:هو عليه بالراء المهملة ، فيُراد به موتُ الشُّهداء ، والأول أقربُ كما لا يخفى . انتهى .

***

وجرى بيني وبينه ذكرُ بلوغِ الأربعين من العمر ، فقال : كيف ترى حالَك ، وقد بلغتَ الأشُدّ ؟

فقلتُ : قد فارقتُ الشدّة ، وبلغتُ الأشُدّ ، فأنا قد عدِمتُ معه السَّداد فمَن لى بالأمَدّ .

ما يُرجّى من أرذلِ العمرِ شيخٌ    مِن بلوغِ الأشُدّ يلقى الأشدّا

***

وأنشدنى من لفظه لنفسه قولَه مُضمِّنا :

ولا أختشِى إن مسّنِى ضُرُّ حادثٍ    إذا كان عُقباهُ ارتفاعِى من الخفضِ

ولا الدهرَ مهما إن أطال له يداً    فتلك يدٌ جسَّ الزمانُ بها نَبْضِى

فإن عِشْتُ أدركتُ المَرامَ وإن أمُتْ    وأسرعَ أربابُ الودائعِ للقبضِ

ولم نُشْفَ من ماء الحياةِ غَلائلى    فلله ميراثُ السمواتِ والأرضِ

☆☆☆

## ٣٦٦

## محمد المعروف بالصائغ الدِّمْياطِيّ*

صائغُ القول صَوْغَ الإبْرِيز ، ورَبُّ السَّبْق فى البراعة والتَّبْرِيز .

اتَّفَق على فضلِه الجَمْع ، وتَغايَر على محاسنِه البصرُ والسَّمع .

وقد ورَد علىَّ بالقاهرة[1] وخاطِرِى بنوادِر التُّحَف مُتولِّع ، وناظِرِى لأطَارِف المُلَح مُتطلِّع .

فصادفتُ فيه المُؤَمَّل ، ولَعَمْرِى إنه كاملٌ مُكمَّل .

فامتزجْتُ أنا وإيَّاه على التآلُف والتَّعطُّف ، ولم أرَ مثلَه فى كَثْرةِ التحبُّبِ والتلطُّف .

وها أنذا شاكرٌ من ألْطافِه ما قلَّ وما جَلَّ ، والمَودَّة فيما بيننا خالصةٌ لله عزَّ وجَلَّ .

***

وقد تناولتُ من أناشيده نَثِيرَ الجُمان ، وأحْمَد اللهَ على أن جمعنى وإيَّاه الزمان .

فما أتْحفنِي به هذه القصيدة ، مدح بها الأستاذ زَيْن العابدين البَكْرِيّ[2] :

رفعتْ بأطْرافٍ رِطابِ ... عن وجهها طَرفَ النِّقابِ

فعجبتُ كيف البدرُ يجْـ ... ـلو الشمسَ عن صَدَأ السحابِ

ورَنَتْ بمُقْلتِهـــا التى ... هى فِتْنتِى وبها عذابِى

فرأيتُ خمرَ الجَفْنِ أسْـ ... ـرعَ للمدارِك بالذَّهابِ

---

(*) فى ب : « المعروف بالصائغ الضمياطى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(١) فى ب : « القاهرة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) تقدمت ترجمته فى هذا الجزء ، برقم ٣٣٢ .

والسِّحرَ سِحْرَ العَيْنِ لا ... سِحْرَ العزيمةِ والكتابِ
وتبسَّمتْ عن أشْنَبٍ ... يفْتَرُّ عن عَجَبٍ عُجَابِ[1]
دُرٌّ ترصَّـــع في الشَّقِيـ ... قِ الغضِّ بالشُّهْدِ المُذابِ
والوردُ صان الثَّلجَ خَشْـ ... يةَ أن يسيلَ من الرُّضابِ
والأُقْحُوانةُ كيف تَنْـ ... بُتُ في اليَواقيتِ العِذابِ
وكأنه كأسٌ تلوَّ ... نَ بالرَّحيقِ وبالُحبابِ
ونظرتُ آيةَ خدِّهـــا ... فقرأتُ عنوانَ الكتابِ
وعلمتُ أنّ الموتَ دُو ... نَ وُرودِ مَبْسِمِها الشَّرابِ
رَيّانةُ الأعْطافِ مِن ... ماء اللَّطافةِ والشبابِ
صَلْدِيَّةُ الأحشاء حَاشا ... هَا ترقُّ لذى تَبابِ[2]
تَزْهُو إذا رأتِ الصَّرِيـ ... عَ مُعفَّراً فوق الترابِ
تزهو بخاتَمِهـــا وخِنْـ ... صِرِها المُقَمَّعِ بالخِضابِ
وتظَـــلُّ عابسةً كما ... يلْهُو المُفكِّرُ بالحسابِ
إن أنسَ لا أنسى مَقا ... مَ رَحِيلها وعَداكَ ما بِي
زَمُّوا المَطِيَّ وزمَّـــلُوا ... خُمُرَ الهَوادِجِ والقِبابِ[3]
رحَلُوا فعزَّ القلبُ مِن ... صَدْرِى وما حُلَّتْ ثيابِي
يا لائمِي في الُحبِّ دَعْ ... عَذْلِي فليس عليك عابِي[4]
هَبْنِي ضَلِلْتُ فمـــا عليْـ ... كَ إلى الهدايةِ مِن حسابِ

---

(١) في ا «عن عجب العجاب» ، والمثبت في : ب ، ج .
والشنب : بياض الأسنان وحسنها .
(٢) يعنى بصلدية الأحشاء : قسوتها وعنفها . والتباب : الخسران والهلاك . (٣) زمل الشيء : لفه .
(٤) في ب : « فليس عليك غابي » ، والمثبت في : ا ، ج .

مَن لى بأن أُدْعَى حَليـ ... فَ صَبابةٍ ولقَى تَصابِى[1]
أنا لَذَّ لى ذُلُّ الهوى ... وأرى خَطاىَ به صوابى
والعِزُّ يخدمُ ساحتِى ... والسَّعْدُ مُرْتَبَطٌ ببابِى
بمـديح زَيْن العابدِيـ ... نَ الحَبْرِ محفوظِ الجَنابِ
ابنِ القَوارِحِ والخوا ... تِمِ والعَواصِمِ والمَتابِ
وابنِ الخلافةِ والإنا ... فةِ والإمامةِ والمآبِ
فَرْدُ الوجودِ ومَظْهرُ التَّـ ... كْميلِ فَيَّاحُ الرِّحابِ
طَلْقُ الجَبينِ إذا تصدَّ ... رَ للخُطوبِ أو الخِطابِ
سهـلُ الخلائقِ للعُفا ... ةِ وللعِدَى صَعْبُ الحِجابِ
مِن بأسِـه تَجِدُ الملو ... كَ الصِّيدَ مُرْتَعِدِى الإهابِ[2]
إن تَلْقَهُ تَلْقَ المُؤَمَّـ ... لَ للمَثُوبةِ والوِثابِ
وإذا نظرْتَ الوجهَ منْـ ... ـه تَرَ الجَلالةَ فى المَهابِ
وإذا استَمحْتَ يَمينَهُ ... حُزْتَ اليَسارَ بلا حسابِ
وإذا استَغَثْتَ بجاهِهِ ... فتُغاثُ منه بمُسْتَجابِ
طابتْ عناصِرُه وطا ... بَ الأصلُ منه بمُسْتَطابِ
سَعِدتْ به الأيامُ وابْـ ... ـتهجَ الزمانُ على الحِقابِ
وعَلَتْ به رُتَبُ العُـلَى ... فوقَ الثَّوابتِ بالثَّوابِ
وبذِكْرِه تَرْتاح أفْـ ... ـئدةُ المَحامدِ والمَحابِ[3]
مِن عُصْبةٍ طابتْ أُرُو ... مَتُهم بفخرٍ وانْتِخابِ

---

(١) الاتى : الماق المطروح . (٢) فى ا : « من باسمه » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) خفف الباء فى « المحاب » للوزن .

قومٌ لهم شَرَفٌ وحَقٌّ م اللهِ فى أُمِّ الكتابِ
حُبِّى بَنِى الصِّدِّيقِ دُخْ رِى للقيامةِ واحتسابِى
وبه أرومُ الفَوْزَ فى الدُّ نيا وفى يومِ الحسابِ
وهُنا وعُمْرِ أبيكَ قد نَوَّخْتُ راحلةَ الطِّلابِ
وجعلتُ مَدْحِى فى بَنِى الصِّ دِّيقِ ما قد عِشْتُ دابِى

***

وأنشدنى من لفظه لنفسه ، قال : وهو مما قلتهُ فى الرُّؤية :

كأنما الشمسُ فى الإشراقِ طالعةٌ خَوْدٌ تَرِفُّ على أرضٍ من الذهبِ
وإن تدلَّتْ لنحْوِ الغربِ مائلةً تجُرُّ من خَلْفِها ذيلاً من اللَّهَبِ

***

وأنشدنى قوله :

للهِ قومٌ عهِدتُ حُبَّهُمُ فرضاً علىَّ الغرامُ قد كتَبا
كأنما القلبُ عند ذكرِهمُ طَيْرٌ أحسَّ الوُقوعَ فاضْطَرَبا

***

وقوله :

أذِلُّ لعِزَّتِه يُعْجَبُ وأرْضَى فيُغْضِبُه فاعْجَبُوا
وأسألُه العَفْوَ عمَّا جَنَى علىَّ كأنِّى أنا المُذْنِبُ

***

وقوله :

بالرُّوحِ أفْدِى عِذاراً أبانَ للناسِ عُذْرِى
أقول مُتُّ غراماً يقول ياليتَ شِعْرِى

***

وقوله :

تعلَّقَتْ بك آمالى وأطْمَعنِى فيك الوُثوقُ بأنِّى منك لم أُضَعِ

فجُدْ بإنجازِ وَعْدِي كي أفوزَ ولا ... تُمِتْ رجائِيَ بين الياسِ والطَّمعِ

***

وقوله :

أرى الدنيـــا وإن رفَعتْ ... لأعْـــلَى ذِرْوَة الفَلَكِ

سترْمِي مَن يُغَرُّ بهـــا ... لأدْنَى هُـــوَّةِ الدَّرَكِ

فإن نصَبتْ حبائلَهـــا ... فخَفْ من حَبَّةِ الشَّرَكِ

***

وقوله :

مَن كان باللهِ لا يُبـــالِي ... إن أكثرُوا اللَّوْمَ أو أقلُّوا (١)

ومَن يكن همُّهُ سِـــواهُ ... فإنمـــا حَظُّهُ الأَقَـــلُّ

***

وقوله :

لَاثَ على رأسِـــه عِمامَةً ... فنال منه الجمـــالُ آمالَهْ

كأنه وهْـــو تحتَها قمرٌ ... دائرةٌ فوق رأسِها هالَهْ (٢)

***

وقوله :

هُمُ هُمُ إن نأَوْا عنِّي وإن قرُبُوا ... أحِبَّتِي حبُّهم منِّي كحُرِّ دَمِي

فلا أقرَّتْ يدي كأساً ولا جذَبتْ ... سيفاً ولا لعِبتْ بالرُّمْحِ والقلمِ

ولا أسالتْ شآبيبَ النَّدَى كرَماً ... إن كنتُ وُجِّهتُ وَجْهِي نحوَ غيرِهِمِ

***

وقوله فى كاتب :

أكْرِمْ به كاتباً أفْدِيه بي وأبي ... ونَغْرُه عن ثَمِينِ الدُّرِّ يبتسِمُ

كأنه الشمسُ والقِرْطاسُ فى يَدِه ... بدرٌ ومِنْطَقة الْجَوْزَا له قَلَمُ

***

(١) يعنى : من كان بالله واثقا .

(٢) فى ب : « فوق رأسه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وقوله :

بِرُوحِي وأهــلِي زَوْرةٌ مِن مُمَنَّعٍ عليــه تفانَتْ أنْفُسٌ وعيونُ
فبات يُرِينِي الغُصْنَ كيف انعطافه وبِتُّ أُرِيهِ المُضْمَر كيف يكونُ
ومِن دُونِه بِيضُ الصَّوارِمِ والْقَنا قِبابٌ وأَسْتارُ الجمــالِ حُصونُ
ولـكنَّها الأقدارُ تُسْعِفُ مَن تَشا فيُدْرِكُ ما لم تحتسِبهُ ظُنونُ

***

وقوله :

أَسْعَدُ الناسِ مَن يرَى مِنَحَ الحقِّ فى المِحَنْ
والرِّضَا منه بالقَضــا يُذْهِبُ الهمَّ والحَزَنْ

***

وله فى تعزية بنى الْوَفا[1] ، ونقلتُهما من خَطِّه :

يَعِزُّ على لسانِى أن أُعَزِّى بساداتٍ هم رُوحُ الزَّمانِ
ومافَقدُوا من الدنيــا لشىء سِوَى أن زَيَّنوا غُرَفَ الجِنانِ

☆☆☆

---

(١) تقدم ذكرهم فى هذا الباب . انظر ترجمة ٣٣٥ .

## ٣٦٧
## مصطفى بن فتح الله النحّاس

لَقيتُه بمصر شاباً وِرْدُه نَبْعِىّ ، وكلأُه رَبْعِىّ .

وغصنُ شبابِه لَدْن ، وجنّة نُزهاته عدْن .

وسألتُه عن مَسْقط رأسِه ، فقال : دمشق البلدة التى لجيرتها على صفحات البُدور مَراسِم ، واترائِب تُرْبِها عقودٌ من دُرَرِ المَباسِم .

***

وهو ممن تميّز فى الأدب أو كاد ، وللرّجاء فيه مَواعِدُ إذا وفَتْ قيل: تفوّق أو زاد .

وقد أهدى إلىّ من نَظمِه هائيّة ، هَاهِيَه :

أما والغِيدِ تخطِر فى حُلاهَا ... وتطلُع كالأهِلّةِ فى سَناهَا

وباناتِ القُـــدودِ إذا أبانَتْ ... برَوْضاتِ الخدودِ ضُحَى جَناهَا

وتغْريدِ الصَّوادِحِ فى الرَّوابِى ... تبُثُّ من الجوانحِ لى هَواهَا

ومَا فَعَل الغرامُ بقلبِ صَبٍّ ... يصُبُّ الدمعَ صُبْحاً أو مَساهَا

ومُرْسَلِ فَتْرَةٍ لم يَنْبُ فَتْكاً ... وآيةِ حَسْرةٍ قلبى تلاهَا[1]

وأهْيَفَ واضحِ الخدَّيْن يزْهُو ... برَوْضةِ حُسْنِه عَنِّى تلاهَى

وأوْقاتٍ خلعتُ مع العَذارَى ... عِذارَ العُذْرِ مُعْتنِقاً بِهاهَا

لقد أصبحتُ أمْرَحُ فى الأمانِى ... وأنْسَرِحُ انْسِراحاً فى رُباهَا

وأصبُو للعيونِ النُّجْلِ عُمْرِى ... وإن هى أغْمدتْ قلبِى ظُباهَا

وأرْتشِفُ المَباسِمَ والثَّنايَا ... وأنْتشِقُ المَناسِمَ مِن شَذاهَا

ولى قلبٌ بلاعِجَةٍ تَلظَّى ... وعَيْنٌ دأْبُهـــا أبداً بُكاهَا

وظَبْيٌ فى سُوَيْداىَ رَتُوعٌ ... تحـــلَّى بالمَلاحةِ وارْتداهَا

(١) يعنى فترة الألحاظ .

كأن عِذارَهُ زَرَدٌ نَظِيمٌ | على خَدَّيْه مِن قُبَلِي حَماهَا [1]
رمَى عَمْدًا بأَسْهُمِ ناظِرَيْهِ | أصابَ مقـاتِلِي لَمَّا رَماهَا
رَشًا إن شاء يستَلِبُ البَرايَا | وإن ما شاء رَدَّ لهـا حِجاهَا
ومَن وَجَناتُه سَرقتْ لِحاظِي | فجازاها القطِيعةَ مِن كَراهَا
دَرَى أنِّي أحِنُّ إلى لِقاهُ | فعذَّب مُهْجتي وعلىَّ تَاهَا
ولمَّا أن نأى خلَّصْتُ مَدحِي | لخيرِ عصابةٍ من آل طـه

منها :

إليك أخا الفضائلِ والمعالِي | مَطايَا المجدِ قد حَثَّتْ سُراهَا
لك الباعُ الطويلُ يُرَى مَدِيداً | ليبْسُطَ وافرَ العلمِ انْتِباهَا
رَتَعْنا في رِياضِك وانتهلْنا | مَناهِلَ قلبُ عبدِك ما سَلاهَا
أألْسِنةَ اليَراعِ له اسْتَمِدِّي | بَدائعَ مِن مدائحَ لا تَناهَى
ويا سُودَ المَراعفِ ضَرِّجِي من | طُروسِ مَدِيحه البِيضِ الجِباهَا [2]
ويا صُحُفَ المَدِيحِ نَشَرْت عَرْفاً | له في الخافِقَيْن زَكَا صَباهَا
ويا نُدْمانَ رَوضتِه أقيمُوا | بجـامعِ فضلِه في مُشْتهاهَا
ويامَن مِن مَآثِره اسْتَزادُوا | فلمْ يصِـلُوا لغايةِ مُنْتهاهَا
ألم يدْرُوا بمـا الأستاذُ أوْلَى | من الآلاءِ إذ شكَر الإلَهَا
فهـل بحرٌ يُرامُ له حدودٌ | أم الجوزاءُ يُدْرَك مُرْتقاهَا
وهل بالفَرْقَدَيْن يُرَى اقْتِرانٌ | لغير عُلاه إذ هو قد تَباهَى
له الشُّعَراءُ رَقَّتْ واسْتُرِقَّتْ | وقد نشَرتْ بمِدْحتِه لِواهَا
مَدَحْتُك مُغْضِياً والعُذْرُ أنِّي | أراك تُقِيلُ عَثْرَةَ مُصْطفاهَا
وتُغْضِي الجَفْنَ عن عَيْبٍ تَراهُ | وتُسْبِلُ ذَيْلَ سِتْرِك عن خَطاهَا

---

(١) في ا : « كأن عظامه » ، والصواب في : ب ، ج .
(٢) سود المراعف : الأقلام .

ومَن لى أن أكونَ لذاكَ أهْلًا ... وأجْلو عن ضِيا عَيْنِى قَذاهاَ
وأن أضعَ النِّعالَ كعَبْدِ رِقٍّ ... وأجْعلَ كُحْلَ أجْفانى ثَراهاَ
ولستُ بشاعرٍ لكن أُرَجِّى ... من الشعراء فَيْضاً مِن نَداهاَ
وإنك سيِّدُ الشعراء حقًّا ... لك البُلَغاء قد ألْقتْ عَصاهاَ
وإنى إن جعلتُ البحرَ نِقْساً ... لِتَعْدادِ المَدائحِ ما كفاهاَ[1]
كذاكَ إذا نظَمْتُ الدَّرَّ عِقْداً ... وإن بالَغْتُ لا أُحْصِى ثَناهاَ
كمُلتَ مَفاخراً وعلَوتَ ذاتاً ... جُعِلتُ لذاتِكَ العُلْيا فِداهاَ
فلا زالتْ لك الأمجادُ تَسْعَى ... على الأيامِ باسِطةً جِباهاَ





(١) النقس : المداد .

# ٣٦٨

## السيد عبد الرحمن الجيزيّ الطَّباطَبيّ

هو من نُخْبةِ سُراةِ الأشْراف ، مَحَلُّه من قُرَيش الرَّوابِي المُشْرِفةُ أتمَّ الإشْراف . ورِث الشَّرف جامِعا عن جامِـع ، وازْدَهتْ بِرَوْنَقِ سيادتِه مَواطِنُ ومَجامِـع . وقد جمعتْنى وإيَّاه الأقْدار ، فى أوقاتٍ أمِنْتُ فيها بفضلِ صُحْبتِه وَصْمَةَ الأكدار . فعرفتُ وُفورَ فضلِه ، وشهدتُ كرمَ ذاتِه المُنْبِي عن كرم أصْلِه .

***

وكتب يستجيزُ ذلك بهـذه الرسالة ، فأجَبْتُـه سائلا أن يحفظ اللهُ به حُشاشةَ النَّفاسةِ والبَسالة .

وهذه رسالتُه :

حَمْداً لمن افْترض على كلِّ مسلم محبَّـةَ أهلِ البيت ، ورفَع ذِكْرَهم ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾[1] بَيْتاً بعد بَيْت .

ومَنَح أمينَهم حقيقةَ السعادة وسهَّل طريقَهُ إليها ومَجازَه ، وخلَع عليـه من حُلَلِ السيادة خِلَعَ إنْعامه وجعَل مَزِيدَ النِّعَم على شُكْرِه إجازَةَ .

وصلاةً وسلاماً على من آتاه اللهُ جَوامِـعَ الكَلِم وزادَه مَثوبةً وقُرْبا ، وعلى عِتْرَتِه الذين لا يكمُل إيمـانُ المرء إلّا بحُبِّهم وشاهدُه : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[2] .

وعلى آلهِ وأصحابِه الأُلَى هذَّبوا السُّنَّةَ الشريفة فكم خبَرٍ منها جا ، وكشفُوا النِّقاب عن وَجْـهِ فضلِ ذُرِّيَّتِه واتَّخذُوا وُدَّهم تأْليفا ومِنْهاجا .

فللهِ دَرُّ تلك البُنُوَّة ، الذين كَفَلَتْهم فى حِجْرِها النُّبُوَّة .

فهم للخير نجومُ الهدى، ولا يتولَّى وِلادتَهم إلا شمس المَعارف والاهتدا .

---

(١) الآية ٣٦ من سورة النور .  (٢) الآية ٢٣ من سورة الشورى .

وحَسْبُهم فخراً أنْ لا صلاةَ كاملةَ إلّا بالصلاةِ عليهم ، وهاكَ ما رواه البَيْهَقيُّ عن الإمام الشافِعِيِّ وهو نَصُّ مذهبِهِ فيهم :

يا آلَ بيْتِ رسولِ اللهِ حُبُّكُمُ ... فَرضٌ من اللهِ فى القرآنِ أنْزَلَهُ

كفاكُمُ من عظيمِ القَدْرِ أنّكُمُ ... مَن لم يُصَلِّ عليكُمْ لا صلاةَ لَهُ[1]

جعلهمُ اللهُ بركةً وذُخْراً ، ومَلاذاً دنيا وأخرى .

وأقامَهم مُقامَ جَدِّهم فى رَفْعِ العذاب ، فوُجودُهم أمانٌ فى الأرض من الخسْفِ والمَسخ والإرْعاب والإرْهاب .

وكم من حديثٍ فى هذا المعنى ورَد عن صادقِ الوعدِ الأمين المأمون ، وناهيك حديث[2] : « النُّجُومُ أمَانٌ لِأهْلِ السَّمَاء ، وأهل بَيْتِي أمَانٌ لِأهْلِ الأرْضِ ، فَإذَا هَلَكَ أهْلُ بَيْتِي جَاء أهْلَ الأرْضِ مِنَ الآيَاتِ مَا يُوعَدُونَ » .

وحديث :[3] « مَثَلُ أهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ فِي قَوْمِهِ ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا ، ومَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ » .

فمن أخذَ بهَدْيِهم ومحاسنِ شِيَمِهم نجا من لُجَجِ ظُلُماتِ المُخالفة وبالفائزين لَحِق ورقَى الدَّرجات العُلَى بجنّاتِ النعيم ، ومن تخلَّفَ عمّا ذُكِر غَرِق فى بحرِ الكُفْرانِ وهو فى نارِ الجحيم .

ولقد سبَكَ الدَّمامِينيُّ[4] هذا المعنى ، وأتى بنصِّ الحديث ضِمْنًا :

---

(١) فى ج : « يكفيكم من عظيم القدر » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) لم أجد هذا ، وفى صحيح مسلم ( باب بيان أن بقاء النبى صلى الله عليه وسلم أمان لأصحابه ، من كتاب فضائل الصحابة ) ١٩٦١/٤ : النُّجُومُ أمَنَةٌ لِلسَّماءِ ، فَإذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أتَى السَّماءَ ما تُوعَدُ ؛ وأنا أمَنَةٌ لِأصْحَابِي ، فَإذَا ذَهَبْتُ أتَى أصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ ؛ وأصْحَابِي أمَنَةٌ لِأُمَّتِي ، فَإذا ذَهَبَ أصْحَابِي أتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ » . ومثله فى مسند الإمام أحمد ٣٩٩/٤ . (٣) لم أجده . (٤) تقدم التعريف به ، فى الجزء الأول صفحة ٥٠٢ .

لستُ أخشَى يا آلَ أحمدَ ذَنباً     مع حُبّي لكم وحسنُ اعتقادِي

يا بِحــارَ النّدَى أأخشَى وأنتم     سُفُنٌ للنّجاةِ يومَ المَعــادِ

ومن خيرِهم حَبْرٌ على أسرارِ العلوم أمين ، وبحرٌ يتدفّق بعجائب نظمِه ونثرِه فإذا رمتُ الإفصاح عن حَصْرِ ذلك أمين(١) .

وبَرٌّ يُطوِّق أعناقَ المَشارق والمَغارب بنفائسِ دُرَرِ عِقْدِهِ الثّمين ، وكَشّافُ أسرارِ البلاغة بحُسْنِ تأويلٍ يُظْهِر الغَثَّ من السَّمِين .

بل هو رياضُ أدبٍ أينعتْ من ينابيع بديعِ ثمراتِه الأوراق ، وسقَتْ جداولُ مِدادِ مَديدِ(٢) كَلِمِه أغصانَ روضاتِ قلمِه فأخرجتْ من كلِّ الثّمَرات ما حَلَا ورَقَّ وراق .

فهو الإمام ابنُ الهُمام الذى لايعلمَ فضيلةَ تحقيقِه وتدقيقِه إلّا الأعلم(٣) ، والخليلُ(٤) الذى نَثَر لآلِئَ البيانِ ونظَم .

فأهْلًا به من مُؤرِّخ أخبرٍ تتلفَّتُ إليه وُجوهُ الأعصُرِ الأُوَل ، وبَخٍ بَخٍ لبراعتِه التى يُبيِّضُ سوادُها صُحُفَ الأيّام والدُّوَل .

مَن نحَا نحوَ منطقه ، وارْتضَع ثَدِيَّ معانى بيان بلاغتِه ، كان فى اللغة جَوْهَرِيَّ تنكيتِها ، بصِحاحِ عباراتٍ يَحارُ من بلاغتِها سِكِّيتُها وابنُ سِكِّيتِها(٥) .

يتحدّث لسانُ يَراعِ براعتِه المُخضَّب بمِداد المعانى فلا يَمِين ، ويُقْسِم أنه يُبْرِز دقائقَهُ فيبَرُّ تكذيباً لِمَن قال : فليس لمَخضوبِ البَيان يَمِين .

---

(١) من المين ، وهو العدول عن الحق .     (٢) فى ا : « مديده » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) يلقب بالأعلم يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمرى ، المتوفى سنة ست وسبعين وأربعمائة ، وإبراهيم بن محمد بن إبراهيم البطليوسى ، المتوفى سنة سبع وثلاثين وستمائة ؛ وكلاهما له اشتغال بالأدب .     (٤) يشير إلى الخليل بن أحمد الفراهيدى ، الإمام فى اللغة والأدب ، المتوفى سنة سبعين ومائة .     (٥) يشير إلى ابن السكيت أبى يوسف يعقوب بن إسحاق ، من أعلم الناس باللغة والشعر ، توفى سنة أربع وأربعين ومائتين انظر مقدمة التحقيق لكتابه « إصلاح المنطق » .

صَدْرُ الشريعة بل بحرُها الذى يُلتقَط من ساحلِ الشام دُرُّه ، شيخُ الطريقة بل بَرُّها الذي يُجيد صنائعَ المعروف فعلَى الحقيقة لله دَرُّه .

صاحبُ إتقان جامعٌ نافعٌ لأهل الرِّواية بِدايتُه ، ومُغرِبٌ مُعْرِبٌ عن أصولِ الهداية نِهايتُه .

مُحَمّديُّ الخِصال الثّابت غِراسُ أصلِه فى طِينَةِ المجد السامِى ، الثّابت المُتّصل بطَيْبَة ونَجْدٍ مَحْتِدُه الشامِى .

وحَسْبُك ماجَمَع من الفَضْل والفَضْل ، ونَجابةِ الفَرْع الدّالّ على عَراقةِ الأصل .

كيف لا وهو قُطْبُ دائرة الأفلاك العَلَوِيّة ، ومَطْلَع شُموسِ أمـلاكِ الدَّوْحة النَّبَوِيّة ، وعَيْنُ أعْيانِ خَواصِّ خُلاصةِ البِدْعَه المُحَمّديّة ، وخيرُ خِيار الأخيار من السُّلالَة المُصْطَفَوِيّة .

أشْرَفُ مَوْلى[^1] بمَناصِبِ حُكْمِه اتَّصَل سَنَد حديثه بالإمام الحاكِم ، فإذا ما نظَر فى الأحْكام الشرعيّة كان فى الفَضْل أعْدلَ حاكِم ، وأجَلَّ عالِم عامل ولا نَكْتُم شَهادةَ اللهِ ﴿ وَمَنْ يَكْتُمْها فَإِنّهُ آثِم ﴾[^2] .

وماذا أقُول فى البيت الذى عَمرتْه بالذِّكْر الحميد أبْناؤه ، وعَمرتْه بالذِّكر الحكيم أنباؤه .

فتبارَكَ مَن أظْهر من أهلِه هذا السيِّدَ وجعَل أغارِيبَ البلاغة لألْفاظِه مُذْعِنةً طائعة ، وأعاجِيبَ صِياغةِ الألْسِنة[^3] عاصيةً سِواهُ وله مُطاوِعة ، وأبْرَز إبْرِيزَ المعانى عن ذِهْنِه السليم فأشْبَهَ مَطْبوعُه طابَعه .

فلقد صنَّف « تاريخا » وأبْدَع فى تصْنيفه ، وألَّف شَتاتَ الفضائِل وجمَع شَمْلَ ذِكْرِ علماء عصرِه فى تأليفه .

---

[^1]: فى ا : « موالى » ، والمثبت فى : ب ، ج
[^2]: سورة البقرة ٢٨٣ .
[^3]: فى ا : « الألسن » ، والمثبت فى : ب ، ج .

فجاء بحراً طويلاً مبسوطا بعدادِ أمْدادِه ذِكْرُ السادةِ العلماء، مُحِيطا بكامل أسمائهم ، ووافرِ أنسابهم .

حتى صار بأسانيدهم علماً حاوياً لكلِّ قولٍ مُحرَّرٍ وَجيز ، شاملا لخلاصة المعنى بمُوجَزِ ألفاظٍ تُعرِّف القادرَ منه بالتعْجيز .

لِمَ لا ، وقد تكلَّم فيه عن نكاتٍ يكاد المسموعُ منها لإشْراقِه أن يُرَى ، وأتى بجوامعِ الكَلِمِ فكَانَ الصَّيْدُ كلّ الصيدِ في جوف الفَرَا[1] .

يدلُ على صِحَّة إخبارِ مُؤلِّفه عن علماءِ العصر طرّا ، أنه من أهل البيت أولِي العلم والمجدِ وصاحبُ البيت أدْرَى .

ويُنبِّهُ البحثُ باقْتدار جامعه على تحقِيقِ خُبْرِيَّتِه بمواقعِ الأخبار وتسهيل صِعابها ، أنه وَرِثَ علمَ هذه الصناعة عن أصْلِه المكِّيِّ وأهلُ مكةَ أعرفُ بشِعابها .

فلله من مُؤرِّخٍ أحْرَزَ بالجَمْع عن الأواخر ما أحْرَزَ بالسَّمْعِ عن الأوائل ، وأبْرَزَ للجَمْعِ عن الأوائل أخابِرَ الذَّخائر من فضائِلِ الأفاضل .

فُصوصُ حِكَمِه[2] مشتملةٌ على أحسنِ الإشارات ، وفُتوحاتُ حقائقِه جاءتْ بالتَّلويحات إلى أفضل المَقامات .

فكم فيه من تَنْبيهٍ على كلِّ معنى مُستصفَى ، ومُحْكَمٍ من أحْكام الأحكام يهدِي تحصيلَ الشِّفا من اسْتَشْفَى .

وفَصِيحٍ من القول في إصْلاح النُّطْق ، يقرِّب إلى أدب الكُتَّاب ، ومهذَّبٍ من اللفظ الفائقِ يقْطِف من رَوْض المديح زَهْر الآداب .

حتى رصَّع قلائدَ العِقْيان في نَحْر البلاغة مُجْملا ، ونظَم عِقْدَ دُرَرِ الصَّحيحيْن وغُرَرِ الصِّحاح من نَثْرِه ونظمِه مُفصَّلا .

---

(١) الفرا : حمار الوحش أو فتيه . (٢) يضمن المؤلف فيما يلي أسماء كثير من الكتب المعروفة .

فنى أبياتِ شعرِه قصور مَشِيدة ، وفِقَرُ رسائِلِه كلُّ فَقْرةٍ منها معدودةٌ بقصيدة .

وفى عُنوانِ توْفيقِه قُوتُ قلوب العارفين ، وفى مُحْكَم إرشادِه إحياء علوم الدين .

فكسا اللهُ مُؤلِّفَه من حُلَلِ العلوم ثياباً غيرَ أخْلاق ، وجعَله مُجيزاً لكلِّ طالبِ مَرْويَّاتِه بمَحاسِنِ الإسْناد ومَكارمِ الأخلاق .

وبلَّغه من الآمال والأمانى أوْفاها وأقْصاها ، ومَدَّ أمَدَ مُدَّتِه حتى لا يحصُرها إلّا الذى لا يُغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلّا أحْصاها .

لما قد نفَعنى اللهُ بوجُودِه ، وزادَه من فضلِه وجُودِه .

مَحْروسةُ مصرَ القاهرةُ تشرَّفتْ ، وبحلولِ رِكابِه تزَخْرفتْ .

وفاحَ فى رُباها من رَوْضِ بهْجتِه نورُ نَشْرِها الأريج ، ورَوِيتْ من رُؤْيتِه بصَوْبِ صَوابِه فاهتزَّتْ ورَبَتْ وأنْبتتْ من كلِّ زوجٍ بهيج[1] .

وبإشْراقِ كوكب مُحَيّاه فى أفقِها وافَق الخُبْرُ الخَبَر ، وأين السمعُ من المُشافهة ومُشاهدةِ النَّظَر .

أحْبَبْتُ أن أخدمه بأبياتٍ طريحة ، عنكبُوتيّة النَّسْج من جهةِ القَرِيحة القَرِيحة .

وأطلبَ فيها الإجازة بجميع مَرْوِيّاتِه ، إن كان يرانى أهلًا لتلقِّى مُسْتَنَداته .

لأنى لم أكُنْ مِن فرسانِ هذا المِضْمار ، ولا أهْلًا لِمُعانقة أبكار الأفكار .

فلهذا صرتُ أُقدِّمُ رجلًا وأُؤخِّر أخرى ، وأقول : سلوكُ طريقِ الأدب مع مثل هذا الأستاذ أوْلَى وأحْرَى .

---

(١) اقتبسه من قوله تعالى فى سورة الحج ٥ : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ .

لأن مَقامَه عالِي الذُّرَى ، وأين الثُّرَيَّا من الثَّرَى .

إلى أن رأيتُ بعضَ الإخوان مَلأوا الأفواهِ في مدحِه بدُرَرِ نثارِهم ، ونصَبُوا على مَدارجِ سماعِ ذِكْرِهم بيوتَ أشعارِهم .

وظَفِروا من كنوزِ المَناهج بالسَّعد المُنتظَر ، ونثَرُوا على عقودِ جواهِره اللآلِي والدُّرَر .

وقصَدُوه وهو الغنيُّ مِن هذه الصناعةِ وهم بالنِّسْبة إليه الفقراء البائسون ، فتلقَّاهم بالقَبُول وفاح عليهم من رَحِيقِ خِتامِ كلامِه مِسْكٌ وفي ذلك فَلْيَتنافسِ المُتنافِسُون[1] .

وأنْزَلهم مَنازِلَهم في مجالسِ حُكْمِه ، وخلَع على أعْطافِهم من حُلَلِ نثره ونظمِه .

فحملوا على عواتِقِ شُكْرِهم لواءَ الحمد الأزْهر ، وخفَقتْ أعلامُ مدائِحهم بثناء الفخرِ الأبْهَر .

وهم يقولون في دقائقِ معارفِه ﴿ إنْ هَذَا إلَّا سِحْرٌ يُؤْثَر[2] ﴾ ، وإن فضلَه كالشمسِ لا يُنْكَر ، وإن ذِكْرَه الرفيع أبى اللهُ أن لا يُذْكَر .

ثم ورَدُوا عليَّ واحداً بعد واحد ، وطلبوا منِّي أن أستخرجَ من أبْكار الفِكَر ، بنَات ذهنٍ مُكلَّلا جِيدُها بعُقود جواهرِ الفِقَر .

فقلت : لساني يعجزُ في ترجمتِه عن بُلوغِ قدرِه ، ولو قال مهما قال لم يقُم بواجب حَقِّه طُولَ عُمْرِه .

فقالوا : لا سبيلَ إلَّا أن تصيغ[3] دُرَرَ المعاني ، عِقْداً نَضِيدا يُبهر منه لُبُّ المُعاني .

وألْزمُوني الحُجَّةِ ، ولم أرَ للمَنْدُوحة مَحَجَّة .

وقد شَرعتُ فيما رَامُوه ، وجادت القَرِيحةُ بما طَلبُوه .

---

(١) اقتبسه من قوله تعالى في سورة المطففين ٢٦ : ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ .  (٢) سورة المدثر ٢٤ .  (٣) المعهود : صاغ يصوغ .

وقفّيتُ مقاطيعَ هى عن الغايةِ كاسمِها، وأبياتاً خاويةً ما تُساوِى الوقوفَ على رَسْمِها.
ولكنْ على عَجْزِى وقُدْرتِه، وقُلِّى وكَثْرتِه.
أطمعُ فى عَفْوِه أنه يُنضِّد لها من إبْرِيزِ فضلِه سِلْكا، ويُقابِل أعْمى الحظِّ الذى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾[1] ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾[2].
وأسألُه الصَّفْحَ عند تصفُّحِها، واستحضارَ الحِلْمِ ساعةَ يَلْمَحُها.
وأن يَمُنَّ عليها بالقَبول، والسَّتْرِ الجميل المقبول.
وهذه هى هديةُ العبدِ المَوْلَى، إلى السيِّد الأمين المَوْلَى[3].

أمْتع اللهُ تعالى بفضائلِه التى تُزْرِى بالرَّوض النَّضِر، وتملأ أُذُنَ السامعِ وعَيْنَ المُنتظِر:

بَنُو المصطفَى أصلُ الوجودِ الأماثِلُ ... أكارمُ أهلِ البيت أينَ المُماثِلُ
هم الناسُ فى صِدْقِ المَقالِ لأنهم ... إذا صَدَعُوا بالحقِّ لم يَبْقَ باطلُ
وهم رحمةٌ للعالَمين وعِصْمةٌ ... وقد بَرْهَنَتْ عنَّا أقولُ الدَّلائلُ
وهم خيرُ خلقِ اللهِ فى الأرضِ نِعمةً ... هُداةٌ لِمن فيها أمانٌ مُواصِلُ
ومِن بيْتِهم جاء الكتابُ مُفصَّلا ... وشرْعُ رسولِ اللهِ بالحقِّ فاصِلُ
أئمةُ هَدْيٍ هذَّب الدِّينَ منهمُ ... إلى أُمَمِ الإسلامِ قومٌ أفاضلُ
خُذُوا عنهمُ الحِلْمَ الشريفَ وحدِّثوا ... إلى فضل أهلِ البيتِ تعْزَى الفضائلُ[4]
لقد عظَّم الرحمنُ فى الدهرِ قَدْرَهم ... وأثْنَتْ عليهم بالفَلاحِ الأماثِلُ
حُماةٌ سَراةٌ لا يُضامُ نَزِيلُهم ... إذا ضَيَّعتْ عهدَ الجوارِ القبائلُ
سَمَتْ بمَعانيهم علومٌ رفيعةٌ ... وطالتْ بهم فى الأكْرَمِين الطَّوائلُ
ومِن خَيْرِهم حَبْرٌ حوَى كلَّ سُؤْدَدٍ ... حَسِيبٌ نَسِيبٌ أوْصلتْه الحمائلُ[5]

---

(١) سورة عبس الآية الأولى . (٢) سورة عبس ٣ . (٣) المولى الأولى : يعنى العبد، والثانية : ما كان يطلق على كبار العلماء فى الدولة العثمانية . (٤) كذا فى الأصول: «الحلم الشريف»، ولعلها : «العلم الشريف» . (٥) يعنى حمائل السيف .

أمينهم السامى الفخار رشيدهم ... سريهم الشامى النجار الحلاحل(1)

خيار الكرام الشم من آل هاشم ... خلاصة أهل البيت نعم التناسل

لفاطمة الزهرا البتول انتسابه ... على حسينى له الأصل كافل

شريف عفيف مستغاث مهذب ... كريم السجايا حازم الرأى عاقل

أصيل له مجد رفيع مؤثل ... عريق زكت أخلاقه والشمائل

هو السيد المحفوظ من كل زلة ... وشاهده فى الذكر يتلوه فاضل

أبى الله إلا أن يكون مطهراً ... فأذهب عنه الرجس والفضل شامل

لقد آنس الله البلاد وأهلها ... وطابت به فى الأرض مصر المناهل(2)

وأشرقت الآفاق من نور فضله ... وسارت به للسالكين رسائل

وشاهد أهل الحق فيه عناية ... تسامت بها أفعاله والعوامل

تملك غايات العلوم فلم يزل ... ضليعاً بأعباء الهدى منه كاهل

عطوف رؤوف ذو حنان ورحمة ... تشرف بالتوفيق منه المواصل

إمام الهدى غيث الندى مذهب الردى ... عن الناس إن صالت عليهم صوائل

مجلى عمايات الضلال بهمة ... مؤيدة يصمى بها من يجادل(3)

ومرشد أرباب القلوب إلى الهدى ... بأفضل رشد منه تشفى الغلائل

ومسقى الندامى من سلافة سره ... شراباً طهوراً للعقول يشامل

فقاصد سامى سوحه غير خائب ... يبث الثنا لا يعتريه تشاغل

وفى نفحات الأنس عين حقيقة ... فمن أمه نال الذى هو آمل

تراه إذا يممته متهللاً ... بأنواع ترحاب لها البشر باذل

---

(1) فى ا : «الفخار ورشدهم» ، والمثبت فى : ب ج . وفى ج : «السامى النجار» ، والمثبت فى : ا ، ب . والحلاحل : سيد القوم .

(2) أى وطابت به مصر ، وطابت المناهل . (3) أصماه : رماه فقتله مكانه وهو يراه .

هو البحرُ إن حَـــدَّثْتَ عن مُعْجِباتِه ضَعُفْتَ عن اسْتيعابِ ما أنت ناقـلُ
فأمواجُـــه نحوٌ وصرفٌ ومنطقٌ ولُجَّتُه التاريخُ والشعرُ سـاحـــلُ(١)
إذا صاغ شِعْرًا جاء دُرًّا مُنضَّـدًا وخالصُ إبريزِ المَعاني سَلاسِـــلُ
هُمامٌ له فى كلِّ فَنٍّ مُؤلَّفٌ بأوْضحِ معنًى ليس فيـه تداخُـلُ
وألَّف تاريخـــًا هَمَى جُودُ مُزْنِه على عُلَمـاءِ العصرِ كالغَيْثِ هَاطِـلُ
وأوْدعَ سِـــرَّ الجَمْعِ فى طَىِّ نَشْرِه ففـاحتْ بروضـاتِ العلومِ المَنـادِلُ
لقد صـار كَهْفًا للمشـايخ شـامِخًا بسـاحتِـه للطَّالِبين منـازِلُ
وأفْصَـح عن فَرْقٍ وجَمْـعٍ وهيئـةٍ به فزَهتْ غـدواتُه والأصـائـلُ
وأعْربَ عن أسْمـائهم وصفـاتِهم وأنْسـابِهم والأخْـذِ عمَّن يُخـالِلُ
وقـد صرَّحَ الأثْباتُ عن خُبْرِه بمـا يُحدِّث عن صِـدْقِ الذى هو قائلُ
ومن أعجَبِ الأشيـاءِ صِحَّةُ نَقْـلِه ولم يرَهُم طُرًّا فكيف التَّواصُـلُ
وقد حارتِ الأشْياخُ فى حُسْنِ صُنْعِه وكلٌّ لميثاقِ المَوَدَّةِ حامِـــــلُ
ولاذَتْ به أهـــلُ العَرُوضِ لأنه خبيرٌ بمـا قددَوَّنتْـه الأوائِــــلُ
عَليمٌ بأقْسـامِ الـــكلامِ مُؤرِّخٌ أمـينٌ شريفٌ صـادقُ الوعـدِ عادلُ
له شَرَفٌ يسْمُو السِّماكَيْنِ رِفْعـةً وأوْصافُ صدقٍ حار فيهـا المجـادِلُ(٢)
إمام له فى كلِّ عِـلْمٍ مَـكانَةٌ بصحَّـةِ إسْنادٍ عن الثَّبْتِ ناقـــلُ
وحَسْبُك فى تحقيقِ ماأنا ذاكرٌ فعنَّ مثلِه فى النـاسِ تُرْوَى المسائـلُ
جميلُ المُحيَّا فى نَضـارةِ وجهِـه مَشـارِقُ منهـا تستضىءُ المحـافِلُ
حَميـدُ المَساعِى قد تَسامَى مَقـامُه محمـدٌ المحمودُ فيما يُحـاوِلُ
بِدايتُه فى كلِّ عـلمٍ نهـايةٌ وما هُنَّ عن نَهْـجِ الحقيقـةِ عادلُ

---

(١) فى ب : « والبحر ساحل » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) السماكان : نجمان نيران ، يقال لأحدهما : الأعزل ، وللآخر : الرامح .

أمينٌ على الأسْرارِ من دُرِّ كَنْزِه … أتَى خيرَ ما دلَّتْ عليه الدَّلائلُ

ولا عَيْبَ فيه غيرَ أنَّ سَبيلَه … لِسالِكه فيه الهدى والوَسائِلُ

خِيارُ ولاةِ الأمرِ أعدلُ حاكمٍ … يُقيمُ حُدودَ اللهِ والحالُ حائِلُ

وَقُورٌ صَبُورٌ قلتُ فيه مُؤرِّخا … وَلِيٌّ تَقِيٌّ وافِرُ العِلْمِ كامِلُ

فيا رَبِّ زِدْهُ نِعْمةً وسعادةً … وبَلِّغْهُ ما يرجُو وما هو آمِلُ

وصُنْهُ من الأسْوَا وحَصِّنْه بالهدى … وأيِّدْه بالتَّوفيقِ ما دَرَّ وَابِلُ

وقائلُها الجيزِيُّ مولاىَ جازِه … بفضلٍ فمنك الجُودُ للعبدِ واصلُ

يُرَجِّى من المولَى الأمينِ إجازةً … بما جاز أن يَرْوِيه فالشَّرْطُ حاصلُ

ومن فضلِه يرجو قبولَ قَرِيضِه … فقد حاكَهُ واللُّبُّ بالشُّغْلِ ذاهِلُ

سَمِيُّ ابنِ عَوْفٍ للطَّباطِبةِ انتمَى … وعُنْصُرُهم للمصطفَى الطُّهْرِ آيِلُ

ثِمالِ اليتامَى الأوَّلِ الآخِرِ الذى … به افتخرتْ آباؤُه والقبائلُ[1]

عليه صلاةُ اللهِ ما صَبَّ هَمَى … وأزْكَى سلامٍ مِن سَلامٍ يُواصلُ

وآلٍ وصَحْبٍ ما بَدَا قَوْلُ قائلٍ … بنو المصطفَى أصلُ الوجودِ الأمائلُ

وهذا آخرُ ما انتظم فى سِلْكِ القُصور من مَقاطِيعِ أشْعارٍ تُشْعِر بعَجْزِ مُؤلِّفِها، وارْتَسم فى صَكِّ المَنْثور على خَبايَا مُخْتلفِها ومُؤْتلفِها.

وانتَخَبَتْه القَرِيحةُ من بَناتِ فِكرِه العاجز، وذِهْنه الذى بينه وبين الوُصولِ إلى هذه الصناعة حاجز.

ومَن بِضاعتُه مُزْجاةٌ[2]، لفظَ[3] لَفْظَه[4]وقيل: ما أنْقاه[4]، وسكَت ونكَّث عليه أن فاه[5].

---

(١) ثمال اليتامى: غياثهم. (٢) بضاعة مزجاة: يسيرة قليلة، أو رديئة. (٣) من هنا إلى قوله: « نور فهمه الجلى وتلحظها » ساقط من: ج، ومكانه فيها: « فعسى أن يلحظها »، وهو فى: ا، ب.
(٤) فى ا: « وقبل ما أنقاه »، والمثبت فى: ب. (٥) فى ا: « نفاه »، والمثبت فى: ب.

فلذلك ترهّبتْ بناتُ فكرِه إمَّا من الخوف فطلَبتْ صَفْحا ، وإمَّا من الكَساد فلبِستْ من المِداد مِسْحا[١] .

ولكنْ إذا نظَر إليها المولَى بعَيْن الرِّضا وسمِع معَانيها ، جلَتْ سُعودُ السُّعود ورَقى الدَّرارِىَ ذُرَى مبانِيها .

فعسى أن يُوسِمَ مَرابِعها بالوَسْمِيِّ[٢] ذلك الوَلِيّ[٣] ، ويُجَلِّي سَوادَ حَظِّها بنورِ فهمِه الجَلِيّ .

ويَلْحَظَها بلَحْظةٍ من لَحَظاتِه ، ويُعِيد النَّظَر في وَهْنِ عباراتِه ، ويَعُودَها بعائِدِ صِلاتِه .

ويُعِيرَها لُمعةً من سَواطِع بديع جمالِه ، ويتصدَّق عليها مِن زكاةِ أقوالِه .

فإنها فقيرةٌ من فِقَر السَّجْع نَظْما ونَثْرا ، تاليةٌ ﴿ سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً[٤] ﴾ .

فرحِم الله امْرأً تطلَّع على عيْبٍ فيها فستَر ، وآمَن خوْفَها بحُسْنِ القبولِ والنَّظَر ، وعمِل[٥] بقَوْل أمير المؤمنين الشِّهاب ابن حجَر :

يا سيِّدًا طالِعُهُ ... إنْ راقَ مَعْناه فعُدْ

وافْتَحْ له بابَ الرِّضا ... وإن تجِدْ عَيْباً فَسُدّْ

وهَا لسانُ اليَراعِ يقول ، راجياً حُسْنَ القبول :

يا مَن دُعِي بيْن الورَى ... بأمينِ أسْرارِ الجَليلْ

أنْظُر إليها بالرِّضا ... ثم اصْفَحِ الصَّفْحَ الجميلْ

---

(١) المسح : كساء من شعر يلبس تقشفا وزهادة . (٢) الوسمي : مطر الربيع الأول .
(٣) الولي : المطر بعد المطر . (٤) سورة الطلاق ٧ . (٥) من هنا إلى قوله : « فلغصن تلك الشجرة اهتصرت » الآتي في جواب المحبي ، ساقط من : ج ، وهو في : ا ، ب .

وقد آنَ للقــلم أن يخلَعَ ما اسْوَدَّ مِن بُرُودِه ، ويرفعَ رأسَه من رُكوعِه وسُجودِه .

وأفضلُ الصلاة وأتمُّ السـلام على سيِّدِنا محمد وعلى آلِه وصَحْبِه ، وشِيعَتِه ومُحِبِّيه وحِزْبِه .

***

وهذا جَوابِي إليه :

أحْمَد من يُجيزُ آمِلَه ، ويُجيبُ بالقبول سائلَه وأنا سائلُه ، به أعتضِدُ وآمُلُه .

عليه أعتمِدُ مُستخِيراً به وهو لا يُنْدِمُ[1] مُسْتخِيرَه ، ومُستجيراً بِعَفْوِه وهو لا يُخيِّبُ مُستجِيرَه .

وأُصلِّي على نبيِّه صاحبِ الرسالة المُؤبَّدَة ، ومُشرِّعِ المِـلَّة الباقية على الدهر والطريقة المُؤيَّدَة .

أطْهرُ الخلائق عُنصُرا ، وأ كرمُهم خَبرا ومَخْبَرا .

الْبانِي بُيوتاً علَتْ شُرُفاتُها ، والناهِج طُرُقاً سعِدتْ غاياتُها .

وعَلَى آلِه خيرِ آل ، وأصحابِه السُّعَدا في المَبْدأ والمَـآل .

ما رَوَى رَاوٍ حـديثَ فضلِهم الحسَن ، وسعِدت بِبَثِّ مَحامدِهم أُلُوا الفصاحةِ واللَّسَن .

وبعد :

فلمَّا تشرَّفْتُ برُؤْيةِ مَن كنتُ أوَدُّ قُرْبَه ، وأتَّخِـذُ وَلاهُ قُرْبَةً وأ كْرِمْ بها مِن قُرْبة .

السيدُ الذي ابتهجتْ بِبَراعته الدنيا ، ونزلتْ سَيّارةُ مَحاسِنه بين السَّنَد فالعَلْيا .

---

(١) في ا : « يذم » ، والمثبت في : ب .

عبد الرحمن الجيزيّ وفّر الله من كل فضيلةٍ حظَّه ، ولا أعْدَمَه تتابُعَ الزِّيادةِ ما أدارَ في نفيسِه[(١)] لَحْظَه .

تنتهي كُلِّيَّتُهُ حيث ينتهي ذِكْره ، ويأتيه مُناهُ فوق ما يُناجيه فِكْره .

وبَقِيَ ما بقيت الخضراء تُظِلُّه ، والغبراء تُقِلُّه ، والآراء تحترِمُه وتُجِلُّه .

فأعاد لي الدهرُ برُؤيته الأثرَ عَيْنا ، ووفَتْ لي الأيامُ بلُقياه في ذِمَّتِها دَيْنا .

ورأيتُ ما رأى النبيُّ مِن زَيْد الخَيْل[(٢)] وحَبيبٌ من أبي سعيد[(٣)] ، فأنا إذا شاهدتُ طَلْعتَه أستفيدُ من العُلَى وأستزيد ، ويَزيد فيَّ إذا رأيتُه للثَّناء خَلْقٌ جديد .

فأستجْلِي أخلاقاً عَذْبة المَذاق ، وطباعاً مُفْصِحة عن كَرَم أعْراق .

إلى لَطافةٍ تُؤلِّف بين الوَحْشة والإيناس ، وسيرة نَظَرْتُ بهـا في سيرة ابنِ سَيِّد الناس[(٤)] :

فإن يَكُ مِن جِدٍّ أتاهُ فإنَّه تَوارَثَه آباءُ آبائِه قَبْلُ[(٥)]

وهل يُنْبِتَ الخَطِّيَّ إلّا وَشِيجُهُ وتُغْرَسُ إلَّا في مَنابِتِها النَّخْلُ[(٦)]

---

(١) في ب : « نفيسة » ، والمثبت في : ا .

(٢) هو زيد بن مهلهل بن زيد الطائي النبهاني ، المعروف بزيد الخيل .

وكان من المؤلفة قلوبهم ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد طيء ، سنة تسع ، وسماه النبي صلى الله عليه وسلم زيد الخير ، وقال : « ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الإسلام إلا رأيته دون الصفة غيرك » .

قيل : توفي بعد منصرفه من عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل : توفي آخر خلافة عمر . أسد الغابة ٢/٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٣) في الأصول : « ابن سعيد » ، ولعل الصواب ما أثبته ، فإن أبا تمام مدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري بقصائد كثيرة في ديوانه ، تجدها في صفحات ٢٥ ـ ٣٠ ، ٦٨ ـ ٧١ ، ١٣٧ ـ ١٤٠ ، ١٤٣ ـ ١٤٩ ، ١٦١ ، ١٨٩ ـ ١٩٢ ، ٢١٥ ـ ٢٢٠ ، ٢٤٩ ـ ٢٥٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٨٩ ـ ٢٩٩ ، ٣٣٥ ـ ٣٣٩ ، وانظر المعنى الذي أراده المؤلف قصيدته في وداعه في ٣٣٥ ، أما محمد بن سعيد فليس لأبي تمام فيه إلا قصيدة في تعزيته بابنه ، صفحة ٣٥١ . (٤) هو محمد بن محمد بن محمد اليعمري ، المعروف بابن سيد الناس ، المتوفى سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، وسيرته تسمى « عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير » . (٥) هذا البيت والتالي له لزهير بن أبي سلمى ، وهما في شرح ديوانه ١١٥ ، وقد تصرف المؤلف في البيت الأول بما يناسب غرضه ، ورواية شرح الديوان : « من خير أتوه ... آباء آبائهم .. » . (٦) الوشيج : القنا الملتف في منبته .

وناهيكَ بشَرفِ بيتٍ أسْبابُ السِّيادة عُمُـدُه، وفَخْرٍ لا يُستوفَى (١) على أمَدِ الأزمنةِ أمَدُه.

وقَبيلٍ كَريمةٍ فَصِيلتُه وشُعوبُه، ومَحْتِدٍ كالرُّمْحِ مُطَّرِدةٍ أنابيبُه وكُعوبُه.

ضربتْ عليه السيادةُ سُرادِقَها، وتفوَّح الشَّرفُ هامَ فُروعِها وباسِقِها.

مُتَّصِلُ خَبرِها المرفوعِ صَحَّتْ أسانيدُه، ومُرْسَلُ سَيْرِها المَقْطوعِ به سِلْسلةُ رِجالِهِ الثِّقاتِ وصَناديدُه.

فيالَها من سِلْسِلةٍ إذا تحرَّكتْ أخبارُها فى المَحافل، عُلِم أنها سلسلةُ قومٍ يُقادون إلى الجنَّةِ بالسَّلاسل.

ولعَمْرِى إن هذا السيدَ العظيم، حَلَّ من (٢) هذه النِّسبة الشريفة فى صَميمِ الصَّميم.

فله بين السَّادة، صَدْرُ الوِسادة.

ومَحلُّه فى (٢) الزَّجاجة، مَحلُّ الرَّوْنَقِ من الصَّباحة.

رَقِىَ من الفضائل ذُراها، وتمسَّك من المَحامد بأوْثَقِ عُراها.

وخطَب عرائسَ الكرم والوَفا، فبَنَى عليها بالبَنِين والرِّفا.

وهو فى البراعة واليَراعة أمْثَلُ القوم، بل هو المُنفرِد فيهما من عَهْدِ نَشْأتِهِ سَقاها عَهْدَ (٣) الغَمامِ وإلى اليوم.

أحْرَزَ القَصَبَ إذا دأب، فكان أقلُّ مُحْرَزاتِه أكثرَ الأدب.

يفْسَح للبيان مَجالا، ويُوضِح منه غُرَراً وأحْجالا.

ويشْتار مِن جَناه عَسَلا، ويهُزُّ مِن قَناه أسَلا (٤).

فإذا نَسَب انتسبَتْ إليه الرِّقَّة، وفاز من اللَّطافة بمَرْتبةٍ للنُّهَى مُسْترِقَّة.

وإذا مَدح اقتضَب بعضَ صفاتٍ منه، و نَعَتَها بنُعوتٍ من الكمال تُخْبِر عنه.

---

(١) فى ب: «يستوى»، والمثبت فى ا.　　(٢) ساقط من: ا، وهو فى: ب.

(٣) العهد: أول مطر الربيع.　　(٤) الأسل: الرماح.

وقد اتَّحَذْتُ معه اتِّحادَ رُوحٍ بِشَبَحٍ ، وتمتَّعْتُ من مُفاكهتِهِ بمُلَحٍ تَطرَّفتُها وسُبَح .
مُراعِياً من حَقِّ النِّسْبةِ ذِمَّةً وإلّاً[1] ، وليس فى محاسنِ تودُّدِهِ ما يُستثنَى بإلّا .
فشرَّفنى لازال شَرَفُ السادة شادخاً فى يَمِينِهِ ، وقلمُ البَراعة راكعاً وساجداً فى مِحْراب يَمِينِه .
برسالةٍ أخجلَت الخمائل ، وعلَّمت الصَّبا لُطفَ الشمائل .
عَرَضَها فى حَلْيِ البيان ، ونَقَشَها فى فَصِّ الزمان ، ليختِمَ بها الإحسان .
وضمَّنها قصيدةً فى مدح السادة الطُّهْر ، ألمعَ فيها بمناقبَ كالشمسِ وقتَ الظُّهْر .
فما ترك فى بيت ، توهُّماً لِلَوٍ ولَيْت .
كيف وهو ممَّن لهم البيتُ والمَقام ، وإذا أخذ أحدُهم القِرْطاس تسابقتْ إليه الدُّوِيُّ والأقلام .
ولما اجتلَيْتُ تلك البِكْر ، أعملتُ فى مُحاكاتِها الفِكْر .
فأذْركنى عن لَحاقِها التَّقصير ، وعلمتُ أنه لا يُجارَى بحرُها الطويل فعمدتُ إلى البحر القصير .
وإنِّى وإن قَصَرْتُ فما قصَّرْت ، وإن اختصرتُ فلغُصْنِ تلك الشجرة اهتصرْت[2] .
وغايةُ البليغِ أن يعترفَ بالقصور فى هذا الشان ، ويعلم أن مَدْحَ بَنِي المصطفَى شَرَفُ المكان والزمان :

| | |
|---|---|
| حقًّا بنُو المصطفى الأماثلْ | ما إنْ لهم فى العُلَى مُماثِلْ |
| أهلُ الثنا عند كلِّ مُثْنٍ | أخبارُهم بَهْجةُ المَحافلْ |
| أسماؤُهم للعُلَى حُروزٌ | من أجْلِ ذا كلُّها حمائِلْ |
| أقمارُ حُسْنٍ تُضِيء لكنْ | لها قلوبُ الورَى منازِلْ |
| إنْ أعوزَ الآملين أمرٌ | كانوا لها أنفعَ الوسائلْ |

---

(١) الإل : العهد.
(٢) هذا آخر الساقط من : ج ، الذى سبقت الإشارة إلى بدئه فى صفحة ٦٧٠

من كلِّ طَلْقِ الجبينِ سَمْحٍ    تُثقِلُ نعماؤُه الكواهِلْ
يُحارِبُ العُسْرَ منه شَهْمٌ    على المدى بالنَّوالِ صائِلْ
والكلُّ فَضْلٌ بلا انتهاءٍ    والفضلُ ما أنتجَ الفضائلْ
منهم حَسِيبُ الزمانِ فَرْدٌ    أَرْبَى على السادةِ الأوائِلْ
مُمْتَدُّ باعٍ إلى المعالي    وفي بُرودِ الكمالِ رافِلْ
من كاملٍ أُنتقَى لديْهِ    في ثِنْيِ بُرْدَيْهِ ألفُ كامِلْ
ذو منطقٍ لو يرُوم قُسٌّ    يحكيه أعْيَى فصار باقِلْ
يُبْدِي إذا نظَّم القوافِي    سِحْرًا به تمَّ أمرُ بابِلْ(1)
يَراعُه إنْ سَقاهُ نِقْسًا    فالطِّرْسُ يُغْنِي عن الخمائلْ
والعَنْبَرُ الرَّطْبُ من لُهاهُ    يقْذِفُه البحرُ للسواحِلْ
أهْدَى لنحوِي عَرُوبَ نَظْمٍ    تزْهُو من الحسنِ في غلائِلْ(2)
أعْيَتْ على القائلين حتى    لم يبْقَ قولٌ بها لقائلْ
مولايَ دُمْ في الورَى تُحلِّي    بالدُّرِّ جِيدَ المُنَى العَواطِلْ
واعْذِرْ مُشَتَّتَ الخيالِ صَبًّا    بالرَّغْمِ من أرضِ مصرَ راحِلْ(3)
لولاكَ ما جادَ منه فكرٌ    لم يحْتمِلْ مِنَّةَ الصَّياقِلْ
واسْلَمْ مَدَى الدهرِ في نعيمٍ    يَبْقَى ببُقْياكَ غيرَ زائلْ

وقد أمرْتني أن أجيبَك وأُجيزَك، وأُوازِنَ بمِثْقالِ كَلِمِي الحديدِ إبْرِيزَك.

فتحيَّرْتُ بين أمرَيْنِ أمرَّيْن، ووقَع ذِهْنِي السَّقيمُ بين داءَيْنِ مُضِرَّيْن.

إن فعلتُ ما أمرْتَنِي به فما أنا من رِجالِه، ومَن أنا حتى أحْرِزَ شوْطًا في مجالِه.

كيف والمِيلادُ قريب، والسِّنُّ قد أخذتْ من النَّصَب بنَصِيب.

---

(1) في ا: «سحر بابل»، والمثبت في: ب، ج.    (2) العروب: الضحاكة من النساء.

(3) سقط هذا البيت والذي يليه من: ج، وهما في: ا، ب.

والرُّؤيةُ ما[1] تنقع الغُلّة ، والرِّواية دون القُلّة .

وإن منعتُ أسأتُ الأدب ، وفوّتُّ من حُسْنِ الطاعة الأرَب .

ثم ترجّح عندي الامتثال ، وأجبتُ سائلا منه تعالى تَوْفيق لصالحِ الأعمال .

وأجزْتُك بجميعِ ما تجُوز لي روايتُه ، وتصِحُّ عنّي دِرايتُه .

من مسموعٍ ومأثور ، ومنظومٍ ومنثور[2] .

وإجازةٍ ومُناولةٍ ، ومطارحةٍ ومُراسلةٍ ، ونَقْلٍ وتصنيفٍ ، وتنْضيدٍ وتَفْويف .

ولي بحَمْدِ الله رواياتٌ كثيرة ، وأسانيدُ كالشمسِ رَادَ الضُّحَى[3] مُنيرة .

وأمّا مَشايخي فلو كنتُ مِن شَرْحِ أحوالهم أنْتصِف ، لقلتُ إنّ صحيفةَ العُمْر تضِيق فيهم عمّا أصِف .

فذكرتُهم سَرْداً لأنّ مِثْلي مَقْنوعٌ منه باليَسير ، ومَعْذُور في قِصَرِ الباعِ وضَعْفِ المَسير .

وأيُّ نَسَبٍ بيني اليومَ وبين زُخْرُفِ الكلام ، وإجالةِ جِيادِ الأقلام ، في أوصاف الأعْلام .

بعد أن حال الجَرِيض ، بين الإنشاء والقَرِيض[4] ، وشُغِل الجسم المَرِيض .

واستولَى الكسل ، ونسَلت[5] الشَّعراتُ البيضُ كأنها الأسَل .

تَرُوع بِرَبْطِ الحَيّات سِرْبَ الحياة ، وتطرّق بذوات الغُرَر[6] والشِّيات عند البَيات .

والشَّيبُ الموتُ العاجل ، وإذا ابيَضّ زَرْعٌ صبّحته المَناجِل ، والمُعتبَر الآجل .

---

(١) في ج : « لا » ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) من هنا إلى قوله : « والمعتبر الآجل » الآتي ساقط من : ج ، وهو في : ا ، ب . (٣) راد الضحى : ارتفاعه . (٤) حال الجريض دون القريض : مثل يضرب في فوات أوان الشيء ، وتقدم شرحه . (٥) نسل الشعر : انتفش .
(٦) في ا : « الغرور » ، والمثبت في : ب .

وأسألُ اللهَ تعالى مُفيضَ الآلاء أن يستعملنى وإيَّاك فيما يُرضيه ، ويلطُفَ بنا وبالمسلمين فيما يُجْرِيه من أحكامٍ ويقضيه .

ويجعلَنا ممَّن ختَمَ له بالحسنَى ، ويُقرِّبَنا ممَّن جعَل لهم المَقامَ الأسْنَى .

وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ تسليما كثيراً .

٭

آخر الجزء الرابع ، ويليه الجزء الخامس ، وأوله :

## الباب الثامن

## فى تحائف أذكياء المغرب

# فهرس

## تراجم الجزء الرابع



رقم الإيداع بدار الكتب ٥٢٤٥/١٩٦٩